

# الْجَامِعُ لِأَحْكَامِ الْقُرْآنِ

وَالْمُبَيِّنُ لِمَا تَضَمَّنَهُ مِنَ السُّنَّةِ وَآيِّ الْفُرْقَانِ

تألِيفُ

إِبْرَاهِيمَ عَبْدِ اللَّهِ مُحَمَّدِ بْنِ أَحْمَدِ بْنِ إِبْرَاهِيمَ الْقُرْطَبِيِّ  
(ت ٦٧١ هـ)

تَحْقِيقُ

الدُّكَوْنِيُّ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمَنِ التَّرْكِيِّ

شَارَكَ فِي تَحْقِيقِ هَذَا الْجُزْءِ

مُحَمَّدُ رَضِيُّوكْ عَرْقِسُوْيِّي غِيَاثُ السَّاجِحُ أَحْمَدُ

الْجُزْءُ الْحَادِيُّ عَشْرُ

مَوْسِسَةُ الرِّسَالَةِ

# جَمِيعُ الْحَقُوقِ مَحْفُوظَةٌ لِلنَّاشرِ

الطبعة الأولى

١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٦ م



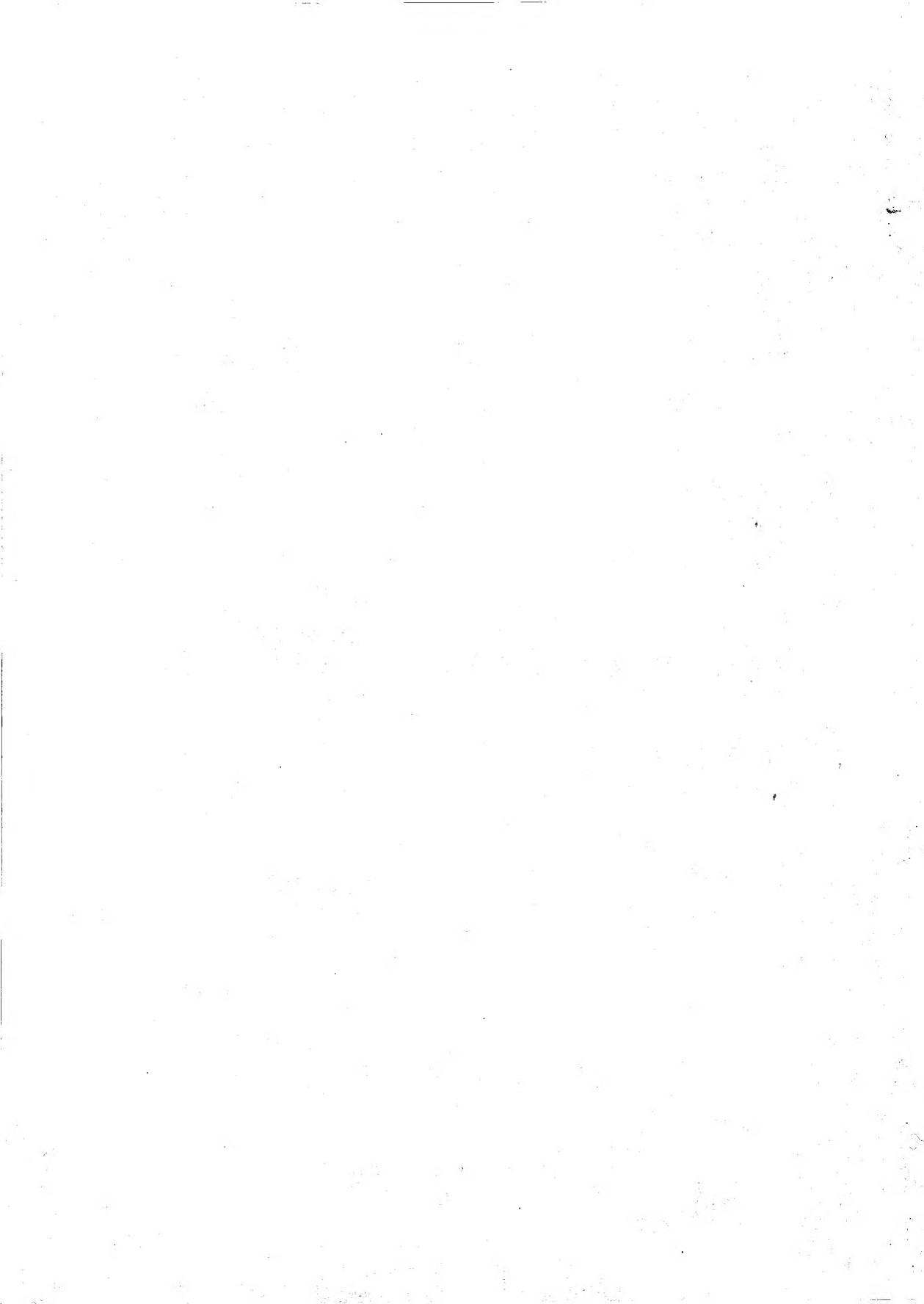
مؤسسة الرسالة للطبع والتوزيع - شارع حبيب أبي شهلا - بناية المسكن، بيروت - لبنان

للطباعة والتوزيع تلفاكس: ٨١٥١١٢-٣١٩٠٣٩ فاكس: ٨١٨٦١٥ ص.ب: ١١٧٤٦

**Al-Resalah  
PUBLISHERS**

BEIRUT/LEBANON-Telefax:815112-319039 Fax:818615-P.O.Box:117460  
Email:Resalah@Cyberia.net.lb





## بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

قوله تعالى: ﴿وَلَكُلٌّ أُتْهُ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَهُ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَمَنْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ <sup>(١)</sup>

قوله تعالى: ﴿وَلَكُلٌّ أُتْهُ رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَهُ رَسُولُهُمْ قُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ﴾ يكون المعنى: ولكل أمة رسول شاهد عليهم، فإذا جاء رسولهم يوم القيمة قضي بينهم، مثل: ﴿فَكَيْفَ إِذَا حَسِنَ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدٌ﴾ <sup>(٢)</sup> [النساء: ٤١]. وقال ابن عباس: ثنكر الكفار غداً مجيء الرسول إليهم، فيؤتى بالرسول فيقول: قد أبلغتكم <sup>(٣)</sup> الرسالة، فحينئذ يقضى عليهم العذاب، دليله قوله: ﴿وَيَكُونُ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

ويجوز أن يكون المعنى: أنهم لا يُعذبون في الدنيا حتى يُرسل إليهم، فمن آمن فاز ونجا، ومن لم يؤمن هلك وعذب، دليله قوله تعالى: ﴿وَمَا كَانَ مُعَذَّبِينَ حَتَّىٰ يُبَعَّثُ رَسُولًا﴾ <sup>(٤)</sup> [الإسراء: ١٥]. والقسط: العدل. «وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ» أي: لا يُعذبون بغير ذنب، ولا يُواخذون بغير حجّة <sup>(٥)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُونَ مَنْ هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ <sup>(٦)</sup>

يريد كفار مكة؛ لفريط إنكارهم، واستعجالهم العذاب، أي: متى العقاب، أو متى القيمة التي يعذنا محمد. وقيل: هو عام في كل أمة كذبت رسولها <sup>(٧)</sup>.

(١) إعراب القرآن للنحاس ٢٥٧/٢.

(٢) في (ز) و(ظ) و(ف): أبلغتهم.

(٣) ينظر إعراب القرآن للنحاس ٢٥٧/٢.

(٤) تفسير البغوي ٢/٣٥٦.

(٥) ينظر زاد المسير ٤/٣٧.

قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ لِكُلِّ أَنْجَلٍ إِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ فَلَا يَسْتَخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَعْدِمُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَمْلِكُ لِنفْسِي ضَرًّا وَلَا نَفْعًا﴾ لما استعجلوا النبي ﷺ بالعذاب قال الله له: قُلْ لهم يا محمد: لا أملك لنفسي ضرًا ولا نفعًا، أي: ليس ذلك لي ولا لغيري. ﴿إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ﴾ أن أملكه وأقدر عليه، فكيف أقدر أن أملك ما استعجلتم؟! فلا تستعجلوا<sup>(١)</sup>. ﴿لِكُلِّ أَنْجَلٍ﴾ أي: لهلاكم وعذابهم وقت معلوم في علمه سبحانه. ﴿إِذَا جَاءَ أَجْلَهُمْ﴾ أي: وقت انقضاء أجلمهم. ﴿فَلَا يَسْتَخِرُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَعْدِمُونَ﴾ أي: لا يمكنهم أن يستأخرموا ساعة باقين في الدنيا، ولا يتقدموه فيؤثرون.

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنْتُمْ عَذَابُهُ بَيْنَنَا أَوْ نَهَارًا مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَنْتُمْ عَذَابُهُ بَيْنَنَا أَوْ نَهَارًا﴾ ظرفان، وهو جواب لقولهم: «متى هذا الوعد»، وتفسيره لأرائهم في استعجالهم العذاب، أي: إن أناكم العذاب؛ فما تفعكم فيه؟ ولا ينفعكم الإيمان حينئذ. ﴿مَاذَا يَسْتَعْجِلُ مِنْهُ الْمُجْرِمُونَ﴾ استفهام معناه التهويل والتعظيم، أي: ما أعظم ما يستعجلون به، كما يقال لمن يطلب أمراً يستوي حمّ عاقبته: ماذا تجني على نفسك<sup>(٢)</sup>? والضمير في «منه» قيل: يعود على العذاب، وقيل: يعود على الله سبحانه وتعالى.

قال النحاس<sup>(٣)</sup>: إن جعلت الهاء في «منه» تعود على العذاب؛ كان لك في «ماذا» تقديران: أحدهما: أن يكون «ما» في موضع رفع بالابتداء، و«ذا» بمعنى الذي، وهو خبر «ما»، والعائد ممحذوف. والتقدير الآخر: أن يكون «ماذا» اسمًا واحدًا في موضع

(١) ينظر تفسير أبي الليث ١٠١ / ٢.

(٢) الكلام بنحوه في الوسيط ٥٥٠ / ٢.

(٣) في إعراب القرآن ٢٥٧ / ٢ - ٢٥٨.

رُفِعَ بِالابتداء، والخبر في الجملة؛ قاله الزجاج<sup>(١)</sup>. وإن جعلت الهاء في «منه» تعود على اسم الله تعالى جعلت «ما»، و«ذا» شيئاً واحداً، وكانت<sup>(٢)</sup> في موضع نصب بـ«يستعجل»؛ والمعنى: أي شيء يستعجل<sup>(٣)</sup> المجرمون من الله عزّ وجلّ.

قوله تعالى: ﴿أَنْذِرْ إِذَا مَا وَقَعَ عَامِنْتُ بِهِ مَا لَقَنَ وَقَدْ كُثُرْ بِهِ نَسْتَعِجْلُونَ﴾<sup>(٤)</sup>

قوله تعالى: ﴿أَنْذِرْ إِذَا مَا وَقَعَ عَامِنْتُ بِهِ مَا لَقَنَ﴾ في الكلام حذف، والتقدير: أتأمنون أن ينزل بكم العذاب، ثم يقال لكم إذا حلّ: الآن آمنتم به<sup>(٤)</sup>? قيل: هو من قول الملائكة استهزاء بهم. وقيل: هو من قول الله تعالى.

ودخلت ألف الاستفهام على «ثم»، والمعنى: التقرير والتوبیخ، وليدل على أن معنى الجملة الثانية بعد الأولى.

وقيل: إن «ثم» هاهنا بمعنى: «ثم» بفتح الثاء، فتكون ظرفًا، والمعنى: أهناك، وهو مذهب الطبرى<sup>(٥)</sup>، وحيثىلا يكون فيه معنى الاستفهام.

و«الآن» قيل: أصله [أن] فعل مبني مثل: حان، والألف واللام لتحويله إلى الاسم. الخليل: بُنِيَتْ<sup>(٦)</sup> لالتقاء الساكنين، والألف واللام للعهد والإشارة إلى الوقت، وهو حَدُّ الزَّمَانِينَ<sup>(٧)</sup>. وَقَدْ كُثُرْ بِهِ أي: بالعذاب ﴿نَسْتَعِجْلُونَ﴾.

(١) في معاني القرآن ٢٤/٣ ، ونقله المصنف عنه بواسطة إعراب القرآن للنحاس.

(٢) في إعراب القرآن للنحاس: وإن جعلت الهاء في «منه» تعود على اسم الله جلّ وعزّ، وجعلت «ماذا» شيئاً واحداً، كانت....

(٣) بعدها في النسخ: منه، والمثبت من إعراب القرآن للنحاس، ومعاني الزجاج.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٢٥٨/٢ .

(٥) تفسير الطبرى ١٢/١٩٠ - ١٩١ . قال ابن عطية في المحرر الوجيز ١٢٤/٣ : وما ادعاه الطبرى غير معروف.

(٦) ينظر إعراب القرآن للنحاس ٢٥٨/٢ ، والكلام فيه بنحوه، وما سلف بين حاصرتين منه.

(٧) يعني حد الزمان الماضي من آخره وحد الزمان المستقبل من أوله. تأويل مشكل القرآن لابن قتيبة ص ٣٩٨ .

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ الْخَلُقِ هَلْ يُجْزَوُنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴾ (٥١)

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قِيلَ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ أي: تقول لهم خزنة جهنم: ﴿ذُوقُوا عَذَابَ الْخَلُقِ﴾ أي: الذي لا ينقطع، هَلْ يُجْزَوُنَ إِلَّا بِمَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ﴿ أي: جزاء كفركم (١).﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَعْلُمُونَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّمَا لَعْنَّ وَمَا أَنْشَدَ يُمْعَجِزُنَ﴾ (٥٢)

قوله تعالى: ﴿وَيَسْتَعْلُمُونَ﴾ أي: يستخرونك يا محمد عن كون العذاب وقيام الساعة: ﴿أَحَقُّ﴾ ابتداء، هُوَ﴿ [فاعل] سَدَ مَسَدَ الْخَبَرِ، وهذا قول سيبويه. ويجوز أن يكون «هو» مبتدأ، و«أَحَقُّ» خبره (٢).﴾

﴿قُلْ إِي﴾ «إي» كلمة تتحقق وإيجاب وتأكيد بمعنى: نعم. ﴿وَرَبِّي﴾ قسم. ﴿إِنَّمَا لَعْنَّ﴾ جوابه، أي: كائن لا شك فيه. ﴿وَمَا أَنْشَدَ يُمْعَجِزُنَ﴾ أي: فائتين عن عذابه ومُجازاته (٣).﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفِسٍ ظَلَمَتْ مَا فِي الْأَرْضِ لَأَفَتَدَتْ بِهِ، وَأَسْرَارُ النَّدَامَةِ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ وَمَمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ (٥٣)

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ لِكُلِّ نَفِسٍ ظَلَمَتْ﴾ أي: أشركوا وكفرت. ﴿مَا فِي الْأَرْضِ﴾ أي: ملكاً. ﴿لَأَفَتَدَتْ بِهِ﴾ أي: من عذاب الله، يعني: ولا يُقبل منها (٤)، كما قال: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَا تُوا وَهُمْ كُفَّارٌ فَلَنْ يُفْكَلُ مِنْ أَحَدِهِمْ يُلْهِ الْأَرْضَ ذَهَبًا وَلَوْ أَفْتَدَهُ بِهِ﴾ [آل عمران: ٩١]. وقد تقدّم.

قوله تعالى: ﴿وَأَسْرَارُ النَّدَامَةِ﴾ أي: أخففوا، يعني رؤسائهم، أي: أخففوا

(١) ينظر تفسير أبي الليث ١٠١/٢.

(٢) إعراب القرآن للنسناس ٢٥٨/٢ ، وما بين حاضرتين منه.

(٣) تفسير البغوي ٣٥٧/٢.

(٤) تفسير أبي الليث ١٠٢/٢.

ندامتهم عن أتباعهم. **﴿لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ﴾** وهذا قبل الإحراء بالنار، فإذا وقعوا في النار ألهتهم النار عن التصنُّع، بدليل قولهم: **﴿رَبَّنَا غَلَبْتَ عَلَيْنَا شِفْوَتَنَا﴾** [المؤمنون: ١٠٦]. فيَّنَ أنهم لا يكتُّمون ما بهم. وقيل: «أَسْرُوا»: أظهروا، والكلمة من الأضداد، ويدلُّ عليه أنَّ الآخرة ليست دارَ تَجْلُّدٍ وتَصْبِرٍ<sup>(١)</sup>. وقيل: وجدوا أَلَّم الحسرة في قلوبهم؛ لأن الندامة لا يمكن إظهارها. قال كثيرون:

**فَاسْرَرْتُ النَّدَامَةَ يَوْمَ نَادِي بَرْدٌ جَمَالٌ غَاضِرَةَ الْمُنَادِي**<sup>(٢)</sup>

وذكر المبرد فيه وجهاً ثالثاً<sup>(٣)</sup>: أنه بدأ بالندامة أَسِرَّةً وجوههم، وهي تكاسير الجبهة، واحدتها سَرَار. والنَّدَامَة: الحسرة لوقوع شيء أو فُوت شيء، وأصلُّها **اللُّزُوم**، ومنه: النديم لأنَّه يُلزِّمُ المجلَّس. وفلان نادم سادم. والسَّدَم: اللَّهَاج بالشيء. ونَدِيم وتنَدِيم<sup>(٤)</sup> بالشيء، أي: اهتمَ به. قال الجوهرى<sup>(٥)</sup>: السَّدَم - بالتحرىك - الندم والحزن؛ وقد سَدِم بالكسر، أي: اهتمَ وحزن، ورجل نادم سادم، وندمان سَدْمَان، وقيل: هو إتباع. وما له هم ولا سَدَم إلا ذلك. وقيل: النَّدَم مقلوب الدَّمْن<sup>(٦)</sup>، والدَّمْن: **اللُّزُوم**، ومنه فلان مُذمِّنُ الْخَمْر. والدَّمْن: ما اجتمع في الدار وتلبَّد من الأبوال والأبعار، سُمِّيَ به لِلُّزُومِه. والدَّمْنَة: الحقد الملازم للصدر، والجمع دَمَن. وقد دَمِنَتْ قلوبُهُم؛ بالكسر، يقال: دَمِنَتْ على فلان، أي: ضغَّنَتْ.

**﴿وَقُضَوْتُ بَيْنَهُمْ بِالْقُسْطَطِ﴾** أي: بين الرؤساء والسفَّل؛ بالعدل<sup>(٧)</sup>. **﴿وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾**.

(١) ينظر تفسير البغوي ٣٥٧/٢ ، وتفسير الرازى ١١١/١٧ - ١١٢ .

(٢) ديوان كثيرون عزَّة ص ١٣٧ ، قوله: غاضرة: اسم امرأة.

(٣) نقله المصطف عنه بواسطة الماوردي في التكnt والعيون ٤٣٨/٢ .

(٤) في (ز) و(ظ) و(ف): سدم.

(٥) في الصحاح (سدم) و(ندم) و(دمن).

(٦) في الصحاح (ندم): المندامة مقلوبة من المداومة.

(٧) تفسير أبي الليث ١٠٢/٢ .

قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ اللَّهَ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَكُنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ (٥٥)

﴿أَلَا﴾ كلمة تنبية للسامع، تزداد في أول الكلام، أي: انتبهوا لما أقول لكم: ﴿إِنَّ اللَّهَ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَلَا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾: له ملك السماوات والأرض، فلا مانع يمنعه من إنفاذ ما وعده<sup>(١)</sup>. ﴿وَلَكُنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾ ذلك.

قوله تعالى: ﴿هُوَ يَعْلَمُ وَيَبْيَسُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ (٥٦)  
بين المعنى، وقد تقدم<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿يَتَأَيَّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتُكُمْ مَوْعِظَةً مِنْ رَبِّكُمْ وَشَفَاءً لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِلْمُتُوبِينَ﴾ (٥٧)

قوله تعالى: ﴿يَتَأَيَّهَا النَّاسُ﴾ يعني: قريشاً. ﴿قَدْ جَاءَتُكُمْ مَوْعِظَةً﴾ أي: وعظ.  
 ﴿مِنْ رَبِّكُمْ﴾ يعني: القرآن، فيه مواعظ وحكم<sup>(٣)</sup>. ﴿وَشَفَاءً لِمَا فِي الصُّدُورِ﴾ أي:  
 من الشك والنفاق والخلاف والشقاق. ﴿وَهُدًى﴾ أي: رشد لمن اتباهه. ﴿وَرَحْمَةً﴾  
 أي: نعمة. ﴿لِلْمُتُوبِينَ﴾ خصهم؛ لأنهم المنتفعون بالإيمان، والكل صفات القرآن،  
 والعطف تأكيد المدح. قال الشاعر:

إِلَى الْمَلِكِ الْقَرْمِ وَابْنِ الْهُمَامِ وَلَيْسَ الْكَتِيْبَةَ فِي الْمُرْدَاحِ (٤)

قوله تعالى: ﴿قُلْ يُفَضِّلُ اللَّهُ وَرَحْمَتِهِ فَذَلِكَ فَلَيَرْحَمُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ (٥٨)

قوله تعالى: ﴿قُلْ يُفَضِّلُ اللَّهُ وَرَحْمَتِهِ﴾ قال أبو سعيد الخدري وابن عباس رضي الله عنهما: فضل الله القرآن، ورحمته الإسلام. وعنهم أيضاً: فضل الله القرآن.

(١) إعراب القرآن للنحاس ٢٥٩/٢.

(٢) ٣٧٣/١ وما بعدها.

(٣) الوسيط للواحدي ٥٥٠/٢.

(٤) سلف ٨٥/٢، قوله: القرم: السيد.

ورحمته أَنْ جعلَكُم مِّنْ أَهْلِهِ وَعَنِ الْحَسْنِ وَالضَّحَّاكِ وَمَجَاهِدِ وَقَاتِدَةِ فَضْلُ اللَّهِ الإِيمَانِ، وَرَحْمَتُهُ الْقُرْآنُ، عَلَى الْعَكْسِ مِنَ القَوْلِ الْأَوَّلِ<sup>(١)</sup> وَقِيلَ غَيْرُ هَذَا.

**﴿فِيذِلَكَ فَلَيَفِرَّ حُوا﴾** إِشارةٌ إِلَى الْفَضْلِ وَالرَّحْمَةِ وَالْعَرْبُ تَأْتِي «بِذَلِكَ» لِلْوَاحِدِ وَالْأَثَنِينِ وَالْجَمِيعِ وَرُوِيَّ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ أَنَّهُ قَرَأَ: «فِيذِلَكَ فَلَيَفِرَّ حُوا» بِالْتَّاءِ، وَهِيَ قِرَاءَةُ يَزِيدَ بْنِ الْقَعْقَاعِ<sup>(٢)</sup> وَيَعْقُوبِ<sup>(٣)</sup> وَغَيْرِهِمَا، وَفِي الْحَدِيثِ: «إِنَّا خَذَنَا مَصَافِكُمْ»<sup>(٤)</sup>.

وَالْفَرَحُ لَدَّهُ فِي الْقَلْبِ بِإِدْرَاكِ الْمَحْبُوبِ وَقَدْ دُمِّ الْفَرَحُ فِي مَوْاضِعِ، كَقُولَهُ: **﴿لَا تَنْتَقِلْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الظَّرِيجَنَ﴾** [القصص: ٧٦]، وَقُولَهُ: **﴿إِنَّمَا لَفِيقَ فَخُورٍ﴾** [هُود: ١٠]، وَلَكَنَّهُ مُطْلَقٌ. فَإِذَا قَيَّدَ الْفَرَحُ لَمْ يَكُنْ ذَمَّاً؛ لَقُولَهُ: **﴿فَرِجِينَ يِمَّا إِنَّهُمْ اللَّهُ مِنْ قَصْبِلِهِ﴾** [آل عمران: ١٧٠]، وَهَا هُنَا قَالَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى: **﴿فِيذِلَكَ فَلَيَفِرَّ حُوا﴾** أَيْ: بِالْقُرْآنِ وَالْإِسْلَامِ فَلَيَفِرَّ حُوا، فَقِيَّدَ<sup>(٥)</sup>.

قال هارون: وفي حرف أبي: «فِيذِلَكَ فَافِرَحَا»<sup>(٦)</sup>. قال النحاس<sup>(٧)</sup>: سبِيلُ الْأَمْرِ أَنْ يَكُونَ بِاللَّامِ؛ لِيَكُونَ مَعَهُ حَرْفٌ جَازَمَ كَمَا أَنَّ مَعَ النَّهَيِّ حَرْفًا؛ إِلَّا أَنَّهُمْ يَحْذِفُونَ مِنَ الْأَمْرِ لِمَخَاطَبِ استَغْنَاءً بِمَخَاطَبَتِهِ، وَرِيمَا جَازَوَا بِهِ عَلَى الْأَصْلِ، مِنْهُ: «فِيذِلَكَ فَلَيَفِرَّ حُوا».

(١) تنظر هذه الأقوال في تفسير الطبرى ١٢ / ١٩٥ - ١٩٧ ، والنكت والعيون ٢ / ٤٣٩ ، وزاد المسير ٤٠ - ٤١ .

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٢ / ٢٥٩ ، القراءات الشاذة ص ٥٧ . وقراءة يزيد بن القعقاع (وهو أبو جعفر) المشهورة عنه: «فَلَيَفِرَحَا» بالياء، و«تَجْمِعُونَ» بالياء، وهي قراءة ابن عامر، كما سيرد.

(٣) في رواية رُويَسَ عَنْهُ . النَّشَرُ ٢ / ٢٨٥ .

(٤) أورده بهذا اللفظ الفراء في معاني القرآن ١ / ٤٧٠ في سياق كلامه على قراءة أبي الآتي ذكرها. وهو قطعة من حديث معاذ بن جبل<sup>رض</sup> عند أحمد (٢٢١٠٩)، والترمذى (٣٢٣٥) لكن بلطف: «عَلَى مَصَافِكُمْ كَمَا أَنْتُمْ»، وحيثند فلا شاهد فيه.

(٥) الحجة لأبي علي الفارسي ٤ / ٢٨٣ ، والمحرر الوجيز ٣ / ١٢٦ .

(٦) المحتسب ١ / ٣١٣ . وهارون: هو ابن موسى بن شريك التغلبى، الأخفش، أبو عبد الله، الإمام الكبير، مقرئ دمشق، له تصانيف في القراءات والعربية. توفي سنة (٢٩٢هـ). السير ١٣ / ٥٦٦ .

(٧) في إعراب القرآن ٢ / ٢٥٩ ، وما قبله منه.

**﴿هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾** يعني: في الدنيا. وقراءة العامة بالياء في الفعلين، وروي عن ابن عامر أنه قرأ: **«فَلَيَفْرَحُوا بِالْيَاء، «تَجْمَعُونَ» بِالْتَّاء»**<sup>(١)</sup>، خطاباً للكافرين. وروي عن الحسن أنه قرأ بالباء في الأول، و**«يَجْمَعُونَ»** بالياء على العكس<sup>(٢)</sup>. وروى أباز عن أنس، أن النبي ﷺ قال: «من هداه الله للإسلام، وعلمه القرآن، ثم شكا الفاقة، كتب الله الفقر بين عينيه إلى يوم يلقاه. ثم تلا: **﴿قُلْ يُنْفَضِّلُ اللَّهُ وَرَحْمَتُهُ فِي ذَلِكَ فَلَيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾**<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: **﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِّنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا قُلْ مَا لَلَّهُ أَذِنَ لَكُمْ أَنْمَّا عَلَى اللَّهِ فَقْرُوتُ﴾**<sup>(٤)</sup>

قوله تعالى: **﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِّنْ رِزْقٍ فَجَعَلْتُمْ مِّنْهُ حَرَامًا وَحَلَالًا﴾**.

فيه مسألتان:

الأولى: قوله تعالى: **﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ﴾** يخاطب كفار مكة<sup>(٤)</sup>. **﴿مَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِّنْ رِزْقٍ﴾** (ما) في موضع نصب بـ**«أَرَأَيْتُمْ»**، وقال الزجاج<sup>(٥)</sup>: في موضع نصب بـ**«أَنْزَلَ»**. **«وَأَنْزَلَ»** بمعنى: خلق، كما قال: **«وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِّنَ الْأَنْعَمِ ثَمَنَيَّةَ أَرْوَحٍ﴾** [الزمر: ٦]. **«وَأَنْزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ﴾** [الحديد: ٢٥]. فيجوز أن يعبر عن الخلق بالإنزال؛ لأنَّ الذي في الأرض إنما هو بما ينزل من السماء من المطر<sup>(٦)</sup>.

(١) السبعة ص ٣٢٧ - ٣٢٨ ، واليسير ص ١٢٢ .

(٢) ينظر المحاسب ١/ ٣١٣ .

(٣) النكت والعيون ٤٣٩/٢ . وأخرجه أبو القاسم بن بشران في أماله كما في الدر المنشور ٣٠٩/٣ . وأباز: هو ابن أبي عياش فiroz، أبو إسماعيل البصري. قال أحمد ويعين بن معين: متوفى. ميزان الاعتدال ١/ ١٠ .

(٤) تفسير البغوي ٢/ ٣٥٨ .

(٥) في معاني القرآن ٢٥/٣ ، ونقله المصطف عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٢٥٩/٢ .

(٦) تفسير الرازي ١٢٠/١٧ .

﴿فَجَعَلْتُم مِنْهُ حَرَانًا وَّحَنَّلًا﴾ قال مجاهد: هو ما حكموا به من تحرير البجيرة والسائلة والوصيلة والحام<sup>(١)</sup>. وقال الضحاك: هو قول الله تعالى: ﴿وَجَعَلُوا يَهُوَ مِمَّا ذَرَأَ مِنَ الْحَرْثِ وَالْأَنْثِيَرِ نَعِيَّبًا﴾ [الأنعام: ١٣٦].

﴿قُلْ مَالَهُ أُذْنُ لَكُمْ﴾ أي: في التحليل والتحريم. ﴿أَذْنٌ عَلَى اللَّهِ﴾ «أم» بمعنى: بل. ﴿فَتَرَوْنَ﴾ هو قولهم: إن الله أمرنا بها<sup>(٢)</sup>.

الثانية: استدل بهذه الآية من نفي القياس، وهذا بعيد؛ فإن القياس دليل الله تعالى، فيكون التحليل والتحريم من الله تعالى عند وجود دلالة نصبهما الله تعالى على الحكم، فإن خالف في كون القياس دليلاً لله تعالى فهو خروج عن هذا الغرض ورجوع إلى غيره<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَّ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَشْكُرُونَ﴾ (٤)

قوله تعالى: ﴿وَمَا ظَلَّ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ يَوْمَ الْقِيَمَةِ﴾ «يوم» منصوب على الظرف، أو بالظن، نحو ما ظنك زيداً<sup>(٤)</sup>، والمعنى: أيحسبون أن الله لا يؤاخذهم به<sup>(٥)</sup>. ﴿إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ﴾ أي: في النهاية والإمهال. وقيل: أراد أهل مكة حين جعلهم في حرام آمن. ﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ﴾ يعني الكفار. ﴿لَا يَشْكُرُونَ﴾ الله على نعمه، ولا في تأخير العذاب عنهم. وقيل: «لا يشкроون»: لا يوحّدون<sup>(٦)</sup>.

(١) سلف شرحها ٨/٢٣٧.

(٢) تفسير البغوي ٢/٣٥٨ ، وأخرج قوله مجاهد والضحاك الطبراني ١٢/٢٠٢ - ٢٠٣ .

(٣) أحكام القرآن للكبا الهراسي ٣/٢٢٣ ، وينظر أحكام القرآن للجصاص ٣/١٦٣ .

(٤) ينظر الكشاف ٢/٢٤٢ .

(٥) تفسير البغوي ٢/٣٥٨ .

(٦) ينظر الوسيط للواحدي ١/٣٧١ ، والوجيز له (بها مش مراح ليد) ١/٣٧١ .

قوله تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْءَانٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذَا ثُقِيَضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزِبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِنْقَالٍ ذَرَقَ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْفَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مَّبِينٍ﴾ (٦١)

قوله تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ﴾ «ما» للجحد، أي: لست في شأن، يعني: من عبادة أو غيرها إلا والرب مطلع عليك. والشأن: الخطب والأمر، وجمعه شؤون. قال الأخفش: تقول العرب: ما شانت شأنه، أي: ما عملت عمله<sup>(١)</sup>.

﴿وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِنْ قُرْءَانٍ﴾ قال الفراء والزجاج: الهاء في «منه» تعود على الشأن، أي: ثُحِيدُث شاناً فَيُتلى من أجله القرآن؛ فيعلم كيف حكمه، أو ينزل فيه قرآن فَيُتلى<sup>(٢)</sup>. وقال الطبرى<sup>(٣)</sup>: «منه» أي: من كتاب الله تعالى من قرآن؛ أعاد تفخيمًا، قوله: ﴿إِنَّا لَهُ مُصَدِّقٌ﴾ [طه: ١٤]. ﴿وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ﴾ يُخاطب النبي ﷺ والأمة. قوله: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ﴾ خطاب له، المراد هو وأمته، وقد يخاطب الرسول والمُراد هو وأتباعه<sup>(٤)</sup>. وقيل: المراد كفار قريش. ﴿إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا﴾ أي: نَعْلَمُه<sup>(٥)</sup>، ونظيره: ﴿مَا يَكُثُرُ مِنْ بَغْرَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَاعِيُهُمْ﴾ [المجادلة: ٧].

﴿إِذَا ثُقِيَضُونَ فِيهِ﴾ أي: تأخذون فيه<sup>(٦)</sup>، والهاء عائدة على العمل<sup>(٧)</sup>، يقال: أفالن في الحديث والعمل: إذا اندفع فيه. قال الراعي:

**فَأَفْضَنَ بَعْدَ كُظُومِهِنَّ بِجِرَّةٍ مِّنْ ذِي الْأَبَاطِحِ إِذْ رَعَيْنَ حَقِيلًا<sup>(٨)</sup>**

(١) ذكره الرازى في تفسيره ١٢١/١٧.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٢٥٩/٢ ، وقول الزجاج في معاني القرآن ٢٦/٣ .

(٣) في تفسيره ١٢/١٢ . وينظر الكشاف ٢٤٢/٢ .

(٤) ينظر الوسيط للواحدى ٥٥٢/٢ .

(٥) في (ر) و(ظ): بعلمه.

(٦) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ١٩٧.

(٧) تفسير البغوى ٣٥٩/٢ .

(٨) ديوان الراعي ص ٢٢٤ ، وسلف ٣١٨/٥ ، فينظر شرح غريبه ثمة، وينظر تهذيب اللغة ٧٨/١٢ .

ابن عباس: «ثَيِّضُونَ فِيهَا»: تفعلونه<sup>(١)</sup>. الأخفش: تتكلّمون. ابن زيد: تخوضون. ابن كيسان: تنشرون القول. وقال الضحاك: الهاء عائدة على القرآن، المعنى: إذ شيعون في القرآن الكذب<sup>(٢)</sup>.

**﴿وَمَا يَعْزِبُ عَنْ رَبِّكَ﴾** قال ابن عباس: يغيب<sup>(٣)</sup>. وقال أبو روق: يبعد. وقال ابن كيسان: يذهب.

وقرأ الكسائي: «يعزِّب» بكسر الزاي حيث وقع؛ وضم الباقون<sup>(٤)</sup>، وهو لغتان فصيحتان، نحو يغرس ويعرش<sup>(٥)</sup>. **﴿مِنْ مِثْقَالٍ﴾** «من» صلة؛ أي: وما يعزِّب عن ربِّك مثقال **﴿ذَرَّةٍ﴾**، أي: وزن ذرة، أي: نُمْيله حمراء صغيرة، وقد تقدم في «النساء»<sup>(٦)</sup>. **﴿فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَسْفَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ﴾** عطف على لفظ «مثقال»، وإن شئت على «ذرة». وقرأ يعقوب وحمزة برفع الراء فيهما<sup>(٧)</sup> عطفاً على موضع «مثقال»؛ لأن «من» زائدة للتاكيد. وقال الزجاج: ويجوز الرفع على الابتداء<sup>(٨)</sup>. وخبره: **﴿إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾**<sup>(٩)</sup> يعني: اللوح المحفوظ مع علم الله تعالى به.

قال الجرجاني: «إلا» بمعنى واو النسق، أي: وهو في كتاب مُبِين، كقوله تعالى: **﴿إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَّيَ الْمَرْسَوْنَ إِلَّا مَنْ ظَلَمَ﴾** [النمل: ١١-١٠] أي: ومن ظلم. وقوله: **﴿لَنْ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَيْكُمْ شَجَةٌ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ﴾** [البقرة: ١٥٠] أي: والذين ظلموا

(١) أخرجه الطبرى ٢٠٤/١٢ .

(٢) أخرجه الطبرى ٢٠٥/١٢ .

(٣) أخرجه الطبرى ٢٠٨/١٢ .

(٤) السبعه ص ٣٢٨ ، والتيسير ص ١٢٢ - ١٢٣ .

(٥) الكشف عن وجوه القراءات السبع ١/ ٥٢٠ .

(٦) ٦/٣٢١ - ٣٢٢ . وينظر الوسيط للواحدى ٢٥٢/٢ ، وتفسير البغوى ٢/ ٣٥٩ .

(٧) السبعه ص ٣٢٨ ، والتيسير ص ١٢٣ ، والنشر ٢/ ٢٨٥ .

(٨) ينظر معانى القرآن له ٣/ ٢٦ .

(٩) إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٦٠ .

منهم<sup>(١)</sup>. فـ«إلا» بمعنى واو النسق. وأضمر «هو» بعده، كقوله: **﴿وَقُلُّوا جَهَنَّمَ﴾** [البقرة: ٥٨] أي: هي جَهَنَّم، قوله: **﴿وَلَا تَنْتَهُوا ثَلَاثَةً﴾** [النساء: ١٧١] أي: هم ثلاثة. ونظير ما نحن فيه: **﴿وَمَا تَسْقُطُ مِنْ وَرْقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٌ فِي ظُلْمَتِ الْأَرْضِ وَلَا رَطْبٌ وَلَا يَأْبِسُ إِلَّا فِي كِتَابِ شَيْءٍ﴾** [الأنعام: ٥٩] أي: وهو في كتاب مُبيّن.

قوله تعالى: **﴿أَلَا إِنَّ أُولَئِكَ اللَّهُ لَا خُوفٌ عَلَيْهِنَّ وَلَا هُنْ يَحْزَنُونَ﴾** ١٦

قوله تعالى: **﴿أَلَا إِنَّ أُولَئِكَ اللَّهُ لَا خُوفٌ عَلَيْهِنَّ﴾** أي: في الآخرة. **﴿وَلَا هُنْ يَحْزَنُونَ﴾** لفقد الدنيا. وقيل: لا خُوفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُنْ يَحْزَنُونَ، أي: من تولاه الله تعالى وتولى حفظه وحياته ورضي عنده فلا يخاف يوم القيمة ولا يحزن، قال الله تعالى: **﴿إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنْتَ الْحُسْنَاتِ أُولَئِكَ عَنْهَا﴾** أي: عن جهنم **﴿مُبَعَّدُونَ﴾** إلى قوله **﴿لَا يَحْزَنُونَ الْفَرَّاعَ الْأَكْبَرُ﴾**<sup>(٢)</sup> [الأنياء: ١٠١-١٠٣].

وروى سعيد بن جُبَيْر أن رسول الله ﷺ سُئل: من أولياء الله؟ فقال: «الذين يُذَكِّرُ اللهُ بِرُؤْتِهِمْ»<sup>(٣)</sup>.

وقال عمر بن الخطاب في هذه الآية: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إِنَّ مِنْ عِبَادِ اللهِ عِبَادًا مَا هُمْ بِأَنْبِيَاءٍ وَلَا شَهِداءٍ؛ تَعْبِطُهُمُ الْأَنْبِيَاءُ وَالشَّهِداءُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِمَكَانِهِمْ مِنْ اللهِ تَعَالَى». قيل: يا رسول الله، خَبَرْنَا مَنْ هُمْ، وَمَا أَعْمَالُهُمْ، فَلَعْلَّنَا نَحْبِهِمْ؟ قال: «هُمْ قَوْمٌ تَحَابِبُوْنَاهُمْ عَلَى غَيْرِ أَرْحَامٍ بَيْنَهُمْ وَلَا أَمْوَالٍ يَتَعَاوَظُونَ بِهَا، فَوَاللهِ إِنَّ وَجْهَهُمْ لَنُورٌ، وَإِنَّهُمْ عَلَى مَنَابِرٍ مِنْ نُورٍ، لَا يَخَافُونَ إِذَا خَافَ النَّاسُ، وَلَا يَحْزَنُونَ إِذَا حَزَنَ النَّاسُ» ثم قرأ: **﴿أَلَا إِنَّ أُولَئِكَ اللَّهُ لَا خُوفٌ عَلَيْهِنَّ وَلَا هُنْ يَحْزَنُونَ﴾**<sup>(٤)</sup>.

(١) قال الرازى فى تفسيره ١٢٤/١ : هذا الوجه فى غاية التعسُّف ، وقال أبو حيان فى البحر ٥/١٧٥ : وهذا قول ضعيف ، ولم يثبت من لسان العرب وضع «إلا» موضع الواو .

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٢/٢٦٠ .

(٣) أخرجه الطبرى ١٢/٢٠٩ ، وهو مرسى ، وأخرجه النسائي فى الكبير (١١١٧١) ، والطبراني فى الكبير (١٢٣٢٥) ، والبزار (٣٦٢٦) (زوائد) عن سعيد بن جُبَيْر عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً .

(٤) أخرجه أبو داود (٣٥٢٧) ، والطبرى ١٢/٢١٢ - ٢١١ ، وفي الباب عن أبي هريرة **ﷺ** أخرجه النسائي فى الكبير (١١١٧٢) ، والطبرى ١٢/٢١١ ، وصححه ابن حبان (٥٧٣) .

وقال علي بن أبي طالب ﷺ: أولياء الله قومٌ صُفِرُ الوجه من السهر، عُمِشُ العيون من العبر، خُمِصُ البطن من الجوع، يُسْعَ الشفاه من الذوي<sup>(١)</sup>.

وقيل: «لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ» في ذُرِّيَّتِهِمْ؛ لأنَّ الله يتولَّهُمْ. «وَلَا هُمْ يَحْزُنُونَ» على دُنْيَا هُمْ، لتعويضِ الله إِيَّاهُمْ في أُولَاهُمْ وآخِرَاهُمْ؛ لأنَّهُ وَلِيُّهُمْ وَمَوْلَاهُمْ.

قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ ﴿٦٣﴾

هذه صفةُ أولياء الله تعالى، فيكون: ﴿الَّذِينَ﴾ في موضع نَصِيبٍ على البدل من اسم «إن» وهو «أولياء». وإن شئتَ على أعني. وقيل: هو ابتداء، وخبره: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾<sup>(٢)</sup>، فيكون مقطوعاً مما قبله. أي: يَتَّقُونَ الشُّرُك والمعاصي.

قوله تعالى: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَيْمَنَتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَزُورُ الْعَظِيمُ﴾ ﴿٦٤﴾

قوله تعالى: ﴿لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ عن أبي الدرداء قال: سألهُ رسول الله ﷺ عنها فقال: «ما سألكني أحدٌ عنها غيرُك منذ أُنْزِلْتُ، هي الرُّؤيا الصالحة يَرَاها المسلمُ أو تُرَى له». خرجه الترمذى في «جامعه»<sup>(٣)</sup>. وقال الزهرى وعطاء وقتادة: هي الإِشارة التي تُبَشِّرُ بها الملائكةُ المؤمنَ في الدنيا عند الموت<sup>(٤)</sup>.

وعن محمد بن كعب القرظى قال: إذا استنقعت نفسُ العبدِ المؤمن<sup>(٥)</sup> جاءه

(١) نسبة العجلوني في كشف الخفاء ١/٥٨ للثعلبي، وهو ضعيف. قوله: الذوي، أي: الذبول.

(٢) إعراب القرآن للنسناس ٢/٢٦٠.

(٣) الحديث (٣١٠٦)، وهو في مستند أحمد (٢٧٥٢٠) مختصر، وفي الباب عن عبد الله بن عمرو وعبدة ابن الصامت عند أحمد (٧٤٤) و(٢٢٦٨٨).

(٤) أخرج قول الزهرى وقتادة الطبرى ١٢/٢٢٤، وذكره البغوى في تفسيره ٢/٣٦٠ عن عطية عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٥) أي: إذا اجتمع في تزيد الخروج، كما يستنقع الماء في قراره. وأراد بالنفس الروح. النهاية (نفع).

ملك الموت فقال: السلام عليك يا ولی الله، الله يُقرئك السلام. ثم نزع بهذه الآية: **﴿الَّذِينَ نَوَّقْتُمُ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُم﴾** [النحل: ٣٢] ذكره ابن المبارك<sup>(١)</sup>.

وقال قتادة والضحاك: هي أن يعلم أين هو من قبل أن يموت<sup>(٢)</sup>. وقال الحسن: هي ما يُبشرهم الله تعالى في كتابه من جنته وكريم ثوابه؛ لقوله: **﴿يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُمْ بِرَحْمَةِ مِنْهُ وَرِضْوَانِهِ﴾** [التوبه: ٢١]، قوله: **﴿وَبَيْتَرِ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّتَهُ﴾** [البقرة: ٢٥]، قوله: **﴿وَبَيْسِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُشِّمَتْ ثُوعَكُدُونَ﴾** [فصلت: ٣٠]. ولهذا قال: **﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾** أي: لا خلف لمواعيده، وذلك لأنّ مواعيده بكلماته.

**﴿وَفِي الْآخِرَةِ﴾** قيل: بالجنة إذا خرجوا من قبورهم. وقيل: إذا خرجت الروح **بُشِّرَتْ بِرِضْوَانِ اللَّهِ**<sup>(٣)</sup>.

وذكر أبو إسحاق الشعبي: سمعت أبا بكر محمد بن عبد الله الجوزقي<sup>(٤)</sup> يقول: رأيت أبا عبد الله الحافظ في المنام راكباً بِرْدَوْنَا عليه طبلسان وعمامة، فسلمت عليه وقلت له: أهلاً بك، إنا لا نزال نذكر ونذكر محاسنك، فقال: ونحن لا نزال نذكر ونذكر محاسنك؛ قال الله تعالى: **﴿وَلَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ﴾** الثناء الحسن، وأشار بيده.

**﴿لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾** أي: لا خلف لوعده. وقيل: لا تبدل لأنباءه، أي: لا ينسخها بشيء، ولا تكون إلا كما قال **﴿ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾** أي: ما يصير إليه أولياؤه فهو الفوز العظيم.

(١) في الزهد (٤٤٢).

(٢) النكت والعيون ٢/ ٤٤١ ، وأخرجه الطبراني ١٢/ ٢٢٥ عن الضحاك.

(٣) ينظر الوسيط للواحدي ٢/ ٥٥٣ - ٥٥٤ ، وتأشير البغوي ٢/ ٣٦٠ ، وفيهما قول الحسن السالف.

(٤) الخراساني، الحافظ، المجدد، له كتاب الصحيح المخرج على كتاب مسلم، والمتفق الكبير، يكون في ثلاث مئة جزء. توفي سنة (٣٨٨هـ). وجُزُّق من قرى نيسابور. السير ١٦/ ٤٩٣.

قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ (١٩) قوله تعالى: ﴿وَلَا يَحْزُنْكَ قَوْلُهُمْ﴾ تم الكلام، أي: لا يحزنك افتراؤهم وتكذيبهم لك، ثم ابتدأ فقال: ﴿إِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ﴾ أي: القوة الكاملة، والغلبة الشاملة، والقدرة التامة لله وحده؛ فهو ناصرك ومعينك وما يُعُك.

﴿جَمِيعًا﴾ نَضَبَ على الحال<sup>(١)</sup>، ولا يعارض هذا قوله: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾ [المنافقون: ٨]، فإنَّ كُلَّ عَزَّةٍ بِاللَّهِ فَهِيَ كُلُّهَا لِلَّهِ، قال اللَّهُ سَبَّحَانَهُ: ﴿سُبْحَانَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ﴾ [الصفات: ١٨٠].

﴿هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ السميع لأقوالهم وأصواتهم، العليم بأعمالهم وأفعالهم وجميع حركاتهم.

قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ اللَّهَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءً إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا بَخْرُصُونَ﴾ (٢١)

قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ اللَّهَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ﴾ أي: يحكم فيهم بما يُريد، ويفعل فيهم ما يشاء، سبحانه.

قوله تعالى: ﴿وَمَا يَتَّبِعُ الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ شُرَكَاءً﴾ «ما» للنفي، أي: لا يتبعون شركاء على الحقيقة، بل يظنوُّن أنها تشفع أو تنفع. وقيل: «ما» استفهام، أي: أي شيء يتبع الذين يدعون من دون الله شركاء؟! تقييحاً لفعلهم<sup>(٢)</sup>، ثم أجاب فقال: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ هُمْ إِلَّا بَخْرُصُونَ﴾ أي: يحدِّسُونَ ويكتُبونَ، وقد تقدَّم<sup>(٣)</sup>.

(١) إعراب القرآن للنحاس ٢٦١/٢.

(٢) ينظر تفسير البغوي ٣٦١/٢ ، وتفسير الرازبي ١٣١/١٧ .

(٣) ٧/٩ . وينظر زاد المسير ٤/٤ .

قوله تعالى: «**هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَيَّلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالنَّهَارَ مُبَشِّرًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ**» (١)

قوله تعالى: «**هُوَ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَيَّلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ**» بين أن الواجب عبادة من يقدر على خلق الليل والنهار؛ لا عبادة من لا يقدر على شيء. «**لِتَسْكُنُوا فِيهِ**» أي: مع أزواجكم وأولادكم ليزول التعب والكلال بكم. والسكون: الهدوء عن الاضطراب.

قوله تعالى: «**وَالنَّهَارَ مُبَشِّرًا**» أي: مضيناً لتهتدوا به في حوانجكم. والمُبَشِّر: الذي يُبشر، والنهار يُبشر فيه. وقال: «**مُبَشِّرًا**»؛ تجوزاً وتوسعاً على عادة العرب في قولهم: ليل قائم ونهار صائم. وقال جرير:

لقد لمنتنا يا أم عينان في السرى  
ونمت وما ليل المطية بنائم<sup>(١)</sup>  
وقال قظرُب: يقال: أظلم الليل، أي: صار ذا ظلمة، وأضاء النهار وأبصر،  
أي: صار ذا ضياء وبصر<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: «**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا** أى: علامات ودلائل. «**لِقَوْمٍ يَسْمَعُونَ**»  
أى: سماع اعتبار.

قوله تعالى: «**قَالُوا أَنْخَذَ اللَّهُ وَلَدًا شَبَحَنَّ هُوَ الْغَيْرُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ إِنْ عِنْدَكُمْ مِنْ سُلْطَنٍ هَنَّا أَنْقُولُونَ** عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ» (٢)

قوله تعالى: «**قَالُوا أَنْخَذَ اللَّهُ وَلَدًا**» يعني: الكفار. وقد تقدم<sup>(٣)</sup>. «**شَبَحَنَّ**» نَزَهَ نفسه عن الصاحبة والأولاد، وعن الشركاء والأنداد. «**هُوَ الْغَيْرُ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ**» ثم أخبر بغناء المطلق، وأن له ما في السموات والأرض ملكاً وخلقاً وعبدًا، «**إِنْ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا مَاقِ الرَّحْمَنِ عَبْدًا**» [مريم: ٩٣].

(١) ديوان جرير ٩٩٣/٢ ، وينظر زاد المسير ٤٦/٤ .

(٢) ذكره أبو حيان في البحر المحيط ١٧٧/٥ .

(٣) ٣٣٣/٢ .

**﴿إِنْ عَنْدَكُمْ مِّنْ سُلْطَنٍ يَهْدِي﴾** أي: ما عندكم من حجّة بهذا. **﴿فَأَنْتُمُونَ عَلَى اللَّهِ مَا لَا تَحْمِلُونَ﴾** من إثبات الولد له، والولد يقتضي المجازة والمُشابهة، والله تعالى لا يُجازس شيئاً ولا يُشَابِه شيئاً<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: **﴿قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذَبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾** متنع في الدنيا ثم إلينا مرجعهم ثم نديفهم العذاب الشديد بما كانوا يكفرون **﴿وَمَنْ يَعْمَلْ مِنْ حَسْنَاتِهِ فَلَا يُؤْخَذُ بِمُنْكَرِهِ﴾**

قوله تعالى: **﴿قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ﴾** أي: يختلفون. **﴿عَلَى اللَّهِ الْكَذَبَ لَا يُفْلِحُونَ﴾** أي: لا يفوزون ولا يامنون، وتم الكلام. **﴿مَنْعَلَيْهِ الْكَذَبُ﴾** أي: ذلك متاع، أو هو متاع في الدنيا، قاله الكسائي<sup>(٢)</sup>. وقال الأخفش: لهم متاع في الدنيا<sup>(٣)</sup>. قال أبو إسحاق<sup>(٤)</sup>: ويجوز النصب في غير القرآن على معنى: يتمتعون متاعاً. **﴿ثُمَّ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ﴾** أي: رجوعهم. **﴿وَهُمْ نُذِيقُهُمُ الْعَذَابَ الشَّدِيدَ﴾** أي: الغليظ. **﴿بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾** أي: بکفرهم.

قوله تعالى: **﴿وَأَتَلَّ عَلَيْهِمْ نَبَأً نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَقُولُونَ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَيْكُرُ مَقَامِي وَتَذَكِيرِي إِنَّا يَأْتِيَنَا اللَّهُ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا فَاجْمِعُوا أَنْتُمْ وَشَرِكَاتُكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَنْتُمْ كُمْ عَيْكُرُ غَنَّةً ثُمَّ أَقْضُوا إِلَيَّ وَلَا نُنْظِرُونِ﴾**

قوله تعالى: **﴿وَأَتَلَّ عَلَيْهِمْ نَبَأً نُوحٍ﴾** أمره - عليه الصلاة والسلام - أن يذكرهم أقصيض المتقدمين، ويُخوّفهم العذاب الأليم على كفرهم. ومحذفت الواو من «أتل»؛ لأنّه أمر، أي: اقرأ عليهم خبر نوح. **﴿إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ﴾** «إذا» في موضع نصب<sup>(٥)</sup>.

(١) في (ز) و(ظ) و(ف): ولا يشبه شيء.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٢٦١/٢.

(٣) ذكره ابن عطيه في المحرر الوجيز ١٣١/٣ ، ولم ينسبه لأحد.

(٤) هو الزجاج، وكلامه في معاني القرآن له ٢٧/٣ ، ونقله المصطف عن بوساطة النحاس في إعراب القرآن ٢٦١/٢ .

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٢٦١/٢ .

**﴿يَقُولُ إِنْ كَانَ كُبَرَ عَنْكُمْ﴾** أي: عَظُم وثقل عليكم . **﴿مَقَامِ﴾** المقام؛ بفتح الميم: الموضع الذي يقوم فيه. والمُقام - بالضم - الإقامة. ولم يقرأ به فيما علِّمْتُ<sup>(١)</sup> ، أي: إن طال عليكم لبني فيكم . **﴿وَتَذَكِيرِي﴾** إِيَّاكم، وتخويفي لكم. **﴿إِيَّاهُتَ اللَّهُ﴾** وعزّ مُتمّ على قتلي وطردِي . **﴿فَقَلَ اللَّهُ تَوَكَّلْتُ﴾** أي: اعتمدْتُ . وهذا هو جوابُ الشرط، ولم يزل عليه الصلاة والسلام متوكلاً على الله في كل حال، ولكن بين أنه متوكّل في هذا على الخصوص؛ ليعرف قومه أنَّ الله يكفيه أمرَهم، أي: إنْ لم تنصروني فلاني أتوّكل على من ينصرني<sup>(٢)</sup> .

قوله تعالى: **﴿فَاجْمِعُوا أَشْرَكَمْ وَشُرَكَاءَكُمْ﴾** قراءة العامة<sup>(٣)</sup> : «فأَجْمِعُوا» بقطع الألف، «شُرَكَاءَكُمْ» بالنسب. وقرأ عاصم الجحدري<sup>(٤)</sup>: «فاجْمِعُوا» بوصل الألف وفتح الميم؛ من جَمْع يَجْمَع، «شُرَكَاءَكُمْ» بالنسب. وقرأ الحسن وابن أبي إسحاق ويعقوب: «فأَجْمِعُوا» بقطع الألف «شُرَكَاوْكُمْ» بالرفع<sup>(٥)</sup> .

فاما القراءة الأولى، من: أجمع على الشيء؛ إذا عزم عليه. وقال الفراء: أجمع الشيء: أعدَه<sup>(٦)</sup>. وقال المؤرج: أجمعتُ الأمرَ، أفضحُ بن: أجمعتُ عليه. وأنشد: يا ليت شعري والمُنى لا تنفع هل أغدوْن يوماً وأمرِي مُنْجَمِع<sup>(٧)</sup> قال النحاس<sup>(٨)</sup>: وفي نصب الشُّرَكَاء على هذه القراءة ثلاثة أوجه: قال الكسائي

(١) ينظر المحرر الوجيز ٣/١٣١ . وفي الصحاح (قوم): وقد يكون كل واحد منها (المقام والمُقام) بمعنى الإقامة، ويكون بمعنى موضع القيام؛ لأنك إذا جعلته من: قام يقوم، فمفتتح، وإن جعلته من: أقام يقيم، فمضموء.

(٢) ينظر تفسير الرازبي ١٧/١٣٦ - ١٣٧ .

(٣) في (ز) و(ظ) و(ف): الأئمة.

(٤) يعقوب من العشرة. وينظر النشر ٢/٢٨٦ ، القراءات الشاذة ص ٥٧ ، والمحتب ١/٣١٤ .

(٥) معاني القرآن للقراء ١/٤٧٣ ، ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٢/٢٦١-٢٦٢ . وما قبله منه.

(٦) زاد المسير ٤/٤٧ - ٤٨ . والبيت في معاني القرآن للقراء ١/٤٧٣ ، ونواذر أبي زيد ص ١٣٣ ، وإصلاح المنطق ص ٢٩٣ دون نسبة.

(٧) في إعراب القرآن ٢/٢٦٢ .

والفراء<sup>(١)</sup>: هو بمعنى: وادعوا شركاءكم لِنُصْرَتِكُمْ. وهو منصوبٌ عندهما على إضمار هذا الفعل. وقال محمد بن يزيد: هو معطوفٌ على المعنى، كما قال:  
**يَا لَيْتَ زَوْجَكَ فِي الْوَغْيِ مُتَقْلِدًا سَيْفًا وَرُمْحًا<sup>(٢)</sup>**  
 والرُّمْحُ لا يُقْلَدُ، إلا أنه محمولٌ كالسيف.

وقال أبو إسحاق الزجاج<sup>(٣)</sup>: المعنى: مع شركائكم على تناصركم؛ كما يقال:  
**النَّقِيَّ الْمَاءُ وَالخَشْبَةُ.**

والقراءة الثانية من الجمع، اعتباراً بقوله تعالى: **«فَجَعَّ كَيْدُوكَمْ أَقْ»** [طه: ٦٠]. قال أبو معاذ<sup>(٤)</sup>: ويجوز أن يكون جَمَعَ وأجمع بمعنى واحد<sup>(٥)</sup>، «وشركاءكم» على هذه القراءة عطف على «أمركم»، أو على معنى: فاجمعوا أمركم واجمعوا شركاءكم، وإن شئت بمعنى: مع. قال أبو جعفر النحاس<sup>(٦)</sup>: وسمعت أبا إسحاق يُجيز: قام زيد وعمراً.

والقراءة الثالثة: على أن يعطّف الشركاء على المُضمر المرفوع في «أجمعوا»، وحسن ذلك؛ لأنَّ الكلام قد طال. قال النحاس<sup>(٧)</sup> وغيره: وهذه القراءة تبعده؛ لأنه لو كان مرفوعاً لوجب أن تُكتب بالواو، ولم يُرَ في المصاحف واو في قوله: «وشركاءكم»، وأيضاً فإنَّ شركاءهم الأصنام، والأصنام لا تصنع شيئاً، ولا فعل لها حتى تُجمِع.

(١) في معاني القرآن ١/٤٧٣.

(٢) قائله عبد الله بن الزبيري، وهو في ديوانه ص ٣٢ ، وفيه: قد غدا، بدل: في الوغى. وسلف البيت ١/٢٩١ . وينظر الكامل لمحمد بن يزيد المبرد ١/٤٣٢ و ٢/٨٣٦ .

(٣) في معاني القرآن ٢/٢٨ ، ونقله المصطف عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٢/٢٦٢ .

(٤) لعله أبو معاذ التحوي المروزي المقرئ اللغوي، له كتاب في القراءات. إثناء الرواة ٤/١٧٩ .

(٥) معاني القرآن للنحاس ٣/٣٠٦ دون نسبة.

(٦) في إعراب القرآن ٢/٢٦٢ ، وما قبله فيه بفتحه، وأبو إسحاق الآتي ذكره هو الزجاج.

(٧) في إعراب القرآن ٢/٢٦٢ .

قال المهدوي: ويجوز أن يرتفع الشركاء بالابداء، والخبر ممحض، أي: وشركاؤكم ليجمعوا أمرهم<sup>(١)</sup>، ونُسب ذلك إلى الشركاء - وهي لا تسمع ولا تبصر ولا تُميّز - على جهة التوبيخ لمن عَبَدَها.

قوله تعالى ﴿ثُمَّ لَا يَكُنْ أَنْتُكُمْ عَلَيْكُمْ غُنْمَةٌ﴾ اسم «يُكن» وخبرها. وعَمَّةٌ وعَمٌ سواء، ومعنى التغطية، من قولهم: غُنم الهلال: إذا استتر، أي: ليُكن أمركم ظاهراً مُنكِشِفاً تتمكّنون فيه مما شئتم<sup>(٢)</sup>; لا كمن يخفى أمره فلا يقدر على ما يُريد. قال طرفة:

لعمرك ما أمري على بُغْمَةٍ نهاري ولا ليلي على بَسْرَمَدٍ<sup>(٣)</sup>  
الزجاج: ﴿غُنْمَةٌ﴾: ذا عَمٌ، والعَمَّة والغَمَّة، كالكَرب والكُربة. وقيل: إن الغَمَّة ضيق الأمر الذي يوجب الغم<sup>(٤)</sup>، فلا يتبيّن صاحبه لأمره مَصْدِرًا لينفرج عنه ما يغمُّه.  
وفي «الصالح»: والغَمَّة: الكُربة. قال العجاج:

بل لو شَهِدتَ النَّاسَ إِذْ تُكْمُوا بُغْمَةً لَوْلَمْ ثُفَرَجْ غُمُوا<sup>(٥)</sup>  
يقال: أمر غَمَّة، أي: مُبْهَم مُلْتَسِن، قال تعالى: ﴿ثُمَّ لَا يَكُنْ أَنْتُكُمْ عَلَيْكُمْ غُنْمَةٌ﴾.  
قال أبو عبيدة<sup>(٦)</sup>: مجازها ظلمة وضيق. والعَمَّة أيضاً: قَعْرُ النُّحْيِ وغَيْرِه<sup>(٧)</sup>. قال

(١) ذكره ابن عطيه في المحرر الوجيز ٣/١٣٢ دون نسبة.

(٢) ينظر معاني القرآن للنحاس ٣٠٦/٣ . وتهذيب اللغة ١١٥/١٦ .

(٣) ديوان طرفة بن العبد ص ٤٠ .

(٤) النكت والعيون ٤٤٣/٢ .

(٥) ديوان العجاج ص ٣٧٤ ، قوله: تُكْمُوا، أي: أغْمَيَ عليهم، وعَطُوا. القاموس المحيط (كم). والجز أورده المصطف كما في الصالح (غم)، والذي في الديوان:

بَلْ لَوْ شَهِدتَ النَّاسَ إِذْ تُكْمُوا بِقَلَرْ حَمْ لَهُمْ وَحُمُوا  
وَغَمَّةً لَوْلَمْ ثُفَرَجْ غُمُوا إِذْ زَعَمْتَ رَبِيعَةَ الْقِشْعَمْ

(٦) في مجاز القرآن ١/٢٧٩ .

(٧) الصالح (غم)، والنُّحْي: الرُّقُّ، أو ما كان للسمن خاصة. القاموس المحيط (نحي).

غيره: وأصل هذا كله مشتق من الغمامه<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: **﴿ثُمَّ أَقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظَرُونَ﴾** ألف «أقضوا» ألف وصل، من: قضى يقضي. قال الأخفش والكسائي: هو مثل: **﴿وَقَضَيْنَا إِلَيْهِ ذَلِكَ الْأَمْرُ﴾** [الحجر: ٦٦] أي: أنهياه إليه، وأبلغناه إليه. وروي عن ابن عباس: **﴿ثُمَّ أَقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظَرُونَ﴾** قال: **إِمْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُؤْخَرُونَ**<sup>(٢)</sup>. قال النحاس<sup>(٣)</sup>: هذا قول صحيح في اللغة، ومنه: قضى الميت، أي: مضى. وأعلمهم بهذا أنهم لا يصلون إليه، وهذا من دلائل النبوتات.

وحكم الفراء عن بعض القراء: «ثم أقضوا إلى»؛ بالفاء وقطع الألف<sup>(٤)</sup>، أي: توجها، يقال: أقضت الخلافة إلى فلان، وأفضى إلى الوجه.

وهذا إخبار من الله تعالى عن نبيه نوح عليه السلام أنه كان بنصر الله واثقاً، ومن كيدهم غير خائف، علمًا منه بأنهم وألهتهم لا ينفعون ولا يضرُون<sup>(٥)</sup>. وهو تعزية لنبيه ﷺ وتنوية لقلبه.

قوله تعالى: **﴿فَإِن تَوَلَّتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَأَمْرَتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾**

قوله تعالى: **﴿فَإِن تَوَلَّتُمْ فَمَا سَأَلْتُكُمْ مِنْ أَجْرٍ﴾** أي: فإن أعرضتم عما جنحتكم به؛ فليس ذلك لأنني سألكم أجراً فيثقل عليكم مكافأتي<sup>(٦)</sup>. **﴿إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ﴾** في

(١) ينظر معاني القرآن للزجاج . ٢٨/٣

(٢) آخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ١٩٧٠/٦ (١٠٤٨٧).

(٣) في إعراب القرآن ٢٦٢/٢ ، وما قبله منه.

(٤) معاني القرآن للقراءة ٤٧٤/١ ، ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٢٦٢/٢ ونسب هذه القراءة ابن خالويه في القراءات الشاذة ص ٥٧ وابن جنی في المحتسب ٣١٥/١ إلى السري ابن يَعْنَم.

(٥) تفسير البغوي ٣٦٢/٢ .

(٦) ينظر إعراب القرآن للنحاس ٢٦٣/٢ ، والنكت والعيون ٤٤٣/٢ .

تبليغ رسالته. **﴿وَأَرْمَتُ أَنَّ أَكُونَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾** أي: الموحدين لله تعالى. فتح أهل المدينة وأبو عمرو وابن عامر وحفص ياء «أجري» حيث وقع، وأسكن الباقون<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: **﴿فَكَذَّبُوهُ فَنَجَّيْتُهُ وَمَنْ مَعَهُ فِي الْفَلَقِ وَجَعَلْتُهُمْ خَلَّابِيَّ وَأَغْرَقْنَا الَّذِينَ كَذَّبُوا بِعَيْنِنَا فَأَنْظَرْتُ كَيْفَ كَانَ عَيْنَةُ النَّذَرِينَ ﴾**

قوله تعالى: **﴿فَكَذَّبُوهُ﴾** يعني نوحًا. **﴿فَنَجَّيْتُهُ وَمَنْ مَعَهُ﴾** أي: من المؤمنين. **﴿فِي الْفَلَقِ﴾** أي: السفينة، وسيأتي ذكرها<sup>(٢)</sup>. **﴿وَجَعَلْتُهُمْ خَلَّابِيَّ﴾** أي: سكان الأرض وخلفاً من غرق<sup>(٣)</sup>. **﴿فَأَنْظَرْتُ كَيْفَ كَانَ عَيْنَةُ النَّذَرِينَ﴾** يعني آخر أمر الذين أنذرهم الرسل فلم يؤمنوا<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: **﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ رُسُلًا إِلَى قَوْمَهُمْ فَلَمَّا كَانُوا لَيَقِنُوا بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلٍ كَذَّلَكَ نَطَّبْعُ عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِلِينَ ﴾**

قوله تعالى: **﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِ﴾** أي: من بعد نوح **﴿رُسُلًا إِلَى قَوْمَهُم﴾** كهود وصالح وإبراهيم ولوط وشعيب وغيرهم<sup>(٥)</sup>. **﴿فَلَمَّا كَذَّبُوا بِهِمْ بَعْدَ مَا كَذَّبُوا بِهِمْ مِنْ قَبْلٍ﴾** التقدير: بما كذب به قوم نوح من قبل<sup>(٦)</sup>. وقيل: «بِمَا كَذَّبُوا بِهِ مِنْ قَبْلٍ» أي: من يوم<sup>(٧)</sup> النذر، فإنه كان فيهم من كذب بقلبه، وإن قال الجميع: بل.

(١) التيسير ص ٦٥ - ٦٦ ، والنشر ٢ / ١٦٧ - ١٦٨ .

(٢) في تفسير الآية (٣٨) من سورة هود.

(٣) ينظر النكت والعيون ٢ / ٤٤٣ .

(٤) تفسير البغوي ٢ / ٣٦٢ .

(٥) تفسير أبي الليث ٢ / ١٠٦ ، والوسط للواحدي ٢ / ٥٥٥ .

(٦) تفسير البغوي ٢ / ٣٦٣ .

(٧) في (ف) و(م): من قبل يوم.

قال النحاس<sup>(١)</sup>: ومن أحسن ما قيل في هذا: إنه لِقُومٌ بِأَعْيَانِهِمْ، مثل:  
**﴿أَنَذَرْتَهُمْ أَنَّ لَمْ تُنذِرُهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ﴾** [البقرة: ٦].

**﴿كَذَلِكَ نَطَبِعُ﴾** أي: نختتم **﴿عَلَى قُلُوبِ الْمُعْتَدِينَ﴾** أي: المُجاوزِينَ الحَدَّ في الكُفَّارِ والتكذيب، فلا يؤمنوا. وهذا يرد على القدرة قوله لهم كما تقدَّم.

قوله تعالى: **﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى وَهَذُورَتْ إِلَيْهِ فِرْعَوْنَ وَمَلَائِيْهِ، إِيَّاَنَا فَأَسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ ﴾** (٧٥)

قوله تعالى: **﴿ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ﴾** أي: من بعد الرُّسُل والأئمَّة. **﴿مُوسَى وَهَذُورَتْ إِلَيْهِ فِرْعَوْنَ وَمَلَائِيْهِ﴾** أي: أشراف قومه. **﴿إِيَّاَنَا﴾** يزيد الآيات التسع، وقد تقدَّم ذكرها<sup>(٢)</sup>. **﴿فَأَسْتَكْبَرُوا﴾** أي: عن الحق. **﴿وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ﴾** أي: مشركين.

قوله تعالى: **﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا قَالُوا إِنَّ هَذَا لِسُحْرٍ مُّبِينٍ ﴾** (٧٦) قال مُوسَى أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسْخِرُ هَذَا وَلَا يَمْلِعُ السَّاحِرُونَ (٧٧)

قوله تعالى: **﴿فَلَمَّا جَاءَهُمُ الْحَقُّ مِنْ عِنْدِنَا﴾** يزيد فرعون وقومه. **﴿قَالُوا إِنَّ هَذَا لِسُحْرٍ مُّبِينٍ﴾** حملوا المعجزات على السحر. قال لهم موسى: **﴿أَتَقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَّا جَاءَكُمْ أَسْخِرُ هَذَا﴾** قيل: في الكلام حذف، المعنى: أتقولون للحق: هذا سحر؟ فـ«أَتَقُولُونَ» إنكار، وقولهم ممحوف، أي: هذا سحر، ثم استأنف إنكاراً آخر من قبيله فقال: أسرح هذا؟! فحذف قولهم الأول اكتفاء بالثاني من قوله<sup>(٣)</sup> مُنِكِّراً على فرعون وملئه. **وقال الأخفش<sup>(٤)</sup>:** هو من قولهم، ودخلت الألف حكاية لقولهم؛ لأنهم قالوا:

(١) في إعراب القرآن / ٢٦٣ / ٢ .

(٢) ٣٠٩ / ٩ ، ٢٥٤ / ٢ .

(٣) في (د) و(م): من قولهم. والكلام بنحوه في تفسير الطبرى ٢٣٨ / ١٢ - ٢٣٩ ، وتفسير الرازى ١٤١ / ١٧ .

(٤) في معانى القرآن / ٥٧٢ / ٢ ، ونقله المصطف عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن / ٢٦٣ / ٢ .

أَسْحِرْ هَذَا فَقِيلَ لَهُمْ أَنْقُولُونَ لِلْحَقِّ لَمَا جَاءَكُمْ أَسْحِرْ هَذَا<sup>(١)</sup> ﴿وَلَا يُفْلِحُ الشَّرُّوْنَ﴾ أي: لا يُفلح مَنْ أَتَى بِهِ.

قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَيْجَنَّا لِتَأْفِنَّا عَمَّا وَجَدَنَا عَلَيْهِ مَا بَعَثَنَا وَتَكُونُ لَكُمَا الْكِبْرِيَّةُ فِي الْأَرْضِ وَمَا نَخْنُ لَكُمَا يَمْؤُمِنَ﴾ 

قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَيْجَنَّا لِتَأْفِنَّا﴾ أي: لتصرفنا وتلويتنا، يقال: لفته يلفته لفتاً: إذا لواه وصَرَفَه<sup>(٢)</sup>. قال الشاعر:

تَلَفَّتُ نَحْوَ الْحَيِّ حَتَّى رَأَيْتُنِي وَجَغَتُ مِنَ الْإِصْغَاءِ لِبَيْتَنِي وَأَخْدَعَنِي<sup>(٣)</sup>

ومن هذا: التفت، إنما هو عدل عن الجهة التي بين يديه<sup>(٤)</sup>. ﴿عَمَّا وَجَدَنَا عَلَيْهِ مَا بَعَثَنَا﴾ ي يريد من عبادة الأصنام. ﴿وَتَكُونُ لَكُمَا الْكِبْرِيَّةُ﴾ أي: العظمة والمُلْك والسلطان. ﴿فِي الْأَرْضِ﴾ ي يريد أرض مصر<sup>(٥)</sup>. ويقال للمُلْك: الكِبْرِياء، لأنَّه أَعْظَمُ مَا يُطَلَّبُ فِي الدُّنْيَا<sup>(٦)</sup>. ﴿وَمَا نَخْنُ لَكُمَا يَمْؤُمِنَ﴾.

وقرأ ابن مسعود والحسن وغيرهما: «ويكون» بالياء<sup>(٧)</sup>؛ لأنَّه تأبَّثَ غيرُ حقيقي، وقد فُصلَ بينهما. وحكي سيبويه: حضر القاضي اليوم امرأتان<sup>(٨)</sup>.

(١) وقع في النسخ بعدها عبارة: وروي عن الحسن. وهو وهم من المصنف رحمة الله، لأن هذه العبارة قد ذكرها النحاس (والكلام منه) من أجل قراءة الحسن: «ويكون لكمـا الكـبرـيـاء» بالياء، وستأتي في الآية التالية.

(٢) المحرر الوجيز ١٣٥/٣ .

(٣) قائله الصمة بن عبد الله القشيري، وهو في ديوانه ص ٩٤ ، وفيه: وجَدْتُنِي، بدل: رأَيْتُنِي. قوله: الإِصْغَاءُ: أي: الإِمَالَة. واللَّيْتَ: صفحة الغُنْقَن. القاموس المحيط (البيت). والأَخْدَعُ: عَرْقٌ في جانب المُنْقَنِ. اللسان (خدع).

(٤) معاني القرآن للنحاس ٣٠٧/٣ .

(٥) تفسير أبي الليث ١٠٧/٢ ، وتفسير البغوي ٣٦٣/٢ .

(٦) معاني القرآن للنحاس ٣٠٨/٣ .

(٧) القراءات الشاذة ص ٥٧-٥٨ .

(٨) الكتاب ٣٨/٢ ، ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٢٦٣/٢ ، وما قبله منه.

قوله تعالى : ﴿وَقَالَ فِرْعَوْنَ أَتَشْفِي بِكُلِّ سَحِيرٍ عَلَيْهِ﴾ (١)

إنما قاله لما رأى العصا واليد البيضاء، واعتقد أنها سحر. وقرأ حمزة والكسائي وإن ابن وثاب والأعمش : «سَحَار» (١). وقد تقدم في «الأعراف» القول فيما (٢).

قوله تعالى : ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ أَسْحَرَةً قَالَ لَهُمْ مُوسَى أَلْقُوا مَا أَشْدَ مُلْقُوتَ﴾ (٣)

أي : اطربوا على الأرض ما معكم من جبالكم وعصيّكم. وقد تقدم في «الأعراف» القول في هذا مستوفى (٤).

قوله تعالى : ﴿فَلَمَّا أَلْقَوَا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ أَسْحَرْ إِنَّ اللَّهَ سَيَبْلُغُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يَصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ (٥)

قوله تعالى : ﴿فَلَمَّا أَلْقَوَا قَالَ مُوسَى مَا جِئْتُمْ بِهِ أَسْحَرْ﴾ تكون «ما» في موضع رفع بالابداء، والخبر «جئتم به»، والتقدير : أي شيء جئتم به؟ على التوبيخ والتصغير (٦) لما جاؤوا به من السحر.

وقراءة أبي عمرو : «أَسْحَرْ» على الاستفهام على إضمار مبتدأ، والتقدير : فهو السحر؟ ويجوز أن يكون مبتدأ، والخبر محفوظ، التقدير : السحر جئتم به (٧). ولا تكون «ما» على قراءة من استفهم بمعنى الذي ، إذ لا خبر لها (٨).

(١) قراءة حمزة والكسائي في السبعة ص ٢٨٩ ، والتيسير ص ١١٢ ، وقراءة ابن وثاب في المحرر الوجيز ١٣٥/٣ ، ولم تقع على من نسبها للأعمش.

(٢) ٢٩٣/٩ وما بعدها.

(٣) ٢٩٦/٩ وما بعدها.

(٤) في (ز) و(ظ) وإعراب القرآن للنحاس ٢٦٣ (والكلام منه) : والتقصير. والمثبت من (د) و(م).

(٥) ذكر مكي في مشكل إعراب القرآن ١/٣٥١ الوجه الأول، وذكر العكاري في الإملاء ٢٤٥/٣ الوجهين، وقدر الثاني بلفظ : السحر هو؟ قال السمين في الدر المصنون ٦/٢٤٩ : وفيهما بعده.

(٦) هذا قول مكي في مشكل إعراب القرآن ١/٣٥١ ، قال السمين الحلبي في الدر المصنون ٦/٢٥٠ ليس كما ذكر ، بل خيراً الجملة المقدّر أحد جُزّائها.

وقرأ الباقيون: «السُّخْرُ» على الخبر<sup>(١)</sup>، ودليل هذه القراءة قراءة ابن مسعود: «ما جئتم به سُخْرٌ». وقراءة أبي: «ما أتَيْتُمْ بِهِ سُخْرًا»؛ فـ«ما» بمعنى الذي، وـ«جئتم به» الصلة، وموضع «ما» رفع بالابتداء، والسحر خبر الابتداء. ولا تكون «ما» إذا جعلتها بمعنى الذي نصباً؛ لأن الصلة لا تعمل في الموصول<sup>(٢)</sup>.

وأجاز الفراء<sup>(٣)</sup> نصب «السحر» بـ«جئتم»، وتكون «ما» للشرط، وـ«جئتم» في موضع جزم بـ«ما»، والفاء ممحونة؛ التقدير: فإن الله سيُطيّله. ويجوز أن يُنصب «السحر» على المصدر، أي: ما جئتم به سحراً، ثم دخلت الألف واللام زائدين، فلا يحتاج على هذا التقدير إلى حذف الفاء. واختار هذا القول النحاس<sup>(٤)</sup>، وقال: حذف الفاء في المجازة لا يُجزيه كثيرٌ من النحوين إلا في ضرورة الشعر، كما قال:

مَنْ يَفْعُلُ الْحَسَنَاتِ اللَّهُ يَشْكُرُهَا<sup>(٥)</sup>

بل ربما قال بعضهم: إنه لا يجوز الباء. وسمعت علي بن سليمان يقول: حدثني محمد بن يزيد قال: حدثني المازني قال: سمعت الأصممي يقول: غير النحويون هذا البيت، وإنما الرواية:

مَنْ يَفْعُلُ الْخَيْرَ فَالرَّحْمَنُ يَشْكُرُهُ<sup>(٦)</sup>

وسمعت علي بن سليمان يقول: حذف الفاء في المجازة جائز. قال: والدليل

(١) السبعة ص ٣٢٨ ، والتسهير ص ١٢٣ .

(٢) ينظر مشكل إعراب القرآن ١/٣٥١ ، والمحرر الوجيز ٣/١٣٥ ، وقراءة ابن مسعود في القراءات الشاذة ص ٥٨ .

(٣) في معاني القرآن له ١/٤٧٥ ، ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٢/٢٦٤ .

(٤) في إعراب القرآن ٢/٢٦٤ .

(٥) صدر بيت، اختلف في قائله، وعجزه: والشُّرُّ بالشُّرُّ عند الله مثلان، وسلف ٣/٩٢ .

(٦) خزانة الأدب ٢/٣٦٥ .

على ذلك ﴿وَمَا أَصَبَّكُمْ مِنْ مُؤْمِنَةٍ فِيمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ [الشورى: ٣٠]. ﴿وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُؤْمِنَةٍ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ﴾ قراءتان مشهورتان معروفتان<sup>(١)</sup>.

﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ يعني السحر. قال ابن عباس: من أخذ مضجعه من الليل، ثم تلا هذه الآية: ﴿مَا جَنَحَ شَدِيدٌ إِنَّ اللَّهَ سَيَطْعَلُهُ إِنَّ اللَّهَ لَا يُصْلِحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ لم يضره كيد ساحر، ولا تكتب على مسحور إلا دفع الله عنه السحر<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ اللَّهُ الْحَقُّ يَكْلِمُنِيهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ اللَّهُ الْحَقُّ﴾ أي: يُبَيِّنُهُ ويُوضِّحُه. ﴿يَكْلِمُنِيهِ﴾ أي: بكلامه وحججه وبراهينه<sup>(٣)</sup>. وقيل: بعذاته بالنصر. ﴿وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ﴾ من آل فرعون.

قوله تعالى: ﴿فَمَا آمَنَ لِئَوْسَقَ إِلَّا ذُرَيْةً مِنْ قَوْمِهِ عَلَى حَوْفِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَائِكَتِهِ أَنْ يَقْنِنَهُمْ فَإِنَّ فِرْعَوْنَ لَعَلَى فِي الْأَرْضِ وَلَئِنْ لَمْ يَنْ أَسْتَرِفِنَ﴾

قوله تعالى: ﴿فَمَا آمَنَ لِئَوْسَقَ إِلَّا ذُرَيْةً مِنْ قَوْمِهِ﴾ الهاء عائدة على موسى. قال مجاهد: أي: لم يؤمن منهم أحد، وإنما آمن أولاد من أرسل موسى إليهم منبني إسرائيل، لطول الزمان هلك الآباء وبقي الأبناء فآمنوا، وهذا اختيار الطبرى<sup>(٤)</sup>.

والذرية: أعقاب الإنسان، وقد تكثُر. وقيل: أراد بالذرية مؤمني بنى إسرائيل<sup>(٥)</sup>.

قال ابن عباس: كانوا ست مئة ألف، وذلك لأن يعقوب عليه السلام دخل مصر في اثنين وسبعين إنساناً، فتوالدوا بمصر حتى بلغوا ست مئة ألف<sup>(٦)</sup>. وقال ابن عباس

(١) القراءة الأولى قرأ بها ابن كثير وأبو عمرو وعاصم وحمزة والكسائي، والقراءة الثانية قرأ بها نافع وابن عامر. السبعة ص ٥٨١ ، والتيسير ص ١٩٥ . والكلام من إعراب القرآن للنحاس ٢٦٤ / ٢ - ٢٦٥ .

(٢) لم تقف عليه. وأخرج ابن أبي حاتم في تفسيره ١٩٧٤ / ٦ نحوه من قول ليث بن أبي سليم.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٢٦٥ / ٢ .

(٤) في تفسيره ٢٤٧ / ١٢ ، وقول مجاهد في تفسيره ٢٩٥ / ١ .

(٥) تفسير البغوي ٣٦٤ / ٢ .

(٦) تفسير أبي الليث ١٠٧ / ٢ . وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٢٠١ / ٧ من قول الريبع بن أنس.

أيضاً : «من قَوْمِه» يعني : من قوم فرعون ، منهم مؤمن آل فرعون ، وخازنُ فرعون ، وامرأته ، وماشطة ابنته ، وامرأة خازنه<sup>(١)</sup> .

وقيل : هم أقوام آباؤهم من القبط ، وأمهاتهم من بني إسرائيل ، فسُمُّوا ذُرِّيَّةً كما يُسمى أولاد الفرس الذين توادوا باليمن وببلاد العرب الأبناء ، لأن أمهاتهم من غير جنس آبائهم ؛ قاله الفراء<sup>(٢)</sup> . وعلى هذا فالكنية<sup>(٣)</sup> في «قَوْمِه» ترجع إلى موسى للقراة من جهة الأمهات ، وإلى فرعون إذ<sup>(٤)</sup> كانوا من القبط.

قوله تعالى : «عَلَّ خَوْبٍ مِنْ فِرْعَوْنَ» لأنَّه كان مُسْلِطًا عليهم عاتِيًّا . «وَمَلِئَتْهُ» ولم يقل : ومَلَّه . وعنَّه ستُّ أجوبة : أحدها : أنَّ فرعون لَمَّا كان جباراً أخبر عنه بفعل الجميع . الثاني : أنَّ فرعون لَمَّا ذُكِرْ عُلِّمَ أَنَّ معه غيره ، فعاد الضميرُ عليه وعليهم ، وهذا أحد قولي الفراء<sup>(٥)</sup> . الثالث : أن تكون الجماعة سُمِّيت بفرعون مثل ثمود . الرابع : أن يكون التقدير : على خوفِ مِنْ آل فرعون ، فيكون من باب حذف المضاف مثل : «وَسَلَّلَ الْقَرْيَةَ» [يوسف: ٨٢] ، وهو القول الثاني للفراء<sup>(٦)</sup> . وهذا الجواب على مذهب سيبويه والخليل خطأ ، لا يجوز عندهما : قامت هند ، وأنت تريد غلامها . الخامس : مذهب الأخفشِ سعيد<sup>(٧)</sup> أن يكون الضميرُ يعود على الذُّرِّيَّةِ ، أي : ملا الذُّرِّيَّةِ ، وهو اختيار الطبرى<sup>(٨)</sup> . السادس : أن يكون الضميرُ يعود على «قَوْمِه» . قال النحاس<sup>(٩)</sup> : وهذا الجواب كأنه أبلغها .

(١) تفسير البغوي ٢/ ٣٦٤ ، وأخرجه الطبرى ١٢/ ٢٤٦ دون ذكر ماشطة ابنة فرعون.

(٢) في معانى القرآن ١/ ٤٧٦ ، وينظر تفسير البغوي ٢/ ٣٦٤ .

(٣) في (ظ) : فالهاء .

(٤) في (د) و (ز) و (م) : إذا ، والمثبت من (ظ) .

(٥) في معانى القرآن ١/ ٤٧٦ ، ونقله المصنف عنه بواسطة إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٦٥ ، وما قبله منه .

(٦) في معانى القرآن ١/ ٤٧٧ ، ونقله المصنف عنه بواسطة إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٦٥ .

(٧) في معانى القرآن ٢/ ٥٧٣ ، ونقله المصنف عنه بواسطة إعراب القرآن للنحاس ٢/ ٢٦٥ .

(٨) في تفسيره ١٢/ ٢٤٩ .

(٩) في إعراب القرآن ٢/ ٢٦٥ ، وما قبله منه .

**﴿أَن يَقْتَلُهُمْ﴾** وَحَدَ «يَفْتَنُهُمْ» على الإخبار عن فرعون<sup>(١)</sup> ، أي: يضرُّهم عن دينهم بالعقوبات، وهو في موضع خفض على أنه بدل اشتتمال. ويجوز أن يكون في موضع نصب بـ«خَرْفٍ». ولم ينصرف فرعون؛ لأنَّه اسمُ أعمى، وهو معرفة<sup>(٢)</sup>.

**﴿وَإِنَّ فَرْعَوْنَ لَعَالَىٰ فِي الْأَرْضِ﴾** أي: عاتٍ مُتكبِّرٍ.

**﴿وَلَئِنْ لَمْ يَنْتَهُوا﴾** أي: المُجاوزين الحد في الكفر؛ لأنَّه كان عبداً، فادعى الربوبية<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: **﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَقُولُ إِنْ كُنْتُمْ أَمَنْتُمْ بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكُّلُوا إِنْ كُنْتُمْ شَتَّلِيْمَ** ﴿٨٥﴾ **فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا لَا يَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِيْمَ**

قوله تعالى: **﴿وَقَالَ مُوسَىٰ يَقُولُ إِنْ كُنْتُمْ أَمَنْتُمْ﴾** أي: صدَّقْتُم **﴿بِاللَّهِ فَعَلَيْهِ تَوَكُّلُوا﴾** أي: اعتمدوا. **﴿إِنْ كُنْتُمْ شَتَّلِيْمَ﴾** كَرَّ الشرط تأكيداً، وبينَ أَنَّ كمال الإيمان بتفويض الأمر إلى الله. **﴿فَقَالُوا عَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْنَا﴾** أي: أسلمنا أمرَنا إليه، ورَضِينا بقضاءه وقدره، وانتهينا إلى أمره<sup>(٤)</sup>.

**﴿رَبَّنَا لَا يَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلْقَوْمِ الظَّالِمِيْمَ** أي: لا تنصرُهم علينا فيكون ذلك فتنَةً لنا عن الدين، أو لا تمحننا<sup>(٥)</sup> بِأنْ تعذِّبنا على أيديهم. وقال مجاهد: المعنى: لا ثُهُلْكُنَا بأيدي أعدائنا، ولا تعذِّبنا بعذاب مِنْ عندك فيقول أعداؤنا: لو كانوا على حق لم يُسْلِطْ عليهم، فَيُفْتَنُوا<sup>(٦)</sup>. وقال أبو مجلز وأبو الصُّحْي: يعني: لا تُظْهِرْهم علينا، فيرَوْا أنَّهم خَيْرٌ مِنَّا، فيزدادوا طُغْياناً<sup>(٧)</sup>.

(١) تفسير الطبرى ١٢/٢٥٠ ، وتفسير البغوى ٢/٣٦٤ .

(٢) إعراب القرآن للتحاسن ٢/٢٦٥ .

(٣) تفسير البغوى ٢/٣٦٤ .

(٤) إعراب القرآن للتحاسن ٢/٢٦٦ .

(٥) في (ظ): ولا تمحننا.

(٦) في (ز) و (ظ): فيفتَنُوا.

(٧) أخرج هذه الأقوال الطبرى ١٢/٢٥١ - ٢٥٢ . قوله مجاهد في تفسيره ١/٢٩٥ .

قوله تعالى: ﴿وَرَجَّهَا بِرَحْيَتَكَ مِنَ الْقَوْمِ الْكَفَّارِ﴾ (١)

قوله تعالى: ﴿وَرَجَّهَا بِرَحْيَتَكَ﴾ أي: خلصنا ﴿مِنَ الْقَوْمِ الْكَفَّارِ﴾ أي: من فرعون وقومه؛ لأنهم كانوا يأخذونهم بالأعمال الشاقة.

قوله تعالى: ﴿وَأَرْجَيْتَنَا إِلَى مُوسَىٰ وَأَخْبَرْتَنَا أَنَّ تَبَوَّءَ لِقَوْمِكُمَا بِيَضْرَرِ بَيْوَنَا وَاجْعَلُوا بَيْوَنَكُمْ قِتْلَةً وَأَقِسْمُوا الْأَصْلَوَةَ وَيَشِيرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾ (٢)

قوله تعالى: ﴿وَأَرْجَيْتَنَا إِلَى مُوسَىٰ وَأَخْبَرْتَنَا أَنَّ تَبَوَّءَ لِقَوْمِكُمَا بِيَضْرَرِ بَيْوَنَا﴾ فيه خمس مسائل:  
الأولى: قوله تعالى: ﴿وَأَرْجَيْتَنَا إِلَى مُوسَىٰ وَأَخْبَرْتَنَا أَنَّ تَبَوَّءَ﴾ أي: اتَّخِذَا. ﴿لِقَوْمِكُمَا بِيَضْرَرِ بَيْوَنَا﴾ يقال: بوأت زيداً مكاناً، وبوات لزيد مكاناً. والمبوا: المتنزِل الملزم، ومنه: بواء الله متنزاً، أي: ألممه إياه وأسكنه، ومنه الحديث: «من كذب على متعمداً فليتبوأ مقعده من النار»<sup>(١)</sup> قال الراجز:

نحن بنو عدنان ليس شئ تبوا المجد بنا والملك<sup>(٢)</sup>  
ومصر في هذه الآية هي الإسكندرية؛ في قول مجاهد<sup>(٣)</sup>. وقال الضحاك: إنه  
البلد المسئ مصر<sup>(٤)</sup>، ومصر ما بين البحر إلى أسوان، والإسكندرية من أرض  
مصر<sup>(٥)</sup>:

الثانية: قوله تعالى: ﴿وَاجْعَلُوا بَيْوَنَكُمْ قِتْلَةً﴾ قال أكثر المفسرين: كان بنو إسرائيل لا يصلون إلا في مساجدهم وكنائسهم، وكانت ظاهرة، فلما أرسل موسى أمر فرعون بمسجدبني إسرائيل فخررت كلها، ومنعوا من الصلاة، فأوحى الله إلى موسى وهارون أن اتَّخِذَا وتخيراً لبني إسرائيل بيوتاً بمصر، أي: مساجد، ولم يُرد

(١) سلف ٥٧/١.

(٢) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٤٤٦/٢.

(٣) أخرجه الطبرى في النكت والعيون ٢٥٩/١٢.

(٤) النكت والعيون ٤٤٦/٢.

(٥) المحرر الوجيز ١٣٨/٣.

المنازل المسكونة. هذا قول إبراهيم وابن زيد والربيع وأبي مالك وابن عباس وغيرهم<sup>(١)</sup>.

وروي عن ابن عباس وسعيد بن جبير أنَّ المعنى: واجعلوا بيوتكم يقابل بعضها بعضاً<sup>(٢)</sup>.

والقول الأول أصح أي: اجعلوا مساجدكم إلى القِبْلَة، قيل<sup>(٣)</sup>: بيت المقدس، وهي قبلة اليهود إلى اليوم؛ قاله ابن بحر<sup>(٤)</sup>. وقيل: الكعبة. عن ابن عباس<sup>(٥)</sup> قال: وكانت الكعبة قبلة موسى ومن معه.

وهذا يدلُّ على أنَّ القبلة في الصلاة كانت شرعاً لموسى عليه السلام، ولم تخلُ الصلاة عن شرط الطهارة، وستر العورة، واستقبال القبلة؛ فإنَّ ذلك أبلغ في التكليف وأوْفَرُ للعبادة<sup>(٦)</sup>.

وقيل: المراد صلُّوا في بيتكم سراً لتأمنوا، وذلك حين أخافهم فرعون، فأمروا بالصبر واتخاذ المساجد في البيوت، والإقدام على الصلاة، والدعاء إلى أنْ ينجز الله وعده، وهو المراد بقوله: ﴿قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ أَسْتَعِينُ بِاللَّهِ وَأَسْتَرِقُّهُ﴾ [الأعراف: ١٢٨] الآية. وكان من دينهم أنَّهم لا يصلُّون إلا في البيع والكنائس ما داموا على أمِّن، فإذا خافوا فقد أذن لهم أن يصلُّوا في بيوتهم. قال ابن العربي: والأول أظهر القولين؛ لأنَّ الثاني دعوى<sup>(٧)</sup>.

(١) أخرج قولهم الطبرى ٢٥٥/١٢ - ٢٥٧ ، وينظر تفسير البغوى ٣٦٥ / ٢ .

(٢) أخرجه الطبرى ٢٦٠ / ١٢ عن سعيد بن جبير، وأخرجه ابن أبي حاتم ١٩٧٧ / ٦ (١٠٥٣٢) من طريق سعيد بن جبير عن ابن عباس.

(٣) في (ظ): قبل.

(٤) ذكره عن ابن بحر بنحوه الماوردي في النكت والعيون ٤٤٧ / ٢ ، وذكره ابن العربي في أحكام القرآن ١٠٤٣ / ٣ دون نسبة.

(٥) أخرجه الطبرى ٢٥٧ / ١٢ - ٢٥٨ .

(٦) في النسخ: وأوفر للعبادة، والمثبت من أحكام القرآن لابن العربي ١٠٤٣ / ٣ ، والكلام منه.

(٧) أحكام القرآن ١٠٤٣ / ٣ ، ويعني بالأول: بيت المقدس، فقد ذكره ابن العربي قبل هذا القول.

قلت: قوله: دعوى، صحيح؛ فإن في الصحيح قوله عليه الصلاة والسلام: «جعلت لي الأرض مسجداً وظهوراً»<sup>(١)</sup>. وهذا مما خُصّ به دون الأنبياء، فنحن بحمد الله نصلّي في المساجد والبيوت، وحيث أدركنا الصلاة، إلا أنَّ النافلة في المنازل أفضلُ منها في المساجد، حتى الركوع قبل الجمعة وبعدها، وقبل الصلوات المفروضات وبعدها؛ إذ النافل يحصل فيها الرياء، والفرائض لا يحصل فيها ذلك، وكلما خلص العمل من الرياء كان أوزان وأزلفت عند الله سبحانه وتعالى.

روى مسلم<sup>(٢)</sup> عن عبد الله بن شقيق قال: سألتُ عائشةً عن صلاة رسول الله ﷺ، عن تطوعه؛ قالت: كان يصلّي في بيتي قبل الظهر أربعاً، ثم يخرج فيصلّي بالناس، ثم يدخل فيصلّي ركعتين، وكان يصلّي بالناس المغرب، ثم يدخل فيصلّي ركعتين، ثم يصلّي بالناس العشاء، ويدخل بيتي فيصلّي ركعتين...» الحديث.

وَعَنْ أَبْنَىْ عُمَرَ قَالَ: صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ قَبْلَ الظَّهَرِ سَجْدَتَيْنِ، وَبَعْدَهَا سَجْدَتَيْنِ، وَبَعْدَ الْمَغْرِبِ سَجْدَتَيْنِ [وَبَعْدَ الْعَشَاءِ سَجْدَتَيْنِ، وَبَعْدَ الْجُمُعَةِ سَجْدَتَيْنِ]. فَأَمَّا الْمَغْرِبُ وَالْعَشَاءُ وَالْجُمُعَةُ فَصَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ ﷺ فِي بَيْتِهِ<sup>(٣)</sup>.

وروى أبو داود عن كعب بن عُجرة: أنَّ النبي ﷺ أتى مسجداً بني [عبد] الأشهل فصلّى فيه المغرب، فلما قَضُوا صلاتِهم؛ رأهم يسبحون بعدها، فقال: «هذه صلاةُ البيوت»<sup>(٤)</sup>.

(١) قطعة من حديث أخرجه أحمد (١٤٢٦٣)، والبخاري (٣٣٥)، ومسلم (٥٢١) عن جابر ، وسلف . ٢٨٣ / ٢

(٢) في صحيحه (٧٣٠)، وهو عند أحمد (٢٤٠١٩).

(٣) صحيح مسلم (٧٢٩)، وهو عند البخاري (١١٧٢) وما سلف بين حاصلتين منها، وأخرجه بنحوه أحمد (٤٥٠٦).

(٤) سنن أبي داود (١٣٠٠)، وأخرجه أيضاً الترمذى (٦٠٤)، والنمساني في المختبىٰ ١٩٨ / ٣ ، وما بين حاصلتين من المعياد، وأخرج نحوه أحمد (٢٣٦٢٤) من حديث محمود بن ليد قوله: يسبحون بعدها، أي: يصلون النافلة بعد المغرب.

الثالثة: واحتلَّ العلماء من هذا الباب في قيام رمضان، هل يقاضُه في البيت أَفْضَلُ، أو في المسجد؟ فذهب مالك إلى أنه في البيت أَفْضَلُ لِمَنْ قُويَ عليه، وبه قال أبو يوسف وبعض أصحاب الشافعى. وذهب ابن عبد الحكم وأحمد وبعض أصحاب الشافعى إلى أنَّ حضورها في الجماعة أَفْضَلُ. وقال الليث: لو قام الناس في بيوتهم ولم يقم أحدٌ في المسجد لَأَتَبَعَى<sup>(١)</sup> أن يخرجوا إليه.

والحجَّة لمالك - ومن قال بقوله - قوله ﴿فِي حَدِيثِ زَيْدِ بْنِ ثَابَتٍ: «فَعَلَيْكُمْ بِالصَّلَاةِ فِي بَيْوْتِكُمْ، فَإِنَّ خَيْرَ صَلَاةِ الْمَرءِ فِي بَيْتِهِ إِلَّا الْمَكْتُوبَةُ» خَرْجَهُ الْبَخَارِيُّ<sup>(٢)</sup>.

احتَاجَ المخالفُ بأنَّ النَّبِيَّ ﷺ قد صَلَّا هَا فِي الْجَمَاعَةِ فِي الْمَسْجِدِ، ثُمَّ أَخْبَرَ بِالْمَانِعِ الَّذِي مَنَعَهُ مِنْ<sup>(٣)</sup> الدَّوَامِ عَلَى ذَلِكَ، وَهُوَ خَشْيَةٌ أَنْ تُفْرَضَ عَلَيْهِمْ، فَلَذِلِكَ قَالَ لَهُمْ: «فَعَلَيْكُمْ بِالصَّلَاةِ فِي بَيْوْتِكُمْ». ثُمَّ إِنَّ الصَّحَابَةَ كَانُوا يَصْلُونَهَا فِي الْمَسْجِدِ أَوْ زَاعِماً مُتَفَرِّقِينَ، إِلَى أَنْ جَمَعُهُمْ عَمَرَ عَلَى قَارِئٍ وَاحِدٍ، فَاسْتَقَرَّ الْأَمْرُ عَلَى ذَلِكَ وَثَبَتَ سُنَّةً.

الرابعة: وَإِذَا تَنَزَّلْنَا عَلَى أَنَّهُ كَانَ أَبْيَحَ لَهُمْ أَنْ يَصْلُلُوا فِي بَيْوْتِهِمْ إِذَا خَافُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ، فَيُسْتَدِلُّ بِهِ عَلَى أَنَّ الْمَعْذُورَ بِالْخَوفِ وَغَيْرِهِ يَجُوزُ لَهُ تَرْكُ الْجَمَاعَةِ وَالْجَمَعَةِ. وَالْعَذْرُ الَّذِي يَبْيَحُ لَهُ ذَلِكَ كَالْمَرْضُ الْحَابِسُ، أَوْ خَوْفُ زِيَادَتِهِ، أَوْ خَوْفُ جُورِ السُّلْطَانِ فِي مَالِيْ أَوْ بَدِينِ دُونِ الْقَضَاءِ عَلَيْهِ بِحَقِّهِ. وَالْمَطْرُ الْوَابِلُ مَعَ الْوَخْلِ عَذْرٌ إِنْ لَمْ يَنْقُطْ، وَمَنْ لَهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ قَدْ حَضَرَتِهِ الْوَفَاءُ وَلَمْ يَكُنْ عَنْهُ مِنْ يَمْرُضُهُ، وَقَدْ فَعَلَ ذَلِكَ ابْنُ عَمْرٍ<sup>(٤)</sup>.

(١) وقع في النسخ والمفهوم ٣٨٨/٢ (والكلام منه): لا ينبغي، والمثبت من إكمال المعلم ٤١٢/٣ ، وهو الصواب. وذكر قول الليث أيضاً الجصاص في مختصر اختلاف العلماء ٣١٣/١ ، وابن عبد البر في التمهيد ١١٧/٨ ولفظه عندهما: لو أَنَّ النَّاسَ فِي رَمَضَانَ قَامُوا لِأَنْفُسِهِمْ وَلِأَهْلِهِمْ كُلَّهُمْ حَتَّى يُتَرَكَ الْمَسْجِدُ لَا يَقُولُ فِيهِ أَحَدٌ، لَكَانَ يَنْبَغِي أَنْ يَخْرُجُوا مِنْ بَيْوْتِهِمْ إِلَى الْمَسْجِدِ حَتَّى يَقُولُوا فِيهِ...

(٢) في صحيحه (٦١١٣) مطولاً، وسلف ٤/٣٥٩.

(٣) في النسخ: منع منه بدل: منعه منه، والمثبت من المفهوم.

(٤) الكافي لأبي عبد البر ٢٥٢/١ وقد ذكر هذا الكلام في التخلف عن صلاة الجمعة، وينظر المفهوم ٢٣٩/٢ . وخبر ابن عمر أخرجه ابن أبي شيبة ١٥٣/٢ وفيه أنَّ ابناً لسعيد بن زيد بن نفيل كان بأرض له بالعلق على رأس أميال من المدينة، فأتى ابن عمر غداة يوم الجمعة فذكر له شکواه، فانطلق إليه وترك الجمعة.

الخامسة: قوله تعالى: **﴿وَبَشِّرْ أَمْوَالِنَ﴾** قيل: الخطاب لمحمد ﷺ. وقيل: لموسى عليه السلام، وهو أظہرُ، أي: بشّرْ بني إسرائيل بأن الله سيُظهرهم على عدوهم.

قوله تعالى: **﴿وَقَالَكَ مُوسَى رَبِّنَا إِنَّكَ مَاتَتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَ زِينَةً وَأَنَوْلَاً فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا إِنَّا لَيَضْلُّوْنَا عَنْ سَبِيلِكَ رَبِّنَا أَطْسَنَ عَنَّ أَمْوَالِهِمْ وَأَسْدَدَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَلَا يُؤْمِنُو حَتَّىٰ يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ﴾**

قوله تعالى: **﴿وَقَالَكَ مُوسَى رَبِّنَا إِنَّكَ مَاتَتَ فِرْعَوْنَ وَمَلَأَ﴾** «ماتت» أي: أعطيت. **﴿زِينَةً وَأَنَوْلَا في الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾** أي: مال الدنيا، وكان لهم من فُسطاط مصر إلى أرض الحبشة جبال فيها معادن الذهب والفضة والزبرجد والزمرد والياقوت<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: **﴿رَبِّنَا لَيَضْلُّوْنَا عَنْ سَبِيلِكَ﴾** اختلف في هذه اللام، وأصح ما قيل فيها - وهو قول الخليل وسيبوه - أنها لام العاقبة والصيرونة<sup>(٢)</sup>، وفي الخبر: «إِنَّ لِلَّهِ عَالِيَ مَلَكًا يَنْادِي كُلَّ يَوْمٍ: لِدُوا لِلْمَوْتِ، وَابْنُوا لِلْخَرَابِ»<sup>(٣)</sup>. أي: لما كان عاقبة أمرهم إلى الضلال صار كأنه أعطاهم ليضلوها.

وقيل: هي لام كي، أي: أعطيتهم لكي يضلوا ويتظروا ويتکبروا<sup>(٤)</sup>.

وقيل: هي لام أجل<sup>(٥)</sup>، أي: أعطيتهم لأجل إعراضهم عنك؛ فلم يخافوا أن

(١) ذكره الواحدي في الوسيط ٥٥٧/٣ ، والزمخشري ٢٤٩/٢ - ٢٥٠ عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) إعراب القرآن للتحاسن ٢٦٦/٢ .

(٣) قطعة من حديث أخرجه أبو الشيخ في العظمة (٥١٩)، والبيهقي في الشعب (١٠٧٣٠) عن أبي هريرة . وأخرجه أبو يعلى (٦٨٥)، والبيهقي في الشعب (١٠٧٣١) من حديث الزبير . قال ملا علي القاري في الأسرار المرفوعة ص ٢٧٦ : قال الإمام أحمد: هو مما يدور في الأسواق، ولا أصل له. وينظر كشف الخفاء ١٨٣ - ١٨٤ .

(٤) تفسير الطبرى ١٢/٢٦٢ ، وهذا قول الفراء في معانى القرآن له ١/٤٧٧ و قال البغوي ٢/٣٦٥ : هي كقوله: **﴿لَا تَنْتَهِمْ تَمَّا عَذَّقَ \* لَتَنْتَهِمْ فِيَهُ﴾** [الجن: ١٦-١٧].

(٥) زاد المسير ٤/٥٦ .

تُعرض عليهم.

وزعم قوم أن المعنى: أعطيتهم ذلك لثلاً يتضلو، فحذفت لا كما قال عز وجل: **﴿يَئِنَّ اللَّهَ لَكُمْ أَنْ تَضِلُّوا﴾** [النساء: ١٧٦] والمعنى: لأن لا تضلوا. قال النحاس<sup>(١)</sup>: ظاهر هذا الجواب حسن، إلا أنَّ العرب لا تَحذف «لا» إلا مع أنْ؛ فمَوْه صاحب هذا الجواب بقوله عز وجل: **﴿أَنْ تَضِلُّوا﴾**.

وقيل: اللام للدعاء، أي: ابتلهم بالضلال عن سبيلك؛ لأنَّ بعده: **﴿أَطْيَسْ عَنْ أَنْوَارِهِمْ وَأَشَدَّهُ﴾**<sup>(٢)</sup>.

وقيل: الفعل معنى المصدر، أي: إضلاليم، كقوله عز وجل: **﴿لَتُعَرِّضُوا عَنْهُمْ﴾** [التوبه: ٩٥]<sup>(٣)</sup>.

وقرأ الكوفيون: **﴿لَعْنُوا﴾** بضم الياء من الإضلال، وفتحها الباقون<sup>(٤)</sup>. قوله تعالى: **﴿رَبَّا أَطْيَسْ عَنْ أَنْوَارِهِمْ﴾** أي: عاقبهم على كفرهم بإهلاك أموالهم. قال الزجاج<sup>(٥)</sup>: ظمسُ الشيءِ إذهابه عن صورته.

قال ابن عباس ومحمد بن كعب: صارت أموالهم ودرارِهم حجارةً منقوشة كهيبتها صاححاً وأثلاثاً وأنصافاً<sup>(٦)</sup>، ولم يبق لهم معدنٌ إلا ظمس الله عليه، فلم يتفع به أحدٌ بعد.

(١) في إعراب القرآن ٢٦٦/٢ ، وما قبله منه.

(٢) زاد المسير ٤/٥٦ ، ومجمع البيان ١١/٨٧ ، وقال الطبرسي: المعنى: ابتلهم بالبقاء على ما هم عليه من الضلال. وينظر الكشاف ٢/٢٥٠ .

(٣) أي: لا عراضكم عنهم، وهم لم يحلفو لكي تُعرضوا. ويكون المعنى على هذا القول: آتنيهم ما آتنيهم لضلالهم. وهذا قول أبي العباس أحمد بن يحيى كما في اللسان (لوم). وذكره الطبرى ١٢/٢٦٣-٢٦٢ .

(٤) فرأى عاصم وحمزة والكسائي وخلف بضم الياء، والباقيون يفتحها. السبعة ص ٢٦٧ ، والتيسير ص ١٠٦ ، والنشر ٢/٢٦٢ .

(٥) في معاني القرآن ٢/٣١ .

(٦) ذكره البغوي ٢/٣٦٦ عن ابن عباس وحده، وذكر عن محمد بن كعب قوله آخر، وسيأتي.

وقال قتادة: بلعنا أنَّ أموالهم وزروعهم صارت حجارة<sup>(١)</sup>.

وقال مجاهد وعطيه: أهْلُكُها حتى لا تُرَى؛ يقال: عين مطموسة، وظمس الموضع: إذا عفا ودرس<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن زيد: صارت دنانيرهم ودراهمهم وفُرشُهم وكل شيء لهم حجارة<sup>(٣)</sup>.

محمد بن كعب: وكان الرجل منهم يكون مع أهله في فراشه وقد صارا حجرين<sup>(٤)</sup>; قال: وسألني عمر بن عبد العزيز فذكرت ذلك له، فدعا بخريطة أصيّت بمصر، فأخرج منها الفواكه والدراما والدنانير وإنها لحجارة<sup>(٥)</sup>.

وقال السُّدِّيُّ: وكانت إحدى الآيات التسع<sup>(٦)</sup>.

﴿وَأَشَدُّ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾ قال ابن عباس: أي: امنعهم الإيمان<sup>(٧)</sup>. وقيل: قسها  
واطّبّع عليها حتى لا تنشرح للإيمان؛ والمعنى واحد<sup>(٨)</sup>.

**﴿فَلَا يُؤْمِنُوا﴾** قيل: هو عطف على قوله: «**إِلَيْهِمُ النَّعْمَ لِيَضْلُّو وَلَا يُؤْمِنُوا**»؛ قاله الزجاج والمبرد<sup>(٩)</sup>. وعلى هذا لا يكون فيه من معنى الدعاء شيء. وقوله: «رَبَّنَا أَطْمَسْنَ» «وَأَشْدَدْ» كلام معتبر.

(١) أخرجه الطبرى / ٢٦٥ .

(٢) زاد المسير /٤٥٧ ، وينظر تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ص ١٩٨ . وخبر مجاهد في تفسيره ٢٩٧/١ ، وأخرجه الطبرى ٢٦٦ /١٢ .

٢٦٦/١٢ أخرجه الطبرى (٣)

(٤) قال الألوسي في روح المعانى ١١/١٧٣ : هذا مما لا يكاد يصح أصلاً وليس في الآية ما يشير إليه بوجه . وعندي أن أخبار تغير أموالهم إلى العجارة لا تخلي عن وهن ، فلا يعول عليها .

(٥) تفسير البغوي ٣٦٦ / ٢، وأخرجه ابن أبي حاتم ١٩٧٩ / ٦ (١٠٥٤٣). والخريطة: وعاء من أدم وغيره. معجم متن اللغة (خرط).

٦) تفسير البغوي ٣٦٦ / ٢

. ٥٥٧ / ٢) الوسيط للواحدي .

(٨) ينظر الوسيط ٥٥٧/٢ ، وأخرج الطبرى ٢٦٧/١٢ ، وابن أبي حاتم ١٩٧٩/٦ (١٠٥٤٦) عن ابن عباس قال: «وَأَشْدَدُ عَلَى قُلُوبِهِ» يعني: واطبع على قلوبهم.

(٩) معاني القرآن للزجاج ٣١ / ٣ وقد نقله الزجاج عن المبرد.

وقال الفراء والكسائي وأبو عبيدة: هو دعاء، فهو في موضع جزم عندهم؛ أي: اللهم فلا يؤمنوا، أي: فلا آمنوا<sup>(١)</sup>. ومنه قول الأعشى: فلا يتبسيط من بين عينيك ما انزوى ولا تلئني إلا وأنفُك راغمُ أي: لا انبسط<sup>(٢)</sup>. ومن قال: «ليَضْلُوا» دعاء - أي: ابتلهم بالضلالة - قال: عطف عليه «فلا يُؤْمِنُوا».

وقيقيل: هو في موضع نصب لأنه جواب الأمر، أي: واشدد على قلوبهم فلا يؤمنوا. وهذا قول الأخفش والفراء أيضاً، وأنشد الفراء: يا ناق سيري عَنْقَا فسيحا إلى سليمان فَنَسْتَرِحَا<sup>(٣)</sup> فعلى هذا حذفت النون لأنه من صوب.

«حَتَّى يَرُوا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ» قال ابن عباس: هو الغرق<sup>(٤)</sup>.

وقد استشكل بعض الناس هذه الآية فقال: كيف دعا عليهم، وحكمُ الرسل استدعاء إيمان قومهم؟

فالجواب: أنه لا يجوز أن يدعونبي على قومه إلا بإذن من الله، وإعلام أنه ليس فيهم من يؤمن، ولا يخرج من أصلابهم من يؤمن، دليله: قوله لنوح عليه السلام: «أَنَّمَا لَنْ يُؤْمِنَ بِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ مَاءَمَنَ» [هود: ٣٦]، وعند ذلك قال: «رَبِّ لَا تَذَرْ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَافِرِينَ دَيَارًا» [نوح: ٢٦]. والله أعلم.

(١) ينظر تفسير الطبرى ٢٦٩/١٢ ، وإعراب القرآن للنحاس ٢٦٦/٢ ، ومشكل إعراب القرآن ٢٨١/١ ، وزاد المسير ٥٧/٤ ، وقول الفراء في معانى القرآن ١/٤٧٧ ، وقول أبي عبيدة في مجاز القرآن ٢٨١/١ .

(٢) تفسير الطبرى ٢٦٩/١٢ ، وزاد المسير ٥٧/٤ ، والبيت في ديوان الأعشى ص ١٢٩ ، وسلف ١٢٩/٨ .

(٣) معانى القرآن للفراء ٤٧٧/١ - ٤٧٨ ، وينظر إعراب القرآن للنحاس ٢٦٦/٢ ، ومشكل إعراب القرآن ٣٥٣/١ . والرجز لأبي النجم العجلي، وهو في ديوانه ص ٨٢ ، والكتاب ٣/٣٥ . والعَنْقُ: ضربُ من السير. والفسيح: الواسع المكين، وأراد: سليمان بن عبد الملك، والشاهد فيه نصب ما بعد الفاء على جواب الأمر. تحصيل عين الذهب ص ٣٩٤ .

(٤) أخرجه الطبرى ٢٦٧/١٢ .

قوله تعالى: ﴿فَقَالَ قَدْ أُجِيَتْ دُعَوَتُكُمَا فَأَسْتَقِيمَا وَلَا تَنْتَعَانْ بِسِكِيلَ الظِّبَنِ لَا يَعْلَمُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿فَقَالَ قَدْ أُجِيَتْ دُعَوَتُكُمَا﴾ قال أبو العالية: دعا موسى وأمن هارون؛ فسمي هارون - وقد أمن على الدعاء - داعياً. والتأمين على الدعاء أن يقول: أمين، فقولك: أمين؛ دعاء، أي: يا رب استجب لي<sup>(١)</sup>.  
وقيل: دعا هارون مع موسى أيضاً<sup>(٢)</sup>.

وقال أهل المعاني: ربما خاطبت العرب الواحد بخطاب الاثنين<sup>(٣)</sup>؛ قال الشاعر:

فقلت لصاحبِي لا تُغِلَّانا  
بنَزَعِ أصْوَلِه فاجتَرَ شِبَحًا<sup>(٤)</sup>  
وهذا على أنَّ أمين ليس بدعاء، وأنَّ هارون لم يذُع.

قال النحاس<sup>(٥)</sup>: سمعت عليًّا بن سليمان يقول: الدليل على أنَّ الدعاء لهما قولُ موسى عليه السلام: «ربُّنا»، ولم يقل: رب.

وقرأ عليٌّ والسلمي: «دعواتكم» بالجمع<sup>(٦)</sup>. وقرأ ابن السَّمِيقُ: «أَجَبْتُ دُعَوَتُكُمَا»<sup>(٧)</sup> خبراً عن الله تعالى، ونصب «دعوة» بعده.

(١) النكت والعيون ٤٤٨/٢ ، وأخرج قول أبي العالية الطبرى ٢٧١/١٢ - ٢٧٢ .

(٢) معاني القرآن للزجاج ٣١/٣ .

(٣) تفسير الطبرى ٢٧١/١٢ ، والصحاح (جزء).

(٤) نسبة الجوهري في الصحاح (جزء) ليزيد بن الطشري، ونسب لمُؤْمِن بن رِبَعَيِّ الأَسْدِي كما في شرح شواهد الشافعية ٤٤١/٤ ، واللسان (جزء). وذكر دون نسبة في تأويل مشكل القرآن ص ٢٢٤ . وتفسير الطبرى ٢٧١/١٢ . ووقع في المصادر عدا تفسير الطبرى: لا تَخِسَّانَا، بدل: لا تُعْجَلَانَا. وذكر صاحب اللسان رواية أخرى وهي: لا تَحِسَّنَا. وقال في شرح البيت: يقول: لا تَحِسَّنَا عن شَيْءٍ اللهم بنزع أصول الشجر، بل خذ ما تيسَّر من قضبانه وعidanه. اهـ والشيخ: بنت معروفة. القاموس (شيخ).

(٥) في إعراب القرآن ٢٦٧/٢ .

(٦) القراءات الشاذة ص ٥٨ ، والمحتسب ٣١٦/١ .

(٧) ذكرها أبو حيان في البحر ١٨٧/٥ .

وتقىدَ القول في «آمين» في آخر الفاتحة<sup>(١)</sup> مستوفىً. وهو مما خُصّ به نبِيُّنا محمدُ ﷺ وهارونُ وموسى عليهما السلام؛ روى أنس بن مالك قال: قال رسولُ الله ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ قَدْ أَعْظَمَ أَمْتَيْ ثَلَاثَةَ لَمْ تُغْطِ أَحَدًا قَبْلَهُمْ: السَّلَامُ، وَهِيَ تَحْيِي أَهْلَ الْجَنَّةِ، وَصَفَوْفُ الْمَلَائِكَةِ، وَآمِينُ، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ مُوسَى وَهَارُونَ» ذكره الترمذِيُّ الحكيمُ في «نوادر الأصول»، وقد تقدَّمَ في الفاتحة<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: **﴿فَأَسْتَقِيمًا﴾** قال الفراء<sup>(٣)</sup> وغيره: أمر بالاستقامة على أمرهما والثبات عليه؛ من دعاء فرعون وقومه إلى الإيمان؛ إلى أن يأتيهما تأويلُ الإجابة. قال محمد بن عليٍّ وابن جرير: مَكَثَ فرعون وقومُه بعد هذه الإجابة أربعين سنة ثم أهلكوا<sup>(٤)</sup>.

وقيل: «استقيماً» أي: على الدعاء، والاستقامة في الدعاء ترك الاستعمال في حصول المقصود، ولا يسقط الاستعمال من القلب إلا باستقامة السكينة فيه، ولا تكون تلك السكينة إلا بالرضا الحسن لجميع ما يبدو من الغيب<sup>(٥)</sup>.

**﴿وَلَا تَنْهَىَنَ سَبِيلَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾** بتشديد النون في موضع جزم على النهي، والنون للتوكيد وحركت لالتقاء الساكنين، واختير لها الكسر لأنها أشبَهُت نون الاثنين<sup>(٦)</sup>. وقرأ ابن ذكوان بتخفيف النون على النفي<sup>(٧)</sup>. وقيل: هو حالٌ من «استقيماً».

(١) ١٩٥/١ .

(٢) ٢٠١/١ ذكرنا ثمة أن في إسناده زربي بن عبد الله الأزدي، وهو منكر الحديث. وهو في نوادر الأصول ص ١٨٥ .

(٣) في معاني القرآن ٤٧٨/١ .

(٤) أخرجه عن ابن جرير الطبرى ٢٧٣/١٢ ، وعن محمد بن عليٍّ أخرجه ابن أبي حاتم ٦/١٩٨٠ (١٠٥٥٢).

(٥) لطائف الإشارات للقشيري ١١٣/٢ ، وفيه: بوجдан السكينة، بدل: باستقامة السكينة.

(٦) إعراب القرآن للنحاس ٢٦٧/٢ ، وبنحوه في معاني القرآن للزجاج ٣١/٣ .

(٧) السبعة ص ٣٢٩ ، والتيسير ص ١٢٣ ورواية ابن ذكوان عن ابن عامر الشامي. وقال مكي في الكشف عن وجوه القراءات ١/٥٢٢ : فيكون لفظه لفظ الخبر، ومعناه النهي.

أي: استقيما غير متبعين<sup>(١)</sup>.

والمعنى: لا تسلكا طريقَ مَنْ لا يعلم حقيقةَ وَعْدِي وَوَعِيدِي.

قوله تعالى: «وَجَزَرُنَا بِبَقِّ إِسْرَئِيلَ الْبَحْرَ فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ بَقِّيَا وَعَذَّوْا حَتَّىٰ إِذَا أَدْرَكَهُ الْفَرْقَ قَالَ مَا مَنَّتُ أَنْتَ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ إِلَّا الَّذِي مَانَتْ يَوْهُ بَنْوَإِسْرَئِيلَ وَلَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ»<sup>(٢)</sup>

قوله تعالى: «وَجَزَرُنَا بِبَقِّ إِسْرَئِيلَ الْبَحْرَ» تقدّم القولُ فيه في «البقرة» في قوله: «وَلَدَ فَرَقْنَا بِكُمُ الْبَحْرَ»<sup>(٣)</sup> [الآية: ٥٠]. وقرأ الحسن: «وجزَرُنَا»<sup>(٤)</sup>، وهو لغتان. «فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ وَجُنُودُهُ» يقال: تَبَعَ وَاتَّبَعَ؛ بِمَعْنَى وَاحِدٍ: إِذَا لَجَّهَهُ وَادْرَكَهُ، وَاتَّبَعَ؛ بالتشديد: إِذَا سَارَ خَلْفَهُ<sup>(٥)</sup>.

وقال الأصممي: يقال: أتَبَعَهُ، بقطع الألف: إذا لَجَّهَهُ وَادْرَكَهُ، وَاتَّبَعَهُ؛ بوصل الألف: إذا أتَبَعَ أثْرَهُ، أدرَكَهُ أو لَمْ يُدْرِكَهُ. وكذلك قال أبو زيد.

وقرأ قتادة: «فَاتَّبَعُهُمْ» بوصل الألف<sup>(٦)</sup>.

وقيل: «اتَّبَعَهُ» - بوصل الألف - في الأمر: اقتدى به. وأتَبَعَهُ - بقطع الألف - خيراً أو شرّاً؛ هذا قول أبي عمرو. وقد قيل: هما بِمَعْنَى وَاحِدٍ<sup>(٧)</sup>.

فخرج موسى ببني إسرائيل وهم سُتُّ مائة ألف وعشرون ألفاً، وتَبَعَهُ فرعون مُضِيحاً في ألفي ألف وستُّ مائة ألف. وقد تقدّم<sup>(٨)</sup>.

(١) الكشف عن وجوه القراءات ٥٢٢/١.

(٢) ٨٩/٢ وما بعدها.

(٣) القراءات الشاذة ص ٥٨.

(٤) تفسير البغوي ٣٦٦/٢.

(٥) ذكرها ابن عطية في المحرر الوجيز ٣/١٤٠ ، ونسوها ابن خالويه في القراءات الشاذة ص ٥٨ للحسن.

(٦) معاني القرآن للتحاسن ٣/٣١٣.

(٧) ٩٢/٢ ، وذكر المصطف رحمه الله ثمة أن عدّة قوم فرعون ألف ألف ومتنا ألف.

**﴿بَغْيًا﴾** نصب على الحال. **﴿وَعَذْوَأِ﴾** معطوف عليه؛ أي: في حال بُغْيٍ واعتداء وظلم، يقال: عَذَا يَعْدُو عَذْوَا، مثل: غَزَا يَغْزُو غَزْوَا. وقرأ الحسن: **﴿وَعَذْوَأِ﴾** بضم العين والدال وتشديد الواو<sup>(١)</sup>، مثل: عَلَا يَعْلُو عَلْوَا. وقال المفسرون: **﴿بَغْيًا﴾** طلبا للاستعلاء بغير حق في القول، **﴿وَعَذْوَأِ﴾** في الفعل<sup>(٢)</sup>، فهما نصب على المفعول له.

**﴿حَقَّ إِذَا ذَرَكَهُ الْفَرَقُ﴾** أي: ناله ووصله. **﴿قَالَ أَمَنْتُ﴾** أي: صدقت. **﴿أَنَّهُ﴾** أي: بأنه<sup>(٣)</sup>، فلما حُذِفَ الخافض، تعلّى الفعل فنصب. وفُرِئَ بالكسر<sup>(٤)</sup>، أي: صرُّت مؤمناً، ثم استأنف. وزعم أبو حاتم أن القول محدوف<sup>(٥)</sup>، أي: آمنت فقلت: إنه، والإيمان لا ينفع حينئذ، والتوبية مقبولة قبل رؤية البأس، وأماماً بعدها وبعد المخالطة، فلا تُقبل، حَسَبَ ما تقدّم في «النساء» بيانه<sup>(٦)</sup>.

ويقال: إن فرعون هاب دخول البحر، وكان على حصان أدهم، ولم يكن في خيل فرعون فرسٌ أثني، فجاء جبريلٌ على فرسٍ وَبِيقٍ - أي: شهبيٍّ - في صورة هامان وقال له: تقدّم، ثم خاض البحر، فتبعها حصان فرعون، وميكائيلٌ يسوقهم لا يشُدُّ منهم أحد، فلما صار آخرهم في البحر وَهُمْ أُولُئِمَّ أَنْ يخرج، انطبق عليهم البحر، وألجم فرعون الغرق، فقال: آمنت بالذي آمنت به بنو إسرائيل؛ فدَسَّ جبريل في فمه حال البحر<sup>(٧)</sup>.

وروى الترمذى عن ابن عباس أن النبي ﷺ قال: **«الَّمَّا أَغْرَقَ اللَّهُ فَرْعَوْنَ، قَالَ: أَمَنْتُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي أَمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ، قَالَ جَبَرِيلٌ: يَا مُحَمَّدُ، فَلَوْ رَأَيْتَنِي وَأَنَا**

(١) القراءات الشاذة ص ٥٨ .

(٢) ينظر تفسير أبي الليث ١١٠/٢ ، وتفسير البغوي ٣٦٦/٢ .

(٣) بعدها في (د) و(م): لَا إِلَهَ إِلَّا الَّذِي آمَنْتُ بِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ.

(٤) قرأ بها من السبعة حمزة والكسائي. السبعة ص ٣٣٠ ، والتيسير ص ١٢٣ .

(٥) إعراب القرآن للتحass ٢٦٧/٢ .

(٦) ١٥٢/٦ - ١٥٤ .

(٧) أخرجه الطبرى ١/٦٥٥ - ٦٦٠ بنحوه عن عبد الله بن شداد بن الهاد وابن عباس **رض**، والحال: الطين الأسود.

آخذ من حال البحر فأدسه في فيه مخافة أن تدركه الرحمة». قال أبو عيسى: هذا حديث حسن<sup>(١)</sup>. حال البحر: الطين الأسود الذي يكون في أرضه؛ قاله أهل اللغة<sup>(٢)</sup>.  
وعن ابن عباس عن النبي ﷺ أنه ذكر: «أن جبريل جعل يدُّسُّ في في فرعون الطين خشية أن يقول: لا إله إلا الله، فيرحمه الله، أو خشية أن يرَحِّمه». قال: هذا حديث حسن غريب صحيح<sup>(٣)</sup>.

وقال عَوْنَ بْنَ عَبْدِ اللَّهِ: بَلَغْنِي أَنَّ جَبَرِيلَ قَالَ لِلنَّبِيِّ ﷺ: مَا وَلَدَ إِبْلِيسَ أَبْعَضَ إِلَيْهِ مِنْ فَرْعَوْنَ، وَإِنَّهُ لَمَّا أَدْرَكَهُ الْغَرْقُ قَالَ: **﴿إِنَّمَاتُ﴾** الْآيَةُ، فَخَشِيتُ أَنْ يَقُولَهَا فَيُرْحَمُ، فَأَخْذَتْ تُرْبَةً - أَوْ طِينَةً - فَحَشِوْتُهَا فِي فِيهِ. وَقَيْلٌ: إِنَّمَا فَعَلَ هَذَا بِهِ عَقُوبَةً لَهُ عَلَى عَظِيمِ مَا كَانَ يَأْتِيَ <sup>(٤)</sup>:

وقال كعب الأحبار: أمسك الله نيل مصر عن الجري في زمانه، فقالت له القبط: إن كنت ربنا، فأجر لنا الماء؛ فركب وأمر بجندوه قائداً قائداً، وجعلوا يقفون على درجاتهم، وقعد<sup>(٥)</sup> حيث لا يرونـه، ونزل عن دابته، وليس ثياباً له أخرى، وسجد، وتضرع لله تعالى، فأجرى الله له الماء، فأتاه جبريل وهو وحده في هيئة مُستَفْتِي وقال: ما يقول: الأمير في رجل له عبد، قد نشأ في نعمته لا سند<sup>(٦)</sup> له غيره،

(١) سنن الترمذى (٣١٠٧)، وهو عند أحمد (٢٨٤٠). وفيه: علي بن زيد بن جُدعان، وهو ضعيف، ويوسف بن مهران، وهو لين الحديث، لم يرو عنه إلا ابن جُدعان. تقيير التهذيب ص ٣٤٠ و ٥٤١.

(٢) ينظر تهذيب اللغة ٥/٤٥ ، والصحاح (حول).

(٣) سنن الترمذى (٣١٠٨)، وهو عند أحمد (٢١٤٤)، والنسائى فى تفسيره (٢٥٨) والحاكم (٣٤٠ / ٢)، وقال: صحيح على شرط الشیخین، ولم يخرجه، إلا أن أكثر أصحاب شعبة أقوفه على ابن عباس، ووافقه الذهبي في التلخیص، وأخرج الموقوف أحمد (٢١٤٤)، والنسائى فى التفسیر (٢٥٨) قال الرازى في تفسیره ١٥٦ / ١٧: هل يصح أن جريل عليه السلام أخذ يملاً فمه من الطين لثلا يتوب غضباً عليه، الجواب: الأقرب أنه لا يصح. اهـ وانظر تتمة کلامه، وينظر کلام الحافظ ابن حجر في الكافی الشاف

(٤) معاني القرآن للنحاس ٣١٤ / ٣

(٥) فـ، (م): وقفـ.

(٦) فـ، (زـ) و(فـ): لا سـ.

فَكَفَرَ نِعْمَهُ، وَجَحَدَ حَقًّهُ، وَادَّعَى السِّيَادَةَ دُونَهُ؛ فَكَتَبَ فَرْعَوْنُ: يَقُولُ أَبُو الْعَبَاسِ الْوَلِيدُ بْنُ مَصْعَبٍ بْنِ الرَّيَانِ: جَزَاوْهُ أَنْ يُغَرِّقَ فِي الْبَحْرِ، فَأَخْذَهُ جَبَرِيلُ وَمَرَّ، فَلَمَّا أَدْرَكَهُ الْغَرْقُ، نَاوَلَهُ جَبَرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ خَطْهُ<sup>(١)</sup>. وَقَدْ مَضَى هَذَا فِي «الْبَقَرَةَ» عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ بْنِ الْعَاصِ وَابْنِ عَبَّاسٍ مُسْنَدًا؛ وَكَانَ هَذَا فِي يَوْمِ عَاشُورَاءَ عَلَى مَا تَقَدَّمَ بِيَانُهُ فِي «الْبَقَرَةَ» أَيْضًا، فَلَا مَعْنَى لِلِّإِعَادَةِ<sup>(٢)</sup>.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَلَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ أَيْ: مِنَ الْمُوَحَّدِينَ الْمُسْتَسْلِمِينَ بِالْأَنْقِيَادِ وَالطَّاعَةِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّمَا وَقَدْ عَصَيَتْ قَبْلُ وَكُنْتَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ﴾ **﴿١١﴾**

قِيلَ: هُوَ مِنْ قَوْلِ اللَّهِ تَعَالَى. وَقِيلَ: هُوَ مِنْ قَوْلِ جَبَرِيلٍ<sup>(٣)</sup>. وَقِيلَ: مِيكَائِيلُ، صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمَا، أَوْ غَيْرِهِمَا مِنَ الْمَلَائِكَةِ<sup>(٤)</sup> صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ. وَقِيلَ: هُوَ مِنْ قَوْلِ فَرْعَوْنَ فِي نَفْسِهِ، وَلَمْ يَكُنْ ثُمَّ قَوْلُ بِاللِّسَانِ بَلْ وَقَعَ ذَلِكُ فِي قَلْبِهِ، فَقَالَ فِي نَفْسِهِ مَا قَالَ، حِيثُ لَمْ تَنْفَعَهُ النَّدَامَةُ؛ وَنَظِيرُهُ: ﴿إِنَّمَا نُطْعَمُكُمْ بِوَجْهِ اللَّهِ﴾ [الإِنْسَانُ: ٩]، أَثْنَى عَلَيْهِمْ رَبُّهُ بِمَا فِي ضَمِيرِهِمْ، لَا أَنَّهُمْ قَالُوا ذَلِكَ بِلِفْظِهِمْ، وَالْكَلَامُ الْحَقِيقِيُّ كَلَامُ الْقَلْبِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَالَّيْلَمُ تُنَجِّيَ بِيَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَ آيَةً وَلَمَّا كَيْرَآ مِنَ النَّاسِ عَنْ مَا إِنَّا لَنَفِلُونَ﴾ **﴿١٢﴾**

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَالَّيْلَمُ تُنَجِّيَ بِيَدَنِكَ لِتَكُونَ لِمَنْ خَلَقَ آيَةً وَلَمَّا كَيْرَآ مِنَ النَّاسِ﴾<sup>(٥)</sup>. وَذَلِكُ أَنَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ لَمْ يَصِدِّقُوا أَنَّ فَرْعَوْنَ غَرِّقَ، وَقَالُوا: هُوَ أَعْظَمُ شَأْنًا مِنْ ذَلِكَ،

(١) الخبر من الإسرائيлик، وأورد هذه القصة الزمخشري في الكشاف ٢٥١/٢ مختصرة، ولم ينسها.

(٢) ٩٣/٢ - ٩٤/٢ ، وقد تقدم من حديث ابن عباس رضي الله عنهما فقط، ولم تتفق على حديث عبد الله ابن عمرو بن العاص رضي الله عنهما.

(٣) تفسير الرازبي ١٥٦/١٧ .

(٤) بعدها في (ف) و(م): له.

(٥) النكت والعيون ٤٤٩/٢ .

فالقاء الله على نجوة من الأرض، أي: مكان مرتفع من الأرض<sup>(١)</sup> حتى شاهدوه.  
قال أوس بن حجر يصف مطراً:

فَمَنْ بِعَقُوتَهْ كَمْنَ بِنَجْوَتَهْ      وَالْمُسْتَكِنُ كَمْنَ يَمْشِي بِقَرْوَاحِ<sup>(٢)</sup>  
وقرأ اليزيدي<sup>(٣)</sup> وابن السميق<sup>(٤)</sup>: «تنحيك» بالحاء؛ من التنجية<sup>(٥)</sup>، وحكاها علقة  
عن ابن مسعود، أي: تكون على ناحية من البحر<sup>(٦)</sup>. قال ابن جرير: فرمي به على  
ساحل البحر حتى رأى بنو إسرائيل، وكان قصيراً أحمرَ كأنه ثور<sup>(٧)</sup>.

ويحكى علقة عن عبد الله أنه قرأ: «بندائك» من النداء<sup>(٨)</sup>. قال أبو بكر  
الأنصاري: وليس بمخالف لهجاء مصحفنا، إذ سيله أن يكتب باء وكاف بعد الدال؛  
لأن الألف تسقط من ندائك في ترتيب خط المصحف كما سقط من «الظلمات»  
و«السماءات»، فإذا وقع بها الحذف؛ استوى هجاء بدنك وندائك، على أن هذه  
القراءة مرغوبٌ عنها لشذوذها وخلافها ما عليه عامّة المسلمين، والقراءة سُنة يأخذها  
آخر عن أول، وفي معناها نقص عن تأويل قراءتنا، إذ ليس فيها للدرع ذكرٌ، الذي  
تابعت الآثار بأن بني إسرائيل اختلفوا في غرق فرعون، وسألوا الله تعالى أن يريهم  
إياته غريقاً، فالقاء<sup>(٩)</sup> على نجوة من الأرض بيده، وهو درعه التي كان<sup>(١٠)</sup> يلبسها في  
الحروب. قال ابن عباس ومحمد بن كعب القرظي: وكانت درعه من لؤلؤ منظوم.

(١) في (د) و(ز) و(ف) و(م): البحر، والمثبت من (ظ). وينظر تفسير الطبرى ٢٨٢ / ١٢ - ٢٨٢ / ١٢.

(٢) سلف ٧ / ١٢٤ ، وجاء الشطر الأول: فمن بنجوطه كمن بعقوته. قوله: بعقوته، أي: الساحة وما حول  
الدار والمحلة. وقرنوا: البارز الذي ليس يستره من السماء شيء.

(٣) المحتب ١ / ٣١٦ .

(٤) النكت والعيون ٢ / ٤٤٩ . وينظر القراءات الشاذة من ٥٨ .

(٥) أخرجه الطبرى ١٢ / ٢٨٢ - ٢٨٣ .

(٦) القراءات الشاذة من ٥٨ ، والبحر المحيط ٥ / ١٨٩ .

(٧) في (د) و(ز) و(ف) و(م): فالقوه، والمثبت من (ظ).

(٨) لفظة: كان، ليست في (د) و(ز) و(م).

وقيل: من الذهب وكان يُعرف بها<sup>(١)</sup>. وقيل: من حديد؛ قاله أبو صخر<sup>(٢)</sup>. والبدن: الدرع القصيرة. وأنشد أبو عبيدة للأعشى:

لها قُوَّسٌ فوق جَبْ بِ الْبَدْنِ<sup>(٣)</sup>

وبيضاء كالنَّهْيِ مَوْضُونَةٌ  
وأنشد أيضاً لعمرو بن معد يكرب:

جَذْلَةَ سَابِغَةَ وَبِالْأَبْدَانِ<sup>(٤)</sup>

ومضى نساؤهم بكل مفاضةٍ  
وقال كعب بن مالك:

تَرِي الْأَبْدَانَ فِيهَا مَسْبَعَاتٍ  
عَلَى الْأَبْطَالِ وَالْيَلَبِ الْحَصِّينَا<sup>(٥)</sup>

أراد بالأبدان الدروع، واليلب: الدروع اليمانية، كانت تُتخذ من الجلدود؛ يُخرز بعضها إلى بعض، وهو اسم جنس، الواحد: يلبة. قال عمرو بن كلثوم:

عَلَيْنَا الْبَيْضُ وَالْيَلَبُ الْيَمَانِيِّ  
وَأَسِيفٌ يُقَمِّنُ وَيَنْحِزِينَا<sup>(٦)</sup>

وقيل: «بِدِنِك»: بجسد لا روح فيه؛ قاله مجاهد<sup>(٧)</sup>.

قال الأخفش<sup>(٨)</sup>: وأمّا قول من قال: بدرعك، فليس بشيء. قال أبو بكر: لأنهم

(١) أورد هذا القول الرازي في تفسيره ١٥٧/١٧ ونسبة لابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) النكت والعيون ٤٤٩/٢ ، وأخرجه ابن أبي حاتم ١٩٨٤/٦ (١٠٥٧١) وأبو صخر: هو حميد بن زياد ابن أبي المخارق الخراط، مدني، سكن مصر، قال الحافظ ابن حجر في التقريب: صدوق بهم، مات سنة ١٨٩هـ).

(٣) ديوان الأعشى الكبير ص ٧٥ ، والنَّهْيِ: الغدير، أو شبهه. والموضونة: الدرع المنسوجة حلقتين حلقتين، أو بالجواهر. والقونس: أعلى يضة الحديد. القاموس المحيط (نهي) (ووضن) (وقنس).

(٤) ديوان عمرو بن معد يكرب ص ١٧٣ . قوله: مفاضة: المفاضة من الدروع: الواسعة. وجdale: الجdale من الدروع: المحكمة.

(٥) ديوان كعب ص ٢١٧ ، ونسبة ابن هشام في السيرة ٢/٢٥٤ لضرار بن الخطاب بن مرداش.

(٦) معلقة عمرو بن كلثوم ص ١٠٢ . قال شارحها ابن كيسان: البيض: بيض الحديد.

(٧) النكت والعيون ٤٤٩/٢ ، وأخرجه الطبراني ٢٨١/١٢ .

(٨) في معاني القرآن ٥٧٤/٢ ، وينظر إعراب القرآن للنحاس ٢٦٨/٢ .

لَمَّا ضَرَعُوا إِلَى اللَّهِ يَسْأَلُونَهُ مَشَاهِدَةً فَرَعُونَ غَرِيقًا، أَبْرَزَهُ لَهُمْ، فَرَأُوا جَسْداً لَا رُوحَ فِيهِ، فَلَمَّا رَأَتِهِ بَنُو إِسْرَائِيلَ قَالُوا: نَعَمْ يَا مُوسَى، هَذَا فَرَعُونَ وَقَدْ غَرِيقٌ، فَخْرَجَ الشَّكُّ مِنْ قُلُوبِهِمْ، وَابْتَلَعَ الْبَحْرُ فَرَعُونَ كَمَا كَانَ<sup>(١)</sup>.

فَعَلَى هَذَا **﴿تَنْجِيكَ بِيَدِكَ﴾** احْتَمَلَ مَعْنَيَيْنِ: أَحَدُهُمَا: **تُنْقِيكَ عَلَى نَجْوَةِ الْأَرْضِ**.

وَالثَّانِي: **تُنْهَرْ جَسْدُكَ الَّذِي لَا رُوحَ فِيهِ.**

وَالقراءة الشاذة «بندائك» يرجع معناها إلى معنى قراءة الجماعة، لأن النداء يُفسّر تفسيرين :

أَحَدُهُمَا: **تُنْقِيكَ بِصِيَاحِكَ** بِكُلِّمَةِ التَّوْيِهِ، وَقُولِكَ - بَعْدَ أَنْ أَغْلِقَ بَابِهَا وَمُضِيَ وَقْتٍ قَبُولِهَا - : **﴿مَا مَنَّتْ أَنْتُمْ لَآللَّهِ إِلَّا الَّذِي مَانَتْ بِهِ بَنُوا إِسْرَائِيلَ وَأَنَا مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾** عَلَى مَوْضِعِ رَفِيعٍ.

وَالآخَرُ: فَالْيَوْمُ نَعْزِلُكُمْ عَنْ غَامِضِ الْبَحْرِ بِنَدائِكُمْ لَمَّا قُلْتُ: أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى، فَكَانَتْ تَنْجِيَتُهُ بِالْبَدْنِ مَعَاقِبَةً مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ لَهُ عَلَى مَا فَرَطَ مِنْ كُفُرِهِ الَّذِي مِنْهُ نَدَاوَهُ بِالَّذِي<sup>(٢)</sup> افْتَرَى فِيهِ وَبَهَتْ، وَادَّعَ الْقُدْرَةَ وَالْأَمْرَ الَّذِي يَعْلَمُ أَنَّهُ كَاذِبٌ فِيهِ، وَعَاجِزٌ عَنْهُ، وَغَيْرُ مُسْتَحِقٍ لَهُ.

قَالَ أَبُو بَكْرُ الْأَنْبَارِيُّ: فَقِرَاءَتِنَا تَضَمِّنُ مَا فِي القراءة الشاذة من المعاني وَتَزِيدُ عَلَيْهَا.

قوله تعالى: **﴿إِنَّكُوْنَ لِيْنَ خَلْفَكَ مَا يَأْتِي﴾** أي: لبني إسرائيل، ولمن بقي من قوم فرعون ممن لم يُدركه الغرق، ولم ينتهِ إلينه هذا الخبر. **﴿وَإِنَّ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ عَنِّيْلَنَا لَمَّا يَقْرَئُونَ﴾** أي: معرضون عن تأمل آياتنا والتفكر فيها.

وَقُرِئَ: **«الْمَنْ خَلْفَكَ»** - بفتح اللام -؛ أي: لمن بقي بعده يخلفك في أرضك.

(١) ينظر ياقوتة الصراط لمحمد بن عبد الواحد المعروف بغلام ثعلب ص ٢٥٨ .

(٢) في (م): الذي.

وقرأ علی بن أبي طالب: «المن خلقك» باللفاف، أي: تكون آية لخالقك<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَرَأْنَا بَيْنَ إِشْرَاعِيلَ مُؤْمِنًا صَدِيقًا وَرَزَقْنَاهُ مِنَ الظَّبِيرَاتِ فَمَا أَخْتَلَفُوا حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْعِلْمُ إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾<sup>(٢)</sup>

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَرَأْنَا بَيْنَ إِشْرَاعِيلَ مُؤْمِنًا صَدِيقًا﴾ أي: مُنزَل صدق محمود مختار، يعني مصر. وقيل: الأردن وفلسطين. وقال الضحاك: هي مصر والشام<sup>(٣)</sup>. ﴿وَرَزَقْنَاهُم مِنَ الظَّبِيرَاتِ﴾ أي: من الشمار وغيرها. وقال ابن عباس: يعني: قُرْيَظَةُ والنَّضِيرُ وأهْلُ عَصْرِ النَّبِيِّ ﷺ من بني إسرائيل<sup>(٤)</sup>، فإنهم كانوا يؤمِنُونَ بِمُحَمَّدٍ ﷺ ويُنتظرون خروجه، ثم لَمَّا خرج حسدوه؛ وللهذا قال: ﴿فَمَا أَخْتَلَفُوا﴾ أي: في أمر محمد<sup>(٥)</sup>. ﴿حَتَّىٰ جَاءَهُمُ الْعِلْمُ﴾ أي: القرآن ومحمد<sup>(٦)</sup>. والعلم بمعنى المعلوم؛ لأنهم كانوا يعلمونه قبل خروجه؛ قاله ابن جرير الطبرى<sup>(٧)</sup>. ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ﴾ أي: يحكم بينهم ويفصل. ﴿يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ في الدنيا، فيثيب الطائع ويعاقب العاصي.

قوله تعالى: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍ مِمَّا أَنْزَلَنَا إِلَيْكَ فَسُئِلُ الَّذِينَ يَقْرَئُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ لَقَدْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُسْتَرِينَ﴾<sup>(٨)</sup> ﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِرَايَتِ اللَّهِ فَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَسِيرِينَ﴾<sup>(٩)</sup>

قوله تعالى: ﴿فَإِنْ كُنْتَ فِي شَكٍ مِمَّا أَنْزَلَنَا إِلَيْكَ﴾ الخطاب للنبي<sup>ﷺ</sup> والمراد غيره<sup>(٦)</sup>، أي: لست في شك ولكن غيرك شك. قال أبو عمر محمد بن عبد الواحد الزاهد<sup>(٧)</sup>:

(١) ذكر هاتين القراءتين أبو حيان في البحر المحيط ١٨٩/٥ بلا نسبة.

(٢) تفسير البغوي ٣٦٧/٢ ، قوله الضحاك أخرجه الطبرى ٢٨٤/١٢ .

(٣) أورده الواحدى فى الوسيط ٥٥٩/٢ ، والرازى فى تفسيره ١٥٩/١٧ .

(٤) زاد المسير ٦٣/٤ .

(٥) فى تفسيره ١٢/٢٨٤ - ٢٨٥ .

(٦) الوسيط ٥٥٩/٢ ، وتفسير البغوى ٣٦٨/٢ .

(٧) فى ياقوتة الصراط فى تفسير غريب القرآن ص ٢٥٨ - ٢٥٩ .

سمعت الإمامين ثعلباً والمبرد يقولان: معنى **﴿فَإِن كُنْتَ فِي شَكٍ﴾** أي: قل: يا محمد للكافر: فإن كنت في شك مما أنزلنا إليك<sup>(١)</sup>. **﴿فَتَكَلَّمُ الظَّالِمُونَ يُقْرَأُونَ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكَ﴾** أي: يا عابد الوثن، إن كنت في شك من القرآن، فاسأل من أسلم من اليهود، يعني: عبد الله بن سلام وأمثاله؛ لأن عبادة الأواثان كانوا يُقرؤون لليهود أنهم أعلم منهم من أجل أنهم أصحاب كتاب، فدعاهم الرسول ﷺ إلى أن يسألوا من يُقرؤون بأنهم أعلم منهم: هل يبعث الله برسول من بعد موسى؟.

وقال القمي: هذا خطاب لمن كان لا يقطع بتکذیب محمد ولا بتتصدیقه ﷺ، بل كان في شك<sup>(٢)</sup>.

وقيل: المراد بالخطاب النبي ﷺ لا غيره، والمعنى: لو كنت من<sup>(٣)</sup> يُلْحِقُك الشك فيما أخبرناك به، فسألت أهل الكتاب، لأزالوا عنك الشك<sup>(٤)</sup>.

وقيل: الشك ضيق الصدر، أي: إن ضيق صدرك بكفر هؤلاء فاصلب، واسأل الذين يقرؤون الكتاب من قبلك يخبروك صَبَرَ الأنبياء من قبلك على أذى قومهم، وكيف عاقبة أمرهم.

والشك في اللغة، أصله: الضيق؛ يقال: شك الثوب، أي: ضَمَّه بخلال<sup>(٥)</sup> حتى يصير كالوعاء. وكذلك السُّفْرَة تُمْدَد<sup>(٦)</sup> علائقها حتى تنقبض، فالشك يقبض الصدر ويضمه<sup>(٧)</sup> حتى يضيق.

وقال الحسين بن الفضل: الفاء مع حروف الشرط لا توجب الفعل ولا تُثبته، والدليل

(١) قوله: مما أنزلنا إليك، من (م).

(٢) ينظر تأويل مشكل القرآن له ص ٥٨ و ٢٠٩.

(٣) لفظة: من، ليست في (م).

(٤) ينظر النك و العيون ٤٥٠ / ٢.

(٥) الخلل: العود الذي يُخلل به، وما يُخلل به الثوب أيضاً. الصحاح (خلل).

(٦) كذا في النسخ الخطية، والظاهر أنها: تُشك.

(٧) في (ز) و(ظ): ويضم.

عليه ما رُويَ عن النبي ﷺ أنه قال لِمَا نزلت هذه الآية: «والله لا أشك [ولا أسأل]»<sup>(١)</sup>. ثم استأنف الكلام فقال: «لَئِنْ جَاءَكَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ» أي: الشاكِينَ المرتابين. «وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِعِيَاتِ اللَّهِ فَتَكُونَ مِنَ الظَّالِمِينَ» والخطاب في هاتين الآيتين للنبي ﷺ والمراد غيره<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَاتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ ٤٤ وَلَوْ جَاءَهُمْ كُلُّ مَا يَرَوُ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ ٤٥»

قوله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ حَقَّتْ عَلَيْهِمْ كَلِمَاتُ رَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ» تقدَّم القول فيه في هذه السورة<sup>(٣)</sup>. قال قتادة: أي: الذين حَقَّ عليهم غضب الله وسخطه بمعصيتهم لا يؤمنون<sup>(٤)</sup>. «وَلَوْ جَاءَهُمْ كُلُّ مَا يَرَوُ» أَنَّث «كُلًا» على المعنى، أي: ولو جاءتهم الآيات<sup>(٥)</sup>. «حَتَّى يَرَوُوا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ» فحيثما يؤمنون ولا ينفعهم.

قوله تعالى: «فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةً مَاءَنَتْ فَتَفَعَّلَاهَا إِيمَنَهَا إِلَّا قَوْمٌ يُؤْسَ لَمَّا مَاءَنُوا كَشَفَنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْغَزِيرِ فِي الْجَهَنَّمِ الَّذِيَا وَمَعْتَنَهُمْ إِنَّ جِنَّ

قوله تعالى: «فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةً مَاءَنَتْ» قال الأخفش والكسائي: أي: فهلا. وفي مصحف أبي وابن مسعود: «فهلا»، وأصل «الولا» في الكلام التحضيض، أو الدلالة على منع أمرٍ لوجود غيره.

ومفهوم من معنى الآية نفي إيمان أهل القرى، ثم استثنى قوم يومن، فهو بحسب اللفظ استثناءً منقطع، وهو بحسب المعنى متصل؛ لأن تقديره: ما آمن أهل قرية إلا

(١) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ٢٩٨/٢ ، والطبرى ١٢/٢٨٨ عن قتادة، وهو مرسل وما بين حاصلتين منهما.

(٢) تفسير البغوي ٣٦٨/٢ .

(٣) ٤٩٨/١٠ .

(٤) أخرجه الطبرى ١٢/٢٩٠ .

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٢٦٨/٢ .

قوم يونس. والنصبُ في «قوم» هو الوجه، وكذلك أدخله سيبويه في: باب ما لا يكون إلا منصوباً<sup>(١)</sup>.

قال النحاس<sup>(٢)</sup>: «إلا قوم يونس» نصب؛ لأنَّه استثناءٌ ليس من الأول، أي: لكنَّ قوم يونس؛ هذا قول الكسائي والأخفش والفراء<sup>(٣)</sup>. ويجوز: «إلا قوم يونس» بالرفع، ومن أحسن ما قيل في الرفع ما قاله أبو إسحاق الزجاج<sup>(٤)</sup> قال: يكون المعنى: غيرُ قوم يونس، فلما جاء بـ«إلا»؛ أعرَب الاسم الذي بعدها بِأعراب «غير» كما قال: **وَكُلُّ أَخِ مُفَارِقٍ هُوَ أَخُوه لَعَمْرُ أَبِيكِ إِلَّا الْفَرْقَدَانِ**<sup>(٥)</sup>

ورُوي في قصة قوم يونس عن جماعة من المفسرين: أنَّ قوم يونس كانوا يُشنُّو من أرض المؤصل، وكانوا يبعدون الأصنام، فأرسل الله إليهم يونس عليه السلام يدعُوهم إلى الإسلام وترُكَ ما هم عليه فأبُوا، فقيل: إنه أقام يدعوهم تسع سنين، فيئس من إيمانهم؛ فقيل له: أخبرهم أنَّ العذاب مُصْبَحُهم إلى ثلاثةٍ فعل، وقالوا: هوَ رَجُلٌ لا يكذب، فارْتَبُوه، فإنْ أقام معكم وبين أظهرِكم فلا عليكم، وإن ارتحل عنكم فهو نزولُ العذاب لا شك، فلما كان الليل تزوَّد يونس وخرج عنهم، فأصبحوا فلم يجدوه، فتابوا ودعوا الله، ولَيْسوا المُسَوَّحَ، وفرقوا بين الأمَّهات والأولاد من الناس والبهائم، ورُدُوا المظالم في تلك الحالة<sup>(٦)</sup>.

وقال ابن مسعود: وكان الرجلُ يأتي الحجرَ قد وُضع عليه أساسُ بُنيانه، فيقتلعه

(١) الكتاب ٣٢٥/٢ ، وعنوان الباب فيه: هذا باب ما لا يكون إلا على معنى ولكن. اهـ. وهذا الكلام وما قبله من المحرر الوجيز ١٤٣/٣ - ١٤٤ .

(٢) في إعراب القرآن ٢٦٨/٢ .

(٣) في معاني القرآن له ٤٧٩/١ .

(٤) في معاني القرآن له ٣٥/٣ ، ونقله المصطف عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٢٦٩/٢ ، وجواز الرفع المذكور يعني في اللغة، لا في القراءة.

(٥) نسبة سيبويه في الكتاب ٣٣٤/٢ ، والمفرد في الكامل ١٤٤٤/٣ لعمرو بن معدى كرب، ونسبة الأمدي في المؤتلف والمختلف ص ١١٦ لحضرمي بن عامر. وينظر الخزانة ٤٢١/٣ و ٤٢٦ .

(٦) أخرجه الطبرى ٢٩٣/١٢ عن قتادة بنحوه، وينظر المحرر الوجيز ١٤٤/٣ ، وزاد المسير ٤/٦٥ .

فِي رَدِّه<sup>(١)</sup> ، وَالعذَابُ مِنْهُمْ فِيمَا رُوِيَ عَنْ أَبْنَ عَبَّاسٍ عَلَى ثُلُثِيْ مِيلٍ . وَرُوِيَ عَلَى مِيلٍ<sup>(٢)</sup> . وَعَنْ أَبْنَ عَبَّاسٍ أَنَّهُمْ غَشِيَّهُمْ ظُلْلَةً وَفِيهَا حُمْرَةً ، فَلَمْ تَزُلْ تَدْنُوا حَتَّى وَجَدُوا حَرَّهَا بَيْنَ أَكْتَافِهِمْ<sup>(٣)</sup> . وَقَالَ أَبْنُ جُبَيرٍ : غَشِيَّهُمْ العذَابُ كَمَا يُغَشِّي الثَّوْبَ الْقَبْرَ ، فَلَمَّا صَحَّتْ تَوْبِهِمْ رَفَعَ اللَّهُ عَنْهُمُ العذَابَ<sup>(٤)</sup> .

وَقَالَ الطَّبَرِيُّ<sup>(٥)</sup> : خُصُّ قَوْمٌ يُونُسٌ مِنْ بَيْنِ سَائِرِ الْأَمَمِ بِأَنَّ تَبَيَّبَ عَلَيْهِمْ بَعْدَ مَعَايِنَةِ العذَابِ . وَذَكَرَ ذَلِكَ عَنْ جَمَاعَةٍ مِنَ الْمُفَسِّرِينَ .

وَقَالَ الزَّجاجُ<sup>(٦)</sup> : إِنَّهُمْ لَمْ يَقْعُ بِهِمُ العذَابُ ، وَإِنَّمَا رَأَوْا الْعَلَمَةَ الَّتِي تَدْلُّ عَلَى العذَابِ ، وَلَوْ رَأَوْا عَيْنَ العذَابِ لَمْ يَنْفَعُهُمُ الْإِيمَانُ .

قَلْتَ : قَوْلُ الزَّجاجِ حَسَنٌ ، فَإِنَّ الْمَعَايِنَةَ الَّتِي لَا تَنْفَعُ التَّوْبَةَ مَعَهَا هِيَ التَّلْبِسُ بِالْعذَابِ كَقَصَّةِ فَرَعَوْنَ ، وَلَهَذَا جَاءَ بِقَصَّةِ قَوْمِ يُونُسٍ عَلَى أَثْرِ قَصَّةِ فَرَعَوْنَ ؛ لِأَنَّهُ آمَنَ حِينَ رَأَى العذَابَ فَلَمْ يَنْفَعْهُ ذَلِكُ ، وَقَوْمُ يُونُسٍ تَابُوا قَبْلَ ذَلِكَ<sup>(٧)</sup> . وَيَعْضُدُ هَذَا قَوْلُهُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ : «إِنَّ اللَّهَ يَقْبِلُ تَوْبَةَ الْعَبْدِ مَا لَمْ يُعَرِّفْ»<sup>(٨)</sup> . وَالْغَرْغَرَةُ : الْحَشَرَجَةُ ، وَذَلِكَ هُوَ حَالُ التَّلْبِسِ بِالْمَوْتِ ، وَأَمَّا قَبْلَ ذَلِكَ فَلَا . وَاللَّهُ أَعْلَمُ .

وَقَدْ رُوِيَ مَعْنَى مَا قَلَنَاهُ عَنْ أَبْنَ مُسْعُودٍ ، وَأَنَّ يُونُسَ لَمَّا وَدَهُمُ العذَابَ إِلَى ثَلَاثَةِ أَيَّامٍ خَرَجَ عَنْهُمْ ، فَأَصْبَحُوا فَلَمْ يَجِدُوهُ ، فَتَابُوا وَفَرَّقُوا بَيْنَ الْأَمَمَاتِ وَالْأُولَادِ<sup>(٩)</sup> .

(١) عَرَائِسُ الْمَجَالِسِ صِ ٤١٢ .

(٢) عَرَائِسُ الْمَجَالِسِ صِ ٤١١ ، وَالْمُحَرَّرُ الْوَجِيزُ ١٤٤ / ٣ ، وَقَوْلُ أَبْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَخْرَجَهُ الطَّبَرِيُّ ٢٩٤ / ١٢ .

(٣) ذَكَرَهُ بِنْ حَوْهُ أَبْنُ الجُوزِيِّ فِي زَادِ السَّيْرِ ٤ / ٦٥ .

(٤) أَخْرَجَهُ الطَّبَرِيُّ ٢٩٥ / ١٢ ، وَهُوَ فِي الْمُحَرَّرِ الْوَجِيزِ ١٤٤ / ٣ .

(٥) فِي تَفْسِيرِهِ ٢٩١ / ١٢ ، وَنَقَلَهُ الْمُصَنِّفُ عَنْهُ بِوَاسِطَةِ أَبْنِ عَطِيَّةَ فِي الْمُحَرَّرِ الْوَجِيزِ ١٤٤ / ٣ .

(٦) فِي مَعَانِيِ الْقُرْآنِ ٣ / ٣٤ .

(٧) الْكَلَامُ بِنَحْوِهِ فِي الْمُحَرَّرِ الْوَجِيزِ ١٤٤ / ٣ .

(٨) سَلْفٌ ٥ / ١٩٧ .

(٩) أَخْرَجَهُ الطَّبَرِيُّ ٢٩٦ / ١٢ ، وَسَلْفٌ نَحْوِهِ قَرِيبًا .

وهذا يدلُّ على أن توبتهم قبل رؤية علامة العذاب. وسيأتي مسندًا مبيّنًا في سورة الصافات إن شاء الله تعالى<sup>(١)</sup>. ويكون معنى ﴿كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْغَرْزِي﴾ أي: العذاب الذي وعدهم به يومن أنه ينزل بهم، لا أنهم رأوه عيانًا ولا مُخاليله، وعلى هذا لا إشكال ولا تعارض ولا خصوص، والله أعلم.

وبالجملة؛ فكان أهل ينتوى في سابق العلم من السعداء.

وروى عن علي عليه السلام أنه قال: إنَّ الْحَدَرَ لَا يَرِدُ الْقَدَرَ، وإنَّ الدُّعَاء لَيَرِدُ الْقَدَرَ. وذلك أن الله تعالى يقول: ﴿إِلَّا قَوْمٌ يُؤْسَى لَمَّا مَأْمَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ الْغَرْزِي فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾. قال عليه السلام: وذلك يوم عاشوراء<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْقَتَلْمُ إِلَّا حِينَ﴾ قيل: إلى أجلهم، قاله السُّعْدي وقيل: إلى أن يصيروا إلى الجنة أو إلى النار، قاله ابن عباس<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَيِّعاً أَفَأَنْتَ تُكَرِّهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ ﴾١١﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَآمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كُلُّهُمْ جَيِّعاً﴾ أي: لا ضطراهم إليه. «كُلُّهُمْ» تأكيد لـ«من». «جَيِّعاً» عند سيبويه نصب على الحال<sup>(٤)</sup>. وقال الأخفش<sup>(٥)</sup>: جاء بقوله: «جَيِّعاً» بعد «كل» تأكيداً، كقوله: ﴿وَلَا تَنْسِدُوا إِلَيْهِنَّ أَثْنَيْنِ ﴾التحل: ٥١﴾.

قوله تعالى: ﴿أَفَأَنْتَ تُكَرِّهُ النَّاسَ حَتَّى يَكُونُوا مُؤْمِنِينَ﴾ قال ابن عباس: كان النبي ﷺ

(١) في تفسير الآيات ١٣٩ - ١٤٨.

(٢) النكت والعيون ٢/٤٥٢ ، وأخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٦/١٩٨٧ و ١٩٨٨ ، وأخرج القسم الأول منه اللالكاني في شرح أصول اعتقاد أهل السنة والجماعة (١٢١٢).

(٣) أخرجهما ابن أبي حاتم ٦/١٩٨٩ - ١٩٩٠.

(٤) إعراب القرآن للنسناس ٢/٢٦٩.

(٥) في معاني القرآن ٢/٥٧٤.

حريصاً على إيمان جميع الناس، فأخبره الله تعالى أنه لا يُؤمن إلا من سبقت له السعادة في الذكر الأول، ولا يصل إلا من سبقت له الشقاوة في الذكر الأول<sup>(١)</sup>. وقيل: المراد بالناس هنا أبو طالب، وهو عن ابن عباس أيضاً<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: **﴿وَمَا كَانَ يُنفِسَ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ وَيَعْمَلُ الرِّجْسُ عَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقُلُونَ﴾**

قوله تعالى: **﴿وَمَا كَانَ يُنفِسَ أَنْ تُؤْمِنَ إِلَّا بِإِذْنِ اللَّهِ﴾** (ما) نفي، أي: ما ينبغي أن تؤمن نفس إلا بقضاءه وقدره ومشيته وإرادته<sup>(٣)</sup>. **﴿وَيَعْمَلُ الرِّجْسُ﴾** وقرأ الحسن وأبو بكر والمفضل: «ونجعل» بالنون على التعظيم<sup>(٤)</sup>.

والرجس: العذاب، بضم الراء وكسرها، لغتان<sup>(٥)</sup>. **﴿وَعَلَى الَّذِينَ لَا يَعْقُلُونَ﴾** أمر الله عزوجل ونفيه<sup>(٦)</sup>.

قوله تعالى: **﴿فَلَمْ يَنْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا تُفْنِي الْآيَتُ وَالثُّدُرُ عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ﴾**

قوله تعالى: **﴿فَلَمْ يَنْظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾** أمر للكفار بالاعتبار والنظر في المصنوعات الذالة على الصانع وال قادر على الكمال<sup>(٧)</sup>. وقد تقدم القول في هذا

(١) أخرجه الطبرى ٢٩٨/١٢ ، والبيهقي في الأسماء والصفات (١٣٩) ، من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس رضي الله عنهما . قال الحافظ ابن حجر في التغريب: علي بن أبي طلحة أرسل عن ابن عباس ولم يزره.

(٢) ذكره أبو الليث ١١٢/٢ دون نسبة.

(٣) ينظر تفسير أبي الليث ١١٢/٢ .

(٤) قراءة أبي بكر - يعني عن عاصم - من السبعة ، ولم نقف على من نسبها للحسن أو المفضل . وينظر السبعة ص ٣٣٠ ، والتيسير ص ١٢٣ .

(٥) في معاجم اللغة: الرّجس ، بكسر الراء فقط . والرّجز ، بكسر الراء وضمّها . والرجس والرجز معناهما واحد . ينظر اللسان (رجس) و(رجز) .

(٦) تفسير البغوى ٢/٣٧٠ .

(٧) المحرر الوجيز ٣/١٤٥ .

المعنى في غير موضع مستوفى<sup>(١)</sup>. «وَمَا تُغْنِي» (ما) نفي، أي: ولن تغنى. وقيل: استفهامية، التقدير: أي شيء تغنى؟<sup>(٢)</sup> «الآيَتُ» أي: الدلالات. «وَالنَّذْرُ» أي: الرسل، جمع نذير، وهو الرسول. «عَنْ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ» أي: عمن سبق له في علم الله أنه لا يؤمن<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: «فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ قُلْ فَانتَظِرُوْا إِنِّي مَعَكُمْ مِّنَ الْمُنْتَظَرِيْنَ ﴿٤﴾

قوله تعالى: «فَهَلْ يَنْتَظِرُونَ إِلَّا مِثْلَ أَيَّامِ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ» الأيام هنا بمعنى الواقع، يقال: فلان عالم أيام العرب، أي: بوقائعهم. قال قتادة: يعني وقائع الله في قوم نوح وعاد ونمود وغيرهم. والعرب تسمى العذاب أيامًا والنعم أيامًا، كقوله تعالى: «وَذَكِّرْهُمْ بِأَيْتَمِ اللَّهِ» [إبراهيم: ٥]. وكل ما مضى لك من خير أو شر فهو أيام<sup>(٤)</sup>. «فَانتَظِرُوْا» أي: ترقصوا. وهذا تهديد ووعيد. «إِنِّي مَعَكُمْ مِّنَ الْمُنْتَظَرِيْنَ» أي: المترقبين لموعد ربي.

قوله تعالى: «ثُمَّ نُتْحِي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ مَأْمَنُوا كَذَلِكَ حَقًا عَلَيْنَا نُنْجِي الْمُؤْمِنِيْنَ ﴿٥﴾

قوله تعالى: «ثُمَّ نُتْحِي رُسُلَنَا وَالَّذِينَ مَأْمَنُوا» أي: من سنتنا إذا أزلنا بقوم عذاباً أخرجنا من بينهم الرسل والمؤمنين، و«ثُمَّ» معناه: ثم اعلموا أننا ننجي رسلنا<sup>(٥)</sup>. «كَذَلِكَ حَقًا عَلَيْنَا» أي: واجبا علينا؛ لأنه أخبر، ولا خلف في خبره. وقرأ يعقوب: «نَنْجِي» مخفقاً<sup>(٦)</sup>. وقرأ الكسائي وحفص ويعقوب: «نُنْجِي» المؤمنين

(١) ينظر ٣٩٩/٩.

(٢) ينظر المحرر الوجيز ١٤٥/٣ ، والكتاف ٢٥٥/٢ .

(٣) ينظر تفسير أبي الليث ١١٣/٢ .

(٤) تفسير البغوي ٣٧١/٢ ، وقول قتادة أخرجه الطبرى ٣٠٢/١٢ .

(٥) ينظر تفسير الطبرى ٣٠٢/١٢ - ٣٠٣ .

(٦) النشر ٢٨٧/٢ .

مُحَفَّفًا، وشَدَّ الباقيون<sup>(١)</sup>، وما لغتان فصيحتان: أَنْجِي يُنْجِي إِنْجاء، ونَجِي يُنْجِي تَنْجِيةً، بمعنى واحد<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: «قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ كُثُرْتُمْ فِي شَكْرٍ مِّنْ دِينِي فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّكُمْ وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ» ﴿١٠٤﴾

قوله تعالى: «قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ» ي يريد كُفَّارَ مَكَةَ. «إِنْ كُثُرْتُمْ فِي شَكْرٍ مِّنْ دِينِي» أي: في رَبِّ من دِينِ الإِسْلَامِ الَّذِي أَدْعُوكُمْ إِلَيْهِ. «فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ» من الأَوْثَانِ الَّتِي لَا تَعْقِلُ. «وَلَكِنْ أَعْبُدُ اللَّهَ الَّذِي يَتَوَفَّكُمْ» أي: يُمْسِيَكُمْ وَيَقْبِضُ أَرْوَاحَكُمْ. «وَأُمِرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ» أي: الْمُصَدِّقِينَ بِآيَاتِ رَبِّهِمْ<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: «وَأَنْ أَفْدَ وَجْهَكَ لِلَّذِينَ حَنِيفُوا وَلَا تَكُونَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ» ﴿١٠٥﴾ وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ إِنْ فَلَمْ تَفْلَمْ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ» ﴿١٠٦﴾

قوله تعالى: «وَأَنْ أَفْدَ وَجْهَكَ» «أَنْ» عَطَّفَ عَلَى «أَنْ أَكُونَ»<sup>(٤)</sup> أي: قيل لي: كنْ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ، وَأَقِمْ وَجْهَكَ. قال ابن عباس: عَمَلَكَ<sup>(٥)</sup>، وقيل: نَفْسَكَ، أي: استقم بِإِيمَانِكَ عَلَى مَا أُمِرْتَ بِهِ مِنَ الدِّينِ. «حَنِيفُوا» أي: قَوِيمًا بِهِ مَا ثُلِّاً عَنْ كُلِّ دِينٍ<sup>(٦)</sup>. قال حَمْزَةُ بْنُ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ<sup>(٧)</sup>:

**حَمَدَ اللَّهُ حِينَ هَدَى فَوَادِي  
مِنَ الإِشْرَاكِ لِلَّذِينَ حَنِيفُوا**

(١) السبعة ص ٣٣٠ ، والتيسير ص ١٢٣ ، وقراءة يعقوب - من العشرة - في الشر / ٢٨٧ / ٢ .

(٢) ينظر الكشف عن وجوه القراءات السبع ١ / ٥٢٣ ، وتفسير البغوي ٢ / ٣٧١ .

(٣) ينظر تفسير الطبرى ١٢ / ٣٠٣ - ٣٠٤ .

(٤) تفسير الطبرى ١٢ / ٣٠٤ .

(٥) تفسير البغوي ٢ / ٣٧١ .

(٦) ينظر المحرر الوجيز ١٤٦ / ٣ .

(٧) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٤٥٣ / ٢ .

وقد مضى في «الأنعام» اشتقاده<sup>(١)</sup>، والحمد لله.

﴿وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الظَّاهِرِكِينَ﴾ أي: وقيل لي: لا تشرك، والخطاب له، والمراد غيره، وكذلك قوله: ﴿وَلَا تَدْعُ﴾ أي: لا تعبد. ﴿مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكُ﴾ إنْ عَبَدْتَه. ﴿وَلَا يَغْرِيَكُ﴾ إنْ عَصَيْتَه. ﴿فَإِنَّ فَعْلَتْ﴾ أي: عبدت غير الله. ﴿فَإِنَّكَ إِذَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ أي: الواضعين العبادة في غير موضعها<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَمْسِكَ اللَّهُ بِضِرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدَكَ بِمُنْتَهِيَّ فَلَا رَازَ لِعَصْبِلِهِ يُصِيبُ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عَبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ يَمْسِكَ اللَّهُ بِضِرٍّ﴾ أي: يُصِيبُكَ به ﴿فَلَا كَاشِفَ﴾ أي: لا دافع ﴿لَهُ إِلَّا هُوَ وَإِنْ يُرِدَكَ بِمُنْتَهِيَّ﴾ أي: يُصِيبُكَ برخاء ونعمه ﴿فَلَا رَازَ لِعَصْبِلِهِ يُصِيبُ بِهِ﴾ أي: بكل ما أراد من الخير والشر. ﴿مَنْ يَشَاءُ مِنْ عَبَادِهِ وَهُوَ الْغَفُورُ﴾ لذنب عباده وخطاياهم ﴿الْرَّحِيمُ﴾ بأولياته في الآخرة<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿فَلَمْ يَتَأْتِيَّا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَهْتَدَى فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ وَمَنْ ضَلَّ فَإِنَّمَا يَعْلَمُ عَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَمْ يَتَأْتِيَّا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُمُ الْحَقُّ﴾ أي: القرآن. وقيل: الرسول ﷺ. ﴿مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَهْتَدَى﴾ أي: صدق محمدًا وأمن بما جاء به<sup>(٤)</sup>. ﴿فَإِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ﴾ أي: لخلاص نفسه. ﴿وَمَنْ ضَلَّ﴾ أي: ترك الرسول والقرآن، واتبع الأصنام والأوثان<sup>(٥)</sup>. ﴿فَإِنَّمَا يَعْلَمُ عَلَيْهَا﴾ أي: وبال ذلك على نفسه. ﴿وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِوَكِيلٍ﴾

(١) سلف اشتقاد «حنيفاً» في سورة البقرة ٤١٤/٢ - ٤١٥ ، أما في «الأنعام» ٤٤٢/٨ فذكر المصنف رحمه الله معناه فقط.

(٢) تفسير البغوي ٢/٣٧١.

(٣) ينظر تفسير الطبرى ١٢/٣٠٥.

(٤) ينظر تفسير أبي الليث ٢/١١٤.

(٥) ينظر تفسير الطبرى ١٢/٣٠٦.

أي: بمحفظك أحفظ أعمالكم؛ إنما أنا رسول. قال ابن عباس: نسختها آية السيف<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَاصْبِرْ حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَكَمِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَاصْبِرْ﴾ قيل: نسخة باية القتال<sup>(٢)</sup>. وقيل: ليس منسوخاً<sup>(٣)</sup>، ومعناه: اصبر على الطاعة وعن المعصية.

وقال ابن عباس: لَمَّا نزلت؛ جمع النبي ﷺ الأنصار، ولم يجمع معهم غيرهم فقال: «إنكم ستجدون بعدي أثراً، فاضطربوا حتى تلقوني على الحوض». وعن أنس بمثل ذلك، ثم قال أنس: فلم يضطربوا<sup>(٤)</sup>.

فأمرهم بالصبر كما أمره الله تعالى. وفي ذلك يقول عبد الرحمن بن حسان<sup>(٥)</sup>:

الْأَبْلِغُ معاويةَ بْنَ حَرْبٍ      أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ شَا كلامي  
بَأْنَا صابرون وَمُنْظَرُوكُمْ      إِلَى يَوْمِ التَّغَابُنِ وَالْخِصَامِ<sup>(٦)</sup>  
﴿حَتَّى يَحْكُمَ اللَّهُ وَهُوَ خَيْرُ الْحَكَمِينَ﴾ ابتداءً وخبر، لأنَّه عزٌّ وجَلٌ لا يحكم إلا بالحق<sup>(٧)</sup>.

تمت سورة يونس، والحمد لله وحده.

(١) تفسير البغوي / ٢ ، ٣٧٢ ، وزاد المسير / ٤ . ٧١

(٢) الناسخ والمنسوخ للنحاس / ٢ ، ٤٧١ ، وقال: إنما نسخ منها الصبر عليهم.

(٣) ينظر زاد المسير / ٤ . ٧١

(٤) لم نقف عليه من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، وأخرج حدث أنس - دون ذكر أنه جمعهم لما نزلت الآية - أحمد (١٢٦٩٦)، والبخاري (٣١٤٧)، ومسلم (١٠٥٩) وهو في قصة إعطاء النبي ﷺ رجالاً من قريش من أموال هوازن. وفي الباب عن عبد الله بن زيد ع عند أحمد (١٦٤٧٠)، والبخاري (٤٣٣٠)، ومسلم (١٠٦١).

(٥) ابن ثابت الأنباري، المدنبي، الشاعر ابن الشاعر، وأمه سيرين خالة إبراهيم ابن النبي ﷺ، قيل: ولد في حياة النبي ﷺ. توفي سنة (١٠٤). السير / ٥ . ٦٤

(٦) الاستيعاب / ١٤٧ / ١٠ ، وذكر ابن عبد البر قصة في هذين البيتين. قوله: ثنا: جاء في القاموس (ثغر): ثنا الحديث: حدث به وأشاره، والثنا: ما أخبرت به عن الرجل من حسن أو سيء.

(٧) إعراب القرآن للنحاس / ٢ . ٢٧٠

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## سورة هود عليه السلام

مكية في قول الحسن وعكرمة وعطاء وجابر. وقال ابن عباس وقتادة: إلأ آية، وهي قوله تعالى: **﴿وَأَقِيرَ الْفَصْلَةَ طَرَفَيْ النَّهَارِ﴾**<sup>(١)</sup> [هود: ١١٤]. وأسند أبو محمد الدارمي في «مسنده» عن كعب قال: قال رسول الله ﷺ: **«اقرروا سورة هود يوم الجمعة»**<sup>(٢)</sup>.

وروى الترمذى عن ابن عباس قال: قال أبو بكر رض: يا رسول الله قد شبّت! قال: **«شَيَّتِنِي هُودٌ، وَالوَاقِعَةُ، وَالْمَرْسَلَاتُ، وَعَمَّ يَتَسَاءَلُونَ، وَإِذَا أَلْقَمْشُ كُثُرَتْ»**. قال: هذا حديث حسنٌ غريبٌ. وقد رُوِيَ شَيْءٌ مِّنْ هَذَا مَرْسَلًا<sup>(٣)</sup>.

وأخرجه الترمذى الحكيم أبو عبد الله في «نواذر الأصول»: حدثنا سفيان بن وکیع قال: حدثنا محمد بن یشر، عن علي بن صالح، عن أبي إسحاق، عن أبي

(١) النكت والعيون ٤٥٥ / ٢.

(٢) سنن الدارمي (٣٤٠٤)، وأخرجه أبو داود في المراسيل (٥٩)، والبيهقي في شعب الإيمان (٢٤٣٨). وكعب: هو بن ماتع، المعروف بكعب الأحبار، والحديث مرسل.

(٣) سنن الترمذى (٣٢٩٧) من طريق أبي إسحاق، عن عكرمة، عن ابن عباس، عن أبي بكر، به. وأخرجه سعيد بن منصور في سنته (التفسير) (١١١٠)، وأبو يعلى في مسنده (١٠٧) (١٠٨) من طريق عكرمة، عن أبي بكر، به. وعكرمة لم يدرك أبي بكر. وقال أبو حاتم كما في «العلل» لابنه ١١٠ / ٢: مرسل أصح. اهـ والحديث اختلف فيه على أبي إسحاق اختلافاً كبيراً، ينظر ما سينتني من روایة أبي ميسرة وأبي جحيفة، وما أورده الدارقطني في العلل ١٩٣ / ١ وما بعدها. وعبارة الترمذى: وقد روي عن أبي إسحاق عن أبي ميسرة شيءٌ من هذا مرسلأ. اهـ

وقد أخرجه المروزى في مسنده أبي بكر الصديق (٣٢) عن أبي إسحاق، عن أبي ميسرة، عن أبي بكر، وليس فيه ذكر: المرسلات.

جحينة قال: قالوا يا رسول الله، نراك قد شبَّ! قال: «شَيَّتِي هُوَ وَأَخْوَاتِهَا»<sup>(١)</sup>. قال أبو عبد الله: فالفزع يورث الشَّيب؛ وذلك أنَّ الفزع يذهل النفس، فيتشفُ رطوبة الجسد، وتحت كل شعرة متبخر، ومنه يغرق، فإذا انتصف<sup>(٢)</sup> الفزع رطوبته، يبست المنابع، فييس الشَّعرُ وايضَّ؛ كما يُرى الزرعُ أخضرَ<sup>(٣)</sup> بسياه<sup>(٤)</sup>، فإذا ذهب سقياه<sup>(٥)</sup> ييسَ فابيضَ؛ وإنَّما يبيضُ شعرُ الشيخ لذهب رطوبته ويبيض جلده، فالنفس تذهل بوعيد الله<sup>(٦)</sup>، وأهوال ما جاء به الخبر عن الله؛ فتذبل، ويتشفُ ماءها ذلك الوعيد والهول<sup>(٧)</sup> الذي جاء به؛ فمنه تشيب، وقال الله تعالى: ﴿يَوْمًا يَجْعَلُ الْوِلَدَنَ شَيْبًا﴾ [المزمول: ١٧]، فإنَّما شابوا من الفزع.

(١) نوادر الأصول ١/ ٢٢٤ دون إسناد، وأخرجه بهذا الإسناد الترمذى في الشمائى (٤١)، ومن طريقه البغوى في شرح السنة (٤١٧٦).

وأخرجه أيضاً أبو يعلى في مستنه (٨٨٠)، والطبرانى في الكبير ٢٢/ (٣١٨)، والدارقطنى في العلل ٢٠٦ / ٢ وأبو نعيم في الحلية ٤/ ٣٥٠ من طريق محمد بن عبد الله بن نمير، عن محمد بن بشر، به. وأورده الرازى في العلل ٢/ ١٣٣ الحديث السالف ثم قال: ورواه شيبان عن أبي إسحاق، عن عكرمة، أن أبي بكر قال للنبي ﷺ، وهذا أشبههما بالصواب، والله أعلم. وأخرجه الدارقطنى في العلل ١/ ٢٠٧ من طريق محمد بن مهاجر وشهاب بن عباد، عن محمد بن بشر، عن علي بن صالح، عن أبي إسحاق، عن أبي جحيفة، قال: قال أبو بكر الصديق، به. فذكره فيه أبو بكر الصديق.

وأورده الحافظ ابن حجر في النكٰت على كتاب ابن الصلاح ٢/ ٧٧٤ مثلاً للحديث المضطرب وأبو جحيفة هو وهب بن عبد الله السواني، صحابي، توفي سنة أربع وسبعين. السير ٣/ ٢٠٢ - ٢٠٣.

(٢) في (د) و(ز): أنسف، وفي (ظ): ثشف، والمثبت من (ف) و(م). وهو الموافق لنوادر الأصول.

(٣) في (م): كما ترى الزرع الأخضر. والمثبت من (ظ) و(ف)، وسقطت هذه العبارة من (ز) و(د).

(٤) في (م) و(د): بسقائه، والمثبت من (ظ)، وهو الموافق لمطبوع نوادر الأصول.

(٥) في (م): سقاوه. والمثبت من (ظ) و(ف). وهو الموافق لمطبوع نوادر الأصول.

(٦) في (د) و(ز): بوعيد الله، وفي (ظ): لوعيد الله، وفي نوادر الأصول: لوعيد الله. والمثبت من (ف) و(م).

(٧) في (د) و(ز): والخوف.

وأَمَّا سُورَةُ هُودٍ فِيَّا ذُكِرَ الْأَمْمُ<sup>(١)</sup>، وَمَا حَلَّ بِهِمْ مِنْ عَاجِلٍ بِأَسِ اللَّهِ تَعَالَى، فَأَهْلُ الْيَقِينِ إِذَا تَلَوُهَا تَرَاءُ إِلَيْهِمْ مِنْ مَلْكِهِ وَسُلْطَانِهِ وَلَحْظَاتِهِ الْبَطْشُ بِأَعْدَائِهِ، فَلَوْ مَاتُوا مِنَ الْفَزْعِ لَحُقًّا لَهُمْ، وَلَكِنَّ اللَّهَ تَبارُكُ وَتَعَالَى اسْمُهُ يَلْطُفُ<sup>(٢)</sup> بِهِمْ فِي تِلْكَ الْأَحَابِينَ حَتَّى يَقْرُؤُوا كَلَامَهُ.

وَأَمَّا أَخْوَاتُهَا؛ فَمَا أَشْبَهُهَا مِنَ السُّورَ؛ مِثْلُ **«الْحَافَّةَ»**، وَ**«سَأَلَ سَائِلًا»**، وَ**«إِذَا أَشْفَشَ كُوْرَتَ»**، وَ**«الْقَارِعَةَ»**، فَفِي تِلَوَةِ هَذِهِ السُّورَ مَا يَكُشُّ لِقُلُوبِ الْعَارِفِينَ سُلْطَانَهُ وَيَطْشَهُ؛ فَتَذَمَّلُ مِنْهُ النُّفُوسُ، وَتَشَبَّهُ مِنْهُ الرُّؤُوسُ<sup>(٣)</sup>.

قَلْتُ: وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ الَّذِي شَبَّهَ النَّبِيَّ<sup>ﷺ</sup> مِنْ سُورَةِ هُودٍ، قَوْلُهُ: **«فَأَسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ»** [الآية: ١١٢] عَلَى مَا يَأْتِي بِيَانِهِ إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَعَالَى.

وَقَالَ يَزِيدُ بْنُ أَبِيْا: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ<sup>ﷺ</sup> فِي مَنَامِي، فَقَرَأَتْ عَلَيْهِ سُورَةُ هُودٍ، فَلَمَّا خَتَمَهَا<sup>(٤)</sup>، قَالَ: «يَا يَزِيدُ، هَذِهِ الْقِرَاءَةُ، فَأَيْنَ الْبَكَاءُ؟»<sup>(٥)</sup>.

قَالَ عُلَمَاؤُنَا: وَقَالَ أَبُو جَعْفَرُ النَّحَاسِ<sup>(٦)</sup>: يَقُولُ: هَذِهِ هُودٌ فَاعْلَمُ؛ بِغَيْرِ تَنْوِينِ عَلَى أَنَّهُ اسْمُ لِسُورَةٍ؛ لَأَنَّكَ لَوْ سَمِيَتْ امْرَأَةً بِيَزِيدٍ لَمْ تَضَرِّفْ؛ وَهَذَا قَوْلُ الْخَلِيلِ وَسَيِّدِهِ<sup>(٧)</sup>. وَعَيْسَى بْنُ عُمَرَ يَقُولُ: هَذِهِ هُودٌ [فَاعْلَمُ]؛ بِالتَّنْوِينِ عَلَى أَنَّهُ اسْمُ لِسُورَةٍ؛

(١) فِي (م): فَلَمَّا ذُكِرَ الْأَمْمُ، وَفِي (ف): فَلَمَّا ذُكِرَ لِلْأَمْمِ، وَفِي (د) وَ(ز): فَلَمَّا ذُكِرَ الْأَمْمُ، وَالْمُبَثُ مِنْ (ظ).

(٢) فِي (د) وَ(ز) وَ(ف): تَلْطِيفٌ، وَالْمُبَثُ مِنْ (ظ) وَ(م) وَهُوَ الْمُوَافِقُ لِنَوَادِرِ الْأَصْوَلِ ٢٢٤/١ وَالْكَلَامُ مِنْهُ بِنَحْوِهِ.

(٣) نَوَادِرِ الْأَصْوَلِ ١/٢٢٤.

(٤) فِي (د) وَ(ز): حَقْتَهَا.

(٥) أَخْرَجَهُ ابْنُ عَسَكِرٍ فِي تَارِيخِ دِمْشِقٍ ٨٣/٦٥ - ٨٤، وَالْمُزِيِّ فِي تَهذِيبِ الْكَمالِ ٣٢/٧٠ وَلَيْسَ فِيهِمَا تَسْمِيَةُ السُّورَةِ وَيَزِيدُ بْنُ أَبِيْا: هُوَ الرَّقَاشِيُّ، مِنْ زَقَادِ أَهْلِ الْبَصْرَةِ، قَالَ أَحْمَدُ: كَانَ يَزِيدُ مُنْكَرَ الْحَدِيثِ... وَكَانَ قَاصِاً. تَهذِيبُ الْكَمالِ ٣٢/٦٤ وَمَا بَعْدُهُ، وَمِيزَانُ الْاعْدَالِ ٤/٤١٨.

(٦) فِي إِعْرَابِ الْقُرْآنِ لِهٗ ٢/٢٧١. وَمَا سِيرَدَ بَيْنِ حَاقِصَتَيْنِ مِنْهُ.

(٧) فِي الْكِتَابِ ٣/٤٢.

وكذا إن سَمِّي امرأةً بزيده؛ لأنَّه لِمَا سُكِن وسْطَه خَفَّ فَصُرِفَ، فَإِنْ أَرَدْتَ الحذف؛ صرفت على قول الجميع، فقلت: هذه هودٌ [فاعلُم]؛ وأنت ت يريد سورة هود؛ قال سيبويه<sup>(١)</sup>: والدليلُ على هذا أَنَّك تقول: هذه الرحمن، فلو لا أَنَّك ت يريد: هذه سورة الرحمن؛ ما قلت: هذه.

قوله تعالى: ﴿الَّرُّ كَتَبَ أَنْحِكْتَ مَا يَنْتَهُ مِمْ فَعِلْتَ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَيْرٍ ① أَلَا تَعْبُدُوا إِلَّا اللَّهُ إِنَّقِي لَكُمْ نَذِيرٌ وَبَشِيرٌ ② وَإِنْ أَسْتَقْفُرُوا رَيْكُوْتُ مِمْ ثُوبَا إِلَيْهِ يَتَعَقَّمُ مَنَّعَا حَسَنَا إِنَّ أَجَلَ شَسَنَى وَيَوْتَ كُلَّ ذِي فَقْبِلِ فَضَلَّهُ وَإِنْ تَوَلَّوْ فَلَيْتَ أَخَافَ عَيْكُوْتُ عَدَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ ③ إِلَى اللَّهِ تَرْجِعُكُوْتُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَقٍ وَفَيْرُ ④﴾  
قوله تعالى: ﴿الَّرُّ﴾ تقدُّم القول فيه<sup>(٢)</sup>.

﴿كَتَبَ﴾ بمعنى: هذا كتاب.

﴿أَنْحِكْتَ مَا يَنْتَهُ﴾ في موضع رفع نعتٍ لكتاب. وأحسن ما قيل في معنى «أَنْحِكْتَ آيَاتَهُ» قول قتادة: أي: جعلت محكمَةً كلُّها، لا تخلُّ فيها ولا باطل<sup>(٣)</sup>.  
والإحكامُ: منع القول من الفساد، أي: نظمت نظماً مُحْكَماً؛ لا يلحقها تناقضٌ ولا تخلٌّ<sup>(٤)</sup>.

وقال ابن عباس: أي: لم ينسخها كتاب، بخلاف التوراة والإنجيل<sup>(٥)</sup>. وعلى هذا فالمعنى: أحكم بعض آياته؛ بأنْ جعل ناسخاً غير منسخ. وقد تقدُّم القول فيه<sup>(٦)</sup>.  
وقد يقعُ اسم الجنس على النوع؛ فيقال: أكلت طعام زيد، أي: بعض طعامه<sup>(٧)</sup>.

(١) في الكتاب ٢٥٦ / ٣ - ٢٥٧ .

(٢) في مطلع سورة يونس.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٢٧١ / ٢ ، ومعاني القرآن له ٣٢٨ / ٣ . وأخرج قول قتادة الطبرى ٣١٠ / ١٢ .

(٤) تفسير الرازى ١٧٨ / ١٧ .

(٥) ينظر تفسير البغوى ٣٧٢ / ٢ .

(٦) ١٧ / ٥ .

(٧) قال ابن الجوزي في زاد المسير ٧٤ / ٤ : أحكم بعضها باليان الواضح ومنع الالتباس، فأوقع العموم =

وقال الحسن وأبو العالية: «أَحْكَمْتِ آيَاتَهُ» بالأمر والنهي<sup>(١)</sup>.

«فَمَّا فَصَّلْتَ» بالوعد والوعيد والثواب والعقاب<sup>(٢)</sup>. وقال قتادة: أحكمها الله من الباطل، ثم فصلها بالحلال والحرام<sup>(٣)</sup>. مجاهد: أحكمت جملة، ثم بينت بذكر آية آية بجميع ما يحتاج إليه من الدليل على التوحيد والنبوة والبعث وغيرها<sup>(٤)</sup>. وقيل: جمعت في اللوح المحفوظ، ثم فصلت في التنزيل<sup>(٥)</sup>. وقيل: «فُصِّلت»: أنزلت نجماً نجماً لتشبيه<sup>(٦)</sup>.

وقرأ عكرمة: «فَصَّلْتَ» مخفقاً، أي: حكمت بالحق<sup>(٧)</sup>.

«مِنْ لَدُنْ» أي: من عند «حَكِيمٍ» أي: مُحْكِمٌ للأمور «خَيْرٍ» بكل كائن وغير كائن.

قوله تعالى: «أَلَا تَبْدِلُ إِلَّا اللَّهُ» قال الكسائي والفراء: أي: بأن لا<sup>(٨)</sup>، أي: أحكمت ثم فصلت<sup>(٩)</sup> بألا تبدوا إلا الله. وقال الزجاج<sup>(١٠)</sup>: ثلاثة؛ أي: أحكمت ثم فصلت ثلاثة تبدوا إلا الله. قيل: أمر رسوله أن يقول للناس ألا تبدوا إلا الله<sup>(١١)</sup>.

= على معنى الخصوص، كما تقول العرب: قد أكلت طعام زيد، يعنيون بعض طعامه.

(١) النكت والعيون ٢/٤٥٥ ، وزاد المسير ٤/٧٣ ، وأخرج قول الحسن الطبرى ١٢/٣٠٩ ، وابن أبي حاتم ٦/١٩٩٤ (١٠٦٣٥).

(٢) زاد المسير ٤/٧٤ ونسبة للحسن. وأخرجه الطبرى ١٢/٣٠٩.

(٣) النكت والعيون ٢/٤٥٥ ، وأخرجه الطبرى ١٢/٣١٠ ، وابن أبي حاتم ٦/١٩٩٥ (١٠٦٣٦) (١٠٦٣٩).

(٤) ينظر النكت والعيون ٢/٤٥٦ ، ومعاني القرآن للزجاج ٣/٣٧ ، وزاد المسير ٤/٧٤.

(٥) ينظر تفسير أبي الليث ٢/١١٦ ، وزاد المسير ٤/٧٤.

(٦) في (د) و(ز): ليندر، وفي (ظ): ليتبروا، والمثبت من (ف) و(م). وتنظر المراجع السابقة.

(٧) القراءات الشاذة من ٥٩ ، والمحتب ١/٣١٨.

(٨) إعراب القرآن للتحاس ٢/٢٧٢ ، وينظر معاني القرآن للقراء ٣/٢.

(٩) قوله: ثم فصلت. من (م) و(د).

(١٠) في معاني القرآن له ٣/٣٨ ، وينظر إعراب القرآن للتحاس ٢/٢٧٢.

(١١) النكت والعيون ٢/٤٥٦.

**﴿إِنَّكُمْ لَكُلُّ مِنْهُ﴾** أي: من الله **﴿نَذِيرٌ﴾** أي: مُخوّف من عذابه وسَقطوه لمن عصاه **﴿وَشَيْرٌ﴾** بالرّضوان والجنة لمن أطاعه.

وقيل: هو من قول الله أولاً وآخرأ، أي: لا تبعدوا إلّا الله إبني لكم منه نذير - أي: الله نذير لكم<sup>(١)</sup> - من عبادة غيره، كما قال: **﴿وَيَعْلَمُكُمُ اللَّهُ تَسْكُنُونَ﴾** [آل عمران: ٢٨]. قوله تعالى: **﴿وَإِنْ أَسْتَغْفِرُوا رَبِّكُمْ﴾** عطف على الأول.

**﴿ثُمَّ تُوبُوا إِلَيَّ﴾** أي: ارجعوا إليه بالطاعة والعبادة. وقال الفراء: «ثم» هنا بمعنى الواو، أي: وتوبوا إليه؛ لأن الاستغفار هو التوبة، والتوبة هي الاستغفار<sup>(٢)</sup>.

وقيل: استغفروه من سالف ذنبكم، وتوبوا إليه من المستأنف متى وقعت منكم. قال بعض الصالحاء: الاستغفار بلا إقلالٍ توبة الكاذبين<sup>(٣)</sup>. وقد تقدّم هذا المعنى في «آل عمران» مستوفى<sup>(٤)</sup>. وفي «البقرة» عند قوله: **﴿وَلَا تَنْدِثُوا إِنَّ اللَّهَ هُنْزُونٌ﴾** [الآية: ٢٣١]<sup>(٥)</sup>.

وقيل: إنما قدم ذكر الاستغفار لأن المغفرة هي الغرض المطلوب، والتوبة هي السبب إليها؛ فالمحferred أول في المطلوب وأخر في السبب. ويحتمل أن يكون المعنى: استغفروه من الصغائر، وتوبوا إليه من الكبائر<sup>(٦)</sup>.

**﴿يَتَعَمَّلُكُمْ مَنَعًا حَسَنًا﴾** هذه ثمرة الاستغفار والتوبة، أي: يمتنّكم بالمنافع من سعة الرّزق ورَغْد العيش، ولا يستأصلّكم بالعذاب كما فعل بمن أهلك قبلكم<sup>(٧)</sup>. وقيل:

(١) قوله: أي: الله نذير لكم. ليس في (ظ).

(٢) تفسير البنوي ٢/٣٧٣ ، وزاد المسير ٤/٧٥ .

(٣) النكت والعيون ٢/٤٥٦ .

(٤) ٥/٤٢٤ .

(٥) ٤/١٠١ - ١٠٢ .

(٦) النكت والعيون ٢/٤٥٦ .

(٧) ينظر معاني القرآن للزجاج ٣/٣٨ . والنكت والعيون ٢/٤٥٦ .

**﴿يُعَمِّرُكُمْ﴾**: يُعَمِّرُكم؛ وأصل المتعة: الإطالة، ومنه: أمتَعَ اللَّهُ بِكَ، وَمَتَّعَ<sup>(١)</sup>. وقال سهلُ بن عبد الله: المتعة الحسن: تركُ الخُلُقَ، والإقبالُ على الحق<sup>(٢)</sup>. وقيل: هو القناعةُ بال موجود، وتركُ الحزنِ على المفقود<sup>(٣)</sup>.

**﴿إِلَّا أَجَلُ مُسْكَنٍ﴾** قيل: هو الموت. وقيل: القيمة<sup>(٤)</sup>. وقيل: دخول الجنة. والمتعة الحسن على هذا: وقاية كل مكروره وأمر مخوف، مما يكون في القبر وغيره من أهوال يوم<sup>(٥)</sup> القيمة وذكرها. والأول أظهر؛ لقوله في هذه السورة: **﴿وَتَقُوَّمُ أَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُؤْوَى إِلَيْهِ يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَيْنَكُمْ مَذَارًا وَيَرِدُكُمْ فُؤَادًا إِلَى قَوْمِكُمْ﴾** [الآية: ٥٢]. وهذا ينقطع بالموت، وهو الأجلُ المسمى. والله أعلم.

قال مقاتل: فأبوا فدوا عليهم رسول الله ﷺ، فابتلوا بالقطط سبع سنين، حتى أكلوا العظام المحرقَة والقدر والجيف والكلاب<sup>(٦)</sup>.

**﴿وَرَبُّتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ﴾** أي: يؤتى كل ذي عملٍ من الأعمال الصالحة جزاءً عمله<sup>(٧)</sup>. وقيل: ويؤتى كل من فضل حسناته على سيئاته «فضله»، أي: الجنة، وهي فضل الله<sup>(٨)</sup>. فالكتابية في قوله: «فضله» ترجع إلى الله تعالى<sup>(٩)</sup>. وقال مجاهد: هو ما يحتسبُ الإنسان من كلام يقوله بلسانه، أو عملٍ يعملاه بيده أو رجله، أو ما

(١) غريب القرآن لابن قتيبة ص ٢٠١ ، ومعاني القرآن للتحاسن ٣٢٨/٣ .

(٢) النكت والعيون ٤٥٦/٢ .

(٣) ينظر النكت والعيون ٤٥٦/٢ ، وتفصير البغوي ٣٧٣/٢ .

(٤) النكت والعيون ٤٥٦/٢ ، وزاد المسير ٧٥/٤ .

(٥) لفظ: يوم. من (ظ).

(٦) ذكره أبو الليث في تفسيره ١١٦/٢ ، وذكر نحوه المصنف في تفسير الآية (١٦) من سورة الجن، ولم ينسبه.

(٧) تفسير أبي الليث ١١٦/٢ ونسبة للضحاك.

(٨) الوجيز للواحدي ٣٧٩/١ .

(٩) زاد المسير ٧٥/٤ .

تطوع به من ماله، فهو فضلُ الله يؤتيه ذلك إذا آمن، ولا يتقبله منه إنْ كان كافراً<sup>(١)</sup>.  
**﴿وَإِن تَوَلُوا فَإِنَّ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ كَبِيرٍ﴾** أي: يوم القيمة، وهو كبيرٌ لما فيه من الأهوال. وقيل: اليومُ الكبيرُ: هو يوم بدر وغيره. و﴿تَوَلُوا﴾ يجوز أن يكون ماضياً ويكون المعنى: وإن تولوا فقل لهم: إني أخافُ عليكم. ويجوز أن يكون مستقبلاً حذفت منه إحدى التاءين والمعنى: قل لهم: إن تولوا فإنني أخافُ عليكم<sup>(٢)</sup>.  
قوله تعالى: **﴿إِنَّ اللَّهَ مَرْجِعُكُمْ﴾** أي: بعد الموت. **﴿وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾** من ثوابٍ وعقاب.

قوله تعالى: **﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَتَنَوَّنُ صُدُورُهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ أَلَا جِئَنَ يَسْقَسِّونَ شَيَاهِشُهُنَّ يَعْلَمُ مَا يُشَرِّكُ وَمَا يُعْلَمُ إِنَّهُمْ عَلَيْهِمْ بِذَنَبِ الْأَصْنَارِ﴾**

قوله تعالى: **﴿أَلَا إِنَّهُمْ يَتَنَوَّنُ صُدُورُهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ﴾** أخبر عن معاداة المشركين للنبي ﷺ والمؤمنين، ويظنُّون أنه تخفي على الله أحوالهم. **﴿يَتَنَوَّنُ صُدُورُهُمْ﴾** أي: يطرونهما على عداوة المسلمين، ففيه هذا الحذف، قال ابن عباس: يخفون ما في صدورهم من الشحنة والعداوة، ويظهرون خلافه، نزلت في الأنس بن شرق، وكان رجلاً حلو الكلام حلو المنظر<sup>(٣)</sup>، يلقى رسول الله ﷺ بما يحبّ، وينظري له بقلبه على ما يسوء<sup>(٤)</sup>. وقال مجاهد: **﴿يَتَنَوَّنُ صُدُورُهُمْ﴾**: شگعاً وامتراء<sup>(٥)</sup>. وقال الحسن: يثنونها على ما فيها من الكفر<sup>(٦)</sup>.

وقيل: نزلت في بعض المنافقين، كان إذا مرّ بالنبي ﷺ شئ صدره وظهره، وطأطا

(١) ينظر تفسير مجاهد ١/٢٩٩ ، وتفسير الطبرى ١٢/٣١٤ .

(٢) ينظر المحرر الوجيز ٣/١٥٠ .

(٣) في النسخ: المنطق. والمثبت من المصادر الآتية.

(٤) تفسير البغوي ٢/٣٧٣ . وأسباب التزول للواحدى ص ٢٦٨ وعند الواحدى: يطوى. بدل: ينظري.

(٥) تفسير مجاهد ١/٢٩٩ ، وأخرجه الطبرى ١٢/٣١٧ ، وابن أبي حاتم ٦/١٩٩٩ (١٠٦٥٨).

(٦) النكت والعيون ٢/٤٥٧ ، وزاد المسير ٤/٧٧ ، ونسب فيما إلى مجاهد بدل الحسن.

رأَسَهُ وَغَطَّى وَجْهَهُ، كَيْ لَا يَرَاهُ النَّبِيُّ ﷺ فَيُدْعُوهُ إِلَى الْإِيمَانِ. حُكِيَّ مَعْنَاهُ عَنْ عَبْدِ اللَّهِ ابْنِ شَدَّادٍ<sup>(١)</sup>، فَالْهَاءُ فِي «مِنْهُ» تَعُودُ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ.

وَقَيلَ: قَالَ الْمَنَافِقُونَ: إِذَا أَغْلَقْنَا أَبْوَابِنَا، وَاسْتَغْشَيْنَا ثِيَابِنَا، وَثَبَّنَا صِدْرَنَا عَلَى عَدَاوَةِ مُحَمَّدٍ؛ فَمَنْ يَعْلَمُ بِنَا؟ فَنَزَّلَتِ الْآيَةُ<sup>(٢)</sup>.

وَقَيلَ: إِنَّ قَوْمًا مِنَ الْمُسْلِمِينَ كَانُوا يَتَنَسَّكُونَ بَسْتَرَ أَبْدَانِهِمْ، وَلَا يَكْشِفُونَهَا تَحْتَ السَّمَاءِ، فَبَيْنَ اللَّهِ تَعَالَى أَنَّ التَّنَسُّكَ مَا اشْتَمَلَتْ عَلَيْهِ قُلُوبُهُمْ مِنْ مَعْتَقَدٍ، وَأَظْهَرُوهُ مِنْ قَوْلٍ وَعَمَلٍ<sup>(٣)</sup>.

وَرَوَى ابْنُ جَرِيرٍ<sup>(٤)</sup> عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ عَبَادٍ بْنِ جَعْفَرٍ قَالَ: سَمِعْتُ ابْنَ عَبَاسَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَقُولُ: «أَلَا إِنَّهُمْ تَشْنُونِي صُدُورُهُمْ لِيَسْتَخْفُوا مِنْهُ»<sup>(٥)</sup> قَالَ: كَانُوا لَا يَجَامِعُونَ النِّسَاءَ، وَلَا يَأْتُونَ الْغَائِطَ وَهُمْ يُفَضِّلُونَ إِلَى السَّمَاءِ، فَنَزَّلَتِ هَذِهِ الْآيَةُ.

وَرَوَى غَيْرُ مُحَمَّدٍ بْنِ عَبَادٍ عَنْ ابْنِ عَبَاسٍ: «أَلَا إِنَّهُمْ تَشْنُونِي صُدُورُهُمْ» كَالْأَوَّلِ، وَهُوَ بِغَيْرِ يَاءٍ<sup>(٦)</sup>؛ وَمَعْنَى «تَشْنُونِ»<sup>(٧)</sup> الْقَرَاءَتَيْنِ الْأُخْرَيَيْنِ مُتَقَارِبٍ؛ لِأَنَّهَا لَا تَشْنُونِي

(١) تفسير البغوي ٢/٣٧٣ ، وزاد المسير ٤/٧٦ . وأخرجه سعيد بن منصور (١٠٧٨ - تفسير)، والطبرى ١٢/٣١٦ - ٣١٧ ، وابن أبي حاتم ٦/١٩٩٩ (١٠٦٥٩).

(٢) ذكره الزجاج في معاني القرآن ٣/٣٨ - ٣٩ ، والواحدى في الوسيط ٢/٥٦٤ ، والبغوى ٢/٣٧٣ ، والرَّازى في تفسيره ١٧/١٨٥ . وبنحوه أخرجه الطبرى ١٢/٣١٩ عن قتادة. (وفي بعضها ذكر المشركون، بدل: المنافقون).

(٣) النكت والعيون ٢/٤٥٨ .

(٤) في (م): ابن جرير، وهو خطأ.

(٥) وقع في النسخ الخطية: تشنوي صدورهم - بغير نون بعد الواو في وزن تنطوي - ليستخفوا منه...الخ. والمثبت من إعراب القرآن للنحاس ٢/٢٧٢ ، والكلام منه، وهو المافق لما في صحيح البخاري ١٢/٤٦٨٢ (٤٦٨٢)، وتفسير الطبرى ١٢/٣٢٠ .

(٦) في (م) ونسخة كما في حاشية إعراب القرآن للنحاس ٢/٢٧٢ : «أَلَا إِنَّهُمْ تَشْنُونِي صُدُورُهُمْ» بغير نون بعد الواو، في وزن تنطوي (وهي رواية شاذة أيضاً) والمثبت من النسخ الخطية وهو المناسب لما في إعراب القرآن للنحاس. وقد رويت فيها ألفاظ أخرى شاذة، ينظر المحتسب ١/٣١٩ ، والدر المصنون ٦/٢٨٤ - ٢٨٨ .

(٧) في (م): تشنوي.

حتى يُشْتُوْهَا<sup>(١)</sup> ، وقيل: كان بعضهم يتحمّل على بعض لِيُسَارَةً<sup>(٢)</sup> في الطعن على المسلمين، ويبلغ من جهلهم أن توهّموا أن ذلك يخفى على الله تعالى<sup>(٣)</sup>.  
**«لِيُسْتَخْفُوا»** أي: ليتواروا عنه؛ أي: عن محمدٍ أو عن الله<sup>(٤)</sup>.

**«أَلَا جِئَنَ يَسْتَغْشُونَ بِيَابَسَهُرَ»** أي: يُغطّون رؤوسهم بشبابهم. قال قتادة: أخفى ما يكون العبد إذا حَنَ ظهره، واستغشى ثوبه، وأضمر في نفسه همة<sup>(٥)</sup>.

قوله تعالى: **«وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقْرَرَهَا وَمُسْتَوْدِعَهَا كُلُّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ** ①

قوله تعالى: **«وَمَا مِنْ دَابَّةٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا»** «ما» نفي، و«من» زائدة، و«دَابَّة» في موضع رفع؛ التقدير: وما دابة<sup>(٦)</sup>.

**«إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا»** «على» بمعنى «من»؛ أي: من الله رزقها؛ يدلّ عليه قول مجاهد: كُلُّ ما جاءها من رزقٍ فمن الله<sup>(٧)</sup>. وقيل: «على الله» أي: فضلاً لا وجوباً<sup>(٨)</sup>. وقيل: وعداً منه حقاً - وقد تقدّم بيان هذا المعنى في «النساء»<sup>(٩)</sup> - وأنه سبحانه لا يجب عليه شيء<sup>(١٠)</sup>.

(١) في (ز) (ظ): لأنها لا تنتهي حتى يشنونها، وفي (د) (ز) (ف): لأنها تثنون حتى يشنونها. والمثبت من إعراب القرآن للنحاس.

(٢) في (ظ) (م): يساره، والمثبت من (د) (ز) (ف) وهو الموافق لإعراب القرآن للنحاس ٢/٢٧٢ . والكلام منه.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٢/٢٧٢ - ٢٧٣ .

(٤) زاد المسير ٤/٧٨ .

(٥) الوسيط للواحدي ٢/٥٦٤ ، وزاد المسير لابن الجوزي ٤/٧٨ . وأخرجه العبري ١٢/٣١٩ .

(٦) ينظر مجاز القرآن لأبي عبيدة ١/٢٨٥ ، وإعراب القرآن للنحاس ٢/٢٧٣ .

(٧) الوسيط للواحدي ٢/٥٦٤ - ٥٦٥ ، وقول مجاهد أخرجه العبري ١٢/٣٢٤ .

(٨) زاد المسير ٤/٧٨ .

(٩) ٦/٤٥٠ .

(١٠) ينظر المحرر الوجيز ٣/١٥١ .

«رِزْقُهَا» رفع بالابتداء، وعند الكوفيين بالصفة<sup>(١)</sup>؛ وظاهر الآية العموم، ومعناها الخصوص؛ لأنَّ كثيراً من الدوابَ هَلَكَ قبل أنْ يُرزق. وقيل: هي عامة في كُلُّ دابة<sup>(٢)</sup>، وكُلُّ دابة لم تُرزق رزقاً تعيش به فقد رُزقت رُوحها.

ووجه النظم بما قبل: أَنَّه سبحانه أَخْبَرَ بِرَزْقِ الْجَمِيعِ، وَأَنَّه لَا يَغْفُلُ عَنْ تَرْبِيَتِهِ، فَكِيفَ تَخْفِي عَلَيْهِ أَحْوَالُكُمْ يَا مَعْشَرَ الْكَفَّارِ وَهُوَ يَرْزُقُكُمْ<sup>(٣)</sup>! وَالدَّاَبَّةُ: كُلُّ حَيْوانٍ يَدْبُثُ<sup>(٤)</sup>.

والرِّزْقُ حقيقة: ما يَتَغَذَّى بِهِ الْحَيُّ، وَيَكُونُ فِيهِ بقاءً رُوحِهِ، وَنَمَاءُ جَسَدهِ. وَلَا يجوز أَنْ يَكُونَ الرِّزْقُ بِمَعْنَى الْمِلْكِ؛ لِأَنَّ الْبَهَائِمَ تُرْزَقُ، وَلَيْسَ يَصْحُّ وَصْفُهَا بِأَنَّهَا مَالِكَةُ لَعْلَفَهَا؛ وَهَكُذا الْأَطْفَالُ تُرْزَقُ اللَّبَنَ، وَلَا يَقُولُ: إِنَّ الْلَّبَنَ الَّذِي فِي الثَّدِي مِلْكٌ لِلْطَّفَلِ، وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَوَقَى الْأَنْعَامَ رِزْقَهُ﴾ [الذاريات: ٢٢]، وَلَيْسَ لَنَا فِي السَّمَاءِ مِلْكٌ؛ وَلِأَنَّ الرِّزْقَ لَوْ كَانَ مِلْكًا، لَكَانَ إِذَا أَكَلَ الْإِنْسَانُ مِنْ مِلْكٍ غَيْرِهِ أَنْ يَكُونَ قَدْ أَكَلَ مِنْ رِزْقَ غَيْرِهِ، وَذَلِكَ مَحَالٌ؛ لِأَنَّ الْعَبْدَ لَا يَأْكُلُ إِلَّا رِزْقَ نَفْسِهِ. وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي «الْبَقَرَةِ» هَذَا الْمَعْنَى<sup>(٥)</sup>، وَالْحَمْدُ لِلَّهِ.

وقيل لبعضهم: من أين تأكل؟ فقال: الذي خلق الرَّحْمَى يأتِيها بالظَّهِينَ، والذي شَدَّقَ الأشْدَاقَ هو خالق الأرزاق.

وقيل لأبي أَسِيدٍ: من أين تأكل؟ فقال: سبحان الله، والحمد لله<sup>(٦)</sup>، والله أَكْبَرٌ! إِنَّ اللَّهَ يُرْزُقُ الْكَلْبَ أَفْلَا يُرْزُقُ أَبَا أَسِيدٍ<sup>(٧)</sup>!

(١) إعراب القرآن للنحاس ٢٧٣/٢.

(٢) قوله: في كل دابة. من (د) و(م). وينظر المحرر الوجيز ١٥١/٣.

(٣) ينظر مجمع البيان ١١٩/١٢.

(٤) تفسير البغوي ٣٧٤/٢ ، وزاد المسير ٧٨/٤.

(٥) ٢٧٢/١.

(٦) قوله: والحمد لله من (ظ).

(٧) قوله: إِنَّ اللَّهَ لَيْسَ فِي النُّسُخِ الْخَطِيَّةِ.

(٨) أخرجه الفسوسي في المعرفة والتاريخ ٤٠٢/٢ . وأبو أَسِيدُ هو الغزارِيُّ مِنْ زَعَادِ أَهْلِ دِمْشَقَ . تاريخ دمشق ١٢/٦٦ .

وقيل لحاتم الأصم<sup>(١)</sup>: من أين تأكل؟ فقال: من عند الله؛ فقيل له: الله ينزل لك دنانير ودرارهم من السماء؟ فقال: كأن ما له إلا السماء! يا هذا، الأرض له والسماء له؛ فإن لم يؤتني رزقي من السماء ساقه لي من الأرض؛ وأنشد:

وَكَيْفَ أَخَافُ الْفَقَرَ وَاللَّهُ رَازِقِي  
وَرَازِقُ هَذَا الْخَلْقِ فِي الْعُسْرِ وَالْيُسْرِ  
ثَكَفَلَ بِالْأَرْزَاقِ لِلْخَلْقِ كُلَّهُمْ  
وَلِلضَّبِّ فِي التَّيْدَا وَلِلْحُوتِ<sup>(٢)</sup> فِي الْبَحْرِ<sup>(٣)</sup>

وذكر الترمذى الحكيم في «نواذر الأصول»<sup>(٤)</sup> بإسناده عن زيد بن أسلم: أنَّ الأشعريين - أبا موسى، وأبا مالك، وأبا عامر في نفي منهم - لِمَّا هاجروا قدموا<sup>(٥)</sup> على رسول الله ﷺ في قُلُبِّ<sup>(٦)</sup>، وقد أرْمَلوا من الزاد<sup>(٧)</sup>، فأرسلوا رجلاً منهم إلى رسول الله ﷺ يسألُه، فلما انتهى إلى باب رسول الله ﷺ سمعَه يقرأ هذه الآية: **﴿وَمَا مِنْ دَآبٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ يَرْزُقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْنَقَهَا وَمُسْتَوْدَعَهَا كُلُّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾** فقال الرجل: ما الأشعريون بأهون الدواب على الله؛ فرجع ولم يدخل على رسول الله ﷺ؛ فقال لأصحابه: أبشروا أناكم الغوث، ولا يظنون إلَّا أنه قد كلَّ رسول الله ﷺ فوعده؛ فبينا هم كذلك إذ أتاهم رجالان يحملان قصة بينهما مملوقة خبزاً ولحاماً، فأكلوا منها ما شاؤوا، ثم قال بعضهم لبعض: لو أَنَّا رَدَدْنَا هذا الطعام إلى رسول الله ﷺ ليقضى به حاجته، فقالوا للرجلين: اذهبَا بهذا الطعام إلى رسول الله ﷺ فإنَّا قد قضيَنا

(١) هو أبو عبد الرحمن، حاتم بن عنوان بن يوسف البلخي، له كتاب جليل في الزهد والمواعظ والحكم. توفي سنة (٢٣٧هـ). السير / ١١ - ٤٨٤ .

(٢) في (د) و(ز) و(ف) و(م): والحوت.. والمثبت من (ظ).

(٣) أورد البيتين اليوسى في زهر الأكم في الأمثال والحكم . ٥١ / ٢ .

(٤) ص ٢٥٣ .

(٥) في (م): وقدموا. والمثبت من النسخ، وهو الموافق لنواذر الأصول.

(٦) في النسخ: ذلك. والمثبت من نواذر الأصول، وهو الأوفق مع قصة قدوة أبي موسى الأشعري وقومه من الحبشة إلى المدينة ينظر: صحيح مسلم (٢٥٠٢).

(٧) أرملوا: أي: تفَدَّ زادهم. وأصله من الرَّمْل، لأنَّهم لصقوا بالرَّمْل، كما قيل للغَرِير: التَّرَب. النهاية (رَمْل).

منه حاجتنا، ثم إنهم أتوا رسول الله ﷺ؛ فقالوا: يا رسول الله ما رأينا طعاماً أكثر ولا أطيب من طعام أرسلت به؛ قال: «ما أرسلت إليكم طعاماً». فأخبروه أنّهم أرسلوا صاحبهم، فسألَه رسول الله ﷺ، فأخبره ما صنع، وما قال لهم؛ فقال رسول الله ﷺ: «ذلك شيء رزقُكُمُوه الله».

قوله تعالى: **﴿وَيَعْلَمُ مُسْتَقِرَّهَا﴾** أي: من الأرض حيث تأوي إليه **﴿وَمُسْتَوْدَعَهَا﴾** أي: الموضع الذي تموت فيه فتدفن؛ قاله مفسم عن ابن عباس رضي الله عنهما. وقال الربيع بن أنس: **«مُسْتَقِرَّهَا»**: أيام حياتها، **«وَمُسْتَوْدَعَهَا»**: حيث <sup>(١)</sup> تموت وحيث تُبعث. وقال سعيد بن جبير عن ابن عباس: **«مُسْتَقِرَّهَا»** في الرحم، **«وَمُسْتَوْدَعَهَا»** في الصليب <sup>(٢)</sup>. وقيل: **«يَعْلَمُ مُسْتَقِرَّهَا»** في الجنة أو النار، **«وَمُسْتَوْدَعَهَا»** في القبر؛ يدل عليه قوله تعالى في وصف أهل <sup>(٣)</sup> الجنة وأهل النار: **﴿حَسْنَتْ مُسْتَقِرًا وَمَقَاماً﴾** [الفرقان: ٧٦] و**﴿سَاءَتْ مُسْتَقِرًا وَمَقَاماً﴾** [الفرقان: ٦٦] **﴿كُلُّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾** أي: في اللوح المحفوظ <sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: **﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سَيَّةٍ أَيَّامٍ وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ يَبْلُوكُمْ إِيَّكُمْ أَخْسَنُ عَمَلاً وَلَيْتَ قُلْتَ إِنَّكُمْ تَبْغُونَ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ لِيَقُولَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنَّ هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴾**

قوله تعالى: **﴿وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سَيَّةٍ أَيَّامٍ﴾** تقدّم في **«الأعراف»**<sup>(٥)</sup> بيانه والحمد لله.

**﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾** بين أن خلق العرش والماء قبل خلق الأرض

(١) في النسخ الخطية: حين، والمشتبه من (م) وهو المواقف لتفسير الطبرى.

(٢) أخرج هذه الأقوال الطبرى ١٢ / ٣٢٥ ، ٣٢٧ ، ٤٣٨ / ٩ .

(٣) لفظة: أهل، من (م).

(٤) تفسير البغوى ٢ / ٣٧٤ .

(٥) ٩ / ٢٣٧ .

والسماء. قال كعب: خلق الله ياقوتة خضراء، فنظر إليها بالهيبة، فصارت ماء يرتعد من مخافة الله تعالى؛ فلذلك يرتعد الماء إلى الآن وإنْ كان ساكناً، ثمَّ خلق الريح فجعل الماء على متنها، ثمَّ وَضَعَ العرشَ على الماء<sup>(١)</sup>.

وقال سعيد بن جُبير عن ابن عباس: إنه سُئل عن قوله عزَّ وجَلَّ: **﴿وَكَانَ عَرْشُهُ عَلَى الْمَاءِ﴾** فقال: على أيِّ شيءٍ كان الماء؟ قال: على مَنْ الْرِّيحُ<sup>(٢)</sup>.

وروى البخاري عن عمران بن حصين، قال: إني<sup>(٣)</sup> عند النبي ﷺ إذ جاءه قومٌ من بني تميم، فقال: **﴿إِقْبَلُوا الْبُشْرِيْ يَا بْنِي تَمِيمٍ﴾** قالوا: بَشَّرْتَنَا فَأَعْطِنَا. فدخل ناسٌ من أهل اليمن، فقال: **﴿إِقْبَلُوا الْبُشْرِيْ يَا أَهْلَ الْيَمِنِ، إِذْ لَمْ يَقْبِلُهَا بْنُو تَمِيمٍ﴾**. قالوا: قَبِلْنَا، جثنا لنتفقه في الدِّينِ، ولنسائلك عن أول هذا الأمر ما كان؟ قال: «كان الله ولم يكن شيءٌ قبله<sup>(٤)</sup>، وكان عرشه على الماء، ثمَّ خلق السماوات والأرض، وكتب في الذِّكْرِ كُلَّ شيءٍ». ثم أتاني رجلٌ فقال: يا عمران، أدركْتُ ناقتك فقد ذهبت، فانطلقت أطْلُبُها؛ فإذا السَّرَابُ ينقطع دونها<sup>(٥)</sup>؛ وايُّ الله لَرَوِيَّدُتْ أَنَّهَا قد ذهبت ولم أَفْهَمْ<sup>(٦)</sup>.

قوله تعالى: **﴿إِنَّبْنَكُمْ أَيُّكُمْ أَخْسَنُ عَمَلاً﴾** أي: خلق ذلك ليبني عباده بالاعتبار والاستدلال على كمال قدرته، وعلىبعث. وقال قتادة: معنى **﴿أَيُّكُمْ أَخْسَنُ عَمَلاً﴾**: **أَيُّكُمْ أَتَمُ عَقْلًا**<sup>(٧)</sup>. وقال الحسن وسفيان الثوري: **أَيُّكُمْ أَزَهَدَ فِي الدُّنْيَا**<sup>(٨)</sup>.

(١) ذكره البغوي في تفسيره ٣٧٤ / ٢ ، والخبر من الإسرائيليات التي يرويها كعب.

(٢) أخرجه الطبرى ١٢ / ٣٣٣ - ٣٣٤ .

(٣) في (م) و(د): كنت، والمثبت من (ظ)، وهو المافق لما في صحيح البخاري.

(٤) في (م): غيره.

(٥) وقع في (م): فإذا هي يقطع دونها السراب.

(٦) صحيح البخاري ٧٤١٨ ، وهو عند أحمد ١٩٨٧٦ .

(٧) أخرجه ابن أبي حاتم ٢٠٠٦ / ٦ (١٠٧٠٨).

(٨) زاد المسير ٧٩ / ٤ ، والنكت والعيون ٤٥٩ / ٢ ، وأخرج قول سفيان ابن أبي حاتم ٢٠٠٦ / ٦ (١٠٧٠٧) .

وذكر أنَّ عيسى عليه السلام مرَّ بِرجلٍ نائم فقال: يا نائم، قُمْ فتَبَعِّذْ، فقال: يا رُوحَ الله قد تَبَعَّذْتُ، فقال: وما<sup>(١)</sup> تَبَعَّذْتَ؟ قال: قد تركت الدنيا لأهليها. قال: نَمْ، فقد فُقِّتَ العابدين<sup>(٢)</sup>.

الضَّحَاكُ: أَيُّكُمْ أَكْثَرُ شَكْرًا<sup>(٣)</sup>. مقاتلُ: أَيُّكُمْ أَنْقَى لِللهِ. ابن عباسُ: أَيُّكُمْ أَعْمَلُ بِطَاعَةِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ<sup>(٤)</sup>.

ورُوِيَّ عن ابن عمر أنَّ النَّبِيَّ ﷺ تلا: «أَيُّكُمْ أَخْسَنُ عَمَلًا» قال: «أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَقْلًا، وأَوْرَعُ عن مُحَارَمِ اللهِ، وأَسْرَعُ فِي طَاعَةِ اللهِ»<sup>(٥)</sup> فجمع الأقاويل كُلُّها، وسيأتي في «الكهف» هذا أيضًا إِنْ شاءَ اللهُ تَعَالَى<sup>(٦)</sup>. وقد تقدَّمَ معنى الابتلاء<sup>(٧)</sup>.

«وَلَئِنْ قُلْتَ إِنَّكُمْ مَبْعُوثُونَ» أي: دللتُ يا مُحَمَّدًا عَلَى البعثِ ﴿مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ﴾ وذكرتَ ذلك للمشركين لقالوا: هذا سحر. وكُسرتْ «إِنْ» لأنَّها بعد القول مبتدأة. وحَكَى سَيِّدُهُمُ الْفَتْح<sup>(٨)</sup>.

«يَقُولُنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا هُمْ فُتَحَتُ الْأَلَامُ [التي قبل النون] لَأَنَّهُ فَعَلَّ مُتَقَدِّمٌ لَا ضَمِيرٌ فِيهِ، وَيَعْدُهُ «يَقُولُنَّ» لَأَنَّ فِيهِ ضَمِيرًا<sup>(٩)</sup>.

(١) في (م): ويم.

(٢) أخرجه أبو نعيم في حلية الأولياء ٤٠٦ / ١٠ بنحوه.

(٣) النكت والعيون ٤٥٩ / ٢.

(٤) زاد المسير ٧٩ / ٤.

(٥) أخرجه الطبرى ١٢ / ٣٣٥ ، وابن أبي حاتم ٦ / ٢٠٠٦ (١٠٧٠٥) والحاarith بن أبيأسامة في مسنده (٨٣١) عن داود بن المحبّر، عن عبد الواحد بن زياد، عن كلبيـن وائلـ، عن ابن عمرـ، بهـ. قالـ الحافظ ابن حجر في الكافي الشافـ من ٨٦ : داود ساقطـ.

(٦) عند تفسير الآية: ٧ منها.

(٧) ٨٨ / ٢ - ٨٩ .

(٨) إعراب القرآن للنحاس ٢ / ٢٧٣ .

(٩) إعراب القرآن للنحاس ٢ / ٢٧٣ . وما بين حاصلتين منهـ.

و**﴿سَعْرٌ﴾** أي: غرورٌ باطل، لبطلان السحر عندهم<sup>(١)</sup>. وقرأ حمزة والكسائي: **«إِنْ هَذَا إِلَّا سَاحِرٌ مُّبِينٌ»**<sup>(٢)</sup> كناية عن النبي ﷺ.

قوله تعالى: **«وَلَيْسَ أَخْرَنَا عَنْهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ أَنْتَ مَعْذُوذٌ لَّيَقُولُنَّ مَا يَحِشُّهُمْ وَلَا يَوْمَ يَأْتِيهِمْ لَيْسَ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهِنُونَ** ﴿٦﴾

قوله تعالى: **«وَلَيْسَ أَخْرَنَا عَنْهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ أَنْتَ مَعْذُوذٌ**

اللام في «أَنْتَ» للقسم<sup>(٣)</sup> والجواب: **«لَيَقُولُنَّ»**. ومعنى **«إِلَى أُمَّةٍ»**: إلى أجلٍ محدود، وحين معلوم؛ فالآمة هنا المدّة؛ قاله ابن عباس ومجاهد وقتادة وجمهور المفسّرين<sup>(٤)</sup>. وأصل الآمة: الجماعة؛ فعبر عن العين والسنين بالأمة، لأنّ الأمة تكون فيها<sup>(٥)</sup>. وقيل: هو على حذف المضاف؛ والمعنى: إلى مجيء أمة ليس فيها من يؤمن، فيستحقون الهلاك. أو: إلى انفراط أمة فيها من يؤمن، فلا يبقى بعد انفراطها من يؤمن<sup>(٦)</sup>.

والأمة اسم مشترك يقال على ثمانية أوجه: فالآمة تكون: الجماعة؛ كقوله تعالى: **«وَرَجَدَ عَلَيْهِ أُمَّةٌ بَنَى النَّاسِ**

[القصص: ٢٣]. والأمة أيضاً: أتباع الأنبياء عليهم السلام. والأمة: الرجلُ الجامِع للخير، الذي يقتدي به؛ كقوله تعالى: **«إِنَّ رَهِيمَةً كَانَ أَمَّةً فَانْشَأَ لَهُ حَيَّنَا**

[bالنحل: ١٢٠]. والأمة: الدين والميلة؛ كقوله تعالى: **«إِنَّا وَجَدْنَا مَابَأَتْنَا عَلَى أَنْتَرَهُ**
[bالزخرف: ٢٢]. والأمة: العينُ والزمان؛ كقوله تعالى: **«وَلَيْسَ أَخْرَنَا عَنْهُمُ الْعَذَابُ إِنَّ أَنْتَ مَعْذُوذٌ**
[bهود: ٨]، وكذلك قوله تعالى: **«وَادْكُرْ بَعْدَ**
[bيوسف: ٤٥]، والأمة: القامة، وهو طول الإنسان وارتفاعه؛ يقال من ذلك:

(١) ينظر معاني القرآن للزجاجج ٤٠ / ٣ .

(٢) السبعة ص ٢٤٩ ، والتيسير ص ١٠١ .

(٣) في (ز) (ظ): لام القسم، وينظر المحرر الوجيز ١٥٣ / ٣ .

(٤) أخرج قولهم الطبرى ١٢ / ٣٣٧ - ٣٣٨ .

(٥) ينظر النكت والعيون ٤٦٠ / ٢ .

(٦) ينظر النكت والعيون ٤٦٠ / ٢ ، وزاد المسير ٤ / ٨٠ .

فَلَانْ حَسْنُ الْأُمَّةِ، أَيْ : الْقَامَةُ. وَالْأُمَّةُ : الرَّجُلُ الْمُنْفَرِدُ بِدِينِهِ وَحْدَهُ، لَا يُشَرِّكُ فِيهِ أَحَدٌ؛ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ : «يُبَعَثُ زِيدٌ بْنُ عَمْرُو بْنُ نُفَيْلٍ أُمَّةً وَحْدَهُ»<sup>(١)</sup>. وَالْأُمَّةُ : الْأُمَّةُ؛ يُقَالُ : هَذِهِ أُمَّةٌ زِيدٌ؛ يَعْنِي : أُمَّةُ زِيدٍ<sup>(٢)</sup>.

﴿لَيَتُولُّنَّ مَا يَتَحِسَّهُ﴾ يَعْنِي : الْعَذَابُ؛ وَقَالُوا هَذَا إِمَّا تَكْذِيْبًا لِلْعَذَابِ لِتَأْخِرِهِ عَنْهُمْ، أَوْ اسْتِعْجَالًا وَاسْتِهْزَاءً، أَيْ : مَا الَّذِي يَحْبِسُهُ عَنَّا<sup>(٣)</sup>.

﴿إِلَّا يَوْمَ يَأْتِيهِنَّ لَنَسَّ مَصْرُوفًا عَنْهُمْ﴾ قَيْلُ : هُوَ قَتْلُ الْمُشْرِكِينَ بِبَدْرٍ؛ وَقَتْلُ جَبَرِيلَ الْمُسْتَهْزِئِينَ عَلَى مَا يَأْتِي<sup>(٤)</sup>.

﴿وَتَحَافَّ بِهِمْ﴾ أَيْ : نَزَلَ وَأَحْاطَ ﴿مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ﴾ أَيْ : جَزَاءُ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ، وَالْمُضَافُ مَحْذُوفٌ.

قُولُهُ تَعَالَى : «وَلَيْنَ أَذَقْنَا الْإِنْسَنَ مِنَ رَحْمَةِ ثُمَّ نَزَعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ لَيَعُوْشُ كَفُورٌ ⑯ وَلَيْنَ أَذَقْنَاهُ نَعْمَاءَ بَعْدَ ضَرَّاءَ مَسَّنَهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ السَّيْقَانُ عَنِّيْ إِنَّهُ لَفَرِيقٌ فَهُوَرٌ ⑰ إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَيْرٌ ⑱»

قُولُهُ تَعَالَى : «وَلَيْنَ أَذَقْنَا الْإِنْسَنَ مِنَ رَحْمَةِ﴾ الْإِنْسَانُ اسْمُ شَائِعٌ لِلْجِنْسِ فِي جَمِيعِ الْكُفَّارِ<sup>(٥)</sup>. وَيُقَالُ : إِنَّ الْإِنْسَانَ هُنَّا : الْوَلِيدُ بْنُ الْمُغَيْرَةِ، وَفِيهِ نَزْلَتْ. وَقَيْلُ : فِي

(١) أَخْرَجَهُ الْإِمامُ أَحْمَدُ (١٦٤٨) مِنْ طَرِيقِ نَعْمَلِيْنَ بْنِ هَشَامَ بْنِ سَعِيدَ بْنِ زِيدَ بْنِ عَمْرُو بْنِ نَفِيلٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِهِ، وَأَوْرَدَهُ الْهَيْشَمِيُّ فِي مَجْمِعِ الزَّوَافَدِ ٤١٧/٩ وَقَالَ : فِيهِ الْمَسْعُودِيُّ وَقَدْ اخْتَلَطَ، وَبِقِيَّةِ رَجَالِهِ ثَقَاتٌ.

(٢) نَزْهَةُ الْقُلُوبِ لِلْسُّجَسْتَانِيِّ صِ ١١٣ .

(٣) النَّكْتُ وَالْعَيْنُونَ ٤٦٠/٢ .

(٤) عَنْ تَفْسِيرِ الْآيَةِ : ٩٥ مِنْ سُورَةِ الْحَجَرِ.

(٥) قَالَ الرَّجَاجُ فِي مَعْنَى الْقُرْآنِ ٤١/٣ : وَالْإِنْسَانُ اسْمُ لِلْجِنْسِ فِي مَعْنَى النَّاسِ اهـ. وَقَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ فِي الْمَحْرُرِ الْوَجِيزِ ١٥٣/٣ : وَقَالَ بَعْضُ النَّاسِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ ﴿الْإِنْسَنُ﴾ إِنَّمَا يَرَادُ بِهِ الْكَافِرُ، وَحَمَلَهُ عَلَى ذَلِكَ لِفَظَةِ ﴿كَثُورٌ﴾ وَهَذَا عِنْدِي مَرْدُودٌ، لَأَنَّ صَفَةَ الْكَافِرِ لَا تَطْلُقُ عَلَى جَمِيعِ النَّاسِ كَمَا تَقْتَضِي لِفَظَةِ ﴿الْإِنْسَان﴾.

عبد الله بن أبي <sup>(١)</sup> أمية المخزومي <sup>(٢)</sup>. «رَحْمَةً» أي: نعمة.

«ثُمَّ تَرْعَنَهَا مِنْهُ» أي: سلبناه إياها **﴿إِنَّهُ لَيَتُوْس﴾** أي: آيس <sup>(٣)</sup> من الرحمة  
«كَفُورٌ» للنعم؛ جاحد لها؛ قاله ابن الأعرابي.

النحاس <sup>(٤)</sup>: «لَيَتُوْسُ» من يَئِسَ يَئِسَ، وحكى سيبويه <sup>(٥)</sup>: يَئِسَ يَئِسَ على فعل يَفْعِلُ، ونظيره: حَسِبَ يَخْسِبُ، وَتَعْمَ يَنْعِمُ، وَبَيْسَ يَبْيَسُ <sup>(٦)</sup>. وبعضهم يقول: يَئِسَ يَئِسُ <sup>(٧)</sup>؛ لا يعرف في الكلام <sup>(٨)</sup> إلا هذه الأربعة الأحرف من السالم جاءت على فعل يَفْعِلُ <sup>(٩)</sup>؛ وفي واحد منها اختلاف. وهو يَئِسَ، وَبَيْسَ على التكثير؛ كفخور، للمبالغة.

قوله تعالى: **﴿وَلَيْسَ أَذْقَنَهُ نَعْمَةً﴾** أي: صحة ورخاء وسعة في الرزق **﴿بَعْدَ ضَرَّةً مَسْتَهْ﴾** أي: بعد ضر وشد **﴿لَيَتُولَّ ذَهَبَ الْسَّيْنَاتِ عَنِ﴾** أي: الخطايا التي

(١) لفظة: أبي، من (م)، وهو الموافق لما في الوسيط للواحدى. وعبد الله بن أبي أمية المخزومي، أبو سلمة أم المؤمنين، كان شديداً على المسلمين قبل إسلامه، ثم أسلم فكانت له صحبة، ينظر الإصابة . ١١/٥

(٢) الوسيط للواحدى ٥٦٦ / ٢.

(٣) في (م): يائس.

(٤) في إعراب القرآن ٢ / ٢٧٣ - ٢٧٤ .

(٥) في الكتاب ٤ / ٥٤ .

(٦) في النسخ: يَسَ بِيَسَ، بِالْيَاهِ، وَهُوَ تَكْرَارُ، وَالْمُبَثَّتُ مِنْ إِعْرَابِ الْقُرْآنِ لِلنَّحَاسِ، وَيَنْظَرُ أَدْبُ الْكَاتِبِ ٤٨٣ وَالْكَامِلُ لِلْمَبْرَدِ ٢ / ٧٥٤ .

(٧) كذا في النسخ، وفي إعراب القرآن للنحاس: يَئِسَ بِيَسَ، وليسا بمرادتين في هذا السياق. ولعل الصواب: يَسَ بِيَسُ، فقد ذكره سيبويه في الكتاب ٤ / ٥٤ نقلأً عن بعض العرب قال: فخذلوا الياء من يَفْعِلُ لاستقبال الياءات هنا مع الكسرات. أه أو أن الصواب: يَسَ بِيَسَ، كما نقل الزبيدي في تاج العروس (يَسَ) عن المبرد أن منهم من يُدلُّ في المستقبل من الياء الثانية ألفاً.

(٨) في (م): الكلام العربي.

(٩) وأورد ابن السيد في الاقتضاب ص ٢٣٢ أيضاً: يَسَ بِيَسَ، وعلى هذا تكون الأفعال الشاذة من الصحيح من باب فعل يَفْعِلُ ويفعل: خمسة، كما ذكر.

تسوء صاحبها من الضرر والفقر<sup>(١)</sup>.

**﴿إِنَّمَا لِفَرْجٍ فَخُورٌ﴾** أي: يفرح ويفخر بما ناله من السَّعَة، وينسى شكر الله عليه؛  
يقال: **يدخلُّ فاخرًا**: إذا افتخر، وفخور للبالغة.

قالٌ يعقوب القاري: وقرأ بعض أهل المدينة: «الْفَرُّخُ» بضم الراء<sup>(٢)</sup>، كما يقال: رجلٌ فَطْنٌ وَحَذْرٌ وَنَدْسٌ. ويجوز في كلتا اللغتين الإسكان لِثقل الضمة، والكسرة<sup>(٣)</sup>. قوله تعالى: ﴿إِلَّا الَّذِينَ صَبَرُوا﴾ يعني المؤمنين، مدحهم بالصبر على الشدائـد. وهو في موضع نصب. قال الأخفش<sup>(٤)</sup>: هو استثناء ليس من الأول؛ أي: لكن الذين صبروا وعملوا الصالحات في حالي النعمة والمحنة. وقال الفراء<sup>(٥)</sup>: هو استثناء من «ولَيْسَ أَذْفَنَاهُ» أي: من «الإنسان»، فإنَّ الإنسان بمعنى النَّاسِ<sup>(٦)</sup>، والناس: يشمل الكافر والمؤمن؛ فهو استثناء متصل وهو حسن.

﴿أَوْلَئِكَ لَهُم مَّغْفِرَةٌ﴾ ابتداء وخبر ﴿وَأَجْرٌ﴾ معطوف ﴿كَيْرٌ﴾ صفة.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا كَانَ تَارِكُهُ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَضَائِقٌ بِهِ صَدَرَكَ أَنْ يَقُولُوا لَزَلَّا أُنْزَلَ عَلَيْهِ كَذُرٌ أَوْ جَاهَةٌ مَعْمَلٌ مَكٌ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكَفِيلٌ ۝ أَمْ يَقُولُونَ أَنْقَرَهُ قُلْ فَأَنْتُمْ بِعَشَرٍ سُورٍ وَشَلِّهُ مُفْتَرِيَتٍ وَأَدْعُوا مِنْ أَسْتَطْعَمْتُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُثُرْ مَسْدِيقَنَ﴾

قوله تعالى: ﴿فَلَعْلَكَ تَأْرِكُ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ﴾ أي: فلعلك لعظيم ما تراه منهم من الكفر والشكريب تتوهم أنهم يُزيلونك عن بعض ما أنت عليه<sup>(٧)</sup>.

(١) ينظر الوسيط للواحدى ٥٦٦ / ٢.

(٢) القواعد الشاذة ص ٥٩.

(٣) إعراب القرآن للنحاس، ٢٧٤ / ٢.

(٤) في معاني القرآن له ٥٧٥ / ٢ . وهو قول الزجاج أيضاً في معاني القرآن له ٤١ / ٣ .

(٥) في معانٍ القرآن له ٤ / ٢ - ٥

(٦) إعراب القرآن للنحاس ٢٧٤ / ٢ ، وعنه نقل المصنف كلام الأخشن والفراء.

(٧) في (ز): فيه، وفي هامشها: ما أمرت به. وينظر الوسيط للواحدي ٥٦٦/٢، وفيه: ما أنت عليه من أمر ربك.

وقيل: إنهم لما قالوا: ﴿لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَذُورٌ أَوْ جَكَّةٌ مَعْتَمَةٌ مَلَكٌ﴾ هم أن يدع سبّ آهتهم، فنزلت هذه الآية.

فالكلام معناه الاستفهام؛ أي: هل أنت تارك ما فيه سبّ آهتهم، كما سألك؟ وتأكد عليه الأمر في الإبلاغ؛ كقوله: ﴿بِيَأْيَهَا أَرْسَلْنَا بِنَعْ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ﴾ [المائدة: ٦٧].

وقيل: معنى الكلام النفي مع استبعاد، أي: لا يكون منك ذلك، بل يبلغهم كلّ ما أُنْزِلَ إِلَيْكَ؛ وذلك أنّ مشركي مكّة قالوا للنبي ﷺ: لو أتيتنا بكتابٍ ليس فيه سبّ آهتنا لاتبعناك، فهو النبي ﷺ أن يدع سبّ آهتهم؛ فنزلت<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَضَرَّبَ بِهِ صَدْرُكَ﴾ عطف على «تارك»، و«صدرك» مرفوع به<sup>(٢)</sup>، والهاء في «به» تعود على «ما»، أو على «بعض»<sup>(٣)</sup>، أو على التبلیغ، أو التکذیب<sup>(٤)</sup>. وقال: «ضَرَّبَ» ولم يقل: ضيق، ليشاكل «تارك» الذي قبله؛ ولأنّ الضائق عارض، والضيق أ Zimmerman منه<sup>(٥)</sup>.

﴿أَنْ يَقُولُوا﴾ في موضع نصب، أي: كراهيّة أن يقولوا<sup>(٦)</sup>؛ أو: لئلا يقولوا؛ كقوله: ﴿بَيِّنَ اللَّهُ لَكُمْ أَنْ تَعْصِيُوا﴾ [النساء: ١٧٦] أي: لئلا يتضلّوا. أو: لأنّ يقولوا<sup>(٧)</sup>.

﴿لَوْلَا﴾ أي: هلّا ﴿أُنْزِلَ عَلَيْهِ كَذُورٌ أَوْ جَكَّةٌ مَعْتَمَةٌ مَلَكٌ﴾ يُصدّقه؟ قاله عبد الله بن

(١) ينظر الوسيط للواحدی ٥٦٦ / ٢.

(٢) إعراب القرآن للتحاسن ٢٧٤ / ٢.

(٣) المحرر الوجيز ١٥٤ / ٣.

(٤) ينظر الدر المصنون ٢٩٤ / ٦.

(٥) ينظر المحرر الوجيز ١٥٤ / ٣، وفيه: لأنّه وصف لازم.

(٦) إعراب القرآن للتحاسن ٢٧٤ / ٢.

(٧) ينظر إملاء ما من به الرحمن (بحاشية الفتوحات الإلهية) ٣ / ٢٦١ ، والدر المصنون ٦ / ٢٩٤.

أبي أمية بن المغيرة المخزومي<sup>(١)</sup>؛ فقال الله تعالى: يا محمد ﷺ إِنَّمَا أَنْتَ نَذِيرٌ: إنما عليك أن تُنذرهم، لا بأن تأتيهم بما يقتربونه من الآيات<sup>(٢)</sup> وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ وَكَفِيلٌ أي: حافظ وشهيد.

قوله تعالى: **﴿أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَيْهُ﴾** «أم» بمعنى بل، وقد تقدم في «يونس»<sup>(٣)</sup>؛ أي: قد أزحْتَ عِلْتَهُمْ وَاسْكَالَهُمْ فِي نِبَوَتِكَ بِهَذَا الْقُرْآنِ، وَحَجَجْتَهُمْ بِهِ، فَإِنْ قَالُوا: أَفْتَرَيْهِ - أي: اختلقَتْهُ - فَلِيأْثُو بِمِثْلِهِ مُفْتَرِّي بِزَعْمِهِمْ **﴿وَادْعُوا مَنْ أَسْتَطَعْتُمْ بِنِ دُونِ اللَّهِ﴾** أي: من الكهنة والأعوان.

قوله تعالى: **﴿فَإِنَّمَا يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ يَعْلَمُ اللَّهُ وَأَنَّ لَآءَ اللَّهِ إِلَّا هُوَ فَهُلْ أَنْشَدَ مُسْلِمُونَ﴾**

قوله تعالى: **﴿فَإِنَّمَا يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾** أي: في المعارضة، ولم تنهِا لهم، فقد قامت عليهم الحجة<sup>(٤)</sup>؛ إذ هم اللُّذُنُ الْبَلْغَاءُ، وأصحابُ الْأَلْسِنِ الْفُصَحَاءُ **﴿فَاعْلَمُوا أَنَّمَا أُنْزِلَ يَعْلَمُ اللَّهُ﴾** واعلموا صدقَ محمد ﷺ **﴿وَإِنْ لَآءَ اللَّهِ إِلَّا هُوَ فَهُلْ أَنْشَدَ مُسْلِمُونَ﴾** استفهامٌ معناه الأمر<sup>(٥)</sup>. وقد تقدم القول في معنى هذه الآية، وأنَّ القرآن معجزٌ، في مقدمة الكتاب<sup>(٦)</sup>، والحمد لله.

وقال: **﴿قُلْ فَأَتُؤْمِنُ﴾** وبعده: **﴿فَإِنَّمَا يَسْتَجِيبُوا لَكُمْ﴾** ولم يقل: لك؛ فقيل: هو على تحويل المخاطبة من الإفراد إلى الجمع، تعظيمًا وتفخيمًا؛ وقد يُخاطب الرئيس بما يُخاطب به الجماعة<sup>(٧)</sup>.

(١) تفسير البغوي ٣٧٦/٢.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٤١/٣ والوسط للواحدي ٥٦٦/٢.

(٣) ٣٤٤/٨.

(٤) ينظر الوسيط ٥٦٧/٢.

(٥) الوسيط للواحدي ٥٦٧/٢ ، وتفسير البغوي ٣٧٦/٢.

(٦) ١١٢/١.

(٧) ينظر تفسير الطبرى ١٢/٣٤٦ ، واعراب القرآن للنحاس ٢٧٥/٢ ، وزاد المسير ٤/٨٣ .

وقيل: الضمير في «لَكُمْ»، وفي «فَاعْلَمُوا» للجميع؛ أي: فليعلم الجميع **﴿أَنَّا أَنْزَلْنَا عِلْمًا لِّلْهُو﴾** قاله مجاهد<sup>(١)</sup>.

وقيل: الضمير في «لَكُمْ»، وفي «فَاعْلَمُوا» للمشركين، والمعنى: فإن لم يستجب لكم من تدعونه إلى المعاونة، ولا تهياًث لكم المعارضة **﴿فَاعْلَمُوا أَنَّا أَنْزَلْنَا عِلْمًا لِّلَّهِ﴾**<sup>(٢)</sup>.

وقيل: الضمير في «لَكُمْ» للنبي ﷺ وللمؤمنين، وفي «فَاعْلَمُوا» للمشركين<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: **«مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَرَيَّنَاهَا فُوقَ إِنْتَهَىَ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُنَّ فِيهَا لَا يُبَخِّسُونَ** ﴿١٦﴾

فيه ثلاثة مسائل:

الأولى: قوله تعالى: **«مَنْ كَانَ**» كان زائدة، ولهذا جزم بالجواب فقال:  
**«فُوقَ إِنْتَهَىَ** ﴿الفراء﴾ قاله الفراء<sup>(٤)</sup>. وقال الزجاج<sup>(٥)</sup>: «من كَانَ» في موضع جزم بالشرط،  
 وجوابه: **«فُوقَ إِنْتَهَىَ**» أي: من يُكْنَى ب يريد؛ والأول في اللفظ ماضٍ، والثاني مستقبل،  
 كما قال زهير:

**وَمَنْ هَابَ أَسْبَابَ الْمَنَابِ يَنْتَلِهُ**<sup>(٦)</sup> **وَلَوْ رَامَ أَسْبَابَ السَّمَاءِ بِسُلْمٍ**  
 واختلف العلماء في تأويل هذه الآية: فقيل: نزلت في الكُفَّار؛ قاله الضحاك،

(١) لم تلف علىه، وينظر المحرر الوجيز ١٥٩/٤.

(٢) ينظر تفسير الطبرى ١٢/٣٤٥ ، وتنوير الرازى ١٧/١٩٦.

(٣) ذكره الطبرى في تفسيره ١٢/٣٤٥ وقال: وذلك تأويلٌ بعيدٌ من المفهوم.

(٤) في معانى القرآن له ٥/٢ . وقال في البحر المحيط ٥/٢١٠ : ولعله لا يصح، إذ لو كانت زائدة لكان فعل الشرط « يريد»، وكان يكون مجزوًما. اهـ وينظر الدر المصنون ٦/٢٩٦.

(٥) لم تلف علىه في معانى القرآن له، وهو في إعراب القرآن للتحاسن ٢/٢٧٥.

(٦) في (م): ومن هاب أسباب المنية يلقها. والمثبت من (د) و(ز) و(ظ) وهو الموافق للمصادر.

(٧) الشطر الثاني سقط من (ز) (ظ)، والبيت في ديوان زهير ص ٣٠ ، قال شارحة ثعلب: أي: من هاب أسباب المنية يلقها، وأسباب السماء: نواحيها ووجوهاها. يقول: من اتقى الموت لقيه.

واختاره النحاس<sup>(١)</sup>؛ بدليل الآية التي بعدها «أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا أَثْنَاءُ». أي: مَنْ أتَى مِنْهُمْ بِصَلَةِ رَجْحٍ أَوْ صَدْقَةٍ، نَكَافِهُ بِهِ<sup>(٢)</sup> فِي الدُّنْيَا، بِصَحةِ الْجَسْمِ، وَكُثْرَةِ الرِّزْقِ، لَكُنْ لَا حَسْنَةَ لَهُ فِي الْآخِرَةِ<sup>(٣)</sup>. وَقَدْ تَقدَّمَ هَذَا الْمَعْنَى فِي «بِرَاءَةٍ»<sup>(٤)</sup> مُسْتَوْفَىً.

وَقِيلَ: الْمَرَادُ بِالْآيَةِ الْمُؤْمِنُونَ، أَيْ: مَنْ أَرَادَ بِعَمَلِهِ ثَوَابَ الدُّنْيَا؛ عَجَّلَ لَهُ الْثَوَابُ، وَلَمْ يُنَقُصْ شَيْئًا فِي الدُّنْيَا، وَلَهُ فِي الْآخِرَةِ العِذَابُ، لَأَنَّهُ جَرَدَ قَصْدَهُ إِلَى الدُّنْيَا<sup>(٥)</sup>، وَهَذَا كَمَا قَالَ<sup>ﷺ</sup>: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ»<sup>(٦)</sup> فَالْعَبْدُ إِنَّمَا يُعَطَى عَلَى وَجْهِ قَصْدَهُ، وَيُحْكَمُ ضَمِيرُهُ؛ وَهَذَا أَمْرٌ مُتَقَعِّدٌ عَلَيْهِ فِي الْأَمْمِ بَيْنَ كُلِّ مَلَةٍ<sup>(٧)</sup>.

وَقِيلَ: هُوَ لِأَهْلِ الرِّيَاءِ<sup>(٨)</sup>؛ وَفِي الْخَبَرِ أَنَّهُ يُقَالُ لِأَهْلِ الرِّيَاءِ: صَمَّتُمْ، وَصَلَّيْتُمْ، وَتَصَدَّقَتُمْ، وَجَاهَدْتُمْ، وَقَرَأْتُمْ، لِيَقَالَ ذَلِكَ، فَقَدْ قِيلَ ذَلِكَ، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ هُؤُلَاءِ أُولُو مِنْ سُعَّرَ بِهِمُ النَّارِ»، رَوَاهُ أَبُو هُرَيْرَةَ، ثُمَّ بَكَى بِكَاءً شَدِيدًا، وَقَالَ: صَدَقَ رَسُولُ اللَّهِ<sup>ﷺ</sup>، قَالَ اللَّهُ تَعَالَى: «مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَرِزْقَهَا» وَقَرَا الْآيَتَيْنِ، خَرَجَهُ مُسْلِمٌ فِي «صَحِيحِهِ» بِمَعْنَاهُ، وَالترْمِذِيُّ أَيْضًا<sup>(٩)</sup>.

وَقِيلَ: الْآيَةُ عَامَّةٌ فِي كُلِّ مَنْ يَنْوِي بِعَمَلِهِ<sup>(١٠)</sup> غَيْرُ اللَّهِ تَعَالَى، كَانَ مَعَهُ أَصْلُ إِيمَانِهِ.

(١) فِي مَعْنَى الْقُرْآنِ لِهِ ٣٣٥ / ٣. وَأَخْرَجَ قَوْلُ الصَّحَّاحَ الْعَبْرِيِّ ٣٤٩ / ١٢ - ٣٥٠ .

(٢) فِي (م): بِهَا.

(٣) يَنْظُرُ زَادَ الْمَسِيرَ لِابْنِ الْجُوزِيِّ ٨٤ / ٤ .

(٤) ٢٣٦ / ١٠ .

(٥) أَخْرَجَ الطَّبَرِيُّ نَحْوَهُ ٣٤٨ / ١٢ عَنْ أَبِنِ عَبَّاسٍ، وَسَعِيدِ بْنِ جَبَيرٍ، وَذَكَرَهُ أَبْنُ الْجُوزِيِّ فِي زَادِ الْمَسِيرِ ٨٤ / ٤ عَنْ أَبِنِ عَبَّاسٍ.

(٦) سَلْفٌ ٢٧٠ / ٣ .

(٧) أَحْكَامُ الْقُرْآنِ لِابْنِ الْعَرَبِيِّ ١٠٤٤ / ٣ .

(٨) أَحْكَامُ الْقُرْآنِ لِابْنِ الْعَرَبِيِّ ١٠٤٤ / ٣ ، وَذَكَرَهُ أَبْنُ الْجُوزِيِّ فِي زَادِ الْمَسِيرِ ٤ / ٨٤ وَقَدْ نَسَبَ لِمُجَاهِدٍ.

(٩) صَحِيحُ مُسْلِمٍ (١٩٠٥)، وَجَامِعُ التَّرْمِذِيِّ (٢٢٨٢)، وَقَالَ: حَسْنٌ غَرِيبٌ. وَهُوَ عِنْدَ أَحْمَدَ (٨٢٧٧).

(١٠) فِي (ر): بِعِلْمِهِ، وَيَنْظُرُ أَحْكَامُ الْقُرْآنِ لِابْنِ الْعَرَبِيِّ ١٠٤٤ / ٣ .

أولم يكن<sup>(١)</sup>. قاله مجاهد وميمن بن مهران، وإليه ذهب معاوية رحمه الله تعالى. وقال ميمون بن مهران: ليس أحد يعمل حسنة إلا وُفِي ثوابها؛ فإنْ كان مسلماً مخلصاً وُفِي في الدنيا والآخرة، وإنْ كان كافراً وُفِي في الدنيا.

وقيل: من كان يريد بغيره مع النبي ﷺ [الغنية] وُفِيها، أي: وُفِي أجر العزارة ولم ينقص منها<sup>(٢)</sup>؛ وهذا خصوص، وال الصحيح العموم.

الثانية: قال بعض العلماء: معنى هذه الآية قوله عليه الصلاة والسلام: «إنما الأعمال بالنيات»<sup>(٣)</sup>. وتدلّك هذه الآية على أنَّ من صام في رمضان لا عن رمضان، لا يقع عن رمضان، وتدلّ على أنَّ من توضأ للتبرُّد والتتنفس، لا يقع قرابة عن جهة الصلاة<sup>(٤)</sup>، وهكذا كلُّ ما كان في معناه.

الثالثة: ذهب أكثر العلماء إلى أنَّ هذه الآية مطلقة، وكذلك الآية التي في «الشوري» «مَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرَثَ الْآخِرَةِ نَزَدَ لَهُ فِي حَرْثِهِ وَمَنْ كَانَ يُرِيدُ حَرَثَ الدُّنْيَا تُؤْتِهِ مِنْهَا» الآية [٢٠]، وكذلك «وَمَنْ يُرِيدُ ثَوَابَ الدُّنْيَا تُؤْتِهِ مِنْهَا» [آل عمران: ١٤٥] فidedها وفسّرها [بـالآية] التي في «سبحان» «مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْمَاجِلَةَ عَجَلَنَا لَهُ فِيهَا مَا شَاءَ لَمْ يُرِيدُ» إلى قوله: «مَعْطُورًا» [الآيات: ١٨-٢٠]. فأخبر سبحانه أنَّ العبد ينوي ويريد، والله سبحانه يحُكِّم ما يرید<sup>(٥)</sup>.

وروى الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما في قوله: «مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا» أنها منسوخة بقوله: «مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْمَاجِلَةَ»<sup>(٦)</sup> [الإسراء: ١٨]. وال الصحيح ما

(١) أحكام القرآن لابن العربي ١٠٤٤ / ٣ وهو من قوله. وأما نسبته لمجاهد، ففيها خلاف: فقد نقل النحاس في إعرابه ٢٧٥ / ٢ عنه أنه قال: نوف إلى حسناته في الدنيا. ونقل ابن عطية في المحرر ١٥٦ / ٣ عنه: أنها في الكفرة وفي أهل الرياء - كالقول السالف - وهو الذي ذهب إليه معاوية.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٢٧٥ / ٢ وما بين حاصلتين منه.

(٣) أحكام القرآن لابن العربي ١٠٤٤ / ٣ .

(٤) أحكام القرآن للكجا الطبري ٢٢٥ / ٣ .

(٥) أحكام القرآن لابن العربي ١٠٤٤ / ٣ ، وما بين حاصلتين منه.

(٦) ذكره النحاس في الناسخ والمنسوخ ٦٢٥)، وأخرجه فيه (٧٨١). وينظر الدر المثور ٣٢٣ / ٣ .

ذكرناه؛ وأنه من باب الإطلاق والتقييد؛ ومثله قوله: ﴿وَإِذَا سَأَلْتَكُمْ عَنِ الْفَلَقِ قَرِيبٌ أَجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ﴾ [البقرة: ١٨٦]. فهذا ظاهره خبر عن إجابة كل داعٍ دائمًا على كل حال، وليس كذلك؛ لقوله تعالى: ﴿فَيَكْشِفُ مَا تَدْعُونَ إِلَيْهِ إِنْ شَاءَ﴾ [الأنعام: ٤١].

والنسخ في الأخبار لا يجوز؛ لاستحالة تبدل الواجبات العقلية، واستحالة الكذب على الله تعالى، فأما الأخبار عن الأحكام الشرعية، فيجوز نسخها على خلاف فيه، على ما هو مذكور في الأصول<sup>(١)</sup>؛ ويأتي في «النحل» ببيانه إن شاء الله تعالى<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا الْكَارِثُ وَحَيْطٌ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَيَطْلُلُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ﴿١١﴾

قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا الْكَارِثُ﴾ إشارة إلى التخليد، والمؤمن لا يخلد؛ لقوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرِكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ﴾ الآية [النساء: ٤٨]، فهو محمول على ما لو كانت موافاة هذا المرائي على الكفر.

وقيل: المعنى ليس لهم إلا النار في أيام معلومة ثم يخرج؛ إما بالشفاعة، وإما بالقبضـة<sup>(٣)</sup>. والآية تقتضي الوعيد بسلب الإيمان، وفي الحديث: العاصي بريـد<sup>(٤)</sup>

(١) ينظر إحكام الفصول في أحكام الأصول للبياجي ص ٣٩٩ ، والناسخ والمنسوخ للنحاس ٤٠٥ / ١ و ٤٧٢ / ٢ - ٤٧٣ ، والإيضاح لناسخ القرآن ومنسوخه ص ٣٢٥ لمكي، ونواسخ القرآن لابن الجوزي ص ٢٢ .

(٢) عند تفسير الآية ٦٧ منها.

(٣) كما ورد في الحديث الذي أخرجه أحمد (١١٨٩٨)، ومسلم (١٨٣) من حديث أبي سعيد الخدري، أنه تعالى يقبض قبضة من النار فيخرج منها قوما لم يعملا خيراً قط، قد عادوا حمماً، فيلتقيهم في أفواه الجنة.

(٤) في (ظ): العاصي بريـد، وفي (م): العاصي بريـد.

الكفر<sup>(١)</sup>، وخاصة الرياء، إذ هو شرك؛ على ما تقدّم بيانه في «النساء»، ويأتي في آخر «الكهف»<sup>(٢)</sup>.

﴿وَيَطْلُبُ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ ابتداء وخبر؛ قال أبو حاتم: وحذف الهاء؛ قال النحاس<sup>(٣)</sup>: هذا لا يحتاج إلى حذف؛ لأنّه بمعنى المصدر، أي: وباطل عمله. وفي حرف أبي وعبد الله<sup>(٤)</sup>: «وَبِاطْلَالًا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ» تكون<sup>(٥)</sup> «ما» زائدة، أي: وكانوا يعملون باطلًا.

قوله تعالى: ﴿أَفَنَّ كَانَ عَلَىٰ بِيَنَقُّ مِنْ رَّبِّهِ، وَيَتَلَوُهُ شَاهِدٌ مِّنْ قَبْلِهِ، كَتَبَ مُوسَىٰ إِمَامًا وَرَحْمَةً أَوْلَئِكَ يَوْمَئِنُونَ بِهِ، وَمَنْ يَكْفُرْ بِهِ، مِنْ الْأَحْزَابِ فَالثَّالِثُ مَوْعِدُهُ فَلَا تَلُكْ فِي مَرْيَقَةٍ يَتَّهِّي إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَّبِّكَ وَلَكُنَّ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يُؤْمِنُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿أَفَنَّ كَانَ عَلَىٰ بِيَنَقُّ مِنْ رَّبِّهِ﴾ ابتداء، والخبر محذوف، أي: ألم يكفيه على بيته من ربه في اتباع النبي ﷺ، ومعه من الفضل ما يتبيّن به؛ كغيره من يريد الحياة الدنيا وزيتها؟ عن علي بن الحسين والحسن بن أبي الحسن<sup>(٦)</sup>. وكذا قال ابن زيد: إنَّ الذي على بيته هو من اتبع النبي محمدًا ﷺ.

(١) أخرج أبو نعيم في حلية الأولياء ٢٢٩/١٠، والبيهقي في شعب الإيمان ٤٤٧/٥ من قول أبي حفص النيسابوري. ونقل العجلوني في كشف الخفاء ٢٧٨ عن ابن حجر المكي أنه قال: أظنه من قول السلف، وقيل: إنه حديث.

(٢) سلف ٧/١٩٠ - ١٩١ ، وسيرد عند تفسير الآية ١١٠ من سورة الكهف.

(٣) في إعراب القرآن له ٢/٢٧٥ ، وما قبله منه.

(٤) القراءات الشاذة ص ٥٩ ، والمحتب ١/٣٢٠ .

(٥) في (م): وتكون.

(٦) إعراب القرآن للنحاس ٢/٢٧٦ .

(٧) أخرج الطبرى ١٢/٣٥٥ - ٣٥٦ عن ابن زيد في قوله: ﴿أَفَنَّ كَانَ عَلَىٰ بِيَنَقُّ مِنْ رَّبِّهِ﴾ قال: رسول الله ﷺ كان على بيته من ربها. وذكر الماوردي في التك والعيون ٢/٤٦١ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٤/٨٥ عن ابن زيد: أن البيعة القرآن.

**﴿وَيَتُلَهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾**: من الله، وهو النبي ﷺ. وقيل: المراد بقوله: **﴿أَفَمَنْ كَانَ عَلَىٰ بَيْنَهُ مِنْ رَبِّهِ﴾**: النبي ﷺ<sup>(١)</sup>، والكلام راجع إلى قوله: **﴿وَضَائِقٌ يُدْهِ صَدْرَكَ﴾**; أي: ألم كان معه بيانٌ من الله، ومعجزة كالقرآن، ومعه شاهد كجبريل - على ما يأتي<sup>(٢)</sup> - وقد بشرت به الكتب السالفة، يضيق صدره بالإبلاغ، وهو يعلم أنَّ الله لا يُسلِّمه. والهاء في «ربه» تعود عليه.

وقوله: **﴿وَيَتُلَهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾** روى عكرمة عن ابن عباس: أَنَّ جبريل؛ وهو قول مجاهد والنَّخْعَنِي<sup>(٣)</sup>. والهاء في «منه» لله عزَّ وجلَّ، أي: يتلو البيان والبرهان شاهد من الله عزَّ وجلَّ<sup>(٤)</sup>.

وقال مجاهد: الشاهد ملَكٌ من الله عزَّ وجلَّ يحفظه ويُسَدِّده<sup>(٥)</sup>.

وقال الحسن البصري وقتادة<sup>(٦)</sup>: الشاهد لسان رسول الله ﷺ. قال محمد بن علي ابن الحنفية: قلت لأبي: أنت الشاهد؟ فقال: وَيَدْرُسُ أَنْ أَكُونُ أَنَا هُوَ، وَلَكِنَّهُ لسان رسول الله ﷺ<sup>(٧)</sup>.

وقيل: هو علي بن أبي طالب؛ روى عن ابن عباس أَنَّه قال: هو علي بن أبي طالب<sup>(٨)</sup>؛ ورويَ عن عليٍّ أَنَّه قال: ما من رجلٍ من قريشٍ إلَّا وقد أُنْزِلَتْ فيه الآية والأيات، فقال له رجلٌ: أَيُّ شَيْءٍ نَزَّلَ فِيْكَ؟ فقال عليٌّ: **﴿وَيَتُلَهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾**<sup>(٩)</sup>.

(١) النكت والعيون ٢/٤٦١ ، زاد المسير ٤/٨٦ .

(٢) في (ز): أو علي على ما يأتي.

(٣) أخرجه الطبرى ١٢/٣٥٧ - ٣٥٨ .

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٢٧٦/٢ ، والنكت والعيون ٢/٤٦١ .

(٥) تفسير مجاهد ١/٣٠١ - ٣٠٢ ، وأخرجه الطبرى ١٢/٣٦٠ .

(٦) النكت والعيون ٢/٤٦١ ، وأخرجه قولهما الطبرى ١٢/٣٥٤ .

(٧) أخرجه الطبرى ١٢/٣٥٤ ، وابن أبي حاتم ٦/٢٠١٤ (١٠٧٥٩) والطبراني في الأوسط (٦٨٢٤).

(٨) لم نقف عليه.

(٩) النكت والعيون ٢/٤٦١ ، وأخرجه الطبرى ١٢/٣٥٦ وابن أبي حاتم ٦/٢٠١٥ (١٠٧٦٤). وقال ابن كثير في تفسيره ٤/٣١٢ : هو ضعيف لا يثبت قائله.

وَقَيْلُ: الشَّاهِدُ: صُورَةُ رَسُولِ اللَّهِ وَوْجْهُهُ وَمَحَايِلُهُ؛ لَأَنَّ مَنْ كَانَ لَهُ فَضْلٌ وَعَقْلٌ؛ فَنَظَرَ إِلَى النَّبِيِّ؛ عَلِمَ أَنَّهُ رَسُولَ اللَّهِ<sup>(١)</sup>؛ فَالْهَاءُ عَلَى هَذَا تَرْجُعٌ إِلَى النَّبِيِّ، عَلَى قَوْلِ ابْنِ زَيْدٍ<sup>(٢)</sup> وَغَيْرِهِ.

وَقَيْلُ: الشَّاهِدُ: الْقُرْآنُ فِي نُظُمِهِ وَبِلَاغَتِهِ، وَالْمَعَانِي الْكَثِيرَةُ مِنْهُ فِي الْلُّفْظِ الْوَاحِدِ؛ قَالَ الْحَسِينُ بْنُ الْفَضْلِ<sup>(٣)</sup>؛ فَالْهَاءُ فِي «مِنْهُ» لِلْقُرْآنِ.

وَقَالَ الْفَرَاءُ<sup>(٤)</sup>: قَالَ بَعْضُهُمْ: «وَتَلَوْ شَاهِدٌ مِنْهُ»: الْإِنْجِيلُ، وَإِنْ كَانَ قَبْلَهُ؛ فَهُوَ يَتْلُو الْقُرْآنَ فِي التَّصْدِيقِ<sup>(٥)</sup>؛ وَالْهَاءُ فِي «مِنْهُ» لِلَّهِ عَزَّ وَجَلَّ.

وَقَيْلُ: الْبَيِّنَةُ: مَعْرِفَةُ اللَّهِ الَّتِي أَشْرَقَتْ لَهَا الْقُلُوبُ، وَالشَّاهِدُ الَّذِي يَتْلُوهُ: الْعُقْلُ الَّذِي رُكِّبَ فِي دِمَاغِهِ، وَأَشْرَقَ صَدْرُهُ بِنُورِهِ.

«وَمِنْ قَبْلِهِ» أَيْ: مِنْ قَبْلِ الْإِنْجِيلِ. «كِتَابٌ مُوسَى» رفع بِالْأَبْتِداءِ، قَالَ أَبُو إِسْحَاقُ الزَّجَاجُ<sup>(٦)</sup>: وَالْمَعْنَى: وَيَتْلُو مِنْ قَبْلِهِ كِتَابُ مُوسَى؛ لَأَنَّ النَّبِيَّ مَوْصُوفٌ فِي كِتَابِ مُوسَى؛ «يَحْدُونَهُ مَكْتُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ» [الْأَعْرَافُ: ١٥٧]. وَحَكَى أَبُو حَاتَمَ عَنْ بَعْضِهِمْ: أَنَّهُ قَرَا: «وَمِنْ قَبْلِهِ كِتَابٌ مُوسَى» بِالنَّصْبِ؛ وَحَكَاهَا الْمَهْدُوِيُّ عَنِ الْكَلْبَيِّ<sup>(٧)</sup>؛ يَكُونُ مَعْطُوفًا عَلَى الْهَاءِ فِي «يَتْلُوهُ»<sup>(٨)</sup>، وَالْمَعْنَى: وَيَتْلُو كِتَابَ مُوسَى جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ وَكَذَلِكَ قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا<sup>(٩)</sup>؛

(١) زاد المسير ٤/٨٦.

(٢) سلف قوله قريباً.

(٣) تفسير البغوي ٢/٣٧٧ ، وزاد المسير ٤/٨٦.

(٤) في معاني القرآن له ٢/٦.

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٢/٢٧٦ وعنه نقل المصنف كلام الفراء.

(٦) في معاني القرآن له ٣/٤٤ ، ونقله المصنف عنه بواسطة إعراب القرآن للنحاس ٢/٢٧٦.

(٧) القراءات الشاذة ص ٥٩.

(٨) إعراب القرآن للنحاس ٢/٢٧٦.

(٩) أخرجه ابن أبي حاتم ٦/٢٠١٥ (١٠٧٦٧).

المعنى: ومن قبله تلا جبريل<sup>ل</sup> كتاب موسى على موسى. ويجوز على ما ذكره ابن عباس أيضاً من هذا القول أن يُرفع «كتاب» على أن يكون المعنى: ومن قبله كتاب موسى كذلك<sup>(١)</sup>، أي: تلاه جبريل<sup>ل</sup> على موسى كما تلا القرآن على محمد.

**﴿إِمَّا تَا﴾** نصب على الحال<sup>(٢)</sup>. **﴿وَرَحْمَةً﴾** معطوف.

**﴿أَزْلَيْكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ﴾** إشارة إلىبني إسرائيل، أي: يؤمنون بما في التوراة من البِشارة بك؛ وإنما كفر بك هؤلاء المتأخرُون<sup>(٣)</sup>، فهم الذين موعدُهم النار؛ حكاها القشيري.

والهاء في «به» يجوز أن تكون للقرآن، ويجوز أن تكون للنبي<sup>ﷺ</sup><sup>(٤)</sup>.

**﴿وَمَن يَكْفُرْ بِهِ﴾** أي: بالقرآن، أو بالنبي عليه الصلاة والسلام **﴿مِنَ الْأَحْزَاب﴾** يعني من الملل كلها؛ عن قَتَادَة؛ وكذا قال سعيد بن جُبَير<sup>(٥)</sup>: «الأحزاب»: أهل الأديان كلها؛ لأنَّهم يتحازبون. وقيل: قريش وحلفاؤهم<sup>(٦)</sup>.

**﴿فَالثَّارُ مَوْعِدُهُ﴾** أي: هو من أهل النار؛ وأنشد حسان:

أوردُتموها حياضَ الموتِ ضاحيةَ فَالنَّارُ مَوْعِدُهَا وَالموتُ لاقتِها<sup>(٧)</sup>  
وفي «صحيح مسلم»<sup>(٨)</sup> من حديث أبي هريرة<sup>(٩)</sup> عن النبي<sup>ﷺ</sup>: «والذي نفسُ

(١) ينظر زاد المسير ٤/٨٧.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٣/٤٤ ، وإعراب القرآن للنحاس ٢/٢٧٦.

(٣) في (د) و(ز): المفاخرون.

(٤) ينظر زاد المسير ٤/٨٨ . وذكر فيه وجهاً ثالثاً، وهو أن تكون للتوراة.

(٥) النكت والعيون ٢/٤٦٢ ، وزاد المسير ٤/٨٨ ، وأخرج قوليهما الطبرى ١٢/٣٦٤ - ٣٦٥.

(٦) ذكره الماوردي ٢/٤٦٢ ، وابن الجوزي في زاد المسير ٤/٨٨ عن السُّدُّي.

(٧) ديوان حسان ص ٢٥٩ . وفيه: والقتل لاقتِها، بدل: والموت لاقتِها.

وضاحية: أي وقت الفصحى، والضاحاء: ارتفاع النهار وارتفاع وقع الشمس. ينظر لسان العرب (ضحى).

(٨) (١٥٣)، وأخرجه أحمد (٨٦٠٩). وما سيرد بين حاصلتين منها.

(٩) في (م): أبي يونس، وفي النسخ الخطية: أبي موسى. والمثبت من صحيح مسلم. وأما حديث أبي موسى فقد أخرجه أحمد (١٩٥٣٦) والنسائي في الكبرى (١١١٧٧) بغير هذه السياقة. وينظر المحرر الوجيز ٢/١٥٨ .

محمدٍ بيده، لا يسمعُ بي أحدٌ من هذه الأمة؛ يهوديٌّ ولا نصرانيٌّ؛ [ثم يموت] ولم يؤمن بالذي أرسلت به إلَّا كان من أصحاب النار».

﴿فَلَا تَكُن فِي مُرْبَطٍ﴾ أي: في شكٍّ **«منه»** أي: من القرآن **«إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ**﴾ أي: القرآن من الله؛ قاله مقاتل. وقال الكلبي: المعنى: فلا تكُن في مربطة في أنَّ الكافر في النار<sup>(١)</sup>. **«إِنَّهُ الْحَقُّ**» أي: القولُ الحقُّ الكاذن. والخطابُ للنبي ﷺ، والمرادُ جميع المكَلَّفين<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: **«وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ أَفْرَغَ اللَّهُ كَذِبًا أُولَئِكَ يُعَذَّبُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ وَيَقُولُ الْأَشْهَدُ هُنُّ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ عَلَىٰ رَبِّهِمْ أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَيَسْعُونَاهُ عَرَبًا وَهُمْ بِالآخِرَةِ هُمُ الْكَافِرُونَ**

قوله تعالى: **«وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ أَفْرَغَ اللَّهُ كَذِبًا**» أي: لا أحد أظلمُ منهم لأنفسهم؛ لأنَّهم افتروا على الله كذباً، فأضافوا كلامه إلى غيره، وزعموا أنَّ له شريكاً و ولداً<sup>(٣)</sup>، وقالوا للأصنام: هؤلاء شفعاؤنا عند الله.

**﴿أُولَئِكَ يُعَذَّبُونَ عَلَىٰ رَبِّهِمْ**» أي: يحاسبُهم على أعمالِهم.

**﴿وَيَقُولُ الْأَشْهَدُ**» يعني: الملائكة الحفظة؛ عن مجاهد<sup>(٤)</sup> وغيره؛ وقال سفيان: سأله الأعمش عن **«الأشهاد»** فقال: الملائكة<sup>(٥)</sup>. الضحاك: هم الأنبياء والمرسلون؛ دليله قوله: **﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هُنُوكَ شَهِيدًا**

(١) قول مقاتل والكلبي في النكت والعيون ٤٦٢ / ٢ ، وزاد المسير ٨٩ / ٤ .

(٢) قاله الماوردي في النكت والعيون ٤٦٢ / ٢ .

(٣) ينظر تفسير البغوي ٣٧٨ / ٢ ، والمحرر الوجيز ١٥٩ / ٢ .

(٤) تفسير مجاهد ١ / ٣٠٢ ، وأخرجه الطبرى ٣٦٧ / ١٢ .

(٥) أخرجه العبرى ٣٦٨ / ١٢ .

(٦) معانى القرآن للتحاسن ٣٣٩ / ٣ ، وأخرجه الطبرى ١٢ / ٣٦٨ .

وقال قتادة: عنى الخلائق أجمع<sup>(١)</sup>. وفي «صحيح مسلم»<sup>(٢)</sup> من حديث صفوان بن محرز، عن ابن عمر، عن النبي ﷺ، وفيه قال: «وَأَمَّا الْكُفَّارُ وَالْمُنَافِقُونَ فِينَادِيَ بِهِمْ عَلَى رُؤُسِ الْخَلَائِقِ: هُولَاءِ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ».

**﴿أَلَا لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ﴾** أي: بُعدُهُ وسُخطُهُ وإبعادُهُ من رحمته على الذين وضعوا العبادة في غير موضعها.

قوله تعالى: **﴿الَّذِينَ يَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ﴾** يجوز أن تكون «الذين» في موضع خفض نعتاً للظالمين، ويجوز أن تكون في موضع رفع، أي: هم الذين<sup>(٣)</sup>. وقيل: هو ابتداء خطاب من الله تعالى، أي: الذين<sup>(٤)</sup> يصدون أنفسهم وغيرهم عن الإيمان والطاعة.  
**﴿وَرَبِيعُهُمَا عِوْجَاجٌ﴾** أي: يعدلون بالناس عنها إلى المعا�ي والشرك **﴿وَهُمْ بِالآخِرَةِ مُكَفَّرُونَ﴾** أعاد لفظ «هم» تأكيداً<sup>(٥)</sup>.

قوله تعالى: **﴿أُولَئِكَ لَمْ يَكُنُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ يُضْبَعِثُ لَهُمُ الْعَذَابُ مَا كَانُوا يَسْتَطِعُونَ أَلْسَعَ وَمَا كَانُوا يَبْصِرُونَ﴾**

قوله تعالى: **﴿أُولَئِكَ لَمْ يَكُنُوا مُعْجِزِينَ فِي الْأَرْضِ﴾** أي: فاثنين من عذاب الله. وقال ابن عباس: لم يعجزوني أن آمر الأرض فتشخص بهم<sup>(٦)</sup>.

**﴿وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ﴾** يعني: أنصاراً، و«من» زائدة. وقيل: «ما بمعنى الذي<sup>(٧)</sup>، تقديره: أولئك لم يكونوا معجزين لا هم ولا الذين كانوا لهم من

(١) أخرجه الطبرى ٣٦٧/١٢.

(٢) ٢٧٦٨)، وأخرجه أحمد (٥٤٣٦)، والبخاري (٢٤٤١).

(٣) ينظر المحرر الوجيز ١٦٠/٣.

(٤) في (م): هم الذين.

(٥) معانى القرآن للزجاج ٤٥/٣.

(٦) في (د) و(ف) و(م): فتشخص. والمثبت من (ز)، وهو المافق لما في زاد المسير ٩٠/٤.

(٧) ينظر الدر المصور ٣٠٢/٦.

أولياء من دون الله؛ وهو قول ابن عباس رضي الله عنهم.

**﴿يَصْنَعُونَ لَهُمُ الْعَذَابُ﴾** أي: على قدر كُفْرِهِم وِمُعَاصِيهِم **﴿مَا كَانُوا يَسْتَطِيعُونَ أَسْتَعْمَلُ﴾** «ما» في موضع نصب على أن يكون المعنى: بما كانوا يستطيعون السمع، وبما كانوا يتصرون، ولم يستعملوا ذلك في استماع الحق وإيصاله. والعرب تقول: جزئُتُه ما فعل وبما فعل؛ فيحذفون الباء مرأة ويثبتونها أخرى؛ وأنشد سيبويه<sup>(١)</sup>: أَمْرَتُكَ الْخَيْرَ فَافْعُلْ مَا أَمْرَتْ بِهِ فَقَدْ تَرَكْتُكَ ذَا مَالِي وَذَا تَشَبِّ وَيَجُوزُ أَنْ تَكُونَ «ما» ظرفاً، والمعنى: يُضَاعِفُ لَهُمُ الْعَذَابُ<sup>(٢)</sup> أبداً، أي: وقت استطاعتُهِم السمع والبصر، والله سبحانه يجعلهم في جهنم مستطعي ذلك أبداً. ويَجُوزُ أَنْ تَكُونَ «ما» نافِيَّةً لا موضع لها؛ إذ الْكَلَامُ قَدْ تَمَّ قَبْلَهَا، والوقفُ على العذاب كافٍ؛ والمعنى: ما كانوا يستطيعون في الدنيا أن يسمعوا سمعاً يتَفَعَّلُونَ به، ولا أن يُبصروا إِيَّاصَارَ مهتدٍ. قال الفراء<sup>(٣)</sup>: ما كانوا يستطيعون السمع؛ لأنَّ اللَّهَ أَضَلَّهُمْ فِي الْلَّوْحِ الْمَحْفُوظِ. وقال الزجاج<sup>(٤)</sup>: لِيُغْضِبُهُمُ النَّبِيُّ وَعَدَاوَتُهُمْ لَهُ، لَا يُسْتَطِعُونَ أَنْ يَسْمَعُوا مِنْهُ، وَلَا يَفْقَهُوا عَنْهُ. قال النحاس<sup>(٥)</sup>: وهذا معروف في كلام العرب؛ يقال: فلان لا يستطيع أن ينظر إلى فلان، إذا كان ذلك ثقيلاً عليه.

قوله تعالى: **﴿أَوْلَئِكَ الَّذِينَ حَسِرُوا أَنفُسَهُمْ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَقْرَءُونَ لَا جَرَمَ أَنْتُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ﴾**

قوله تعالى: **﴿أَوْلَئِكَ الَّذِينَ حَسِرُوا أَنفُسَهُمْ﴾** ابتداء وخبر **﴿وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَقْرَءُونَ﴾** أي: ضَاعَ عَنْهُمْ افْتَرَاؤُهُمْ وَتَلِيفُهُمْ.

(١) في الكتاب ٣٧/١ . وإعراب القرآن للنحاس ٢٧٦/٢ والكلام منه، وسلف ٤/١٢٣ .

(٢) لفظ: العذاب. زيادة من (ظ) وهي موافقة لما في إعراب القرآن للنحاس ٢٧٦/٢ .

(٣) في معاني القرآن له ٨/٢ .

(٤) في معاني القرآن له ٤٥/٣ .

(٥) في إعراب القرآن له ٢٧٧/٢ . وما قبله منه، وينظر مشكل إعراب القرآن ١/٣٥٧ .

قوله تعالى: ﴿لَا جَرْم﴾ للعلماء فيه أقوال؛ فقال الخليل وسيبوه<sup>(١)</sup>: «لَا جَرْم» بمعنى: حَقّ، فـ«لا» وـ«جَرْم» عندهما كلمة واحدة، وـ«أَنّ» عندهما في موضع رفع؛ وهذا قول الفراء<sup>(٢)</sup> ومحمد بن يزيد<sup>(٣)</sup>؛ حكاه النحاس<sup>(٤)</sup>.

قال المهدوي: وعن الخليل أيضاً، أَنّ معناها: لابدّ ولا محالة، وهو قول الفراء<sup>(٥)</sup> أيضاً؛ ذكره الثعلبي.

وقال الرّجّاج<sup>(٦)</sup>: «لا» ها هنا نفي، وهو ردّ لقولهم: إنَّ الأصنام تنفعُهم، كأنَّ المعنى: لا ينفعُهم ذلك، وـ«جَرْم» بمعنى: كَسَبَ، أي: كَسَبَ ذلك الفعلُ لهم الخسران، وفاعل كسب مُضمر، وـ«أَنّ» منصوبة بـ«جَرْم»<sup>(٧)</sup>، كما تقول: كَسَبَ جفاؤك زيداً غضيئ عليك. وقال الشاعر:

نَصَبَنَا رَأْسَهُ فِي رَأْسِ جِذْعٍ<sup>(٨)</sup>  
بِمَا جَرَمْتَ يَدَاهُ وَمَا اغْتَدَنَا<sup>(٩)</sup>  
أَي: بما كسبت.

وقال الكسائي: معنى «لَا جَرْم»: لا صَدًّا ولا مَنْعَ عن أَنْهُم<sup>(١٠)</sup>.  
وقيق: المعنى: لا قَطْعَ قاطِعٍ، فمحذف الفاعل حين كثُر استعماله<sup>(١١)</sup>.

(١) ذكره في الكتاب ١٣٨/٣ على أنه قول المفسرين.

(٢) في معاني القرآن له ٨/٢ .

(٣) هو المبرد، وكلامه في المقتضب ٣٥١/٢ .

(٤) في إعراب القرآن له ٢٧٧/٢ ، وينظر مشكل إعراب القرآن ١/٣٥٧ - ٣٥٨ .

(٥) في معاني القرآن له ٨/٢ .

(٦) في معاني القرآن له ٤٦/٣ .

(٧) إعراب القرآن للنحاس ٢٧٨/٢ . وما قبله منه.

(٨) في (م) و(ظ): والنكت والعيون ٤٦٤/٢ : نصبنا رأسه في جذع نخل. والمثبت من (ز) و(د) و(ف) وهو الموافق لما في المصادر الآتية.

(٩) ورد في الظاهر لابن الأباري ١/٢٧٢ ، وأمالي المرتضى ١/١١٠ ، والخزانة ١٠/٢٨٦ دون نسبة.

(١٠) إعراب القرآن للنحاس ٢/٢٧٨ .

(١١) ينظر مجمع البيان ١٢/١٢٩ .

والجَزْمُ: القَطْعُ؛ وقد جَرَمَ النَّخْلَ واجتَرَمَهُ، أي: صَرَمَهُ، فهو جَارِمٌ، وقَوْمٌ جَرَمٌ، وهذا زَمْنُ الْجَرَامِ والْجَرَامِ، وجَرَمَتْ صَوْفُ الشَّاةِ، أي: جَزَرَتْهُ، وقد جَرَمَتْ مِنْهُ: إِذَا أَخْدَتْ مِنْهُ؛ مِثْلُ: جَلَمَتْ الشَّيْءَ جَلْمًا، أي: قَطَعْتُهُ<sup>(١)</sup>، وَجَلَمَتْ الْجَزُورَ أَجْلِمُهَا جَلْمًا: إِذَا أَخْدَتْ مَا عَلَى عَظَامِهَا مِنَ الْلَّحْمِ، وَأَخْدَتْ الشَّيْءَ بِجَلْمِتِهِ - سَاكِنَةُ الْلَّامِ - إِذَا أَخْدَتَهُ أَجْمَعُ، وَهَذِهِ جَلْمَةُ الْجَزُورِ - بِالْتَّحْرِيكِ - أي: لَحْمُهَا أَجْمَعُ. قَالَهُ الْجَوَهْرِيُّ<sup>(٢)</sup>.

قال النَّحَاسُ<sup>(٣)</sup>: وزعم الكسائي أنَّ فيها أربع لغات: لا جَرَمُ، ولا عنِّي ذا جَرَمُ، ولا أَنْ ذا جَرَمُ، قال: وناسٌ من فَزَارة يقولون: لا جَرَأْنَهُمْ، بغير ميم. وحَكَى الفَرَاءُ في لغتين آخرين قال: بنو عامِرٍ يقولون: لا ذا جَرَمُ، قال: وناسٌ من العرب يقولون: لا جُرمُ بضمِّ الجيم<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَنْجَبُوا إِلَى رَبِّهِمْ أُولَئِكَ أَنْتَشَرُوا الْجَنَّةَ هُنَّ فِيهَا حَلِيلُوْنَ» **﴿٦﴾**

قوله تعالى: «إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا» «الذين» اسم «إن»، «آمَنُوا» صلة؛ أي: صدقوا «وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَأَنْجَبُوا إِلَى رَبِّهِمْ» عطف على الصلة<sup>(٥)</sup>.

قال ابن عباس: «وَأَنْجَبُوا»: أَنَابُوا<sup>(٦)</sup>. مجاهد: أطاعوا<sup>(٧)</sup>. قَتَادَة: خَشَعوا

(١) في (ظ) و(م) قطعت، والمثبت من (د) و(ف) وهو المواقف لما في الصحاح وسقط في (ز) من قوله: الشيء جلماً... إلى قوله قاله الجوهرى.

(٢) في الصحاح (جرم) (جل).

(٣) في إعراب القرآن له ٢٧٨/٢.

(٤) معانى القرآن للفراء ٨/٢ - ٩ - ٢٧٨/٢ . وينظر أمالي المرتضى ١١٠/١ .

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٢٧٨/٢ .

(٦) آخرجه الطبرى ١٢/٣٧٤ .

(٧) لم نقف على قول مجاهد بهذا اللفظ، والذي في تفسير مجاهد ١/٣٠٢ وتفسير الطبرى ١٢/٣٧٥ . وزاد المسير ٤/٩٣ : أَنْجَبُوا: أطْمَلُوا .

وَخَضَعُوا<sup>(١)</sup>. مُقَاطِلُونَ: أَخْلُصُوكُمْ<sup>(٢)</sup>. الْحَسْنُ: الْإِخْبَاثُ: الْخُشُوعُ لِلْمُخَافَةِ الثَّابِتَةِ فِي الْقَلْبِ.

وَأَصْلُ الْإِخْبَاثِ: الْأَسْتَوَاءُ، مِنَ الْجَبْنَةِ، وَهُوَ الْأَرْضُ الْمُسْتَوَيَةُ الْوَاسِعَةُ.  
فَالْإِخْبَاثُ: الْخُشُوعُ أَوِ الْأَطْمَئْنَانُ، أَوْ: الإِنْابَةُ إِلَى اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ،  
الْمُسْتَمِرَةُ<sup>(٣)</sup>، وَذَلِكُ<sup>(٤)</sup> عَلَى اسْتِوَاءِ<sup>(٥)</sup>.

إِلَى رَبِّهِمْ قَالَ الْفَرَاءُ<sup>(٦)</sup>: إِلَى رَبِّهِمْ وَلِرَبِّهِمْ، وَاحِدٌ، وَقَدْ يَكُونُ الْمَعْنَى: وَجَهُوا  
إِخْبَاتِهِمْ إِلَى رَبِّهِمْ. أُولَئِكَ أَتَحَبُّ الْجَنَّةَ<sup>(٧)</sup> خَبْرُ «إِنَّ»<sup>(٨)</sup>.

قُولُهُ تَعَالَى: «مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ كَالْأَغْنَى وَالْأَصْمَى وَالْبَصِيرِ وَالسَّمِيعِ هَلْ يَسْتَوِيَا نَثَلًا  
أَفَلَا لَذَّكُرُنَّ»<sup>(٩)</sup>

قُولُهُ تَعَالَى: «مَثَلُ الْفَرِيقَيْنِ» ابْتِداً، وَالْخَبْرُ «كَالْأَغْنَى» وَمَا بَعْدُهُ. قَالَ  
الْأَنْفُشُ<sup>(٨)</sup>: أَيْ: كَمِيلُ الْأَعْمَى.

النَّحَاسُ<sup>(٩)</sup>: التَّقْدِيرُ: مَثَلُ فَرِيقِ الْكَافِرِ كَالْأَعْمَى وَالْأَصْمَى، وَمَثَلُ فَرِيقِ الْمُؤْمِنِ  
كَالسَّمِيعِ وَالْبَصِيرِ، وَلِهَذَا قَالَ: «هَلْ يَسْتَوِيَا نَثَلًا» فَرَدًا إِلَى الْفَرِيقَيْنِ وَهُمَا اثْنَانُ؛ رُوِيَ  
مَعْنَاهُ عَنْ قَاتِدَةِ وَغَيْرِهِ<sup>(١٠)</sup> :

(١) أَخْرَجَهُ الطَّبَرِيُّ ٣٧٥/١٢ .

(٢) ذَكَرَهُ الْمَاوَرِدِيُّ فِي النُّكْتَ وَالْعَيْنَ ٤٦٥/٢ ، وَابْنُ الْجُوزِيِّ فِي زَادِ الْمَسِيرِ ٤/٩٣ .

(٣) فِي (ز) وَ(ظ): الْمُسْتَمِرُ.

(٤) فِي النُّسُخِ عَدَا (ظ): ذَلِكُو، وَالْمُبَثُ مِنْ (ظ).

(٥) يَنْظَرُ مُجْمِعُ الْبَيَانِ ١٣٤/١٢ .

(٦) فِي مَعْنَى الْقُرْآنِ لَهُ ٩/٢ - ١٠ ، وَنَقْلُهُ الْمُصْتَفَ عَنْهُ بِوَاسِطَةِ إِعْرَابِ الْقُرْآنِ لِلنَّحَاسِ ٢٧٨/٢ .

(٧) قُولُهُ: «أَصْحَابُ الْجَنَّةِ» سَقْطٌ مِنَ النُّسُخِ، وَالْكَلَامُ فِي إِعْرَابِ الْقُرْآنِ لِلنَّحَاسِ ٢٧٨/٢ .

(٨) فِي مَعْنَى الْقُرْآنِ لَهُ ٥٧٦/٢ .

(٩) فِي إِعْرَابِ الْقُرْآنِ لَهُ ٢٧٨/٢ وَمَا قَبْلَهُ مِنْهُ.

(١٠) فِي النُّسُخِ: مَثَلُ فَرِيقِ الْكَافِرِ كَالْأَصْمَى، وَالْمُبَثُ مِنْ إِعْرَابِ الْقُرْآنِ لِلنَّحَاسِ .

قال **الضحاك**: الأعمى والأصم مثل للكافر، والسميع والبصير مثل للمؤمن<sup>(١)</sup>.  
وقيل: المعنى: هل يستوي الأعمى والبصير، وهل يستوي الأصم والسميع؟  
**﴿مثلا﴾** منصوب على التفسير<sup>(٢)</sup> **﴿فَلَا تَنْكُونُ﴾** في الوصفين وتنظرون؟

قوله تعالى: **﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ إِنِّي لَكُمْ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴾** (٢٦) **﴿أَنَّ لَا تَنْبُدُوا إِلَّا اللَّهُ إِنَّهُ إِنَّمَا يَخَافُ عَيْنَكُمْ عَذَابَ يَوْمِ الْيَسْرِ﴾** (٢٧)

قوله تعالى: **﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ﴾** ذكر سبحانه قصص الأنبياء عليهم السلام للنبي ﷺ تبيها له على ملازمة الصبر على أذى الكفار إلى أن يكفيه الله أمرهم.  
**﴿إِنِّي﴾** أي: فقال: إني؛ لأن في الإرسال معنى القول. وقرأ ابن كثير وأبو عمري والكسائي: «أني» بفتح الهمزة<sup>(٣)</sup>، أي: أرسلناه بأنني لكم نذير مبين<sup>(٤)</sup>.

ولم يقل: «إنه»؛ لأن رجع من الغيبة إلى خطاب نوح لقومه؛ كما قال:  
**﴿وَكَتَبْنَا لَهُ فِي الْأَلْوَاحِ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ﴾** ثم قال: **﴿فَغَذَّهَا بِقُوَّةٍ﴾** [الأعراف: ١٤٥]<sup>(٥)</sup>.  
قوله تعالى: **﴿أَلَا تَنْبُدُوا إِلَّا اللَّهُ﴾** أي: اتركوا الأصنام فلا تعبدوها، وأطیعوا الله وحده. ومن قرأ: «إني» بالكسر جعله معتبرا في الكلام، والمعنى: أرسلناه بألا تعبدوا إلا الله<sup>(٦)</sup>. **﴿إِنِّي أَخَافُ عَيْنَكُمْ عَذَابَ يَوْمِ الْيَسْرِ﴾**.

قوله تعالى: **﴿فَقَالَ الْمَلَائِكَةُ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ مَا نَرَكَ إِلَّا بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَكَ أَتَبَعَكَ إِلَّا الَّذِينَ هُمْ أَرَادُنَا بِأَدَى الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَيْنَانِا مِنْ فَضْلِنَا بَلْ نَظَرُكُمْ كَذِيْنَ﴾** (٢٨)

فيه أربع مسائل:

(١) معاني القرآن للنسناس ٣٤١ / ٣.

(٢) في (م): التمييز، وهو بمعنى. وينظر المحرر الوجيز ١٦٢ / ٣.

(٣) السبعة ص ٣٣٢ ، والتيسير ص ١٢٤ ، وتفسير البغوي ٣٧٩ / ٢ والكلام منه.

(٤) الحجة للفارسي ٣١٥ / ٤ ، والكشف عن وجوه القراءات ٥٢٥ / ١ . قال مكي: لأن «أرسل» يتعدى إلى مفعولين، الثاني بحرف جر.

(٥) ينظر الحجة للفارسي ٣١٥ / ٤ .

(٦) ينظر الحجة ٣١٦ / ٤ ، والبحر ٢١٤ / ٥ .

الأولى: قوله تعالى: ﴿فَقَالَ الْمَلَائِكَةُ قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ الرَّجَاجُ: الْمَلَائِكَةُ رُؤْسَاءُ أَيْ؛ هُم مُلِيئُونَ بِمَا يَقُولُونَ﴾<sup>(١)</sup>. وقد تقدم هذا في «البقرة»<sup>(٢)</sup> وغيرها. ﴿مَا نَرَكَ إِلَّا بَشَرًا﴾ أي: آدمياً ﴿مِثْنَانِ﴾ نصب على الحال<sup>(٣)</sup>. و«مِثْنَانِ» مضاد إلى معرفة، وهو نكرة يقدّر في التنوين<sup>(٤)</sup>، كما قال الشاعر:

يا رَبِّ مِثْلِكَ فِي النِّسَاءِ غَرِيرَةٍ<sup>(٥)</sup>

الثانية: قوله تعالى: ﴿وَمَا نَرَكَ إِلَّا أَنَّهُنَّ مُمَّا أَرَادُلُ﴾ أرادل جمع أرذل، وأرذل جمع رذل، مثل كلب وأكلب وأكالب<sup>(٦)</sup>. وقيل: الأرذل جمع الأرذل<sup>(٧)</sup>، كأساود جمع الأسود من الحيات. والرذل: النذل. أرادوا: أتبّعك أخساؤنا وسقّطنا<sup>(٨)</sup> وسفلتنا.

قال الرّجاج<sup>(٩)</sup>: نَسَبُوهُمْ إِلَى الْحِيَاكَةِ [وَالْحِجَامَةِ]، ولم يعلموا أن الصناعات لا

(١) معاني القرآن للرجاج ٤٧/٣ ، ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٢٧٩/٢ . ووقع عند الرّجاج: ملأة بالرأي وبما يحتاج إليه منهم، بدل: ملئون بما يقولون.

(٢) ٢٢٨/٤ .

(٣) سياق الكلام عند المصنف رحمة الله قد يوهم أن المنصوب على الحال هو قوله: «مِثْنَانِ»، وإنما المنصوب على الحال هو قوله: «بشرًا». وهذا على اعتبار أن الفعل من رؤية العين، ويجوز أن يكون الفعل من رؤية القلب، فيكون: «بشرًا» المفعول الثاني. والأمر كذلك في قوله: ﴿وَمَا نَرَكَ إِلَّا كَلَبَ﴾ . وأما قوله: «مِثْنَانِ»، فمنصوب على النعت. ينظر إعراب القرآن للنحاس ٢٧٩/٢ ، والإملاء للعكيري ٢٦٧/٣ (بها مش الفتوحات الإلهية)، وروح المعاني للألوسي ٣٧/١٢ .

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٢٧٩/٢ .

(٥) وعجزه: بيضاء قد متّعثّها بطلاق، والبيت لأبي محجن الثقفي كما في الكتاب ٤٢٧/١ و ٢٨٦/٢ ، وشرح الشواهد للشتمري ص ٢٤٢ و ٣٤٦ ، وشرح المفصل لابن يعيش ١٢٦/٢ ، وهو بلا نسبة في المقتضب ٢٨٩/٤ ، وإعراب القرآن للنحاس ٢٧٩/٢ . قال الشتمري: الشاهد فيه إضافة رب إلى مثلك؛ لأنها نكرة وإن كانت بلفظ المعرفة. والغريزة: المفترضة بين العيش، الغافلة عن صروف الدهر.

(٦) تفسير البغوي ٣٨٠/٢ .

(٧) معاني القرآن للنحاس ٣٤١/٣ ، والمحرر الوجيز ١٦٣/٣ .

(٨) في (ظ): وسقطنا.

(٩) في معاني القرآن ٩٥/٤ ، وما سيرد بين حاضرتين منه.

أثَرَ لها في الْدِيَانَةِ.

قال النحاس<sup>(١)</sup>: الأراذل هُمُ الْفَقَرَاءُ، وَالَّذِينَ لَا حَسَبَ لَهُمْ، وَالخَسِيسُو الصناعاتِ. وفي الحديث: «إِنَّهُمْ كَانُوا حَاكِمَةً وَحَجَاجِينَ»<sup>(٢)</sup>. وكان هذا جهلاً منهم؛ لأنَّهُمْ عَابِرُو بَنَى اللَّهَ بِمَا لَا عِيبَ فِيهِ؛ لَأَنَّ الْأَنْبِيَاءَ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ إِنَّمَا عَلَيْهِمْ أَنْ يَأْتُوا بِالْبَرَاهِينَ وَالآيَاتِ، وَلَيْسَ عَلَيْهِمْ تَغْيِيرُ الصُّورِ وَالْهَيَّاتِ، وَهُمْ يُرْسَلُونَ إِلَى النَّاسِ جَمِيعًا، فَإِذَا أَسْلَمَ مِنْهُمُ الدُّنْيَا، لَمْ يُلْحَقُهُمْ مِنْ ذَلِكَ نَقْصَانٌ؛ لَأَنَّ عَلَيْهِمْ أَنْ يَقْبِلُوا إِسْلَامَ كُلِّ مَنْ أَسْلَمَ مِنْهُمْ.

قلت: الأراذلُ هُنَّا هُمُ الْفَقَرَاءُ وَالضَّعِيفَاءُ، كَمَا قَالَ هِرَقْلُ لِأَبِي سَفِيَّانَ: أَشْرَافُ النَّاسِ اتَّبَعُوهُ أَمْ ضَعْفَاؤُهُمْ؟ فَقَالَ: بَلْ ضَعْفَاؤُهُمْ، فَقَالَ: هُمْ أَتَبَاعُ الرَّسُولِ<sup>(٣)</sup>.

قال علماًؤنا: إِنَّمَا كَانَ ذَلِكَ لَا سِتْلَاءَ الرِّيَاسَةِ عَلَى الْأَشْرَافِ، وَصَعُوبَةِ الْأَنْفَكَاكِ عَنْهَا، وَالْأَنْفَفَةِ مِنَ الْأَنْقِيَادِ لِلْغَيْرِ؛ وَالْفَقِيرُ خَلِيلٌ عَنْ تَلْكَ الْمَوَانِعِ، فَهُوَ سَرِيعٌ إِلَى الإِجَابَةِ وَالْأَنْقِيَادِ. وَهَذَا غَالِبُ أَحْوَالِ أَهْلِ الدُّنْيَا<sup>(٤)</sup>.

الثالثة: اختلف العلماء في تعين السَّفِلَةِ على أقوال:

فذكر ابن المبارك عن سفيان: أَنَّ السَّفِلَةَ هُمُ الَّذِينَ يَتَقَلَّسُونَ<sup>(٥)</sup>، وَيَأْتُونَ بَابَ الْقَضَاءِ وَالسَّلاطِينَ يَطْلَبُونَ الشَّهَادَاتِ.

وقال ثعلب عن ابن الأعرابي: السَّفِلَةُ: الَّذِينَ يَأْكُلُونَ الدُّنْيَا بِدِينِهِمْ؛ قَبْلَ لَهُ: فَمَنْ

(١) في إعراب القرآن ٢/٢٧٩.

(٢) لم نقف عليه عند غير النحاس، وسيذكره المصنف في المسألة التالية عن ابن عباس قوله. ذكره الألوسي في روح المعاني ١٩/١٠٧.

(٣) أخرجه مطولاً أحمد (٢٣٧٠)، والبخاري (٢٩٤١)، ومسلم (١٧٧٣) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) المفہوم ٣/٦٠٤.

(٥) في (ظ): يتكلبون. والتقليس: استقبال الولاة عند قدومهم بأصناف اللهو. اللسان (قلس)، والخبر في ربيع الأبرار ونصرور الأخبار للزمخشري ٢/٤٦٧.

**سَفِلَةُ السَّفِلَةِ؟** قال: الذي يُضْلِعُ دُنْيَا غَيْرِهِ بِفَسَادِ دِينِهِ<sup>(١)</sup>.

وَسُئِلَ عَلَيْهِ<sup>ﷺ</sup> عن السَّفِلَةِ فَقَالَ: الَّذِينَ إِذَا اجْتَمَعُوا غَلَبُوا، وَإِذَا تَفَرَّقُوا لَمْ يُعْرَفُوا.

وَقَيْلُ لِمَالِكَ بْنِ أَنَسِ<sup>ﷺ</sup>: مَنِ السَّفِلَةُ؟ قَالَ: الَّذِي يَسْبُطُ الصَّحَابَةَ<sup>(٢)</sup>.

وَرُوِيَّ عَنْ أَبْنَ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: الْأَرْذُلُونَ: الْحَاكَةُ وَالْحَجَامُونَ.

يَحْيَى بْنُ أَكْثَمَ: الدَّبَاغُ وَالْكَنَّاسُ إِذَا كَانَ مِنْ غَيْرِ الْعَرَبِ<sup>(٣)</sup>.

الرابعة: إذا قالت المرأة لزوجها: يا سَفِلَةُ! فَقَالَ: إِنْ كُنْتُ مِنْهُمْ فَأَنْتِ طَالِقُ، فَحَكَى النَّقَاشُ أَنَّ رَجُلًا جَاءَ إِلَى التَّرْمِذِيِّ فَقَالَ: إِنَّ امْرَأَتِي قَالَتْ لِي: يا سَفِلَةُ، فَقَلَتْ: إِنْ كُنْتُ سَفِلَةً فَأَنْتِ طَالِقُ. قَالَ التَّرْمِذِيُّ: مَا صَنَاعْتُكَ؟ قَالَ: سَمَّاْكُ، قَالَ: سَفِلَةُ وَاللَّهُ، سَفِلَةُ وَاللَّهُ.

قلت: وعلى ما ذكره ابن المبارك عن سفيان لا تطلق، وكذلك على قول مالك وابن الأعرابي لا يلزم منه شيء.

قوله تعالى: **بَادِئُ الرَّأْيِ**. أي: ظاهر الرأي، وباطنه على خلاف ذلك<sup>(٤)</sup>.  
يقال: بدا يبدو: إذا ظهر، كما قال:

**فَالْيَوْمَ حِينَ يَدْعُونَ لِلنَّظَارِ<sup>(٥)</sup>**

ويقال للبرية: باديه، لظهورها. وبدا لي أن أفعل كذا، أي: ظهر لي رأي غير

(١) ربيع الأبرار ٤٦٧ / ٢ ، وأخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٦٩٣٣) عن مالك بن أنس أنه هو المسؤول.

(٢) ذكر الخبرين السالفين الزمخشري في ربيع الأبرار ٤٨٧ / ٢ و ٤٦٨ .

(٣) ربيع الأبرار ٤٦٨ / ٢ .

(٤) الوجيز للواحدي (على هامش مراح ليبد) ص ٣٨٣ ، والمعنى: اتبعوك في ظاهر أمرهم، وعسى أن تكون بباطねهم ليست معك. البحر ٢١٥ / ٥ . وقال الفارسي في الحجة ٣١٧ / ٤ : المعنى: وما اتبعت إلا الأراذل فيما ظهر لهم من الرأي، أي: لم يتبعُوه بِنَظَرٍ فِيهِ وَلَا تَبَيَّنَ لَهُ.

(٥) وصدره: قد كن يخْبَأُونَ الوجوهَ تَسْتَرًا ، وقائله الربيع بن زياد كما في الأغاني ١٩٦ / ٧ ، والتعازي والمرائي للمبرد ص ٢٨٠ ، وشروح سقط الزند ١ / ٥٢ ، وشرح ديوان الحماسة للتبريزى ٢٦ / ٣ ، وفيه: بَرْزَنَ، بدل: بَدْنَ.

الأول. وقال الأزهري<sup>(١)</sup>: معناه: فيما يبدو لنا من الرأي. ويجوز أن يكون «بادي الرأي» من بدأ ببدأ، وحذف الهمزة.

وحقق أبو عمرو الهمزة فقرأ: «بادي الرأي»<sup>(٢)</sup> أي: أول الرأي، أي: اتبعوك حين ابتدؤوا ينظرون، ولو أمعنوا النظر والتفكير لم يتبعوك. ولا يختلف المعنى هنا بالهمز وترك الهمز<sup>(٣)</sup>. وانتصب على حذف «في»، كما قال عز وجل: «وَأَنْتَارَ مُوسَى قَوْمَهُ» [الأعراف: ١٥٥]<sup>(٤)</sup>.

«وَمَا رَأَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِنْ فَضْلٍ» أي: في اتباعه، وهذا جحدٌ منهم لنبوته ﷺ. «بَلْ نَظَرْتُمْ كَذِيلَنَا» الخطابُ لنوحٍ ومن آمن معه.

قوله تعالى: «قَالَ يَقُولُ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ يَنْتَقِلُ مِنْ رَّقِيٍّ وَإِنَّنِي رَحْمَةٌ مِّنْ عِنْدِهِ فَعَيْتُ عَلَيْكُمْ أَلْذِنِمُكُومُهَا وَأَشْتَرَ لَهَا كَرْهُونَ ١٩٦ وَيَنْقُومُ لَا أَشْتَرُكُمْ عَلَيْهِ مَا لَا إِنْ أَجْرَى إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الظِّلِّينَ مَا سَنَّا إِنَّهُمْ مُلْتَقِفُ رَبِّهِمْ وَلَكُنُتُ أَرْكُمُ قَوْمًا بَجْهَمَلُونَ ١٩٧ وَيَنْقُومُ مَنْ يَنْصُرُ فِي مِنَ اللَّهِ إِنْ طَرَدُوهُمْ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ ١٩٨ وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي حَزَانٌ اللَّهُ وَلَا أَغْلَمُ النَّيْبَ وَلَا أَقُولُ إِنِّي مَلَكٌ وَلَا أَقُولُ لِلْمُلَذِّيْنَ تَزَدَّرِي أَعِيشُكُمْ لَنْ يُقْتِلُهُمُ اللَّهُ خَيْرًا اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنفُسِهِمْ إِنِّي إِذَا لَمْ أَنْظِلْلِمْ إِنَّ اللَّهَ أَعْلَمُ ١٩٩

قوله تعالى: «قَالَ يَقُولُ أَرَأَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ يَنْتَقِلُ مِنْ رَّقِيٍّ» أي: على يقين؛ قاله أبو عمران الجنوبي<sup>(٥)</sup>. وقيل: على معجزة، وقد تقدم في «الأنعام» هذا المعنى<sup>(٦)</sup>.

(١) في تهذيب اللغة /٤ ٢٠٣ .

(٢) السبعة ص ٣٣٢ ، والتيسير ص ١٢٤ .

(٣) وقال الفارسي في الحجة ٤ / ٣١٧ - ٣١٨ : وابتداء الشيء يكون ظهوراً، وإن كان الظهور قد يكون ابتداء وغير ابتداء، فلذلك تُستعمل كلُّ واحدة من الكلمتين في موضع الأخرى.

(٤) إعراب القرآن للتحامس ٢ / ٢٨٠ .

(٥) أورده عنه الماوردي في النكت والعيون ٢ / ٤٦٥ بلفظ: على ثقة. بدل: على يقين. وكذا أخرجه عنه ابن أبي حاتم ٦ / ٢٠٢٣ (١٠٨١٧).

(٦) ٣٩٨ / ٨ .

**﴿وَالثُّنْجِ رَحْمَةٌ مِّنْ عِنْدِهِ﴾** أي: نبوة ورسالة؛ عن ابن عباس<sup>(١)</sup>؛ وهي رحمة على الخلق. وقيل: الهدایة إلى الله بالبراهين. وقيل: الإيمان<sup>(٢)</sup> والإسلام.

**﴿فَعَيْتُ عَلَيْكُمْ﴾** أي: عَيَّبْتُ عليكم الرسالة والهدایة فلم تفهموها. يقال: عَيَّبْتُ عن كذا، وعَيَّبْتُ على كذا، أي: لم أفهمه. والمعنى: فَعَيْتُ الرحمة. فقيل: هو مقلوب؛ لأنَّ الرحمة لا تعمَّ إنما يعمَّ عنها، فهو كقولك: أدخلت القلنوسة في رأسي<sup>(٣)</sup>، ودخلَ الخُفُّ في رجلي.

وقرأها الأعمشُ وحمزةُ والكسائيُّ: **﴿فَعَيْتُ﴾** بضم العين وتشديد الميم على ما لم يُسمَّ فاعله<sup>(٤)</sup>، أي: فعَيَّا لها الله عليكم، وكذا في قراءة أبي: «فعَيَّاها»؛ ذكرها الماوردي<sup>(٥)</sup>.

**﴿أَنْلَزِتُكُمُوهَا﴾** قيل: شهادة أن لا إله إلا الله. وقيل: الهاء ترجع إلى الرحمة. وقيل: إلى البينة، أي: أَنْلَزْتُكُمْ قَبْولَهَا، وأُوجَبْتُهَا عَلَيْكُمْ<sup>(٦)</sup>؟! وهو استفهام بمعنى الإنكار، أي: لا يُمْكِنني أن أضطرركم إلى المعرفة بها، وإنما قصداً نوح عليه السلام بهذا القول أن يرد عليهم.

وحكى الكسائيُّ والفراء<sup>(٧)</sup>: **﴿أَنْلَزِتُكُمُوهَا﴾** بإسكان الميم الأولى تخفيفاً، وقد

(١) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٤٦٦/٢ .

(٢) في (م): بالإيمان.

(٣) في (د) و(ف) و(م): أدخلت في القلنوسة رأسي، وفي (ظ): أدخلت القلنوسة رأسي، وسقط هذا الموضع من (خ) و(ز)، والمبث من الحجة للفارسي ٤/٣٢٢ والكلام منه، والمحرر الوجيز ٣/١٤٦ ، والبحر ٥/٢١٦ ، والدر المصنون ٦/٣١٤ . وقال مكي في الكشف عن وجوه القراءات ١/٥٢٧ : ويجوز أن يكون معنى «عَيَّبْتُ»: خفيت، فلا يكون فيه قلب.

(٤) وهي قراءة عاصم من روایة حفص أيضاً. السبعة ص ٣٣٢ ، والتيسير ص ١٢٤ . وذكرها عن الأعمش القراء في معاني القرآن ٢/١٢ .

(٥) في النكت والعيون ٢/٤٦٦ ، وذكرها أيضاً القراء في معاني القرآن ٢/١٢ ، وابن خالويه في القراءات الشاذة ص ٥٩ . وذكرها الطبری ١٢/٣٨٢ عن ابن مسعود .

(٦) ذكر هذا القول والذي قبله الماوردي في النكت والعيون ٢/٤٦٦ .

(٧) في معاني القرآن ١٢/٢ ، ونقله المصطف عنه وعن الكسائي بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٢/٢٨٠ .

أجاز مثلَ هذا سبيوبيه، وأنشد:

**فاليوم أشرب غير مستحقيب إِنَّمَا مِنَ اللَّهِ وَلَا وَأَغْلِي<sup>(١)</sup>**

وقال النحاس<sup>(٢)</sup>: ويجوزُ على قول يونس [في غير القرآن]: أنْلِ مُكْمِنَها، يُجْرِي المضمَر مجرَّى المُظْهَر؛ كما تقول: أنْلَمُكْمِنَ ذلك.

**«وَأَنْتَ لَهَا كَرِهُونَ»** أي: لا يصْحُ قَبُولُكُم لها مع الكراهة عليها. قال قتادة: والله لو استطاع نبِيُ الله نوح عليه السلام لألزمها قومَه، ولكنه لم يملِك ذلك<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: **«وَيَقُولُ لَا أَشْأْلُكُمْ عَلَيْهِ»** أي: على التبليغ، والدعاء إلى الله، والإيمان به، أجراً، أي: **«مَا لَأَنْتُ**» فينقلَ عليكم. **«إِنَّ أَجْرَى إِلَّا عَلَى اللَّهِ»** أي: ثوابي في تبليغ الرسالة. **«وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ مَأْمَنُوا»** سأله أن يطرد الأراذل الذين آمنوا به، كما سألت قريش النبي ﷺ أن يطرد الموالي والقراء، حسبَ ما تقدَّم في «الأنعام» بيانه<sup>(٤)</sup>. فأجابهم بقوله: **«وَمَا أَنَا بِطَارِدِ الَّذِينَ مَأْمَنُوا إِنَّهُمْ مُلْكُوْرَبِهِمْ»** يتحمِّلُ أن يكون قال هذا على وجه الإعظام لهم بقاء الله عزَّ وجلَّ، ويتحمِّلُ أن يكون قاله على وجه الاختصار، أي: لو فعلت ذلك لخاصموني عند الله، فيجازيهم على إيمانهم، ويجاري من طردهم. **«وَلَكِيفَتْ أَرْكَمُ قَوْمًا تَجْهَلُونَ»** في استردادِكم لهم، وسؤالِكم طردهم<sup>(٥)</sup>.

قوله تعالى: **«وَيَقُولُ مَنْ يَنْصُرُ فِي مَنَّ اللَّهِ»** قال الفراء<sup>(٦)</sup>: أي: يمْعنِي من عذابه. **«إِنْ كَلَّوْهُمْ»** أي: لأجل إيمانهم. **«أَفَلَا تَذَكَّرُونَ»** أدَّغَمَت التاء في الذال. ويجوز

(١) الكتاب ٢٠٤/٤ ، والبيت لامرئ القيس، وهو في ديوانه ص ١٢٢ برواية: فال يوم أسبق. وسلف ٢/١١٢ .

(٢) في إعراب القرآن ٢/٢٨ ، وما قبله وما سيرد بين حاضرتين منه.

(٣) النكت والعيون ٢/٤٦٦ ، وقول قتادة أخرجه الطبرى ١٢/٣٨٣ . وابن أبي حاتم ٦/٢٠٢٣ (١٠٨١٩).

(٤) ٣٨٧/٨ وما بعدها.

(٥) النكت والعيون ٢/٤٦٧ .

(٦) في معاني القرآن ٢/١٣ .

حذفها فنقول: «تَذَكَّرُونَ»<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: «وَلَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَانَاتُ اللَّهِ وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ» أخبر بتذلله وتواضعه لله عَزَّ وَجَلَّ، وأنه لا يدعى ما ليس له من خزائن الله، وهي إنعامه على مَن يشاء من عباده. وأنه لا يعلم الغيب؛ لأنَّ الغَيْبَ لا يعلمه إلا الله عَزَّ وَجَلَّ.

«وَلَا أَقُولُ إِلَيْ مَلَكٍ» أي: لا أقول إنَّ منزلتي عند الناس منزلة الملائكة. وقد قالت العلامة: الفائدة في الكلام: الدلاله على أنَّ الملائكة أفضل من الأنبياء؛ لدوامهم على الطاعة، واتصال عبادتهم إلى يوم القيمة، صلواث الله عليهم أجمعين<sup>(٢)</sup>. وقد تقدَّم هذا المعنى في «البقرة»<sup>(٣)</sup>.

«وَلَا أَقُولُ لِلَّذِينَ تَزَدَّرُونَ أَئِنْتُمْ» أي: تستقبل<sup>(٤)</sup> وتحتقرُ أعينكم، والأصل: تزدرىهم، حُذِفت الهاء والميم لطول الاسم. والدَّالُ مبدلٌ من تاء؛ لأنَّ الأصلَ في تزدرى: تَزَرِّي، ولكنَّ التاءَ تُبَدَّلُ بعدَ الزايِ دالاً؛ لأنَّ الزايَ مَجْهُورَةٌ والتاء مَهْمُوسَةٌ، فأبدَلَ من التاء حرفٌ مَجْهُورٌ من مخرجها<sup>(٥)</sup>. ويقال: أَزَرَيْتُ عليه: إذا عيَّته، وزَرَيْتُ عليه: إذا حَقَرَتَه<sup>(٦)</sup>. وأنشد الفراء:

**يُبَايِعُهُ الصَّدِيقُ وَتَزَدَّرُهُ حَلِيلُهُ وَيَنْهَرُهُ الصَّغِيرُ<sup>(٧)</sup>**

(١) إعراب القرآن للنحاس ٢/٢٨٠ ، وقرأ «تَذَكَّرُونَ» بفتح الذال حيث وقع إذ كان بالباء، حفص وحمزة والكسائي، وشدها الباقون. التيسير ص ١٠٨ ، وينظر السبعة ص ٢٧٢ .

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٢/٤٦٢ - ٢٨١ .

(٣) ٤٣٠ / ١ وما بعدها.

(٤) في (م): تستقبل.

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٢/٢٨١ .

(٦) ينظر الكامل للمبرد ٢/٥٠٦ ، والنكت والعيون ٢/٤٦٨ .

(٧) البيت لعروة بن الورد، وهو في ديوانه ص ٩١ ، وعيون الأخبار لابن قتيبة ١/٢٤٢ ، والبيان والتبيين ١/٢٣٤ برواية: ويقصى في الثديٍ وتزدرى...، وفي العقد الفريد ٣/٢٩ برواية: يباعده القريب...، وهو في النكت والعيون ٢/٤٦٨ موافق لرواية المصنف.

**﴿لَنْ يُؤْتِهِمُ اللَّهُ خَيْرًا﴾** أي: ليس لاحتقاركم لهم بـ**جَنَاحِلُ أَجُورُهُمْ**، أو **يَنْفَصُّ ثوابُهُمْ**.  
**﴿الَّهُ أَعْلَمُ بِمَا فِي أَنفُسِهِمْ﴾** فيجازيهم عليه ويرأذن لهم به. **﴿إِنَّ إِذَا لَمْ يَنْأِ الظَّالِمِينَ﴾** أي:  
 إن قلت هذا الذي تقدم ذكره<sup>(١)</sup>. و**﴿إِذَا﴾** ملغاً؛ لأنها متوسطة<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: **﴿قَاتُلُوا يَنْتَخُّ مَذْكُورًا جَنَاحَتْنَا فَأَكْثَرَتْ جَدَلَنَا فَلَيْلَنَا بِمَا تَعْدُنَا إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴾** قال إلينا يألكم به الله إن شاء وما أنت بمعجزين ولا ينفعكم تصحيحاً إن أردت أن أفحى لكم إن كان الله يريد أن يغويكم هو ريشكم وإليه ترجعون **﴿أَمْ يَقُولُونَ أَفَرَأَتْهُ قُلْ إِنْ أَفَرَأَتْهُ فَمَنْ إِجْرَاهُ وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تَحْرِمُونَ ﴾**

قوله تعالى: **﴿قَاتُلُوا يَنْتَخُّ مَذْكُورًا جَنَاحَتْنَا فَأَكْثَرَتْ جَدَلَنَا﴾** أي: خاصمتنا فأكثرت خصومتنا وبالغت فيها. والجَدَلُ في كلام العرب: المبالغة في الخصومة، مشتق من الجَدْلُ، وهو شَدَّةُ القتل. ويقال للصقر أيضاً: أَجَدَلُ؛ لشدة في الطير<sup>(٣)</sup>، وقد مضى هذا المعنى في «الأنعام»<sup>(٤)</sup> بأسباب من هذا. وقرأ ابن عباس: **«فَأَكْثَرَتْ جَدَلَنَا»**. ذكره النحاس<sup>(٥)</sup>.

والجَدَلُ في الدين محمود؛ ولهذا جادل نوح والأنبياء قومهم حتى يظهر الحق، فمن قبليه أنجح وأفلح، ومن رده خاب وخسر. وأما الجَدَلُ لغير الحق حتى يظهر الباطل في صورة الحق فمدوم، وصاحبته في الدارين ملوم.

**﴿فَلَيْلَنَا بِمَا تَعْدُنَا﴾** أي: من العذاب **﴿إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾** في قوله.

(١) النكت والعيون ٤٦٨/٢ .

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٢٨١/٢ .

(٣) معاني القرآن للزجاج ٤٩/٣ وفيه: لأنه من أشد الطير، وإعراب القرآن للنحاس ٢٨١/٢ ، وعن نه نقل المصطفى.

(٤) ١٧/٩ .

(٥) في إعراب القرآن ٢٨١/٢ ، وذكرها ابن خالويه في القراءات الشاذة ص ٦٠ ، وابن جني في المحتسب ١/٣٢١ عن ابن عباس وأيوب السختياني.

قوله تعالى: **﴿فَأَلَّا إِنَّا يَأْتِكُم بِهِ اللَّهُ إِنْ شَاءَ﴾** أي: إن أراد إهلاككم عذبكم.  
**﴿وَمَا أَنْشَدْتُ بِمُعْجِزِي﴾** أي: بفاثتين<sup>(١)</sup>. وقيل: بغالبين بكثرتكم؛ لأنهم أعجبوا بذلك؛ كانوا ملؤوا الأرض سهلاً وجبراً على ما يأتي<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: **﴿وَلَا يَنْقُضُونَ تَصْحِيفَ﴾** أي: إيلاغي واجتهادي في إيمانكم **﴿إِنْ أَرَدْتُ**  
**أَنْ أَنْصَحَّ لَكُمْ﴾** أي: لأنكم لا تقبلون نصحاً، وقد تقدم في «براءة»<sup>(٣)</sup> معنى النصح لغة.  
**﴿إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ﴾** أي: يُضللكم. وهذا مما يدل على بطلان مذهب  
 المعتزلة والقدريّة ومن وافقهما؛ إذ زعموا أن الله تعالى لا يريد أن يعصي العاصي،  
 ولا يكفر الكافر، ولا يغوى الغاوي، وأنه يفعل ذلك والله لا يريد ذلك؛ فرد الله  
 عليهم بقوله: **﴿إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ﴾**. وقد مضى هذا المعنى في «الفاتحة»  
 وغيرها<sup>(٤)</sup>. وقد أكذبوا شيخهم اللعين إبليس على ما بيّناه في «الأعراف»<sup>(٥)</sup> في إغواء  
 الله تعالى إياه حيث قال: **﴿فِيَّا أَغْوَيْتَنِي﴾** [الأعراف: ١٦]، ولا محيسن لهم عن قول  
 نوح عليه السلام: **﴿إِنْ كَانَ اللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يُغْوِيَكُمْ﴾**، فأضاف إغواهم إلى الله سبحانه  
 وتعالى؛ إذ هو الهدادي والمُضِلُّ، سبحانه عمّا يقول الجاحدون والظالمون علواً كبيراً.  
 وقيل: «أنْ يُغْوِيَكُمْ»: يهلككم بعذابه؛ حكى عن طبيّ: أصبح فلان غاوياً، أي: مريضاً،  
 وأغويته: أهلكته، ومنه: **﴿فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيْرًا﴾** [مريم: ٥٩].

**﴿مَوْرِبَكُمْ﴾** فإليه الإغواء، وإليه الهدایة. **﴿وَإِلَيْهِ تُرْجَمُونَ﴾** تهديدٌ ووعيد.

قوله تعالى: **﴿أَمْ يَقُولُونَ أَفْتَرَهُ﴾** يعنونَ النبي ﷺ. افترى: افتعل، أي: اختلقَ

(١) تفسير البغوي ٢/٣٨١.

(٢) ص ١١٠ من هذا الجزء.

(٣) ٢٢٦/٨.

(٤) ٣١، ٢٨٥، ٢٣٠ و ٥.

(٥) ١٧١ - ١٧٢.

(٦) في تفسيره ٣٨٩/١٢، ونقله المصطفى عنه بواسطة النحاس في معاني القرآن ٣/٣٤٥.

القرآن من قبل نفسه، وما أخبر به عن نوح وقومه؛ قاله مقاتل<sup>(١)</sup>.

وقال ابن عباس: هو من محاورة نوح لقومه<sup>(٢)</sup>. وهو أظهر؛ لأنَّه ليس قبْلَه ولا بعده إلا ذُكْرُ نوح وقومه، فالخطابُ منهم ولهم.

**﴿قُلْ إِنَّ أَنْتَ مُتَّهِمٌ﴾** أي: اختلقْتُ وافتُعلْتُ، يعني الوحي والرسالة. **﴿فَعَلَكَ إِجْرَامُكَ﴾** أي: عقابٌ إجرامي. وإنْ كنْتُ مُحْكَماً فيما أقولُه فعليكم عقابٌ تكذيبِي. والإجرام مصدرٌ أَجْرَمَ؛ وهو اقْتِرَافُ السَّيِّئَة. وقيل: المعنى: أي جزاءٌ جُرميٌ وَكَسْبِيٌ. وجَرَمْ وأَجْرَمْ بمعنىٍ، عن النحاس وغيرِه<sup>(٣)</sup>. قال:

طَرِيدُ عَشِيرَةِ وَرَهِينُ جُرْمٍ      بما جَرَمْتَ يَدِي وَجَنَّى لِسَانِي<sup>(٤)</sup>  
وَمَنْ قَرَا: «أَجْرَامِي» بفتحِ الهمزة؛ ذهبَ إلى أنه جَمْعُ جُرمٍ؛ وذكره النحاس  
أيضاً<sup>(٥)</sup>. **﴿وَأَنَا بَرِيءٌ مِّمَّا تَحْرِمُونَ﴾** أي: من الكفر والتکذيب.

قوله تعالى: **﴿وَأَوْحَى إِلَى نُوحَ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمَكَ إِلَّا مَنْ قَدْ مَاءَمَ فَلَا  
تَبْتَهِنْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴾** وَاصْبَحَ الْفَلَكُ يَأْغِيَّنَا وَوَخِنَّا وَلَا تُخَطِّبَنِي فِي الَّذِينَ  
ظَلَمُوا إِلَيْهِمْ مُّغَرَّبُونَ<sup>(٦)</sup>

قوله تعالى: **﴿وَأَوْحَى إِلَى نُوحَ أَنَّهُ لَنْ يُؤْمِنَ مِنْ قَوْمَكَ إِلَّا مَنْ قَدْ مَاءَمَ﴾** «أنه» في

(١) ذكره البغوي ٣٨١/٢ ، وقال بهذا القول أيضاً الطبرى ٣٨٩/١٢ ، والماوردي في النكت والعيون ٤٦٨/٢

(٢) ذكره البغوي ٣٨١/٢ .

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٢٨١/٢ ، ومعاني القرآن للزجاج ٤٩/٣ .

(٤) قائله الْهَمِيرِدَان السعدي كما في مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢٨٨/١ برواية: ورهين ذنب، وهو في النكت والعيون ٤٦٨/٢ دون نسبة موافق لرواية المصنف. وذكره أبو الفرج في الأغاني ١٩١/٢ عن الشاعر التهري برواية:

طَرِيد عَشِيرَةِ طَرِيد حَرْب      بما اجْتَرَمْتَ يَدِي ...

(٥) في معاني القرآن ٣٤٦/٣ ، ومعاني القرآن للفراء ١٣/٢ ، وللزجاج ٤٩/٣ ، وذكر القراءة ابن خالويه في القراءات الشاذة ص ٦٠ عن الفراء.

موضع رفع على أنه اسم ما لم يسم فاعله. ويجوز أن يكون في موضع نصب، ويكون التقدير: بأنه<sup>(١)</sup>. و«آمن» في موضع نصب بـ«يؤمن»<sup>(٢)</sup>. ومعنى الكلام الإياس من إيمانهم، واستدامة كفرهم، تحقيقاً لنزلول الوعيد بهم. قال الضحاك: فدعا عليهم لما أخبر بهدا فقال: ﴿رَبَّ لَا تَنْزَلَ عَلَى الْأَرْضِ مِنَ الْكَفَّارِ إِذَا رَأَاهُمْ﴾ الآيات [٢٦-٢٧].<sup>(٣)</sup>

وقيل: إنَّ رجلاً من قوم نوح حمل ابنته على كتفه، فلما رأى الصبي نوحاً قال لأبيه: أعطني حجراً، فأعطاه حجراً، ورمى به نوحاً عليه السلام فأدمه؛ فأوحى الله تعالى إليه: ﴿أَتَئِمُ أَنْ يُؤْمِنَ بِنَ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ آمَنَ﴾<sup>(٤)</sup>.

﴿فَلَا يَنْتَسِنُ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ أي فلا تغتم بهلاكهم حتى تكون بائساً، أي: حزيناً. والبؤسُ: الحزنُ، ومنه قولُ الشاعر:

وكم مِنْ خليلٍ أو حميمٍ رُزِقْتُه فلم أَبْتَسِنْ وَالرُّزْءَ فِيهِ جَلِيلٌ<sup>(٥)</sup>  
يقال: ابتأسَ الرجلُ: إذا بلغَه شيءٌ يكرهُه. والابتاسُ: حُزنٌ في استكانة.

قوله تعالى: ﴿وَأَصْنَعَ الْفَلَكَ يَأْغِيَنَا وَوَجِينَا﴾ أي: أعمل السفينة لتركها أنت ومن آمنَ معك. «يأغينَا» أي: بمرأى منا وحيث نراك<sup>(٦)</sup>. وقال الربيع بن أنس: بحفظنا، [والتأويل: بحفظنا] إياك حفظَ مَنْ يَرَاك<sup>(٧)</sup>. وقال ابن عباس رضي الله عنهما:

(١) إعراب القرآن للنحاس ٢/٢٨٢.

(٢) كلما قال المصنف رحمة الله، والواقع أن قوله: «آمن»، صلة الموصول، وقوله: «مَنْ قد آمن» في موضع رفع بـ«يؤمن». ينظر إعراب القرآن للنحاس ٢/٢٨٢ ، ومشكل إعراب القرآن ١/٣٦١ ، وإملاء العكيري ٣/٢٧٣ (بها مشتقات الفتوحات الإلهية).

(٣) النكت والعيون ٢/٤٦٩ ، وأخرج خبر الضحاك الطبراني ١٢/٣٩١.

(٤) ذكر الثعلبي في عرائض المجالس ص ٥٦ ، والبغوي ٢/٣٨٢ ، وابن الجوزي ٤/١٠١ قصة معنى هذه القصة، ولم تتفق عليها بهذا اللفظ الذي ذكره المصنف.

(٥) النكت والعيون ٢/٤٦٩ ، وذكره أبو حيان ٥/٢٢٠ برواية: نبتس، بدل: أبتس.

(٦) ينظر النكت والعيون ٢/٤٦٩ ، وتفسير البغوي ٢/٣٨٢ . وقال ابن عطية في المحرر الوجيز ٢/١٦٦ : يزيد: بمرأى منا وتحت إدراكه، فتكون عبارة عن الإدراك والرعاية والحفظ.

(٧) الوسيط ٢/٥٧٢ ، وما سلف بين حاصلتين منه، وذكر خبر الربيع أيضاً ابن الجوزي في زاد المسير ٤/١٠١ .

بحراستنا، والمعنى واحد.

فعتبر عن الرؤية بالأعين؛ لأنَّ الرؤية تكونُ بها<sup>(١)</sup>. ويكون جمُع الأعين للعظمة لا للتکثیر؛ كما قال تعالى: ﴿فَيَقُولُ الْقَدِيرُونَ﴾ [المرسلات: ٢٣] ﴿فَيَقُولُ الْمُنْهَدُونَ﴾ [الذاريات: ٤٨] ﴿وَلَنَا لَهُ مَوْسِعٌ﴾ [الذاريات: ٤٧]. وقد رجع<sup>(٢)</sup> معنى الأعين في هذه الآية وغيرها إلى معنى عين؛ كما قال: ﴿وَلِتُصْنِعَ عَلَى عَيْقَةٍ﴾ [طه: ٣٩]، وذلك كله عبارة عن الإدراك والإحاطة، وهو سبحانه مترئٌ عن الحواس والتшибيه والتکيف، لا ربٌّ غيره.

وقيل: المعنى: «يأغْيِنَنَا»، أي: بأعين ملائكتنا الذين جعلناهم عيوناً على حفظك ومعونتك، فيكونُ الجمعُ على هذا التکثير على بابه.

وقيل: «يأغْيِنَنَا» أي: بعلمنا؛ قاله مقاتل<sup>(٣)</sup>: وقال الضحاك وسفيان: «يأغْيِنَنَا»: بأمرنا. وقيل: بواحينا. وقيل: بمعونتنا لك على صنعتها. «وَوَحِنَّنَا» أي: على ما أوحينا إليك من صنعتها. ﴿وَلَا تُخْتَبِئْ فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُمْ مُّنْفَرَقُونَ﴾ أي: لا تطلب إمهالهم فإني مُعْرِفُهم.

قوله تعالى: ﴿وَيَصْنَعُ الْفُلَكَ وَكُلُّمَا مَرَّ عَيْنِهِ مَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ سَخْرُوا مِنْهُ فَأَلَّا نَسْخِرُوا إِنَّا فَلَانَا سَخَّرُ مِنْكُمْ كَمَا سَخَّرُونَا ﴿١﴾ نَسْوَتْ نَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيُهُ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحْلُّ عَيْنَهُ عَذَابٌ مُّقِيمٌ ﴿٢﴾ حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَنْتُمْ وَفَارَ النَّوْرُ فَلَنَا أَخْلُ فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ اثْنَيْنِ وَأَهْلَكَ إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَيْنَهُ الْقُولُ وَمَنْ ظَاهَرَ وَمَا ظَاهَرَ مَعْذُرٌ إِلَّا قَلِيلٌ ﴿٣﴾

قوله تعالى: ﴿وَيَصْنَعُ الْفُلَكَ﴾ أي: وَطَفِقَ يصْنَعُ. قال زيدُ بنُ أسلم: مَكَثَ

(١) النكت والعيون ٤٦٩ / ٢ ، وحُثَّ هذا الكلام أن يذكر إنما أول قول ذكره المصنف، وهو قوله: بمرأى منا، وكذا ذكره الماوردي.

(٢) في (د) و(ز) و(ف) و(م): وقد يرجع، والمثبت من (ظ). ووقع في المحرر الوجيز ١٦٩ / ٣ (والكلام منه): فرجع.

(٣) تفسير البغوي ٣٨٢ / ٢ .

نوح مئة سنة يغرس الشجر ويقطعها ويسعّها، ومئة سنة يعملها<sup>(١)</sup>.

وروى ابن القاسم عن ابن أشرس عن مالك قال: بلغني أنَّ قوم نوح ملؤوا الأرض، حتى ملؤوا السهل والجبل، فما يستطيع هؤلاء أن ينزلوا إلى هؤلاء، ولا هؤلاء أن يصعدوا إلى هؤلاء، فمكث نوح يغرس الشجر مئة عام لعمل السفينة، ثم جمعها يُبُسِّها مئة عام، وقومه يسخرون، وذلك لما رأوه يصنع من ذلك؛ حتى كان من قضاء الله فيهم ما كان<sup>(٢)</sup>.

وروى عن عمرو بن الحارث قال: عمل نوح سفينته بباقع دمشق، وقطع خشبها من جبل لبنان<sup>(٣)</sup>.

وقال القاضي أبو بكر بن العربي: لَمَّا استنقذ الله سبحانه وتعالى مَنْ في الأصلاب والأرحام من المؤمنين أوحى الله إليه: أنه لن يؤمنَ من قومك إِلَّا مَنْ قد آمنَ، فاصنع الفُلْك. قال: يا رب! ما أنا بـنَجَار. قال: بلى، فإنَّ ذلك بعيني. فأخذ القَدُوم فجعلَه بيده، وجعلَت يَدُه لا تُخطئ، فجعلوا يمرون به ويقولون: هذا الذي يزعم أنه نبي صار نجاراً؛ فعَيْلَهَا في أربعين سنة<sup>(٤)</sup>.

وحكى الشعابي وأبو نصر القشيري عن ابن عباس قال: اتَّخَذَ نوح السفينة في سنتين<sup>(٥)</sup>. زاد الشعابي: وذلك لأنَّه لم يعلمُ كيف صنعة الفُلْك، فأوحى الله إليه أنَّه أصنعنها كجُرُجو الطائر<sup>(٦)</sup>. وقال كعب<sup>(٧)</sup>: بناها في ثلاثة سنَة، والله أَعْلَمُ. المَهْدَوِيُّ: وجاء في الخبر أنَّ الملائكة كانت تُعلّمه كيف يصنعها.

(١) النكت والعيون ٤٧٠/٢ ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٢٠٢٦ (١٠٨٤٦).

(٢) أحكام القرآن لابن العربي ٣/١٠٤٥ - ١٠٤٦.

(٣) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٣/١٧٠ عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) أحكام القرآن لابن العربي ٣/١٠٤٦ . وأخرجه ابن أبي حاتم ٢٠٢٧/٦ (١٠٨٤٧) عن كعب الأحبار.

(٥) ذكره البغوي ٢/٣٨٢ .

(٦) أخرجه الطبراني ٣٩٢/١٢ ، وابن أبي حاتم ٦/٢٠٢٥ (١٠٨٣٣). والجُرُجو: الصدر. النهاية (جُرُجو).

(٧) هو كعب الأحبار، وكلامه في تفسير البغوي ٢/٣٨٣ .

وأختلفوا في طولها وعرضها؛ فعن ابن عباس رضي الله عنهمَا: كان طولها ثلاثة مئة ذراع، وعرضها خمسون، وسمكُها ثلاثون ذراعاً، وكانت من خشب الساج<sup>(١)</sup>. وكذا قال الكلبي وقتادة وعكرمة: كان طولها ثلاثة مئة ذراع. والذراع إلى المتنكب؛ قاله سلمان الفارسي<sup>(٢)</sup>.

وقال الحسن البصري: إن طول السفينة ألف ذراع ومئتا ذراع، وعرضها ست مئة ذراع<sup>(٣)</sup>.

وحكى<sup>(٤)</sup> الشعبي في كتاب «العرائس»<sup>(٥)</sup>: روى علي بن زيد، عن يوسف بن مهران، عن ابن عباس قال: قال الحواريون ليعيسى عليه السلام: لو بعثت لنا رجلاً شهد السفينة يحدّثنا عنها. فانطلق بهم حتى انتهى إلى كثيب من تراب، فأخذ كفّاً من ذلك التراب، قال: أتدرونَ ما هذا؟ قالوا: الله ورسوله أعلم! قال: هذا قبر سام بن نوح<sup>(٦)</sup>، قال: فضرب الكثيب بعصاه وقال: قم يا ذن الله، فإذا هو قائمٌ ينفضُ التراب عن رأسه وقد شاب<sup>(٧)</sup>، فقال له عيسى: أهكذا هلكت؟ قال: لا، بل مِثْ وأنا شاب، ولكنني ظننت أنها الساعة، فمن ثم شبّت. قال: أخبرنا عن سفينة نوح؟ قال: كان طولها ألف ذراع ومئتي ذراع، وعرضها ست مئة ذراع، وكانت ثلاثة طبقات؛ طبقة فيها الدوابُ والوحش، وطبقة فيها الإنس، وطبقة فيها الطير. وذكر باقي الخبر

(١) تفسير البغوي ٣٨٢/٢ ، وأخرجه الطبرى ٣٩٤/١٢ عن قتادة. والساج: شجر يعظم جداً، وينذهب طولاً وعرضًا، يتغطى الرجل بورقة منه فتكتنه من المطر. اللسان (سوج).

(٢) أخرجه الطبرى ٤٠٠/١٢ .

(٣) أخرجه الطبرى ٣٩٥/١٢ .

(٤) في (ز) و(ظ) و(ف) و(م): وحکاء، والمثبت من (د).

(٥) ص ٦٠ ، وأخرجه الطبرى في التفسير ٣٩٥/١٢ ، وفي التاريخ ١٨١/١ .

(٦) في العرائس: هذا سام بن نوح، وفي تفسير الطبرى: هذا كعب حام بن نوح، وفي التاريخ: هذا قبر حام بن نوح.

(٧) في النسخ الخطية: وقد شاخ، والمثبت من (م) والمصادر.

على ما يأتي ذكره إن شاء الله تعالى<sup>(١)</sup>.

وقال الكلبي فيما حكاه النقاش: ودخل الماء فيها أربعة أذرع، وكان لها ثلاثة أبواب؛ باب في السباع والطير، وباب في الوحش، وباب في الرجال والنساء. ابن عباس: جعلها ثلاث بطنون؛ البطن الأسفل للوحش والسباع والدواب، والأوسط للطعام والشراب، وركب هو في البطن الأعلى، وحمل معه جسدَ آدم عليه السلام معتبراً بين الرجال والنساء<sup>(٢)</sup>، ثم دفنه بعد بيت المقدس، وكان إيليس معهم في الكوثر<sup>(٣)</sup>.

وقيل: جاءت الحية والعقرب لدخول السفينة، فقال نوح: لا أحملكم؛ لأنكم سبب المضر والباء، فقالنا: احملنا فنحن نضمن لك ألا نضر أحداً ذكرك. فمن قرأ حين يخاف مضرهما: ﴿سَلَّمَ عَلَى نُوحٍ فِي الْمَلَائِكَةِ﴾ [الصفات: ٧٩] لم تضره<sup>(٤)</sup>؛ ذكره القشيري وغيره.

وذكر الحافظ ابن عساكر في «التاريخ» له مرفوعاً من حديث أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: «من قال حين يُمسى: صلى الله على نوح، وعلى نوح السلام، لم تلدغه عقرب تلك الليلة»<sup>(٥)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَكُلُّمَا﴾ ظرف ﴿مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّنْ قَوْمِهِ سَخِرُوا مِنْهُ﴾ قال الأخفش

(١) ص ١٢١ من هذا الجزء. قال أبو حيان في البحر ٥/٢٢١: اختلوا في هييتها من التربيع والطول، وفي مقدار مدة عملها، وفي المكان الذي عملت فيه، ومقدار طولها وعرضها، على آقوال متارضة لم يصح منها شيء. وقال الرازمي ١٧/٢٢٤: أعلم أن أمثال هذه المباحث لا تعجبني؛ لأنها أمور لا حاجة إلى معرفتها البته، ولا يتعلق بمعرفتها فائدة أصلأ.

(٢) قوله: وحمل معه جسد آدم...، جزء من خبر أخرجه الطبراني في التاريخ ١/١٨٥ عن طريق الكلبي، عن أبي صالح عن ابن عباس، وما قبله ذكره عن ابن عباس البغوي ٢/٣٨٣.

(٣) ينظر المحرر الوجيز ٣/١٧١. والكوثر: مؤخر السفينة. اللسان (كتل).

(٤) تفسير البغوي ٢/٣٨٤.

(٥) تاريخ ابن عساكر ٦٢/٢٥٦، وأخرجه أيضاً ابن عدي في الكامل ٢/٤٤٠، وفيه بشر بن نعير، قال فيه الحافظ في التقريب: متوك متهם.

والكسائي يقال: سخرت به ومنه<sup>(١)</sup>.

وفي سخريتهم منه قولان: أحدهما: أنهم كانوا يرون سفينته في البر، فيسخرون به ويستهزئون ويقولون: يا نوح، صرت بعد النبوة نجراً.

الثاني: لما رأوه يبني السفينة ولم يشاهدو قبلها سفينه بنيت قالوا: يا نوح ما تصنع؟ قال: أبني بيتي يمشي على الماء. فعجبوا من قوله وسخروا منه. قال ابن عباس: ولم يكن في الأرض قبل الطوفان نهر ولا بحر؛ فلذلك سخروا منه، ومياه البحر هي بقية الطوفان<sup>(٢)</sup>.

**﴿فَالَّذِينَ تَسْخَرُونَ مِنَّا﴾** أي: من فعلنا اليوم عند بناء السفينة **﴿فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنْكُمْ﴾** غداً عند الغرق. والمراد بالسخرية هنا: الاستجهار؛ ومعنى: إِنْ تَسْتَجِهُلُونَا فإننا نتجهلكم كما تستجهلونا<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: **﴿فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخَزِّيَهُ﴾** تهديد، و«من» مبصلة بـ «سوف تعلمون»، و«تعلمون» هنا من باب التعدية إلى مفعول، أي: فسوف يعلمون الذي يأتيه العذاب. ويجوز أن تكون «من» استفهامية؛ أي: أئنا يأتيه العذاب؟ وقيل: «من» في موضع رفع بالابتداء<sup>(٤)</sup>، و« يأتيه» الخبر، و«يُخَزِّيَهُ» صفة لـ «عذاب».

وحكم الكسائي: أنَّ أنساً من أهل الحجاز يقولون: سوت علمون، وقال: من قال: «ستعلمون» أسقط الواو والفاء جميعاً. وحكم الكوفيون: سفت علمون، ولا

(١) إعراب القرآن للنحاس ٢٨٢/٢.

(٢) كذا نقل المصطف عن الماوردي في النكت والعيون ٤٧١/٢ ، وهو مخالف لصریح التقليل، وفي نسبة لابن عباس نظر.

(٣) النكت والعيون ٤٧١/٢ ، وذكره أيضاً ابن عطية في المحرر الوجيز ١٧١/٣. وقال: إلا أن التصريف يضيق به.

(٤) كذا وقع في النسخ، والواقع أن «من» في موضع رفع بالابتداء، وذلك على أنها استفهامية، فلم يقل الصواب حذف لفظة «قيل» في قوله: وقيل: «من» في موضع رفع . . . وتكون العبارة: «من» في موضع رفع . . . ينظر تفسير الرازى ١٧/٢٢٤ - ٢٢٥ ، والبحر المحيط ٥/٢٢٢ .

يعرف البصريون إلا سوف تفعلُ، وستفعلُ، لغتان ليست إحداهما من الأخرى<sup>(١)</sup>.  
**﴿وَيَحْلُّ عَيْنَهُ﴾** أي: يجب عليه وينزلُ به. **﴿عَذَابٌ مُّقِيمٌ﴾** أي: دائم، يريدُ عذاب الآخرة.

قوله تعالى: **﴿وَحَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَمْرُنَا وَفَارَ التَّنُورُ﴾** اختلف في التأثر على أقوال سبعة:  
 الأول: أنه وجه الأرض، والعرب تسمى وجه الأرض تنوراً؛ قاله ابن عباس  
 وعكرمة والزهري وأبن عبيدة، وذلك أنه قيل له: إذا رأيت الماء على وجه الأرض  
 فاركب أنت ومن معك<sup>(٢)</sup>.

الثاني: أنه تنور الخبز الذي يُخبَرُ فيه، وكان تنوراً من حجارة، وكان لحواء حتى  
 صار لنوح، فقيل له: إذا رأيت الماء يفور من التنور؛ فاركب أنت وأصحابك. وأنبأ  
 الله الماء من التنور، فعلمته بامرأته، فقالت: يا نوح، فار الماء من التنور، فقال:  
 جاء وعد ربّي حقاً. هذا قول الحسن، وقاله مجاهد، وعطاء عن ابن عباس<sup>(٣)</sup>.

الثالث: أنه موضع اجتماع الماء في السفينة؛ عن الحسن أيضاً<sup>(٤)</sup>.

الرابع: أنه طلوع الفجر، ونور الصبح؛ من قولهم: نور الفجر تنوراً؛ قاله علي  
 ابن أبي طالب<sup>(٥)</sup>.

الخامس: أنه مسجد الكوفة؛ قاله علي بن أبي طالب أيضاً<sup>(٦)</sup>، وقاله مجاهد.

(١) إعراب القرآن للنحاس ٢٨٢/٢ ، وينظر الإنصاف في مسائل الخلاف ٦٤٦/٢ - ٦٤٧ .

(٢) النكت والعيون ٤٧٢/٢ ، وأخرجه عن ابن عباس وعكرمة الطبرى ٤٠١/١٢ - ٤٠٢ ، وذكره عن الزهري البغوى ٣٨٣/٢ .

(٣) أخرج هذه الأخبار الطبرى ٤٠٤/١٢ - ٤٠٥ ، وعطاء هو العوفي.

(٤) أورده ابن عطية في المحرر الوجيز ١٧١ .

(٥) أورده النحاس في معاني القرآن ٣٤٨/٣ ، والماوردي في النكت والعيون ٤٧٢/٢ ، وأخرجه الطبرى ٤٠٢/١٢ - ٤٠٣ .

(٦) أورده أبو الليث ١٢٦ ، والماوردي في النكت والعيون ٤٧٢/٢ ، وأخرجه الطبرى ٤٠٦/١٢ عن الشعبي. وأخرجه ابن أبي حاتم ٢٠٢٨ (١٠٨٥٦) عن محمد بن علي.

قال مجاهد: كان ناحيَة التَّنُور بالكوفة. وقال: اتَّخَذَ نُوح السَّفِينَة في جوف مسجد الكوفة، وكان التَّنُورُ على يمين الدَّاخِلِ مما يلي كِنْدَةً. وكان فَوْرَانُ الماء منه عَلَمَا لَنُوحَ، وَدَلِيلًا على هلاك قَوْمٍ<sup>(١)</sup>. قال الشاعرُ وهو أمية:

فار تُنُورُهُمْ وجاشَ بِسَمَاءٍ صار فَوْقَ الْجَبَالِ حَتَّى عَلَاهَا<sup>(٢)</sup>

السادس: أنه أعلى الأرض، والمواضع المرتفعة منها؛ قاله قتادة<sup>(٣)</sup>.

السابع: أنه العين التي بالجزيرة «عين الوردة» رواه عَكْرَمَة<sup>(٤)</sup>. وقال مقاتل: كان ذلك تَنُورَ آدَمَ، وإنما كان بالشام بموضع يقال له: «عين وَرَدَة»<sup>(٥)</sup>. وقال ابن عباس أيضاً: فَار تُنُورُ آدَمَ بِالهَنْد<sup>(٦)</sup>.

قال النحاس<sup>(٧)</sup>: وهذه الأقوال ليست بمتناقصة؛ لأنَّ اللَّه عَزَّ وَجَلَّ أَخْبَرَنَا أَنَّ الماء جاء من السماء والأرض؛ قال: **﴿فَفَرَّحَنَا أَبْوَابُ السَّمَاءِ يُمْلَأُونَ مُنْهَرٍ وَفَجَرَنَا الْأَرْضَ عُيُونًا﴾** [القرآن: ١١، ١٢]. فهذه الأقوال تجتمع في أنَّ ذلك كان علامَةً.

والقرآن: **الْعَلَيَانُ**<sup>(٨)</sup>. والتَّنُورُ اسْمُ أَعْجَمِيَّ عَرَبِيَّةِ الْعَرَبِ، وهو على بناء فَعَلْ؛ لأنَّ أَصْلَ بَنَائِهِ: تَنَّرَ، وليس في كلام العرب نُونٌ قبل راءَ<sup>(٩)</sup>.

(١) تفسير البغوي ٣٨٣ / ٢ - ٣٨٤ ، وعرائس المجالس ص ٥٧ .

(٢) النكت والعيون ٤٧٢ / ٢ ، وأمية هو ابن أبي الصلت، والبيت في ديوانه ص ١٤٩ برواية: طمُ، بدل: صار.

(٣) أخرجه الطبرى ٤٠٤ / ١٢ .

(٤) النكت والعيون ٤٧٢ / ٢ وأخرجه ابن أبي حاتم ٢٠٢٩ / ٦ (١٠٨٩٥) من طريق عكرمة عن ابن عباس. وعين الوردة: هو رأسُ عين، المدينة المشهورة بالجزيرة. وباقربها يقع جبل طورزينا عند قنطرة الخابور. ينظر معجم البلدان ٤٧ / ٤ و ١٨٠ .

(٥) تفسير البغوي ٣٨٤ / ٢ . وعرائس المجالس ص ٥٧ .

(٦) تفسير البغوي ٣٨٤ / ٢ ، وأخرجه الطبرى ٤٠٨ / ١٢ بلفظ: فَار التَّنُورُ بِالهَنْدَ .

(٧) في معاني القرآن ٣٤٨ / ٣ - ٣٤٩ .

(٨) عرائس المجالس ص ٥٧ ، وتفسير البغوي ٣٨٤ / ٢ .

(٩) ينظر تهذيب اللغة ٢٧٠ - ٢٦٩ / ١٤ ، ومقاييس اللغة ٢٨ / ٣ .

وقيل: معنى: «فَأَرَ التُّتُورُ»: التمثيل لحضور العذاب، كقولهم: حمي الوطيسُ: إذا اشتدَّ الحرب. والوطيسُ: التُّتور. ويقال: فارت قدرُ القوم: إذا اشتدَّ حربُهم<sup>(١)</sup>; قال شاعرهم:

تركتُمْ قدرَكُمْ لَا شِيَّءَ فِيهَا      وَقَدْرُ الْقَوْمَ حَامِبَةَ تُتُورُ<sup>(٢)</sup>  
 قوله تعالى: «فَلَنَا أَخْمَلْ فِيهَا مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ» يعني ذكرًا وأنثى؛ لبقاء أصل النسل بعد الطوفان. وقرأ حفص: «مِنْ كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ» بتنوين «كل» أي: من كل شيء زوجين<sup>(٣)</sup>. القراءتان ترجعان إلى معنى: واحد<sup>(٤)</sup> معه آخر لا يستغني عنه<sup>(٥)</sup>. ويقال للاثنين: هما زوجان، في كل اثنين لا يستغني أحدهما عن صاحبه؛ فإن العرب تسمى كل واحدٍ منها زوجاً<sup>(٦)</sup>. يقال: له زوجا نعل، إذا كان له نعلان. وكذلك: عنده زوجا حمام، وعليه زوجا قيود، قال الله تعالى: «وَاللَّهُ خَلَقَ الرَّوْجَيْنَ الْأَكْرَرَ وَالْأُنْثَى» [النجم: ٤٥]<sup>(٧)</sup>. ويقال للمرأة: هي زوج الرجل، وللرجل: هو زوجها. وقد يقال للاثنين: هما زوج<sup>(٨)</sup>. وقد يكون الزوجان بمعنى الضربين، والصنفين، وكل ضرب يدعى زوجاً؛ قال الله تعالى: «وَأَنْبَتَ مِنْ كُلِّ نَعْجٍ بَهْجَ» [الحج: ٥]

(١) ينظر المحرر الوجيز ١٧١ / ٣ ، ومجمع البيان ١٥٧ / ١٢ . وقوله: حمي الوطيس، أول من قال هذه الكلمة رسول الله ﷺ في غزوة حنين، قال: «هذا حين حمي الوطيس» أخرجه مطرلاً أحمداً (١٧٧٥)، ومسلم (١٧٧٥). قال أبو العباس في المفهم ٦١٧ / ٣ : وهذه الاستعارة عجيبة لا يُعرف من تكلم بها قبل النبي ﷺ من العرب، ومنه ثُقْيَتْ فصيَّرَتْ مثلاً في الأمر إذا اشتد.

(٢) قائله جبل بن جوال الشعبي كما في سيرة ابن هشام ٢٧٣ / ٢ .

(٣) السبعة ص ٣٣٣ ، والتيسير ص ١٢٤ . قال الزجاج في معاني القرآن ٥١ / ٣ : والمعنى واحدٌ في الزوجين أصفَّتْ أم لم تُثْفِتْ.

(٤) بعدها في (م): شيء.

(٥) معاني القرآن للنحاس ٣٤٩ / ٣ .

(٦) تفسير البغوي ٢ / ٣٨٤ .

(٧) تفسير الطبرى ٤٠٨ / ١٢ . وذكره بعض أهل العلم بكلام العرب من الكوفيين.

(٨) الحجة للفارسي ٣٢٥ / ٤ ، وذكره عن أبي الحسن الأخفش.

أي : من كُلّ لُونٍ وصَنْفٍ<sup>(١)</sup>. وقال الأعشى :  
وكلُّ زوجٍ من الْدِيْباجِ يَلْبَسُهُ أبو قَدَامَةَ مَخْبُوْبًا بِذَاكَ مَعَا<sup>(٢)</sup>  
أراد : كُلّ ضربٍ ولوْنٍ.

و﴿مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنَ﴾ في موضع نصب بـ «احمل»<sup>(٣)</sup>. ﴿أَثَيْنَ﴾ تأكيد ﴿وَاهْلَكَ﴾  
أي : واحمل أهْلَكَ ﴿إِلَّا مَنْ سَبَقَ﴾ «من» في موضع نصب بالاستثناء<sup>(٤)</sup>. ﴿عَلَيْهِ الْقُولُ﴾  
منهم ، أي : بالهلاك ، وهو ابْنُ كَنْعَانَ وَأَمْرَأَتُهُ وَأَعْلَهُ ؛ كَانَا كَافِرَيْنَ<sup>(٥)</sup>. ﴿وَمَنْ مَآمِنَ﴾  
قال الضحاك وابن جرير : أي : احمل من آمن بي ، أي : من صدّقك ، فـ «من» في  
موضع نصب بـ «احمل».

﴿وَمَا مَآمِنَ مَعْهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ قال ابن عباس رضي الله عنهما : آمنَ مِنْ قَوْمِهِ ثَمَانُونَ  
إِنْسَانًا<sup>(٦)</sup>. منهم ثلاثةٌ من بنيه : سَامُ وَحَامُ وَيَافِثُ ، وَثَلَاثُ كَنَائِنَ لَهُ<sup>(٧)</sup>. ولَمَّا خَرَجُوا  
مِنَ السَّفِينَةِ بَنَوْا قَرْيَةً وَهِيَ الْيَوْمُ تُذَعَّى قَرْيَةُ الثَّمَانِينَ بِنَاحِيَةِ الْمُوْصَلِ<sup>(٨)</sup>.

وورد في الخبر : أنه كان في السفينة ثمانيةٌ أَنْفُسٌ ؛ نوحٌ وزوجُهُ غَيْرُ التِّي  
عوقبت ، وبنوه الثلاثةُ وزوجاتِهِمْ. وهو قولُ قتادةَ والْحَمَّامُ بْنُ عَتَيْبَةَ وابن جرير

(١) ينظر تفسير الطبرى ٤٠٨/١٢ ، والمحرر الوجيز ١٧١/٣ .

(٢) ديوان الأعشى ميمون بن قيس ص ١٥٧ ، وتفسير الطبرى ٤٠٩/١٢ وهو فيهما برواية وفيهما : محبوا ،  
والبيت من قصيدة في مدح هودة بن علي ، وهو أبو قدامة.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٢٨٣/٢ .

(٤) المصدر السابق.

(٥) تفسير البغوي ٣٨٤/٢ ، والمحرر الوجيز ٣/١٧٧ و فيه : والعة ، بدل : واعلة. وقال ابن عطية : وقيل :  
هو عموم في مَنْ لَمْ يُؤْمِنْ مِنْ قَوْمِ نُوحٍ وَعَشِيرَتِهِ .

(٦) أخرجه الطبرى ٤١٢/١٢ .

(٧) تفسير الطبرى ٤١١/١٢ ، وعرايس المجالس ص ٥٨ ، وتفسير البغوي ٣٨٤/٢ .

(٨) هي بلدة عند جبل الجودي قرب جزيرة ابن عمر التغلبى فوق الموصل. معجم البلدان ٢/٨٤ ، والخبر  
آخرجه مطولاً ابن أبي حاتم ٦/٢٠٣٢ (١٠٨٨٢). عن ابن عباس رضي الله عنهما.

ومحمد بن كعب<sup>(١)</sup>. فأصاب حامٌ امرأته في السفينة، فدعا نوح الله أنْ يُغْيِرْ نطفته فجاء بالسودان<sup>(٢)</sup>. قال عطاء: ودعا نوح على حام ألا يَعْدُ شَعْرُ أولاده آذائهم، وأنهم حينما كان ولده يكونون عبيداً لولد سام ويافث<sup>(٣)</sup>.

وقال الأعمش: كانوا سبعة: نوح، وثلاثة كنائن، وثلاثة بنين<sup>(٤)</sup>، وأسقط امرأة نوح. وقال ابن إسحاق: كانوا عشرة سوى نسائهم: نوح وبنوه سام وحام ويافث، وستة أناس من كان آمن به، وأزواجهم جميعاً<sup>(٥)</sup>.

و«قَلِيلٌ» رفع بـ«آمَنَ»، ولا يجوز نصبه على الاستثناء؛ لأنَّ الكلام قبله لم يتم، إلَّا أنَّ الفائدة في دخولِ «إِلَّا» و«مَا»؛ لأنك<sup>(٦)</sup> لو قلت: آمن معه فلانٌ وفلانٌ جاز أن يكون غيرهم قد آمن؛ فإذا جئت بما إلَّا، أوجبت لما بعد إلَّا، ونفيت عن غيرهم.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ أَرْكَبُوا فِيهَا إِسْرَئِيلَ مُحْرِبِهَا وَمُرْسَهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ تَرَجِّمُ وَهِيَ تَعْرِي بِهِمْ فِي مَوْجِ كَالْجِبَالِ وَنَادَى نُوحُ أَبْنَهُ وَكَانَ فِي مَعْرِلِي يَبْتَئِلُ أَرْكَبَ مَعْنَا وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكُفَّارِ﴾<sup>(٧)</sup> ﴿قَالَ سَتَأْوِي إِلَى جَبَلٍ يَعْصِمُنِي مِنَ الْمَاءِ قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَنْرِي اللَّهُ إِلَّا مَنْ رَحِمَ وَهَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقَاتِ﴾<sup>(٨)</sup> ﴿وَقَيلَ يَتَأَرَضُ أَبْنَائِي مَاءَكِ وَتَسْكُنَهُ أَقْلَعِي وَغَيْضَنَ الْمَاءَ وَقُنْيَ الْأَمْرُ وَأَسْتَوَتْ عَلَى الْمُبُوْدِي وَقَيلَ بَعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّلِيلِيَّنَ﴾<sup>(٩)</sup>

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ أَرْكَبُوا فِيهَا﴾ أمر بالركوب؛ ويتحتمل أن يكون من الله تعالى،

(١) تفسير البغوي ٢/٣٨٤ دون ذكر الحكم، وأخرجه عن قتادة وابن جريج الطبرى ١٢/٤١٠ - ٤١١ . وأخرج عن الحكم قوله: ﴿وَمَا آمَنَ مَعْمَهُ إِلَّا قَلِيلٌ﴾: نوح، وثلاثة بنيه، وأربع كنائنه.

(٢) هذا تسمة خبر ابن جريج - المذكور في التعليق السابق - عند الطبرى ١٢/٤١١ .

(٣) عرائض المجالس ص ٦٢ .

(٤) أخرجه الطبرى ١٢/٤١١ .

(٥) تفسير البغوي ٢/٣٨٤ .

(٦) في النسخ: لأنك، والمثبت من إعراب القرآن للنحاس ٢/٢٨٣ .

ويحتمل أن يكون من نوح لقومه. والركوب: العلو على ظهر الشيء. ويقال: ركبه الدين. وفي الكلام حذف، أي: اركبوا الماء في السفينة. وقيل: المعنى: اركبواها، و«في» للتأكيد؛ كقوله تعالى: **﴿إِن كُثُرْ لِلَّهِ بِمَا تَعْبُرُونَ﴾** [يوسف: ٤٣]<sup>(١)</sup> وفائدة «في»: أنهم أمروا أن يكونوا في جوفها لا على ظهرها<sup>(٢)</sup>.

قال عكرمة: ركب نوح عليه السلام في الفلك لعشرين خلؤن من رجب، واستوت على الجودي لعشرين خلؤن من المحرم، فذلك ستة أشهر. وقاله قتادة وزاد: وهو يوم عاشوراء، فقال لمن كان معه: من كان صائماً فليتيم صومه، ومن لم يكن صائماً فليصنه<sup>(٣)</sup>.

وذكر الطبرى في هذا حديثاً عن النبي ﷺ: أن نوح ركب في السفينة أول يوم من رجب، وصام الشهر أجمع، وجرت بهم السفينة إلى يوم عاشوراء، ففيه أرسنت على الجودي، فصامه نوح ومن معه<sup>(٤)</sup>.

وذكر الطبرى عن ابن إسحاق ما يقتضى أنه أقام على الماء نحو السنة<sup>(٥)</sup>. ومررت بالبيت فطافت به سبعاً، وقد رفعه الله عن الغرق فلم يئله غرق، ثم مضت إلى اليمن، ورجعت إلى الجودي فاستوت عليه<sup>(٦)</sup>.

قوله تعالى: **﴿يَسِيرَ اللَّهُ بِعِرْبَنَاهَا وَمَرْسَنَاهَا﴾** قراءة أهل الحرمين وأهل البصرة بضم

(١) أي: إن كتم تعبرون الرؤيا، فاللام صلة. ينظر المدهش لابن الجوزي ص ٣٣ ، وتابع العروس (عبر)، والبحر ٣١٢ / ٥.

(٢) ينظر تفسير الرازى ٢٢٨ / ١٧ ، والبحر ٥ / ٢٢٤ ، والدر المصنون ٦ / ٣٢٤ .

(٣) النكت والعيون ٢ / ٤٧٣ عن قتادة، وأخرجه عنه الطبرى ١٢ / ٤٢٠ ، ولم تقف عليه عن عكرمة.

(٤) تفسير الطبرى ١٢ / ٤١٩ - ٤٢٠ من طريق عبد العزيز بن عبد الغفور، عن أبيه قال: قال رسول الله ﷺ، وذكره. قال الحافظ في الإصابة ٧ / ٣٢٦ : وهذا مقلوب وفيه انقطاع، والصواب رواية عبد الغفور، عن أبيه عبد العزيز، عن أبيه سعيد. هذا من حيث السند، وإن فرجاله ما بين ضعيف ومجهول.

(٥) المحرر الوجيز ٣ / ١٧٥ .

(٦) أخرجه الطبرى ١٢ / ٤٢٠ عن ابن جرير.

الميم فيما إلا من شد [منهم] على معنى: بسم الله إجراؤها وإرساؤها، فمُجرأها ومُرساها في موضع رفع بالابتداء، ويجوز أن تكون في موضع نصب، ويكون التقدير: بسم الله وقت إجرائها، ثم حُذف وقت، وأقيمت «مُجرأها» مقامه<sup>(١)</sup>. وقرأ الأعمش وحمزة والكسائي: **﴿بِسْمِ اللَّهِ مُجْرِيَهَا﴾** بفتح الميم<sup>(٢)</sup>. **﴿وَمَرْسَلَهَا﴾** بضم الميم.

وروى يحيى بن عيسى، عن الأعمش، عن يحيى بن وثاب: «بسم الله مُجرأها ومُرساها» بفتح الميم فيما، على المصدر من جرت تجري جرياً ومجري، ورست رسوأ ومرسى: إذا ثبَت<sup>(٣)</sup>.

وقرأ مجاهد ومسلم<sup>(٤)</sup> بن جنْدُب وعاصم الجحدري وأبو رجاء العطاري: «بسم الله مُجرِيَهَا وَمُرسِيَهَا» نعت لله عز وجل في موضع جر. ويجوز أن يكون في موضع رفع على إضمار مبتدأ، أي: هو مُجرِيَهَا وَمُرسِيَهَا. ويجوز النصب على الحال<sup>(٥)</sup>. وقال الضحاك: كان نوح عليه السلام إذا قال: بسم الله مُجرأها، جرت. وإذا قال: بسم الله مُرساها، رست<sup>(٦)</sup>.

وروى مروان بن سالم، عن طلحة بن عبيد الله بن كَرِيز، عن الحسين بن علي، عن النبي ﷺ قال: أمان لأمتى من الغرق إذا ركبوا في الفلك: بسم الله الرحمن الرحيم:

(١) إعراب القرآن للنحاس ٢٨٣ / ٢ . وما بين حاصلتين منه، وذكر النحاس أنه يجوز أيضاً أن يكون التقدير: باسم الله موضع إجرائها، ثم حُذف موضع، وأقيم مجرأها مقامه.

(٢) السبعة ص ٣٣٣ ، والتيسير ص ١٢٤ . والكلام من إعراب القرآن للنحاس.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٢٨٣ / ٢ .

(٤) في النسخ: وسلامان، والمثبت من إعراب القرآن للنحاس، وهو الصواب. وينظر معرفة القراء الكبار ١٨٤ / ١ .

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٢٨٣ / ٢ - ٢٨٤ ، وذكر القراءة عن مجاهد والجحدري ابن خالويه في القراءات الشاذة ص ٦٠ .

(٦) أخرجه الطبرى ٤١٦ / ١٢ .

﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهُ حَقَّ قَدْرِهِ، وَالْأَرْضُ جَيِّبًا قَبَضَتْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سَبَحَتْهُنَّ وَتَعْلَمَ عَمَّا يُشَرِّكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧] ﴿إِنَّ اللَّهَ بِغَرْبَهَا وَمَرْسَلَهَا إِنَّ رَبَّهُ لَغَفُورٌ تَّرَيمٌ﴾<sup>(١)</sup>.

وفي هذه الآية دليل على ذكر البسمة عند ابتداء كل فعل، على ما بيّناه في البسمة<sup>(٢)</sup>، والحمد له. ﴿إِنَّ رَبَّهُ لَغَفُورٌ تَّرَيمٌ﴾ أي: لأهل السفينة.

وروى عن ابن عباس قال: لما كثرت الأزواد والأقدار أوحى الله إلى نوح: اغنم ذئب الفيل، فوقع منه خنزير وخنزيرة، فأقبلَا على الرَّوْث، فقال نوح: لو غمزت ذنب هذا الخنزير! ففعل، فخرج منه فار وفارة، فلَمَّا وَقَعا أَقْبَلَا عَلَى السَّفِينَةِ وَجَبَاهُمَا تَقْرِضَهَا، وَتَقْرِضُ الْأَمْمَةَ وَالْأَزْوَادَ، حَتَّى خَافُوا عَلَى حِبَالِ السَّفِينَةِ، فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ نُوحَ أَنْ امْسِحْ جَبَهَةَ الْأَسْدِ، فَمَسَحَهَا، فَخَرَجَ مِنْهَا سَنَوْرَانِ فَأَكَلَا الْفِتْرَةَ<sup>(٣)</sup>. ولما حمل الأسد في السفينة قال: يا رب من أين أطعمه؟ قال: سوف أشغله، فأخذته الحمّى، فهو الدهر محموم<sup>(٤)</sup>.

قال ابن عباس<sup>(٥)</sup>: وأول ما حمل نوح من البهائم في الفلك حمل الإوزة<sup>(٦)</sup>، وأخر ما حمل حمل الحمار، قال: وتعلق إيليس بذنبه، ويداه قد دخلتا في السفينة،

(١) أخرجه أبو يعلى (٦٧٨١)، وابن السّيّ في عمل اليوم والليلة (٥٠٠) وابن عدي /٧ - ٢٦٥٦ ، ٢٦٥٥ وفی إسناده يحيى بن العلاء الرازي، قال أحمد: كذاب يضع الحديث. وقال الدارقطني: متروك. وضعفه ابن معين وجماعة. الميزان ٤/٣٩٧ ، وينظر فيض القدير ٢/١٨٢ .

(٢) ١٥١/١.

(٣) أخرجه الطبرى ١٢/٣٩٥ - ٣٩٦ و ٤٠٠ ، وذكره الثعلبي في عرائض المجالس ص ٦٠ ، وقد سلفت قطعة منه ص ١١١ من هذا الجزء. وهذا الغير وما بعده من الأخبار الإسرائية التي لا أساس لها.

(٤) بنحوه في تفسير ابن أبي حاتم ٦/٢٠٣٠ - ٢٠٣١ (١٠٨٦٩) و (١٠٨٧٠) و (١٠٨٧١) ، وعرائض المجالس ص ٥٨ .

(٥) أخرجه الطبرى ١٢/٣٩٨ ، وذكره الثعلبي في عرائض المجالس ص ٥٨ ، والبغوي ٢/٣٨٤ .

(٦) كذا في النسخ، وعند الطبرى والبغوي: الذرّة، وهي البيغاء. حياة الحيوان للدميرى ١/٣٣٦ . وفي عرائض المجالس: التّرّة، وهي مفرد التّرّ: وهو النمل الأحمر الصغير. حياة الحيوان ١/٣٥٦ .

ورجلاه خارجةً بعدُ، فجعل الحمار يضطربُ ولا يستطيع أن يدخلَ، فصاح به نوحٌ: ادخل ويلك! فجعل يضطرب، فقال: ادخل ويلك! وإن كان معك الشيطان؛ كلمة زَلَّت على لسانه، فدخل، ووثب الشيطانُ فدخل. ثم إن نوحًا رأه يغْنِي<sup>(١)</sup> في السفينة، فقال له: يا لعنة، ما أدخلتك بيتي؟ قال: أنت أذنت لي، فذَكَر له، فقال له: قم فاخرج. قال: ما لك بدًّ في أن تحملني معك، فكان فيما يزعمون في ظهر الفلك.

وكان مع نوح عليه السلام خَرَزانٌ مصيّتان، واحدةٌ مكانَ الشمسِ، والأخرى مكانَ القمر. ابن عباس: إحداهما بيضاءٌ كبياض النهار، والأخرى سوداءٌ كسود الليل، فكان يعرفُ بهما مواقيت الصلاة، فإذا أمسوا غلب سوادُ هذه بياضَ هذه، وإذا أصبحوا غلب بياضُ هذه سوادُ هذه، على قدرِ الساعات<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَهُنَّ بَقِيرٍ بِهِمْ فِي مَوْجٍ كَالْجِبَالِ﴾ الموج جمع موجة، وهي ما ارتفع من جملة الماء الكبير عند استداد الريح. والكاف للتشبيه، وهي في موضع خفضٍ نعتٍ للموج. وجاء في التفسير أنَّ الماء جاوز كلَّ شيءٍ بخمسة عشر ذراعاً<sup>(٣)</sup>. ﴿وَنَادَى نُوحُ أَبْنَئِهِ﴾ قيل: كان كافراً واسمُه كنعان. وقيل: يام<sup>(٤)</sup>. ويجوز على قول سيبويه: «ونادي نوح ابنه» بحذف الواو من «ابنه» في اللفظ<sup>(٥)</sup>، وأنشد:

لَهُ زَجْلٌ كَائِنٌ صَوْتٌ حَادٌ<sup>(٦)</sup>

(١) في (د) و(ز): يتغنى، وفي (ظ): يتعشى.

(٢) تاريخ ابن عساكر ٦٢/٦٢.

(٣) معاني القرآن للزجاج ٣/٥٣ ، وذكره الشعلبي في عرائض المجالس ص ٥٩ عن ابن عباس: أن الماء ارتفع على أعلى جبل في الأرض خمسة عشر ذراعاً.

(٤) النكت والعيون ٢/٤٧٦ ، وزاد المسير ٤/١٠٩ ، ومجمع البيان ١١/١٥٨ .

(٥) أي: بالضم والاختلاس من غير إشباع، وهي قراءة أبي جعفر محمد بن علي كما في القراءات الشاذة ص ٦٠ ، ونقل المصطفى كلام سيبويه بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٢/٢٨٤ .

(٦) صدر بيت للشماخ، وعجزه: إذا طلب الوسيقة أو زمير، وهو في ديوانه ١٥٥ ، والكتاب ١/٣٠ ، وسلف ١/٤٨٥ . قال الشتمري في شرح الشواهد ص ٦٤ : أراد: كأنه، فحذف الواو ضرورة.

فاماً : «ونادى نوحُ ابنته و كان » فقراءة شاذة ، وهي مزروءة عن علي بن أبي طالب كرم الله وجهه ، وعروة بن الزبير<sup>(١)</sup> . و Zum أبو حاتم أنها تجوز على أنه يريد : «ابنها» فحذف الألف كما تقول : «ابنه» فتحذف الواو . وقال النحاس<sup>(٢)</sup> : وهذا الذي قاله أبو حاتم لا يجوز على مذهب سيبويه ؛ لأنَّ الألف خفيفة فلا يجوز حذفها ، والواو ثقيلة يجوز حذفها .

**﴿وَكَانَ في مَغْزِل﴾** أي : من دين أبيه . وقيل : عن السفينة<sup>(٣)</sup> . وقيل : إنَّ نوحًا لم يعلم أنَّ ابنته كان كافراً ، وأنَّه ظنَّ أنه مؤمنٌ ؛ ولذلك قال له : **﴿وَلَا تَكُنْ تَعَظِّمَ الْكُفَّارِ﴾** وسيأتي<sup>(٤)</sup> . وكان هذا النداء من قبلِ أن يستيقنَ القومُ الغرق ، وقبلَ رؤية اليأس ، بل كان في أول ما فار التُّور ، وظهرت العلامة لنوح .

وقرأ عاصم : **﴿يَبْتَقِي أَرْكَبَ مَعَنَّا﴾** بفتح الياء ، والباقيون بكسرها<sup>(٥)</sup> . وأصل «يا بني» أن تكون بثلاث ياءات : ياء التصغير ، وباء الفعل<sup>(٦)</sup> ، وباء الإضافة ، فأدغمت ياء التصغير في لام الفعل ، وكسرت لام الفعل من أجل ياء الإضافة ، وحذفت ياء الإضافة لوقوعها موقع التنوين ، أو لسكونها وسكون الراء في هذا الموضع . هذا أصل قراءة مَنْ كَسَرَ الياء . وهو أيضاً أصل قراءة مَنْ فتح ؛ لأنه قلبَ ياء الإضافة ألفاً لخفةَ الألف ، ثم حذفَ الألف لكونها عوضاً من حرف يُحذف ، أو لسكونها وسكون الراء<sup>(٧)</sup> .

(١) ذكرها عن علي **﴿وَعَرَوَةُ الطَّبَرِسِيُّ** في مجمع البيان ١١/١٥١ ، وأبو حيان في البحر ٥/٢٢٦ ، وهي في الكشاف ٢/٢٧٠ ، والمحرر الوجيز ٣/١٧٣ ، وتفسیر الرازی ١٧/٢٣١ عن عروة وجمفر بن محمد . وذكرها ابن خالويه في القراءات الشاذة ص ٦٠ عن هشام بن عروة . وسيأتي عن علي قراءة : «ابنها» بفتح الماء وألف .

(٢) في إعراب القرآن ٢/٢٨٤ ، وما قبله منه .

(٣) معاني القرآن للزجاج ٣/٥٤ ، وقال الزجاج عن القول الثاني : وهو أشبه .

(٤) ص ١٣٣ من هذا الجزء .

(٥) السبعة ص ٣٣٤ ، والتيسير ص ١٢٤ .

(٦) وهي لامه ؛ لأنَّ أصل «ابن» : بني ، على فَعَلَ . ينظر الكشف عن وجوه القراءات ١/٥٢٩ .

(٧) ينظر الكشف عن وجوه القراءات ١/٥٢٩ - ٥٣٠ ، ومشكل إعراب القرآن ١/٣٦٥ ، والمحرر الوجيز ٣/١٧٤ .

قال النحاس<sup>(١)</sup>: أَمَا قراءُ عاصِم فمشكِّلةُ. قال أبو حاتم: يريد: يا بُنْيَاهُ، ثم يَحْذِف<sup>(٢)</sup>؛ قال النحاس: رأيُتُ عَلَيَّ بْنَ سليمانَ يذهب إلى أنَّ هذا لا يجوز؛ لأنَّ الْأَلْفَ خَفِيفَةُ. قال أبو جعفر النحاس: ما علمتُ أَنَّ أَحَدًا من النَّحَوَيْنِ جَوَزَ الْكَلَامَ فِي هَذَا إِلَّا أَبَا إِسْحَاقَ<sup>(٣)</sup>؛ فَإِنَّهُ زَعَمَ أَنَّ الْفَتْحَ مِنْ جَهَتِينَ، وَالْكَسْرُ مِنْ جَهَتِينَ؛ فَالْفَتْحُ عَلَى أَنَّهُ يَبْدُلُ مِنْ الْيَاءِ الْأَلْفَ، قَالَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ إِخْبَارًا: ﴿يَوْمَئِقَ﴾ [الفرقان: ٢٨] وكما قال الشاعر:

فيما عجبَا مِنْ رَحْلَهَا الْمَتَحَمِّلِ<sup>(٤)</sup>

فيريد: يا بُنْيَاهُ، ثم حَذَفَ الْأَلْفَ لالتقاء الساكنين، كما تقول: جاءني عبد<sup>(٥)</sup> الله في التثنية. والجهة الأخرى أن تَحْذِفَ الْأَلْفَ؛ لأنَّ النَّدَاءَ موضع حَذْفٍ. والكسْرُ على أن تَحْذِفَ الْيَاءَ للنَّدَاءِ. والجهة الأخرى على أن تَحْذِفَهَا لالتقاء الساكنين.

قوله تعالى: ﴿قَالَ سَائِرُوا﴾ أي: أرجُعُ وَأَنْضُمُ ﴿إِنَّ جَبَلٍ يَعْصِمُ﴾ أي: يَعْصِمُ<sup>(٦)</sup> ﴿مِنَ الْمَأْوَى﴾ فلا أغرق ﴿قَالَ لَا عَاصِمَ الْيَوْمَ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾ أي: لا مانع؛ فإنه يوم حَقٌّ فيه العذابُ على الكفار. وانتصب «عاصِم» على التبرئة<sup>(٧)</sup>. ويجوز: «لا عاصِم الْيَوْمَ» تكون «لا» بمعنى «ليس»<sup>(٨)</sup>.

﴿إِلَّا مَنْ رَجَمَ﴾ في موضع نَصِيبِ استثناءٍ ليس من الأول؛ أي: لكنَّ مَنْ رَحَمَهُ اللَّهُ فَهُوَ يَعْصِمُهُ؛ قاله الزجاج<sup>(٩)</sup>. ويجوزُ أن يكون في موضع رفع، على أَنَّ عاصِمًا

(١) في إعراب القرآن ٢٨٤ / ٢ .

(٢) في إعراب القرآن للنحاس: ثم حذف.

(٣) هو الزجاج وينظر معاني القرآن له ٥٤ / ٣ .

(٤) وصدره: ويوم عَرَثُ للعذاري مطيري، وقائله أمرؤ القيس، وهو في ديوانه ١١ ، وسلف ٣٥٨ / ٨ .

(٥) في (م): عبداً.

(٦) أي: النافية للجنس. ينظر أمالى ابن الشجري ٥٢٧ / ٢ - ٥٣٠ .

(٧) إعراب القرآن للنحاس ٢٨٥ / ٢ ، وجواز تنوين الرفع، يعني في اللغة، لا في القراءة.

(٨) في معاني القرآن ٥٤ / ٢ .

بمعنى معصوم، مثل: **﴿ثُلُوْ دَافِق﴾** [الطارق: ٦] أي: مدفوق<sup>(١)</sup>، فالاستثناء على هذا مُتَصِّل؛ قال الشاعر:

**بطْيَهُ الْقِيَامِ رَخِيمُ الْكَلَاءِ**  
**مِنْ أَنْسَى فَوَادِي بِهِ فَاتَنَا**<sup>(٢)</sup>

أي: مفتوناً. وقال آخر:

**دَعِ الْمَكَارِمَ لَا تَنْهَضْ لِبَغِيتِهَا**  
**وَاقْعُدْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الطَّاعُمُ الْكَاسِي**<sup>(٣)</sup>

أي: المقطوع المكسو.

قال النحاس<sup>(٤)</sup>: ومن أحسن ما قيل فيه أن تكون «من» في موضع رفع؛ بمعنى: لا يعصم اليوم من أمر الله إلا الراجم، أي: إلا الله. وهذا اختيار الطبراني<sup>(٥)</sup> - ويحسن هذا لأنك لم تجعل عاصماً بمعنى معصوم فتخرجه من بابه، ولا «إلا» بمعنى «لكن».

**﴿وَسَالَ بَيْنَهُمَا الْمَوْجُ﴾** يعني بين نوح وابنه **﴿فَكَانَ مِنَ الْمُغْرَقَةِ﴾** قيل: إنه كان راكباً على فرس قد بطر نفسه، وأعجب بها، فلما رأى الماء جاء قال: يا أبت، فار التئور! فقال له أبوه: **﴿يَئِنَّى أَرَكَبْ مَعَنَاهُ﴾** فما استئتم المراجعة حتى جاءت موجة عظيمة فالتقى به وفرسه، وحيلاً بينه وبين نوح ففرق.

وقيل: إنه اتخد لنفسه بيتاً من زجاج يتحصن فيه من الماء، فلما فار التئور دخل فيه وأقله عليه من داخل، فلم يزل يتغوط فيه ويبول حتى غرق بذلك<sup>(٦)</sup>.

وقيل: إن الجبل الذي آوى إليه «طور زيتا»<sup>(٧)</sup>.

(١) إعراب القرآن للنحاس ٢٨٥ / ٢.

(٢) الصحاح واللسان (فتن) برواية رحيم الكلام قطيع القيام...

(٣) قائله الحطينة، وهو في ديوانه ص ٢٨٤ برواية: لا ترحل لبغيتها.

(٤) في إعراب القرآن ٢٨٥ / ٢.

(٥) في تفسيره ٤١٨ / ٢.

(٦) لطائف الإشارات ٢ / ١٣٩.

(٧) في (م): طور سينا، والمثبت من النسخ الخطية والنكت والعيون ٤٧٣ / ٢ ، والكلام منه. وطور زيتا علم مرتجل لجبل بقرب رأس عين عند قنطرة الخابور. معجم البلدان ٤ / ٤٧ - ٤٨ .

قوله تعالى: «وَقَيْلَ يَتَأَرَضُ أَبَقِي مَاءَكَ وَيَسْسَكَهُ أَقْبِقِي» هذا مجاز لأنها موات. وقيل: جعل فيها ما تُميّز به. والذي قال: إنه مجاز، قال: لو فُتش كلام العرب والعجم ما وُجد فيه مثل هذه الآية على حسن نظمها، وبلاهة وصفتها، واستعمال المعاني فيها<sup>(١)</sup>.

وفي الأثر: إن الله تعالى لا يُخلي الأرض من مطر في عام أو عامين<sup>(٢)</sup>، وإنه ما نزل من السماء ماء قط إلا بحفظ ملوك موكل به، إلا ما كان من ماء الظفان؛ فإنه خرج منه ما لا يحفظه الملك. وذلك قوله تعالى: «إِنَّا لَنَا مِنَّا مَاءُ اللَّهِ حَمَنَّكُرُ فِي الْبَارِيَةِ» [الحاقة: ١١].

فجرت بهم السفينة إلى أن تناهى الأمر، فأمر الله الماء المنهمراً من السماء بالإمساك، وأمر الله الأرض بابتلاعه. يقال: بلع الماء يبلعه؛ مثل: مَنْعِيْ يَمْنَعُ، وَبَلَعِيْ يَبْلَعُ؛ مثل: حِمْدِ يَحْمَدُ، لغتان حِكَامُ الْكَسَانِيُّ وَالْفَرَاءُ<sup>(٣)</sup>. وبالبُلوعة: الموضع الذي يشرب الماء<sup>(٤)</sup>.

قال ابن العربي: <sup>(٥)</sup> التقى الماءان على أمر قد ثُقِير، ما كان في الأرض وما نزل من السماء، فأمر الله ما نزل من السماء بالإقلاء، فلم تمتلك الأرض منه قطرة، وأمر الأرض بابتلاع ما خرج منها فقط. وذلك قوله تعالى: «وَقَيْلَ يَتَأَرَضُ أَبَقِي مَاءَكَ وَيَسْسَكَهُ أَقْبِقِي وَغَيْصَ الْمَاءِ».

وقيل: ميّز الله بين الماءين، فما كان من ماء الأرض أمرها بابتلاعه، وصار ماء السماء بحاراً.

(١) إعراب القرآن للنحاس ٢٨٦/٢.

(٢) وقع في مطبوع أحكام القرآن لابن العربي ١٣٠٠/٣ (والكلام منه): في عام أو غامر.

(٣) ينظر معاني القرآن للفراء ٤١٢/٢ ، وتفصير الطبرى ٤١٩/١٢ ، وإعراب القرآن للنحاس ٢٨٦/٢ . وتهذيب اللغة ٤١١/٢ .

(٤) ينظر تهذيب اللغة ٤١١/٢ - ٤١٢ ، ومقاييس اللغة ٣٠١/١ .

(٥) في أحكام القرآن ١٣٠١ - ١٣٠٠/٣ .

قوله تعالى: **﴿وَغَيْضَ الْمَاء﴾** أي: نَقْصٌ؛ يقال: غاض الشيء، وغضته أنا، كما يقال: نَقْصٌ بنفسه ونَقْصٌ بغيره، ويجوز: «غَيْضٌ» بضم الغين<sup>(١)</sup>. **﴿وَقُنْقَنَ الْأَمْرُ﴾** أي: أَحْكَمَ وفُرِغَ مِنْهُ؛ يعني: أهلُكَ قومٌ نوح على تمامِ إِحْكَامٍ.

ويقال: إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَعْقَمَ أَرْحَامَهُمْ، أي: أرحام نسائهم قبل الغرق بأربعين سنةً، فلم يكن فيمن هَلَكَ صغير<sup>(٢)</sup>. والصحيحُ أنه أهلُكَ الولدان بالطوفان، كما هلكت الطير والسباع، ولم يكن الغرق عقوبة للصبيان والبهائم والطير، بل ماتوا بآجالهم<sup>(٣)</sup>.

وُحَكِيَّ أَنَّه لِمَا كَثُرَ الْمَاءُ فِي السَّكُكَ خَشِيتُ أُمُّ صَبِيٍّ عَلَيْهِ، وَكَانَتْ تُحْبِهُ حَبًّا شديداً، فَخَرَجَتْ بِهِ إِلَى الْجَبَلِ حَتَّى بَلَغَتْ ثُلُثَتَهُ، فَلَمَّا بَلَغَهَا الْمَاءُ خَرَجَتْ حَتَّى بَلَغَتْ ثُلُثَيْهِ، فَلَمَّا بَلَغَهَا الْمَاءُ اسْتَوَتْ عَلَى الْجَبَلِ، فَلَمَّا بَلَغَ الْمَاءُ رَقْبَتَهَا رَفَعَتْ يَدِيهَا بِابْنَهَا حَتَّى ذَهَبَ بِهَا الْمَاءُ، فَلَوْرَحَ اللَّهُ مِنْهُمْ أَحَدًا لِرَحْمِ أُمِّ الصَّبِيِّ<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: **﴿وَاسْتَوَتْ عَلَى الْبَغْوَىٰ وَقِيلَ بَعْدًا لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾** أي: هلاكاً لهم. **الْبَغْوَىٰ**: جبلٌ بقرب المُؤْصِل<sup>(٥)</sup>، استوَتْ عليه في العاشر من المحرم يوم عاشوراء، فصامه نوح وأمر جميعَ مَنْ مَعَهُ مِنَ النَّاسِ والوحوشِ والطيرِ والدوابِ وغَيْرِهَا فصاموه شكرًا لله تعالى، وقد تقدَّمَ هذا المعنى<sup>(٦)</sup>. وقيل: كان ذلك يوم الجمعة.

(١) إعراب القرآن للنحاس ٢/٢٨٦ ، وقرأ الكساناني وهشام: «قَيْلٌ» و«غَيْضٌ» و«جَيٌّ» باشمام الضم لأول ذلك حيث وقع، والباقيون ياخذون كسره. التيسير ص ٧٢ ، وينظر السبعة ص ١٤١ - ١٤٢ .

(٢) تاريخ ابن عساكر ١٢/٢٤٩ ، وينظر تفسير الطبرى ١٢/٣٩٦ - ٣٩٨ .

(٣) أخرجه الطبرى ١٢/٤٢٤ - ٤٢٥ عن الفضاحك.

(٤) تفسير البغوى ٢/٣٨٥ ، وهذه قطعة من حديث أخرجه الطبرى ١٢/٣٩٤ ، والحاكم ٢/٣٤٢ عن عائشة رضي الله عنها. وفي إسناده: موسى بن يعقوب. قال الذهبي في التلخيص: إسناده مظلم، وموسى ليس بذلك.

(٥) قال ياقوت في معجم البلدان ٢/١٧٩ : هو جبل مطل على جزيرة ابن عمر في الجانب الشرقي من دجلة، من أعمال الموصى.

(٦) ص ١١٩ من هذا الجزء.

وَرُوِيَ أَنَّ اللَّهَ تَعَالَى أَوْحَى إِلَى الْجَبَلِ أَنَّ السَّفِينَةَ تُرْسِي عَلَى وَاحِدٍ مِّنْهَا فَتَطاولَتْ، وَبَقَيَ الْجُودِيُّ لَمْ يَتَطاوَلْ تَواضُعاً لِّهِ، فَاسْتَوَتِ السَّفِينَةُ عَلَيْهِ، وَبَقِيَ عَلَيْهِ أَعْوَادُهَا<sup>(١)</sup>. وَفِي الْحَدِيثِ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: «لَقَدْ بَقَى مِنْهَا شَيْءٌ أَدْرَكَهُ أَوَّلُهُ هَذِهِ الْأُمَّةِ»<sup>(٢)</sup>.

وَقَالَ مُجَاهِدٌ: تَشَامَخَتِ الْجَبَلُ وَتَطاوَلَتْ لَنَّا يَنَالُهَا الغَرْقُ، فَعَلَا الْمَاءُ فَوْقَهَا خَمْسَةَ عَشَرَ ذِرَاعًا، وَتَطَامَنَ الْجُودِيُّ، وَتَواضَعَ لِأَمْرِ اللَّهِ تَعَالَى فَلَمْ يَغْرُقْ، وَرَسَتِ السَّفِينَةُ عَلَيْهِ<sup>(٣)</sup>.

وَقَدْ قِيلَ: إِنَّ الْجُودِيَّ اسْمُ لِكُلِّ جَبَلٍ<sup>(٤)</sup>، وَمِنْ قَوْلِ زَيْدِ بْنِ عُمَرَ بْنِ ثَفَيْلٍ: سُبْحَانَهُ ثُمَّ سُبْحَانًا يَعُودُ لَهُ وَقَبَلَنَا سَبَّحَ الْجُودِيُّ وَالْجُمْدُ<sup>(٥)</sup>  
وَيَقَالُ: إِنَّ الْجُودِيَّ مِنْ جَبَلِ الْجَنَّةِ<sup>(٦)</sup>؛ فَلَهُذَا اسْتَوَتْ عَلَيْهِ.

وَيَقَالُ: أَكْرَمَ اللَّهُ ثَلَاثَةَ جَبَلَ بِثَلَاثَةِ نَفَرٍ: الْجُودِيُّ بِنُوحٍ، وَطَوَرَ سِينَاءَ بِمُوسَى، وَحِرَاءَ بِمُحَمَّدٍ صَلَوَاتُ اللَّهِ وَسَلَامُهُ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ.

مَسَأَلَةٌ: لَمَّا تَواضَعَ الْجُودِيُّ وَخَضَعَ عَزَّ، وَلَمَّا ارْتَفَعَ غَيْرُهُ وَاسْتَعْلَى ذَلِّ، وَهَذِهِ سُنَّةُ اللَّهِ فِي خَلْقِهِ، يَرْفَعُ مَنْ تَخَشَّعُ، وَيَضْطَعُ مَنْ تَرْفَعُ، وَلَقَدْ أَحْسَنَ الْقَاتِلَ:

(١) المحرر الوجيز ١٧٦/٣ ، وسيأتي نحوه عن مجاهد، وينظر تاريخ ابن عساكر ٢٦٢/٦٢ .

(٢) المحرر الوجيز ١٧٦/٣ ، ولم يقف عليه مرفوعاً، وعلقه البخاري قبل الحديث (٤٨٦٩) عن قتادة قوله، ووصله عبد الرزاق في التفسير ٢٥٨/٣ ، والطبراني ١٢٨/٢٢ .

(٣) عرائض المجالس ص ٥٩ ، وأخرجه الطبراني ٤٢٢/١٢ .

(٤) النكت والعيون ٤٧٤/٢ .

(٥) تُسَبِّ الْبَيْتُ لِزَيْدٍ فِي مِجازِ الْقُرْآنِ ١/٢٩٠ ، وَشَرَحُ آيَاتِ سَبِيِّيَّهُ لِلسَّيِّرِافِيِّ ١/١٩٤ ، وَالنَّكْتُ وَالْعَيْوَنُ ٤٧٤/٢ ، وَنَسْبَهُ سَبِيِّيَّهُ فِي الْكِتَابِ ١/٣٢٦ لِأَمِيَّةَ بْنَ أَبِي الصَّلَتِ، وَهُوَ فِي دِيْوَانِ أَمِيَّةِ ص ١٦١ بِالْخَلْفَ لِسَيِّرٍ. وَنَسْبَهُ لِوَرْقَةَ بْنِ نُوفَلٍ كَمَا فِي الْأَغَانِيِّ ٣/١٢١ ، وَالْخَزَانَةِ ٣/٣٨٨ . قَوْلُهُ: الْجُمْدُ: هُوَ جَبَلٌ لِبَنِي نَصْرٍ بِنْجَدٍ. مَعْجمُ الْبَلَدَانِ ٢/١٦١ .

(٦) تاريخ ابن عساكر ٢٦٢/٦٢ .

وَإِذَا تَذَلَّتِ الرُّقَابُ تَخْشُعاً مِنَ إِلَيْكَ فَعِزْهَا فِي ذُلُّهَا<sup>(١)</sup>  
وفي صحيح البخاري ومسلم عن أنس بن مالك قال: كانت ناقة للنبي ﷺ تسمى العَضِباء، وكانت لا تُسبق، فجاء أعرابي على قعوده فسبقها، فاشتَدَ ذلك على المسلمين؛ وقالوا: سُبِقتِ العَضِباء! فقال رسول الله ﷺ: «إِنَّ حَقًا عَلَى اللَّهِ أَلَا يَرْفَعُ شَيْئًا مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا وَضَعْهُ»<sup>(٢)</sup>.

وخرَج مسلم<sup>(٣)</sup> عن أبي هريرة عن رسول الله ﷺ قال: «مَا نَقَصْتَ صَدَقَةً مِنْ مَالٍ، وَمَا زادَ اللَّهُ عَبْدًا بِعْفٍ إِلَّا عَزًّا، وَمَا تَوَاضَعَ أَحَدٌ لِلَّهِ إِلَّا رَفَعَهُ اللَّهُ». وقال ﷺ: «إِنَّ اللَّهَ أَوْحَى إِلَيَّ أَنْ تَوَاضَعُوا حَتَّى لَا يَبْغِيَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ، وَلَا يَفْخَرَ أَحَدٌ عَلَى أَحَدٍ». خرجه البخاري<sup>(٤)</sup>.

مسألة: نذكر فيها من قصة نوح مع قومه وبعض ذكر السفينة.

ذكر الحافظ ابن عساكر في «التاريخ»<sup>(٥)</sup> له عن الحسن: أَنَّ نُوحًا أَوْلُ رسولِ بعثة الله إلى أهل الأرض؛ فذلك قوله تعالى: «وَلَقَدْ أَرَيْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَلَمَّا رَأَيْتُمُوهُمْ أَلْفَ سَنَةً إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا» [العنكبوت: ١٤]. وكان قد كثُرت فيهم المعاصي، وكثُرت الجبارية وعنتوا عُثُواً كبيراً، وكان نوح يدعوهم ليلاً ونهاراً، سرّاً وعلانية، وكان صبوراً حليماً، ولم يلق أحداً من الأنبياء أشدَّ مما لقي نوح، فكانوا يدخلون عليه فيخنقونه حتى يترك وقيناً<sup>(٦)</sup>، ويضربونه في المجالس ويُطرد، وكان لا يَدْعُ على ما

(١) هو لأبي إسحاق الصابي كما في بيته الدهر ٣٢٥/٢ برواية: تقرباً منها إليك، بدل: تخشعـاً منها إليك.

(٢) صحيح البخاري (٢٨٧٢)، وهو عند أحمد (١٢٠١٠)، ولم نقف عليه عند مسلم. قوله: على قعود، القعود من الإبل: ما أمكن أن يركب، وأدنـاه يكون له ستان. النهاية (قعد).

(٣) في صحيحه (٢٥٨٨)، وهو عند أحمد (٩٠٠٨).

(٤) في الأدب المفرد (٤٢٦) و(٤٢٨)، وهو عند مسلم (٢٨٦٥): (٦٤) وهو من حديث عياض بن حمار<sup>٦</sup>.

(٥) ٢٤٤/٦٢.

(٦) الْوَقِيدُ: الْذِي يَغْشِي عَلَيْهِ؛ لَا يُدْرِي أَمْتَ أَمْ لَا. اللسان (وقد).

يُصنع به أنْ يدعوهم<sup>(١)</sup>، ويقول: «رَبِّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ». فكان لا يزيدهم ذلك إلا فراراً منه، حتى إنه لِيُكْلِمُ الرَّجُلَ مِنْهُمْ فِيلْ رَأْسَه بثوبه، ويجعلُ أضبعيه في أذنيه لكيلا يسمع شيئاً من كلامه، فذلك قوله تعالى: ﴿وَرَأَى كُلَّمَا دَعَوْتُهُمْ لِتَغْفِرَ لَهُمْ جَعَلُوا أَصْبَعَهُمْ فِي مَآذِنِهِمْ وَاسْتَقْسَطُوا بِثَابَتِهِمْ﴾ [نوح: ٧].

وقال مجاهدٌ وعبدُ بن عمرٍ: كانوا يضربونه حتى يُغشى عليه، فإذا أفاق قال: رَبِّ اغْفِرْ لِقَوْمِي فَإِنَّهُمْ لَا يَعْلَمُونَ<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن عباس: إنَّ نوحاً كان يُضربُ، ثم يُلْفُ في لِيدٍ<sup>(٣)</sup> فِيلْقى في بيته، يُرَوَنَ أنه قد مات، ثم يخرجُ فيدعوهِمْ؛ حتى إذا يَسَّرَ من إيمان قومه جاءه رجلٌ ومعه ابنه، وهو يتَوَجَّأُ على عصاً، فقال: يا بُنْيَ، انظر هذا الشَّيْءُ لا يَغْرِنَكَ، قال: يا أَبَتَ، أَمْكَنَيْ من العصا، فَأَمْكَنَهُ، فَأَخْذَ الْعَصَـا ثُمَّ قَالَ: ضَعَنِي فِي الْأَرْضِ، فَوَضَعَهُ، فَمَشَ إِلَيْهِ بِالْعَصَـا فَضَرَبَهُ فَشَجَّـهَ شَجَّـةً مُوضِحَةً<sup>(٤)</sup> فِي رَأْسِهِ، وَسَالَتِ الدَّمَاءُ، فَقَالَ نُوحٌ: رَبِّ قد تَرَى مَا يَفْعَلُ بِي عَبْدُكَ، فَإِنْ يَكُنْ لَكَ فِي عَبادَكَ خَيْرٌ فَاهْدِهِمْ، وَإِنْ يَكُنْ غَيْرُ ذَلِكَ فَصَبِّرْنِي إِلَى أَنْ تَحْكُمْ، وَأَنْتَ خَيْرُ الْحَاكِمِينَ. فَأَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ وَآيَسَهُ مِنْ إِيمَانِ قَوْمِهِ، وَأَخْبَرَهُ أَنَّهُ لَمْ يَبْقَ فِي أَصْلَابِ الرِّجَالِ وَلَا فِي أَرْحَامِ النِّسَاءِ مُؤْمِنٌ، قَالَ: ﴿وَأَوْحَى إِلَى نُوحٍ أَنَّمَا لَنِ يُؤْمِنُ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ مَاءَمَ فَلَا تَبْتَسِّسْ بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ﴾ أي: لا تحزن عليهم ﴿وَأَصْنِعْ لِلنُّكَ يَأْغِيَنَا وَوَخِينَا﴾ قال: يا ربِّ، وأين الخشبُ؟ قال: اغرس الشجر. قال: فَغَرَسَ السَّاجَ عَشْرِينَ سَنَةً، وكَفَ عن الدُّعَاءِ، وَكَفُوا عَنِ الْأَسْتَهْزَاءِ، وَكَانُوا يَسْخَرُونَ مِنْهُ، فَلَمَّا أَدْرَكَ الشَّجَرُ؛ أَمْرَهُ رَبُّهُ فَقَطَعَهَا وَجَفَّفَهَا، فَقَالَ: يا ربِّ، كَيْفَ أَتَخْذُ هَذَا الْبَيْتَ؟ قَالَ: اجْعَلْهُ عَلَى ثَلَاثَ صُورٍ؛ رَأْسَهُ كَرَأْسِ الدَّيْكِ، وَجَوْجُوْهُ

(١) في (م): وكان لا يدع على من يصنع به بل يدعوهِمْ.

(٢) تاريخ ابن عساكر ٢٤٧/٦٢ ، وأخرجه الطبرى ٣٩٦/١٢ عن عبد بن عمر مطولاً.

(٣) الْلِيدُ: من البسط معروفة. اللسان (الْلِيدُ).

(٤) الموضحة من الشجاج: التي بلغت العظم فأوضحت عنه. اللسان (وضوح).

كجُوْجُ الطير، وذَبَّه كذَبَ الديك؛ واجعلها مطْبَقَةً، واجعل لها أبواباً في جَنْبِها، وشَدَّها بَدْسُرٍ، يعني مسامير الحديد. ويعث الله جبريلَ فعَلَّمَه صَنْعَةَ السفينة، وجعلت يدُه لا تخطئ<sup>(١)</sup>.

قال ابن عباس: كانت دارُ نوح عليه السلام دمشق، وأنشأ سفينته من خشب لبنانَ بين زمزَم وبين الركن والمقام، فلَمَّا كَتَلَتْ حَمَلَ فيَها السَّبَاعُ والدوابُ في البابِ الأوَّلِ، وجعل الوحوشُ والطيرَ في البابِ الثانِي، وأطْبَقَ عَلَيْهِما، وجعل أولاً آدمَ أربعينَ رجلاً وأربعينَ امرأةً في البابِ الأعلى، وأطْبَقَ عَلَيْهِمْ، وجعل الذَّرَّ معه في البابِ الأعلى لضعفها؛ أَلَا تَنظَّمَا الدوابَ<sup>(٢)</sup>.

قال الزُّهْرِيُّ: إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ بَعَثَ رِيحًا، فَحَمَلَ إِلَيْهِ مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ، مِنِ السَّبَاعِ وَالطِّيرِ وَالوْحْشِ وَالبَهَائِمِ<sup>(٣)</sup>.

وقال جعفرُ بن محمد: بعث الله جبريلَ فحشرهم، فجعل يضربُ بيده على الزوجين، فتفقَّعَ يده اليمنى على الذكر، واليسرى على الأنثى، فُيدخله السفينة.

وقال زيدُ بن ثابت: استصعبتُ على نوح الماعزَةَ أَنْ تدخلَ السفينةَ، فدفعها بيده في ذنبَها؛ فمَنْ تَمَّ انْكَسَرَ ذَنْبُهَا فصار مَغْقُوفًا وَبِدَا حَيَاوَاهَا. وَمَضَتِ النَّعْجَةُ حَتَّى دَخَلَتْ، فَمَسَحَ عَلَى ذَنْبِهَا فَسُتِّرَ حَيَاوَاهَا<sup>(٤)</sup>.

قال إسحاق: أخبرنا رجلٌ من أهل العلم: أَنَّ نُوحًا حَمَلَ أَهْلَ السفينة، وجعل فيها من كُلِّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ، وحمل من الهدَدَ زَوْجَيْنِ، فماتت الهدَدَةُ في السفينة قبل أَنْ تَظَهَّرَ الْأَرْضُ، فحملها الْهَدَدُ فطاف بها الدُّنْيَا ليصِيبَ لها مَكَانًا، فلم يجد طيناً ولا تراباً، فرحمه رَبُّه فحفر لها في قفاه قبراً فدفنتها فيه، فذلك الريشُ الناتِئُ في قفا

(١) أخرجه ابن عساكر ٦٢ - ٢٤٩ من طريق جوير، عن الفصحاكي، عن ابن عباس. وذكره الثعلبي في العرائس ص ٥٦ - ٥٧ مطولاً، والخبر من الإسناديات.

(٢) ينظر تاريخ ابن عساكر ٦٢/٢٤١ و ٢٤٩.

(٣) أخرجه ابن عساكر ٦٢/٢٥٥.

(٤) أخرجهما ابن عساكر ٦٢/٢٥٢ - ٢٥٣ و ٢٥٥، وهو من الأخبار التالفة.

الهدد موضع القبر؛ فلذلك نَتَّأْتُ أَقْيَهُ الْهَادِهِ<sup>(١)</sup>.

وقال رسول الله ﷺ: «كان حمل نوحٌ معه في السفينة من جميع الشجر، وكانت العجوبة من الجنة مع نوح في السفينة»<sup>(٢)</sup>.

وذكر صاحب كتاب «العروض»<sup>(٣)</sup> وغيره: أنَّ نوحًا عليه السلام لَمَّا أراد أن يبعث من يأتيه بخبر الأرض قال الدجاج: أنا، فأخذها وختَّمَ على جناحها وقال لها: أنت مختومَةً بخاتمي، لا تطيري أبداً، أنت يتتفنُّ بكِ أمتي. فبعث الغراب، فأصاب جيفة فوقع عليها فاحتبس، فلعنه، ولذلك يُقتلُ في الحِلْلِ والحرَم، ودعا عليه بالخوف؛ فلذلك لا يَأْلِفُ البيوت. وبعث الحمامَةَ فلم تجد قراراً فوَقَعَتْ على شجرة بأرض سِبَا<sup>(٤)</sup>، فحملت ورقة زيتونية، ورجعت إلى نوح فعلم أنها لم تستمكِنْ من الأرض، ثم بعثها بعد ذلك فطارت حتى وقعت بوادي الحرَم، فإذا الماء قد نَضَبَ من مواضع الكعبة، وكانت طيَّتها حمراء، فاختبست رجلها، ثم جاءت إلى نوح عليه السلام فقالت: بُشْرَىٰ مِنْكَ أَنْ تَهَبَ لِي الطَّوْقَ فِي عَنْقِي، وَالخِصَابَ فِي رَجْلِي، وأسكن الحرَم، فمسح يده على عنقها وطوقها، ووهب لها الحمرة في رجليها، ودعا لها ولذرِّيتها بالبركة.

(١) تاريخ ابن عساكر ٢٦١/٦٢ . وإسحاق هو ابن بشر. قال الدارقطني: كذاب متروك. ميزان الاعتدال ١٨٤/١ .

(٢) أخرجه ابن عساكر ٢٦١/٦٢ من حديث علي عليه السلام. قوله: «العجبة من الجنة». أخرجه أحمد (٨٠٠٢) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، و(١١٤٥٣) من حديث جابر وأبي سعيد الخدري رضي الله عنهما، و(١٥٥٠٨) من حديث رافع بن عمرو المزنبي، و(١١٩٣٨) من حديث بريدة الأسلمي رضي الله عنه. والخبر في تاريخ ابن عساكر ٢٦٣/٦٢ - ٢٦٤/٦٢ .

(٣) كتاب العروس لجعفر بن محمد، قال الملا علي القاري في المصنوع ص ٢٥١ : وقال الديلمي: أسانيد كتاب العروس لأبي الفضل جعفر بن محمد بن جعفر بن محمد بن علي الحسيني واهية لا يعتمد عليها، وأحاديثه منكرة. والخبر ذكره ابن عساكر ٢٦٣/٦٢ - ٢٦٤ . وكان من الأولى بالمصنف أن ينزعه كتابه عن أمثال هذه القصص الثالثة.

(٤) في (د) و(م): سيناء.

وذكر الشعبي أنه بعث بعد الغراب التذرُّج<sup>(١)</sup> وكان من جنس الدجاج، وقال: إياك أنْ تعذرَ، فأصاب الحُضرة والفرجَة فلم يرجع، وأخذ أولاده عنده رهناً إلى يوم القيمة.

قوله تعالى: ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ فَقَالَ رَبِّي إِنَّ أَتَيْتَ مِنْ أَهْلِي وَلَأَنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَنْكُمُ الْحَكِيمُونَ﴾<sup>(٢)</sup> قال ينتوش إِنَّمَا لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّمَا عَمِلَ غَيْرَ صِلَاحٍ فَلَا تَشْتَانِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّمَا أَعْطَكَ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾<sup>(٣)</sup> قال ربِّي إِنَّمَا أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَشَّلَّكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَلَأَلَا تَغْفِرْ لِي وَتَرْحَمْنِي أَكْثَرُ مِنَ الْخَيْرِينَ﴾<sup>(٤)</sup>

فيه خمس مسائل:

**الأولى:** قوله تعالى: ﴿وَنَادَى نُوحٌ رَبَّهُ﴾ أي: دعاه. ﴿فَقَالَ رَبِّي إِنَّ أَتَيْتَ مِنْ أَهْلِي﴾ أي: من أهلي الذين وعدتهم أن تنجيهم من الغرق؛ ففي الكلام حذف. ﴿وَلَأَنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ﴾ يعني الصدق.

**وقال علماًونا:** وإنما سأله نوح ربَّه ابنه لقوله: «وَأَهْلَكَ»، وترك قوله: «لَا مَنْ سَبَقَ عَيْنَهُ الْقَوْلُ»<sup>(٥)</sup> فلما كان عنده من أهله قال: ﴿رَبِّي إِنَّ أَتَيْتَ مِنْ أَهْلِي﴾ يدلُّ على ذلك قوله: ﴿وَلَا تَكُنْ مَعَ الْكَافِرِينَ﴾ أي: لا تكون ممن لست منهم؛ لأنَّه كان عنده مؤمناً في ظنه<sup>(٦)</sup>، ولم يك نوح يقول لربِّه: ﴿إِنَّ أَتَيْتَ مِنْ أَهْلِي﴾ إلَّا وذلك عنده كذلك؛ إذ محال أن يسأل هلاك الكفار، ثم يسأل في إنجاء بعضهم، وكان ابنه يُبَشِّرُ الكفرَ ويُظْهِرُ الإيمان، فأخبر الله تعالى نوحًا بما هو منفرد به من علم الغيوب؛ أي: علمت من حال ابنك ما لم تعلمه أنت.

**وقال الحسن:** كان منافقاً، ولذلك استحلَّ نوح أنْ يناديَه<sup>(٧)</sup>. عنه أيضًا: كان ابنَ

(١) طائر يغرد في البساتين بأصوات طيبة، يكون بأرض خراسان وغيرها من بلاد فارس. حياة الحيوان ص. ١٦٣.

(٢) أحكام القرآن لابن العربي ١٠٤٦/٣.

(٣) ينظر لطائف الإشارات ١٣٧/٢.

(٤) النكت والعيون ٤٧٦/٢.

امرأته<sup>(١)</sup> ، دليله قراءة عليٰ : «ونادى نوح ابنتها»<sup>(٢)</sup>.

**﴿وَأَتَ أَخْكُمُ الْحَكِيمِينَ﴾** ابتداء وخبر. أي: حكمت على قوم بالنجاة، وعلى قوم بالغرق.

الثانية: قوله تعالى: **﴿قَالَ يَنْثُرُ إِنَّمَا لَيْسَ مِنْ أَفْلَاثَ﴾** أي: ليس من أهلك الذين وعدتهم أن أنجِيهم؛ قاله سعيد بن جُبير. وقال الجمهور: ليس من أهل دينك ولا ولائك<sup>(٣)</sup> ، فهو على حذفِ مضاد. وهذا يدل على أن حكم الاتفاق في الدين أقوى من حكم النسب.

**﴿إِنَّمَا عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾** قرأ ابن عباس وعروة وعكرمة ويعقوب والكسائي: **«إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرٌ صَالِحٌ﴾**<sup>(٤)</sup> أي: من الكفر والتکذيب، واختاره أبو عبيد. وقرأ الباقيون: **﴿عَمَلٌ﴾** أي: ابنُك ذو عملٍ غير صالح، فحذف المضاد؛ قاله الزجاج وغيره<sup>(٥)</sup>.

قال:

**تَرْتَئِعُ مَا رَتَعْتَ حَتَّى إِذَا أَدَّكَرْتُ**      **فَإِنَّمَا هِيَ إِقْبَالٌ وِإِدْبَارٌ**<sup>(٦)</sup>

أي: ذات إقبال وإدبار. وهذا القول والذى قبله يرجع إلى معنى واحد. ويجوز أن تكون الهاء للسؤال، أي: إن سؤالك إياي أن أنجيَه عمل غير صالح. قاله قتادة<sup>(٧)</sup>.

وقال الحسن: معنى عمل غير صالح: أنه ولد على فراشه ولم يكن ابنه. وكان

(١) أورده الواعدي في الوسيط ٥٧٥/٢ .

(٢) القراءات الشاذة ص ٦٠ .

(٣) النكت والعيون ٤٧٦/٢ .

(٤) السبعة ص ٤٣٣ والتيسير ص ١٢٥ عن الكسائي، والنشر ٢٨٩/٢ عنه وعن يعقوب، وأخرجهما عن ابن عباس الطبرى ٤٣٥/١٢ ، وذكرها ابن عطية ١٧٧/٣ عن علي وابن عباس وعائشة وأنس<sup>ؑ</sup>.

(٥) معانى القرآن للزجاج ٥٥/٣ ، ومعانى القرآن للنحاس ٣٥٥/٣ .

(٦) البيت للحساء، وهو في ديوانها ص ٤٨ ، وسلف ٥٤/٣ و ٢٥٩/٩ .

(٧) أخرجه عبد الرزاق في التفسير ٣١٠/١ ، وسعيد بن منصور في سنته (١٠٩٣ - تفسير).

لغير رشدة، وقاله أيضاً مجاهد<sup>(١)</sup>. قال قتادة: سألت الحسن عنه فقال: والله ما كان ابنه، قلت: إنَّ الله أخْبَرَ عن نوح أنه قال: ﴿إِنَّ آتِيَ مِنْ أَهْلِ﴾ فقال: لم يقلُ مني، وهذه إشارة إلى أنه كان ابن امرأته من زوج آخر، فقلت له: إنَّ الله حكى عنَّه أنه قال: ﴿إِنَّ آتِيَ مِنْ أَهْلِ﴾ ﴿وَنَادَى شُوَّحَ آتِيَةً﴾ ولا يختلفُ أهلُ الكتابين أنَّه ابنه، فقال الحسن: ومن يأخذُ دينَه عنَّ أهلِ الكتاب! إنَّهم يكتبون. وقرأ: ﴿فَخَاتَمَهَا﴾ [التحريم: ١٠]<sup>(٢)</sup>. وقال ابنُ جريج: ناداه وهو يحسبُ أنَّه ابنه، وكانُ ولدُه على فراشه، وكانت امرأته خانته فيه<sup>(٣)</sup>; ولهذا قال: ﴿فَخَاتَمَهَا﴾.

وقال ابن عباس: ما بغيَّ امرأةٌ نبيٌّ قطٌّ، وأنَّه كانَ ابنَه لصُلْبِه. وكذلك قال الصَّحَاكُ وعكرمةُ وسعيدُ بنُ جُبَيرٍ وميمونُ بنِ مهرانٍ وغيرُهُمْ، وأنَّه كانَ ابنَه لصُلْبِه. وقيل: لسعيد بن جُبَيرٍ: يقول نوح: ﴿إِنَّ آتِيَ مِنْ أَهْلِ﴾ أكانَ منْ أهله؟ أكانَ ابنَه؟ فسبَّحَ الله طويلاً ثمَّ قال: لا إلهَ إلَّا اللهُ يُحَدِّثُ اللهُ مُحَمَّداً<sup>(٤)</sup> أَنَّه ابنُه، وتقول: إنَّه ليسَ ابنَه! نَعَمْ كَانَ ابنَه، ولكنَّ كَانَ مُخالفاً فِي النِّيَةِ وَالْعَمَلِ وَالدِّينِ<sup>(٥)</sup>، ولهذا قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا لَيْسَ مِنْ أَهْلِكُ﴾.

وهذا هو الصَّحِيحُ فِي الْبَابِ إِنْ شاءَ اللَّهُ تَعَالَى لِجَلَالَةِ مَنْ قَالَ بِهِ، وَإِنَّ قَوْلَهُ: ﴿إِنَّمَا لَيْسَ مِنْ أَهْلِكُ﴾ لَيْسَ مَمَا يَنْفِي عَنَّهُ أَنَّهُ ابنُه<sup>(٦)</sup>.

(١) النكت والعيون ٢/٤٧٥ ، وأخرجه قولهما الطبرى ١٢/٤٢٦ و ٤٣٤ . وقوله: لغير رشدة، أي: ليقئه وزينة، اللسان (رشد). وقد ردَّ الألوسي هذا الكلام في روح المعانى ١٢/٥٨ ، وقال: نسبة هذا القول إلى الحسن ومجاهد كذبٌ صريح. وقال: إنَّ الله تَعَالَى قد طَهَرَ الأنبياءَ عليهم السَّلامُ عَمَّا دونَ ذلك من التقصِّ بمراحلٍ، فحاشاهم ثم حاشاهم أن يشار إليهم بأصبح الطعن، وإنما المراد بالخيابة في الدين.

(٢) أخرجه بنحوه عبد الرزاق في التفسير ١/٣٠٦ ، والطبرى ١٢/٤٢٧ .

(٣) أخرجه الطبرى ١٢/٤٢٨ ، وسلف أنَّ هذا الكلام لا يصح.

(٤) أخرجه مع ما سبقه من قول ابن عباس وغيره الطبرى ١٢/٤٢٨ - ٤٣٣ .

(٥) معاني القرآن للنحاس ٣/٣٥١ .

وقوله: **﴿فَخَاتَاهُمَا﴾** يعني في الذين لا في الفراش<sup>(١)</sup>، وذلك لأنّ هذه كانت تُخبر الناس أنّه مجنون، وذلك أنها قالت له: أَمَا ينْصُرُكَ رَبُّكَ؟ فقال لها: نعم. قالت: فَمَتَى؟ قال: إذا فار التّنّور. فخرجت تقول لقومها: يا قوم، والله إنّه مجنون، يزعم أنّه لا ينصره ربُّه إِلَّا أَنْ يَفُورَ هذَا التّنّور! فهذه خيانةٌ لها. وخيانةُ الأخرى أنها كانت تدلّ على الأضياف<sup>(٢)</sup>. على ما سيأتي إن شاء الله<sup>(٣)</sup>. والله أعلم.

وقيل: الولد قد يسمى عملاً كما يسمى كَسْبًا، كما في الخبر: «أولادكم من كَسْبِكم»<sup>(٤)</sup>. ذكره القشيري<sup>(٥)</sup>.

الثالثة: في هذه الآية تسلية للخلق في فساد أبنائهم وإن كانوا صالحين<sup>(٦)</sup>. ورويَ أنَّ ابنَ مالك بنِ أنس نزلَ من فوقِ معيه حمامٌ قد غطَّاه، قال: فَعَلِمَ مالكُ أَنَّه قد فَهَمَ النَّاسُ، فقال مالك: الأدبُ أدبُ الله، لا أدبُ الآباء والأمهات، والخيرُ خيرُ الله، لا خيرُ الآباء والأمهات<sup>(٧)</sup>.

وفيها أيضاً دليلاً على أنَّ الابنَ من الأهل لغَةً وشرعاً، ومن أهلِ البيت<sup>(٨)</sup>، فَمَنْ وَصَّى لِأهْلِهِ دَخَلَ فِي ذَلِكَ ابْنَهُ وَمَنْ تَضَمَّنَهُ مَنْزِلَهُ وَهُوَ فِي عِيَالِهِ. وقال تعالى في آية أخرى: **﴿وَلَقَدْ نَادَنَا نُوحٌ فَلَيَعْمَلُ الْمُجِيبُونَ وَمَجَّنَّتْهُ أَهْلَهُ بْنَ الْكَبِيرِ الظَّلِيمِ﴾** [الصفات: ٧٥-٧٦]. فـسُمِّيَ جميعَ مَنْ ضَمَّهُ مَنْزِلَهُ مِنْ أَهْلِهِ<sup>(٩)</sup>.

(١) تفسير البغوي ٢/٣٨٧.

(٢) أخرجه مختصرأ عبد الرزاق في التفسير ١/٣١٠ ، والطبرى ١٢/٤٣٠ عن ابن عباس رضي الله عنهما، قوله: الأخرى، يعني امرأة لوط.

(٣) ص ١٧٦ من هذا الجزء، وعند تفسير الآية (١٠) من سورة التحرير.

(٤) قطعة من حديث أخرجه أحمد (٢٥٢٩٦)، والترمذى (١٣٥٨)، وابن ماجه (٢٢٩٠) عن عائشة رضي الله عنها.

(٥) أحكام القرآن لابن العربي ٣/١٠٤٧.

(٦) أخرجه الرامحه مزي في المحدث الفاصل (١٤٨).

(٧) أحكام القرآن لابن العربي ٣/١٠٤٧.

(٨) أحكام القرآن للكبا الطبرى ٣/٢٢٥ - ٢٢٦.

الرابعة: ودللت الآية على قول الحسن ومجاحد وغيرهما: أنَّ الولد للفراش؛ ولذلك قال نوحٌ ما قال آخِذًا بظاهر الفراش. وقد روى سفيانُ بن عيينة عن عمرو بن دينار، أنه سمع عَبيد بن عمير يقول: نُرِي رسول الله ﷺ إنما قضى بالولد للفراش من أجل ابن نوح عليه السلام، ذكره أبو عمر في كتاب «التمهيد»<sup>(١)</sup>.

وفي الحديث الصحيح عن النبي ﷺ أنه قال: «الولد للفراش، وللعاهر الحجر»<sup>(٢)</sup>. يزيد: الخيبة. وقيل: الرَّجم بالحجارة<sup>(٣)</sup>.

وقرأ عُروة بن الزبير: «وَنَادَى نُوحُ ابْنَهَا»<sup>(٤)</sup> يزيد ابن امرأته، وهي تفسير القراءة المتقدمة عنه وعن عليٍّ<sup>(٥)</sup>، وهي حُجَّةٌ للحسن ومجاحد؛ إلا أنها قراءة شاذة، فلا نَرَك المتفق عليها لها. والله أعلم.

الخامسة: قوله تعالى: «إِنَّ أَعْظَمَكُمْ أَنْ تَكُونَ مِنَ الْجَاهِلِينَ» أي: أنه لا يَنْهَاك عن هذا السؤال، وأَحْذِرُك لثلاً تكون، أو كراهية أن تكون من الجاهلين، أي: الأئمين<sup>(٦)</sup>. ومنه قوله تعالى: «يَعْظُمُكُمُ اللَّهُ أَنْ تَعُودُوا لِمِثْلِهِ أَبْدَاهُ» [النور: ١٧] أي: يَحْذِرُكُمُ اللهُ وَيَنْهَاكُمُ . وقيل: المعنى: أرفعُكُمْ أَنْ تكونَ من الجاهلين<sup>(٧)</sup>.

قال ابنُ العربي: وهذه زيادةٌ من الله وموعظةٌ يرفعُ بها نوحًا عن مَقَامِ الجاهلين،

(١) ١٩٥/٨ ، وأخرجه الطبراني ٤٢٨/١٢ ، وهو ضعيف لإرساله.

(٢) أخرجه أحمد (٢٤٨٦) ، والبخاري (٢٠٥٧) ، ومسلم (١٤٥٧) من حديث عائشة رضي الله عنها ، وأخرجه أحمد (٧٢٦٢) ، ومسلم (١٤٥٨) من حديث أبي هريرة .

(٣) المفہوم ١٩٧/٤ . وضعف أبو العباس القول الثاني، وكذلك النوي في شرحه لصحيح مسلم ٣٧/١٠ وقال: لأنَّه ليس كل زانٍ يرجم، وإنما يرجم المحسن خاصةً، ولأنَّه لا يلزم من رَجْمِهِ تَنْهِيَ الولد عنه، والحديث إنما ورد في نفي الولد عنه.

(٤) ذكرها أبو حيان في البحر ٥/٢٢٦ ، وسلف ذكرها عن علي .

(٥) ص ١٢٣ من هذا الجزء ، وهي قراءة: «وَنَادَى نُوحُ ابْنَهَا».

(٦) ينظر إعراب القرآن للنحاس ٢/٢٨٦ ، والوسط ٢/٥٧٦ .

(٧) التكت والعيون ٢/٤٧٦ .

ويُعليه بها إلى مقام العلماء والعارفين، فقال نوح: **﴿رَبِّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَشَّلَّكَ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ﴾** الآية، وهذه ذنوب الأنبياء عليهم السلام، فشكر الله تذلله وتواضعه<sup>(١)</sup>. **﴿وَلَا تَقْفِرْ لِي﴾** ما فرط من السؤال **﴿وَتَرْحَقْنِي﴾** أي: بالتبوية. **﴿أَكُنْ مِنَ الْخَسِيرِينَ﴾** أي: أعمالاً. فقال: **﴿يَنْجُحُ أَهْيَطُ إِسْلَامِيَّةَ﴾**.

قوله تعالى: **﴿قِيلَ يَنْجُحُ أَهْيَطُ إِسْلَامِيَّةَ مِنَ وَبَرَكَتِي عَلَيْكَ وَعَلَى أُمِّي مَنْ مَعَكَ وَأُمِّي سَمِّيَّهُمْ مِمْ يَسْهُمْ مِنَ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾**

قوله تعالى: **﴿قِيلَ يَنْجُحُ أَهْيَطُ إِسْلَامِيَّةَ﴾** أي: قالت له الملائكة، أو قال الله تعالى له: اهبط من السفينة إلى الأرض، أو من الجبل إلى الأرض، فقد ابتلعت الماء وجفت. **﴿بِسْلَامٍ مِنَ﴾** أي: بسلامة وأمن. وقيل: بتحية<sup>(٢)</sup>.

**﴿وَبَرَكَتِي عَلَيْكَ﴾** أي: نعم ثابتة، مشتق من برورك الجمل، وهو ثبوته وإقامته<sup>(٣)</sup>. ومنه البركة؛ لثبوت الماء فيها.

وقال ابن عباس رضي الله عنهم: نوح أدم الأصغر<sup>(٤)</sup>. فجميع الخلاقي الآن من نسله، ولم يكن معه في السفينة من الرجال والنساء إلا من كان من ذريته، على قول قتادة وغيره، حسب ما تقدم<sup>(٥)</sup>، وفي التنزيل: **﴿وَجَعَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ هُنَ الْبَاقِينَ﴾** [الصفات: ٧٧].

**﴿وَعَلَى أُمِّي مَنْ مَعَكَ﴾** قيل: دخل في هذا كل مؤمن إلى يوم القيمة. ودخل في قوله: **﴿وَأُمِّي سَمِّيَّهُمْ مِمْ يَسْهُمْ مِنَ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾** كل كافر إلى يوم القيمة؛ روى

(١) ينظر تفسير الرازي على من قدح في عصمة الأنبياء، وذكر أنه يجب حمل الكلام هنا على أنه من باب ترك الأفضل والأكمel، وقد قال تعالى: **﴿إِذَا جَاءَهُ نَصْرٌ لِلَّهِ وَالْفَتْحُ﴾** إلى قوله: **﴿فَسَيِّئَ حِسَابُ رَبِّكَ وَأَسْتَفِفُ﴾** قال: ومعلوم أن مجيء نصر الله والفتح، ودخول الناس في دين الله أفراجاً، ليست بذنب يوجب الاستغفار.

(٢) الوجيز للواحدي (على هامش مراح ليد) ص ٣٨٦.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٢/٢٨٧.

(٤) ذكره الواحدي في الوسيط ٢/٥٧٦.

(٥) ص ١١٧ من هذا الجزء، وينظر الوسيط ٢/٥٧٦.

ذلك عن محمد بن كعب. والتقدير على هذا: وعلى ذرية أمة ممَّن معك، وذرية أمة سنتُهم<sup>(١)</sup>:

وقيل: «من» للتبعيض، وتكون لبيان الجنس.

«وأَمْمٌ سُنْتُهُمْ»؛ ارفع «وأَمْمٌ» على معنى: وتكون أمة. قال الأخفش سعيد: كما تقول: كلمت زيداً وعمرو جالس. وأجاز الفراء في غير القراءة: وأماماً، وتقديره: ونمث أاماً<sup>(٢)</sup>. وأعيدت «على» مع «أمة» لأنه معطوف على الكاف من «عَلَيْكَ»، وهي ضمير المجرور، ولا يعطف على ضمير المجرور إلا بإعادة الجار على قول سيبويه وغيره. وقد تقدم في «النساء» بيان هذا مستوفى في قوله تعالى: «واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام» بالخوض.

والباء في قوله: «بِسْلَامٍ» متعلقة بمحذوف؛ لأنها في موضع الحال، أي: اهبط مسلماً عليك. و«عليك»<sup>(٣)</sup> في موضع جر متعلق بمحذوف؛ لأنه نعت للبركات. «وَعَلَى أَمْمٍ» متعلق بما تعلق به «عَلَيْكَ»؛ لأنه أعيد من أجل المعطوف على الكاف. و«من» في قوله: «مِنْ مَعَكَ» متعلق بمحذوف؛ لأنه في موضع جر نعت للأمم. «وَمَعَكَ» متعلق بفعل ممحض؛ لأنه صلة لـ«من»، أي: من استقر معك، أو آمن معك، أو ركب معك<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: «تَلَكَ مِنْ أَبْلَهُ الْغَيْبِ ثُوْجِيَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنَّ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَأَتَسِرِّي إِنَّ الْعَيْقَةَ لِلْمُتَقِينَ»<sup>(٥)</sup>

قوله تعالى: «تَلَكَ مِنْ أَبْلَهُ الْغَيْبِ» أي: تلك الأنباء، وفي موضع آخر: «ذلك»، أي: ذلك النبأ والقصص من أنباء ما غاب عنك. «ثُوْجِيَا إِلَيْكَ» أي: لتقف عليها

(١) معاني القرآن للنحاس ٣٥٥ - ٣٥٦ ، وخبر كعب أخرجه الطبرى ٤٣٨/١٢ .

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٢٨٧/٢ ، وقول الفراء في معاني القرآن له ١٨/٢ .

(٣) في النسخ عدا (ز): ومنا، والمشت من (ز)، وهو الصواب.

(٤) ينظر المحرر الوجيز ١٧٩/٣ .

﴿مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ﴾ أي: كانوا غير عارفين بأمر الطوفان، والمجوس الآن ينكروننه.

﴿مِنْ قَبْلِ هَذَا﴾ خبر، أي: مجهولة عندك وعند قومك. ﴿فَأَنْذِرْ﴾ على مشاقّ الرسالة وإذابة القوم كما صبر نوح<sup>(١)</sup>. وقيل: أراد جهمهم بقصة ابن نوح، وإن سمعوا أمر الطوفان فإنّه على الجملة.

﴿فَأَنْذِرْ﴾ أي: اصبر يا محمد على القيام بأمر الله وتبلیغ رسالته، وما تلقى من أذى العرب الكفار، كما صبر نوح على أذى قومه. ﴿وَإِنَّ الْمُنْتَقِبَةَ﴾ في الدنيا بالظفر، وفي الآخرة بالفوز ﴿لِلْمُتَفَقِّبِينَ﴾ عن الشرك والمعاصي.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَادَ أَخَاهُمْ هُودًا قَالَ يَنْقُورُ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٌ غَيْرُهُ إِنْ أَنْتُ إِلَّا مُنْذَرٌ ٤٩﴾ يَنْقُورُ لَا أَشْكُرُ عَيْنَيْ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَهُ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ٥٠﴾ وَيَنْقُورُ أَسْتَغْفِرُ رَبِّكُمْ ثُمَّ نُؤْمِنُ إِلَيْهِ يُرْسِلُ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدَارًا وَرَبِّدَكُمْ قُوَّةً إِلَى قُوَّتِكُمْ وَلَا نَنْتَلِّا بِحَمِيمِنَ ٥١﴾ قَاتُلُوا يَنْهُودُ مَا جَنَّبَنَا بِيَنْتَهَى وَمَا تَحْنَنُ إِلَيْنَا عَنْ فَوْلَكَ وَمَا تَحْنَنُ لَكَ يَمْوِمِنَ ٥٢﴾ إِنْ تَقُولُ إِلَّا أَعْتَدَنَا بَعْضُ مَا لَهُنَا يُسْوِيُ قَالَ إِنَّ أَشْهُدُ اللَّهَ وَأَشْهَدُو أَنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَشْرِكُونَ ٥٣﴾ مِنْ دُوَيْنَ فَكِيدُونِي حَيْبَعَا شَرَّ لَا نَظَرُونِ ٥٤﴾ إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَائِبٍ إِلَّا هُوَ مَاضِدٌ بِنَاصِيَتِهِ إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطِ الْمُسْتَقِيمِ ٥٥﴾ فَإِنْ تَوَلَّنَا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ وَسَنُخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا نَضُرُّنَّهُ شَيْئًا إِنَّ رَبِّي عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ ٥٦﴾ وَلَمَّا جَاءَهُمْ نَجْنَبَنَا هُودًا وَالَّذِينَ أَمَمْنَا مَعْلُومٌ بِرَحْمَةِ مِنَا وَنَجَّيْنَاهُمْ مِنْ عَذَابٍ غَلِيلٍ ٥٧﴾ وَنَلَكَ عَادٌ جَحَدُوا بِرَبِّيَتِ رَبِّيَّهُمْ وَعَصَمُوا رُسْلَهُ وَأَتَّبَعُوا أَنْزَلَ كُلِّ جَيَارٍ عَنِيهِ ٥٨﴾ وَأَتَّبَعُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةَ وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ أَلَا بَعْدًا لِعَادٍ قَوْمٌ هُوُ ٥٩﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ عَادَ أَخَاهُمْ هُودًا﴾ أي: وأرسلنا، فهو معطوف على ﴿أَرْسَلَنَا

(١) من قوله: من قبل هذا ، خبر، إلى هذا الموضع، من (م).

**نُوحًا** [هود: ٢٥]. وقيل له أخوهم؛ لأنَّه منهم، وكانت القبيلة تجمعُهم، كما تقول: يا أخا تميم، وقيل: إنَّما قيل له: أخوهم؛ لأنَّه من بني آدم، كما أنَّهم من بني آدم<sup>(١)</sup>، وقد تقدَّم هذا في «الأعراف»<sup>(٢)</sup>، وكانوا عبَدَةً الأوَّلَان.

وقيل: هم عاذان، عاذ الأولى، وعاذ الأخرى، فهؤلاء هم الأولى، وأما الأخرى فهو شَدَاد ولقمان المذكوران في قوله تعالى: **«إِذْمَّ ذَاتَ الْعِمَادِ»** [الحجر: ٧].  
وعاذ: اسم رجل، ثم استمرَّ<sup>(٣)</sup> على قومٍ انتسبوا إليه.

**«قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِّنْ إِلَهٍ غَيْرِهِ»** بالحَفْض على اللَّفْظ، و«غَيْرُهُ»  
بالرفع على الموضع، و«غَيْرُهُ» بالنصب على الاستثناء<sup>(٤)</sup>.

**«إِنْ أَنْتُمْ إِلَّا مُنْذَرُوكُمْ** أي: ما أَنْتُمْ في اتَّخاذهِمْ إِلَّا غَيْرَهُ إِلَّا كاذبون عليه  
جلٌّ وعزٌّ<sup>(٥)</sup>.

قوله تعالى: **«يَنْقُولُونَ لَا أَشْكَلُكُمْ عَيْنَهُ أَجْرًا إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى الَّذِي فَطَرَهُ**» تقدَّم  
معناه<sup>(٦)</sup>. والفِطْرَة: ابتداءُ الخلق.

**«أَفَلَا تَقْرُئُونَ** ما جرى على قومٍ نوحٍ لِمَا كذَبُوا الرُّسُل.  
قول تعالى: **«وَيَنْقُولُ أَسْتَقْنُورُوا زَيْكُمْ ثُمَّ نُوبَا إِلَيْهِ**» تقدَّم في أول السورة<sup>(٧)</sup>.  
**«بِرِّسِيلِ السَّمَاءَ**» جُزِّم لأنَّه جوابٌ، وفيه معنى المُجازاة.

(١) ضعف هذا القول ابن عطية في المحرر الوجيز ١٧٩/٣.

(٢) ٢٦٢/٩.

(٣) في (ظ): أشتهر.

(٤) الخفْض والرفع قراءتان متواترتان، وقد سلف الكلام فيما ٢٦٠/٩ ، وأما النصب فقراءة شاذة.  
القراءات الشاذة ص ٤ .

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٢٨٧/٢ .

(٦) ص ٢٥-٢٦ من هذا الجزء.

(٧) ص ٦٧ من هذا الجزء.

**﴿عَيْنِكُمْ يَتَذَارَكُونَ﴾** نصب على الحال، وفيه معنى التكثير؛ أي: يرسل السماء بالمطر متتابعاً يتلو بعضه بعضاً، والعرب تحذف الهاء في مفعال على النسب<sup>(١)</sup>، وأكثر ما يأتي مفعال من أفعال، وقد جاء هنا من فعل؛ لأنه من: درت السماء تذر وتدبر، فهي مدرار.

وكان قوم هود -أعني عاداً- أهل بساتين وزروع وعمارة، وكانت مساكنهم الرمال التي بين الشام واليمن<sup>(٢)</sup>، كما تقدم في «الأعراف»<sup>(٣)</sup>.

**﴿وَرَبِزَدَكُمْ﴾** عطف على يرسل.

**﴿فُؤَّةٌ إِلَى قُورِكُمْ﴾** قال مجاهد: شدة إلى<sup>(٤)</sup> شدتكم. الضحاك: خضباً إلى خضبكم. علي بن عيسى: عزرا إلى<sup>(٥)</sup> عزكم. عكرمة: ولد الولد<sup>(٦)</sup>. وقيل: إن الله حبس عنهم المطر وأغصَّ الأرحام ثلاثة سنين، فلم يُولَد لهم ولد، فقال لهم هود: إن آمش أحيا الله بلادكم، ورزقكم المال والولد، فتلك القوة. وقال الزجاج<sup>(٧)</sup>: المعنى يزيدكم قوة في النعم.

**﴿وَلَا تَنَوُّوا بِحَرَمَتِنَ﴾** أي: لا تُعرضوا عمماً أدعوكم إليه، وتُقيموا على الكفر. قوله تعالى: **﴿فَالَّذِي يَهُودُ مَا چَنَّتَا بِيَتَنَةٍ﴾** أي: حجّة واضحة. **﴿وَمَا تَخْنُ لَكَ يُمُورِيَنَ﴾** إصرار<sup>(٨)</sup> منهم على الكفر.

(١) مشكل إعراب القرآن / ١ ٣٦٧ .

(٢) معاني القرآن للزجاج / ٣ ٥٧ .

(٣) ٢٣٦ ، وفيه أن مساكنهم كانت بنواحي حضرموت إلى اليمن.

(٤) في (د) و(م): على.

(٥) في (م): على.

(٦) في (م): ولد إلى ولدكم، وفي (ظ): دوام الولد، والمثبت من باقي النسخ، وهو الموافق لما في النكت والعيون / ٢ ٤٧٧ .

(٧) في معاني القرآن / ٣ ٥٧ .

(٨) في (م): إصراراً.

قوله تعالى: ﴿إِن تَقُولُ إِلَّا أَعْتَرَكَ﴾ أي: أصابتك. ﴿بَعْضُ مَا لَهُتَنَا﴾ أي: أصنامنا. ﴿وَيُسُوءُ﴾ أي: بجنون لسبك إياها، عن ابن عباس وغيره<sup>(١)</sup>. يقال: غرأة الأمر وأغتراء واعتراه<sup>(٢)</sup>: إذا ألم به. ومنه ﴿وَلَمْ يَعْمُلُوا الْفَلَانَعَ وَالْمُعَرَّبَ﴾<sup>(٣)</sup> [الحج: ٣٦].

﴿قَالَ إِنِّي أَشْهِدُ اللَّهَ﴾ أي: على نفسي. ﴿وَأَشَهِدُوكُمْ﴾ أي: وأشهدكم، لا أنهم كانوا أهل شهادة، ولكنّه نهاية للتقرير، أي: لتعرفوا ﴿أَنِّي بَرِيءٌ مِّمَّا تُشَرِّكُونَ﴾ أي: من عبادة الأصنام التي تعبدونها.

﴿فَكِيدُونِي جَيْعَانًا﴾ أي: أنتم وأوثانكم في عداوتي<sup>(٤)</sup> وضربي. ﴿لَا تُنَظِّرُونِ﴾ أي: لا تؤخرون. وهذا القول مع كثرة الأعداء يدل على كمال الثقة بنصر الله تعالى، وهو من أعلام النبوة؛ أن يكون الرسول وحده يقول لقومه: ﴿فَكِيدُونِي جَيْعَانًا﴾، وكذلك قال النبي ﷺ لقريش<sup>(٥)</sup>، وقال نوح ﷺ: ﴿فَأَجْعَمُوا أَمْرَكُمْ وَشَرَكَمُكُمْ﴾ الآية [يونس: ٧١].

قوله تعالى: ﴿أَنِّي تَوَلَّتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ﴾ أي: رضيت بحكمه، ووثقت بنصره. ﴿مَا مِنْ دَآبَةٍ﴾ أي: نفس تدب على الأرض، وهو في موضع رفع بالابتداء. ﴿إِلَّا هُوَ مَاءِذٌ بِنَاصِيَّهَا﴾ أي: يضرّها كيف يشاء، وينفعها مما يشاء، أي: فلا تصلون إلى ضرري. وكل ما فيه روح يقال له: دابٌ ودابة، والهاء للمبالغة<sup>(٦)</sup>. وقال الفراء: مالكها، وال قادر عليها، وقال القمي<sup>(٧)</sup>: قاهرها؛ لأنَّ من أخذت بناصيته فقد قهرته، وقال الضحاك: يُحييها ثم يميتها<sup>(٨)</sup>، والمعنى متقارب.

(١) أخرجه الطبرى ٤٤٧/١٢.

(٢) قوله: واعتراه، ليس في (م).

(٣) معاني القرآن للنحاس ٣٥٧/٣.

(٤) في (ظ): عذابي.

(٥) يشير إلى قوله سبحانه: ﴿فَلَمَّا كَانَ لَكُمْ كِيدُونِ﴾ [المرسلات: ٣٩].

(٦) إعراب القرآن للنحاس ٢/٢٨٨.

(٧) في تأويل مشكل القرآن ص ١٣٨.

(٨) نفسير البغوى ٢/٣٨٨ - ٣٨٩ ، والأقوال السالفة منه.

والناصية: قُصاصُ الشَّعْرِ فِي مَقْدَمِ الرَّأْسِ، وَنَصْوَتُ الرَّجُلِ أَنْصُوهُ نَضْوًا، أَيْ: مَدْدُثُ نَاصِيَّةٍ.

قال ابن جرير<sup>(١)</sup>: إنما خَصَّ النَّاصِيَّةُ؛ لِأَنَّ الْعَرَبَ تَسْتَعْمِلُ ذَلِكَ إِذَا وَصَفَتْ إِنْسَانًا بِالذَّلَّةِ وَالخُضُوعِ، فَيَقُولُونَ: مَا نَاصِيَّةُ فَلَانٌ إِلَّا بِيدِ فَلَانٍ، أَيْ: إِنَّهُ مُطْبِعٌ لَهُ يُصْرَفُهُ كَيْفَ يَشَاءُ، وَكَانُوا إِذَا أَسْرَوْا أَسِيرًا وَأَرَادُوا إِطْلَاقَهُ وَالْمَنْ عَلَيْهِ جَزُورًا نَاصِيَّتِهِ، لِيَعْرَفُوا بِذَلِكَ فَخَرَا عَلَيْهِ، فَخَاطَبُهُمُ اللَّهُ بِمَا يَعْرَفُونَ فِي كَلَامِهِمْ.

وقال الترمذى الحكيم في «نوادر الأصول»<sup>(٢)</sup>: قوله تعالى: ﴿مَا مِنْ دَآبَةٍ إِلَّا هُوَ آتَيْدُ بِنَاصِيَّتِهِ﴾ وجهه عندنا أن الله تعالى قدر مقادير أعمال العباد، ثم نظر إليها، ثم خلق خلقه، وقد نفذ بصره في جميع ما هم فيه عاملون من قبل أن يخلقهم، فلما خلقهم وضع نور تلك النّظرة في نواصيهم، فذلك النور آخذ بنواصيهم، يجريهم إلى أعمالهم المقدرة عليهم يوم المقادير.

وخلق الله المقادير قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة، رواه عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «قدر الله المقادير قبل أن يخلق السماوات والأرض بخمسين ألف سنة»<sup>(٣)</sup>.

ولهذا قَوَّيَ الرَّسُولُ وَصَارُوا مِنْ أُولَئِي الْعَزْمِ؛ لِأَنَّهُمْ لَا حَظُوا نُورَ النَّوَاصِيِّ، وَأَيْقَنُوا أَنَّ جَمِيعَ خَلْقِهِ مُنْقَادُونَ<sup>(٤)</sup> بِتَلْكَ الْأَنْوَارِ إِلَى مَا نَفَذَ بَصَرُهُ فِيهِمْ مِنَ الْأَعْمَالِ، فَأَوْفَرُهُمْ حَظًّا مِنَ الْمُلَاحَظَةِ أَفْوَاهِهِمْ فِي الْعَزْمِ، وَلَذِكَّ مَا قَوَّيَ هُودٌ<sup>(٥)</sup> النَّبِيُّ ﷺ حَتَّى قَالَ: ﴿فَلَمَّا كَيْدُونِي جَيَّبَعَا ثُمَّ لَا شَطَرُونِ﴾ . إِنِّي تَوَكَّلُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَآبَةٍ إِلَّا هُوَ آتَيْدُ بِنَاصِيَّتِهِ.

(١) في النسخ: ابن جرير، وهو خطأ، وابن جرير: هو الطبرى، والكلام في تفسيره ٤٤٩/١٢ .

(٢) قوله: في نوادر الأصول، ليس في (ظ)، ولم تقف على كلامه في المطبع من النوادر.

(٣) أخرجه أحمد في مستنه (٦٥٧٩)، ومسلم (٢٦٥٣).

(٤) في (ظ): متفاوتون.

(٥) في (ظ): عزم، بدل: هود.

وإنما سُمِّيَت ناصية؛ لأنَّ الأَعْمَالَ قد نَصَّتْ وَبِرَزَتْ مِنْ غَيْرِ الْغَيْبِ، فَصَارَتْ مَنْصُوصَةً فِي الْمَقَادِيرِ، قَدْ نَفَذَ بَصَرُ الْخَالِقِ فِي جَمِيعِ حَرَكَاتِ الْخَلْقِ بِقَدْرَةِ، ثُمَّ وُضِعَتْ حَرَكَاتُ كُلِّ مَنْ دَبَّ عَلَى الْأَرْضِ حَيَا فِي جَبَهَتِهِ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، فَسُمِّيَ ذَلِكَ الْمَوْضِعُ مِنْهُ ناصية؛ لَأَنَّهَا تُنْصُنُ حَرَكَاتُ الْعَبَادِ بِمَا قَدَرَ، فَالنَّاصِيَةُ مَا خُوذَةٌ بِمَنْصُوصِ الْحَرَكَاتِ الَّتِي نَظَرَ اللَّهُ تَعَالَى إِلَيْهَا قَبْلَ أَنْ يَخْلُقَهَا.

وَوَصَّفَ ناصيةً أَبِي جَهْلٍ، فَقَالَ: ﴿نَاصِيَةٌ كَذِيفَةٌ حَالِثَةٌ﴾ [العلق: ١٦]؛ يُخْبِرُ أَنَّ النَّاصِيَةَ فِيهَا كَاذِبَةٌ خَاطِئَةٌ، فَعَلَى سَبِيلِ مَا تَأَوَّلُوهُ يَسْتَحِيلُ أَنْ تَكُونَ النَّاصِيَةُ مُنْسُوبَةً إِلَى الْكَذْبِ وَالْخَطَا، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

﴿إِنَّ رَبَّهُ عَلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ قَالَ النَّحَاسُ: الصِّرَاطُ فِي الْلُّغَةِ: الْمِنْهَاجُ الْوَاضِعُ، وَالْمَعْنَى أَنَّ اللَّهَ جَلَّ ثَنَاؤهُ، وَإِنْ كَانَ يَقْدِرُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ، فَإِنَّهُ لَا يَأْخُذُهُمْ إِلَّا بِالْحَقِّ<sup>(١)</sup>. وَقَيْلٌ: مَعْنَاهُ: لَا خَلَلَ فِي تَدْبِيرِهِ، وَلَا تَفَاوْتَ فِي خَلْقِهِ سُبْحَانَهُ<sup>(٢)</sup>.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَإِنْ تَوَلَّوْا﴾ فِي مَوْضِعِ جَزْمٍ؛ فَلَذِلِكَ حُذِفَتْ مِنْ التَّوْنَ، وَالْأَصْلُ: تَوَلَّوْا، فَحُذِفَتِ التَّاءُ؛ لِاجْتِمَاعِ تَاءِيْنِ. ﴿فَفَقَدَ أَبْلَغْتُكُمْ مَا أُنْبَلِثُ بِهِ إِلَيْكُمْ﴾ بِمَعْنَى: قَدْ يَبْلُثُ لَكُمْ.

﴿وَسَتَخْلِفُ رَبِّيْ قَوْمًا عَيْنَكُمْ﴾ أَيْ: يُهْلِكُكُمْ، وَيَخْلُقُ مِنْ هُوَ أَطْوَعُ لَهُ مِنْكُمْ يَوْمَ دُونَهُ وَيَعْبُدُونَهُ. «وَسَتَخْلِفُ» مَقْطُوعٌ مَمَّا قَبْلَهُ، فَلَذِلِكَ ارْتَفَعَ، أَوْ مَعْطُوفٌ عَلَى مَا يَجْبُ فِيمَا بَعْدَ الْفَاءِ مِنْ قَوْلِهِ: «فَقَدَ أَبْلَغْتُكُمْ»<sup>(٣)</sup>. وَرُوِيَّ عَنْ حَفْصٍ عَنْ عَاصِمٍ: «وَسَتَخْلِفُ» بِالْجَرْمِ حَمِلًا عَلَى مَوْضِعِ الْفَاءِ وَمَا بَعْدَهَا<sup>(٤)</sup>، مِثْلُ: ﴿وَيَذْرُمُهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ﴾<sup>(٥)</sup> [الأعراف: ١٨٦].

(١) معاني القرآن ٣٥٩/٣.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٢/٢٨٨.

(٣) ينظر إعراب القرآن للنحاس ٢/٢٨٨.

(٤) رواها هبيرة عن حفص. المحرر الوجيز ٣/١٨٢، والقراءة المتواترة عن حفص بالرفع، كقراءة الجماعة.

(٥) وهي قراءة حمزة والكسائي، وسلف ذكرها ٩/٤٠٤.

قوله تعالى: ﴿وَلَا تَنْهَىٰ شَيْئاً﴾ أي: بتوليلكم وإعراضكم. ﴿إِنَّ رَبَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ  
حَفِظٌ﴾ أي: لكلّ شيء حافظ. «على» بمعنى اللام، فهو يحفظني من أن تنالوني  
بسوء.

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَ أَمْرَنَا﴾ أي: عذابنا بهلاك عاد. ﴿بَيَّنَتْنَا هُودًا وَالَّذِينَ مَاءَمُوا مَعْمَةَ  
بِرَحْمَةِ مَنَّا﴾ لأن أحداً لا ينجو إلا برحمه الله تعالى، وإن كانت له أعمال صالحة.  
وفي «صحيح» مسلم والبخاري وغيرهما<sup>(١)</sup>، عن النبي ﷺ: «النَّجْيَ أَحَدًا مِنْكُمْ  
عَمَلُهُ» قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «وَلَا أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِي اللَّهُ بِرَحْمَةِ مِنْهُ».  
وقيل: معنى «بِرَحْمَةِ مَنَّا»: بأن بيّنا لهم الهدى الذي هو رحمة. وكانوا أربعة  
آلاف، وقيل: ثلاثة آلاف.

﴿وَبَيَّنَتْهُمْ مَنْ عَذَابٌ غَلِظٌ﴾ أي: عذاب يوم القيمة، وقيل: هو الريح العقيم؛ كما  
ذكر الله في «الذاريات» وغيرها، وسيأتي<sup>(٢)</sup>.

قال القشيري أبو نصر: والعذاب الذي يتوعّد به النبي أمه إذا حضر ينجي الله منه  
النبي والمؤمنين معه، نعم، لا يبعد أن يبتلي الله نبياً وقومه فيعمهم بلاء، فيكون ذلك  
عقوبة للكافرين، وتحميساً للمؤمنين، إذا لم يكن مما توعدتهم النبي به.

قوله تعالى: ﴿وَتَلَكَ عَادٌ﴾ ابتداء وخبر. وحكي الكسائي أن من العرب من لا  
يصرف «عاداً»، فيجعله اسمأ للقبيلة<sup>(٣)</sup>. ﴿جَحَدُوا بِمَا يَنْتَهِ رَبُّهُمْ﴾ أي: كذبوا بالمعجزات  
 وأنكروها. ﴿وَعَصَمُوا رُسُلَّهُ﴾ يعني هوداً وحده، لأنه لم يُرسل إليهم من الرسل سواه.  
ونظيره قوله تعالى: ﴿يَأَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيْبَاتِ﴾ [المؤمنون: ٥١] يعني النبي ﷺ  
وحده؛ لأنه لم يكن في عصره رسول سواه، وإنما جمّع هاهنا؛ لأن من كذب رسولاً  
واحداً فقد كفر بجميع الرسل. وقيل: عصموا هوداً والرسول قبله، وكانوا بحيث لو

(١) صحيح مسلم (٢٨١٦): (٧١)، وصحيف البخاري (٦٤٦٢) عن أبي هريرة، وهو في المستند (٧٢٠٣).

(٢) عند تفسير الآية (٤١) منها.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٢/٢٨٩.

أُرسِلَ إِلَيْهِمْ أَلْفُ رَسُولٍ لَجَحَدُوا الْكُلُّ.

**﴿وَاتَّبَعُوا أَمْرَهُ كُلِّ جَبَارٍ عَنِيهِ﴾** أي: اتَّبعُ سُقَاطُهُمْ رُؤْسَاهُمْ. والجَبَارُ: المُتَكَبِّرُ، والعَنِيدُ: الطاغي الذي لا يقبلُ الحقَّ ولا يُذْعِنُ له. قال أبو عبيدة<sup>(١)</sup>: العَنِيدُ والعَنُودُ وَالعَانِدُ وَالْمُعَانِدُ: الْمُعَارِضُ بِالخَلْفِ، وَمِنْهُ قَيلُ لِلْعَرْقِ الَّذِي يَنْفِجُرُ بِالدَّمِ: عَانِدٌ. قال الراجز:

إِنِّي كَبِيرٌ لَا أُطِيقُ الْعُنَادَ<sup>(٢)</sup>

قوله تعالى: **﴿وَاتَّبَعُوا فِي هَذِهِ الدُّرْبِنَاتِ﴾** أي: أَلْحَقُوهَا. **﴿وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ﴾** أي: وَأَتَيْعُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِثْلَ ذَلِكَ، فَالْتَّمَامُ عَلَى قَوْلِهِ: «وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ»<sup>(٣)</sup>.  
**﴿أَلَا إِنَّ عَادًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ﴾** قال الفراء<sup>(٤)</sup>: أي: كَفَرُوا نِعْمَةَ رَبِّهِمْ، قال: وَيُقَالُ:  
 كَفَرُتُهُ وَكَفَرْتُ بِهِ، مِثْلُ: شَكَرُتُهُ وَشَكَرْتُ لَهُ.

**﴿أَلَا بَعْدًا لِيَعْدُ قَوْمٌ هُوَيْرٌ﴾** أي: لَا زَالُوا مُبَعَّدِينَ عَنْ رَحْمَةِ اللَّهِ. وَالْبُعْدُ: الْهَلاَكُ، وَالْبُعْدُ: التَّبَاعُدُ مِنَ الْخَيْرِ، يُقَالُ: بَعْدَ يَبْعُدُ بَعْدًا: إِذَا تَأَخَّرَ وَتَبَاعَدَ، وَيَبْعُدُ يَبْعُدُ بَعْدًا: إِذَا هَلَكَ، قال:

لَا يَبْعَدُنَّ قَوْمٌ الَّذِينَ هُمْ سُمُّ الْمُعْدَاءِ وَآفَةُ الْجُزُرِ<sup>(٥)</sup>  
 وقال النابغة:

فَلَا تَبْعَدُنَّ إِنَّ الْمُنْيَةَ مَنْهَلٌ  
 وَكُلُّ امْرَئٍ يَوْمًا بِهِ الْحَالُ زَائِلٌ<sup>(٦)</sup>

(١) في (م): أبو عبيدة، والمثبت من (ز) (ظ)، والكلام في مجاز القرآن له ٢٩٠ / ١ ، بنحوه، وينظر تفسير البغوي ٣٨٩ / ٢ .

(٢) أورده كذلك الطبراني ٤٥٢ / ١٢ ، وابن الشجري في أمالية ٤٢٢ / ١ ، وقبله عنده: إذا ركبت فاجعلوني وسطاً. والعندا: الصعب من الإبل، وسيذكر المصنف الرجز عند تفسير الآية (١٥) من سورة إبراهيم.

(٣) الوقف حسن، كما في الوقف والابتداء لابن الأباري ٧١٤ / ٢ .

(٤) في معاني القرآن ٢٠ / ٢ ، ونقله عنه المصنف بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٢٨٩ / ٢ .

(٥) سلف ٥٦ / ٣ .

(٦) ديوان النابغة الذبياني ص ٩٠ ، وفيه: إن المنية موعد.

قوله تعالى: **﴿وَإِلَى ثُمُودَ أَخَاهُمْ مَنِلِحًا قَالَ يَقُولُرْ أَغْبَدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٌ غَيْرِهِ هُوَ أَشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ وَأَسْتَعْرَكُ فِيهَا فَاسْتَغْفِرُوهُ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَبِّيَّتُ مُجِيبٌ﴾**

فيه خمس مسائل:

**الأولى:** قوله تعالى: **﴿وَإِلَكَ شَمُودَ﴾** أي: أرسلنا إلى شمود **«لَنَامَةً»** أي: في النَّسَبِ **«مَنِلِحَاتِهِ»**. وقرأ يحيى بن وثاب: **«وَإِلَى ثَمُودَ»** بالتنوين في كل القرآن<sup>(١)</sup>، وكذا رُويَ عن الحسن، واختلف سائر القراء فيه، فصرفوه في موضع، ولم يصرفوه في موضع<sup>(٢)</sup>، وزعم أبو عبيدة أنه لو لا مخالفة السَّواد لكان الوجه ترك الصرف؛ إذ كان الأغلب عليه التأنيث. قال النَّحَاسُ<sup>(٣)</sup>: الذي قاله أبو عبيدة - رحمه الله - من أن الغالب عليه التأنيث كلام مردود؛ لأن ثموداً يقال له حيٌّ، ويقال له قِبْلَة، وليس الغالب عليه القِبْلَة، بل الأمر على ضد ما قال عند سيبويه، والأجود عند سيبويه<sup>(٤)</sup> فيما لم يقل فيه: بنو فلان، الصرف، نحو قريش وثيف وما أشبههما، وكذلك ثمود، والعلة في ذلك أنه لما كان التذكيرُ الأصل، وكان يقع له مذَّكرٌ ومؤنثٌ؛ كان الأصلُ الأخْفُ أولى، والتأنيث جيد بالغُ حسن. وأنشد سيبويه<sup>(٤)</sup> في التأنيث:

**غَلَبَ الْمَسَامِيعَ الْوَلِيدُ سَمَاحَةً وَكَفَى قَرِيشَ الْمَعْضِلَاتِ وَسَادَهَا<sup>(٥)</sup>**

**الثانية:** قوله تعالى: **﴿قَالَ يَقُولُرْ أَغْبَدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٌ غَيْرِهِ﴾** تقدم<sup>(٦)</sup>.

**﴿هُوَ أَشَأَكُمْ مِنَ الْأَرْضِ﴾** أي: ابتدأ خلقكم من الأرض، وذلك أن آدمَ خُلِقَ من

(١) القراءات الشاذة ص ٤٤ ، وزاد نسبتها للأعنوان.

(٢) ينظر السبعة ص ٣٣٧ ، والتيسير ص ١٢٥ .

(٣) في إعراب القرآن ٢٨٩ - ٢٩٠ / ٢ ، وما قبله منه. إلا أن فيه: أبو عبيد، في الموضعين.

(٤) الكتاب ٢٥٠ / ٣ . ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس.

(٥) البيت لغَيْيَ بن الإِقْاعِ. والمساميح: جمع سُنْحٍ على غير قياسٍ، وهو من الجمع النادر، والمعضلات: الشداد. شرح الشواهد للشتمري ص ٤٦٠ - ٤٦١ .

(٦) ٢٦٠ / ٩ .

الأرض على ما تقدّم في «البقرة» و«الأنعام»<sup>(١)</sup>. وهم منه. وقيل: أشاكם في الأرض. ولا يجوز إدغام الهاء من «غيره» في الهاء من «هو» إلا على لغة من حذف الواو في الإدراج<sup>(٢)</sup>.

**﴿وَاسْتَعْمِرُ كُلَّ فِيهَا﴾** أي: جعلكم عُمارَها وسُكَانَها. قال مجاهد: ومعنى «استعمَركم»: أعمَركم، من قولهم<sup>(٣)</sup>: أعمَرَ فلانَ فلاناً دارَه، فهي له عمرَى، وقال قنادة: أسكنكم فيها، وعلى هذين القولين يكون استَغْرَلَ بمعنى أَفْعَلَ، مثل: استجابة بمعنى أجاب، وقال الضَّحَاك: أطَالَ أَعْمَارَكُمْ، وكانت أَعْمَارُهُمْ مِنْ ثَلَاثَةِ إِلَى أَلْفٍ<sup>(٤)</sup>. ابن عباس: أعاشَكم فيها. زيد بنُ أسلم: أمرَكم بعمارة ما تحتاجون إليه فيها من بناء مساكن، وغرسِ أشجار. وقيل: المعنى: ألهَمَكم عماراتها من الحَرْث والغرْس وحُفْر الأنهر وغيرها.

الثالثة: قال ابنُ الْعَرَبِيِّ<sup>(٥)</sup>: قال بعضُ علماء الشافعية: الاستعمار: طلب العمارة، والطلبُ المطلُقُ من الله تعالى على الوجوب. قال القاضي أبو بكر: تأتي كلمة استَغْرَلَ في لسان العرب على معانٍ منها: استَغْرَلَ بمعنى طلب الفعل، كقوله: استحملته، أي: طلبتُ منه حُملاناً، وبمعنى اعتقدَ، كقولهم: استسهَلَتْ هذا الأمر: اعتقدَتْ سهلاً، أو وجدَتْ سهلاً، واستعْظَمْتَه؛ أي: اعتقدَتْه عظيماً ووَجَدَتْه، ومنه استفعَلَتْ بمعنى أصَبَتْ، كقولهم: استجَدَتْه أي: أصَبَتْه<sup>(٦)</sup> جيداً، ومنها بمعنى فَعَلَ، كقوله: قَرَّ في المكان واستَقَرَّ، وقالوا: قوله: **﴿يَسْتَهِزُونَ﴾** [الأنعام: ٥]

(١) ٤١٧/٨ و ٣١٨/٨.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٢٩٠/٢ ، وإدغام الهاء من «غيره» في الهاء من «هو» من الإدغام الكبير لأبي عمرو البصري من رواية السوسي.

(٣) في (د) و(م): قوله.

(٤) تنظر هذه الأقوال في تفسير الطبرى ٤٥٣/١٢ ، والنكت والميون ٤٧٩/٢ ، وتفسير البغوى ٣٩٠/٢.

(٥) في أحكام القرآن ١٠٤٧/٣ ، وما سيرد بين حاصلتين منه.

(٦) في (د): وجدَتْه، وفي (ظ): أصَبَتْ.

و﴿يَسْتَخْرُجُونَ﴾ [الصافات: ١٤] منه.

فقوله تعالى: ﴿وَأَنْتَمْ كُثُرٌ فِيهَا﴾ خلقكم لعمارتها، لا على معنى استجاذته واستسهله، أي: أصبته جيداً وسهلاً، وهذا يستحيل في الخالق، فيرجع إلى أنه حلّن؛ لأنّه الفائد़ة، وقد يُعَبَّر عن الشيء بفائضه مجازاً، ولا يصح أن يقال: إنه طلب من الله تعالى لعمارتها؛ فإنَّ هذا اللفظ لا يجوز في حقه، أما أنه يصح أن يقال: إنه استدعا عمارتها؛ فإنه جاء بلفظ استَغْفَل، وهو استدعا الفعل بالقول ممن هو دونه إذا كان أمراً، وطلب لل فعل إذا كان من الأدنى إلى الأعلى [رغبة].

قلت: لم يذكر استَغْفَل بمعنى أَفْعَل، مثل قوله: استوَدَّ بمعنى أَوْدَّ، وقد ذكرناه<sup>(١)</sup>. وهي:

الرابعة: ويكون فيها دليلاً على الإسكان والعمري، وقد مضى القول في «البقرة» في السُّكُنِيِّ والرُّفُقِيِّ<sup>(٢)</sup>.

وأما العُمرِيُّ فاختَلَفَ الْعُلَمَاءُ فيها على ثلَاثَةِ أَفْوَالٍ: أحدها: إنها تملِيكُ لِمَنَافِعِ الرَّقَبَةِ حِيَاةَ الْمُعْمَرِ مَدَّةَ عُمُرِهِ، فإنَّ لم يذُكُرْ عَقِبًا، فماتَ الْمُعْمَرُ؛ رجعَتْ إِلَى الَّذِي أَعْطَاهَا أَوْ لِوَرَثَتِهِ، هذا قول القاسم بن محمد ويزيد ابن قُسيط واللبيث بن سعد، وهو مشهورٌ مذهب مالك، وأحدُ أقوال الشافعي، وقد تقدَّمَ في «البقرة» حُجَّةً هذا القول<sup>(٣)</sup>.

الثاني: إنها تملِيكُ الرَّقَبَةِ وَمَنَافِعِهَا، وهي هَبَّةٌ مَبْتُولَة<sup>(٤)</sup>، وهو قول أبي حنيفة والشافعي وأصحابهما والثوري والحسن بن حبي وأحمد بن حنبل وابن شُبْرَمة

(١) ٣٢١/١ .

(٢) ٤٤٥/١ ، وما بعدها.

(٣) ٤٤٦/١ .

(٤) في (ظ) مقبولة. ومبَتُولَة، أي: منقطعة من مال واهبها خارجة عنه، من البَتْلَل: وهو القطع وتمييز الشيء من الشيء. تهذيب اللغة ٢٩١/١٤ .

وأبي عبيد، قالوا: من أعمَرَ رجلاً شيئاً حيَاهُ فهو له حيَاة، وبعد وفاته لورثته؛ لأنَّه قد ملَكَ رقبَتها، وشَرطُ المعطِي الحِيَاة أو العِمَرَ باطلٌ؛ لأنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: «الْعُمَرِي جَائزَةٌ»<sup>(١)</sup>، و«الْعُمَرِي لِمَنْ وُهِبَتْ لَهُ»<sup>(٢)</sup>.

الثالث: إنَّه قال: عُمَرَكَ، ولم يذَكُرْ الْعَقِبَ، كان كالقولِ الأوَّلِ، وإنَّه قال: لِعَقِبِكَ، كان كالقولِ الثانِي، وبِه قال الزُّهْرِيُّ وأبو ثور وأبو سَلَمَةَ بْنَ عَبْدِ الرَّحْمَنِ وابْنُ أَبِي ذَئْبٍ<sup>(٣)</sup>، وقد رُوِيَ عن مالِكٍ، وهو ظَاهِرُ قَوْلِهِ في «الموطأ»<sup>(٤)</sup>.

والمعروَفُ عنه وَعَنْ أَصْحَابِهِ أَنَّهَا تَرْجُعُ إِلَى الْمُعْمَرِ إِذَا انْفَرَضَ عَقْبُ الْمُعْمَرِ، إنَّ كَانَ الْمُعْمَرُ حَيًّا، وَإِلَّا فَإِلَى مَنْ كَانَ حَيًّا مِنْ وَرَثَتْهُ وَأَوْلَى النَّاسِ بِمِيرَاثِهِ، وَلَا يَمْلِكُ الْمُعْمَرُ بِلِفْظِ الْعُمَرِيِّ عِنْدَ مَالِكٍ وَأَصْحَابِهِ رَقْبَةً شَيْءٍ مِنَ الْأَشْيَاءِ، وَإِنَّمَا يَمْلِكُ بِلِفْظِ الْعُمَرِيِّ الْمُنْفَعَةَ دُونَ الرَّقْبَةِ<sup>(٥)</sup>.

وقد قال مالِكٌ في الْحُبُسِ أَيْضًا إِذَا حَبَسَ عَلَى رَجُلٍ وَعَقِبَهُ: إِنَّه لا يَرْجِعُ إِلَيْهِ، وإنَّه حَبَسَ عَلَى رَجُلٍ بِعِينِهِ حِيَاةَ رَجَعَ إِلَيْهِ، وَكَذَلِكَ الْعُمَرِيُّ قِيَاسًا<sup>(٦)</sup>، وَهُوَ ظَاهِرُ «الموطأ». وفي «صَحِيحِ مُسْلِمٍ» عن جَابِرٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ قال: «أَيُّهَا رَجُلُ أَعْمَرَ رَجُلًا عُمَرِيَّ لَهُ وَلِعَقِبِهِ فَقَالَ: قَدْ أَعْطَيْتُكُمَا وَعَقِبَكُمَا مَا بَقِيَّ مِنْكُمَا أَحَدًا، فَإِنَّهَا لِمَنْ أَغْطَيْتُهَا<sup>(٧)</sup>، وَإِنَّهَا لَا تَرْجُعُ إِلَى صَاحِبِهَا؛ مِنْ أَجْلِ أَنَّهُ أَعْطَى عَطَاءً وَقَعَتْ فِيهِ الْمَوَارِيثُ». وَعَنْهُ قَالَ: إِنَّ الْعُمَرِيَّ الَّتِي أَجَازَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ أَنْ يَقُولَ: هِيَ لَكَ وَلِعَقِبِكَ، فَأَمَا إِذَا قَالَ: هِيَ لَكَ مَا عَشْتَ، فَإِنَّهَا تَرْجُعُ إِلَى صَاحِبِهَا. قَالَ مَعْمَرٌ: وَبِذَلِكَ كَانَ الزُّهْرِيُّ يُفْتَنِي<sup>(٨)</sup>.

(١) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (٨٥٦٧)، وَالْبَخَارِيُّ (٢٦٢٦)، وَمُسْلِمُ (١٦٢٦): (٣٢) مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ رض.

(٢) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ (١٤٤٣)، وَالْبَخَارِيُّ (٢٦٢٥)، وَمُسْلِمُ (١٦٢٥): (٢٥) مِنْ حَدِيثِ جَابِرٍ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رض.

(٣) يَنْظُرُ التَّمَهِيدَ ١١٤ / ٧ وَمَا يَعْدُهَا.

(٤) ٧٥٦ / ٢.

(٥) الْإِسْتَذْكَارُ ٣١٧ / ٢٢.

(٦) الْكَافِي٢ / ١٠١٣ / ٢.

(٧) بَعْدَهَا فِي (ز) وَ(ظ): وَعَقِبَهُ.

(٨) صَحِيحُ مُسْلِمٍ (١٦٢٥): (٢٢) وَ(٢٣)، وَمَا فِي مُسْنَدِ أَحْمَدَ (١٥٢٩٠) وَ(١٤١٣١).

قلتْ : معنى القرآن يجري مع أهل القول الثاني ؛ لأنَّ الله سبحانه قال : **﴿وَاسْتَعْمِرُكُمْ﴾** بمعنى عمركم ، فأعمر الرجل الصالح فيها مدة حياته بالعمل الصالح ، وبعد موته بالذكر الجميل والثناء الحسن ، وبالعكس الرجل الفاجر ، فالدنيا ظرف لها حياة وموتاً . وقد يقال : إن الثناء الحسن يجري مجرى العقب . وفي التنزيل : **﴿وَأَنْجَلْتِي لِسَانَ صِدِيقِ الْآخِرِينَ﴾** [الشعراء : ٨٤] أي : ثناء حسناً ، وقيل : هو محمد<sup>(١)</sup> . وقال : **﴿وَجَعَلْنَا ذُرِيَّتَهُ هُرَبَّ الْأَقْوَافِ﴾** [الصافات : ٧٧] وقال : **﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْهِ وَعَلَّقْنَا إِنْسَاقَهُ وَنَبَّنْدَلَتِهِمَا حَسِنٌ وَظَالَّمٌ لِتَفْسِيرِهِ مُبِينٌ﴾** [الصافات : ١١٣] .

الخامسة : قوله تعالى : **﴿فَأَنْتَغَفِرُهُ﴾** أي : سلوه المغفرة من عبادة الأصنام . **﴿ثُمَّ تُؤْبِرُ إِلَيْنَا﴾** أي : ارجعوا إلى عبادته . **﴿إِنَّ رَبَّ فَرِيقٍ مُجِيبٍ﴾** أي : قرب الإجابة لمن دعا . وقد مضى في «البقرة» عند قوله : **﴿فَإِنِّي فَرِيقٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ﴾** [١٨٦] القول فيه<sup>(٢)</sup> .

قوله تعالى : **﴿قَالُوا يَصْلِحُ مَا كَثُرَ فِي نَاسٍ مَرْجُوا قَبْلَ هَذَا أَنْتَهُمْ أَنْ تُشَدِّدُ مَا يَعْدُ مَاءِبَاتِكُمْ وَإِنَّا لَفِي شَكٍّ مِمَّا تَدْعُونَا إِلَيْهِ شَهِيدٌ﴾** ١١ **﴿فَالَّذِي يَنْقُولُ أَرْءَيْتُمْ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بِيَنْتَقِي مِنْ رَبِّي وَمَا أَتَنِي مِنْهُ رَحْمَةً فَنَنَّ يَصْرُفُ مِنْكَ اللَّهُ إِنْ عَصَيْتَهُ فَمَا تَرَيْدُونَي غَيْرَ تَخْسِيرِ﴾** ١٢ **﴿وَيَنْقُولُ هَذِهِهِ نَافَةُ اللَّهِ لَكُمْ مَا يَرَوْهَا فَذَرُوهَا تَأْكُلُ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَسْتُوْهَا سُوءٌ فَيَأْخُذُكُمْ عَذَابٌ قَرِيبٌ﴾** ١٣ **﴿فَعَفَرُوهَا فَقَالَ تَمَّتُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾** ١٤ **﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ أَنْتَهُمْ بَيْتَنَا صَلَحْنَا وَالَّذِينَ مَأْمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةِ مِنْكَا وَمَنْ خَرَىٰ يَقْهِيَهُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوْىُ الْعَزِيزُ﴾** ١٥ **﴿وَأَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَصْبَحُهُمْ فَأَنْصَبُهُمْ فِي دِيَرِهِمْ حَسْبَهِنَّ﴾** ١٦ **﴿كَانَ لَمْ يَنْتَنِوا فِيهَا أَلَا إِنَّ شَهُودًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بَعْدًا لِشَهُودَ﴾** ١٧

قوله تعالى : **﴿قَالُوا يَصْلِحُ مَا كَثُرَ فِي نَاسٍ مَرْجُوا قَبْلَ هَذَا﴾** أي : كنا نرجو أن تكون فينا سيداً قبل هذا ، أي : قبل دعوتك النبوة . وقيل : كان صالح يعيي أهله ويشتؤها ،

(١) ينظر ما سيرد عند تفسير الآية ٨٣ من سورة الشعراء .

(٢) ١٧٨/٣ فما بعدها .

وكانوا يرجون رجوعه إلى دينهم، فلما دعاهم إلى الله قالوا: انقطع رجاؤنا منك<sup>(١)</sup>.  
**﴿أَتَهْتَنَا﴾** استفهام معناه الإنكار. **﴿أَنْ تَعْبُدُ﴾** أي: عن أن تعبد **﴿مَا يَعْبُدُ مَا بَيْنَ أَرْبَابِنَا﴾**  
 ذ «أن» في محل نصب بإسقاط حرف الجر. **﴿وَإِنَّا لَمَّا شَاءَ﴾** وفي سورة «إبراهيم»:  
**﴿وَإِنَّا﴾** [٩] والأصل: وإننا، فاستبدل ثلاث نونات فاسقط الثالثة<sup>(٢)</sup>. **﴿تَدْعُونَا﴾**  
 الخطاب لصالح، وفي سورة «إبراهيم»: **﴿تَدْعُونَا﴾** [٩] لأن الخطاب للرُّسل صلوات  
 الله وسلامه عليهم **﴿إِنَّهُ ثُمَّيْرٌ﴾** من أرببه فأنا أرببه: إذا فعلت به فعلاً يوجب لديه<sup>(٣)</sup>  
 الريبة. قال المذلي:

كُنْتُ إِذَا أَتَوْتُهُ مِنْ غَنِيبٍ يَشَمُ عَظْفِي وَيَبْرُزُ ظُفْرِي  
 كَائِنًا أَرْبَبُهُ بِرَبِّي<sup>(٤)</sup>

قوله تعالى: **﴿قَالَ يَنْقُوْرُ أَرْبَبَتَهُ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بِيَنْقَرُ مِنْ رَّقِيْ وَمَاتَنِي مِنْهُ رَحْمَةً﴾**  
 تقدم معناه في قول نوح<sup>(٥)</sup>. **﴿فَقَنَ يَصْرُفُ بِرْكَ اللَّهِ إِنْ عَصَيْتَنِي﴾** استفهام معناه النفي؛  
 أي: لا ينصرني منه إن عصيته أحد. **﴿فَمَا تَزِيدُونِي غَيْرَ تَخْسِيرِي﴾** أي: تضليل وإبعاد من  
 الخير، قاله الفراء<sup>(٦)</sup>. وال تخسير لهم لا له<sup>(٧)</sup>، كأنه قال: غير تحسير لكم، لا لي،  
 وقيل: المعنى ما تزيدونني باحتجاجكم بدین آبائكم غير بصيرة بخسارتكم، عن ابن  
 عباس<sup>(٨)</sup>.

قوله تعالى: **﴿وَيَنْقُوْرُ هَذِهِ نَافَّةُ اللَّهِ﴾** ابتداء وخبر. **﴿لَكُمْ مَا يَأْتِي﴾** نصب على

(١) تفسير البغوي ٢/٣٩٠.

(٢) ينظر زاد المسير ٤/١٢٤.

(٣) في (د): توجب به.

(٤) قاله خالد بن زهير، جعله أبو ذؤيب - خاله - رسولًا بينه وبين عشيقته، فأفسدها عليه، فكان يشك فيه، فقال له خالد هذه الآيات. والشعر في ديوان المذليين ١/١٦٥ ، وقبله: يا قوم ما بال أبي ذؤيب. وأتوته: لغة فيأتيه، وبيز ثوبه، أي: يجدبه إليه. اللسان: (أتى) (بِزَ).

(٥) ص ١٠١ من هذا الجزء.

(٦) معاني القرآن ٢/٢٠ ، ونقله عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٢/٢٩٠.

(٧) تفسير البغوي ٢/٣٩١.

الحال، والعاملُ معنى<sup>(١)</sup> الإشارة، أو التنبية في «هذه». وإنما قيل: ناقةُ الله؛ لأنَّه أخرجَها لهم من جبل على ما طلبوا، على أنَّهم يؤمنون<sup>(٢)</sup>. وقيل: أخرجَها من صخرةً صماءً منفردةً في ناحية الحجر يقال لها: الكاثة، فلما خرجَت الناقةُ - على ما طلبوا - قال لهم نبيُّ الله صالح: ﴿هَذِنِي نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ مَا يَأْتِي﴾.

**﴿فَذَرُوهَا تَأْكُلُ﴾** أمرٌ وجوابُه، ومحذفت النونُ من «فذروها» لأنَّه أمرٌ، ولا يقال: وَذَرْ وَلَا وَأَذِيرْ إِلَّا شَادَا، وللنحوين فيه قولان: قال سيبويه<sup>(٣)</sup>: استغتوا عنه بتركك، وقال غيره: لِمَا كانت الواو ثقيلةً، وكان في الكلام فعلٌ بمعنى لا وَأَوْ فيه؛ الغوة. قال أبو إسحاق الزجاج: ويجوزُ رفع «تأكل» على الحال والاستئناف.

**﴿وَلَا تَمْشُوهَا﴾** جزم بالنهي. **﴿إِسْوَءُ﴾** قال الفراء: بعقر. **﴿فَيَأْخُذُوكُمْ﴾** جوابُ النهي. **﴿عَذَابٌ فَرِيقٌ﴾** أي: قريبٌ من عقرها<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: **﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُوا فِي دَارِكُمْ ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ﴾** فيه مسألتان: الأولى: قوله تعالى: **﴿فَعَقَرُوهَا﴾** إنما عقرها بعضُهم، وأضيف إلى الكلّ؛ لأنَّه كان برضاء الباقين. وقد تقدَّم الكلامُ في عقرها في «الأعراف». ويأتي أيضاً<sup>(٥)</sup>.

**﴿فَقَالَ تَمَتَّعُوا﴾** أي: قال لهم صالح: تمتعوا، أي: بنعم الله عزَّ وجلَّ قبل العذاب. **﴿فِي دَارِكُمْ﴾** أي: في بلدكم، ولو أراد المتنزِل لقال: في دُورِكم. وقيل: أي: يتمتع كلُّ واحدٍ منكم في داره ومسكنه، كقوله: **﴿يُخْرِجُكُمْ طُفَّلًا﴾**<sup>(٦)</sup> [غافر: ٦٧]؛ أي: كلُّ واحدٍ طفلًا. وعبر عن التمتع بالحياة؛ لأنَّ الميت لا يتلذذ ولا

(١) في (ظ): فيه.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٢٩٠ / ٢.

(٣) الكتاب ١ / ٢٥ ، وتقله المصنف عنه بواسطة إعراب القرآن للنحاس.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٢ / ٢٩٠ ، والأقوال السالفة منه.

(٥) ينظر ٩ / ٢٧٠ . وسيرد في تفسير الآية ٢٩ من سورة القمر، والآية ١٤ من سورة الشمس.

(٦) في (ظ): **﴿يُخْرِجُكُمْ طُفَّلًا﴾** [الحج: ٥].

يَمْتَحِنُ بِشَيْءٍ، فَعُقِرْتُ يَوْمَ الْأَرْبَعَاءِ، فَأَقَامُوا يَوْمَ الْخَمِيسِ وَالْجُمُعَةِ وَالْسَّبَتِ، وَأَتَاهُمْ  
الْعَذَابُ يَوْمَ الْأَحَدِ، إِنَّمَا أَقَامُوا ثَلَاثَةَ أَيَّامٍ؛ لِأَنَّ الْفَصِيلَ رَغَا ثَلَاثَةً، عَلَى مَا تَقَدَّمَ فِي  
«الْأَعْرَافِ»<sup>(١)</sup>، فَاصْفَرَتُ الْوَانُهُمْ فِي الْيَوْمِ الْأَوَّلِ، ثُمَّ احْمَرَتُ فِي الثَّانِيِّ، ثُمَّ اسْوَدَتُ  
فِي الثَّالِثِ، وَهَلَكُوا فِي الرَّابِعِ، وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي «الْأَعْرَافِ»<sup>(٢)</sup>.

الثانية: استدلّ علماؤنا بإرجاء الله العذاب عن قوم صالح ثلاثة أيام على أن المسافر إذا لم يُجتمع على إقامة أربع ليالي فَصَرَ؛ لأنَّ الثلاثة الأيام خارجة عن حكم الإقامة. وقد تقدَّم في «النساء»<sup>(٣)</sup> ما للعلماء في هذا.

قوله تعالى: **﴿ذَلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ﴾** أي: غير كذب. وقيل: غير مكذوب في.

قوله تعالى: **﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ نَذْنَبَنَا﴾** أي: عذابنا. **﴿بَنَجَّيْنَا صَلِحًا وَالَّذِينَ أَمْتَثَلُوا مَعْثُومًا**  
**بِرَحْمَةِ مَنْ كَانُوا** تقدَّم<sup>(٤)</sup>. **﴿وَمِنْ خِزْنِي يَوْمِئِذٍ﴾** أي: ونجيناهم من خزني يومئذ، أي: من فضيحته وذلتة. وقيل: الواو زائدة؛ أي: نجيناهم من خزني يومئذ، ولا يجوز زiadتها عند سيبويه<sup>(٥)</sup> وأهل البصرة، وعند الكوفيين يجوز زiadتها مع «المَّا» و«حَتَّى» لا غير<sup>(٦)</sup>.  
وقرأ نافع والكسائي: «يَوْمِئِذٍ» بالنصب، والباقيون بالكسر على إضافة «يَوْمٍ» إلى  
**﴿إِذ﴾**<sup>(٧)</sup>. وقال أبو حاتم: حدثنا أبو زيد، عن أبي عمرو أنه قرأ: «وَمِنْ خِزْنِي يَوْمِئِذٍ»؛  
أَدْعَمَ الْيَاءَ فِي الْيَاءِ، وَأَضَافَ، وَكَسَرَ الْمِيمَ فِي «يَوْمِئِذٍ». قال النحاس<sup>(٨)</sup>: الذي يرويه

(١) ٢٧١/٩ .

(٢) لم يذكر المصطف هذا في «الاعراف»، وينظر المحرر الوجيز ٤٢٢/٢ .

(٣) ٨٣/٧ .

(٤) تقدَّم معناه في قصة هود ص ١٤٦ من هذا الجزء.

(٥) الكتاب ٣/١٠٣ .

(٦) ينظر الإنفاق للأنباري ٤٥٦/٢ وما بعدها.

(٧) السبعة ص ٣٣٦ ، والتيسير ص ١٢٥ .

(٨) إعراب القرآن ٢٩١/٢ ، وما قبله منه.

التحويون مثلُ سيبويه ومن قارَبَه<sup>(١)</sup> عن أبي عمرو في مثل هذا الإخفاء<sup>(٢)</sup>، فاما الإدغام فلا يجوز؛ لأنَّه يلتقي ساكنان، ولا يجوز كسرُ الزاي<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَلَنَدَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ﴾ أي: في اليوم الرابع؛ صيبح بهم فماتوا، وذَكَرَ؛ لأنَّ الصَّيحةُ والصَّياحُ واحدٌ. قيل: صيحةُ جبريل، وقيل: صيحةٌ من السَّماءِ فيها صوتُ كلِّ شيءٍ في الأرضِ، فتقطعت قلوبُهم (٤) وما توا.

وقال هنا: ﴿وَلَنَدَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ﴾ وقال في «الأعراف»: ﴿فَلَأَخْذَنَاهُمْ أَرْجَفَكُثُرٌ﴾ [٧٨]، وقد تقدَّمَ بيانُه هناك.

وفي التفسير: إنهم لَمَّا أيقنوا بالعذاب قال بعضهم لبعض: ما مُقامُكم أن يأتِيكم الأمْرُ بعْتَه؟ قالوا: فما نصنع؟ فأخذوا سيفهم ورمادهم، وكانوا فيما يقال: اثني عشرَ ألفَ قبيلة، في كلِّ قبيلة اثنا عشرَ ألفَ مقاتل، فوقعوا على الطرق والفيجاج - زعموا - يلاقون العذاب، فأوحى الله تعالى إلى المَلَكِ الموكل بالشمس أن يعذبَهم بحرّها، فأدناها من رؤوسهم، فاشتَوَتْ أيديهم، وتدلَّتْ ألسنتُهم على صدورهم من العطش، وماتتْ كلُّ ما كان معهم من البهائم، وجعل الماء يتفور من تلك العيون من غَليانه حتى يبلغ السماء، لا يسقطُ على شيءٍ إلا أهلَكَه من شدة حَرَّه، فما زالوا كذلك، وأوحى الله إلى مَلَكِ الموت ألا يقِضَ أرواحَهم؛ تعذيباً لهم إلى أنْ غَربَتِ الشَّمسُ، فصيبحُ بهم، فأهلُكوا.

(١) في (ظ): قارنه.

(٢) قال سيبويه في الكتاب ٤/٤٣٨: وإذا كان قبل الحرف المتحرك الذي بعده حرف مثله سواء حرف ساكن لم يجز أن يسكن، ولكنك إن شئت أخفين، وكان بزنته متحركاً.

(٣) قال أبو عمرو الداني في جامع البيان ١/١٨٣ معتبراً مذهب أبي عمرو البصري في الإدغام: فاما المثلان إذا كانا من كلمتين فإنه أدغم الأول في الثاني منها في جميع القرآن، وسواء سكن ما قبله أو تحرك... إلا موضعاً واحداً وهو في لقمان: ﴿فَلَا يَسْتَكِنَكَ كَفَرُكُ﴾ [٢٣] فإنه لم يدغم الكاف في الكاف فيه؛ لسكون النون قبلها، وكونها مخفاة عنده، فلو أدغمها لوارى بين إعلالين.

(٤) تفسير البغوي ٢/٣٩١ ، والقول الثاني أخرجه الطبرى في تفسيره ١٢/٤٦٢ في سياق طويل، من حديث عمرو بن خارجة مرفوعاً.

**﴿فَأَضْبَحُوا فِي دِيْرِهِمْ جَنِيْهِمْ﴾** أي: ساقطين على وجوههم قد لصقوا بالتراب، كالطير إذا جثمت.

**﴿أَلَا إِنَّ نَعُودًا كَفَرُوا رَبَّهُمْ أَلَا بِمَا يَشْمُودُ﴾** تقدم معناه<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: **﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلًا إِبْرَاهِيمَ بِالْشَّرِيفِ قَالُوا سَلَّمَ قَالَ سَلَّمَ فَمَا لَيْكَ أَنْ جَاءَ بِعِجْلٍ حَنِيْذٍ ﴾** <sup>(٢)</sup> **﴿فَلَمَّا رَأَهَا أَيْدِيهِمْ لَا تَعْلَمُ إِلَيْهِ نَكَرَهُمْ وَأَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيْفَةً قَالُوا لَا تَخَفْ إِنَّا أَرْسَلْنَا إِلَيْكُمْ قُورُطٌ ﴾** <sup>(٣)</sup> **﴿وَأَنْرَأَتُمْ قَائِمَةً فَضَحِكْتُ فَبَشَّرْنَاهَا بِإِسْحَاقَ وَمِنْ وَلَدَهُ إِشْحَاقَ يَقْتُوبَ ﴾** <sup>(٤)</sup>

قوله تعالى: **﴿وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلًا إِبْرَاهِيمَ بِالْشَّرِيفِ﴾** هذه قصة لوط عليه السلام، وهو ابن عم إبراهيم عليه السلام لـ<sup>(٥)</sup> ، وكانت قرى لوط بنواحي الشام، وإبراهيم ببلاد فلسطين، فلما أنزل الله الملائكة بعذاب قوم لوط مروا بإبراهيم ونزلوا عنده، وكان كل من نزل عنده يحسن قراء، وكانوا مروا بإشارة إبراهيم، فظنهم أضيافا، وهم جبريل وميكائيل وإسرافيل عليهم السلام، قاله ابن عباس. الضحاك: كانوا تسعه. السدي: أحد عشر ملكا على صورة الغلام الحسان الوجه، ذرو وضاعة وجمال بارع<sup>(٦)</sup>.

**﴿بِالْشَّرِيفِ﴾** قيل: بالولد، وقيل: بإهلاك قوم لوط، وقيل: بشّروه بأنهم رسول الله عز وجل، وأنه لا خوف عليه.

**﴿قَالُوا سَلَّمَ﴾** نصب بوقوع الفعل عليه، كما تقول: قالوا خيرا، وهذا اختيار الطبرى<sup>(٤)</sup>. وأما قوله: **﴿سَيَقَوْلُونَ ثَلَاثَةً﴾** [الكهف: ٢٢] فالثلاثة اسم غير قول مقول<sup>(٥)</sup>,

(١) في قصة هود ص ١٤٧ من هذا الجزء.

(٢) أي: لاصق النسب. الصحاح: (لحج).

(٣) ينظر تفسير البغوي ٢/٣٩٢.

(٤) تفسير الطبرى ١٢/٤٦٦.

(٥) في (د): غير مقول.

ولو رُفِعَ جمِيعاً أو نُصِبَ جمِيعاً **﴿قَالُوا سَلَّمَ قَالَ سَلَّمَ﴾** جاز في العربية<sup>(١)</sup>. وقيل: انتصب على المصدر، وقيل: **﴿قَالُوا سَلَّمَ﴾** أي: فاتحوه بصوابٍ من القول، كما قال: **﴿وَإِذَا حَاطَبْهُمُ الْجَنَّهُوْنَ قَالُوا سَلَّمَ﴾** [الفرقان: ٦٣] أي: صواباً، فسلاماً معنى قولهم، لا لفظه. قال معناه ابنُ العربيٍ واختاره<sup>(٢)</sup>، قال: ألا ترى أنَّ الله تعالى لمَّا أراد ذِكر اللَّفْظ قالَه بعينه، فقال مخبراً عن الملائكة: **﴿سَلَّمٌ عَلَيْكُم بِمَا صَبَرْتُم﴾** [الرعد: ٢٦] **﴿سَلَّمٌ عَلَيْكُمْ طَيْبَتُم﴾** [الزمر: ٧٣].

وقيل: دَعَا له، والمعنى: سَلِيمَ سلاماً.

**﴿قَالَ سَلَّمَ﴾** في رفعه وجهان: أحدهما: على إضمار مبتدأ؛ أي: هو سلامٌ، وأمرٌ بسلامٍ. والأخرُ بمعنى: سلامٌ عليكم، إذا جُعلَ بمعنى التحيَّة، فأضَمَّ الخبر، وجاز «سلامٌ» على التنكير؛ لكثرَة استعماله، فحذفَ الألف واللام كما حُذفت من لا همَّ في قوله: اللَّهُمَّ. وقرئ: **«سِلْمٌ»**<sup>(٣)</sup> قال الفراء<sup>(٤)</sup>: السلم والسلام بمعنى، مثل الجل والحال.

قوله تعالى: **﴿فَمَا لِيَتَ أَنْ جَاءَ بِعَجْلٍ حَنِيدِي﴾** فيه أربع عشرة مسألة<sup>(٥)</sup>:

الأولى: قوله تعالى: **﴿فَمَا لِيَتَ أَنْ جَاءَ﴾** «أن» بمعنى حتىٍّ، قاله كُبراء النَّحوين، حكاَه ابنُ العربي<sup>(٦)</sup>، التقدير: فما ليَت حتى جاء.

وقيل: «أن» في موضع نصبٍ بسقوط حرف الجرّ، التقدير: فما ليَت عن أن جاء، أي: ما أبْطَأَ عن مجبيه بعجلٍ، فلِمَّا حذف حرف الجرّ بقي «أن» في محلٍ

(١) معاني القرآن للفراء ٢١/٢.

(٢) في أحكام القرآن ١٠٤٨/٣.

(٣) وقرأ بها من السبعة حمزة والكسائي. السبعة ص ٣٣٧ - ٣٣٨ ، والتيسير ص ١٢٥ .

(٤) معاني القرآن ٢١ - ٢٠/٢ .

(٥) المسائل التي ذكرها المصنف تتضم هذه الآية والتي بعدها.

(٦) أحكام القرآن ١٠٥٠/٣ ، وعقب عليه بقوله: وأعجب لهم كيف استجروا ذلك مع سعة معرفتهم. ثم ذكر أن التحقيق في موضع «أن جاء» النصب على حكم المفعول.

الْتَّصِبِ، وَفِي «الْبَثْ» ضَمِيرُ اسْمِ إِبْرَاهِيمَ. وَ«مَا» نَافِيَةً، قَالَهُ سَيِّبوِيهُ.  
وَقَالَ الْفَرَاءُ<sup>(١)</sup>: فَمَا لَبِثَ مُجِيئُهُ، أَيْ: مَا أَبْطَأَ مُجِيئَهُ، فَ«أَنْ» فِي مَوْضِعِ رَفْعٍ،  
وَلَا ضَمِيرٌ فِي «الْبَثْ»، وَ«مَا» نَافِيَةً، وَيَصْحُّ أَنْ تَكُونَ «مَا» بِمَعْنَى الَّذِي، وَفِي «الْبَثْ»  
ضَمِيرُ إِبْرَاهِيمَ، وَ«أَنْ جَاءَ» خَبْرُ «مَا» أَيْ: فَالَّذِي لَبِثَ إِبْرَاهِيمُ هُوَ مُجِيئُهُ بِعِجلٍ حَنِيدٍ.  
وَ«حَنِيدٌ» مَشْوِيٌّ، وَقَيْلٌ: هُوَ الْمَشْوِيُّ بِحَرَّ الْحِجَارَةِ مِنْ غَيْرِ أَنْ تَمَسَّهُ النَّارُ.  
يَقَالُ: حَنَدَتُ الشَّاةَ أَحْنَدُهَا حَنَدًا، أَيْ: شَوَّثَهَا، وَجَعَلَتُ فَوْقَهَا<sup>(٢)</sup> حِجَارَةً مُخْمَاءً  
لِتُنْضِجَهَا، فَهِيَ حَنِيدٌ، وَحَنَدَتُ الْفَرَسَ أَحْنَدُهُ حَنَدًا - وَهُوَ أَنْ تُحْضُرَهُ<sup>(٣)</sup> شَوَّطًا أو  
شَوَّطِينَ ثُمَّ تُظَاهِرَ عَلَيْهِ الْجِلَالَ فِي الشَّمْسِ لِيعرَقَ - فَهُوَ مَحْنُوذٌ وَحَنِيدٌ، فَإِنْ لَمْ يَعْرَقْ  
قَيْلٌ: كَبَا. وَحَنَدٌ: مَوْضِعٌ قَرِيبٌ مِنَ الْمَدِينَةِ<sup>(٤)</sup>.

وَقَيْلٌ: الْحَنِيدُ: السَّمِيطُ<sup>(٥)</sup>. ابْنُ عَبَّاسٍ وَغَيْرُهُ: حَنِيدٌ: نَصِيجٌ<sup>(٦)</sup>. وَحَنِيدٌ بِمَعْنَى  
مَحْنُوذٌ، وَإِنَّمَا جَاءَ بِعِجلٍ؛ لِأَنَّ الْبَقَرَ كَانَ أَكْثَرُ أَمْوَالِهِ.

الثَّالِثَةُ: فِي هَذِهِ الْآيَةِ مِنْ أَدْبِ الْضَّيْفِ أَنْ يُعْجِلَ قِرَاهُ، فَيَقْدِمَ الْمَوْجُودُ الْمُيَسَّرُ فِي  
الْحَالِ، ثُمَّ يُتَبَعِّهُ بِغَيْرِهِ إِنْ كَانَ لَهُ جِدَّةً، وَلَا يَتَكَلَّفُ مَا يَضُرُّ بِهِ.

وَالضِّيَافَةُ مِنْ مَكَارِمِ الْأَخْلَاقِ، وَمِنْ آدَابِ الْإِسْلَامِ، وَمِنْ خُلُقِ النَّبِيِّينَ  
وَالصَّالِحِينَ، وَإِبْرَاهِيمُ أَوَّلُ مَنْ أَضَافَ عَلَى مَا تَقْدِمَ فِي «الْبَقَرَةِ»<sup>(٧)</sup>، وَلَيْسَ بِوَاجِبَةٍ  
عَنْ دُعَائِ عَامَّةِ أَهْلِ الْعِلْمِ؛ لِقَوْلِهِ<sup>ﷺ</sup>: «الضِّيَافَةُ ثَلَاثَةُ أَيَّامٍ، وَجَائِزُهُ يَوْمٌ وَلِيلَةٌ، فَمَا

(١) فِي مَعْنَى الْقُرْآنِ ٢١/٢.

(٢) فِي (ظ): وَجَعَلَتُهَا فَوْقَ.

(٣) قَالَ فِي الصَّاحِحِ (حَضَرَ): أَحْضَرَ الْفَرَسَ إِحْضَارًا وَاحْتَضَرَ، أَيْ: عَدَا، وَاسْتَحْضُرَتْهُ: أَعْدَيْتَهُ.

(٤) الصَّاحِحُ: (حَنَدٌ).

(٥) السَّمِيطُ فِي قَوْلِ الْلَّيْلَتِ: إِذَا مُرْطِطَ عَنْهُ صُوفَهُ، ثُمَّ شُوُيْ بِيَاهَبَهُ. وَأَصْلُ السَّمِيطِ: أَنْ يَنْتَزَعَ صُوفَ الشَّاةِ  
الْمَذْبُوْحَةِ بِالْمَاءِ الْحَارِ لِتُشَوَّى. اللِّسَانُ: (سَمِيطٌ).

(٦) أَخْرَجَهُ الطَّبَرِيُّ ٤٦٨/١٢ - ٤٦٩.

(٧) ٣٥٢/٢.

كان ورأه ذلك فهو صدقة<sup>(١)</sup>، والجائزه: العطية والصلة التي أصلها على الندب، وقال ﷺ: «من كان يؤمّن بالله واليوم الآخر فليكرِّم جاره، ومن كان يؤمّن بالله واليوم الآخر فليكرِّم ضيقه<sup>(٢)</sup>، وإكرام الجار ليس بواجب إجماعاً، فالضيافة مثله<sup>(٣)</sup>، والله أعلم، وذهب الليث إلى وجوبها متسكناً<sup>(٤)</sup> بقوله ﷺ: «ليلة الضيف حقٌ»<sup>(٥)</sup> إلى غير ذلك من الأحاديث، وفيما أشرنا إليه كفاية، والله الموفق للهداية.

قال ابن العربي<sup>(٦)</sup>: وقد قال قوم: إنَّ وجوب الضيافة كان في صدر الإسلام ثم نُسخ. وهذا ضعيف؛ فإنَّ الوجوب لم يثبت، والناسخ لم يبرُّ. وذكر حديث أبي سعيد الخدري، خرجه الأئمة<sup>(٧)</sup>، وفيه: «فاستضفناهم فأبوا أن يُضيّقونا، فلديع سيد ذلك الحي» الحديث. وقال: هذا ظاهر في أن الضيافة لو كانت حقاً للام النبي ﷺ القوم الذين أبوا، ولبيّن لهم ذلك.

الثالثة: اختلف العلماء فيمن يُخاطب بها؛ فذهب الشافعي ومحمد بن عبد الحكم إلى أنَّ المخاطب بها أهل الحضر والبادية، وقال مالك: ليس على أهل الحضر ضيافة. قال سخنون: إنَّما الضيافة على أهل القرى، وأما الحضر فالفندق ينزلُ فيه المسافر<sup>(٨)</sup>، واحتجوا بحديث ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: «الضيافة

(١) أخرجه أحمد (١٦٣٧١)، والبخاري (٦٠١٩)، ومسلم (٤٨)؛ [١٤] [٢/٢] [١٣٥٢] بعنده، من حديث أبي شريح الخزاعي. وأخرجه الترمذى (١٩٦٨) وفيه: «وما أتفق عليه بعد ذلك فهو صدقة».

(٢) أخرجه أحمد (٧٦٢٦)، والبخاري (٦٠١٨)، ومسلم (٤٧)؛ (٧٤) من حديث أبي هريرة.

(٣) التمهيد ٤٧/٢١ .

(٤) في (م): تمسكاً.

(٥) أخرجه أحمد (١٧١٧٢)، وأبو داود (٣٧٥٠)، وابن ماجه (٣٦٧٧) من حديث أبي كريمة المقدام بن معدى كرب.

(٦) في أحكام القرآن ١٠٤٩/٣ - ١٠٥٠ .

(٧) أخرجه أحمد (١١٣٩٩)، والبخاري (٢٢٧٦)، ومسلم (٢٢٠١)؛ (٦٥).

(٨) بعدها في (د) و(م): حكى اللغتين صاحب العين وغيره، وهي مقحمة لا وجه لها.

على أهل الورير، وليس على أهل المدار<sup>(١)</sup>. وهذا حديث لا يصح، وإبراهيم ابن أخي عبد الرزاق متوكلاً الحديث، منسوب إلى الكذب، وهذا مما انفرد به، ونُسب إلى وضعه، قاله أبو عمر بن عبد البر<sup>(٢)</sup>. قال ابن العربي<sup>(٣)</sup>: الصيافة حقيقة فرض على الكفاية، ومن الناس من قال: إنها واجبة في القرى حيث لا طعام ولا مأوى<sup>(٤)</sup>، بخلاف الحواضر؛ فإنها مشحونة بالمؤاواة<sup>(٥)</sup> والأقوات، ولا شك أن الضيف كريم، والصيافة كرامة، فإن كان غريباً<sup>(٦)</sup> فهي فريضة.

الرابعة: قال ابن العربي<sup>(٧)</sup> قال بعض علمائنا: كانت صيافة إبراهيم قليلة، فشكّرها الحبيب. وهذا حكم بالظن في موضع القطع، وبالقياس في موضع النقل، من أين علِم أنه قليل؟! بل قد نقل المفسرون أن الملائكة كانوا ثلاثة: جبريل وميكائيل وإسرافيل، وعجل لثلاثة عظيم، فما هذا التفسير لكتاب الله بالرأي؟! هذا - بأمانة الله - هو التفسير المذموم، فاجتنبه فقد علِمْتُوه.

الخامسة: السنة إذا قدم للضيوف الطعام أن يبادر المقدم إليه بالأكل؛ فإن كرامة الضيوف تعجّل التقديم، وكرامة صاحب المنزل المبادرة بالقبول، فلما قبضوا أيديهم نذكرهم إبراهيم؛ لأنهم خرجوا عن العادة، وخالفوا السنة، وخاف أن يكون وراءهم مكروه<sup>(٨)</sup> يقصدونه<sup>(٩)</sup>. وروي أنهم كانوا ينكثون بقدح كانت في اللحم،

(١) أخرجه ابن عدي في الكامل ١/٢٧١ ، والقضاعي في مسنده الشهاب (٢٨٤). من طريق إبراهيم بن عبد الله ابن أخي عبد الرزاق.

(٢) في التمهيد ٤٣/٢١ - ٤٤ .

(٣) في أحكام القرآن ٣/١٠٥٠ .

(٤) في (د) و(ز) و(ظ): ولا ماء.

(٥) في (د) و(ز) و(ظ): بالمياه.

(٦) في (ظ): كانت عرساً.

(٧) في أحكام القرآن ٣/١٠٥١ .

(٨) في (ز) و(ظ): مكر.

(٩) أحكام القرآن لابن العربي ٣/١٠٥١ .

ولا تصِلُ أيديهم إلى اللَّحم، فلَمَّا رأى ذلك منهم ﴿نَكَرُوهُمْ وَأَوْجَسُ مِنْهُمْ خِفَةً﴾<sup>(١)</sup>  
 أي: أضمر، وقيل: أحس، والوجوس: الدخول، قال الشاعر<sup>(٢)</sup>:  
 جاء البريد بقرطاسٍ يُحْبُّ به فاوْجَسَ القلبُ من قِرْطاسِه جَزَّعا  
 «خِفَةً»: خوفاً، أي: فرعاً، وكانوا إذا رأوا الضيف لا يأكلُ ظُنُوا به شرّاً، فقالت  
 الملائكة: ﴿لَا تَغْنَفْ إِنَّا أَنْسَلَنَا إِلَّا قَوْرِ لُوطَ﴾.

السادسة: من أدب الطعام أنَّ لصاحب الضَّيف أن ينظرُ في ضيفه هل يأكلُ أم لا، وذلك ينبغي أن يكون بتلْفِتٍ ومسارقة، لا بتحديد النَّظر. رُوي أنَّ أعرابياً أكلَ مع سُليمان بن عبد الملك، فرأى سليمان في لقمة الأعرابي شعرة، فقال له: أزِلِ الشَّعرة عن لقمتك، فقال له: أنتظِرْ إِلَيَّ نظر من يرى الشَّعرة في لقمتي؟! والله لا أكلت معك<sup>(٣)</sup>.

قلت: وقد ذُكر أنَّ هذه الحكاية إنما كانت مع هشام بن عبد الملك لا مع سليمان، وأنَّ الأعرابي خرج من عنده وهو يقول:

وللموت خيرٌ من زيارة باخِلٍ يُلاحِظُ أطرافَ الأكيلٍ على عَمْدٍ<sup>(٤)</sup>  
 السابعة: قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَاهَا أَيْتَهُمْ لَا تَصِلُ إِلَيْهِ نَكَرُوهُمْ﴾ يقول: أنكراهم،  
 تقول: نَكِرْتُك، وأنكراهم، واستنكراهم: إذا وجدته على غير ما عَهِدَتْهُ، قال  
 الشاعر<sup>(٥)</sup>:

(١) أخرجه الطبراني في تفسيره ٤٧١/١٢ من قول جندب بن سفيان.

(٢) هو يزيد بن معاوية، قاله حينما جاءه نعي والده معاوية، والبيت في ديوان شعره ص ٢٥ .

(٣) المحرر الوجيز ٣/١٨٨ .

(٤) العقد الفريد ٦/١٨٢ ، والبيت نسب لحاتم الطائي، ولقيس بن عاصم، وهو في البيان والتبيين ٣١٠/٣ ، وعيون الأخبار ٣/٢٦٣ دون نسبة، وينظر تعليق الأستاذ عبد السلام هارون على البيان والتبيين.

(٥) ثُبَّ للأعشى، والبيت في ديوانه ص ١٥١ ، غير أن أبي عبيدة نقل في مجاز القرآن ١/٢٩٣ عن يونس عن أبي عمرو أنه هو الذي زاد هذا البيت في شعر الأعشى، وقال: فأتوب إلى الله منه.

وأنكرتني وما كان الذي نَكِرْتُ من الحوادث إلا الشَّيْب والصلَا  
فجمع بين اللغتين<sup>(١)</sup>. ويقال: نَكِرْتُ: لما تراه بعينك. وأنكَرْتُ: لما تراه بقلبك.  
الثامنة: قوله تعالى: ﴿وَأَمْرَأَهُ قَلِيمَة﴾ ابتداء وخبر، أي: قائمة بحيث ترى  
الملائكة، قيل: كانت من وراء الستّر، وقيل: كانت تخدم الملائكة وهو جالس،  
وقال محمد بن إسحاق: قائمة تصلي<sup>(٢)</sup>، وفي قراءة عبد الله بن مسعود: «وأمْرَأَهُ  
قائمة وهو قاعِدٌ»<sup>(٣)</sup>.

الناسعة: قوله تعالى: ﴿فَضَحِّكُتُ﴾ قال مجاهد وعكرمة<sup>(٤)</sup>: حاضث، وكانت آيسةً، تحقيقاً للإشارة، وأنشد على ذلك اللغويون:  
ولاني لآتي العرسَ عند ظهورها وأهجرُها يوماً إذا تُك ضاحكاً<sup>(٥)</sup>  
وقال آخر:

وَضِخْكُ الْأَرَابِ فَوْقَ الصَّفَا كَمْثَلِ دِمِ الْجَوْفِ يَوْمَ الْقَ�مِشِ<sup>(٦)</sup>  
والعرب تقول: ضَحَّكَتِ الْأَرْبُ: إِذَا حَاضَتْ، وَرُوِيَ عَنْ أَبْنَى عَبَّاسَ رَضِيَ اللَّهُ  
عَنْهُمَا وَعَكْرَمَةَ<sup>(٧)</sup>، أَخِذَّ مِنْ قَوْلِهِمْ: ضَحَّكَتِ الْكَافُورَةُ - وَهِيَ قَشْرَةُ الظَّلْعَةِ - إِذَا  
اَنْشَقَّتْ، وَقَدْ انْكَرَ بَعْضُ الْلِّغَوَيْنَ أَنْ يَكُونَ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ ضَحَّكَتْ بِمَعْنَى:  
حَاضَتْ.

(١) تفسير الطبرى / ١٢ / ٤٧٢ .

(٢) في المحرر الوجيز ١٨٨/٣ : وقالت فرقه . ولم تقف على من نسب هذا القول لابن إسحاق.

(٣) تفسير الطبرى /١٢٤٧٣ ، والمحرر الوجيز /٣١٨٨ ، وقراءة ابن مسعود عندهما: «وهو جالس»، وذكرها الفراء في معانى القرآن /٢٢٢ مثلاً، رواية المصطفى.

(٤) قول مجاهد أخرجه الطبرى /١٢ - ٤٧٦ - ٤٧٧ ، وقول عكرمة أخرجه عبد الرزاق فى تفسيره . ٣٠٦ / ٢ .

(٥) أورده أبو الشيخ عقب قول عكرمة فيما ذكر السيوطي في الدر المثمر ٣٤٠ / ٣ ، دون نسبة.

(٦) أورده الطبرى فى تفسيره ٤٧٧ / ١٢ ، وابن عطية فى المحرر الوجيز ١٨٩ / ٣ .

(٧) قول ابن عباس أخرجه ابن أبي حاتم وغيره فيما ذكر السيوطي في الدر المثور ٣٤٠ / ٣ ، وقول عكرمة ذكره الرازى فى تفسيره ١٨ / ٢٦ .

وقال الجمّهور: هو الضَّحْكُ المعروفة، واختلفوا فيه: فقيل: هو ضحك التَّعْجُبِ، قال أبو ذؤيب:

فجاء بِمِرْجٍ لَمْ يَرَ النَّاسُ مِثْلَهُ      هُوَ الضَّحْكُ إِلَّا أَنَّهُ عَمِلَ التَّخْلِ (١)

وقال مقاتل: ضحك من خوف إبراهيم ورعدته من ثلاثة نفرين، وإبراهيم في حشمه وحده (٢)، وكان إبراهيم يُقَوِّمُ وحده بمائة رجل.

قال: وليس الضَّحْكُ: الحيس في اللغة بمستقيم، وأنكر أبو عبيدة (٣) والفراء ذلك. قال الفراء (٤): لم أسمعه من ثقة، وإنما هو كناية.

وروى أن الملائكة مسحت العجل، فقام من موضعه، فلحق بأمه، فضحك سارة عند ذلك، فبشروها بإسحاق.

ويقال: كان إبراهيم عليه السلام إذا أراد أن يكرِّمَ أضيفافه أقام سارة تخدِّمهم، فذلك قوله: ﴿وَأَتَرَأَتْهُ قَابِيَّةٌ﴾ أي: قائمة في خدمتهم.

ويقال: «قَابِيَّة» لروع إبراهيم، «فَضَحِّكَتْ» لقولهم: «لَا تَحْفَ» سروراً بالأمن (٥).

وقال الفراء: فيه تقديم وتأخير، المعنى: فبشرناها بإسحاق فضحك، أي: ضحك سروراً بالولد، وقد هَرَمْتَ، والله أعلم أي ذلك كان (٦).

(١) ديوان الهذللين ١/٤٢ . والمزاج: العسل، والضحك: قيل في تفسيره هنا: هو الشهد، وقيل: الزبد، وقيل: الثلج، والأجود في تفسير البيت - فيما ذكر الأستاذ محمود شاكر رحمة الله في تعليقه على تفسير الطبرى ١٥/٣٩٣ - أن يقال: إن الضحك هنا: هو طلع التخل حين ينشق عما في جوفه، وهو أبيض شديد البياض والنقاء. وينظر اللسان: (مزاج) و(ضحك).

(٢) تفسير البغوي ٢/٣٩٣ .

(٣) في (م): أبو عبيدة، والمثبت من (ن) (ظ)، وهو الموافق لما في تفسير الرازى ١٨/٢٦ . وقد نقل الرازى عن أبي بكر الأنبارى قوله: هذه اللغة إن لم يعرفها هؤلاء فقد عرفها غيرهم.

(٤) معاني القرآن ٢/٢٢ .

(٥) ينظر إعراب القرآن للتحاسن ٢/٣٩٣ ، وتفسير الرازى ١٨/٢٥ - ٢٦ .

(٦) معاني القرآن للفراء ٢/٢٢ ، إلا أنه لم يجزم بهذا القول، بل ذكر أنه مما يقوله بعض المفسرين، ثم قال: وهو مما قد يحتمله الكلام، والله أعلم بصوابه.

قال النحاس<sup>(١)</sup>: فيه أقوال: أحستها: أنهم<sup>(٢)</sup> لَمْ يأكِلُوا نُكْرَهَم<sup>(٣)</sup> وَخَافُهُمْ، فلما قالوا: لا تَحْفَ، وأخبروه أنهم رُسُلُ الله، فرَحَ بِذَلِكَ، فَضَحَّكَ امْرَأُهُ سُرُورًا بِفَرَحِهِ، وَقِيلَ: إِنَّهَا كَانَتْ قَالَتْ لَهُ: أَحَسَّتْ أَنَّ هُؤُلَاءِ الْقَوْمَ سَيَنْزَلُ بِهِمْ عَذَابٌ، فَصُمِّمَ لَوْطًا إِلَيْكَ، فلما جاءَتِ الرَّسُولُ بِمَا قَالَتْهُ؛ سُرِّثَ بِهِ فَضَحَّكَتْ. قال النحاس<sup>(٤)</sup>: وهذا إن صحّ إسناده فهو حسن.

والضَّحْكُ: انكشافُ الأَسْنَانِ، ويجوزُ أَنْ يَكُونَ الضَّحْكُ: إِشْرَاقُ الْوِجْهِ، تَقُولُ: رَأَيْتُ فَلَانًا ضَاحِكًا، أي: مَشْرِقًا، وَأَتَيْتُ عَلَى رَوْضَةِ تَضَحِّكٍ، أي: مَشْرِقَةً. وفي الحديث: «إِنَّ اللَّهَ سَبَحَانَهُ يَبْعَثُ السَّحَابَ، فَيَضَحِّكُ أَحْسَنَ الضَّحِّكَ»<sup>(٥)</sup>; جعل انجلاءِه عن الْبَرْقِ ضَاحِكًا، وهذا كلامٌ مستعارٌ<sup>(٦)</sup>.

وَرُوِيَّ عَنْ رَجُلٍ مِّنْ قَرَاءِ مَكَّةَ يَقَالُ لَهُ: مُحَمَّدُ بْنُ زِيَادُ الْأَعْرَابِيُّ: «فَضَحَّكَتْ»، بفتح الحاء<sup>(٧)</sup>، قَالَ الْمَهْدَوِيُّ: وَفَتْحُ «الْحَاءِ» مِنْ «فَضَحَّكَتْ» غَيْرُ مَعْرُوفٍ. ضَحَّكَ يَضَحِّكُ ضَاحِكًا وَضِحْكًا وَضِحْكًا، أَرْبَعُ لِغَاتٍ. والضَّحْكَةُ: الْمَرْأَةُ الْوَاحِدَةُ، وَمِنْهُ قَوْلُ كُثِيرٍ:

### غَلِيقَتْ لِضِحْكَتِهِ رَقَابُ الْمَالِ<sup>(٨)</sup>

(١) في معاني القرآن ٣٦٣/٣.

(٢) في (ظ): أنه.

(٣) في (ز) و(ظ): نُكْرَهَم.

(٤) في معاني القرآن ٣٦٣/٣.

(٥) أخرجه أَحْمَدُ فِي مَسْتَدِهِ (٢٣٦٨٦) مِنْ حَدِيثِ رَجُلٍ مِّنْ بَنْيِ غَفَارٍ، بِلِفَظِ: «إِنَّ اللَّهَ يَنْشِئُ السَّحَابَ، فَيَنْطِقُ أَحْسَنَ الْمَنْطَقَ، وَيَضَحِّكُ أَحْسَنَ الضَّحِّكَ».

(٦) هَذَا تَأْوِيلُ ابْنِ الْأَثِيرِ فِي النَّهَايَةِ: (ضَحَّكُ)، وَقَدْ أَوْلَى الطَّحاوِيُّ فِي شَرْحِ مشكُلِ الْأَئْمَارِ (١٣/٢١٨) ضَحَّكَ السَّحَابَ: بِخَرْوَجِ الزَّهْرِ وَالْمَرْعَى فِي الْجَنَانِ بِمَا يَهْطِلُ مِنْ مَاءِهِ.

(٧) ذَكَرَهَا ابْنُ خَالُوِيَّهُ فِي الْفَرَاهَاتِ الشَّاذَةِ صِ ٦٠ دُونَ نَسْبَةٍ.

(٨) دِيَوَانَهُ صِ ٢٩٥ ، وَصَدْرُهُ: عَمْرُ الرَّدَاءِ إِذَا تَبَسَّمَ ضَاحِكًا.

قاله الجوهري<sup>(١)</sup>.

**العاشرة:** روى مسلم عن سَهْل بن سَعْد قال: دعا أبو أَسِيد الساعديُّ رسول الله ﷺ في عُرْسِهِ، فكانت امرأَتُه يوْمَئِذٍ خَادِمَهُمْ، وهي العَرَوْسُ، قال سَهْلٌ: أَتَدْرُونَ مَا سَقَتْ رسولَ الله ﷺ؟ أَنْقَعْتُ لَه تِمَارِتَنِي مِنَ اللَّيلِ فِي تَوْرٍ، فَلِمَّا أَكَلَ سَقْتَهُ إِيَاهُ<sup>(٢)</sup>.

وأخرج البخاري<sup>(٣)</sup> وترجم له: باب قيام المرأة على الرجال في العرس وخدمتهم بالنفس.

قال علماؤنا: فيه جواز خدمة العروس زوجها وأصحابه في عرسها، وفيه أنه لا يأس أن يعرض الرجل أهله على صالح إخوانه، ويستخدمهن لهم، ويحتمل أن يكون هذا قبل نزول الحجاب. والله أعلم.

**الحادية عشرة:** ذكر الطبرى<sup>(٤)</sup> أن إبراهيم عليه السلام لما قدم العجل قالوا: لا نأكل طعاماً إلا بشمن، فقال لهم: ثمنه أن تذكروا الله في أوله، وتحمدوه في آخره، فقال جبريل ل أصحابه: يحق اتخاذ الله هذا خليلاً.

قال علماؤنا: ولم يأكلوا؛ لأن الملائكة لا تأكل. وقد كان من العجائز كما يسر الله للملائكة أن يتسلّكوا<sup>(٥)</sup> في صفة الأدمي جسداً وهيئةً أن يُسرّ لهم أكل الطعام؛ إلا أنه في قول العلماء أرسلهم في صفة الأدمي، وتتكلّف إبراهيم عليه السلام الضيافة، [حتى إذا رأى التوقف وخفّ، جاءته البشرى فجأة]<sup>(٦)</sup>.

**الثانية عشرة:** ودلل هذا على أن التسمية في أول الطعام، والحمد في آخره

(١) في الصحاح: (صحح).

(٢) صحيح مسلم (٢٠٠٦) (٨٦)، وهو عند أحمد (١٦٠٦٢).

(٣) صحيح البخاري (١٥١٨٢).

(٤) تفسير الطبرى ٤٧٣ / ١٢ - ٤٧٤.

(٥) في (ز) و(ظ): يسلكوا، وفي (د): يسلكوا، والمثبت من (م) وأحكام القرآن.

(٦) أحكام القرآن لأبن العربي ١٠٥١/٣ ، وما بين حاضرتين منه.

مشروع في الأمم قبلنا، وقد جاء في الإسرائيليات أنَّ إبراهيم عليه السلام كان لا يأكلُ وحده، فإذا حضرَ طعامه أرسَلَ يطلبُ من يأكلُ معه، فلقيَ يوماً رجلاً، فلما جلسَ معه على الطعام، قال له إبراهيم: سَمِّ الله، قال الرجل: لا أدرِي ما الله؟ فقال له: فاخْرُجْ عن طعامي، فلما خرجَ نزلَ إليه جبريلُ، فقال له: يقول الله: إنه يرْزُقُه على كفره مدى عمره، وأنت بخلتَ عليه بلقمةٍ، فخرجَ إبراهيم فَزِعًا يجرُّ رداءه، وقال: ارجعْ، فقال: لا أرجعْ حتى تخِيرني لم ترُدْني لغيرِ معنى؟ فأخبره بالأمر، فقال: هذا ربُّ كريم، آمنتُ، ودخلَ وسمَّ الله، وأكلَ مؤمناً<sup>(١)</sup>.

**الثالثة عشرة:** قوله تعالى: ﴿فَبَشَّرَنَاهَا بِإِسْحَاقَ لِمَّا وُلِدَ لِإِبْرَاهِيمَ إِسْمَاعِيلَ مِنْ هاجرَ تَمَنَّتْ سَارَةُ أَنْ يَكُونَ لَهَا ابْنٌ، وَأَيْسَتْ لِكَبِيرَ سَنَّهَا، فَبُشِّرَتْ بِوْلِيدَ يَكُونُ نَبِيًّا وَبِلِدَ نَبِيًّا، فَكَانَ هَذَا بُشَارَةً لَهَا بَأْنَ تَرَى وَلَدَ وَلِدَهَا.

**الرابعة عشرة:** قوله تعالى: ﴿وَمَنْ وَلَدَ إِسْحَاقَ يَعْقُوبَ﴾ قرأ حمزة وعبد الله بن عامر: «يعقوب» بالنصب، ورفع الباقيون<sup>(٢)</sup>، فالرفع على معنى: ويحدثُ لها من وراء إسحاق يعقوب، ويجوز أن يرتفع بالفعل الذي يعملُ في ﴿مِنْ وَلَدَهُ﴾<sup>(٣)</sup> كأنَّ المعنى: وثبتَ لها من وراء إسحاق يعقوب، ويجوز أن يرتفع بالابتداء، ويكون في موضع الحال، أي: بشّرُوها بإسحاق مثابلاً له يعقوب، والنَّصب على معنى: ووهبنا لها من وراء إسحاق يعقوب، وأجاز الكسائي والأخفش وأبو حاتم أن يكون «يعقوب» في موضع جرّ، على معنى: وبشرناها من وراء إسحاق بيعقوب. قال الفراء<sup>(٤)</sup>: ولا يجوز الخُفْض إلا بإعادة الحرف الخافض. قال سيبويه<sup>(٥)</sup> ولو قلتَ: مررتُ بزيدٍ أول من

(١) أحكام القرآن لابن العربي ٣/٤٠١ .

(٢) وعن عاصم روايتان: فروي عنه أبو بكر الرفع، وروي حفص عنه النصب. السبعة ص ٣٣٨ ، والتبسيير ص ١٢٥ .

(٣) لفظة: «وراء»، ليست في (م).

(٤) في معاني القرآن ٢/٢٢ .

(٥) في الكتاب ١/٩٣ - ٩٤ .

أمسِ وأمسِ عمِّرو كان قبيحاً خبيشاً؛ لأنك فرقَت بين المجرور وما يُشْرِكُه وهو الواو، كما تُفَرِّقُ بين الجارِ والمجرور<sup>(١)</sup>؛ لأن الجارَ لا يُفَصِّلُ بينه وبين المجرور، ولا بينه وبين الواو<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿فَالَّتِي يَوْمَئِنَّ أَلِدُ وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْئًا إِنَّ هَذَا لَشَفَعٌ عَجِيبٌ﴾

فيه مسائلتان:

الأولى: قوله تعالى: ﴿يَوْمَئِنَّ﴾ قال الزجاج<sup>(٣)</sup>: أصلُها: يا ويلتي، فأبدلَ من الياءَ ألفاً؛ لأنها أخفٌ من الياءِ والكسرة.

ولم تُرِدِ الدعاءَ على نفسها بالويل، ولكنها كلمةٌ تَحْفُظُ على أفواه النساءِ إذا طرأ عليهنَّ ما يَعْجِبُنَّ منه، وعَجَبَتْ من ولادتها وكُونَ<sup>(٤)</sup> بعلها شيئاً؛ لخروجِه عن العادةِ، وما خرجَ عن العادةِ مستغربٌ ومستنكراً.

و﴿أَلِدُ﴾ استفهامٌ معناه التَّعْجِبُ. ﴿وَأَنَا عَجُوزٌ﴾ أي: شيخةٌ، ولقد عَجَزَتْ تَعْجِزُ عَجْزاً، وعَجَزَتْ تَعْجِيزاً، أي: طعنت في السنّ. وقد يقال: عجوزةً أيضاً. وعَجَزَتْ المرأةُ، بكسر الجيم: عَظَمَتْ عَجِيزُّها عَجْزاً وعَجَزاً، بضم العين وفتحها.

قال مجاهد: كانت بنت تسع وسبعين سنة. وقال ابن إسحاق: كانت بنت تسعين. وقيل غيرُ هذا<sup>(٥)</sup>.

الثانية: قوله تعالى: ﴿وَهَذَا بَعْلِي﴾ أي: زوجي ﴿شَيْئًا﴾ نصبٌ على الحال، والعاملُ فيه التنبية أو الإشارة، «وهذا بعلني» ابتداءٌ وخبرٌ، وقال الأخفش: وفي قراءة

(١) إعراب القرآن للتحاسن ٢٩٣/٢ ، وعنده نقل المصطفى قوله الفراه وسيبويه.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٦٢/٣ .

(٣) في معاني القرآن له ٦٣/٣ .

(٤) في (د): ولو أن، وفي (م): ومن كون.

(٥) ينظر تفسير البغوي ٣٩٣/٢ .

ابن مسعود وأبيه: «وهذا بعلي شيخ». قال النحاس<sup>(١)</sup>: كما تقول: هذا زيد قائم، فزيد بدل من هذا، وقائم خبر الابتداء، ويجوز أن يكون «هذا» مبتدأ، و«زيد قائم» خبرين، وحکى سيبويه<sup>(٢)</sup>: هذا حل حامض.

وقيل: كان إبراهيم ابن مئة وعشرين سنة، وقيل: ابن مئة، فكان يزيد عليها في قول مجاهد سنة<sup>(٣)</sup>. وقيل: إنها عرضاً بقولها: ﴿وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا﴾ أي: عن ترك غشيانه لها. وسارة هذه امرأة إبراهيم بنت هاران بن ناحور بن شاروخ بن أرغون بن فالغ، وهي بنت عم إبراهيم<sup>(٤)</sup>.

**﴿إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجِيبٌ﴾** أي: الذي يشرّموني به لشيء عجيب.

قوله تعالى: **﴿قَالُوا أَتَعْجِبُنَّ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ رَحْمَةُ اللَّهِ وَرَبُّكُنُّمْ عَلَيْكُمْ أَهْلُ الْبَيْتِ إِنَّمَا حَيْدُّ تَحْمِدُ﴾**

في أربع مسائل:

الأولى: قوله تعالى: **﴿قَالُوا أَتَعْجِبُنَّ مِنْ أَمْرِ اللَّهِ﴾** لما قالت: **﴿وَأَنَا عَجُوزٌ وَهَذَا بَعْلِي شَيْخًا﴾** وتعجبت، أنكرت الملائكة عليها تعجبها من أمر الله؛ أي: من قصائه وقدره، أي: لا عجب من أن يرزقكما الله الولد، وهو إسحاق.

وبهذه الآية استدل كثير من العلماء على أن الذبيح إسماعيل، وأنه أحسن من إسحاق؛ لأنها بشرت بأن إسحاق يعيش حتى يولد له يعقوب<sup>(٥)</sup>. وسيأتي الكلام في هذا وبيانه في «الصافات» إن شاء الله تعالى.

(١) في إعراب القرآن ٢٩٤/٢.

(٢) في الكتاب ٢/٨٣.

(٣) تفسير البغوي ٢/٣٩٣.

(٤) وقيل: في نسبها غير ذلك، ينظر الطيري ١٢/٤٧٣ - ٤٧٢ ، والوساط ٢/٥٨١ ، وتفسير البغوي ٢/٣٩٢ ، والمحرر الوجيز ٣/١٨٩.

(٥) ينظر المحرر الوجيز ٣/١٩٠.

الثانية: قوله تعالى: ﴿رَحْمَتُ اللَّهُ وَبِرَّكَتُهُ﴾ مبتدأ، والخبر ﴿عَنْكُم﴾. وحكى سيبويه: «عَلَيْكُم» بكسر الكاف ل المجاورة لها الياء. وهل هو خبر أو دعاء؟ وكونه إخباراً أشرف؛ لأن ذلك يقتضي حصول الرحمة والبركة لهم، المعنى: أوصَلَ الله لكم رحمته وبركاته أهل البيت، وكونه دعاء إنما يقتضي أنه أمرٌ يتَرجَّحُ ولم يتحقَّل بعد. ونصب ﴿أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ على الاختصاص، وهذا مذهب سيبويه<sup>(١)</sup>. وقيل: على النداء.

الثالثة: هذه الآية تعطي<sup>(٢)</sup> أن زوجة الرجل من أهل البيت، فدلل هذا على أن أزواج الأنبياء من أهل البيت، فعائشة رضي الله عنها وغيرها من جملة أهل بيته النبي ﷺ، ومن قال الله فيهم: ﴿وَسَطَّهُ كُوٰنٌ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٢٣] وسيأتي.

الرابعة: ودللت الآية أيضاً على أن متنهى السلام: وبركاته، كما أخبر الله عن صالح عباده: ﴿رَحْمَتُ اللَّهُ وَبِرَّكَتُهُ عَنْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ﴾.

والبركة النمو والزيادة، ومن تلك البركات أن جميع الأنبياء والمرسلين كانوا في ولد إبراهيم وسارة<sup>(٣)</sup>.

وروى مالك<sup>(٤)</sup> عن وَهْب بن كَيْسَان أَبِي نُعَيْمَ، عن محمد بن عَمْرُو بن عَطَاءَ، قال: كنَتْ جالساً عند عبد الله بن عباس، فدخل عليه رجلٌ من أهل اليمن، فقال: السَّلامُ عَلَيْكَ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَّكَاتُهُ، ثُمَّ زاد شِيئاً مَعَ ذَلِكَ، فقال ابْنُ عَبَّاسٍ، وهو يَوْمَئِذٍ قد ذَهَبَ بِصَرْهُ: مَنْ هَذَا؟ فَقَالُوا: الْيَمَانِيُّ الَّذِي يَغْشَاكَ، فَعَرَفَهُ إِيَاهُ، فَقَالَ: إِن السَّلامُ انتَهَى إِلَى الْبَرَّكَةِ.

(١) الكتاب / ٢٣٦ . ونقله المصنف عنه بواسطة إعراب القرآن للنحاس / ٢٩٤ / ٢ .

(٢) في (ظ): تقتضي.

(٣) كذا قال المصنف رحمة الله، وقال ابن الجوزي في زاد المسير / ٤ / ١٣٣ : إن أكثر الأنبياء والأبطال من إبراهيم وسارة.

(٤) الموطأ / ٩٥٩ / ٢ .

وُرُوِيَّ عن عَلِيٍّ أَنَّهُ قَالَ: دَخَلْتُ الْمَسْجَدَ، فَإِذَا أَنَا بِالنَّبِيِّ فِي عُضْبَةٍ مِّنْ أَصْحَابِهِ، فَقَلَّتْ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ، فَقَالَ: «وَعَلَيْكَ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، عَشْرُونَ لِي، وَعَشْرُ لَكُ». قَالَ: وَدَخَلْتُ الثَّانِيَّةَ، فَقَلَّتْ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، فَقَالَ: «وَعَلَيْكَ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، ثَلَاثُونَ لِي وَعَشْرُونَ<sup>(١)</sup> لَكُ<sup>(٢)</sup>». فَدَخَلْتُ الثَّالِثَةَ، فَقَلَّتْ: السَّلَامُ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ: فَقَالَ: «وَعَلَيْكَ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، ثَلَاثُونَ لِي وَثَلَاثُونَ لَكُ، أَنَا وَأَنْتَ فِي السَّلَامِ سَوَاءٌ»<sup>(٣)</sup>.  
**﴿إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾** أَيْ: مُحَمَّدٌ مَاجِدٌ. وَقَدْ بَيَّنَا هَمَا فِي «الْأَسْمَاءِ الْحُسْنَى»<sup>(٤)</sup>.

قوله تَعَالَى: **﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنِ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ وَجَاءَنَّهُ الْبَشَرَى يُجَدِّلُنَا فِي قَوْمٍ لُوطٍ**  
**﴿إِنَّ إِبْرَاهِيمَ لَعَلِيمٌ أَزَّهُ مُثِيبٌ** وَ **﴿بَيْأَنِ إِبْرَاهِيمُ أَغْرِيَنَّ عَنْ هَذِهِ إِنَّهُ قَدْ جَاءَ أَنْرُرِيَّكُ**  
**﴿وَلَاهُمْ مَاتِيُّمُ عَذَابٌ غَيْرَ مَرَدُورٍ** وَ **﴿**

قوله تَعَالَى: **﴿فَلَمَّا ذَهَبَ عَنِ إِبْرَاهِيمَ الرَّوْعُ﴾** أَيْ: الْخُوف؛ يَقَالُ: ارْتَاعَ مِنْ كَذَا:  
 إذا خافَ، قَالَ النَّابِغَةُ:

فارتَاعَ مِنْ صَوْتِ كَلَابٍ فَبَاتَ لَهُ طَوْعُ الشَّوَامِيتِ مِنْ خُوفٍ وَمِنْ صَرَدٍ<sup>(٥)</sup>  
**﴿وَجَاءَنَّهُ الْبَشَرَى﴾** أَيْ: بِإِسْحَاقَ وَبِيَعْقُوبَ، وَقَالَ قَنَادِهُ: بَشَّرُوهُ بِأَنَّهُمْ إِنَّمَا أَتَوْا  
 بِالْعَذَابِ إِلَى قَوْمٍ لَوْطٍ، وَأَنَّهُ لَا يَخَافُ<sup>(٦)</sup>.

(١) في (د) و(ز): عشرة.

(٢) في (ظ): لأصحابي.

(٣) أخرجه البزار في مسنده (٨٠٨)، وأورده الهيثمي في مجمع الزوائد /٨/ ٣٠ ، وَقَالَ: فِيهِ مُخْتَارُ بْنُ نَافِعَ التَّمِيمي، وَهُوَ ضَعِيفٌ، وَفِيهِ عَيْدُ بْنُ إِسْحَاقَ الْعَطَّارِ، وَهُوَ مُتَرَوِّكٌ.

(٤) بِيَانِ «الْمَجِيدِ» فِي الْأَسْنَى ص ٢٤٤ ، وَأَمَّا «الْحَمِيدِ» فَلَمْ تَقْفَ عَلَى بِيَانِهِ فِي الْمُطَبَّعِ مِنْهُ.

(٥) دِيْوَانُ النَّابِغَةِ الْذِيَّانِيِّ ص ٣٢ . يُصَفُّ ثُورًا فَزَعَ مِنْ صَوْتِ الصَّيَادِ صَاحِبِ الْكَلَابِ، فَبَقَيَ قَائِمًا مُنْقَادًا لِشَوَامِتِهِ - أَيْ: قَوَائِمِهِ، جَمِيعِ شَامِتَةٍ - مِنْ الْخُوفِ وَالصَّرَدِ، وَهُوَ الْبَرَدُ. وَقَيلَ: طَوْعُ الشَّوَامِيتِ، أَيْ: بَاتَ لَهُ مَا يُسَرِّ الأَعْدَاءِ الشَّامِتِينَ بِهِ. يَنْتَرِزُ: شَرْحُ الْقَصَادِيْنَ الْمُشْهُورَاتِ لِلنَّحَاسِ /٢/ ١٦٣ ، وَشَرْحُ الْقَصَادِيْنَ الْعَشْرَ ص ٣٥٣ - ٣٥٤ ، وَخَزَانَةُ الْأَدْبِ /٣/ ١٨٨ - ١٨٩ .

(٦) تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ /١٢/ ٤٨٦ .

**﴿يُجَادِلُنَا﴾** أي: يجادلُ رسَلَنَا، وأضافَه إلى نفسه؛ لأنَّه نزلوا بأمرِهِ، وهذه المجادلة رواها حُمَيْدُ بْنُ هَلَالٍ، عن جُنْدِبٍ، عن حُذَيْفَةَ، وذلِكَ أَنَّهُم لَمَّا قَالُوكُمْ: **﴿إِنَّا مُهَلَّكُوْا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ﴾** [العنكبوت: ٣١] قالُوكُمْ: أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ فِيهَا خَمْسُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ؟ أَتُهَلَّكُونَهُمْ؟ قالُوكُمْ: لا. قال: فَأَرِبَعُونَ؟ قالُوكُمْ: لا. قال: ثَلَاثُونَ؟ قالُوكُمْ: لا. قال: عَشْرُونَ؟ قالُوكُمْ: لا. قال: فَإِنْ كَانَ فِيهَا عَشْرَةً - أَوْ خَمْسَةً، شَكُّ حُمَيْدٍ - قالُوكُمْ: لا<sup>(١)</sup>. قال قَتَادَةُ نَحْوًا مِنْهُ، قال: فَقَالَ يَعْنِي إِبْرَاهِيمَ: قَوْمٌ لَيْسَ فِيهِمْ عَشْرَةً مِنَ الْمُسْلِمِينَ لَا خَيْرٌ فِيهِمْ<sup>(٢)</sup>. وَقَيْلٌ: إِنَّ إِبْرَاهِيمَ قَالَ: أَرَأَيْتُمْ إِنْ كَانَ فِيهَا رَجُلٌ مُسْلِمٌ، أَتُهَلَّكُونَهَا؟ قالُوكُمْ: لا. فَقَالَ إِبْرَاهِيمَ عَنْ ذَلِكَ: **﴿وَإِنْ فِيهَا لُوطًا فَأَلْوَأُوهُمْ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَتَنْهِيْسُهُمْ وَأَهْلَهُمْ إِلَّا امْرَأَتُهُ كَانَتْ مِنَ الْفَدِيْنَ﴾** [العنكبوت: ٣٢].

وقال عبد الرحمن بن سمرة: كانوا أربع مئة ألف. ابن جُريج: وكان في قرى قوم لوط أربعة آلاف ألف<sup>(٣)</sup>.

ومذهب الأخفش والكسائي أن **﴿يُجَادِلُنَا﴾** في موضع **﴿جَادَلُنَا﴾**. قال النحاس<sup>(٤)</sup>: لَمَّا كَانَ جَوَابُ **﴿الَّمَّا﴾** يُجُبُّ أَنْ يَكُونَ بِالْمَاضِي جُعْلَ الْمُسْتَقْبَلُ مَكَانَهُ، كَمَا أَنَّ الشَّرْطَ يُجُبُّ أَنْ يَكُونَ بِالْمُسْتَقْبَلِ، فَجُعْلَ الْمَاضِي مَكَانَهُ، وَفِيهِ جَوَابٌ آخَرُ: أَنْ يَكُونَ **﴿يُجَادِلُنَا﴾** في موضع الحال؛ أي: أَقْبَلَ **﴿يُجَادِلُنَا﴾**، وَهَذَا قَوْلُ الْفَرَاءِ<sup>(٥)</sup>.

**﴿لَأَنَّ لَيْزَهِمْ لَتَلِيمْ لَأَوَّهَ شَنِيبَ﴾** تقدُّم في **﴿بِرَاءَة﴾**<sup>(٦)</sup> معنى **﴿لَأَوَّهَ حَلِيم﴾**. والمنيب: **الرَّاجِعُ**<sup>(٧)</sup>، يقال: أنا بـ: إذا رجع. وإِبْرَاهِيمُ<sup>(٨)</sup> كان راجعاً إلى الله تعالى في أمره

(١) أخرجه ابن أبي شيبة ١١/٥٢٣ - ٥٢٤ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٦/٢٠٥٧ (١١٠٣٧).

(٢) تفسير عبد الرزاق ٢/٣٠٨.

(٣) أخرجه الطبراني في تفسيره ١٢/٤٩٢.

(٤) في إعراب القرآن ٢/٢٩٥.

(٥) في معاني القرآن له ٢/٢٣.

(٦) في ١٠/٤٠١ - ٤٠٤.

(٧) مجاز القرآن لأبي عبيدة ١/٢٩٣ ، وتفسير أبي الليث ٢/١٣٦.

كُلُّهَا<sup>(١)</sup>. وقيل: الأواه: المتأوه أَسْفًا على ما قد فات قوماً لوط من الإيمان. قوله تعالى: ﴿يَا بَنِي إِثْرَى هُمْ أَغْرِضُ عَنْ هَذَا﴾ أي: دَعَ عنكِ الْجِدَالَ فِي قَوْمٍ لَوْطٍ . ﴿إِنَّهُمْ قَدْ جَاءُهُ أَمْرٌ رَبِّكَ﴾ أي: عذابه لهم . ﴿وَإِنَّهُمْ مَا تَهْمِمُ﴾ أي: نازلٌ بهم . ﴿عَذَابٌ غَيْرُ مَرْدُودٍ﴾ أي: غَيْرُ مصروفٍ عنهم ولا مدفوع<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَتِ رُسُلُنَا لُوكَا يَوْمَ يَوْمٍ وَصَافَ بِهِمْ دُرَّعًا وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبَتِ﴾ <sup>W</sup> وَجَاءَهُ قَوْمُهُ مِيرَعُونَ إِلَيْهِ وَمَنْ قَبْلُ كَانُوا يَعْمَلُونَ الْسَّيِّئَاتِ قَالَ يَهْقُولُهُمْ هَذِلَّةٌ بَنَاتِي هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ فَأَنْقَوْهُمُ اللَّهُ وَلَا يُخْرُونَ فِي ضَيْفَيْنِ أَلِيَّسْ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَشِيدٌ﴾ <sup>W</sup> قَالُوا لَقَدْ عِلْمَتْ مَا لَنَا فِي بَنَاتِكَ مِنْ حَقٍّ وَلَنَكَ لَعْلَكَ مَا تُرِيدُ<sup>W</sup> قَالَ لَوْ أَنَّ لِي يُكْثُرُ قُوَّةً أَوْ مَوْعِدًا إِلَى زَكِّي شَدِيدٍ<sup>W</sup> قَالُوا يَلْتُُطُ إِنَا رُسُلُ رَبِّكَ لَنْ يَصْلُوَا إِلَيْكَ فَأَسْرِي بِأَهْلِكَ يَقْطِعُ بَنَانِ الْأَتَّيلِ وَلَا يَلْتَفِتُ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا أَمْرَأُكَ إِنَّهُ مُصَيْبَهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الْشَّيْبُ أَلِيَّسْ الشَّيْبُ يَقْرِبُ<sup>W</sup> فَلَمَّا جَاءَهُمْ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَلَيْهَا سَاقِلَاهَا وَأَنْطَزْنَا عَيْنَاهَا حِجَارَةً مِنْ سِجْلٍ مَنْضُودٍ<sup>W</sup> مُسَوَّمَةً عَنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّلَّابِينَ يَبْعِيدُ<sup>W</sup>

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَاءَتِ رُسُلُنَا لُوكَا يَوْمَ يَوْمٍ﴾ لما خرجت الملائكة من عند إبراهيم - وكان بين إبراهيم وقرية لوط أربعة فراسخ - بصرت بنتاً لوط وهما تستقيان بالملائكة ورأينا هيئة حسنة، فقالنا: ما شأنكم؟ ومن أين أقبلتم؟ قالوا: من موضع كذا، نريد هذه القرية، قالت: فإنَّ أهلها أصحاب الفواحش، فقالوا: أَيْهَا مَنْ يُضيِّفُنَا؟ قالت: نعم، هذا الشَّيْبُ، وأشارتا إلى لوط، فلما رأى لوط هيئتْهُمْ خاف قومه عليهم<sup>(٣)</sup>.

﴿يَوْمَ يَوْمٍ﴾ أي: ساءه مجئهم<sup>(٤)</sup> ، يقال: ساءه يسوءه، فهو لازم، وساءه يسوءه،

(١) إعراب القرآن للنحاس ٢/٢٩٥.

(٢) تفسير أبي الليث ١٣٦/٢ ، وتفسير البغوي ٢/٣٩٤.

(٣) الكلام بنحوه في تفسير أبي الليث ١٣٦/٢.

(٤) تفسير الطبرى ٤٩٤/١٢ ، ومعانى القرآن للنحاس ٣/٣٦٦.

فهو متعدّ أيضاً<sup>(١)</sup> ، وإن شئت ضممت السين؛ لأنّ أصلها الضم، والأصل: سُوى بهم مِن السوء، قُلْبَت حركة الواو على السين فانقلبت ياء، وإن حففت الهمزة أقيمت حركتها على الياء، فقلت: «سيّ بهم» مخفقاً، ولغة شاذة بالتشديد<sup>(٢)</sup>.

**﴿وَضَاقَ إِيمَانُهُ ذَرْعَاهُ﴾** أي: ضاق صدره بمحبتهما، وكرهه. وقيل: ضاق وسنه وطاقةه. وأصله أن يذرع البعير بيديه في سيره ذرعاً على قدر سعة حظوه، فإذا حُمِل على أكثر من طاقةه ضاق عن ذلك، وضُعِفت وُدُّ عنقه<sup>(٣)</sup> ، فضيق الذرع عبارة عن ضيق الوضع. وقيل: هو مِن: ذرعه القيء، أي: غلبه، أي: ضاق عن حبيه المكرورة في نفسه<sup>(٤)</sup> ، وإنما ضاق ذرعه بهم لِمَا رأى مِن جمالهم، وما يعلمُ من فسق قومه<sup>(٥)</sup>.

**﴿وَقَالَ هَذَا يَوْمٌ عَصِيبٌ﴾** أي: شديد في الشر<sup>(٦)</sup> . وقال الشاعر:

إِنَّكَ إِلَّا تُرضِّي بَكْرَ بْنَ وَائِلٍ      يَكْنُ لَكَ يَوْمٌ بِالْعَرَاقِ عَصِيبُ<sup>(٧)</sup>  
وقال آخر:

يَوْمٌ عَصِيبٌ يَعِصِّي الْأَبْطَالَ      عَصِيبَ الْقَوِيِّ السَّلَمَ الطَّوَالَ<sup>(٨)</sup>  
ويقال: عصيّ وعصيّ على التكثير، أي: مكرورة مجتمع الشر، وقد عصيّ؛  
أي: عصيّ بالشر عصابة، ومنه قيل: عصبة وعصابة، أي: مجتمع الكلمة، أي:

(١) ينظر تفسير الرازي . ٣١ / ١٨ .

(٢) إعراب القرآن للتحفاص . ٢٩٥ / ٢ .

(٣) تهذيب اللغة . ٣١٦ / ٢ .

(٤) ينظر زاد المسير . ١٣٦ / ٤ .

(٥) ينظر تفسير البغوي . ٣٩٤ / ٢ .

(٦) مجتمع البيان . ١٩٤ / ١٢ .

(٧) قائله عتبان بن أصيلة - ويقال: وصيلة - الشيباني، وهو في الاشتقاد لابن دريد ص ٣٥٩ ومعجم الشعراء للمزرياني ص ١٠٨ .

(٨) هو في مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢٩٤ / ١ ، وتفسير الطبرى ٤٩٨ / ١٢ . والسلّم: شجر من العصاية (الشوك). الصحاح (سلم).

مجتمعون في أنفسهم. وعَصَبَةُ الرَّجُلِ: المجتمعون معه في النَّسَبِ، ونَعْصَبُ لِفَلَانِ: صِيرُتُ كَعَصَبَتِهِ، وَرَجُلٌ مَعْصُوبٌ، أي: مجتمعُ الْخَلْقِ.

قوله تعالى: ﴿وَجَاءُهُ قَوْمٌ بِهَرَعَوْنَ إِلَيْهِ﴾ في موضع الحال<sup>(١)</sup>. «يُهَرَّعُونَ» أي: يُسرعون. قال الكسائي والفراء وغيرهما من أهل اللغة: لا يكون الإهراع إلا إسراعاً<sup>(٢)</sup> مع رعدة، يقال: أَهْرَعَ الرَّجُلُ إِهْرَاعًا، أي: أسرع في رِغْدَةٍ من بَرْدٍ أو غضب أو حُمَّى، وهو مُهَرَّعٌ<sup>(٣)</sup>، قال مهليل:

فَجَاؤُوا يُهَرَّعُونَ وَهُمْ أَسَارِي نَقْوَدُهُمْ عَلَى رَغْمِ الْأَنْوَافِ<sup>(٤)</sup>

وقال آخر:

### بِمُفَجَّلَاتِ نَحْوِهِ مَهَارَعٌ<sup>(٥)</sup>

وهذا مثل: أولئك فلان بالأمر، وأرعد زيد، وزُهَي فلان. وتجيء ولا تستعمل إلا على هذا الوجه. وقيل: أهرع، أي: أَهْرَعَهُ حِرْصُهُ<sup>(٦)</sup>، وعلى هذا «يُهَرَّعُونَ» أي: يُسْتَحْثُونَ عليه<sup>(٧)</sup>. ومن قال بالأول قال: لم يُسمِّن إلا أَهْرَعَ الرَّجُلُ، أي: أسرع، على لفظ ما لم يُسمِّ فاعله<sup>(٨)</sup>. قال ابن القوطيّة<sup>(٩)</sup>: هُرَعَ الإنسان هَرَعاً، وأَهْرَعَ: سَيِّقَ واستُعِجلَ. وقال الهروي<sup>(١٠)</sup>: يقال: هُرَعَ الرَّجُلُ وأَهْرَعَ، أي: استُحِثَّ<sup>(١١)</sup>. قال ابن

(١) إعراب القرآن للتحاسن ٢٩٥/٢ ، وما قبله منه.

(٢) في النسخ الخطية: سراغاً، والمثبت من (م).

(٣) ينظر تهذيب اللغة ١٤١/١ ، والنكت والعيون ٤٨٨/٢ ، وزاد المسير ٤/١٣٧ .

(٤) تفسير الطبراني ٥٠٠/١٢ ، وتهذيب اللغة ١٤١/١ ، والمحرر الوجيز ١٩٤/٣ .

(٥) هو في مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢٩٤/١ ، وتفسير الطبراني ١٢/٤٩٩ .

(٦) تفسير الرازى ١٨/٣٢ .

(٧) مجاز القرآن لأبي عبيدة ٢٩٤/١ ، وفيه: يُسْتَحْثُونَ إِلَيْهِ.

(٨) تفسير غريب القرآن لابن قتيبة ٢٠٦/١ ، والصحاح (هرع).

(٩) محمد بن عمر بن عبد العزيز الأندلسى، القرطبي، النحوى، أَلْفَ (تصاريف الأفعال)، وصنف تاريخاً في أخبار الأندلس. توفي سنة (٣٦٧هـ). السير ٢١٩/١٦ .

(١٠) ينظر تهذيب اللغة ١٤١/١ .

عباس وقادة والستي: «يُهْرِعُونَ»: يُهُرولون. الضحاك: يَسْعَونَ. ابن عَيْنَةَ: كَانُوهُمْ يُدْفَعُونَ. وقال شِمْرُ بْنُ عَطِيَّةَ: هُوَ مُشَيْيٌ بَيْنَ الْهَرْوَلَةِ وَالْجَمَزِ<sup>(١)</sup>. وقال الحسن: مُشَيْيٌ بَيْنَ مُشَيْيَنَ<sup>(٢)</sup>، والمُعْنَى مُتَقَارِبٌ.

وكان سبب إسراعهم ما رُويَ أَنَّ امرأةً لوط الكافرة، لَمَّا رَأَتِ الأَضِيافَ وَجَمَالَهُمْ وَهِيَتَهُمْ، خَرَجَتْ حَتَّى أَتَتْ مَجَالِسَ قَوْمِهَا، فَقَالَتْ لَهُمْ: إِنَّ لَوْطًا قد أَضَافَ اللَّيْلَةَ فِتْيَةً مَا رُتِئَ مِثْلُهُمْ جَمَالًا، وَكَذَا وَكَذَا، فَحِيتَنْ جَاؤُوا يُهْرَعُونَ إِلَيْهِ<sup>(٣)</sup>.  
وَيُذَكَّرُ أَنَّ الرَّسُولَ لَمَّا وَصَلُوا إِلَى بَلْدِ لَوْطٍ وَجَدُوا لَوْطًا فِي حَرْبٍ لَهُ. وَقِيلَ: وَجَدُوا ابْنَتَهُ تَسْتَقِي مَاءً مِنْ نَهْرِ سَدُومَ<sup>(٤)</sup>، فَسَأَلُوهَا الدَّلَالَةُ عَلَى مَنْ يُضِيفُهُمْ، وَرَأَتْهُمْ فَخَافَتْ عَلَيْهِمْ مِنْ قَوْمٍ لَوْطًا، وَقَالَتْ لَهُمْ: مَكَانُكُمْ! وَذَهَبَتْ إِلَى أَبِيهَا فَأَخْبَرَتْهُ، فَخَرَجَ إِلَيْهِمْ، فَقَالُوا: نَرِيدُ أَنْ تُضِيفَنَا اللَّيْلَةَ، فَقَالَ لَهُمْ: أَوْ مَا سَمِعْتُمْ بِعَمَلِ هُؤُلَاءِ الْقَوْمِ؟ فَقَالُوا: مَا عَمِلُوهُمْ؟ فَقَالَ: أَشْهُدُ بِاللهِ إِنَّهُمْ لَشَرُّ قَوْمٍ فِي الْأَرْضِ - وَقَدْ كَانَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ قَالَ لِمَلَائِكَتِهِ: لَا تُعَذِّبُوهُمْ حَتَّى يَشْهُدَ لَوْطٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ - فَلَمَّا قَالَ لَوْطٌ هَذِهِ الْمَقَالَةُ، قَالَ جَبَرِيلُ لِأَصْحَابِهِ: هَذِهِ وَاحِدَةٌ، وَتَرَدَّدَ الْقَوْلُ بَيْنَهُمْ حَتَّى كَرَرَ لَوْطٌ الشَّهَادَةَ أَرْبَعَ مَرَاتٍ، ثُمَّ دَخَلَ بَيْنَهُمْ الْمَدِينَةَ<sup>(٥)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَمَنْ قَبْلُ﴾ أي: ومن قبل مجيء الرَّسُولِ<sup>(٦)</sup>. وقيل: من قبل لوط<sup>(٧)</sup>.

(١) أخرج هذه الأقوال الطبرى /١٢ - ٥٠١ . والجمزى: ضربٌ من السير سريع. النهاية (جمز).

(٢) تفسير البغوى /٢ - ٣٩٥ .

(٣) المحرر الوجيز /٣ - ١٩٤ . وأخرجه الطبرى /١٢ - ٥٠٤ عن ابن إسحاق بنحوه.

(٤) قال الأزهري في تهذيب اللغة /١٢ - ٣٧٤ : سدوم: مدينة من مدن آن قوم لوط، كان قاضيها يقال له: سدوم. قال أبو حاتم في كتاب المُزاَل والمُفَسَّد: إنما هو سدوم، بالذال، والدال خطأ. قال الأزهري: وهذا عندي هو الصحيح. اهـ. قلنا: يضرب المثل بجور قاضيها، فيقال: أجور من قاضي سدوم. معجم البلدان /٣ - ٢٠٠ .

(٥) المحرر الوجيز /٣ - ١٩٣ . وأخرجه الطبرى /١٢ - ٤٩٦ عن قادة والستى.

(٦) تفسير الطبرى /١٢ - ٥٠٢ ، وتفسير البغوى /٢ - ٣٩٥ .

(٧) تفسير أبي الليث /٢ - ١٣٦ .

**﴿كَافُوا يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ﴾** أي: كانت عادُهم إتِيَانَ الرِّجَالِ. فلما جاؤُوا إِلَى لَوْطٍ وَقَصَدُوا أَصْبَابَهُ قَامَ إِلَيْهِمْ لَوْطٌ مُدَافِعًا<sup>(١)</sup>، وَقَالَ: **﴿هَؤُلَاءِ بَنَاتِي﴾** ابْتِدَاءٌ وَخَبْرٌ<sup>(٢)</sup>. وَقَدْ اخْتَلَفَ فِي قَوْلِهِ: **﴿هَؤُلَاءِ بَنَاتِي﴾** فَقِيلَ: كَانَ لَهُ ثَلَاثٌ بَنَاتٍ مِنْ صُلْبِهِ. وَقِيلَ: بَنَاتٌ زَيْتَا وَزَعُورَاءَ، فَقِيلَ: كَانَ لَهُمْ سَيِّدٌ مُطَاعَانٌ، فَأَرَادَ أَنْ يَزُوْجَهُمَا ابْنَتِهِ<sup>(٣)</sup>. وَقِيلَ: نَذَبُوهُمْ فِي هَذِهِ الْحَالَةِ إِلَى النِّكَاحِ، وَكَانَتْ سُتُّهُمْ جَوَازَ نِكَاحِ الْكَافِرِ الْمُؤْمِنَةِ<sup>(٤)</sup>، وَقَدْ كَانَ هَذَا فِي أُولَى الْإِسْلَامِ جَائِزًا ثُمَّ نُسِخَ، فَزُوْجَ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ بَنَاتُهُ لَهُ مِنْ عُتْبَةَ بْنِ أَبِي لَهَبٍ، وَالْأُخْرَى مِنْ أَبِي الْعَاصِ بْنِ الْرَّبِيعِ قَبْلَ الْوَحْيِ، وَكَانُوكَافِرِيْنَ<sup>(٥)</sup>.

وَقَالَتْ فَرْقَةٌ - مِنْهُمْ مُجَاهِدٌ وَسَعِيدُ بْنُ جُبَيرٍ - أَشَارَ بِقَوْلِهِ: **﴿بَنَاتِي﴾** إِلَى النِّسَاءِ جَمْلَةً، إِذْ نَبِيَّ الْقَوْمِ أَبَّ لَهُمْ، وَيَقُوْيُ هَذَا أَنَّ فِي قِرَاءَةِ ابْنِ مُسْعُودٍ: **﴿النَّبِيُّ أَوْلَى** بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أَمْهَاتُهُمْ وَهُوَ أَبُّ لَهُمْ<sup>(٦)</sup>.

وَقَالَتْ طَائِفَةٌ: إِنَّمَا كَانَ الْكَلَامُ مُدَافِعَةً، وَلَمْ يُرِدْ إِمْضَاءَهُ، رُوِيَّ هَذَا القَوْلُ عَنْ أَبِي عَبِيدَةَ، كَمَا يُقَالُ لِمَنْ يُنْهَى عَنْ أَكْلِ مَالِ الْغَيْرِ: الْخَنَزِيرُ أَحَلُّ لَكَ مِنْ هَذَا<sup>(٧)</sup>.

(١) المحرر الوجيز ١٩٤/٣ .

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٢٩٥/٢ .

(٣) مجمع البيان ١٩٧/١٢ .

(٤) المحرر الوجيز ١٩٤/٣ .

(٥) تفسير البغوي ٣٩٥/٢ . وَحَدِيثُ تزوِيجِ النَّبِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مِنْ عُتْبَةَ بْنِ أَبِي لَهَبٍ أَخْرَجَهُ الطَّبَرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ ٤٣٤/٢٢ (١٠٥٦) وَفِيهِ: ... فَلَمَّا أَنْزَلَ اللَّهُ تَبارُكُ وَتَعَالَى: **﴿تَبَّأَتْ يَمَّا أَبَّ لَهُمْ﴾** سَأَلَ النَّبِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عُتْبَةً طَلاقَ رُقِيَّةَ، وَسَأَلَتْهُ رُقِيَّةُ ذَلِكَ، فَطَلَّقَهَا، فَتَزَوَّجَ عُثْمَانَ رُقِيَّةَ وَتَوْفَيَتْ عَنْهُ. اهـ وَذَكَرَ الْحَافِظُ ابْنُ حَمْرَةَ فِي الْفَتْحِ ٧/٨٦ أَنَّ عُتْبَةَ تَزَوَّجَ رُقِيَّةَ قَبْلَ عُثْمَانَ وَلَمْ يَدْخُلْ بَهَا، فَأَمْرَهُ أَبُوهُ بِمَفَارِقَهَا فَقَارَقَهَا.

وَحَدِيثُ تزوِيجِ النَّبِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ مِنْ أَبِي الْعَاصِ بْنِ الْرَّبِيعِ قَبْلَ أَنْ يُسْلِمَ، أَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدِرِكِ ٢٣٦/٣ ، وَقَدْ ترجمَ الْبَخَارِيُّ قَبْلَ الْحَدِيثِ (٣٧٢٩): بَابُ ذِكْرِ أَصْهَارِ النَّبِيِّ، مِنْهُمْ أَبُو الْعَاصِ بْنُ الْرَّبِيعِ. اهـ وَوُلِدَتْ لَهُ أُمَّةً، وَهِيَ الَّتِي كَانَ النَّبِيُّ يَحْمِلُهَا وَهُوَ يَصْلِيُّ، كَمَا فِي الْحَدِيثِ الْمُشْهُورِ.

(٦) آخرجه الطبرى ١٢/٥٠٤ - ٥٠٢ . وَقِرَاءَةُ ابْنِ مُسْعُودٍ فِي الْقِرَاءَاتِ الشَّاذَةِ صِ ١١٩ .

(٧) المحرر الوجيز ١٩٤/٣ ، وَقَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ: وَهَذَا التَّنْطُلُ لَيْسَ مِنْ كَلَامِ الْأَنْبِيَاءِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

وقال عِكرمة: لم يعرضن عليهم بناه ولا بناة أُمّته، وإنما قال لهم هذا لينصرفوا<sup>(١)</sup>. قوله تعالى: «هُنَّ أَطْهَرُ لَكُمْ» ابتداء وخبر، أي: أَزْرَ جَكْمُوهُنَّ، فهو أَطْهَرُ لَكُمْ مما تريدون، أي: أَحَلُّ. والتَّطْهُرُ التَّنْزِهُ عَمَّا لَا يَحِلُّ. وقال ابن عباس: كان رؤساً لهم خطبوا بناه فلم يُجِبُهم<sup>(٢)</sup>، وأراد ذلك اليوم أن يفدي أضيافه ببناته.

وليس أَلِفُ «أَطْهَرُ» للتفضيل حتى يتوهم أنَّ في نكاح الرجال<sup>(٣)</sup> طهارة، بل هو كقولك: الله أَكْبَرُ وأَعْلَى وأَجْلُ، وإن لم يكن تفضيلاً؛ وهذا جائز شائع في كلام العرب، ولم يُكَابِرِ اللَّهُ تَعَالَى أَحَدٌ حتَّى يكون اللَّهُ تَعَالَى أَكْبَرَ منه. وقد قال أبو سفيان ابن حرب يوم أحد: أَغْلُبُ هُبَلٌ، فقال النبي ﷺ لعمر: «قل: الله أَعْلَى وأَجْلٌ». وهبَل لم يكن قُطُّ عالياً ولا جليلاً<sup>(٤)</sup>.

وقرأ العامة برفع الراء. وقرأ الحسن وعيسي بن عمر: «هُنَّ أَطْهَرَ» بالنصب على الحال<sup>(٥)</sup>. و«هُنَّ» عماد. ولا يُجِيزُ الخليل وسيبوه والأخفش أن يكون «هُنَّ» هاهنا عماداً، وإنما يكون عماداً فيما لا يبيِّنُ الكلامُ إِلَّا بِمَا بَعْدِهَا، نحو: كان زيدٌ هو أخاك، لتدلُّ بها على أَنَّ الْأَخَّ ليس بمنعت<sup>(٦)</sup>. قال الزجاج<sup>(٧)</sup>: ويدلُّ بها على أَنَّ «كان» تحتاج إلى خبر. وقال غيره: يدلُّ بها على أَنَّ الخبر معرفة أو ما قاربها<sup>(٨)</sup>.

(١) معاني القرآن للتحاسن ٣٦٨/٣.

(٢) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ١٩٥/٣ بفتحه دون نسبة.

(٣) في النسخ: النساء، وهو خطأ.

(٤) ينظر تفسير الرازمي ٣٣/١٨ ، والحديث أخرجه البخاري مطولاً من حديث البراء بن عازب ﷺ، وسلف ٣٥٩ - ٣٥٨/٥.

(٥) القراءات الشاذة ص ٦٠ ، والمحتب ١/٣٢٥ ، والمحرر الوجيز ١٩٤/٣.

(٦) إعراب القرآن للتحاسن ٢٩٦/٢ ، وينظر قول الخليل وسيبوه في الكتاب ٣٩٧/٢ ، وقول الأخفش في معاني القرآن له ٥٨١/٢.

(٧) في معاني القرآن له ٦٧/٣ ، ونقله المصطف عنه بواسطة التحاسن في إعراب القرآن ٢٩٦/٢.

(٨) في (م): قارنها.

قوله تعالى: ﴿فَاتَّقُوا اللَّهَ وَلَا تُخْرِجُونَ فِي صَنْفِي﴾ أي: لا تُهينوني ولا تُذلُّوني، ومنه قول حسان:

فأخراك ربِّي يا عُتبَيْ بْنَ مَالِكِ  
ولقَاكَ قَبْلَ الْمَوْتِ إِحْدَى الصَّوَاعِقِ  
مَدَدْتَ يَمِينًا لِلنَّبِيِّ تَعْمَدًا  
وَدَمَّيْتَ فَاهُ قُطِّعْتَ بِالْبَوَارِقِ<sup>(١)</sup>  
ويجوزُ أن يكون من الخزَاية؛ وهو الحباء والخجل، قال ذو الرُّمة:  
خَزَايَةً أَدْرَكْتَهُ بَعْدَ جُولَتِهِ  
من جانِبِ الْحَبْلِ مُخْلُوطًا بِهَا الغَضْبُ<sup>(٢)</sup>  
وقال آخر:

مِنَ الْبِيْضِ لَا تَخْرِي إِذَا الْرِبْعُ أَصْقَتْ  
بِهَا مِرْظَهَا أَوْ زَائِلَ الْحَلْيَيْ جِيدُهَا<sup>(٣)</sup>  
وَضَيْفٌ يَقْعُ لِلثَّانِيْنِ وَالْجَمِيعِ عَلَى لَفْظِ الْوَاحِدِ؛ لِأَنَّهُ فِي الْأَصْلِ مَصْدَرٌ<sup>(٤)</sup>، قَالَ  
الشاعِرُ:

لَا تَعْدَمِي الدَّهْرَ شِفَارَ الْجَازِيرِ لِلضَّيْفِ وَالضَّيْفُ أَحَقُّ زَائِرِ<sup>(٥)</sup>  
وَيَجُوزُ فِيهِ التَّشْنِيَةُ وَالْجَمْعُ<sup>(٦)</sup>، وَالْأَوَّلُ أَكْثَرُ كَوْلُكَ: رَجَالُ صَوْمٍ وَفَطَرٍ وَرَوْرَ.  
وَخَزِيَ الرَّجُلُ خَزَايَةً، أَيْ: اسْتَحِيَا<sup>(٧)</sup>، مَثْلُ: ذَلَّ وَهَانَ. وَخَزِيَ خَزِيًّا إِذَا افْتَضَحَ،  
يَخْرِي فِيهِمَا جَمِيعًا<sup>(٨)</sup>.

(١) ديوان حسان ص ٣٤٧ - ٣٤٨ ، وفيه: بسطَتْ، بدل: بسطَتْ، مدَدَتْ، وبرمية، بدل: تعْمَدًا، وفادمت، بدل: وَدَمَّيْتَ.

(٢) ديوان ذي الرمة ١٠٣/١ ، وينظر تهذيب اللغة ٤٩١/٧ .

(٣) قاله ابن الدِّمِيْنَة، وهو في ديوانه ص ٥٢ وفيه: أَلْزَقْتَ، بدل: الصَّقْتَ، ونسبة التَّرْبُبَانِي في معجم الشعراه ص ١٣٤ لعلي بن حسان البكري، وفيه: درعها، بدل: مرطها، ونسبة البكري في سمعط اللالن ١٠٨/١ للحسين بن مطير.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٢٩٦/٢ ، وينظر البيان لأبي البركات الأنباري ٢٥/٢ .

(٥) لم تقف على قوله، وهو في فتح التدبر ٥١٤/٢ .

(٦) إعراب القرآن للنحاس ٢٩٦/٢ .

(٧) ينظر تفسير الرازي ١٨/٣٤ .

(٨) ينظر تهذيب اللغة ٤٩١/٧ - ٤٩٢ .

ثم وبَخْهُم بقوله: **﴿أَلَيْسَ مِنْكُمْ رَجُلٌ رَّشِيدٌ؟﴾**<sup>(١)</sup> أي: شديدٌ يأمر بالمعروف وينهى عن المنكر. وقيل: «رشيد» أي: ذو رشد. أو بمعنى راشد أو مرشد، أي: صالح أو مصلح. ابن عباس: مؤمن. أبو مالك: ناٍ عن المنكر. وقيل: الرشيد بمعنى الرشد، والرشد والرشاد: الهدى والاستقامة. ويجوز أن يكون بمعنى المرشد، كالحكيم بمعنى المُحَكَّم<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: **﴿فَالَّذِي لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَكُمْ فِي بَنَائِكُمْ مِنْ حَقٍ﴾** روٰي أنَّ قوماً لو ط خطبوا بناته فردهم، وكانت ستهُم أنَّ مِنْ رُدٍّ في خطبة امرأة لم تَحُلْ له أبداً، فذلك قوله تعالى: **﴿فَالَّذِي لَقَدْ عَلِمْتَ مَا لَكُمْ فِي بَنَائِكُمْ مِنْ حَقٍ﴾** وبعد أن تكون هذه الخاصية<sup>(٣)</sup>. فوجة الكلام أنه ليس لنا إلى بناتك تعلق، ولا هنَّ قضدنا، ولا لنا عادة نطلب ذلك<sup>(٤)</sup>. **﴿وَلَنَّكَ لَعْلَكَ مَا تُرِيدُ﴾** إشارة إلى الأضياف.

قوله تعالى: **﴿فَقَالَ لَوْ أَنَّ لِي يُكْثُرْ قُوَّةً﴾** لما رأى استمرارَهم في غيّهم، وضعفَت عنهم، ولم يقدِّرْ على دفعهم، تمنى لو وجد عوناً على ردهم، فقال على جهة التفجُّع والاستكانة: **﴿كَوَ أَنَّ لِي يُكْثُرْ قُوَّةً﴾**<sup>(٥)</sup> أي: أنصاراً وأعواناً. وقال ابن عباس: أراد الولد<sup>(٦)</sup>.

و«أنَّ» في موضع رفع بفعل مضمر، تقديره: لو اتفق أو وقع. وهذا يطرد في «أنَّ» التابعة لـ«لو». وجوابُ «لو» ممحونٌ<sup>(٧)</sup>، أي: لرددتُ أهلَ الفساد، وحُلْتُ بينهم

(١) المحرر الوجيز ١٩٥/٣.

(٢) ينظر النكت والعيون ٤٨٩/٢ ، وتفسير البغوي ٣٥٩/٢ ، وزاد المسير ١٣٩/٤ .

(٣) في النسخ: وبعد ألا تكون هذه الخاصية. والمثبت من المحرر الوجيز ١٩٥/٣ ، والكلام منه.

(٤) في (د) و(ز) (ظ): ولكنها عادة نطلبها في ذلك، وفي (ف): ولا كنا عادة نطلب ذلك، والمثبت من (م) والمحرر الوجيز.

(٥) المحرر الوجيز ١٩٥/٣ .

(٦) النكت والعيون ٤٩٠/٢ .

(٧) المحرر الوجيز ١٩٥/٣ .

وبين ما يريدون.

**﴿أَوْ أَوْيَ إِنْ رَكِنْ شَدِيد﴾** أي: الجأ وأنضسي. وفُرئ: **﴿أَوْ آوِي﴾**<sup>(١)</sup> بالنصب عطفاً على «قرة»، كأنه قال: «لو أن لي بكم قرة» أو إيواء إلى ركن شديد، أي: وأن آوي، فهو منصوب بياضمار «أن». ومراد لوط بالرُّكِن العشيرة والمنعة بالكثرة<sup>(٢)</sup>.

وبلغ بهم قبيح فعلهم إلى قوله هذا مع علمه بما عند الله تعالى، فيروى أن الملائكة وَجَدْتُ عليه حين قال هذه الكلمات، وقالوا: إن ركتك لشديد.

وفي البخاري عن أبي هريرة أن رسول الله ﷺ قال: «يرحم الله لوطاً، لقد كان يأوي إلى ركن شديد» الحديث، وقد تقدم في «البقرة»<sup>(٣)</sup>. وخرجه الترمذى وزاد: «ما بعث الله بعده نبياً إلا في ثروة من قومه». قال محمد بن عمرو: والثروة: الكثرة والمنعة؛ حديث حسن<sup>(٤)</sup>.

ويروى أن لوطاً عليه السلام لما غلبه قومه، وهُمْوا بكسر الباب وهو يمسكه، قالت له الرُّسل: تنح عن الباب، فتنحى وانفتح الباب، فضرهم جبريل بجناحه فطمسَ أعينهم، وعموا وانصرفوا على أعقابهم يقولون: النجا<sup>(٥)</sup>، قال الله تعالى: **﴿وَلَقَدْ رَدَدْنَا عَنْ ضَيْقِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ﴾** [القمر: ٣٧].

وقال ابن عباس وأهل التفسير: أغلق لوظ بابه والملائكة معه في الدار، وهو يُناظر قومه ويناشدهم من وراء الباب، وهم يعالجون تسُرُّ الجدار؛ فلما رأت الملائكة ما لقي من الجهد والكرب والنصب بسببهم، قالوا: يا لوظ، إن ركتك

(١) القراءات الشاذة ص ٦٠ - ٦١ ، والمحتسب ١/ ٣٢٦ .

(٢) المحرر الوجيز ٣/ ١٩٥ .

(٣) ٤/ ٣١٠ .

(٤) سنن الترمذى (٣١١٦)، ومحمد بن عمرو: هو أبو عبد الله، ويقال: أبو الحسن، الليثي المدني، أحد رجال الإسناد.

(٥) المحرر الوجيز ٣/ ١٩٦ - ١٩٧ .

لشديد، وإنهم آتيم عذاباً غير مردود، وإنما رسول ربك؛ فافتتح الباب ودعنا وإياهم، ففتح الباب فضرهم جبريل بجناحه على ما تقدم. وقيل: أخذ جبريل قبضة من تراب فأدراها في وجوههم، فأوصل الله إلى عين من بعد ومن قرب من ذلك التراب فطمس أعينهم، فلم يعرفوا طريقاً، ولا اهتدوا إلى بيوتهم، وجعلوا يقولون: النجاة النجاة، فإن في بيت لوط قوماً هم أنسحرون على وجه الأرض، وقد سحرتنا فأعمموا أصواتنا. وجعلوا يقولون: يا لوط، كما أنت حتى نصبح فستري؟ يتوعدهن<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: «فَالْأُولُوْ يَلْتُوْطُ إِنَّا رُسْلُ رَبِّكَ» لما رأت الملائكة حزنه واضطرب به ومدافعته عرقوه بأنفسهم، فلما علم أنهم رسول مكن قومه من الدخول، فأمر جبريل عليه السلام يده على أعينهم فعموا، وعلى أيديهم فجفت. «لَنْ يَصْلُوْ إِلَيْكَ» أي: بمكره.

«فَأَسْرِيْ يَا مَهْلِكَ»، قرئ «فاسرى» بوصل الألف وقطعها، لغتان فصيحتان<sup>(٢)</sup>. قال الله تعالى: «وَأَتَيْلَ إِنَّا يَسْرِي» [الفجر: ٤] وقال: «سَبَحَنَ الَّذِي أَسْرَى» [الإسراء: ١] وقال النابغة - فجمع بين اللغتين -: أسرت عليه من الجوزاء سارية تُزجي الشمائل عليه جامدة البراء<sup>(٣)</sup>

و قال آخر<sup>(٤)</sup>: حَسِيْ النَّضِيرَةَ رَبَّةَ الْخَنْدِرِ أَسْرَتْ إِلَيْكَ وَلَمْ تَكُنْ تَسْرِي  
وقد قيل: «فأسري»؛ بالقطع: إذا سار من أول الليل، وسرى: إذا سار من آخره،

(١) عرائس المجالس ص ١٠٧ ، وتفسير البغوي ٣٩٦/٢ .

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٢٩٦/٢ ، وقرأ بوصل الهمزة من السبعة نافع وابن كثير وقرأ الباقيون بقطعها. السبعة ص ٣٣٨ ، والتيسير ١٢٥ .

(٣) ديوان النابغة الذبياني ص ٣١ وفيه: سرت، بدل: أسرت، وهو في المحرر الوجيز ١٩٦/٣ بلفظ المصطف.

(٤) هو حسان بن ثابت، والبيت مطلع قصيدة له في الديوان ص ٢٢٤ .

و لا يقال في النهار إلا : سار . وقال ليدي :  
إذا المرة أسرى ليلة ظنَّ أنَّهُ  
قضى عملاً والمرة ما عاش عامل<sup>(١)</sup>

وقال عبد الله بن رواحة :

عند الصباح يَخْمَدُ الْقَوْمُ السُّرَى وَتَنْجِلُّ عَنْهُمْ غَيَابَاتُ الْكَرَى<sup>(٢)</sup>  
﴿يَقْطَعُ مِنَ الظَّلَلِ﴾ قال ابن عباس : بطاقة من الليل . الضحاك : ببقية من الليل .  
فتادة : بعد مضي صدر من الليل<sup>(٣)</sup> . الأخفش : بعد جُنح من الليل . ابن الأعرابي :  
بساعة من الليل . وقيل : بظلمة من الليل<sup>(٤)</sup> . وقيل : بعد هذه من الليل . وقيل : هَزِيع من  
الليل . وكلها متقاربة .

وقيل : إنه نصف الليل ، مأخوذه من قطعه نصفين ، ومنه قول الشاعر :  
ونائحة تنوح بقطع ليل على رجل بقارعة الصعيد<sup>(٥)</sup>  
فإن قيل : السرى لا يكون إلا بالليل ، فما معنى «بقطع من الليل»؟ فالجواب : أنه  
لو لم يقل : «بقطع من الليل» جاز أن يكون أوله<sup>(٦)</sup> .

﴿وَلَا يَتَنَقَّتْ مِنْكُمْ أَحَدٌ﴾ أي : لا ينظر وراءه منكم أحد ، قاله مجاهد . ابن  
عباس : لا يتخلق منكم أحد . علي بن عيسى : لا يشتغل منكم أحد بما يُخْلِفه من مال

(١) النكت والعيون ٢/٤٩٠ . والبيت في ديوان ليدي ص ٢٥٤ .

(٢) الرجز في النكت والعيون ٢/٤٩٠ ، ونسب في الحيوان ٥٠٨/٦ لبكر بن عبد الله المعنزي ، وفي مجمع  
الأمثال ٣/٢ لخالد بن الوليد .

(٣) أورد هذه الأقوال البغوي ٢/٣٩٦ ، وقول ابن عباس رضي الله عنهما أخرجه الطبرى ١٢/٥٢٤ .

(٤) أورد هذا القول الواحدى في الوسيط ٢/٥٨٤ ونسبه لابن عباس رضي الله عنهما .

(٥) النكت والعيون ٢/٤٩١ ، والبيت أورده أبو بكر الأنباري في إيضاح الوقف والابتداء ١/٨٥ ،  
والسيوطى في الدر المنشور ٣/٣٤٥ ، والألوسى في روح المعانى ١٢/١٠٩ ونسيه لمالك بن كنانة  
بلغظ :

ونائحة تقوم بقطع ليل على رجل أهانته شعوب  
(٦) معانى القرآن للنحاس ٢/٢٩٦ .

أو متابع<sup>(١)</sup>.

**﴿إِلَّا أَمْرَاتُكُمْ﴾** بالنصب<sup>(٢)</sup>، وهي القراءة الواضحةُ البينَةُ المعنى، أي: فأسرِيَ أهْلِكُمْ إِلَّا امْرَاتُكُمْ. وكذا في قراءة ابن مسعود: «فَأَسْرِي أَهْلِكُمْ إِلَّا امْرَاتُكُمْ»<sup>(٣)</sup> فهو استثناءً من الأهل. وعلى هذا لم يخرج بها معه. وقد قال الله عزَّ وجلَّ: **﴿كَانَتْ مِنَ الْفَارِئِينَ﴾** [الأعراف: ٨٣] أي: من الباقيين. وقرأ أبو عمرو وابن كثير: **«إِلَّا امْرَاتُكُمْ»** بالرفع على البديل من «أحد». وأنكر هذه القراءة جماعةً منهم أبو عبيد، وقال: لا يصحُ ذلك إلا بفتح «يلتفت» ويكون نعتاً؛ لأنَّ المعنى يصير - إذا أبدلت وجذمت - أنَّ المرأة أبشع لها الالتفاتُ، وليس المعنى كذلك.

قال النحاس<sup>(٤)</sup>: وهذا الحَمْلُ من أبي عَبِيدٍ وغيره على مثلِ أبي عمرو مع جلالته ومَحَلِّه من العربية لا يجب أن يكون، والرفع على البديل له معنى صحيحٌ، والتَّأْوِيلُ له على ما حكى محمدُ بنُ الوليد<sup>(٥)</sup> عن محمدٍ بنِ يَزِيدَ أنَّ يَقُولُ الرَّجُلُ لِحَاجِهِ: لا يخرج فلانٌ، فلَفَظُ النَّهْيِ لِفَلانٍ، وَمَعْنَاهُ لِلْمُخَاطِبِ، أي: لا تَدْعُهُ يَخْرُجُ، ومثلُه قولُك: لا يَقُولُ أحدٌ إِلَّا زِيدٌ، يَكُونُ مَعْنَاهُ: إِنَّهُمْ عَنِ الْقِيَامِ إِلَّا زِيداً. وكذلك النَّهْيُ للوَطِيْلِ ولِفَظِهِ لغيره، كأنَّه قال: إِنَّهُمْ لَا يَلْتَفِتُونَ مِنْهُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَاتُكُمْ. ويجوز أن يكون استثناءً من النَّهْيِ عن الالتفاتِ لأنَّهُ كلامٌ تَامٌ، أي: لَا يَلْتَفِتُ مِنْكُمْ أَحَدٌ إِلَّا امْرَاتُكُمْ، فَإِنَّهَا تَلْتَفِتُ وَتَهْلِكُ، وَأَنَّ لَوْطًا خَرَجَ بِهَا، وَنَهَى مَنْ مَعَهُ مِنْ أَسْرِيَ بِهِمْ أَلَا يَلْتَفِتُ،

(١) النكٰت والعيون ٤٩١/٢ ، قوله مجاهد أخرجه الطبرى ٥٢٤/١٢ ، وقول ابن عباس رضي الله عنهما أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٠٦٥/٦ .

(٢) قرأ بها نافع وابن عامر وعاصر وحمزة والكسائي. السبعة ص ٣٣٨ ، والتيسير ص ١٢٥ .

(٣) ذكرها الطبرى ٥٢٥/١٢ . والكلام من إعراب القرآن للنحاس ٢٩٦/٢ .

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٢٩٧/٢ ، والكلام الذي قبله فيه بنحوه، وينظر البيان لأبي البركات الأنباري ٢٦/٢ .

(٥) المصري النحوي التميمي، يُعرف بولاد، قرأ كتاب سيبويه على المبرد. توفي سنة (٢٩٨هـ). إنما الرواية ٢٢٥/٣ .

فلم يلتفت منهم أحدٌ سوى زوجته، فإنها لما سمعت هذه العذاب التفت، وقالت: واقوماه، فأدركها حجر فقتلها<sup>(١)</sup>.

**﴿إِنَّهُ مُصِيبَهَا﴾** أي: من العذاب. والكتنائية في «إنه» ترجع إلى الأمر والشأن، أي: فإن الأمر والشأن والقصة<sup>(٢)</sup>.

**﴿مُصِيبَهَا مَا أَصَابَهُمْ إِنَّ مَوْعِدَهُمُ الصُّبُحُ﴾** لما قال الملائكة: **﴿إِنَّ مُهَلَّكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقُرْيَةِ﴾** [العنكبوت: ٣١] قال لوط: الآن الآن. استعجلهم بالعذاب لغطيه على قومه، فقالوا: **﴿أَلَيْسَ الصُّبُحُ بِقَرِيبٍ﴾**? وقرأ عيسى بن عمر: **﴿أَلَيْسَ الصُّبُحُ﴾** بضم الباء، وهي لغة<sup>(٣)</sup>. ويتحتمل أن يكون جعل الصبح ميقاتاً لهلاكهم؛ لأن النقوس فيه أودع، والناس فيه أجمع<sup>(٤)</sup>.

وقال بعض أهل التفسير: إن لوطاً خرج بابنته ليس معه غيرهما عند طلوع الفجر، وإن الملائكة قالت له: إن الله قد وَكَلَ بهذه القرية ملائكة معهم صوت رعد، وخطف برق، وصواعق عظيمة، وقد ذكرنا لهم أن لوطاً سيخرج فلا تؤذوه، وأمارته أنه لا يلتفت، ولا تلتفت ابنته فلا يهولنَّك ما ترى. فخرج لوطاً وطوى الله له الأرض في وقته حتى نجا ووصل إلى إبراهيم.

قوله تعالى: **﴿وَلَمَّا جَاءَهُمْ أَثْرَانَاهُمْ﴾** أي: عذابنا. **﴿جَعَلْنَا عَلَيْهَا سَاكِنَاهَا﴾** وذلك أن جبريل عليه السلام أدخل جناحه تحت قُرى قوم لوط، وهي خمس: سدوم - وهي القرية العظمى - وعامورا، ودادوما، وصعرة، وقتم<sup>(٥)</sup>، فرفعها من تخوم الأرض حتى أدنىها من السماء بما فيها، حتى سمع أهل السماء نهيق حُمُرهم وصياخ

(١) تفسير البغوي ٢/٣٩٦.

(٢) ينظر مجمع البيان ١٢/١٩٥.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٢/٢٩٧ ، وقراءة عيسى بن عمر في القراءات الشاذة ص ٦١.

(٤) النكث والعيون ٢/٤٩١ - ٤٩٢.

(٥) اختللت النسخ والمصادر في أسماء هذه القرى اختلافاً كبيراً ما عدا سدوم. وينظر المحرر ص ٤٦٧ ، والتعريف والإعلام للستهيلي ص ١٧٦ ، ومعجم البلدان ٢/٤١٨ و ٤١١/٣ و ٤١١/٤ و ٧١/٤.

ديكتهم، لم تنكفَ لهم جرّةً، ولم ينكسر لهم إناه، ثم نكسوا على رؤوسهم، وأتبعهم الله بالحجارة. مقاتل: أهلقت أربعة، وتجت صعرا. وقيل غير هذا، والله أعلم<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَأَنْعَزْنَا عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِنْ سِجِيلٍ﴾ دليل على أنّ من فعل فعلهم حكمه الرّجم، وقد تقدّم في «الأعراف»<sup>(٢)</sup>.

وفي التفسير: أمطرنا في العذاب، ومطرنا في الرحمة<sup>(٣)</sup>. وأما كلام العرب فيقال: مطرت السماء وأمطرت، حكاه الهروي<sup>(٤)</sup>.

واختُلِفَ في «السجّيل» فقال البخاري<sup>(٥)</sup>: السجّيل: الشديد الكثير، وسجّيل وسجين اللام والنون اختان. وقال أبو عبيدة<sup>(٦)</sup>: السجّيل الشديد، وأنشد:

ضَرِبَأَتَوَاصَى بِهِ الْأَبْطَالُ سِجِيلًا<sup>(٧)</sup>

قال النحاس<sup>(٨)</sup>: ورد عليه هذا القول عبد الله بن مسلم<sup>(٩)</sup> وقال: هذا سجين وذلك سجّيل، فكيف يستشهد به؟! قال النحاس: وهذا الرد لا يلزم، لأنّ أبي عبيدة ذهب إلى أن اللام تبدل من النون لقرب إحداهما من الأخرى، وقول أبي عبيدة يرمي من جهة أخرى، وهي أنه لو كان على قوله لكان حجارة سجيلاً؛ لأنّه لا يقال: حجارة من شديد؛ لأنّ شديداً نعمت.

وحكى أبو عبيد<sup>(١٠)</sup> عن الفراء<sup>(١١)</sup> أنه قد يقال لحجارة الأزحاء: سجّيل. وحكى

(١) عرائس المجالس ص ١٠٧ ، وتفسير البغوي ٣٩٦/٢ ، والمحرر الوجيز ١٩٧/٣ ، وسلف الكلام ٢٨٠/٩ .

(٢) ٢٧٤/٩ وما بعدها.

(٣) ينظر المحرر الوجيز ١٩٧/٣ .

(٤) تهذيب اللغة ٣٤١/١٣ .

(٥) في (م): النحاس، والكلام عند البخاري (٤٦٨٤) وينظر فتح الباري ٣٥١/٨ .

(٦) في مجاز القرآن ٢٩٦/١ .

(٧) سياقني ب تمامه قريباً.

(٨) في معاني القرآن ٣٧١ - ٣٧٠/٣ .

(٩) هو ابن قتيبة، وكلامه في تفسير غريب القرآن له ص ٢٠٨ .

(١٠) في (د) و(ز) و(ظ) و(م): أبو عبيدة، والمثبت من (ف) وهو الموافق لإعراب القرآن للنحاس ٢٩٧/٢ ، والكلام منه.

(١١) في معاني القرآن ٢٤/٢ .

عن محمد بن الجهم<sup>(١)</sup> أن سجيلاً طين يُطْبَح حتى يصير بمثابة الأرحااء.  
وقالت طائفه - منهم ابن عباس وسعيد بن جبير وابن إسحاق - إن سجيلاً لفظة  
غير عربية عربت، أصلها سنج وجيل. ويقال: سنك وكيل، بالكاف موضع الجيم،  
وهما بالفارسية حجر وطين؛ عربتهما العرب، فجعلتهما اسمًا واحداً. وقيل: هو من  
لغة العرب.

وقال قتادة وعكرمة: السجيل: الطين؛ بدليل قوله: ﴿لِتُرِسِّلَ عَلَيْهِمْ حِجَارَةً مِّنْ طِينٍ﴾ [الذاريات: ٣٣]. وقال الحسن: كان أصل الحجارة طيناً فشدّدت. والسعيل عند العرب  
كل شديد صلب. وقال الضحاك: يعني الآجر. وقال ابن زيد: طين طبّح حتى كان  
كالآجر، عنه أن سجيلاً اسم السماء الدنيا<sup>(٢)</sup>، ذكره المهدوي، وحكاه التعلبي عن  
أبي العالية، وقال ابن عطية<sup>(٣)</sup>: وهذا ضعيف يرده وصفه بـ«منضود». وعن عكرمة:  
أنه بحر معلق في الهواء بين السماء والأرض منه نزلت الحجارة<sup>(٤)</sup>. وقيل: هي جبال  
في السماء، وهي التي أشار الله تعالى إليها بقوله: ﴿وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مِنْ جِبَالٍ فِيهَا مِنْ  
بَرٍ﴾<sup>(٥)</sup> [النور: ٤٣]. وقيل: هو مما سُجّل لهم، أي: كتب لهم أن يُصيّبهم، فهو في  
معنى سجين، قال الله تعالى: ﴿وَمَا أَذَرْكَ مَا يَعْنِي كُتُبٌ مَّرْقُومٌ﴾ [المطففين: ٩-٨] قاله  
الزجاج<sup>(٦)</sup> واختاره. وقيل: هو فعل من سجلته، أي: أرسلته، فكانها مرسلة عليهم.  
وقيل: هو من أسجلته: إذا أعطيته، فكانه عذاباً أعطوه، قال:  
**مَنْ يُسَاجِلْنِي يُسَاجِلْ مَاجِدًا يَمْلأُ الدَّلْوَ إِلَى عَفْدِ الْكَرَبِ<sup>(٧)</sup>**

(١) أبي عبد الله السمرّي، الأديب، تلميذ الفراء وراويه. توفي سنة (٢٧٧هـ). السير ١٦٣/١٣.

(٢) تنظر هذه الأقوال في تفسير الطبراني ٥٢٦/١٢ - ٥٢٩ ، وتفسير البغوي ٢٩٧/٢ ، وزاد المسير ٤/١٤٤ .

(٣) في المحrror الوجيز ١٩٧/٣ .

(٤) زاد المسير ٤/١٤٤ .

(٥) تفسير البغوي ٢/٣٩٧ .

(٦) في معاني القرآن ٣/٧١ .

(٧) معاني القرآن للزجاج ٣/٧١ ، والبيت للفضل بن العباس، وهو في الكامل ١/٢٥٠ ، والأغاني =

وقال أهل المعاني: السجّيلُ والسّجّينُ: الشديد من الحجر والضرب، قال ابن مُقبل:

ورجلة يضربون البيض ضاحية ضرباً تواصى به الأبطال سجيناً<sup>(١)</sup>  
 (منضود)<sup>(٢)</sup> قال ابن عباس: مُتابع. وقال قادة: نُضَدَّ بعضها فوق بعض. وقال الربع: نُضِدَّ بعضه على بعض حتى صار جسداً واحداً. وقال عكرمة: مصفوف<sup>(٣)</sup>.  
 وقال بعضهم: مرصوص، والمعنى متقارب. يقال: نَضَدْتُ المِنَاعَ وَاللَّيْنَ: إذا جعلت بعضه على بعض، فهو منضود وتُضَدَّ، قال:  
 ورَفَعْتُهُ إِلَى السَّجَقَيْنِ فَالنَّضَدِ<sup>(٤)</sup>

وقال أبو بكر الهدلي: مُعَدٌ، أي: هو مما أعدَ الله لأعدائه الظلمة<sup>(٥)</sup>.  
 (شَوَّهَةٌ) أي: مُعلمَة، من السِّيمَا؛ وهي العلامة، أي: كان عليها أمثالَ  
 الخواتيم<sup>(٦)</sup>. وقيل: مكتوبٌ على كل حجر اسمٌ من رُمَيَ به، وكانت لا تُشَاكِلُ حجارةَ  
 الأرض<sup>(٧)</sup>. وقال الفراء<sup>(٨)</sup>: زعموا أنها كانت مخططةً بحمرة وسوداد في بياض، فذلك

١٧٢/١٦ . قال المبرد: وأصل المساجلة أن يستقي ساقيان، فيخرج كل واحد منها في سجله مثل ما يُخرج الآخر، فايهما نكل فقد غالب، فضربيه العرب مثلاً للمفاخرة اهـ قوله: الكَرْب: هو جبل يُشدَّ على عراقي الدلو، يُئْثَى ثم يُثْلَث. رغبة الآمل لسيد بن علي المرصفي ٢٣٧/٢ .

(١) ينظر مجاز القرآن لأبي عيدة ١/٢٩٦ ، والبيت في ديوان تميم بن مقبل ص ٣٣٣ ، وفيه: عن عرض، بدل: ضاحية. قوله: البيض، هو جمع بيضة، وهي الخوذة.

(٢) تنظر هذه الأقوال في زاد المسير ٤/١٤٥ ، وقوله الربع وعكرمة أخرجهما الطبرى ١٢/٥٢٩ .

(٣) ينظر معاني القرآن للنحاس ٣/٣٧١ ، والبيت للنابغة الذبياني، وهو في ديوانه ص ٣١ ، وصدره: خلت سبل أتيَ كان يحبسه.

والستجفان: ستران رقيقان يكونان في مقدم البيت. شرح القصائد المشهورات للنحاس ٢/١٦٠ ، وسيأتي البيت بتمامه في تفسير الآية (٢٩) من سورة الواقعة.

(٤) أخرجه الطبرى ١٢/٥٢٩ .

(٥) مجاز القرآن لأبي عيدة ١/٢٩٧ ، والنكت والعيون ٢/٤٩٣ .

(٦) تنظر هذه الأقوال في تفسير الطبرى ١٢/٥٣٠ - ٥٣١ ، وتفسير البغوي ٢/٣٩٧ ، وزاد المسير ٤/١٤٦ - ١٤٥ .

(٧) في معاني القرآن ٢/٢٤ ، ونقله المصطف عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٢/٢٩٧ .

تسويمها. وقال كعب: كانت معلمة بياض وحمرة<sup>(١)</sup>، وقال الشاعر:  
 غلام رماه الله بالحسن يافعاً له سيماء لا تشق على البصر<sup>(٢)</sup>  
 و«مسومة» من نعت حجارة. و«منضود» من نعت «سجيل». وفي قوله: ﴿عَنْ رِبِّكَ﴾  
 دليل أنها ليست من حجارة الأرض، قاله الحسن<sup>(٣)</sup>. ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِيَعْدِ﴾ يعني قوم لوط، أي: لم تكن تخطئهم<sup>(٤)</sup>. وقال مجاهد: يُرْهِبُ قريشاً<sup>(٥)</sup>،  
 المعنى: ما الحجارة من ظالمي قومك يا محمد ببعيد<sup>(٦)</sup>. وقال قتادة وعكرمة: يعني  
 ظالمي هذه الأمة، والله ما أجر الله منها ظالماً بعد<sup>(٧)</sup>. وروي عن النبي ﷺ أنه قال:  
 «سيكون في آخر أمتى قوم يكتفي رجالهم بالرجال ونساؤهم بالنساء، فإذا كان ذلك  
 فارتقبوا عذاب قوم لوط، أن يرسيل الله عليهم حجارة من سجيل»، ثم تلا رسول الله ﷺ  
 ﴿وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِيَعْدِ﴾. وفي رواية عنه عليه الصلاة والسلام: «لا تذهب الليالي  
 والأيام حتى تستحل هذه الأمة أدبار الرجال كما استحلوا أدبار النساء، فتصيب طوائف  
 من هذه الأمة حجارة من ربك»<sup>(٨)</sup>. وقيل: المعنى ما هذه القرى من الظالمين بعيد،  
 وهي بين الشام والمدينة<sup>(٩)</sup>. وجاء «بِيَعْدِ» مذكراً على معنى بمكان بعيد.

(١) النكت والعيون ٢/٤٩٣ ، وزاد المسير ٤/١٤٥ عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) البيت لابن عنقاء الفزارى، وهو في الأغاني ١٩/٢٠٨ ، والمختلف والمختلف للأمدي ص ٢٣٨ ،  
 وسمط الآلىن ١/٥٤٣ ، وعندهم: بالخير، بدل: بالحسن.

(٣) معانى القرآن للنحاس ٣/٣٧٢ .

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٢/٢٩٨ .

(٥) أخرجه الطبرى ١٢/٥٣٢ .

(٦) معانى القرآن للفراء ٢/٢٥ .

(٧) أخرجه الطبرى ١٢/٥٣٣ .

(٨) لم نقف عليه، وأورد ابن حبان في المجموعتين ٢/١٨٢ نحوه من حديث وائلة بن الأسعف وأنس بن مالك رضي الله عنهما مرفوعاً بلحظ: «لا تذهب الدنيا حتى يستغنى النساء بالنساء، والرجال بالرجال، السحاق زنا النساء فيما بينهن»، وفي إسناده العلاء بن كثير الدمشقي، قال ابن حبان: كان من يروى  
 الموضوعات عن الأثبات. قال البخاري: منكر الحديث، وقال أحمد: ليس بشيء. ميزان الاعتدال  
 ٣/١٠٤ .

(٩) ينظر المحرر الوجيز ٣/١٩٨ .

وفي الحجارة التي أمطرت قولان: أحدهما: أنها أمطرت على المدن حين رفعها جبريل<sup>١)</sup>. الثاني: أنها أمطرت على من لم يكن في المدن من أهلها وكان خارجاً عنها<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مَدِينَةَ أَخَاهُرُ شَعِيبًا قَالَ يَنْقُومُ أَغْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٌ غَيْرِهِ وَلَا يَنْقُصُوا الْبَكَالَ وَالْمِيزَانَ إِنَّ أَرْبَكُمْ بِحَيْثِرِ وَإِنَّ أَنَافِ عَلَيْكُمْ عَذَابٌ يَوْمَ تُحْمِيطُ ﴾٤٦﴿ وَيَنْقُومُ أَوْفُوا الْبَكَالَ وَالْمِيزَانَ بِالْفَسْطِ وَلَا تَبْخَسُوا أَنَاسَ أَشْبَاهَهُمْ وَلَا تَعْتَزُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ ﴾٤٧﴿ يَقِيَّثُ اللَّهُ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كَنْتُمْ مُؤْمِنِينَ وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِظِرِ ﴾٤٨﴿ قَالُوا يَنْشَعِيَّثُ أَصْلَوْتُكَ تَأْمِنُكَ أَنْ تَنْزِكَ مَا يَعْبُدُ مَابَأْوَنَا أَوْ أَنْ تَقْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَوْنَا إِنَّكَ لَأَنَّ الْحَلِيمُ الْرَّشِيدُ ﴾٤٩﴿ قَالَ يَنْقُومُ أَرْعَيْشَتُ إِنْ كُنْتُ عَلَى يَنْنَوِ مِنْ رَبِّي وَرَدَنَقِي مِنْهُ رِدَقَا حَسَنَا وَمَا أَرِيدُ أَنْ أَخْالِفَكُمْ إِنْ مَا آتَهُنَّكُمْ عَنْهُ إِنْ أَرِيدُ إِلَّا الْإِصْلَاحَ مَا أَسْتَعْتُ وَمَا تَوْفِيقٌ إِلَّا بِاللَّهِ عَلَيْهِ تَوْكِثُ وَلَيْتَ أَنِّي أَنْبَتُ ﴾٥٠﴿ وَيَنْقُومُ لَا يَنْجِنَكُمْ شَفَاقِي أَنْ يُصِيَّكُمْ مِثْلُ مَا أَصَابَ قَوْمَ شُرُجَ أَوْ قَوْمَ هُودَ أَوْ قَوْمَ صَلَحَّ وَمَا قَوْمُ لُوطِ مِنْكُمْ يَبْعِيدُ ﴾٥١﴿ وَأَسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوْبُوا إِلَيْهِ إِنَّ رَقِ رَجِيَّهُ وَدُودَهُ ﴾٥٢﴿ قَالُوا يَنْشَعِيَّثُ مَا نَقْفَهُ كَثِيرًا مِمَّا نَقْوُلُ وَإِنَّا لَرَزِيكَ فِيْنَا ضَعِيفًا وَلَوْلَا رَقْطَكَ لَرْجَمَنَكَ وَمَا أَنَّ عَيَّنَا يُعَزِّيزِرِ ﴾٥٣﴿ قَالَ يَنْقُومُ أَرْقَطَنَ أَعْزُ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ وَلَخَنْشُوَهُ وَرَاءَكُمْ ظَهَرِيَّا إِنَّ رَبِّي يَمَا تَعْمَلُونَ مُحَبِّطٌ ﴾٥٤﴿ وَيَنْقُومُ أَغْمَلُوا عَلَى مَكَاتِبَكُمْ إِنَّ عَدِيلٌ سُوقٌ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُعَزِّيزُهُ وَمَنْ هُوَ كَنْدِثٌ وَأَرْتَقِبُوا إِنَّ مَعَكُمْ رَقِيَّتُ ﴾٥٥﴿ وَلَئَنَا جَاهَ أَنْرَنَا بَيْتَنَا شَعِيبًا وَالَّذِينَ مَامَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَهُ إِنَّا وَلَدَنَتَ الَّذِينَ ظَلَمُوا أَصْبَحَهُمْ فَأَضَبَحُوا فِي دِيَرِهِمْ جَنِيشِينَ ﴾٥٦﴿ كَانَ لَنْ يَنْقُوا فِيهَا أَلَا بَعْدًا لِمَدِينَ كَمَا بَعَدَتْ شَمُودٌ ﴾٥٧﴾

قوله تعالى: ﴿وَإِنْ مَدِينَةَ أَخَاهُرُ شَعِيبًا﴾ أي: وأرسلنا إلى مدین، ومدین هم قوم شعيب.

وفي تسميتهم بذلك قولهن: أحدهما: أنهم بنو مدين بن إبراهيم، فقيل: مدين، والمراد بنو مدين. كما يقال: مضر، والمراد: بنو مضر. الثاني: أنه اسم مديتها، فنسبوا إليها<sup>(١)</sup>.

قال النحاس<sup>(٢)</sup>: لا ينصرف مدين لأنه اسم مدينة. وقد تقدم في «الأعراف» هذا المعنى وزيادة<sup>(٣)</sup>.

**﴿قَالَ يَنْقُومُ أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٌ غَيْرُهُ﴾** تقدّم<sup>(٤)</sup>. **﴿وَلَا نَقْصُوا الْمِكَافَلَ وَالْمَيْزَانَ﴾** كانوا مع كفرهم أهل بخس وتنظيف<sup>(٥)</sup>، كانوا إذا جاءهم البائع بالطعام أخذوا بكميل زائد، واستوفوا بغاية ما يقدرون عليه، وظلموا، وإن جاءهم مشتري الطعام باعوه بكميل ناقص، وشححوا له بغاية ما يقدرون، فأمروا بالإيمان إقلاعاً عن الشرك، وبالوفاء نهياً عن التطفيف.

**﴿إِنَّ أَرْذِكُمْ بِخِتْرٍ﴾** أي: في سعة من الرزق، وكثرة من النعم<sup>(٦)</sup>. وقال الحسن: كان سعرهم رخيضاً<sup>(٧)</sup>.

**﴿وَلَئِنْ أَنَّا ثُمَّ عَيَّكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾** وصفت اليوم بالإحاطة، وأراد وصف ذلك اليوم بالإحاطة بهم، فإن يوم العذاب إذا أحاط بهم فقد أحاط العذاب بهم، وهو كقولك: يوم شديد، أي: شديد حرّه.

وأختلف في ذلك العذاب، فقيل: هو عذاب النار في الآخرة. وقيل: عذاب

(١) النكت والمعيون ٤٩٤ / ٢.

(٢) في إعراب القرآن ٣٩٨ / ٢.

(٣) في ٢٨٠ / ٩ وما بعدها.

(٤) ٢٥٧ / ٩.

(٥) ينظر النكت والمعيون ٤٩٥ / ٢ ، وتفسير الرازي ٤٠ / ١٨ .

(٦) ينظر تفسير أبي الليث ١٣٩ / ٢ .

(٧) أخرجه الطبرى ٥٣٩ / ١٢ .

الاستئصال في الدنيا. وقيل: غلاء السُّعر؛ روى معناه عن ابن عباس<sup>(١)</sup>. وفي الحديث عن النبي ﷺ: «ما أظهرَ قومَ الْبَخْسَ في المكِيال والميزان إِلَّا ابتلاهم الله بالقُحْطِ والغَلَاء»، وقد تقدم<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ أَفَقُوا الْمِكَيَالُ وَالْمِيزَانُ بِالْقُسْطِ﴾ أمر بالإيفاء بعد أن نهى عن التطيف تأكيداً. والإيفاء: الإنعام. «بالقسط» أي: بالعدل والحق، والمقصود أن يصل كل ذي نصيب إلى نصبيه، وليس يريد إيفاء المكيل والموزون، لأنه لم يقل: أوفوا بالمكيال وبالميزان، بل أراد ألا تنقصوا حجم المكيال عن المعهود، وكذا الصنَجات.

﴿وَلَا تَبْخَسُوا الْكَاسَ أَشْيَاهُهُمْ﴾ أي: لا تنقصوهم مما استحقوه شيئاً<sup>(٣)</sup>. ﴿وَلَا تَعْنُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ﴾ بين أن الخيانة في المكيال والميزان مبالغة في الفساد في الأرض، وقد مضى في «الأعراف» زيادة لهذا<sup>(٤)</sup>، والحمد لله.

قوله تعالى: ﴿يَقِيمُ اللَّهُ خَيْرُ لَكُمْ﴾ أي: ما يُبقيه الله لكم بعد إيفاء الحقوق بالقسط أكثر بركة، وأحمد عاقبة مما تُبقوه أنتم لأنفسكم من فضل التطيف بالتجرب والظلم، قال معناه الطبرى<sup>(٥)</sup> وغيره. وقال مجاهد: «بِقِيمَةِ اللَّهِ خَيْرٌ لَكُمْ» يريده طاعته<sup>(٦)</sup>. وقال الربيع: وصيَّةُ الله<sup>(٧)</sup>. وقال الفراء<sup>(٨)</sup>: مراقبة الله. ابن زيد: رحمة الله.

(١) النكت والعيون ٤٩٥/٢ ، وقول ابن عباس رضي الله عنهمما أخرجه الطبرى ٥٣٨/١٢ .

(٢) ذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ١٩٩/٣ بنحوه، ولم تقف عليه مرفوعاً عند غيره، وقد تقدم بنحوه من قول ابن عباس رضي الله عنهمما، وعزاه المصنف ثمة لمالك، وهو في الموطأ ٤٦٠/٢ .

(٣) ينظر تفسير أبي الليث ١٣٩/٢ .

(٤) ٢٨٢/٩ .

(٥) في تفسيره ٥٤١/١٢ ، وينظر المحرر الوجيز ١٩٩/٣ .

(٦) تفسير مجاهد ٣٠٨/١ ، وأخرجه الطبرى ٥٤٢/١٢ .

(٧) النكت والعيون ٤٩٥/٢ .

(٨) في معاني القرآن ٢٥/٢ .

قتادةُ والحسن: حُظُّكم من رِبِّكم خَيْرٌ لكم. وقال ابن عباس: رَزَقَ اللَّهُ خَيْرٌ لكم<sup>(١)</sup>.  
**﴿إِن كُلُّمُؤْمِنٍ﴾** شَرْطٌ هَذَا لِأَنَّهُمْ إِنَّمَا يَعْرَفُونَ صَحَّةَ هَذَا إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ<sup>(٢)</sup>. وقيل: يَحْتَمِلُ أَنَّهُمْ كَانُوا يَعْرَفُونَ بِأَنَّ اللَّهَ خَالِقُهُمْ فَخَاطَبُهُمْ بِهَذَا.

**﴿وَرَبِّنَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِغَنِيَّةٍ﴾** أي: رَقِيبٌ أَزْقَبُكُمْ عِنْدَ كَيْلَكُمْ وَوزْنَكُمْ، أَيْ: لَا يُمْكِنُنِي شَهُودُ كُلَّ مُعَامَلَةٍ تَضُرُّ مِنْكُمْ حَتَّى أُواخِذَكُمْ بِإِيمَانِ الْحَقِّ. وقيل: أَيْ: لَا يَتَهَيَّأُ لِي أَنْ أَحْفَظَكُمْ مِنْ إِزَالَةِ نِعْمَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ بِمَعَاصِيكُمْ<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: **﴿قَالُوا يَا شَعِيبُ أَصْلَوْا ثُكَّ﴾** وقرئ: **﴿أَصْلَاتُكَ﴾** من غير جمع<sup>(٤)</sup>.  
**﴿تَأْمُرُكَ أَنْ تَنْتَرِكَ مَا يَعْبُدُ مَا بَاءَ فِنَّا﴾** «أن» في موضع نصب؛ قال الكسائي: مَوْضِعُهَا خَفْضٌ عَلَى إِضْمَارِ الْبَاءِ<sup>(٥)</sup>.

وروي أن شعيباً عليه السلام كان كثير الصلاة، مواطيناً على العبادة<sup>(٦)</sup> فرضها وتفضيلها، ويقول: الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر، فلما أمرهم ونهاهم عيروه بما رأوه يستمر عليه من كثرة الصلاة، واستهزأوا به، فقالوا ما أَخْبَرَ اللَّهُ عَنْهُمْ<sup>(٧)</sup>.

وقيل: إن الصلاة هنا بمعنى القراءة؛ قاله سفيان عن الأعمش، أَيْ: قراءتك تأمرك، ودلل بهذا على أنهم كانوا كفاراً<sup>(٨)</sup>. وقال الحسن: لم يبعث الله نبياً إلا فَرَضَ

(١) أخرج الأقوال الثلاثة الطبرى ١٢ / ٥٤٣ - ٥٤٤ ، وذكرها ابن الجوزي في زاد المسير ٤ / ١٤٩ .

(٢) زاد المسير ٤ / ١٤٩ .

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٢٩٨ / ٢ ، وينظر مجمع البيان ١٢ / ٢٠٤ .

(٤) قرأ بالتوحيد عاصم - في رواية حفص - وحمزة والكسائي، وقرأ الباقيون: «أَصْلَواتُكَ» بالجمع. السبعة ص ٣١٧ ، والتيسير ص ١١٩ .

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٢٩٨ / ٢ .

(٦) في النسخ: مواطيناً على العبادة. والمثبت من (م).

(٧) أحكام القرآن لابن العربي ٣ / ١٠٥١ بنحوه.

(٨) معاني القرآن للنحاس ٣ / ٣٧٤ ، وقول الأعمش أخرجه الطبرى ١٢ / ٥٤٦ - ٥٤٧ وسفيان: هو الثوري.

عليه الصلاة والزكاة<sup>(١)</sup>.

**﴿أَوْ أَنْ تَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَّوْلُهُ زَعْمَ الْفَرَاءِ﴾** أَنَّ التَّقْدِيرَ: أَوْتَهَا نَا أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ.

وقرأ السُّلَمِيُّ والضحاك بن قيس: «أَوْ أَنْ تَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ»

بالتاء في الفعلين<sup>(٢)</sup>، والمعنى: ما تشاء أنت يا شعيب. وقال النحاس: «أَوْ أَنْ» على هذه القراءة معطوفة على «أَنْ» الأولى<sup>(٣)</sup>. روى عن زيد بن أسلم أنه قال: كان مما نهاهم عنه حذف الدرام<sup>(٤)</sup>. وقيل: معنى «أَوْ أَنْ تَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ» إذا تراضينا فيما بيتنا بالبخس فلِمْ تمنعنا منه<sup>(٥)</sup>!؟

**﴿إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾** يعنون عند نفسك بزعمك<sup>(٦)</sup>، ومثله في صفة أبي جهل: **﴿هُذُّقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾** [الدخان: ٤٩] أي: عند نفسك بزعمك.

وقيل: قالوه على وجه الاستهزاء والسخرية، قاله قتادة<sup>(٧)</sup>. ومنه قولهم للحبيشي: أبو البيضاء، وللأبيضين: أبو الجون، ومنه قول خزنة جهنم لأبي جهل: **﴿هُذُّقْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ﴾**<sup>(٨)</sup>. وقال سفيان بن عيينة: العرب تصف الشيء بضده للتطرير والتفاؤل، كما قيل للديغ: سليم، وللفلاة: مفازة<sup>(٩)</sup>. وقيل: هو تعريض أرادوا به السب<sup>(١٠)</sup>.

(١) المحرر الوجيز ٢٠٠/٣.

(٢) في معاني القرآن ٢٥/٢ ، وقله المصنف عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٢٩٨/٢.

(٣) قرأ السُّلَمِيُّ: «تفعل» بالتون، وقرأ الضحاك: «تفعل» بالتاء، وقرأ كلامهما: «تشاء» بالتاء. ينظر القراءات الشاذة ص ٦١ ، والدر المصورون ٦/٣٧٢ .

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٢٩٨/٢.

(٥) أخرجه الطبرى ١٢/٥٤٥ . وحذف الدرام، أي: كسرها. ينظر معاني القرآن للزجاج ٣/٧٣ .

(٦) معاني القرآن للنحاس ٣/٣٧٤ .

(٧) المصدر السابق.

(٨) النكت والعيون ٢/٤٩٦ .

(٩) الكلام بنحوه في عرائض المجالس ص ١٦٧ . والجون من الأصداد، يقال للأبيض والأسود. الأصداد لابن الأنباري ص ١١١ .

(١٠) ذكره البغوي في تفسيره ٢/٣٩٨ دون نسبة.

وأحسنُ من هذا كله، ويدلُّ ما قبله على صحته، أي: إنك أنت الحليمُ الرشيدُ حفًا، فكيف تأمرُنا أنْ نتركَ ما يعبدُ آباؤنا؟! ويدلُّ عليه: ﴿أَمْلَأْتَكَ تَأْمِرُكَ أَنْ تَرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاءَ أُقْرَأْنَا﴾ أنكروا - لَمَّا رأوا من كثرة صلاتِه وعبادته، وأنه حليمٌ رشيدٌ - بأن يكونَ يأمرُهم بتركِ ما كان يعبدُ آباؤهم، وبعده أيضًا ما يدلُّ عليه، ﴿فَقَالَ يَنْقُومُ أَرْوَى شَرِّهِ إِنْ كُثُرَ عَلَىٰ بَيْتَنِي مِنْ رَّقِيٍّ وَرَزْقِيٍّ مِنْهُ رِزْقًا حَسَنًا﴾ أي: أفلَآنهاكم عنِ الضلال؟<sup>(١)</sup>

وهذا كله يدلُّ على أنهم قالوه على وجهِ الحقيقة، وأنه اعتقادهم فيه. ويُشبِّه هذا المعنى قولَ اليهود من بنى قُريظة للنبي ﷺ حين قال لهم: «يا إخوة القردة» فقالوا: يا محمدُ ما عَلِمْنَاكَ جهولاً!<sup>(٢)</sup>

مسألة: قال أهلُ التفسير: كان مما ينهاهم عنه، وعذبوا لأجله قطعُ الدنانير والدرارِم<sup>(٣)</sup>، كانوا يفرضون من أطراف الصَّحاح لتفضلَ لهم القراءة، وكانوا يتعاملون على الصَّحاح عدداً<sup>(٤)</sup>، وعلى المقووضة وزناً، وكانوا يحسون في الوزن.

وقال ابن وهب: قال مالك: كانوا يكسرُون الدنانير والدرارِم، وكذلك قال جماعةٌ من المفسِّرين المتقدِّمين كسعید بن المسيب، وزيد بن أسلم، وغيرِهما، وكسرُهما ذنبٌ عظيمٌ<sup>(٥)</sup>. وفي كتاب أبي داود عن علقةَ بن عبد الله، عن أبيه قال: نهى رسولُ الله ﷺ أنْ تُكسَرَ سِكَّةُ المسلمين الجائزةُ بينهم إلا من بأس<sup>(٦)</sup>. فإنها إذا

(١) إعراب القرآن للنحاس ٢٩٩/٢.

(٢) المحرر الوجيز ٢٠١/٣ ، والحديث أخرجه الحاكم ٣٤/٣ - ٣٥ ، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيَّخين، ولم يخرجاه، ومن طريقه أخرجه البيهقي في دلائل النبوة ٤/٨ - ٩ . وعنهما: فحاشاً، بدل: جهولاً. وقد قال النبي ﷺ ذلك في يهود بنى قُريظة عندما غزاهم.

(٣) عرائس المجالس ص ١٦٧ .

(٤) في (م): عدًا.

(٥) أحكام القرآن لابن العربي ٣/١٠٥١ - ١٠٥٢ .

(٦) سنن أبي داود (٣٤٤٩). والسِّكَّة: الدنانير والدرارِم المضروبة، يُسمى كل واحد منها سكَّة؛ لأنَّه طبع بالحديدة. النهاية (سكَّ).

كانت صِحاحاً قام معناها، وظهرت فائدتها، وإذا كُسرت صارت سلعةً، وبَطَلت منها الفائدة، فأضر ذلك بالناس؛ ولذلك حُرم. وقد قيل في تأويل قوله تعالى: ﴿وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ سِتُّهُ رَقَبٌ يُقْطَعُونَ﴾ [النمل: ٤٨] أنهم كانوا يَكْسِرون الدرَاهَمَ؛ قاله زيدُ بن أسلم<sup>(١)</sup>. قال أبو عمرَ بن عبد البر<sup>(٢)</sup>: زعموا أنه لم يكن بالمدينة أعلم بتأويل القرآن من زيد بن أسلم بعد محمدٍ بن كعب القرطي.

مسألة: قال أضبيغ<sup>(٣)</sup>: قال عبد الرحمن بن القاسم بن خالد بن جنادة مولى زيد بن الحارث العُتْقَي<sup>(٤)</sup>: مَنْ كَسَرَهَا لَمْ تُقْبَلْ شهادته، وإن اعتذر بالجهالة لم يُعذَرْ، وليس هذا بموضع عذر، قال ابنُ العربي<sup>(٥)</sup>: أمَّا قوله: لم تُقْبَلْ شهادته فلأنه أتى كبيرةً، والكبائر تُسْقِطُ العدالة دون الصغائر، وأمَّا قوله: لا يُقْبَلْ عذرُه بالجهالة في هذا، فلأنه أمرٌ بِيَنَّ لا يَخْفَى على أحد، وإنما يُقْبَلُ العذرُ إذا ظهر الصدقُ فيه، أو تَحْفَى وجهُ الصدقِ فيه، وكان الله أعلم به من العبد كما قال مالك.

مسألة: إذا كان هذا معصيةً وفساداً ثُرُدَ به الشهادة؛ فإنه يُعاقبُ مَنْ فَعَلَ ذلك. ومرأ ابنُ المُسِيبِ برجل قد جُلد، فقال: ما هذا؟ فقالوا<sup>(٦)</sup>: رجلٌ يقطعُ الدنانير والدرَاهَمَ، قال ابنُ المُسِيبِ: هذا من الفساد في الأرض، ولم يُنْكِرْ جَلْدَه. ونحوه عن سفيان. وقال أبو عبد الرحمن التَّجَيِّبي<sup>(٧)</sup>: كنت قاعداً عند عمرَ بن عبد العزيز، وهو إذ ذاك أمير المدينة، فأتَيَ برجلٍ يقطعُ الدرَاهَمَ وقد شَهَدَ عليه، فصرَبه وحَلقَه، وأمرَ قَطِيفَ به، وأمَرَه أن يقول: هذا جزاءٌ من يقطع الدرَاهَمَ، ثم أَمَرَ أن يُرَدَّ إليه، فقال: إنه لم يمنعني أن أقطعَ يَدَكَ إِلَّا أني لم أكن تقدَّمت في ذلك قبلَ الْيَوْمِ، وقد تقدَّمت في

(١) أحكام القرآن لابن العربي ٣/١٠٥٢.

(٢) في التمهيد ٣/٢٤٠.

(٣) في أحكام القرآن ٣/١٠٥٢، وما قبله منه.

(٤) في النسخ: قال، والمثبت من أحكام القرآن لابن العربي ٣/١٠٥٣، والكلام منه.

(٥) وقع في (ز) وأحكام القرآن لابن العربي التَّجَيِّبي، ولم تجود في (ظ)، ولم نعرفه.

ذلك، فمن شاء فليقطع.

قال القاضي أبو بكر بن العربي<sup>(١)</sup> : أما أدبه بالسوط فلا كلام فيه، وأما حلقه فقد فعله عمر ، وقد كنت أيام الحكم بين الناس أضرب وأخلق ، وإنما كنت أفعل ذلك بمن يربي<sup>(٢)</sup> شعرة عوناً له على المعصية ، وطريقاً إلى التجمل به في الفساد ، وهذا هو الواجب في كل طرق للمعصية؛ أن يقطع إذا كان غير مؤثر في البدن ، وأماماً قطع يده فإنما أخذ ذلك عمر مِن فضل<sup>(٣)</sup> السرقة ، وذلك أن قرض الدرهم غير كسرها ، فإن الكسر إفساد الوصف ، والقرض تقيص للقدر ، فهو أخذ مال على جهة الاختفاء ، فإن قيل : أليس الحرج أصلاً في القطع؟ قلنا : يحتمل أن يكون عمر يرى أن تهيتها للفصل بين الخلق ديناراً أو درهماً حرج لها ، وحرج كل شيء على قدر حاله ، وقد أثند ذلك ابن الزبير ، وقطع يد رجل في قطع الدنانير والدرهم . وقد قال علماؤنا المالكية : إن الدنانير والدرهم خواتيم الله ، عليها اسمه ، ولو قطع - على قول أهل التأويل - من كسر خاتماً لله كان أهلاً لذلك ، إذ من<sup>(٤)</sup> كسر خاتم سلطان عليه اسمه أذب ، وخاتم الله تُقضى به الحوائج فلا يستويان في العقوبة.

قال ابن العربي<sup>(٥)</sup>: وأرى أن يُقطع في قرضاً دون كسرها، وقد كنت أفعل ذلك أيام تولיתי الحكم، إلا أنني كنت محفوفاً بالجهال، فلم أجب<sup>(٦)</sup> بسبب المقال للحسدةِ الضلال، فمن قدرَ عليه يوماً من أهل الحق؛ فليفعله احتساباً لله تعالى.

قوله تعالى: «قالَ يَقُولُ أَرْدَيْمَ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّنْ رَّبِّكَ» تقدّم<sup>(٧)</sup>. »وَرَأَفَنِي مِنْهُ رِزْقًا

(١) في أحكام القرآن ١٠٥٣ / ٣ ، وما قبله منه.

(٢) في النسخ: يرى ، والمثبت من أحكام القرآن.

(٣) في (ظ): قصد.

(٤) في (د) و(م): أو من، وفي (ظ): ومن، والمثبت من (ز) و(ف)، وهو الموافق لأحكام القرآن.

(٥) في أحكام القرآن ١٠٥٤/٣.

(٦) في (م): أجبن.

(٧) في ٨/٣٩٨ ، وص ١٠١ من هذا الجزء.

**حَسْنَةٌ**) أي: واسعاً حلالاً، وكان شعيب عليه السلام كثيراً المال، قاله ابن عباس وغيره<sup>(١)</sup>. وقيل: أراد به الهدى والتوفيق، والعلم والمعرفة<sup>(٢)</sup>، وفي الكلام حذف، وهو ما ذكرناه، أي: أفلأ أنهاكم عن الضلال؟<sup>(٣)</sup> وقيل: المعنى: «رأيتم إن كنت على يينة من ربّي» على يينة من ربّي<sup>(٤)</sup>؟ وقيل: المعنى: «رأيتم إن كنت على ينة من ربّي» أتامروني بالعصيان في البخس والتطفيف وقد أغناني الله عنه؟!

**وَمَا أَرِيدُ أَنْ أَخْالِفَكُمْ** في موضع نصب بـ«أَرِيدُ»<sup>(٥)</sup>. **وَإِنْ مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ** أي: ليس أنهاكم عن شيء وأرتكم<sup>(٦)</sup>، كما لا أترك ما أمرتكم به. **وَإِنْ أَرِيدُ إِلَّا أَإِصْلَحَ مَا أَسْطَعْتُ** أي: ما أريد إلا فعل الصلاح، أي: أن تصلحوا دنياكم بالعدل، وآخركم بالعبادة، وقال: «ما استطعت» لأن الاستطاعة من شروط الفعل دون الإرادة<sup>(٧)</sup>. وـ«ما» مصدرية، أي: إن أريد إلا الإصلاح جهدي واستطاعتي<sup>(٨)</sup>. **وَمَا تَوَفَّقُونَ** أي: رشدي، والتوفيق: الرشد<sup>(٩)</sup>. **إِلَّا يَأْتِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ تَوْكِيدٌ** أي: اعتمد<sup>(١٠)</sup>. **وَإِلَيْهِ أُتُّبُ** أي: أرجع فيما ينزل بي من جميع التوابع. وقيل: إليه أرجع في الآخرة. وقيل: إن الإنابة الدعاء، معناه: وله أدعوه<sup>(١١)</sup>.

قوله تعالى: **وَيَنْتَهُ لَا يَعْمَلُونَ** وقرأ يحيى بن وثاب: **يُبَرِّئُونَ**<sup>(١٢)</sup>.

(١) النكت والعيون ٤٩٧/٢ ، وزاد المسير ٤/١٥١ .

(٢) ينظر تفسير البغوي ٣٩٨/٢ ، وزاد المسير ٤/١٥١ .

(٣) ينظر إعراب القرآن للنحاس ٢٩٩/٢ ، والنكت والعيون ٤٩٧/٢ .

(٤) تفسير أبي الليث ١٣٩/٢ ، وزاد المسير ٤/١٥١ .

(٥) يعني «أن أخالفكم» في موضع نصب بـ«أَرِيدُ»، ينظر إعراب القرآن للنحاس ٢٩٩/٢ .

(٦) في (ظ): أركبه، وينظر تفسير الطبرى ٥٤٩/١٢ ، وتفسير البغوي ٣٩٨/٢ ، وزاد المسير ٤/١٥١ .

(٧) النكت والعيون ٤٩٧/٢ .

(٨) ينظر تفسير الرازى ٤٦/١٨ .

(٩) ينظر النكت والعيون ٤٩٧/٢ .

(١٠) المحتسب ٣٢٧/١ .

﴿شَقَاقٌ﴾ في موضع رفع . ﴿أَن يُصِيبَكُم﴾ في موضع نصب <sup>(١)</sup> ، أي: لا يَحْمِلُنَّكُم مُعَادَاتِي عَلَى تَرْكِ الإِيمَانِ فَيُصِيبَكُم مَا أَصَابَ الْكُفَّارَ قَبْلَكُمْ ، قَالَهُ الْحَسْنُ وَقَتَادَةُ <sup>(٢)</sup> . وَقَيْلٌ: لَا يُكُسِّبُنَّكُم شِقَاقِي إِصَابَتَكُمُ الْعَذَابَ كَمَا أَصَابَ مَنْ كَانَ قَبْلَكُمْ ، قَالَهُ الْوَجَاجُ <sup>(٣)</sup> . وَقَدْ تَقدَّمَ مَعْنَى «يُجْرِمُنَّكُم» فِي «الْمَائِدَةِ» ، وَ«الشَّقَاقِ» فِي «الْبَقْرَةِ» <sup>(٤)</sup> وَهُوَ هُنَا بِمَعْنَى الْعَدَاوَةِ ، قَالَهُ السَّدِّي ، وَمِنْهُ قَوْلُ الْأَخْطَلِ :

الْأَمَّ مُبْلَغٌ عَنِي رَسُولًا فَكِيفَ وَجَدْتُمْ طَغْمَ الشَّقَاقِ <sup>(٥)</sup>  
وَقَالَ الْحَسْنُ الْبَصْرِيُّ: إِضْرَارِي . وَقَالَ قَتَادَةُ: فِرَاقِي <sup>(٦)</sup> .

﴿وَمَا قَوْمُ لُوطٍ مِنْكُمْ يَعْيِدُ﴾ وَذَلِكَ أَنَّهُمْ كَانُوا حَدِيثِي عَهْدٌ بِهِلَاكِ قَوْمٍ لَوْطٍ .  
وَقَيْلٌ: وَمَا دِيَارُ قَوْمٍ لَوْطٍ مِنْكُمْ بَيْعِيدٌ <sup>(٧)</sup> ، أي: بِمَكَانٍ بَعِيدٍ ، فَلَذِكَ وَحْدَ الْبَعِيدِ <sup>(٨)</sup> .  
قَالَ الْكَسَائِيُّ: أي: دُورُهُمْ فِي دُورِكُم <sup>(٩)</sup> .

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَيَنْقُومُ أَسْتَغْفِرُوا رَبِّكُمْ ثُمَّ تُوْبُوا إِلَيْهِ﴾ تَقدَّمَ <sup>(١٠)</sup> . ﴿إِنَّ رَبَّ رَجِمٍ وَدُودٍ﴾ اسْمَانُ مِنْ أَسْمَائِهِ سَبْحَانَهُ ، وَقَدْ يَبْيَأُهُمَا فِي كِتَابٍ «الْأَسْنَى فِي شَرْحِ الْأَسْمَاءِ الْحَسَنِيِّ» <sup>(١١)</sup> . قَالَ الْجَوَهْرِيُّ <sup>(١٢)</sup>: وَدَدْتُ الرَّجُلَ أَوْدَهُ وَدًا: إِذَا أَحَبَبْتَهُ ، وَالْوَدُودُ:

(١) إعراب القرآن للتحاسن ٢٩٩/٢ .

(٢) أخرجه بنحوه الطبراني ٥٥١/١٢ عن قتادة.

(٣) في معاني القرآن ٣/٧٤ بنحوه، وينظر النكت والعيون ٢/٤٩٨ .

(٤) في المائدة ٧/٢٦٥ ، وفي البقرة ٢/٤١٩ .

(٥) النكت والعيون ٢/٤٩٨ ، والبيت في ديوان الأخطل ص ٣١ ، وفيه: قِيساً، بدل: عني.

(٦) النكت والعيون ٢/٤٩٨ .

(٧) تفسير الطبراني ١٢/٥٥١ - ٥٥٢ ، وتفصير البغوي ٢/٣٩٩ .

(٨) زاد المسير ٤/١٥١ .

(٩) إعراب القرآن للتحاسن ٢٩٩/٢ .

(١٠) في ص ٦٧ من هذا الجزء.

(١١) ينظر ص ٨١ و ٨٦ و ٩١ ، وينظر شرح الرحيم ص ٣٩٥ ، وليس في المطبوع منه شرح «الودود».

(١٢) في الصحاح (وَدَدْ).

**المُحِبُّ، والوَدُّ والوَدُّ والوَدُّ: المَوْدَةٌ<sup>(١)</sup>.**

ورُوِيَ عن النبي ﷺ أنه كان إذا ذَكَر شعيباً قال: «ذاك خطيب الأنبياء»<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: **﴿قَالُوا يَشْعَيْثَ مَا نَفَقَةُ كَثِيرًا تَمَّا نَفَوْلُ﴾** أي: ما نفهم؛ لأنك تحملنا على أمور غاتبة من البغث والتشور، وتعظمنا بما لا عهد بمثله. وقيل: قالوا ذلك إعراضاً عن سماعه، واحتقاراً لكلامه<sup>(٣)</sup>، يقال: فقهه يفقهه: إذا فهم؛ فقهها وفقها، وحكي الكسائي: فقهاناً، وفقهها وفقها<sup>(٤)</sup>: إذا صار فقيها.

**﴿وَإِنَّا لَرَبِّكَ فِينَا ضَعِيفَانِ﴾** قيل: إنه كان مصاباً بصره؛ قاله سعيد بن جبير وقتادة. وقيل: كان ضعيف البصر؛ قاله الثوري<sup>(٥)</sup>، وحكي عنه النحاس<sup>(٦)</sup> مثل قول سعيد بن جبير وقتادة. قال النحاس: وحكي أهل اللغة أن حمير تقول للأعمى: ضعيف، أي: قد ضعفت بذهاب بصره، كما يقال له: ضرير، أي: قد ضرر بذهاب بصره، كما يقال له: مكفوف، أي: قد كف عن النظر بذهاب بصره<sup>(٧)</sup>. قال الحسن: معناه: مهين. وقيل: المعنى ضعيف البدن؛ حكاه علي بن عيسى. وقال السدي: وحيداً ليس لك جند وأعون تقدِّرُ بها على مخالفتنا. وقيل: قليل المعرفة بمصالح الدنيا وسياسة أهلها<sup>(٨)</sup>.

(١) في (م): والوَدُّ والوَدُّ والوَدُّ والمودة: المحبة.

(٢) سلف ٢٨١ ، وهو حديث ضعيف.

(٣) النكت والعيون ٤٩٩/٢ .

(٤) وقعت العبارة في (م): فقهه يفقه إذا فهم فقهها، وحكي الكسائي: فقه فقهها وفقها..، والمثبت من النسخ الخطية، وهو موافق لاعراب القرآن للنحاس ٢٩٩/٢ ، والكلام منه.

(٥) تفسير الطبرى ١٢/٥٥٣ ، والنكت والعيون ٤٩٩/٢ .

(٦) في معاني القرآن ٣/٣٧٥ .

(٧) معانى القرآن للنحاس ٣/٣٧٦ . قال ابن عطية في المحرر الوجيز ٣/٢٠٢ : وهذا كله ضعيف، ولا تقوم عليه حجة بضعف بصره أو بدنه، والظاهر من قولهم: «ضعيفاً» أنه ضعيف الانتصار والقدرة. اهـ.

وكذلك ضعف هذا القول الرازي من عدّة وجوه، تنظر في تفسيره ١٨/٤٩ .

(٨) أورد هذه الأقوال الماوردي في النكت والعيون ٤٩٩/٢ .

و«ضعيفاً» نصب على الحال . **﴿وَلَوْلَا رَهْطَكَ﴾** رفع بالابتداء<sup>(١)</sup> ، ورهط الرجل: عشيرته الذي يستند إليهم ويتقوى بهم ، ومنه الراهطاء لجحر اليَرْبُوع؛ لأنه يتوثق به ويَحْبَأْ فيه ولده<sup>(٢)</sup> . ومعنى **﴿لَرَجْنَاتَكَ﴾**: لقتلناك بالرَّجم ، وكانت إذا قتلوا إنساناً رجموه بالحجارة ، وكان رَهْطَه من أهل ملَّتهم<sup>(٣)</sup> . وقيل: معنى **﴿لَرَجْنَاتَكَ﴾**: لشمناك ، ومنه قول الجعدي:

**تَرَاجَمْنَا بِمَرَّ القُولِ حَتَّى نَصِيرَ كَائِنَا فَرَسَا رِهَانٍ**<sup>(٤)</sup>  
والرَّاجُمُ أيضًا: اللَّعْنُ ، ومنه الشيطان الرجيم<sup>(٥)</sup> . **﴿وَمَا أَنْتَ عَلَيْنَا يُعَزِّزِ﴾** أي:  
ما أنت علينا بغالب ولا قادر ولا مُمْتنع<sup>(٦)</sup> .

قوله تعالى: **﴿قَالَ يَنْقُورُ أَرْهَطِي﴾** «أَرْهَطِي» رفع بالابتداء ، والمعنى: أرهطي في قلوبكم **﴿وَأَعْزُّ عَلَيْكُمْ مِنَ اللَّهِ﴾** وأعظم وأجل وهو يملُّكم!<sup>(٧)</sup>  
**﴿وَأَخْذَثْمُهُ وَرَأَكُمْ ظَهِيرَةً﴾** أي: أخذتم ما جئتم به من أمر الله ظهيرًا ، أي: جعلتموه وراء ظهوركم ، وامتنعتم من قتلي مخافة قومي<sup>(٨)</sup> ، يقال: جعلت أمره بظاهر إذا فَصَرْتَ فيه<sup>(٩)</sup> ، وقد مضى في «البقرة»<sup>(١٠)</sup> .

(١) إعراب القرآن للتحاسن ٢٩٩/٢ .

(٢) ينظر تهذيب اللغة ٦/١٧٥ ، والمحمر الوجيز ٣/٢٠٢ .

(٣) ينظر زاد المسير ٤/١٥٣ .

(٤) النكت والعيون ٢/٤٩٩ - ٥٠٠ ، والبيت في ديوان النابغة الجعدي ص ١٦٥ ، وفيه: بصدر، بدل: بمر.

(٥) تفسير أبي الليث ٢/١٤٠ .

(٦) ينظر الوسيط للواحدي ٢/٥٨٧ ، والنكت والعيون ٢/٥٠٠ .

(٧) إعراب القرآن للتحاسن ٢/٢٩٩ .

(٨) ينظر تفسير أبي الليث ٢/١٤٠ ، والوسيط للواحدي ٢/٥٨٧ .

(٩) معاني القرآن للتحاسن ٣/٣٧٧ بنحوه.

(١٠) ٢٦٨/٢ .

﴿إِنَّكَ رَبِّيْ بِمَا تَعْمَلُوْنَ﴾ أي: من الْكُفْرِ وَالْمُعْصِيَةِ. ﴿تَعْيِطٌ﴾ أي: عَلِيمٌ. وَقِيلَ: حَفِيظٌ<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَيَنْقُرُوْ أَعْمَلُوْا عَلَى مَكَائِنِكُمْ إِنَّ عَيْلَ سَوْفَ تَسْلَمُوْنَ﴾ تهديدٌ وَوَعِيدٌ<sup>(٢)</sup>، وقد تقدَّمَ في «الأَنْعَامِ»<sup>(٣)</sup>.

﴿مَنْ يَأْنِيْهِ عَذَابٌ يُخَزِّيْهِ﴾ أي: يُهْلِكُهُ . وَ«مَنْ» فِي مَوْضِعِ نَصْبٍ، مِثْلُ: ﴿يَعْلَمُ الْمُؤْسِدَ مِنَ الْمُصْلِحِ﴾ [البقرة: ٢٢٠] . ﴿وَمَنْ هُوَ كَذِيْبٌ﴾ عَطْفٌ عَلَيْهَا<sup>(٤)</sup> . وَقِيلَ: أي: وَسَوْفَ تَعْلَمُوْنَ مَنْ هُوَ كَاذِبٌ مِنْنَا . وَقِيلَ: فِي مَحْلٍ رَفِعٍ، تَقْدِيرٌ: وَيَخْرُجَ مَنْ هُوَ كَاذِبٌ<sup>(٥)</sup> . وَقِيلَ: تَقْدِيرٌ: وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ فَسَيُعَلَّمُ كَذِيْبُهُ، وَيَذُوقُ وِيَالَّا اُمْرَهُ<sup>(٦)</sup> . وَزَعْمُ الْفَرَاءِ<sup>(٧)</sup> أَنَّهُمْ إِنَّمَا جَاؤُوا بِهٗ فِي «وَمَنْ هُوَ كَاذِبٌ» لَأَنَّهُمْ لَا يَقُولُونَ: مَنْ قَاتَمْ، إِنَّمَا يَقُولُونَ: مَنْ قَامَ، وَمَنْ يَقُومُ، وَمَنْ الْقَاتِمُ، فَزَادُوا «هٗ» لِيَكُونَ جَمْلَةً تَقْوِيمًا فَقَلَّ وَيَقْعُلُ . قَالَ النَّحَاسُ: وَيَدْلُ عَلَى خَلَافَ هَذَا قَوْلُهُ:

مَنْ رَسُولٌ إِلَى الْثُرَيَا إِنَّمَا صِفْتُ ذَرْعَاهُ بِهَجْرِهَا وَالْكَتَابِ<sup>(٨)</sup>  
 ﴿وَآرَيْقُبُوا إِنِّي مَعَكُمْ رَقِيبٌ﴾ أي: انتظروا العذابَ وَالسُّخْطَةَ، فَإِنِّي مُنْتَظَرٌ  
 النَّصَرَ وَالرَّحْمَةَ<sup>(٩)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَلَئِنْ جَاءَ أَهْرَانًا﴾ قِيلَ: صَاحَ بَهْمٌ جَبَرِيلٌ صِحَّةٌ فَخَرَجَ أَرْوَاحُهُمْ

(١) النكت والعيون ٢/٥٠١.

(٢) النكت والعيون ٢/٥٠١ ، ٥٠١/٢ ، وتفسیر أبي الليث ١٤٠/٢ .

(٣) ٣٥/٩ .

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٢/٢٩٩ - ٣٠٠ .

(٥) ينظر النكت والعيون ٢/٥٠١ .

(٦) تفسير البغوي ٢/٣٩٩ .

(٧) في معاني القرآن ٢/٢٦ ، ونقله المصطف عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٢/٣٠٠ .

(٨) قاتله عمر بن أبي ربيعة، وهو في ديوانه ص ٣٠ ، وفيه: رسولٍ، بدلاً: رسولٌ.

(٩) ينظر تفسير البغوي ٢/٣٩٩ .

من أجسادهم<sup>(١)</sup>، ﴿نَجْعَلُكُمَا شَعِيرَيْنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعْلُومٌ بِرَحْمَةٍ مِّنَّا وَأَخْذَتِ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ﴾ أي: صيحة جبريل. وأنت الفعل على لفظ الصيحة، وقال في صيحة صالح: ﴿وَأَخْذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ﴾ [هود: ٦٧]، فذكر على معنى الصياح.

قال ابن عباس: ما أهلك الله أمتين بعذاب واحد إلا قوم صالح وقوم شعيب، أهلكهم الله بالصيحة، غير أن قوم صالح أخذتهم الصيحة من تحتهم، وقوم شعيب أخذتهم الصيحة من فوقهم<sup>(٢)</sup>.

﴿فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِيَّينَ . كَانَ لَرْ بَغْنَرْ فِيهَا أَلَا بَعْدًا لِمَتَنَ كَمَا بَعْدَتْ ثَمُودُ﴾ تقدم معناه<sup>(٣)</sup>. وحكي الكسائي أن أبي عبد الرحمن السلمي قرأ: «كمَا بَعْدَتْ ثَمُودُ» بضم العين. قال النحاس<sup>(٤)</sup>: المعروف في اللغة إنما يقال: بَعْدَ يَبْعَدُ بَعْدًا وَيَبْعَدُ: إذا هلك.

وقال المهدوي: من ضم العين من «بَعْدَتْ» فهي لغة تُستعمل في الخير والشر، ومصدرها البعد، وبعدها تُستعمل في الشر خاصة، يقال: بَعْدَ يَبْعَدُ بَعْدًا، فالبعد على قراءة الجماعة بمعنى اللعنة، وقد يجتمع معنى اللتين لتقابلهما في المعنى، فيكون مما جاء مصدره على غير لفظه لتقريب المعاني.

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِعَيْنِتَنَا وَسُلْطَنِنَ ثَيْنَ ﴿٤١﴾ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَائِيْهِ فَأَبَغَوْا أَنَّرَ فِرْعَوْنَ وَمَا أَنَّرَ فِرْعَوْنَ بِرِشْبِيلِ ﴿٤٢﴾ يَقْدُمْ قَوْمَهِ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فَأَفَرَدَهُمُ الْتَّارِ وَيَئْسَ الْوِزْدُ الْمَوْرُودُ ﴿٤٣﴾ وَأَتَيْعُوْ فِي هَذِهِ لَفْنَةِ وَيَوْمِ الْقِيمَةِ يَئْسَ الْرِّفْدُ الْمَرْفُودُ ﴿٤٤﴾﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَى بِعَيْنِتَنَا﴾ بين أنه أتبع النبي النبي لإقامة الحجّة،

(١) تفسير الطبرى ١٢ / ٥٥٩ - ٥٦٠ ، وتفسير البغوى ٢ / ٤٠٠ .

(٢) تفسير الرازى ١٨ / ٥١ .

(٣) تقدم معنى قوله: «فاصبحوا في ديارهم جاثمين» في ص ١٥٧ من هذا الجزء، وقوله: «كان لم يغروا فيها» في ٢٨٦ / ٩ ، وقوله: «الا بعد» في ص ١٤٧ من هذا الجزء.

(٤) في إعراب القرآن ٢ / ٣٠٠ ، وما قبله منه، وقراءة السلمي في القراءات الشاذة ص ٦١ .

وازاحة كل علة. «بِآيَاتِنَا» أي: بالتوراة، وقيل: بالمعجزات. «وَسُلْطَنٍ مُّبِينٍ» أي: حجّة بيّنة، يعني العصا<sup>(١)</sup>. وقد مضى في «آل عمران» معنى السلطان واشتقاقه<sup>(٢)</sup>، فلا معنى للإعادة.

«وَالَّذِي فِرْعَوْنَكَ وَمَلَائِيكَهُ فَأَبَيْتُمَا أَثْرَ قَرْبَوْنَ» أي: شأنه وحاله، حتى اتخاذوه إلهًا، وخالفوا أمر الله تعالى. «وَمَا أَثْرَ فِرْعَوْنَ بِرِشِيدٍ» أي: بسديده يؤدي إلى صواب. وقيل: «بِرِشِيدٍ» أي: بمرشد إلى خير<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: «يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَمَةِ» يعني أنه يتقدّمهم إلى النار، إذ هو رئيسهم. يقال: قدمهم يقدّمهم قدماً وقدوماً: إذا تقدّمهم<sup>(٤)</sup>. «فَأَفَرَدَهُمُ الْتَّارِ» أي: أدخلهم فيها. ذكر بلفظ الماضي، والمعنى: فيوردهم النار، وما تحقق وجوده فكانه كائن، فلهذا يعبر عن المستقبل بالماضي<sup>(٥)</sup>. «وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُوذُ» أي: بشس المدخل المدخول، ولم يقل: بنسست؛ لأن الكلام يرجع إلى الورزد<sup>(٦)</sup>، وهو كما تقول: نعم المنزل دارك، ونعمت المنزل دارك. والورزد<sup>(٧)</sup>: الماء الذي يورّد، والموضع الذي يورّد، وهو بمعنى المفعول.

قوله تعالى: «وَأَتَيْعُوا فِي هَذِهِ لَقَنَةَ» أي: في الدنيا. «وَيَوْمَ الْقِيَمَةِ» أي: ولعنة يوم القيمة، وقد تقدّم هذا المعنى<sup>(٨)</sup>.

«وَبِئْسَ الْرِّفْدُ الْمَرْفُوذُ» حكى الكسائي وأبو عبيدة: رفده أرفده رفداً، أي: أعنثه

(١) ذكره الواحدى في الوسيط ٢/٥٨٨ عن ابن عباس رضي الله عنهما . ٣٥٧/٤ . (٢)

(٣) الوسيط للواحدى ٢/٥٨٨ .

(٤) إعراب القرآن للتحاسن ٢/٣٠٠ .

(٥) ينظر المحرر الوجيز ٣/٢٠٥ .

(٦) في (م): المورود. والكلام بنحوه في تفسير الرازى ١٨/٥٤ .

(٧) في (م): والمورود.

(٨) ص ١٤٧ من هذا الجزء.

وأعطيته. واسم العطية: الرُّفْدُ<sup>(١)</sup>، أي: بنس العطاء والإعانة. والرُّفْدُ والرُّفْدُ<sup>(٢)</sup> أيضاً: القَدْحُ الضخم؛ قاله الجوهرى<sup>(٣)</sup>، والتقدير: بنس الرُّفْدِ رُفْدُ المرفود. وذكر الماوردى: أنَّ الرُّفْدَ بفتح الراء: القَدْحُ، والرُّفْدَ بكسرها: ما في القدح من الشراب، حكى ذلك عن الأصمعى، فكانه ذمًّا بذلك ما يُسقونه فى النار. وقيل: إنَّ الرُّفْدَ الزيادة، أي: بنس ما يُرْفدون به بعد الغرق النارُ، قاله الكلبى<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقَرَىٰ نَقْصُمُ عَلَيْكَ مِنْهَا قَائِمٌ وَحَسِيدٌ ۚ وَمَا ظَلَّتْ هُنْمَانٍ وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ فَمَا أَغْنَتْ عَنْهُمْ إِلَهُهُمُ الَّتِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ وَلَمَّا جَاءَهُمْ رَبِّهِمْ وَمَا زَادُوهُمْ غَيْرَ تَنْتِيبٍ ۚ وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخْذَ الْقَرَىٰ وَهِيَ ظَلِيمَةٌ إِنَّ أَخْذَهُمْ أَلِيمٌ شَدِيدٌ ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ ذَلِكَ يَوْمٌ يَجْمُوعُ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَسْهُودٌ ۚ وَمَا تُؤْخِرُهُ إِلَّا لِأَجْلِ مَقْدُورٍ ۚ يَوْمٌ يَأْتِي لَا تَكُلُّ نَفْسٌ إِلَّا بِذُنْبِهِ فَيَمْهُمُ شَفِقٌ وَسَعِيدٌ ۚ فَأَنَا الَّذِينَ شَفَعُوا فِي الْأَنْارِ لَمْ يَنْفَعُ ذِيَّهُمْ وَسَيِّئُهُمْ ۚ خَلِيلِنِي فِيهَا مَا دَامَتْ أَسْمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبِّكَ إِنَّ رَبِّكَ فَعَالٌ لِمَا يُرِيدُ ۚ وَأَمَّا الَّذِينَ سُعِدُوا فِي الْأَنْارِ خَلِيلِي فِيهَا مَا دَامَتْ أَسْمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبِّكَ عَلَاهُ غَيْرُ مَجْدُوفٍ ۚ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَقٍ مِمَّا يَعْبُدُ هَذُولَهُ مَا يَعْبُدُ مَا بَأَوْهُمْ مِنْ قَبْلٍ وَلَا مَوْفُوْهُمْ نَصِيبُهُمْ غَيْرُ مَنْعُوسٍ﴾

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْقَرَىٰ نَقْصُمُ عَلَيْكَ﴾ «ذلك» رفع على إضمار مبتدأ، أي: الأمر ذلك. وإن شئت بالابتداء<sup>(٥)</sup>، والمعنى: ذلك النبأ المتقدم من أنباء القرى

(١) إعراب القرآن للنحاس ٢/٣٠٠ . وقول أبي عبيدة في مجاز القرآن له ١/٢٩٨ .

(٢) قوله: والرُّفْدُ (الثانية)، ليس في (م).

(٣) الصحاح (رُفْد).

(٤) النكت والعيون ٢/٥٠٢ .

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٢/٣٠٠ .

نقضه عليك.

**﴿مِنْهَا قَائِمٌ وَحَصِيدُ﴾** قال قتادة: القائم ما كان قائماً<sup>(١)</sup> على عروشه، وال حصيد ما لا أثر له. وقيل: القائم: العامر، وال حصيد: الخراب، قال ابن عباس<sup>(٢)</sup>. وقال مجاهد: قائم: خاوية على عروشها، و حصيد: مُسْتَأْصل، يعني محصوراً، كالزرع إذا حُصد، قال الشاعر:

والناس في قسم المنيّة بينهم كالزرع منه قائم و حصيد<sup>(٣)</sup>  
وقال آخر:

إنما نحن مثل خاماً زرع فمتى يأن يأت مُحَصِّدُ<sup>(٤)</sup>  
قال الأخفش سعيد<sup>(٥)</sup>: حصيد، أي: محصور، وجمعه: حَصَدَى وَحِصَادَ،  
مثل: مرضى و مراض، قال: يكون فيمن يعقل: حَصَدَى، مثل: قَتِيل و قَتْلَى<sup>(٦)</sup>.

**﴿وَمَا ظلمَنَّهُمْ﴾** أصل الظلم في اللغة: وضع الشيء في غير موضعه، وقد تقدّم في «البقرة» مستوفى<sup>(٧)</sup>. **﴿وَلَكِنْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾** بالكفر والمعاصي. وحکى سيبويه أنه يقال: ظلم إيه<sup>(٨)</sup> **﴿فَمَا أَغْتَثَ﴾** أي: دفعت. **﴿عَنْهُمْ كُلُّهُمُ الَّذِي يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾** في الكلام حذف، أي: التي كانوا يعبدون، أي: يدعون. **﴿وَلَنَا جَاءَ أَمْرُ رَبِّكَ وَمَا زَادُوهُمْ عَيْرَ تَنْتَبِ﴾** أي: غير تحسير، قاله مجاهد و قتادة<sup>(٩)</sup>. وقال لبيد:

(١) في (د) و(ز) و(ف) و(م): خاوية، والمثبت من (ظ)، وهو المافق لما أخرجه الطبرى ٥٦٧/١٢.

(٢) أخرجه الطبرى ١٢/٥٦٧ بنحوه.

(٣) النكت والعيون ٢/٥٠٣.

(٤) قاله الطريماح، وهو في ديوانه ص ١٩٨ ، والشطر الأول فيه: إنما الناس مثل ثابتة الزرع. وأورده بلفظ المصتف ابن فارس في معجم مقاييس اللغة ٢/٧١.

(٥) في معاني القرآن ٢/٥٨٢ ، ونقله المصتف عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٢/٣٠١.

(٦) في إعراب القرآن: ويجوز فيمن يعقل: حَصَدَاءَ مثل: قَبِيل وَقَبْلَاءَ. وينظر الدر المصنون ٦/٣٨٤.

(٧) ٤٦١ - ٤٦٠/١.

(٨) إعراب القرآن للنحاس ٢/٣٠١.

(٩) أخرجه الطبرى ١٢/٥٦٩ - ٥٧٠.

فَلَقْدَ بَلِيتُ وَكُلُّ صَاحِبِ جِلَّةٍ لِّيَلَى يَعُودُ وَذَاكُمُ التَّثْبِيبُ<sup>(١)</sup>  
وَالْتَّبَابُ: الْهَلَكَ وَالخَسْرَانُ، وَفِيهِ إِضْمَارٌ، أَيْ: مَا زَادُوهُمْ عِبَادَةً لِأَصْنَامٍ،  
فَحَذَفَ الْمَضَافُ، أَيْ: كَانَتْ عِبَادَتُهُمْ إِيَاهَا قَدْ خَسَرُوهُمْ ثَوَابَ الْآخِرَةِ<sup>(٢)</sup>.

قُولُهُ تَعَالَى: ﴿وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخْذَ الْقَرَى﴾ أَيْ: كَمَا أَخْذَ هَذِهِ الْقَرَى الَّتِي  
كَانَتْ لِنُوحٍ وَعَادٍ وَثُمُودًا يَأْخُذُ جَمِيعَ الْقَرَى الظَّالِمَةِ.

وَقَرَأَ عَاصِمُ الْجَحْدَرِيُّ وَطَلْحَةُ بْنُ مَصْرُوفٍ: «وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخْذَ الْقَرَى»<sup>(٣)</sup>.

وَعَنِ الْجَحْدَرِيِّ أَيْضًا: «وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ» كَالْجَمَاعَةِ «إِذَا أَخْذَ الْقَرَى»<sup>(٤)</sup>.

قَالَ الْمَهْدُوِيُّ: مِنْ قَرَأَ: «وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ إِذَا أَخْذَ» فَهُوَ إِخْبَارٌ عَمَّا جَرَتْ<sup>(٥)</sup> بِهِ  
الْعَادَةُ فِي إِهْلَكِ مَنْ تَقْدَمَ مِنَ الْأَمْمَ، وَالْمَعْنَى: وَكَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ مَنْ أَخْذَهُ مِنَ  
الْأَمْمِ<sup>(٦)</sup> الْمُهْلَكَةُ إِذَا أَخْذَهُمْ.

وَقِرَاءَةُ الْجَمَاعَةِ عَلَى أَنَّهُ مَصْدَرُ، وَالْمَعْنَى: كَذَلِكَ أَخْذُ رَبِّكَ مَنْ أَرَادَ إِهْلَكَهُ مَتَى  
أَخْذَهُ، فَ«إِذَا» لِمَا مَضَى، أَيْ: حِينَ أَخْذَ الْقَرَى، وَ«إِذَا» لِلْمُسْتَقْبَلِ.

﴿وَهِيَ ظَلَمَةٌ﴾ أَيْ: وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ، فَحَذَفَ الْمَضَافُ، مِثْلًا: ﴿وَتَشَلِّ الْقَرَى﴾

[يُوسُف: ٨٢]<sup>(٧)</sup>.

(١) لَمْ نَقْفُ عَلَيْهِ فِي الْمُطَبَّعِ مِنْ دِيْوَانِ لَبِيدِ، وَالْكَلَامُ فِي النُّكْتَ وَالْعَيْنَ ٥٠٣/٢، وَقَدْ ذُكِرَ الْبَيْتُ  
الْزَّاجَاجِيُّ فِي أَمَالِيِّهِ صِ ١٢٧ ضَمِّنَ قَصِيْدَةِ لَتْوِيفِ بْنِ نُعَيْفِ الْفَقْعَسِيِّ، وَلَفْظُهُ:

قَالَتْ: كَبِيرَةٌ، وَكُلُّ صَاحِبِ لَهُ لِيَلَى يَعُودُ وَذَلِكُ التَّثْبِيبُ

(٢) يَنْظَرُ إِعْرَابُ الْقُرْآنِ لِلنَّحَاسِ ٣٠١/٢.

(٣) تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ ١٢/٥٧٢، وَإِعْرَابُ الْقُرْآنِ لِلنَّحَاسِ ٢/٣٠١ عن عَاصِمِ الْجَحْدَرِيِّ. وَالْمُحَرِّرُ الْوَجِيزُ  
٣٠٦/٣ عن أَبِي رَجَهِ الْعَطَّارِيِّ وَالْجَحْدَرِيِّ، وَفِيهِ: إِذَا، بَدْلٌ: إِذَا.

(٤) مِنْ قُولِهِ: وَعَنِ الْجَحْدَرِيِّ إِلَى هَذَا الْمَوْضِعِ لَيْسُ فِي (ظ).

(٥) فِي (م): جَادَتْ.

(٦) مِنْ قُولِهِ: وَالْمَعْنَى إِلَى هَذَا الْمَوْضِعِ لَيْسُ فِي (ظ).

(٧) إِعْرَابُ الْقُرْآنِ لِلنَّحَاسِ ٢/٣٠١.

**﴿إِنَّ أَخْذَهُ أَلِيمٌ شَدِيدٌ﴾** أي: عقوبته لأهل الشرك موجعة غليظة.

وفي «صحيحة» مسلم والترمذى<sup>(١)</sup> من حديث أبي موسى: أنَّ رسول الله ﷺ قال: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى يُعْلِمُ لِلظَّالَمِ، حَتَّى إِذَا أَخْذَهُ لَمْ يُفْلِتْهُ»، ثم قرأ: **﴿وَكَذَلِكَ أَخْذَ رَبِّكَ إِذَا أَخْذَ الْقَرَى﴾** الآية. قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح غريب.

قوله تعالى: **﴿إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكَرٌ﴾** أي: لعبرة وموعظة. **﴿لِمَنْ خَافَ عَذَابَ الْآخِرَةِ﴾**. **﴿ذَلِكَ يَوْمٌ﴾**، ابتداء وخبر. **﴿بَقِيمَةٍ﴾** من نعته، **﴿هُنَّ الْكَاشِ﴾** اسم ما لم يسمَّ فاعله، ولهذا لم يقل: مجتمعون؛ فإنَّ قدرت ارتفاع «الناس» بالابتداء، والخبر «مجموع له»، فإنما لم يقل: مجتمعون، على هذا التقدير؛ لأنَّ «له» يقوم مقام الفاعل<sup>(٢)</sup>. والجمع: الحشر، أي: يحشرون لذلك اليوم. **﴿وَذَلِكَ يَوْمٌ مَسْهُودٌ﴾** أي: يشهده البرُّ والفاجر، ويشهده أهلُ السماء. وقد ذكرنا هذين الاسمين مع غيرهما من أسماء القيمة في كتاب «الذكرة»<sup>(٣)</sup> وبيناهما، والحمد لله.

قوله تعالى: **﴿وَمَا تُؤْتِيهِ رِبُّهُ﴾** أي: ما نؤخر ذلك اليوم. **﴿إِلَّا لِأَجْلٍ مَقْدُورٍ﴾** أي: لأجل سبق به قضاونا، وهو معدود عندنا. **﴿يَوْمٌ يَأْتِي﴾**، وقرئ: **﴿يَوْمَ يَأْتِي﴾**؛ لأنَّ الياء تُحذف إذا كان قبلها كسرة، تقول: لا أدر، ذكره القشيري.

قال النحاس<sup>(٤)</sup>: قراءة أهلُ المدينة وأبو عمرو والكسائي بإثبات الياء في الإدراج، وحذفها في الوقف، وروي أنَّ أبيَا وابنَ مسعود قرأ: «يَوْمٌ يَأْتِي» بالياء في الوقف والوصل<sup>(٥)</sup>. وقرأ الأعمش وحمزة: «يَوْمَ يَأْتِي» بغير ياء في الوقف والوصل<sup>(٦)</sup>.

(١) صحيح مسلم (٢٥٨٣)، وسنن الترمذى (٣١١٠)، وهو عند البخارى (٤٦٨٦).

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٣٠١/٢.

(٣) ص ٢٢٠ و ٢٢٩.

(٤) في إعراب القرآن ٣٠٢/٢ - ٣٠١/٢.

(٥) وهي قراءة ابن كثير ويعقوب . السبعة ص ٣٣٩ - ٣٣٨ ، والتيسير ص ١٢٧ ، والنشر ٢/٢ ٢٩٢ .

(٦) قراءة حمزة في السبعة ص ٣٣٩ ، ووافقه ابن عامر وعاصم.

قال أبو جعفر النحاس<sup>(١)</sup>: الوجه في هذا ألا يوقف عليه، وأن يُوصل بالياء، لأن جماعة من النحوين قالوا: لا تمحض الياء، ولا يجزم الشيء بغير جازم، فاما الوقف بغير ياء فيه قول للكسائي، قال: لأن الفعل السالم يُوقف عليه كالمحزوم، فمحض الياء، كما تمحض الضمة. وأما قراءة حمزة فقد احتاج أبو عبيد لمحض الياء في الوصل والوقف بحججتين: إحداهما: أنه زعم أنه رأى في الإمام الذي يقال له إنه مصحف عثمان<sup>هـ</sup> بغير ياء. والحججة الأخرى: أنه حكى أنها لغة مُذيل، تقول: ما أدر.

قال النحاس<sup>(٢)</sup>: أما حججته بمصحف عثمان<sup>هـ</sup> فشيء يرده عليه أكثر العلماء، قال مالك بن أنس رحمه الله: سألت عن مصحف عثمان<sup>هـ</sup> فقيل لي: ذهب. وأما حججته بقولهم: «ما أدر» فلا حججة فيه؛ لأن هذا الحرف<sup>(٣)</sup> قد حكاه النحويون القدماء، وذكروا علته، وأنه لا يفاس عليه. وأنشد الفراء في حذف الياء **كَفَاكَ كَفْ مَا تُلْبِقُ دِرْهَمًا جُودًا وَآخْرِي تُغْطِي بِالسِيفِ الدَّمًا**<sup>(٤)</sup> أي: تعطي. وقد حكى سيبويه والخليل أن العرب تقول: لا أدر، فتحذف الياء وتتجزئ بالكسر، إلا أنهم يزعمون أن ذلك لكثر الاستعمال. قال الزجاج<sup>(٥)</sup>: والأجود في النحو إثبات الياء، قال: والذي أراه اتباع المصحف وإجماع القراء؛ لأن القراءة سُنة، وقد جاء مثله في كلام العرب.  
**﴿لَا تَكَلَّمْ نَفْسٌ إِلَّا بِإِذْنِهِ﴾** الأصل: تتكلّم، حُذفت إحدى التاءين تخفيفاً<sup>(٦)</sup>.

(١) في إعراب القرآن ٣٠٢/٢ .

(٢) في إعراب القرآن ٣٠٢/٢ ، وما قبله منه.

(٣) في (د) و(م): الحذف، والمثبت من (ز) و(ظ) و(ف)، وهو الموافق لإعراب القرآن.

(٤) معاني القرآن للقراء ٢٧/٢ ، والأضداد للأنباري ص ٢٦٤ ، ودرة الغواص للحريري ص ١٦٥ . و قوله: ما تُلْبِقُ درْهَمًا، أي: ما تجحبه ولا تلتصق به. اللسان (ليق).

(٥) في معاني القرآن ٧٧/٣ ، وما قبله منه.

(٦) إعراب القرآن للنحاس ٣٠٢/٢ .

وفي إضمار، أي: لا تتكلّم فيه نفسٌ إلّا بالماذون فيه من حسن الكلام؛ لأنهم مُلجّؤن إلى ترك القبيح. وقيل: المعنى: لا تتكلّم بحجّة ولا شفاعة إلّا بإذنه. وقيل: إنّ لهم في الموقف وقتاً يُمنعون فيه من الكلام إلّا بإذنه<sup>(١)</sup>.

وهذه الآية أكثر ما يسأل عنها أهل الإلحاد في الدين. فيقول: لم قال: ﴿لَا تَكَلِّمْ نَفْسَ إلَّا بِإِذْنِهِ﴾ و﴿هَذَا يَوْمٌ لَا يَنْطِقُونَ وَلَا يُؤْذَنُ لَهُمْ فَيَتَذَرَّوْنَ﴾ [المرسلات: ٣٥]. وقال في موضعٍ من ذكر القيمة: ﴿فَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَنْلَمِعُونَ﴾ [القلم: ٣٠]. وقال: ﴿هُوَ يَوْمٌ تَأْنِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَدِّلُ عَنْ نَفْسِهَا﴾ [النحل: ١١١]. وقال: ﴿وَقَوْمٌ لَا يَشْرُكُونَ﴾ [الصفات: ٢٤]. وقال: ﴿فَيَوْمَ لَا يُشَعِّلُ عَنْ ذَلِكُهُ إِلَّا شَجَانٌ﴾<sup>(٢)</sup> [الرحمن: ٣٩].

والجواب ما ذكرناه، وأنهم لا ينطقون بحجّة تجب لهم، وإنما يتكلّمون بالإقرار بذنبهم، ولوّم بعضهم بعضاً، وطرح بعضهم الذنب على بعض، فأما التكلّم والتعليق بحجّة لهم فلا، وهذا كما تقول للذّي يُخاطبك كثيراً وخطابه فارغ عن الحجّة: ما تكلّمت بشيء، وما نطقت بشيء، فسمّي من يتكلّم بلا حجّة فيه له غير متكلّم. وقال قوم: ذلك اليوم طويل، وله مواطنٌ ومواقفٌ، في بعضها يُمنعون من الكلام، وفي بعضها يُطلق لهم الكلام، فهذا يدلّ على أنه لا تتكلّم نفسٌ إلّا بإذنه<sup>(٣)</sup>.

﴿فَيَنْهَا شَفِقٌ وَسَعْيٌ﴾ أي: من الأنفس، أو من الناس، وقد ذكرهم في قوله: ﴿هُوَ يَوْمٌ يَجْمِعُ لَهُ النَّاسُ﴾. والشقيق الذي كتبت عليه الشقاوة، والسعيد الذي كتبت عليه السعادة، قال ليد<sup>(٤)</sup>:

فمنهم سعيدٌ أخذ بنصيبه      ومنهم شقيقٌ بالمعيشة قانع  
وروى الترمذى<sup>(٥)</sup> عن ابن عمر، عن عمر بن الخطاب قال: لما نزلت هذه الآية

(١) النكّت والعيون ٥٠٣/٢.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٧٧/٣ - ٧٨ .

(٣) معاني القرآن للزجاج ٧٨/٣ - ٧٩ .

(٤) ديوانه ص ١٧٠ .

(٥) في سنته (٣١١١)، وهو عند أحمد (١٩٦).

**﴿فَيَنْهَا شَفِقٌ وَسَعِيدٌ﴾** سألتُ رسول الله ﷺ، فقلت: يا نبئي الله، فعلام نعمل؟ على شيء قد فرغ منه، أو على شيء لم يفرغ منه؟ فقال: «بَلْ عَلَى شَيْءٍ قَدْ فَرَغَ مِنْهُ، وَجَرَثَ بِالْأَقْلَامِ يَا عُمَرَ، وَلَكِنْ كُلُّ مُيَسِّرٍ لِمَا خُلِقَ لَهُ». قال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه، لا نعرفه إلا من حديث عبد الله بن عمر، وقد تقدّم في الأعراف»<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: **﴿فَاتَّمَا الَّذِينَ شَقَوْا﴾** ابتداء. **﴿فَقِيَ الْتَّارِ﴾** في موضع الخبر، وكذا **﴿فَمَنْ فِيهَا زَفِيرٌ وَشَهِيقٌ﴾** قال أبو العالية: الزفير من الصدر، والشهيق من الحلق<sup>(٢)</sup>، وعنده أيضاً ضده ذلك<sup>(٣)</sup>. وقال الزجاج<sup>(٤)</sup>: الزفير من شدة الأنين، والشهيق من الأنين المرتفع جداً، قال: وزعم أهل اللغة من الكوفيين والبصريين أنَّ الزفير بمنزلة ابتداء صوت الحمير في النهيق، والشهيق بمنزلة آخر صوت الحمار في النهيق. وقال ابن عباس <صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ> عكسه؛ قال: الزفير: الصوت الشديد، والشهيق: الصوت الضعيف<sup>(٥)</sup>. وقال الضحاك ومقاتل: الزفير مثل أول نهيق الحمار، والشهيق مثل آخره حين فرغ من صوته<sup>(٦)</sup>، قال الشاعر:

خَسْرَاجٌ فِي الْجَوْفِ سَحِيلًا أَوْ شَهَقٌ      حَتَّى يُقَالَ نَاهِقٌ وَمَا نَاهِقٌ<sup>(٧)</sup>  
وَقِيلَ: الرَّفِيرُ: إِخْرَاجُ النَّفَسِ، وَهُوَ أَنْ يَمْتَلَّ الْجَوْفُ غَمْمًا فَيَخْرُجُ بِالنَّفَسِ،  
وَالشَّهِيقُ: رُدُّ النَّفَسِ<sup>(٨)</sup>.

(١) ٣٧٦/٩.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٣٠٣/٢ ، والمحرر الوجيز ٢٠٧/٣ .

(٣) آخر جه الطبرى ٥٧٧/١٢ .

(٤) في معاني القرآن ٧٩/٣ ، ونقله المصطف عنه بواسطة إعراب القرآن للنحاس ٣٠٣/٢ .

(٥) آخر جه الطبرى ٥٧٧/١٢ .

(٦) تفسير البغوي ٤٠٢/٢ .

(٧) الرجل لرؤبة بن العجاج، وهو في ديوانه ص ١٠٦ ، والسعيل: الصوت الذي يدور في صدر الحمار. اللسان (سحل).

(٨) ينظر تهذيب اللغة ١٩٣/١٣ .

وقيل: الزَّفِير ترديد النَّفَس من شَدَّةِ الحُزْنِ، مَاخوذٌ من الرَّفْرِ، وهو الْحَمْلُ على الظَّهُور لشِدَّتِهِ. والشَّهِيق: النَّفَس الطَّوِيل الْمُمْتَدَّ، مَاخوذٌ من قُولِهِمْ: جَبَلٌ شَاهِقٌ، أي: طَوِيلٌ<sup>(١)</sup>. والزَّفِير والشَّهِيق من أصوات المُحَزَّوْنِ<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿خَلَقْنَاكُمْ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾ «ما دامت» في موضع نصب على الظرف، أي: دوام السماوات والأرض، والتقدير: وقت ذلك<sup>(٣)</sup>.

واختلف في تأويل هذا، فقالت طائفةً: منهم الضحاك: المعنى: ما دامت سماوات الجنة والنار وأرضهما، والسماء كلُّ ما علاك فأظللك، والأرض ما استقرَ عليه قدمُك<sup>(٤)</sup>، وفي التنزيل: ﴿وَأَرَيْنَا الْأَرْضَ نَبْعَدًا مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشاءُ﴾ [الزمر: ٧٤].

وقيل: أراد به السماء والأرض المعهودتين في الدنيا، وأجري ذلك على عادة العرب في الإخبار عن دوام الشيء وتأبيده، كقولهم: لا آتيك ما جنَّ ليل، أو سال سيل، وما اختلف الليل والنهر، وما ناح الحمام، وما دامت السماوات والأرض، ونحو هذا مما يريدون به طولاً من غير نهاية، ففهمهم الله تخليد الكفرة بذلك، وإن كان قد أخبر بزوال السماوات والأرض<sup>(٥)</sup>.

وعن ابن عباس: أنَّ جمِيع الأشياء المخلوقة أصلُها من نور العرش، وأنَّ السماوات والأرض في الآخرة تُرَدَان إلى النور الذي أخذتا منه، فهما دائمتان أبداً في نور العرش<sup>(٦)</sup>.

قوله تعالى: ﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾ في موضع نصب، لأنَّه استثناء ليس من

(١) النكت والمغيبون ٥٠٤/٢.

(٢) تهذيب اللغة ٣٨٩/٥.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٣٠٣/٢.

(٤) الوسيط للواحدي ٥٩١/٢ ، وتفسير البغوي ٤٠٢/٢.

(٥) المحرر الوجيز ٢٠٨/٣.

(٦) ذكره ابن عطيه في المحرر الوجيز ٢٠٨/٣ بنحوه مختصرأ.

الأول<sup>(١)</sup>، وقد اختلف فيه على أقوال عشرة:

الأول: أنه استثناء من قوله: «فَمَنْ شَاءَ رِبُّكَ مِنْ تَأْخِيرِ قَوْمٍ عَنْ ذَلِكَ». وهذا قول أبو نصرة عن أبي سعيد الخدري أو جابر<sup>(٢)</sup> رضي الله عنهما<sup>(٣)</sup>. وإنما لم يقل: مَنْ شَاءَ؛ لأنَّ المراد العدد لا الأشخاص، كقوله: «فَمَا طَابَ لَكُمْ» [النساء: ٣]. وعن أبي نصرة، عن رسول الله ﷺ: «إِلَّا مَنْ شَاءَ إِلَّا يُدْخِلُهُمْ وَإِنْ شَوَّا بِالْمُعْصِيَةِ»<sup>(٤)</sup>.

الثاني: أنَّ الاستثناء إنما هو للعصاة من المؤمنين في إخراجهم بعد مُؤْتَهُ من النار، وعلى هذا يكون قوله: «فَمَا أَلَّا مَنْ شَوَّا عَمَّا فِي الْكَفَرِ وَالْعَصَمِ»، ويكون الاستثناء من «الْخَالِدِينَ»؛ قاله قتادة والضحاك وأبو سنان وغيرهم<sup>(٥)</sup>.

وفي الصحيح من حديث أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ: «يَدْخُلُ نَاسٌ جَهَنَّمَ، حَتَّى إِذَا صَارُوا كَالْحُمَّةِ؛ أُخْرَجُوهُ مِنْهَا وَدَخَلُوهُ الْجَنَّةَ، فَيُقَالُ: هُؤُلَاءِ الْجَهَنَّمِيُّونَ»<sup>(٦)</sup> وقد تقدَّمَ هذا المعنى في [النساء]<sup>(٧)</sup> وغيرها.

الثالث: أنَّ الاستثناء من الزَّفَرِ وَالشَّهِيقِ، أي: لهم فيها زَفَرٌ وَشَهِيقٌ إِلَّا مَا شَاءَ رِبُّكَ مِنْ أَنْوَاعِ الْعَذَابِ الَّذِي لَمْ يُذَكِّرْهُ، وَكَذَّلِكَ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ مِنْ النَّعِيمِ، مَا ذُكِرَ وَمَا لَمْ يُذَكِّرْ. حَكَاهُ أَبُو الْأَنْبَارِ<sup>(٨)</sup>.

(١) إعراب القرآن للتحاسن . ٣٠٣ / ٢.

(٢) في النسخ: وجابر، والمثبت من مصادر التخريج.

(٣) أخرجه عبد الرزاق في تفسيره ٢/٣١٣ ، والطبرى ١٢/٥٨١ ، وأبو نصرة: هو المتنر بن مالك.

(٤) كذا ذكره الماوردي هكذا في النكت والعيون ٢/٥٠٥ مرسلاً.

(٥) أخرجه الطبرى ١٢/٥٧٩ - ٥٨١ ، وينظر المحرر الوجيز ٣/٢٠٨ وأبو سنان: هو ضرار بن مرة الشيباني.

(٦) أخرجه بنحوه أحمد (١٢٢٥٨)، والبخاري (٦٥٥٩). والحمَّة: الفحمة، النهاية (حِمَم).

(٧) ٤٠ / ٧ وما بعدها.

(٨) النكت والعيون ٢/٥٠٥ - ٥٠٦ ، وهو قول الزجاج في معانٍ القرآن ٣/٨٠ .

الرابع: قال ابن مسعود: **﴿خَلِدُوكُنْ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ﴾**: لا يموتون فيها، ولا يخرجون منها **﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾** وهو أن يأمر النار فتأكلهم وتُقْتِلُهُم، ثم **يُجَدِّدُ خَلْقَهُمْ**<sup>(١)</sup>.

قلت: وهذا القول خاص بالكافر والاستثناء له في الأكل وتجديد الخلق.  
الخامس: أن «إلا» بمعنى «سوى»، كما تقول في الكلام: ما معنِي رجل إلا زيد،  
ولي عليك ألفا درهم إلا الألف التي لي عليك<sup>(٢)</sup>.

قيل: فالمعنى: ما دامت السماوات والأرض سوى ما شاء ربُّك من الخلود.  
السادس: أنه استثناء من الإخراج، وهو لا يريد أن يُخْرِجَهُم منها. كما تقول في الكلام: أردت أن أفعل ذلك إلا أن أشاء غيره، وأنت مقيم على ذلك الفعل، فالمعنى أنه لو شاء أن يُخْرِجَهُم لأخرجهم، ولكنه قد أعلمهم أنهم خالدون فيها. ذكر هذين القولين الزجاج<sup>(٣)</sup> عن أهل اللغة، قال: ولأهل المعاني قولهان آخران:  
فأحد القولين: **﴿خَلِدُوكُنْ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾** من مقدار موقفهم على رأس قبورهم، وللتحاسبة، وقدر مُكْثِهم في الدنيا، والبرزخ، والوقوف للحساب.

والقول الآخر: وقوع الاستثناء في الزيادة على النعيم والعذاب، وتقديره:  
**﴿خَلِدُوكُنْ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾** من زيادة النعيم لأهل النعيم،  
وزيادة العذاب لأهل الجحيم<sup>(٤)</sup>.

قلت: فالاستثناء في الزيادة من الخلود على مُدَّة كون السماء والأرض

(١) زاد المسير / ٤ / ١٦٠ .

(٢) المحرر الوجيز / ٣ / ٢٠٨ .

(٣) في معاني القرآن / ٣ / ٧٩ - ٨٠ .

(٤) هذا القول ليس في معاني الزجاج، والقول الآخر الذي ذكره الزجاج هو القول الثالث الذي ذكره المصنف آنفًا.

المعهودتين في الدنيا ، واختاره الترمذى الحكيم أبو عبد الله محمد بن علي<sup>(١)</sup> ، أي: خالدين فيها مقدار دوام السماوات والأرض ، وذلك مدة العالم ، وللسماوات والأرض وقت يتغيران فيه ، وهو قول سبحانه: **﴿يَوْمَ تَبَدَّلُ الْأَرْضُ عَنِ الْأَرْضِ﴾** [إبراهيم: ٤٨] ، فخلق الله سبحانه الآدميين وعاملهم ، واشتري منهم أنفسهم وأموالهم بالجنة ، وعلى ذلك بايعهم يوم الميثاق ، فمن وفى بذلك العهد فله الجنة ، ومن ذهب برقته يخلد في النار بمقدار دوام السماوات والأرض ، فإنما دامت المعاملة ، وكذلك أهل الجنة؛ خلود في الجنة بمقدار ذلك ، فإذا تمت هذه المعاملة ، وقع الجميع في مشيئة الله ، قال الله تعالى: **﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا يَنْهَا لَعِيْكَ مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾** [الدخان: ٣٨] ، فيخلد أهل الدارين بمقدار دوامهما ، وهو حق الربوية بذلك المقدار من العظمة ، ثم أوجب لهم الأبد في كلتا الدارين؛ لحق الأبدية ، فمن لقيه موحداً لا أحديته ، بقي في داره أبداً ، ومن لقيه مشركاً بأحاديته إليها ، بقي في السجن أبداً ، فأعلم الله العباد بمقدار الخلود ، ثم قال: **﴿إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ﴾** من زيادة المدة التي تعجز القلوب عن إدراكها؛ لأنه لا غاية لها؛ فبالاعتقاد دام خلودهم في الدارين أبداً. وقد قيل: إن «إلا» بمعنى الواو ، قاله الفراء<sup>(٢)</sup> وبعض أهل النظر. وهو الثامن<sup>(٣)</sup> ، والمعنى: وما شاء ربك من الزيادة في الخلود على مدة دوام السماوات والأرض في الدنيا. وقد قيل في قوله تعالى: **﴿إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾** [العنكبوت: ٤٦] أي: ولا الذين ظلموا. وقال الشاعر:

**وَكُلُّ أَخِيْ مُفَارِقُهُ أَخْوَهُ لَعْمَرُ أَبِيكَ إِلَّا الْفَرْقَدَانِ<sup>(٤)</sup>**  
أي: والفرقدان. وقال أبو محمد مكي: وهذا قول بعيد عند البصريين أن تكون

(١) لم تقف عليه.

(٢) في معاني القرآن ٢/٢٨.

(٣) لم يذكر المصطف السابع.

(٤) سلف ص ٥٤ من هذا الجزء.

«إلا» بمعنى الواو، وقد مضى في «البقرة» بيانه<sup>(١)</sup>.

وقيل: معناه: كما شاء ربك، كقوله تعالى: «وَلَا تَكْحُلُوا مَا نَكَحَ إِبَّا أُكُمْ تِنَّ إِنْسَانٌ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ» [النساء: ٢٢] أي: كما قد سلف، وهو التاسع<sup>(٢)</sup>.

العاشر: وهو أن قوله تعالى: «إلا ما شاء ربك» إنما ذلك على طريق الاستثناء الذي ندب الشرع إلى استعماله في كل كلام، فهو على حد قوله تعالى: «لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ أَمِينَ» [الفتح: ٢٧] فهو استثناء في واجب، وهذا الاستثناء في حكم الشرط كذلك، كأنه قال: إن شاء ربك، فليس يوصف بمتأصل ولا منقطع، ويؤيد به ويقويه قوله تعالى: «عَطَاءً غَيْرَ مَجْنُوذٍ»<sup>(٣)</sup>، ونحوه عن أبي عبيد قال: تقدّمت عزيمة المشيئة من الله تعالى في خلود الفريقين في الدارين، فوقع لفظ الاستثناء، والعزمية قد تقدّمت في الخلود، قال: وهذا مثل قوله تعالى: «لَتَدْخُلُنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ أَمِينَ» وقد علم أنهم يدخلونه حتماً، فلم يوجب الاستثناء في الموضعين خياراً، إذ المشيئة قد تقدّمت بالعزيمة في الخلود في الدارين والدخول في المسجد الحرام، ونحوه عن الفراء<sup>(٤)</sup>.

وقول حادي عشر: وهو أن الأشقياء هم السعداء، والسعداء هم الأشقياء لا غيرهم، والاستثناء في الموضعين راجع إليهم، وبيانه: أن «ما» بمعنى «من» استثنى الله عزوجل من الداخلين في النار المخلدين فيها الذين يخرجون منها من أمّة محمد ﷺ بما معهم من الإيمان، واستثنى من الداخلين في الجنة المخلدين فيها الذين يدخلون النار بذنبهم قبل دخول الجنة، ثم يخرجون منها إلى الجنة، وهم الذين وقع عليهم الاستثناء الثاني، كأنه قال تعالى: «فَأَمَّا الَّذِينَ شَقَّوْا فِي النَّارِ فَلَمْ يَرْبِدْ وَشَهِيْقٌ

(١) ٤٥٥ - ٤٥٦.

(٢) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ١٦١/٤ ونسبة للتعليق.

(٣) المحرر الوجيز ٢٠٨/٣.

(٤) في معاني القرآن ٢٨/٢.

خَلِيلِكَ فِيهَا مَا دَامَتِ السَّيَّرُ وَالْأَرْضُ إِلَّا مَا شَاءَ رَبُّكَ<sup>١)</sup> أَلَا يُخْلِدَهُ فِيهَا، وَهُمُ الْخَارِجُونَ مِنْهَا مِنْ أُمَّةٍ مُّحَمَّدٍ<sup>٢)</sup> بِأَيْمَانِهِمْ وَبِشَفَاعَةِ مُحَمَّدٍ<sup>٣)</sup>، فَهُمْ بِدُخُولِهِمُ النَّارَ يُسْمَوْنَ الْأَشْقِيَاءِ، وَبِدُخُولِهِمُ الْجَنَّةَ يُسْمَوْنَ السُّعَدَاءِ، كَمَا رَوَى الْضَّحَّاكُ عَنْ أَبْنَ عَبَّاسٍ إِذْ قَالَ: الَّذِينَ سُعِدُوا شَقُوا بِدُخُولِ النَّارِ، ثُمَّ سُعِدُوا بِالْخُرُوجِ مِنْهَا وَدُخُولِهِمُ الْجَنَّةَ<sup>٤)</sup>.

وَقَرأَ الْأَعْمَشُ وَحَفْصُ وَحْمَزَةُ وَالْكَسَائِيُّ: «وَأَنَا الَّذِينَ سُعِدُوا»<sup>٥)</sup> بِضمِّ السِّينِ. وَقَالَ أَبُو عُمَرُو: وَالدَّلِيلُ عَلَى أَنَّهُ سَعِدُوا أَنَّ الْأُولَى شَقُوا، وَلَمْ يَقُلْ أَشَقُوا. قَالَ النَّحَاسُ<sup>٦)</sup>: وَرَأَيْتُ عَلَيَّ بْنَ سَلِيمَانَ يَتَعَجَّبُ مِنْ قِرَاءَةِ الْكَسَائِيِّ: «سُعِدُوا» مَعَ عِلْمِهِ بِالْعَرَبِيَّةِ! إِذْ كَانَ هَذَا لِحْنًا لَا يَجُوزُ؛ لِأَنَّهُ إِنَّمَا يَقُولُ: سَعِدَ فَلَانُ وَأَسْعَدَهُ اللَّهُ، وَأَسْعَدَ مِثْلَ أَمْرِضِنَا، وَإِنَّمَا احْتَاجَ الْكَسَائِيُّ بِقُولِهِمْ: مَسْعُودٌ، وَلَا حَجَّةٌ لِهِ فِيهِ؛ لِأَنَّهُ يَقُولُ: مَكَانٌ مَسْعُودٌ فِيهِ، ثُمَّ يُحَذَّفُ فِيهِ وَيُسْمَى بِهِ.

قَالَ الْمَهْدُوِيُّ: وَمَنْ ضَمَّ السِّينَ مِنْ «سُعِدُوا» فَهُوَ مَحْمُولٌ عَلَى قُولِهِمْ: مَسْعُودٌ، وَهُوَ شَادٌ قَلِيلٌ؛ لِأَنَّهُ لَا يَقُولُ: سَعِدَ اللَّهُ، إِنَّمَا يَقُولُ: أَسْعَدَهُ اللَّهُ<sup>٧)</sup>. وَقَالَ الشَّعْلَبِيُّ: «سُعِدُوا» بِضمِّ السِّينِ، أَيُّ: رُزِقُوا السَّعَادَةَ، يَقُولُ: سَعِدَ وَأَسْعَدَ بِمَعْنَى وَاحِدٍ.

وَقَرأَ الْبَاقِونُ: «سُعِدُوا» بِفتحِ السِّينِ قِيَاسًا عَلَى «شَقُوا» وَاخْتَارَهُ أَبُو عُبَيْدَ وَأَبُو حَاتِمَ. وَقَالَ الْجُوهَرِيُّ<sup>٨)</sup>: وَالسَّعَادَةُ خَلَافُ الشَّقاوةِ، تَقُولُ: سَعِدَ الرَّجُلُ - بِالْكَسْرِ - فَهُوَ سَعِيدٌ، مَثَلُ: سَلِيمٌ فَهُوَ سَلِيمٌ، وَسُعِدٌ فَهُوَ مَسْعُودٌ، وَلَا يَقُولُ فِيهِ: مُسْعَدٌ، كَأَنَّهُمْ اسْتَغْنَوُا عَنْهُ بِمَسْعُودٍ. وَقَالَ الْقَشِيرِيُّ<sup>٩)</sup> أَبُو نَصْرِ عَبْدُ الرَّجِيمِ: وَقَدْ وَرَدَ: سَعِدَهُ اللَّهُ فَهُوَ مَسْعُودٌ، وَأَسْعَدَهُ اللَّهُ مُسْعَدٌ، فَهَذَا يَقُوِّي قَوْلَ الْكَوْفَيْنِ. وَقَالَ سَيْبُوِيُّهُ: لَا يَقُولُ: سَعِدٌ

(١) ذُكِرَهُ الْمَارُوْدِيُّ فِي النُّكَتِ وَالْعَيْنَ ٥٠٥ / ٢ بِنَحْوِهِ.

(٢) فِي إِعْرَابِ الْقُرْآنِ ٣٠٣ / ٢ ، وَمَا قَبْلَهُ مِنْهُ. وَقِرَاءَةُ حَفْصٍ وَحْمَزَةُ وَالْكَسَائِيُّ فِي السَّبْعَةِ صِ ٣٣٩ ، ٣٧٤ / ١ ، وَالْمُحَرِّرُ الْوَجِيزُ صِ ٢٠٩ / ٣ .

(٣) يَنْظَرُ مُشْكِلُ إِعْرَابِ الْقُرْآنِ ١ / ٣٠٣ ، وَالْمُحَرِّرُ الْوَجِيزُ صِ ٢٠٩ / ٣ .

(٤) فِي الصَّاحِحِ (سَعِدٌ).

فَلَانْ، كَمَا لَا يُقَالُ: شُقِي فَلَانْ؛ لَأَنَّهُ مَا لَا يَتَعَدَّ<sup>(١)</sup>.

**﴿عَطَاهُ عَيْرَ مَجْدُوفٍ﴾** أي: غير مقطوع، من جَذْهَ يَجْذُهُ، أي: قطعه، قال النابغة: **تَجْذُ السَّلُوقِيَّ المَضَاعِفَ نَسْجَهُ وَتُوَقِّدُ بِالصَّفَاحِ نَارَ الْحُبَابِ<sup>(٢)</sup>** قوله تعالى: **﴿فَلَا تُكَ﴾** جزم بالنفي، وحذفت التنوين لكثرة الاستعمال. **﴿فِي مِرْيَةٍ﴾** أي: في شك. **﴿مَمَّا يَكْبُدُ هَؤُلَاءِ﴾** من الآلهة أنها باطل. وأحسن من هذا: أي: قل يا محمد لكل من شك: **«لَا تَكُ فِي مِرْيَةٍ مَمَّا يَعْبُدُ هَؤُلَاءِ»** إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ مَا أَمْرَهُمْ بِهِ، وَإِنَّمَا يَعْبُدُونَهَا كَمَا كَانَ آبَاؤُهُمْ يَفْعَلُونَ؛ تَقْلِيَّاً لَهُمْ<sup>(٣)</sup>.

**﴿وَلَا إِلَهَ إِلَّا لَهُمْ نَصِيبُهُمْ عَيْرَ مَنْتَوْصِ﴾** فيه ثلاثة أقوال:  
أحدها: نصيبهم من الرزق؛ قاله أبو العالية<sup>(٤)</sup>.

الثاني: نصيبهم من العذاب؛ قاله ابن زيد.

الثالث: ما وعدوا به من خير أو شر؛ قاله ابن عباس رضي الله عنهما<sup>(٥)</sup>.

قوله تعالى: **﴿وَلَقَدْ مَأَتَنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَأَخْلَفَ فِيهِ وَلَوْلَا كَلِمَةً سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَعَنِي سَبَقَهُ وَلَأَنَّهُمْ لَفِي شَكٍ مِنْهُ مُرِسِّ﴾**

قوله تعالى: **﴿وَلَوْلَا كَلِمَةً سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ﴾** الكلمة: أن الله عز وجل حكم

(١) ينظر الحجة للقراء السبعة ٤/٣٧٨.

(٢) ديوان النابغة الذبياني ص ١١ ، وفيه: تقد، بدل: تَجْذُ، وسيرد ص ٣١٩ من هذا الجزء. قوله: السلوقي؛ نسبة إلى سلوقي؛ قرية باليمن تنسب إليها الدروع والكلاب. والصفاح: حجارة عراض رقاق. والحباب: ذباب يطير بالليل له شعاع كالسراج، ومنه: نار الحباب، أو هي ما اقتدح من شرر النار في الهواء من تصادم الحجارة. القاموس (سلق) (صفح) (حبب). ويصف النابغة في هذا البيت السيف أنها تقد الدروع التي ضوئها نسجها والفارس والفرس حتى تبلغ الأرض، فتنفتح النار بها من الحجارة. الشعر والشعراء ١/١٧٠.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٢/٣٠٤.

(٤) أخرجه ابن أبي حاتم (١١٢٥٠) ٦/٢٠٨٩.

(٥) أخرج هذا القول والذي قبله الطبرى ١٢/٥٩١ - ٥٩٢.

أن يؤخّرهم إلى يوم القيمة لِمَا عَلِمَ في ذلك من الصلاح، ولو لا ذلك لَقَضى بينهم أجلهم بأن يُثبَّت المؤمن ويُعاقَب الكافر<sup>(١)</sup>. قيل: المراد بين المختلفين في كتاب موسى، فإنهما كانوا بين مُصَدِّقٍ به ومُكَذِّبٍ. وقيل: بين هؤلاء المختلفين فيك يا محمد بتعجّيل العقاب، ولكن سبق الحكم بتأخير العقاب عن هذه الأمة إلى يوم القيمة<sup>(٢)</sup>. ﴿وَإِنَّمَا لَئِنِي شَكَّتْ مِنْهُ مُرِيبٌ﴾ إن حملت على قوم موسى، أي: لفي شك من كتاب موسى، فهم في شك من القرآن.

قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ كُلَّا لَنَا لَيَوْقِنُهُمْ رَبِّكَ أَعْمَلَهُمْ إِنَّمَا يَعْمَلُونَ خَيْرٌ﴾  
قوله تعالى: ﴿وَإِنَّ كُلَّا لَنَا لَيَوْقِنُهُمْ رَبِّكَ أَعْمَلَهُمْ﴾ أي: إن كُلًا من الأمم التي عَدَّذناهم يَرَوْن جزاء أعمالهم، فكذلك قومك يا محمد.

واختلف القراء في قراءة ﴿وَإِنَّ كُلَّا لَنَا﴾ فقرأ أهل الحرمين؛ نافع وابن كثير وأبو بكر معهم: «وَإِنْ كُلًا» بالتحقيق<sup>(٣)</sup>، على أنها «إن» المخففة من الثقيلة مُعمَلة، وقد ذكر هذا الخليل وسيبوه<sup>(٤)</sup>، قال سيبوه<sup>(٥)</sup>: حدثنا من أثق به أنه سمع العرب يقول: إن زيداً لمنطلق، وأنشد قول الشاعر:

كأنَّ ظُبْيَةَ تَغْطُوا إِلَى وَارِقِ السَّلَمِ<sup>(٦)</sup>

(١) إعراب القرآن للنحاس ٢/٣٠٤.

(٢) ينظر تفسير الطبرى ١٢/٥٩٢ ، والمحرر الوجيز ٣/٢١٠ .

(٣) السبعة ص ٣٣٩ ، والتيسير ص ١٢٦ .

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٢/٣٠٥ .

(٥) الكتاب ٢/١٤٠ .

(٦) هذا عجز بيت، وصدره: وَيَوْمًا ثُوَّافِنَا بِرَجُو مُقْسِمٍ. وقد اختلف في قائله، فنسبه سيبوه في الكتاب ٢/١٣٤ لابن صَرِيم اليَشْكُري، ونسبة الأصمعي في الأصمعيات ص ١٧٥ ، والأخفش الأصغر على بن سليمان في الاختيارين ص ٢٠٥ لجبلاء بن أرقم اليَشْكُري. وقد تُسبَّب لغيرهما. ينظر شرح أبيات المغني للبغدادي ١/١٥٩ - ١٦٠ . تعطر، أي: تتناول أوراق الشجر مُرتعية. والوارق: المُورق. والسَّلَمُ: شجر بعينه. تحصيل عين الذهب ص ٢٨٥ .

أراد: كأنها ظبية، فخفف ونصب ما بعدها، والبصريون يجوزون تخفيف «إن» المشددة مع إعمالها، وأنكر ذلك الكسانئ وقال: ما أدرى على أي شيء قرئ: « وإن كلاً! وزعم الفراء أنه نصب «كلاً» في قراءة من خفف بقوله: «ليوفينهم» أي: وإن ليوفينهم كلاً، وأنكر ذلك جميع التحويين، وقالوا: هذا من كبير الخطأ، لا يجوز عند أحد: زيداً لأضربيه<sup>(١)</sup>.

وشدد الباقيون «إن» ونصبوا بها «كلاً» على أصلها.

وقرأ عاصم وحمزة وابن عامر: «لَتَّا» بالتشديد. وخففها الباقيون<sup>(٢)</sup> على معنى: وإن كلاً ليوفينهم، جعلوا «ما» صلة. وقيل: دخلت لتفصيل بين اللامين اللتين تتلقيان القسم، وكلاهما مفتوح، ففصل بينهما بـ«ما»<sup>(٣)</sup>.

وقال الزجاج: لام «المَا» لام «إِنْ» و«ما» زائدة مؤكدة<sup>(٤)</sup>، تقول: إن زيداً لمنطلق، فإن تقتضي أن يدخل على خبرها أو اسمها لام كقوله: «إِنَّ اللَّهَ لَنَفُورُ رَحِيمٌ» [النحل: ١٨] وقوله: «إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرًا» [الزمر: ٢١]. واللام في «ليوفينهم» هي التي يتلقى بها القسم، وتدخل على الفعل، ويلزمها النون المشددة أو المخففة، ولما اجتمعت اللامان فصل بينهما بـ«ما»، و«ما» زائدة مؤكدة<sup>(٥)</sup>.

وقال الفراء<sup>(٦)</sup>: «ما» بمعنى «من»، كقوله: «وَإِنْ مِنْهُ لَمَنْ لَيَبْلُغَنَّ» [النساء: ٧٢]، أي: وإن كلاً لمن ليوفينهم، واللام في «ليوفينهم» للقسم. وهذا يرجع معناه إلى قول

(١) إعراب القرآن للنحاس ٢/٣٠٥ . وكلام الفراء في معاني القرآن ٢/٢٩ - ٣٠ . وقال فيه: وهو وجہ لا أشتبه.

(٢) السبعة ص ٣٣٩ ، والتيسير ص ١٢٦ .

(٣) مشكل إعراب القرآن ١/٣٧٤ - ٣٧٥ .

(٤) معاني القرآن للزجاج ٣/٨١ .

(٥) ينظر الحجة للقراء السبعة ٤/٣٨٥ .

(٦) في معاني القرآن ٢/٢٨ - ٢٩ .

الزجاج، غير أنَّ «ما» عند الزجاج زائدة، وعند الفراء اسمٌ بمعنى «من».

وقيل: ليست بزيادة، بل هي اسمٌ دخل عليها لامُ التأكيد، وهي خبر «إن»، و«ليوفينهم» جوابُ القسم، التقدير: وإنَّ كُلُّ خلقٍ ليوفينهم رِبُّ أعمالهم<sup>(١)</sup>.

وقيل: «ما» بمعنى «من» كقوله: **﴿فَانكحُوا مَا طَارَ لَكُمْ بَنَ النَّسَاء﴾** [النساء: ٣] أي: مَنْ، وهذا كُلُّهُ هو قولُ الفراء بعينه.

وأما مَنْ شدَّ «الما» وقرأ: «وَإِنَّ كُلًا لَمَّا» بالتشديد فيهما - وهو حمزَةٌ ومن واقفه -

فقيل: إنه لحنٌ، حُكِي عن محمد بن يزيد أنَّ هذا لا يجوز، ولا يقال: إنَّ زيداً إلَّا لأضربيه، ولا لَمَّا لأضربيه<sup>(٢)</sup> وقال الكسائي: الله أعلم بهذه القراءة، وما أعرف لها وجهًا. وقال هو وأبو عليٍّ الفارسي<sup>(٣)</sup>: التشديد فيهما مشكِّل.

قال النحاس<sup>(٤)</sup> وغيره: وللنحوين في ذلك أقوال:

الأول: أنَّ أصلها «لَمَنْ ما» فقلبت النون ميمًا، واجتمعت ثلاثُ ميمات، فحذفت الوسطى، فصارت «لَمَّا». و«ما» على هذا القول بمعنى «من» تقديره: وإنَّ كُلًا لَمَنْ الدين، كقولهم:

**وَإِنَّ لَمِمًا**<sup>(٥)</sup> أَضْدِرُ الْأَمْرَ وَجْهَهُ

إذا هو أعيَا بِالسَّبِيلِ مصادرُه

**وَزَيْفُ الزجاج**<sup>(٦)</sup> هذا القول، وقال: «من» اسمٌ على حرفين، فلا يجوز حذفه.

(١) الكشف عن وجوه القراءات السبع ٥٣٧/١.

(٢) في (ز) و(ظ): ضربته، وفي (م): لضربيه، والمثبت موافق لما في إعراب القرآن للنحاس ٣٠٥/٢ والكلام منه.

(٣) الحجة للقراء السبعة ٣٨٧/٤.

(٤) في إعراب القرآن ٣٠٦/٢.

(٥) في (د) و(ظ) و(م): لـما، والمثبت من (ز) و(ف) وهو موافق لما في معاني القرآن للفراء ٢٩/٢ وتفسیر الطبری ٥٩٣/١٢ ، وهو شاهد على حذف ميم عند توالی الميمات لا على أنَّ «ما» بمعنى «من» لأنَّ «لـما» التي في البيت أصلها: لـمِنْ ما، من حرف جر. وينظر تعليق الشيخ محمود شاكر رحمه الله على هذا البيت في تفسير الطبری (طبعة) ٤٩٤/١٥ .

(٦) في معاني القرآن ٨١/٣ .

الثاني: أنَّ الأصل: لَمِنْ مَا ، فحذفت الميمُ المكسورة لاجتماع الميمات،  
والتقدير: وإنْ كُلًا لَمِنْ خَلْقِ لَيُوفِينَهُمْ<sup>(١)</sup>.

وقيل: «لَمَا» مصدر «لَمَّا» وجاءت بغير تنوين حملًا للوصول على الوقف<sup>(٢)</sup>، فهي  
على هذا كقوله: «وَتَأْكُلُونَ الْرِّزْقَ أَكْلًا لَمَّا» [الفجر: ١٩] أي: جامعاً للمال  
المأكول، فالتقدير على هذا: وإنْ كُلًا لَيُوفِينَهُمْ رِبُّكَ أَعْمَالَهُمْ تَوْفِيَةً لَمَّا ، أي: جامعاً  
لأعمالهم جمعاً، فهو قوله: قياماً لآقومنَ.

وقدقرأ الزهرى: «لَمَا» بالتشديد والتنوين على هذا المعنى<sup>(٣)</sup>.

الثالث: أنَّ «لَمَا» بمعنى «إلا»؛ حکى أهلُ اللغة: سألك بالله لَمَّا فعلت،  
معنى: إلا فعلت، ومثله قوله تعالى: «إِنْ كُلُّ نَفْسٍ لَّمَّا عَلِمَهَا حَفِظَهُ» [الطارق: ٤] أي: إلا  
عليها، فمعنى الآية: ما كُلُّ واحدٍ منهم إلا لَيُوفِينَهُمْ.

قال القشيري: وزيف الزجاجُ هذا القول بأنه لا نفي لقوله: «إنْ كُلًا لَمَا» حتى  
تقدَّرْ «إلا» ولا يقال: ذهب الناسُ لَمَا زيد<sup>(٤)</sup>.

الرابع: قال أبو عثمان المازني: الأصل: وإنْ كُلًا لَمَا بتخفيف «لَمَا» ثم ثُقلت  
قوله:

لَقَدْ خَشِيتُ أَنْ أَرِي چَدَبًا      في عَامِنَا ذَا بَعْدَ مَا أَخْصَبَأَ<sup>(٥)</sup>  
وقال أبو إسحاق الزجاج<sup>(٦)</sup>: هذا خطأ، إنما يُخَفَّفُ المثقل، ولا يُثْقَلُ المُخَفَّفُ.

(١) ذكره الفراء في معاني القرآن ٢٩/٢ ، واستشهد له بالبيت السالف.

(٢) ذكره مكي في الكشف عن وجوه القراءات ١/٥٣٧ ، وقال: وهو قول ضعيف في الإعراب.

(٣) إعراب القرآن للتحاسن ٢/٣٠٥ ، والقراءات الشاذة ص ٦٦ ، والمحتسب ١/٣٢٨ .

(٤) هذا القول لم يُزيقه الزجاج كما نقل المصطف عن القشيري، بل قال الزجاج في معاني القرآن ٢/٢٩-٨١: لا يجوز غيره عندي، وسيأتي قريباً، والذي ضعف هذا القول الفراء في معاني القرآن ٢/٢٩ فقال: وأما من جعل «لَمَا» بمثلة «إلا» فإنه وجه لا نعرفه.

(٥) الرجز لرؤبة، وهو في ديوانه ص ١٦٩ .

(٦) في معاني القرآن ٣/٨١ ، ونقله المصطف عنه بواسطة التحاسن في إعراب القرآن ٢/٣٠٦ .

الخامس: قال أبو عبيد القاسمُ بنُ سَلَامْ: يجوز أن يكون التشديدُ من قولهم: **لَمْنَتِ الشَّيْءُ أَلْمَهُ لَمَّا**: إذا جمعته، ثم بني منه فَعْلَى، كما قرئ: **فَمَّا أَرْسَلْنَا مُسْلِمًا تَذَرَّ** [المؤمنون: ٤٤] بغير تنوينٍ ويتناولون. فالالف على هذا للتأنيث، وتمال على هذا القول لأصحاب الإمامية.

قال أبو إسحاق<sup>(١)</sup>: القول الذي لا يجوز غيره عندي أن «إن» تكون مخففةً من الثقيلة، وتكون بمعنى «ما»، مثل: **إِنْ كُلُّ نَقْنَلَّا عَلَيْهَا حَافِظٌ**، وكذا أيضاً تشدد على أصلها، وتكون بمعنى «ما»، **وَلَمَّا** بمعنى «إلا»، حتى ذلك الخليل وسيبوه وجميع البصريين، وأن **لَمَّا** يُستعمل بمعنى «إلا».

قلت: هذا القول الذي ارتضاه الزجاج حكاه عنه النحاس وغيره، وقد تقدم مثله وتضعيف الزجاج له، إلا أن ذلك القول صوابه: «إن» فيه نافية، وهنا مخففة من الثقيلة فافتراقا<sup>(٢)</sup>.

وبقيت قراءتان. قال أبو حاتم: وفي حرف أببي: «وَإِنْ كُلًا إِلَّا لَيُوْقِنَّهُمْ»<sup>(٣)</sup>. وروي عن الأعمش: «وَإِنْ كُلُّ لَمَّا» بتحقيق «إن»، ورفع «كل»، ويتشديد «لما»<sup>(٤)</sup>.

قال النحاس<sup>(٥)</sup>: وهذه القراءات المخالفة للسواد تكون فيها «إن» بمعنى «ما» لا غير، وتكون على التفسير؛ لأنه لا يجوز أن يقرأ بما خالف السواد إلا على هذه

(١) هو الزجاج، وكلامه في معاني القرآن ٨١ / ٣.

(٢) ذكر محققتو (م) أنه ورد في حواشى إحدى النسخ ما نصه: صواب ما ذكره الشيخ رحمه الله أن يقول: إلا أن هذا القول «إن» فيه نافية، والقول المتقدم «إن» فيه مخففة من الثقيلة فافتراقا.

(٣) في (م): «وَإِنْ كُلًا إِلَّا لَيُوْقِنَّهُمْ»، وفي إعراب القرآن للنحاس ٣٠٥ / ٢ (والكلام منه): «وَإِنْ كُلُّ إِلَّا لَيُوْقِنُّ رَبُّكُمْ أَعْمَالَهُمْ». وفي الدر المصنون ٣٩٨ / ٦ : قال أبو حاتم: الذي في مصحف أبي: «وَإِنْ كُلُّ إِلَّا لَيُوْقِنَّهُمْ». وذكر السمين في الدر ٣٩٧ / ٦ قراءة أخرى لأبي، وهي: «وَإِنْ كُلُّ لَمَّا...» بتحقيق «إن» ورفع «كل» وتشديد «لما».

(٤) ذكر ابن جني في المحتسب ٣٢٨ / ١ والسمين في الدر المصنون ٣٩٧ / ٦ أن الأعمش قرأ: «وَإِنْ كُلًا إِلَّا لَيُوْقِنَّهُمْ». والقراءة التي ذكرها المصنف هي لأبي كما في التعليق السابق.

(٥) في إعراب القرآن ٣٠٥ / ٢ ، وما قبله منه.

الجهة. ﴿وَإِنَّمَا يَعْمَلُونَ حَيْثُ شُرِبُوا﴾ تهديدٌ ووعيد.

قوله تعالى: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَنْ تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغُوا إِنَّمَا يَعْمَلُونَ بِصَيْرَ﴾

قوله تعالى: ﴿فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ﴾ الخطاب للنبي ﷺ ولغيره.

وقيل: له، والمراد أمته؛ قاله السُّدِّيُّ. وقيل: «استقم»: اطلب الإقامة على الدين من الله واسأله ذلك. فتكونُ السين سينَ السؤال، كما تقول: أستغفر الله: أطلب الغرَآنَ منه.

والاستقامة: الاستمرار في جهة واحدة من غير أخذٍ في جهة اليمين والشمال، أي<sup>(١)</sup>: فاستقم على امثال أمر الله.

وفي «صحيحة مسلم»<sup>(٢)</sup> عن سفيان بن عبد الله الثقفي قال: قلت: يا رسول الله، قل لي في الإسلام قوله لا أسأل عنه أحداً بعدك. قال: «فُلْ آمِنْتُ بِاللهِ، ثُمَّ اسْتَقِمْ». وروى الدارمي أبو محمد في «مسند» عن عثمان بن حاضر الأزدي قال: دخلت على ابن عباس فقلت: أوصني، فقال: نعم، عليك بتقوى الله والاستقامة، اتبع ولا تبتعد<sup>(٣)</sup>.

﴿وَمَنْ تَابَ مَعَكَ﴾ أي: استقم أنت وهم، يريد أصحابه الذين تابوا من الشرك، ومن بعده ممن أتبعه من أمته. قال ابن عباس: ما نَزَّلَ على رسول الله ﷺ آية هي أشدُّ ولا أشَدُّ من هذه الآية عليه، ولذلك قال لأصحابه حين قالوا له: لقد أسرع إليك الشَّيْبُ! فقال: «شَيْئِنِي هُوَذُ وَأَخْوَاتُهَا». وقد تقدَّم في أول السورة<sup>(٤)</sup>.

(١) قوله: أي، من (ز) و(ف).

(٢) برقم (٣٨)، وسلف ٢٢٧/٢.

(٣) مسند الدارمي (١٤١)، وأخرجه أيضاً ابن وضاح في البدع ص ٢٥ ، وبنحوه المروزي في السنة (٨٣) من طريق طاوس عن ابن عباس.

(٤) ص ٦٣ من هذا الجزء وهو حديث ضعيف، سلف الكلام عليه ثمة.

وُرُوي عن أبي عبد الرحمن السُّلَمِيِّ، قال: سمعت أبا علي الشَّبُوبي<sup>(١)</sup> يقول: رأيت النبي ﷺ في المنام فقلت: يا رسول الله! رُوِيَ عنك أنك قلت: «شيَّبني هود». فقال: نعم، فقلت له: ما الذي شَيَّبك منها؟ قصص الأنبياء وهلاك الأمم! فقال: لا، ولكن قولُه: فاستقم كما أمرت<sup>(٢)</sup>.

**﴿وَلَا تَطْغُوا﴾** نهي عن الطُّغيان، والطُّغيان: مجاوزة الحد، ومنه: **﴿إِنَّا لَنَا طَعَّا  
الْمَاء﴾** [الحقة: ١١]<sup>(٣)</sup>. وقيل: أي: لا تتجبروا على أحد.

قوله تعالى: **﴿وَلَا تَرْكُنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَسْكُنُمُ التَّارِثُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ  
اللَّهِ مِنْ أَئِيمَةٍ ثُمَّ لَا تُنَصِّرُونَ﴾**

فيه أربع مسائل:

الأولى: قوله تعالى: **﴿وَلَا تَرْكُنُوا﴾** الرُّكون حقيقته<sup>(٤)</sup>: الاستناد والاعتماد، والسكنون إلى شيء والرضا به. قال قتادة: معناه: لا تؤذهم ولا تُطِيعُهم<sup>(٥)</sup> . ابن جريج: لا تميلوا إليهم<sup>(٦)</sup> . أبو العالية: لا ترضوا أعمالهم. وكله متقارب. وقال ابن زيد: الرُّكون هنا: الإذهان، وذلك ألا يُنكِر عليهم كفرهم<sup>(٧)</sup> .

الثانية: قرأ الجمهور: **«تَرْكُنُوا»** بفتح الكاف، قال أبو عمرو: هي لغة أهل الحجاز. وقرأ طلحة بن مُصرِّف وقتادة وغيرهما: **«ترَكُنُوا»** بضم الكاف؛ قال الفراء:

(١) تحرف في النسخ وشعب الإيمان إلى: «السرى»، وهو محمد بن عمر بن شبوة الشَّبُوبي المرزوفي، راوي صحيح البخاري عن أبي عبد الله الفربيري توفي نحو ٣٨٠ هـ . السير ٤٢٣ / ١٦ ، توضيح المشتبه ٢٩١ / ٥ ، التقييد لابن نقطة ١ / ٨٥ .

(٢) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان (٢٤٣٩)، وأورده القشيري في الرسالة: ٩٤ والسيوطى في الدر المثور ٩ / ٨ ، والذهبى في السير ٤٢٣ / ١٦ وابن رجب في جامع العلوم ١ / ٥٠٩ - ٥١٠ .

(٣) المحرر الوجيز ٢١٢ / ٣ .

(٤) في (م): حقيقة.

(٥) لم تقف عليه عن قتادة، وإنما عن عكرمة كما في معاني القرآن للنحاس ٣٨٥ / ٣ ، والوسط للواحدى ٥٩٣ / ٢ ، وذكره السيوطى في الدر ٣٥١ / ٣ عن عكرمة أيضاً، وعزاه لأبي الشيخ.

(٦) أخرجه الطبرى ٦٠١ / ١٣ من طريق ابن جريج عن ابن عباس رضي الله عنهما، وذكره عن ابن عباس أيضاً الماوردي في النكت والعيون ٥٠٨ / ٢ ، والواحدى في الوسيط ٥٩٣ / ٢ .

(٧) أخرج قول أبي العالية وابن زيد الطبرى ٦٠٠ / ١٢ و ٦٠١ .

وهي لغةً تميم وقياس<sup>(١)</sup>. وجُوزَ قومٌ رَّجُنَ يرْكَنُ، مثل مَنْعَ يَمْنَعُ<sup>(٢)</sup>.

الثالثة: قوله تعالى: ﴿إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا﴾ قيل: أهل الشرك. وقيل: هي عامةٌ فيهم وفي العصاة، على نحو قوله تعالى: ﴿وَلَا زَانَ الَّذِينَ يَعْتَصِمُونَ فِي مَا إِنَّا نَهَى﴾ الآية [الأنعام: ٦٨] وقد تقدم. وهذا هو الصحيح في معنى الآية، وأنها دالةٌ على هجران أهل الكفر والمعاصي من أهل البدع وغيرهم؛ فإنَّ صحبتهم كُفُرٌ أو معصية؛ إذ الصحبة لا تكون إلا عن موَدَّةٍ؛ وقد قال حكيم<sup>(٣)</sup>:

فَكُلُّ قَرِينٍ بِالْمُقَارِنِ يَقْتَدِي  
عَنِ الْمَرءِ لَا تَسْأَلْ وَسْلُ عنْ قَرِينِهِ

فإن كانت الصحابة عن ضرورة وتفيقية؛ فقد مضى القول فيها في «آل عمران» و«المائدة»<sup>(٤)</sup>. وصحبة الظالم على التفقة مستثناءٌ من النهي بحال الاضطرار<sup>(٥)</sup>. والله أعلم.

الرابعة: قوله تعالى: ﴿فَتَسْكُمُ النَّارُ﴾ أي: تُحرِقُكم، بمخالطتهم ومصاحبتهم، ومما لأنفسهم على إعراضهم، وموافقتهم في أمورهم.

قوله تعالى: ﴿وَأَقْبِرُ الصَّلَاةَ طَرَقَ النَّهَارَ وَزَلَّفَ مِنَ الْيَنِيلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهَبُنَّ السَّيِّئَاتِ ذَلِكَ ذَكْرٌ لِلذِّكْرِيَّاتِ ﴾

فيه ست مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿وَأَقْبِرُ الصَّلَاةَ طَرَقَ النَّهَارَ﴾ لم يختلف أحدٌ من أهل

(١) إعراب القرآن للنحاس ٣٠٦/٢ ، القراءة في القراءات الشاذة ص ٦١ ، والمحتب ١/٣٢٩.

(٢) المحتب ١/٣٢٩ ، وقراءة العامة من: زَكِنَ يرْكَنُ، بكسر العين في الماضي كعلم. ينظر تهذيب اللغة ١٨٩/٦ ، والدر المصنون ٤١٨/١٠.

(٣) هو طرفة بن العبد، والبيت في ديوانه ص ٤٤ ، وقيل إنه لعدي بن زيد، وسلف ٥/٢٧٣ ، والكلام من أحكام القرآن لابن العربي ٣/١٠٥٤.

(٤) ٨٧/٥ في تفسير «آل عمران»، ولم تقف عليه في تفسير «المائدة».

(٥) أحكام القرآن لابن العربي ٣/١٠٥٤.

التأويل في أنَّ الصلاة في هذه الآية يُراد بها الصلوات المفروضة<sup>(١)</sup>؛ وخصّها بالذكر لأنَّها ثانية الإيمان، وإليها يُفعَّل في التواب؛ وكان النبي ﷺ إذا حَزِيَهُ أمرٌ فزع إلى الصلاة<sup>(٢)</sup>.

وقال شيخ الصوفية: إنَّ المراد بهذه الآية استغراق الأوقات بالعبادة فرضاً ونفلاً؛ قال ابن العربي<sup>(٣)</sup>: وهذا ضعيف، فإنَّ الأمر لم يتناول ذلك؛ لا<sup>(٤)</sup> واجباً [فإنَّها خمس صلوات، و] لا نفلاً، فإنَّ الأوراد معلومة، وأوقات النوافل المرغب فيها محصورة، وما سواها من الأوقات يسترسل عليها التذبُّح على البدل لا على العلوم، وليس ذلك في قوة بشير.

الثانية: قوله تعالى: ﴿طَرَقُ الْتَّهَارِ﴾ قال مجاهد: الطرف الأول صلاة الصبح، والطرف الثاني صلاة الظهر والعصر. واختاره ابن عطية<sup>(٥)</sup>.

وقيل: الطرفان: الصبح والمغرب؛ قاله ابن عباس والحسن<sup>(٦)</sup>.

وعن الحسن أيضاً: الطرف الثاني: العصر وحده. وقاله قتادة والضحاك<sup>(٧)</sup>.

وقيل: الطرفان: الظهر والعصر، والرُّؤف: المغرب والعشاء والصبح. كأنَّ هذا القائل راعى جهرا القراءة<sup>(٨)</sup>.

وحكى الماوردي: أنَّ الطرف الأول صلاة الصبح باتفاق<sup>(٩)</sup>.

(١) المحرر الوجيز ٢١٢/٣ ، وأحكام القرآن لابن العربي ١٠٥٦/٣ .

(٢) سلف ١/ ٢٦٢ من حديث حذيفة بن اليمان .

(٣) في أحكام القرآن ١٠٥٧/٣ ، وما قبله وما سيأتي بين حاصلتين منه، وقول شيخ الصوفية في نقل ابن العربي من لطائف الإشارات ٢/ ١٦١ .

(٤) في النسخ: إلَّا، والمثبت من أحكام القرآن.

(٥) في المحرر الوجيز ٢١٢/٣ ، وأخرجته عن مجاهد الطبرى ٦٠٢/١٢ .

(٦) أخرجه عنهما الطبرى ٦٠٣/١٢ .

(٧) أخرجه قولهم الطبرى ٦٠٤/١٢ - ٦٠٥ .

(٨) المحرر الوجيز ٢١٢/٣ ، وذكر القول الطبرى ٦٠٥/١٢ .

(٩) النكت والعيون ٢/ ٥٠٨ .

قلت: وهذا الاتفاق ينقضه القول الذي قبله.

ورَجَحَ الطَّبَرِيُّ<sup>(١)</sup> أَنَّ الطرفين: الصبح والمغرب، وأنه الظاهر؛ قال ابن عطية: ورُدَّ عليه بِأَنَّ المَغْرِبَ لَا تَدْخُلُ فِيهِ لَأْنَهَا مِنْ صَلَاتِ اللَّيلِ<sup>(٢)</sup>.

قال ابن العربي: والعجب من الطبرى الذى يرى أن طرف النهار الصبح والمغرب، وهما طرفا الليل! فقلب القوس ركوة<sup>(٣)</sup>، وحاد عن البرجاس غلوة<sup>(٤)</sup>؛ قال الطبرى: والدليل عليه إجماع الجميع على أن أحد الطرفين الصبح، فدل على أن الطرف الآخر المغرب. ولم يُجمع معه على ذلك أحد<sup>(٥)</sup>.

قلت: هذا تحامل من ابن العربي في الرد، وأنه لم يُجمع معه على ذلك أحد، وقد ذكرنا عن مجاهد أنَّ الطرف الأول صلاة الصبح، وقد وقع الاتفاق - إلَّا مَنْ شَدَّ - بِأَنَّ مَنْ أَكَلَ أَوْ جَامَعَ بَعْدَ طَلُوعِ الْفَجْرِ مَتَعْمِدًا أَنَّ يَوْمَهُ ذَلِكَ يَوْمٌ فَطَرَ، وَعَلَيْهِ الْقَضَاءُ وَالْكَفَارَةُ، وَمَا ذَلِكَ إِلَّا وَمَا<sup>(٦)</sup> بَعْدَ طَلُوعِ الْفَجْرِ مِنَ النَّهَارِ؛ فَدَلَّ عَلَى صَحَّةِ مَا قَالَهُ الطَّبَرِيُّ فِي الصَّبَحِ، وَتَبَقَّى عَلَيْهِ الْمَغْرِبُ، وَرُدَّ عَلَيْهِ فِيهِ مَا تَقَدَّمَ. وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

(١) في تفسيره ٦٠٥/١٢ ، والكلام لابن عطية في المحرر الوجيز . ٢١٢/٣

(٢) لم نقف على هذا القول في المحرر الوجيز، وقول ابن عطية الذي قاله إثر قول الطبرى: إلَّا مَنْ عموم الصلوات الخمس بالآية أولى. والرد الذي ذكره المصنف هو لابن العربي في أحكام القرآن ١٠٥٦/٣ .

(٣) الزكوة مثلثة: زورق صغير، وصارت القوس ركوة، يضرب في الإدبار وانقلاب الأمور. القاموس (ركوة).

(٤) البرجاس: غرض في الهواء على رأس رمح ونحوه يرمي به. تاج العروس (برجاس). والغرض: الهدف الذي يرمي فيه الشيء المقصود. والغلوة: هي ثلاثة مئة إلى أربع مئة ذراع، أو هي قدر رمية سهم أبعد ما تقدر. معجم متن اللغة (غرض) و(غلوة) وورد شرح البرجاس في (ظ) و(ف) أقحمه الناسخان ضمن المتن. ف جاء فيما بعد قوله البرجاس، ما نصه: غرض في الهواء يرمي فيه. وأظنه مولدًا. قال الجوهري.

(٥) أحكام القرآن لابن العربي ١٠٥٦/٣ - ١٠٥٧ . وذُكِرَ الطَّبَرِيُّ لِلإِجْمَاعِ هُوَ فِي تَفْسِيرِه ٦٠٢-٦٠١/١٢ و ٦٠٥ .

(٦) في (ظ): أن، بدل: وما.

**الثالثة:** قوله تعالى: **﴿وَرُلْفًا مِّنَ الظَّلَّ﴾** أي: في زُلْفٍ من الليل، والزُّلْفُ: الساعات القريبة بعضها من بعض؛ ومنه سميت المزدلفة؛ لأنها متزلّ بعد عَرْفة بقرب مكة<sup>(١)</sup>.

وقرأ ابن القعقاع وابن أبي إسحاق وغيرهما: **«وَرُلْفًا»**; بضم اللام جمع زَلِيف؛ لأنه قد نُطق بزليف<sup>(٢)</sup>. ويجوز أن يكون واحدُه **«رُلْفَة»** لغة، كُبْشة وَيُسْرٌ، في لغة من ضمَّ السين<sup>(٣)</sup>.

وقرأ ابن محيصن: **«وَرُلْفًا مِّنَ اللَّيْلِ»**، بإسكان اللام، والواحدة **«رُلْفَة»** تُجمع جمع الأجناس التي هي أشخاص، كدرة وذر، وبرة وبر<sup>(٤)</sup>.

وقرأ مجاهد وابن محيصن أيضاً: **«رُلْفَى»** مثل قُربَى<sup>(٥)</sup>. وقرأ الباقيون: **«وَرُلْفًا»** بفتح اللام كعْرفة وغُرَف. قال ابن الأعرابي: الزُّلْفُ: الساعات، واحدُها: زُلْفَة. وقال قوم: **الرُّلْفَةُ أُولُّ ساعَةٍ مِّنَ اللَّيْلِ**<sup>(٦)</sup> بعد غروب الشمس، فعلى هذا يكون المراد بزُلْفِ اللَّيْلِ صلاة العَتَمَة؛ قاله ابن عباس. وقال الحسن: المغرب والعشاء<sup>(٧)</sup>. وقيل: المغرب والعشاء والصبح، وقد تقدَّم. وقال الأخفش: يعني صلاة الليل ولم يعيَّن.

**الرابعة:** قوله تعالى: **﴿إِنَّ الْحَسَنَتِ يُذَهِّبُنَّ الَّسِقَاتِ﴾** ذهب جمهور المتأولين من

(١) ينظر تفسير الطبرى ٦٠٦/١٢ ، ومعانى القرآن للنحاس ٣٨٧/٣ والنكت والتغيبون ٥٠٨ - ٥٠٩ والمحرر الوجيز ٢١٢/٣ .

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٣٠٧/٢ ، والقراءة عن أبي جعفر يزيد بن القعقاع في النشر ٢٩١ - ٢٩٢ ، وعن ابن أبي إسحاق في المحتسب ١/٣٣٠ .

(٣) المحتسب ١/٣٣٠ . ويجوز أيضاً أن يكون **«رُلْفَا»** اسمًا مفردًا كعُنق. ينظر الدر المصون ٦/٤٢٠ .

(٤) المحتسب ١/٣٣٠ ، وقال ابن جني: وذلك أن الرُّلْفَة جنس من المخلوقات وإن لم يكن جوهراً.

(٥) معانى القرآن للنحاس ٣٨٧/٣ ، والمحرر الوجيز ٣/٢١٢ . قال النحاس: إلا أنَّ ابن محيصن نَوَّنَ في الإدراج.

(٦) ذكره الأزهري في تهذيب اللغة ١٣/٢١٤ عن الليث قال: **الرُّلْفَ** أول ساعات الليل.

(٧) أخرج قول ابن عباس وقول الحسن الطبرى ١٢/٦٠٨ ، ٦٠٩ .

الصحابة والتابعين رضي الله عنهم أجمعين: إلى أنَّ الحسنات ها هنا هي الصلوات الخمس. وقال مجاهد: الحسنات قولُ الرجلِ: سبحانَ اللهِ والحمدُ للهِ ولا إلهَ إلا اللهُ واللهُ أكْبَر؛ قال ابن عطية<sup>(١)</sup>: وهذا على جهة المثال في الحسنات، والذي يظهر أنَّ اللفظ عامٌ في الحسنات خاصٌ في السَّيِّنَاتِ؛ لقوله<sup>(٢)</sup>: «ما اجْتَنَّتِ الْكَبَائِرُ»<sup>(٣)</sup>.

قلت: سبُّ التزول يعُذُّ قولَ الجمَهورِ؛ نزلت في رجلٍ من الأنصارِ، قيل: هو أبو اليَسَرِ بنِ عمرو. وقيل: اسمه عَبَادٌ. خلا بامرأةٍ فَقَبَّلَها وتَلَذَّذَ بها فيما دون الفرج<sup>(٤)</sup>. روى الترمذِيُّ عن عبد الله قال: جاءَ رَجُلٌ إلى النَّبِيِّ ﷺ فقال: إِنِّي عَالَجْتُ امرأةً في أقصى المدينةِ، وإنِّي أصَبَّتُ مِنْهَا مَا دونَ أَمْسَهَا، وأَنَا هَذَا، فاقْتِصِ فِيَّ كَمَا شَاءَتْ. فقال له عمر: لقد سترَكَ اللَّهُ، لو سترَتْ عَلَى نَفْسِكَ! فلم يرَدْ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ شيئاً، فانطلقَ الرَّجُلُ، فَأَتَبَعَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ رَجُلًا فَدَعَاهُ، فَتَلَاقَاهُ: «وَأَقِيمْ الْأَصْلَوَةَ طَرَقِ الْتَّهَارِ وَزَلْكَمَا مِنْ أَيْلَلٍ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُدْهِنُنَّ أَسْيَانَتِ ذَلِكَ ذِكْرُ لِلْأَكْبَارِ» إلى آخر الآية، فقال رَجُلٌ منَ الْقَوْمِ: هَذَا لَهُ خَاصَّةٌ؟ قَالَ: «لَا، بَلْ لِلنَّاسِ كَافَةً». قال الترمذِيُّ: حديث حسن صحيح<sup>(٥)</sup>.

وخرَجَ أيضًا عن ابن مسعود، أنَّ رجلاً أصابَ من امرأةٍ قبلةً حراماً، فأتى النَّبِيِّ ﷺ فسأله عن كفاراتِها، فنزلت: «وَأَقِيمْ الْأَصْلَوَةَ طَرَقِ الْتَّهَارِ وَزَلْكَمَا مِنْ أَيْلَلٍ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُدْهِنُنَّ أَسْيَانَتِ» فقال الرجلُ: ألي هذه يا رسولَ اللهِ؟ فَقَالَ: «لَكَ وَلِمَنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ

(١) في المحرر الوجيز ٣/٢١٣ - ٢١٢ ، وما قبله منه.

(٢) في المحرر الوجيز: بقوله.

(٣) أخرجه أحمد (٨٧١٥)، ومسلم (٢٣٣) من حديث أبي هريرة عليه السلام بلفظ: «الصلواتُ الخمسُ، والجمعةُ إلى الجمعة، كفاراتٌ لما يبيهُنَّ ما اجْتَنَّتِ الكبائر».

(٤) المحرر الوجيز ٣/٢١٣ ، وذكر الحافظ في الفتح ٨/٣٥٦ - ٣٥٧ الاختلاف على اسم صاحب القصة وما ورد فيه من روایات، ثم قال: وأما قصة عباد فحكاها القرطبي ولم يعُزِّها، وعبد اسْم جد أبي اليسير، فلعله تُسبَّ ثم سقط شيء، وأقوى الجميع أنه أبو اليَسَر. اهـ. وسيأتي خبر أبي اليَسَر فيما سيرد من أخبار.

(٥) سنن الترمذِي (٣١١٢)، وأخرجه أيضًا مسلم (٤٢)، وبنحوه عندَ أَحْمَدَ (٤٢٥٠).

أَمْتَيْ». قال الترمذِيُّ: هذا حديث حسنٌ صحيحٌ<sup>(١)</sup>.

وروى عن أبي اليسر قال: أتتني امرأة تبَاتُّعْ تمرأً فقلت: إِنَّ فِي الْبَيْتِ تَمَرًا أَطِيبٌ مِّنْ هَذَا، فَدَخَلَتْ مَعِي فِي الْبَيْتِ، فَأَهْوَيْتُ إِلَيْهَا فَقَبَّلَتْهَا، فَأَتَيْتُ أَبَا بَكْرَ فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: اسْتَرْ عَلَى نَفْسِكَ وَتُبْ، وَلَا تُخْبِرْ أَحَدًا. فَلَمْ أَصِيرْ، فَأَتَيْتُ عَمَّرًا، فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لَهُ، فَقَالَ: اشْتُرْ عَلَى نَفْسِكَ وَتُبْ، وَلَا تُخْبِرْ أَحَدًا. فَلَمْ أَضِيرْ، فَأَتَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ فَذَكَرَتْ ذَلِكَ لَهُ فَقَالَ: «أَخْلَقْتَ غَازِيًّا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فِي أَهْلِهِ بِمِثْلِ هَذَا»<sup>(٢)</sup> حتَّى تَمَنَّى أَنَّ لَمْ يَكُنْ أَسْلَمَ إِلَّا تِلْكَ السَّاعَةِ، حتَّى ظَنَّ أَنَّهُ مِنْ أَهْلِ النَّارِ. قَالَ: وَأَظْرَقَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ حَتَّى أَوْحَى اللَّهُ إِلَيْهِ: «أَقِيمِ الْصَّلَاةَ طَرِيقَ الْتَّهَارَ وَرَلَقًا مِّنَ الْأَيْلَ» إِنَّ الْحَسَنَتِ يُدْهِنُنَّ السَّيْئَاتِ ذَلِكَ ذَكْرُهُ لِلذِّكْرِيْنَ»<sup>(٣)</sup> قَالَ أَبُو الْيَسَرِ: فَأَتَيْتُهُ فَقَرَأَهَا عَلَيَّ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ، فَقَالَ أَصْحَابَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! أَلِهَذَا خَاصَّةً، أَمْ لِلنَّاسِ عَامَّةً؟ قَالَ: «بَلْ لِلنَّاسِ عَامَّةً». قَالَ أَبُو عَيْسَى: هَذَا حِدِيثٌ حَسَنٌ غَرِيبٌ، وَقَيْسُ بْنُ الرَّبِيعِ ضَعَفَهُ وَكَبَّعَ وَغَيْرَهُ<sup>(٤)</sup>.

وقد رُويَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ أَغْرَضَ عَنْهُ، وَأَقِيمَتْ صَلَاةُ الْعَصْرِ، فَلَمَّا فَرَغَ مِنْهَا نَزَلَ جَبَرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَيْهِ بِالآيَةِ، فَدَعَاهُ فَقَالَ لَهُ: «أَشَهِدْتَ مَعَنَا الصَّلَاةَ؟» قَالَ: نَعَمْ! قَالَ: «إِذْهَبْ، فَإِنَّهَا كُفَّارَةً لِمَا فَعَلْتَ»<sup>(٥)</sup>.

وُرُوِيَ أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ لَمَّا تَلَّا عَلَيْهِ هَذِهِ الآيَةَ قَالَ لَهُ: «قُمْ فَصَلِّ أَرْبَعَ رَكْعَاتٍ»<sup>(٦)</sup>.

(١) سنن الترمذِي (٣١١٤)، وهو عند أحمد (٣٦٥٣)، والبخاري (٥٢٦) و(٤٦٨٧)، ومسلم (٢٧٦٣) (٣٩).

(٢) سنن الترمذِي (٣١١٥). ووقع في المطبع: حسن صحيح، وما ذكره المصنف موافق لما في التحفة ٣٠٧/٨. وقال الترمذِي أيضًا: وروى شريك عن عثمان بن عبد الله هذا الحديث مثل رواية قيس بن الريبع. أهد قلنا: أخرجه من طريق شريك المذكور النسائي في الكبرى (٧٢٨٦).

(٣) ذكره الزمخشري في الكشاف ٢٩٧/٢ ، وعزاه الحافظ في الفتح ٣٥٦/٨ لابن منه من طريق الكلبي عن أبي صالح عن ابن عباس. وأخرجه بنحوه أحمد (٢٢١٦٣)، ومسلم (٢٧٦٥) من حديث أبي أمامة . وأخرجه بنحوه أيضًا البخاري (٦٨٢٣)، ومسلم (٢٧٦٤) من حديث أنس .

(٤) أخرجه البزار (٢٢١٩) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما: وأخرجه عبد الرزاق في التفسير =

والله أعلم.

وخرج الترمذى الحكيم في «نواذر الأصول» من حديث ابن عباس عن رسول الله ﷺ، قال: «لم أر شيئاً أحسن طلباً ولا أسرع إدراكاً من حسنة حديث لذنب قديم: ﴿إِنَّ الْمُسْنَتَ يُدْهِبُنَّ أَخْسَنَ طَلَبٍ وَلَا أَنْسَعَ إِدْرَاكًا مِنْ حَسْنَةٍ حَدِيثٌ لِذَنْبٍ قَدِيمٍ﴾<sup>(١)</sup>.

الخامسة: دلت الآية مع هذه الأحاديث على أن القبلة الحرام، والمس الحرام، لا يجب فيها الحدث، وقد يستدل به على أن لا حدث ولا أدب على الرجل والمرأة وإن وُجدا في ثوب واحد، وهو اختيار ابن المنذر<sup>(٢)</sup>؛ لأنها لما ذكر اختلاف العلماء في هذه المسألة ذكر هذا الحديث، مشيراً إلى أنه لا يجب عليهما شيء، وسيأتي ما للعلماء في هذا في «النور»<sup>(٣)</sup> إن شاء الله تعالى.

السادسة: ذكر الله سبحانه في كتابه الصلاة بركوعها وسجودها وقيامها وقراءتها وأسمائها، فقال: ﴿أَقِرِّ الْقَبْلَةَ﴾ الآية [لقمان: ١٧]. وقال: ﴿أَقِرِّ الْقَبْلَةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ﴾ الآية [الإسراء: ٧٨] وقال: ﴿فَسُبْحَنَ اللَّهُ حِينَ تَمُسُونَ وَرَبِّنَ تَصْبِحُونَ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَعَشَيْاً وَرَبِّنَ تَظَهَرُونَ﴾ [الروم: ١٨-١٧]. وقال: ﴿وَسَيَّغَ مُحَمَّدَ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ عَرُوْبَهَا﴾ [طه: ١٣٠]. وقال: ﴿أَرْكَعُوا وَاسْجُدُوا﴾ [الحج: ٧٧]. وقال:

= ٣١٥ / ١ ، والطبرى ٦٢٣ / ١٢ - ٦٢٤ من طريق يحيى بن جعده أن رجلاً من أصحاب النبي ﷺ، ذكر القصة. وأخرجه الترمذى (٣١١٣) من طريق عبد الرحمن بن أبي ليلى عن معاذ، وفيه: ... فامرء أن يتوضأ ويصلى...، قال الترمذى: هذا حديث ليس إسناده بمتصل؛ عبد الرحمن بن أبي ليلى لم يسمع من معاذ.

(١) نواذر الأصول ص ٢٣٨ ، وأخرجه العقيلي ٤٢١ / ٤ ، والطبراني في الكبير (١٢٧٩٨)، وابن عبد البر في التمهيد ٢١٣ / ٢٢ . قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٣٩ / ٧ : في إسناده مالك بن يحيى بن عمرو الثكري، وهو ضعيف، وكذلك أبوه. وقال العقيلي: يحيى بن عمرو الثكري لا يتابع على حديثه. وأخرجه ابن المبارك في الزهد (٧٥ - زوائد نعيم)، وابن أبي شيبة ٤٧٥ / ١٣ عن فضيل بن زيد الرقاشي قوله.

(٢) في الإشراف ٥٥ / ٢ .

(٣) عند تفسير الآية الثانية منها.

**﴿وَوُمُوا لِلّهِ قَنْتَنِين﴾** [البقرة: ٢٢٨]. وقال: **﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَأَسْتَعِمُوا لَهُ وَأَفْصِسُوا﴾** [الأعراف: ٢٠٤] على ما تقدم. وقال: **﴿وَلَا يَجْهَرَ بِصَلَاتِكَ وَلَا خَلْفَتْ بِهَا﴾** [الإسراء: ١١٠] أي: بقراءتك. وهذا كله مجمل أجمله في كتابه، وأحال على نبيه في بيانه، فقال جل ذكره: **﴿وَأَزَّنَا إِلَيْكَ الْذِكْرَ لِتَبَيَّنَ لِلنَّاسِ مَا نَزَّلَ إِلَيْهِمْ﴾** [النحل: ٤٤]، فبَيَّنَ مواقف الصلاة، وعد الركعات والسجادات، وصفة جميع الصلوات فرضها وسننها، وما لا تصح الصلاة إلا به من الفرائض، وما يُستحب فيها من السنن والفضائل، فقال في « صحيح البخاري »: **«صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أَصْلِي»**<sup>(١)</sup>. ونقل ذلك عنه الكافية عن الكافية، على ما هو معلوم، ولم يمت النبي ﷺ حتى بين جميع ما بالناس الحاجة إليه، فكم الدين، وأوضح المسيل؛ قال الله تعالى: **﴿الْيَوْمَ أَكْلَمْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَنْتُمْ عَلَيْكُمْ يَعْمَلُونِي وَرَضِيَتْ لَكُمُ الْإِسْلَامُ دِينًا﴾** [المائدة: ٣].

قوله تعالى: **﴿ذَلِكَ ذَكْرُ الذَّاكِرِينَ﴾** أي: القرآن موعظه وتنبيه لمن اتعظ وتذَّكر، وخاص الذاكرين بالذكر؛ لأنهم المنتفعون بالذكر. والذكر مصدر جاء بألف التأنيث.

قوله تعالى: **﴿وَاصْبِرْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾** فَتَوَلَّا كَانَ مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ أُولُو بَيْتَةٍ يَنْهَا عَنِ الْفَسَادِ فِي الْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِنْ أَهْلِنَا يَنْهَى وَأَتَبِعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا مَا أَثْرَفُوا فِيهِ وَكَانُوا بَخِيمِينَ ﴾

قوله تعالى: **﴿وَاصْبِرْ﴾** أي: على الصلاة، كقوله: **﴿وَأَمْرَ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَأَصْطَرَهُ عَلَيْهَا﴾** [طه: ١٣٢]. وقيل: المعنى: واصبر يا محمد على ما تلقى من الأذى. **﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾** يعني المصليين.

قوله تعالى: **﴿فَتَوَلَّا كَانَ﴾** أي: فهلا كان **﴿مِنَ الْقُرُونِ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾** أي: من الأمم التي قبلكم **﴿أُولُو بَيْتَةٍ﴾** أي: أصحاب طاعة ودين وعقل وبصر **﴿يَنْهَا﴾** قومهم **﴿عَنِ**

**الْفَسَادُ فِي الْأَرْضِ** لِمَا أَعْطَاهُمُ اللَّهُ تَعَالَى مِنَ الْعُقُولِ، وَأَرَاهُمُ مِنَ الْآيَاتِ. وَهَذَا تَوْبِيعٌ لِلْكُفَّارِ.

وقيل: «الولا» هاهنا للنفي؛ أي: ما كان من قبلكم، كقوله: **﴿فَلَنَّا كَانَتْ فَرِيَةً مَأْمَنَتْ﴾** [يوسٰ: ٩٨] أي: ما كانت.

**﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾** استثناءً منقطع، أي: لكن قليلاً<sup>(١)</sup> **﴿مِنْ أَجْبَانَا مُنْهَمْ﴾** نَهَوْا عن الفساد في الأرض. قيل: هم قوم يومن؛ لقوله: **﴿إِلَّا قَوْمٌ يُؤْسَ﴾** [يوسٰ: ٩٨]. وقيل: هم أتباع الأنبياء وأهل الحق. **﴿وَاتَّبَعُوا لِيَرِبَّ ظَلَمَوْا﴾** أي: أشْرَكُوا وَعَصَوا **﴿مَا أَنْهَوْا فِيهِ﴾** أي: من الاشتغال بالمال واللذات، وإيثار ذلك على الآخرة **﴿وَكَانُوا مُجْرِيْدِينَ﴾**.

قوله تعالى: **﴿وَمَا كَانَ رَبِّكَ لِيَهْلِكَ الْفَرِيَدِ يُظْلِمُ وَأَهْلُهَا مُضْلِحُونَ** ﴿١﴾ **وَلَوْ شَاءَ رَبِّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَيَدِهَّ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ** ﴿٢﴾ **إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبِّكَ** **وَلِذَلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسَ أَجْمَعِينَ** **﴾**

قوله تعالى: **﴿وَمَا كَانَ رَبِّكَ لِيَهْلِكَ الْفَرِيَدِ﴾** أي: أهل القرى **﴿يُظْلِمُ﴾** أي: يشرك وكفر **﴿وَأَهْلُهَا مُضْلِحُونَ﴾** أي: فيما بينهم في تعاطي الحقوق، أي: لم يكن ليهلكهم بالكفر وحده حتى ينضاف إليه الفساد، كما أهلك قوم شعيب ببعض المكيال والميزان، وقوم لوط باللوساط<sup>(٢)</sup>. ودلل هذا على أن المعااصي أقرب إلى عذاب الاستئصال في الدنيا من الشرك، وإن كان عذاب الشرك في الآخرة أصعب. وفي «صحيح» الترمذى من حديث أبي بكر الصديق **ﷺ** قال: سمعت رسول الله **ﷺ** يقول: «إِنَّ النَّاسَ إِذَا رَأُوا الظَّالَمَ فَلَمْ يَأْخُذُوا عَلَى يَدِهِ، أُوْشِكَ أَنْ يَعْمَلُهُمُ اللَّهُ بِعَقَابٍ مِنْ عَنْهُ». وقد تقدّم<sup>(٣)</sup>.

(١) ينظر المحرر الوجيز . ٢١٤/٣

(٢) ينظر تفسير أبي الليث ١٤٦/٢ - ١٤٧ .

(٣) ٣٨٦/٣ ، وهو في سنن الترمذى (٢١٦٨)، وفي قول المصطفى: صحيح الترمذى، تجوز.

وقيل: المعنى: وما كان رَبُّك ليهلك القرى بظلمٍ وأهلُها مسلمون، فإنه يكون ذلك ظلماً لهم ونقصاً من حقهم، أي: ما أهلك قوماً إلا بعد إعذارٍ وإنذار.

وقال الزجاج: يجوز أن يكون المعنى: ما كان رَبُّك ليهلك أحداً وهو يظلمه وإن كان على نهاية الصلاح؛ لأنَّه تصرف<sup>(١)</sup> في ملكه؛ دليلاً قوله: **هُوَ اللَّهُ لَا يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئاً** [يونس: ٤٤]<sup>(٢)</sup>.

وقيل: المعنى: وما كان الله ليهلكم بذنبِهم وهم مصلحون، أي: مُخلصون في الإيمان. فالظلم المعاشي على هذا<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: **هُوَ رَبُّ شَاءَ رَبَّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً** قال سعيد بن جُبير: على ملة الإسلام وحدتها. وقال الضحاك: أهل دين واحد، أهل ضلال أو أهل هدى<sup>(٤)</sup>. **فَوَلَا يَرَأُونَ مُخْتَلِفِينَ** أي: على أديانٍ شَتَّى؛ قاله مجاهد وقتادة<sup>(٥)</sup>.

**إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ** استثناء منقطع؛ أي: لكنَّ من رَحِمَ ربُّك بالإيمان والهدى، فإنه لم يختلف<sup>(٦)</sup>.

وقيل: مختلفين في الرزق، فهذا غنيٌ وهذا فقير **إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ** بالقناعة؛ قاله الحسن<sup>(٧)</sup>.

(١) في (ز) و(ظ): لأنَّه تصرف.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٨٣/٣ دون قوله: وإن كان على نهاية الصلاح لأنَّه تصرف في ملكه.

(٣) ذكر هذا القول ابن عطية في المحرر الوجيز ٢١٥/٣ ، ورجح أن يكون معنى «بظلم» أي: بظلم منه لهم، تعالى عن ذلك.

(٤) النكت والعيون ٥١١/٢ .

(٥) ذكره الماوردي في النكت والعيون عن مجاهد وعطاء، وأخرجه ابن أبي حاتم ٢٠٩٣/٦ (١١٢٨٢) عن الحسن، ولم تقف عليه عن قتادة.

(٦) ينظر معاني القرآن للزجاج ٨٣/٣ ، وتفسير البغوي ٤٠٦/٢ . وقال أبو حيان في البحر ٢٧٣/٥ : هو استثناء متصل من قوله: «ولا يزالون مختلفين» ولا ضرورة تدعوه إلى أنه بمعنى لكن فيكون استثناءً منقطعاً.

(٧) النكت والعيون ٥١١/٢ . وأخرجه بنحوه الطبرى ٦٣٦/١٣ .

**﴿وَلَذِكَّرْ خَلْقَهُمْ﴾** قال الحسن ومقاتل وعطاء ويَمان: الإشارة للاختلاف، أي: وللاختلاف خلقهم<sup>(١)</sup>.

وقال ابن عباس ومجاحد وفتادة والضحاك: ولرحمته خلقهم<sup>(٢)</sup>. وإنما قال: «ولذلك»، ولم يقل: ولذلك، والرحمة مؤنثة؛ لأنه مصدر، وأيضاً فإن تأنيث الرحمة غير حقيقي، فحملت على معنى الفضل<sup>(٣)</sup>.

وقيل: الإشارة بـ«ذلك» للاختلاف والرحمة، وقد يشار بـ«ذلك» إلى شيئين متضادين، كقوله تعالى: **﴿لَا فَارِضٌ وَلَا يَكْرُرُ عَوَانٌ بَيْنَ ذَلِكَ﴾** [البقرة: ٦٨]<sup>(٤)</sup> ولم يقل بين ذينك ولا تينك، وقال: **﴿وَالَّذِينَ إِذَا أَنْفَقُوا لَمْ يُشْرِفُوا وَلَمْ يَقْرُفُوا وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَاماً﴾** [الفرقان: ٦٧] وقال: **﴿وَلَا يَجْهَرَ بِصَلَاتِكَ وَلَا تَخْلُفَ بِهَا وَلَا يَسْعَ بَيْنَ ذَلِكَ سِيَلًا﴾** [الإسراء: ١١٠] وكذلك قوله: **﴿قُلْ يَنْقُصِ الْأَقْوَافُ وَرِحْمَتِهِ فِي ذَلِكَ فَلَيَنْرَجُوا هُنَّ يَوْنَسٌ ٥٨﴾** [يونس: ٥٨]. وهذا أحسن الأقوال إن شاء الله تعالى؛ لأنه يعم، أي: ولما ذكر خلقهم.

والى هذا أشار مالك رحمه الله فيما روى عنه أشهب؛ قال أشهب: سألت مالكا عن هذه الآية، قال: خلقهم ليكون فريق في الجنة وفريق في السعير<sup>(٥)</sup>. أي: خلق أهل الاختلاف للاختلاف، وأهل الرحمة للرحمة.

وروي عن ابن عباس أيضاً قال: خلقهم فريقين؛ فريقاً يرحمه، وفريقاً لا يرحمه<sup>(٦)</sup>.

قال المهدوي: وفي الكلام على هذا التقدير تقديم وتأخير، المعنى: ولا يزالون

(١) النكت والعيون ٢/٥١١ عن الحسن وعطاء، والوسط ٢/٥٩٧ عن الحسن ومقاتل.

(٢) أخرج قولهم الطبرى ١٣/٦٣٩ - ٦٤٠ .

(٣) تفسير الرازى ١٨/٧٩ .

(٤) ينظر تفسير الطبرى ١٣/٦٤٠ - ٦٤١ ، والمحرر الوجيز ٣/٢١٥ ، والبحر ٥/٢٧٣ . واختار الطبرى هذا القول وقال: فمعنى اللام في قوله: **﴿وَلَذِكَّرْ خَلْقَهُمْ﴾** بمعنى على، كقولك للرجل: أكرمتك على برّك بي. وأكرمتك لبرّك بي.

(٥) تفسير البغوى ٢/٤٠٦ ، وأخرجه الطبرى ١٣/٦٣٩ .

(٦) أخرجه الطبرى ١٣/٦٣٨ .

مختلفين إلَّا مَن رِحْمَ رَبِّكَ، وَتَمَّتْ كَلْمَةُ رَبِّكَ لِأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، وَلَذِكْ خَلْقَهُمْ<sup>(١)</sup>.

وقيل: هو متعلق بقوله: **﴿ذَلِكَ يَوْمٌ يَجْمُوعُ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ﴾** [هود: ١٠٣] والمعنى: ولشهود ذلك اليوم خلقهم. وقيل: هو متعلق بقوله: **﴿فَيَنْهَا شَقِّ وَسَعِيدٌ﴾** [هود: ١٠٥] أي: للسعادة والشقاوة خلقهم<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: **﴿وَتَمَّتْ كَلْمَتَ رَبِّكَ﴾** معنى «تمت»: ثَبَّتَ ذلك كما أخبر وقدر في أَزْلِهِ، وتمام الكلمة: امتناعها عن قبول التغيير والتبدل. **﴿لِأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾** «من» لبيان الجنس، أي: من جنس الجنة وجنس الناس. «أَجْمَعِينَ» تأكيد، وكما أخبر أنه يملأ ناره كذلك أخبر على لسان نبيه ﷺ أنه يملأ جنته بقوله: «ولكلُّ واحِدٍ مِنْكُمَا مِلْوَهَا». خرجه البخاري<sup>٣</sup> من حديث أبي هريرة وقد تقدم.

قوله تعالى: **﴿وَكُلُّاً نَقْصُ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرَّسُولِ مَا نَثَّيْتُ يُوَهُ فَوَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذَكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾**

قوله تعالى: **﴿وَكُلُّاً نَقْصُ عَلَيْكَ﴾** «كُلًا» نصب بـ«نقص»، معناه: وكلُّ الذي تحتاج إليه من أنباء الرسل نقص عليك<sup>(٤)</sup>. وقال الأخفش: «كُلًا» حال مقدمة، كقولك: كُلًا ضربتُ القوم<sup>(٥)</sup>. **﴿مِنْ أَنْبَاءِ الرَّسُولِ﴾** أي: من أخبارهم وصبرِهم على أذى قومهم. **﴿مَا نَثَّيْتُ يُوَهُ فَوَادَكَ﴾** أي: على أداء الرسالة، والصبر على ما ينالك فيها من الأذى. وقيل: نزيذك به تثبيتاً ويقيناً. وقال ابن عباس: ما نشدُ به قلبك<sup>(٦)</sup>. وقال ابن

(١) ذكر قول المهدوي أبو حيان في البحر ٥/٢٧٣ وقال: وهذا بعيد جدًا من تراكيب كلام العرب.

(٢) ذكر القولين الآخرين ابن عطية في المحرر الوجيز ٣/٢١٥ ، وقال: وهذا المعنى وإن صحيحاً، فهذا العَوْدُ المتباعد ليس بجيد.

(٣) ١/٣٥٦ - ٣٥٧ ، وهو عند البخاري (٤٨٥٠).

(٤) معاني القرآن للزجاج ٣/٨٤ .

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٢/٣٠٨ ، وينظر معاني القرآن للأخفش ٢/٥٨٥ .

(٦) ذكره الواحدى في الوسيط ٢/٥٩٨ بلفظ: ليزيدك يقيناً ويقرئ قلبك.

جُريج: **تُصْبِرُ بِهِ قَلْبَكَ حَتَّى لَا تَجْزَعُ**. وقال أهل المعاني: **تُطِيبُ**, والمعنى متقارب. و«ما» بدلاً من «كُلًا» المعنى: **نَقْصٌ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبِيَاءِ الرَّسُولِ مَا ثَبَّتَ بِهِ فَوَادِكَ**<sup>(١)</sup>.

**﴿وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ﴾** أي: في هذه السورة؛ عن ابن عباس وأبي موسى<sup>(٢)</sup> وغيرهما. وَخَصَّ هذه السورة لأنَّ فيها أخبارَ الأنبياءِ والجنةِ والنارِ. وقيل: خَصَّها بالذِّكر تأكيداً، وإنْ كانَ الحَقُّ في كُلِّ القرآن<sup>(٣)</sup>.

وقال قتادة والحسن: المعنى: في هذه الدنيا، يزيد النبوة<sup>(٤)</sup>.

**﴿وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾** الموعظة: ما يُتعظ به من إِهْلَكَ الْأَمْمِ الماضية، والقرونِ الخالية المكذبة. وهذا تشريفٌ لهذه السُّورة؛ لأنَّ غيرها من السُّور قد جاءَ فيها الحَقُّ والموعظة والذِّكرى، ولم يقل فيها كما قال في هذه على التَّخصيص. **﴿وَذِكْرٌ لِلْمُؤْمِنِينَ﴾** أي: يتذَكَّرونَ ما نَزَلَ بِمِنْ هَذِهِ فِتْيَاتِهِنَّ، وَخَصَّ الْمُؤْمِنِينَ لِأَنَّهُمْ الْمَتَّعِظُونَ إِذَا سَمِعُوا قصصَ الأنبياءِ.

قوله تعالى: **﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانِتِكُمْ إِنَّا عَمِيلُونَ ﴾** وَأَنْتَمْ رُواً إِنَّا مُنْتَظِرُونَ **﴿وَلَئِنْهُ غَيْثٌ أَسْمَنَتِ الْأَرْضَ وَإِلَيْهِ يَرْجِعُ الْأَمْرُ كُلُّمَا فَاغْبَدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ وَمَا رَبِّكَ يُغَفِّلُ عَمَّا تَصْنَعُونَ﴾**

قوله تعالى: **﴿وَقُلْ لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانِتِكُمْ﴾** تهديدٌ ووعيدٌ. **﴿إِنَّا عَمِيلُونَ . وَأَنْتَمْ رُواً إِنَّا مُنْتَظِرُونَ﴾** تهديدٌ آخرٌ، وقد تقدَّم معناه<sup>(٥)</sup>.

قوله تعالى: **﴿وَلَئِنْهُ غَيْثٌ أَسْمَنَتِ الْأَرْضَ وَإِلَيْهِ يَرْجِعُ الْأَمْرُ﴾** أي: غَيْبُهُما وشهادُهُما؛ فحذف لدلالة المعنى. وقال ابن عباس: خزانَ السماوات والأرض. وقال الفضاحاك: جميع

(١) معاني القرآن للزجاج ٨٤/٣.

(٢) النكت والعيون ٥١٢/٢ ، وأخرج قولهما الطبرى ٦٤٣/١٣ - ٦٤٤ ، وأخرجه عن ابن عباس أيضاً سعيد بن منصور في سنته ١١٠٨ - تفسير).

(٣) معاني القرآن للزجاج ٨٤/٣ - ٨٥ .

(٤) زاد المسير ٤/١٧٣ ، وأخرج قولهما الطبرى ٦٤٧/١٢ .

(٥) ينظر ٩/١٣٣ وص ٥٨ من هذا الجزء.

ما غاب عن العباد فيهما<sup>(١)</sup>.

وقال الباقيون: غيب السماوات والأرض: نزول العذاب من السماء، وطلوعه من الأرض.

وقال أبو علي الفارسي: ولله علم<sup>(٢)</sup> غَيْب السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، أي: علم ما غاب فيهما<sup>(٣)</sup>; أضاف الغيب - وهو مضاد إلى المفعول - توسعًا؛ لأن حذف حرف الجر؛ تقول: غَيْبُتُ فِي الْأَرْضِ وَغَبَتْ بِيَدِكَذَا.

﴿وَإِنَّهُ يَرْجِعُ الْأَمْرَ كُلُّهُ﴾ أي: يوم القيمة؛ إذ ليس لمخلوق أمر إلا بإذنه. وقرأ نافع وحفص: ﴿يَرْجِعُ﴾ بضم الياء ويفتح الجيم<sup>(٤)</sup>; أي: يُرَدُّ. ﴿فَاعْبُدُهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ﴾ أي: الجا إ إليه وثق به.

﴿وَمَا رِبُّكَ يَنْقِلِ عَنَّا تَعْمَلُونَ﴾ أي: يجازي كلاً بعمله. وقرأ أهل المدينة والشام وحفص بالتاء على المخاطبة. الباقيون بباء على الخبر<sup>(٥)</sup>. قال الأخفش سعيد<sup>(٦)</sup>: «يعملون» إذا لم يخاطب النبي ﷺ معهم، قال: وقال بعضهم: «تعملون» بالتاء لأنه خاطب النبي ﷺ، أو قال: قل لهم: ﴿وَمَا رِبُّكَ يَنْقِلِ عَنَّا تَعْمَلُونَ﴾.

وقال كعب الأحبار: خاتمة التوراة خاتمة «هود»<sup>(٧)</sup> من قوله: ﴿وَلَلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ إلى آخر السورة.

تمت سورة هود، ويتلوها سورة يوسف عليه السلام.

(١) ذكر قول ابن عباس وقول الصحاح الطبرسي في مجمع البيان ١٢/٢٣٨.

(٢) قوله: علم، من (ز) و(ظ).

(٣) الوسيط ٢/٥٩٨ ، وزاد المسير ٤/١٧٥.

(٤) وقرأ الباقيون بفتح الياء وكسر الجيم. السبعة ص ٣٤٠ ، والتيسير ص ١٢٦.

(٥) قرأ نافع وابن عامر وحفص: «تعملون» بالتاء، والباقيون بالياء. السبعة ص ٣٤٠ ، والتيسير ص ١٢٦.

(٦) في معاني القرآن ٢/٥٨٦.

(٧) أخرجه الطبرى ١٣/٦٤٩ ، وسلف ٨/٣١١.

# بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## سورة يوسف عليه السلام

وهي مكية كلها. وقال ابن عباس وقتادة: إلا أربع آيات منها<sup>(١)</sup>. وروي أن اليهود سألوا رسول الله ﷺ عن قصة يوسف، فنزلت السورة، وسيأتي<sup>(٢)</sup>.

وقال سعد بن أبي وقاص: أنزل القرآن على رسول الله ﷺ، فتلاه عليهم زماناً، فقالوا بـلو قصصت علينا، فنزل: [﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ مَا يَنْهَا إِلَيْكُمْ أَلْكَنَتِ الظِّئَافِ﴾] إلى قوله: [﴿أَنْتُمْ تَنْهَى عَنِّي﴾] فتلاه عليهم زماناً فقالوا: لو حدثتنا، فنزل: [﴿إِنَّ اللَّهَ نَزَّلَ أَخْسَنَ الْحَدِيثَ﴾]  
[الزمر: ٢٣]<sup>(٣)</sup>.

قال العلماء: وذكر الله أقصى صص الأنبياء في القرآن وكسر رها بمعنى واحد في وجوده مختلفة، بألفاظ متباعدة على درجات البلاغة، وقد ذكر قصة يوسف ولم يكررها، فلم يقدر مخالف على معارضه ما تكرر، ولا على معارضه غير المتكرر، والإعجاز لمن تأمل.

قوله تعالى: [﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ مَا يَنْهَا إِلَيْكُمْ أَلْكَنَتِ الظِّئَافِ﴾] ①

قوله تعالى: [﴿إِنَّ رَبَّكَ تَقْدِيمُ الْقَوْلُ فِيهِ﴾]<sup>(٤)</sup>، والتقدير هنا: «تلذك آيات الكتاب» على

(١) النكت والعيون ٥/٣ .

(٢) ص ٢٤٢ و ٢٥٩ من هذا الجزء.

(٣) أخرجه البزار (١١٥٢) و (١١٥٣)، وأبو يعلى (٧٤٠)، والطبراني ٨/١٣ ، وابن حبان (٦٢٠٩)، والواحدي في أسباب التزول ص ٢٧٣ ، وما بين حاصلتين من المصادر.

(٤) ١/٢٣٧ وما بعدها ، و ١٠/٤٤٥ - ٤٤٦ .

الابتداء والخبر<sup>(١)</sup>. وقيل: «آلر» اسمُ السورة، أي: هذه السورة المسماة «آلر». **﴿فَلَكَ مَا يَنْتَهِ الْكِتَبُ أَمْبَين﴾** يعني بالكتاب المبين: القرآن المبين، أي: المبين حلاله وحرامه، وحدوده وأحكامه، وهداه وبركته<sup>(٢)</sup>.

وقيل: أي: هذه تلك الآيات التي كتم توعدون بها في التوراة<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: **﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لَمْلَكُمْ تَعْقِلُونَ ﴾**

قوله تعالى: **﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا﴾** يجوز أن يكون المعنى: إننا أنزلنا القرآن عربياً<sup>(٤)</sup>، نصب «قرآنًا» على الحال، أي: مجموعاً، و«عربياً» نعت لقوله «قرآنًا». ويجوز أن يكون توطئة للحال، كما تقول: مررت بزيد رجلاً صالحًا، و«عربياً» على الحال، أي: يقرأ بلغتكم يا معاشر العرب. [ومعنى] أغرب: بَيْنَ، ومنه: «الثَّيْبُ تُعَرِّبُ عن نفسها»<sup>(٥)</sup>.

**﴿لَمْلَكُمْ تَعْقِلُونَ﴾** أي: لكي تعلموا معانيه، وتفهموا ما فيه<sup>(٦)</sup>. وبعضُ العرب يأتي بآن مع «العل» تشبيهاً بعسى. واللام في «العل» زائدةً للتوكيد، كما قال الشاعر:  
**يَا أَبَتَا عَلَكَ أَوْ عَسَاكَا**<sup>(٧)</sup>

وقيل: **﴿لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾** أي: لتكونوا على رجاء من تدبره، فيعود معنى الشك إليهم لا إلى الكتاب، ولا إلى الله عز وجل.

(١) إعراب القرآن للنحاس ٣٠٩/٢.

(٢) تفسير البغوي ٤٠٨/٢.

(٣) معاني القرآن للزجاج ٨٧/٣ ، وللنحاس ٣٩٥/٣ .

(٤) معاني القرآن للنحاس ٣٩٥/٣ .

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٣٠٩/٢ ، وما سلف بين حاصرتين منه. قوله: «الثيب تعرب...» قطعة من حديث أخرجه أحمد (١٧٧٢٢)، وابن ماجه (١٨٧٢) من طريق عدي بن عدي الكندي عن أبيه.

(٦) تفسير البغوي ٤٠٨/٢ .

(٧) الرجز للسعاج، وهو في ديوانه ص ١٨١ ، والكتاب ٣٧٥/٢ ، والخزانة ٣٦٢/٥ ، وإعراب القرآن للنحاس ٣٠٩/٢ ، والكلام منه.

وقيل: معنى «أَنْزَلْنَاهُ»، أي: أنزلنا خبر يوسف؛ قال النحاس<sup>(١)</sup>: وهذا أشبه بالمعنى؛ لأنَّه يُروى أنَّ اليهود قالوا: سَلُوْهُ لِمَ انتَقَلَ آلُ يعقوبَ مِنَ الشَّامِ إِلَى مصرَ، وَعَنْ خَبَرِ يُوسُفَ فَأَنْزَلَ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ هَذَا بِمَكَةَ موافِقاً لِمَا فِي التُّورَاةِ، وَفِيهِ زِيَادَةٌ لَيْسَ عِنْدِهِمْ فَكَانَ هَذَا لِلنَّبِيِّ ﷺ - إِذَا أَخْبَرُهُمْ وَلَمْ يَكُنْ يَقْرَأُ كِتَابًا قُطُّ وَلَا هُوَ فِي مَوْضِعِ كِتَابٍ - بِمِنْزَلَةِ إِحْيَا عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ الْمَيِّتُ، عَلَى مَا يَأْتِي فِيهِ<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: «فَنَعْنَوْنَ تَعَصَّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ إِنَّا أَوْجَحْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقَرْزَانَ وَإِنْ كُثُرَتْ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ»

قوله تعالى: «فَنَعْنَوْنَ تَعَصَّ عَلَيْكَ» ابتداء وخبر. «أَحْسَنَ الْقَصَصِ» بمعنى المصدر، والتقدير: قصصاً<sup>(٣)</sup> أحسن القصص.

وأصلُ الْقَصَصِ: تَتَبَعُ الشَّيْءَ، ومنه قوله تعالى: «وَقَاتَ لِأَخْتِهِ شَقِيقَتِهِ» [القصص: ١١] أي: تتبعي أثره، فالقصاص يتبع<sup>(٤)</sup> الآثار فَيُخْرِبُ بها. والحسُنُ يعود إلى القصص لا إلى القصبة. يقال: فلان حَسَنَ الاقتراض للحديث؛ أي: جيدُ السياقة له. وقيل: القصاص ليس مصدرًا، بل هو في معنى الاسم، كما يقال: الله رجاؤنا، أي: مرجونا، فالمعنى على هذا: نحن نخبرك بأحسن الأخبار<sup>(٥)</sup>.

«إِنَّا أَوْجَحْنَا إِلَيْكَ» أي: بوحينا، فـ«ما» مع الفعل بمنزلة المصدر. «هَذَا الْقَرْزَانَ» نصب القرآن على أنه نعت لـ«هذا»، أو بدل منه، أو عطف بيان<sup>(٦)</sup>.

(١) في معاني القرآن ٣٩٦/٣.

(٢) ص ٢٥٩ من هذا الجزء.

(٣) في (د) و(ز) و(م): قصصنا، والمثبت من باقي النسخ، وهو الموافق لما في إعراب القرآن للنحاس ٣١٠/٢ ، والكلام منه.

(٤) في (ظ): فالقصاص يتبع.

(٥) ينظر تفسير الرازبي ٨٥/١٨.

(٦) المحرر الوجيز ٢١٩/٣ ، وضعيف ابن عطية كونه عطف بيان.

وأجاز الفراء الخفيف؛ قال: على التكرير<sup>(١)</sup>. وهو عند البصريين على البدل من «ما»<sup>(٢)</sup>. وأجاز أبو إسحاق<sup>(٣)</sup> الرفع على إضمار مبتدأ؛ كأنَّ سائلاً سأله عن الوحي فقيل له: هو هذا القرآن<sup>(٤)</sup>. **﴿وَلَمْ يَكُنْ لِّنَّكُلُونَ مِنْ قَبْلِهِمْ لَمَّا أَنْتُمْ تَفْعَلُونَ﴾** أي: من الغافلين عمّا عرّفناكَ<sup>(٥)</sup>.

**مسألة:** واختلف العلماء لِمَ سُمِّيَتْ هذه السورة أحسن القصص من بين سائر الأفاصيص؟

فقيل: لأنَّه ليست قصة في القرآن تتضمن من العبر والحكم ما تتضمن هذه القصة، وبيانه قوله في آخرها: **﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولَئِكَ الْأَذَّلِينَ﴾** [الآية: ١١١].

وقيل: سماها أحسن القصص لحسن مجازة<sup>(٦)</sup> يوسف إخوته<sup>(٧)</sup>، وصبره على أذاهם، وغفروه عنهم - بعد الانتقاء بهم - عن ذكر ما تعاظوه [معه]، وكرمه في العفو عنهم، حتى قال: **﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ﴾** [يوسف: ٩٢].

وقيل: لأنَّ فيها ذكر الأنبياء والصالحين، والملائكة والشياطين، والجن والإنس، والأنعام والطير، وسير الملوك والممالك<sup>(٨)</sup> والتجار، والعلماء والجهاز،

(١) معاني القرآن للفراء ٢/٣٢ ، ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٢/٣١٠.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٢/٣١٠ ، وقال الزجاج في معاني القرآن ٣/٨٨ : فيكون المعنى: نحن نقص عليك أحسن القصص بهذا القرآن. ولا تقرآن بها.

(٣) في معاني القرآن ٣/٨٨ .

(٤) في (د) و(ز) و(ظ): هو القرآن، وفي (ف) ومعاني القرآن للزجاج: هذا القرآن، والمثبت من (م).

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٢/٣١٠ .

(٦) في النسخ الخطية: محاوزة، وفي (م): محاوزة، والمثبت من عرائض المجالس ص ١١٠ ، والكلام وما سيأتي بين حاضرتي منه.

(٧) في (م): عن إخوته.

(٨) في (م): المالك.

والرجال والنساء وحيلهم ومكرهم، وفيها ذكر التوحيد والفقه<sup>(١)</sup> والسير، وتعبير الرؤيا، والسياسة والمعاشرة وتدبیر المعاش، وجمل الفوائد التي تصلح للدين والدنيا.

وقيل: لأنّ فيها ذكر الحبيب والمحبوب وسيّرهما. وقيل: «أحسن» هنا بمعنى: أَعْجَبَ.

وقال بعض أهل المعاني: إنما كانت أحسن القصص لأنّ كلّ من ذُكر فيها كان مآل السعادة؛ انظر إلى يوسف وأبيه وإخوته، وامرأة العزيز: قيل: والمملوك أيضاً أسلم بيوسف وحسن إسلامه، ومستعير الرؤيا الساقية، والشاهد فيما يقال<sup>(٢)</sup>، فما كان أمر الجميع إلا إلى خير.

قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَيْهِ يَتَابَتْ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدًا عَشَرَ كَوْكِبًا وَالثَّنَسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ﴾ «إذ» في موضع نصب على الطرف، أي: اذكر لهم حين قال يوسف. وقراءة العامة بضمّ السين. وقرأ طلحة بن مُصرّف: «يُوسُف» بالهمز وكسر السين. وحكى أبو زيد: «يُوسُف» بالهمز وفتح السين. ولم ينصرف لأنّه أعجمي<sup>(٣)</sup>. وقيل: هو عربي<sup>(٤)</sup>.

وسئل أبو الحسن الأقطع - وكان حكيمًا - عن «يوسف» فقال: الأسف في اللغة الحزن؛ والأسيف: العبد، وقد اجتمعوا في يوسف؛ فلذلك سُمي يوسف<sup>(٥)</sup>.

(١) في عرائض المجالس: والغفة.

(٢) وهو المذكور في قوله تعالى: ﴿وَشَهَدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَعْلَمَهَا﴾ [يوسف: ٢٦].

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٣١٠ / ٢ ، وينظر القراءات الشاذة ص ٦٢ .

(٤) ذكره الزمخشري ٣٠١ / ٢ وقال: وليس بصحيح؛ لأنّه لو كان عربياً لانصرف، لخلوه عن سبب آخر سوى التعريف.

(٥) عرائض المجالس ص ١١٠ ، وتفسير البغوي ٤٠٩ / ٢ .

﴿لَا يَأْبِي يَتَأْبِت﴾ بكسر التاء، قراءة أبي عمرو وعاصم ونافع وحمزة والكسائي<sup>(١)</sup>، وهي عند البصريين علامه التأنيث؛ أدخلت على الأب في النداء خاصةً بدلاً من ياء الإضافة، وقد تدخل علامه التأنيث على المذكور فيقال: رجل نكحة وهزأة<sup>(٢)</sup>؛ قال النحاس<sup>(٣)</sup>: إذا قلت: «يا أبّت» بكسر التاء، فالباء عند سيبويه<sup>(٤)</sup> بدلٌ من ياء الإضافة؛ ولا يجوز على قوله الوقف إلّا بالهاء، وله على قوله دلائل؛ منها: أنَّ قولك: «يا أبّه» يؤدّي عن معنى «يا أبي»، وأنَّه لا يقال: «يا أبّه»<sup>(٥)</sup> إلّا في المعرفة، ولا يقال: جاءني أبّه، ولا تستعمل العربُ هذا إلّا في النداء خاصةً، ولا يقال: «يا أبّتي»؛ لأنَّ التاء بدلٌ من الياء فلا يُجمع بينهما.

وزعم الفراء<sup>(٦)</sup> أنَّه إذا قال: «يا أبّت» - فكسر - وقف على التاء<sup>(٧)</sup> لا غير؛ لأنَّ الياء في النية. وزعم أبو إسحاق<sup>(٨)</sup> أنَّ هذا خطأً، والحقُّ ما قال؛ كيف تكون الياء في النية وليس يقال: «يا أبّتي»؟

وقرأ أبو جعفر والأعرج وعبد الله بن عامر: «يا أبّت» بفتح التاء<sup>(٩)</sup>؛ قال البصريون: أرادوا: يا أبّتي بالياء، ثم أبدلت الياء ألفاً فصارت: يا أبّتا، فمحذفت الألف ويقيت الفتحة على التاء<sup>(١٠)</sup>.

(١) وقرأ بها أيضاً ابن كثير. السبعة ص ٣٤٤ ، والتيسير ص ٦٠ و ١٢٧ .

(٢) معاني القرآن للزجاج ٨٩/٣ بنحوه.

(٣) في إعراب القرآن ٣١٠/٢ .

(٤) ينظر الكتاب ٢١٠/٢ - ٢١١ .

(٥) في (م): يا أبّت، وكذا اللفظة بعدها، والمثبت من النسخ الخطية وإعراب القرآن للنحاس.

(٦) في معاني القرآن ٣٢/٢ .

(٧) في (م): دل على الياء.

(٨) هو الزجاج، وكلامه في معاني القرآن ٨٩/٣ .

(٩) السبعة ص ٣٤٤ ، والتيسير ص ١٢٧ عن ابن عامر، والنشر ٢٩٣ عن ابن عامر وأبي جعفر، وذكرها عنهم جميعاً النحاس في إعراب القرآن ٣١٠/٢ .

(١٠) معاني القرآن للزجاج ٩٠/٣ .

وقيل : الأصلُ الكسر ، ثم أبدل من الكسرة فتحةً ، كما يُبدل من الياء ألف ؛ فيقال [في : يا غلامي أقبل] : يا غلاماً أقبل<sup>(١)</sup> . وأجاز الفراء<sup>(٢)</sup> : «يا أبُت» بضم الناء . **﴿إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكِبًا﴾** ليس بين النحوين اختلافٌ أنه يقال : جاءني أحد عشرَ ، ومررتُ بأحد عشرَ ، وكذلك ثلاثة عشرَ وتسعَ عشرَ وما بينهما ؛ جعلوا الاسمين اسمًا واحدًا وأعتبروهما بأخفّ الحركات<sup>(٣)</sup> .

قال السهيلي<sup>(٤)</sup> : أسماء هذه الكواكب جاء ذكرُها مُسندًا ؛ رواه الحارث بن أبيأسامة قال : جاء بستانة<sup>(٥)</sup> - وهو رجلٌ من أهل الكتاب - فسأل النبي ﷺ عن الأحد عشرَ كوكباً الذي رأى يوسف ، فقال : «الحرثان وطارق والذيال وقايس والنطح والطروح ذو الكنفان ذو الفرع والفيلق ووثاب والعمودان ، رأها يوسف عليه السلام تسجد له»<sup>(٦)</sup> .

قال ابن عباس وقتادة وابن جريج<sup>(٧)</sup> : الكواكب إخوته ، والشمس أمُّه ، والقمر أبوه .

(١) إعراب القرآن للتحاسن ٢/٣١٢ ، وما سلف بين حاصرين منه .

(٢) معاني القرآن للفراء ٢/٣٢ ، ونقله المصنف عنه بواسطة التحاسن في إعراب القرآن ٢/٣١٠ .

(٣) إعراب القرآن للتحاسن ٢/٣١٢ .

(٤) في التعريف والإعلام ص ٧٩ .

(٥) في النسخ الخطية : بستان ، والمثبت من (م) وهو المواقف لبعض مصادر التخريج على ما يأتي ، ووقع في التعريف والإعلام وبعض المصادر : بستانى .

(٦) أخرجه سعيد بن منصور في سنته ١١١١ - تفسير ، والبزار (٢٢٢٠ - كشف) ، والطبرى ١٣/١٠ ، وابن حبان في المجموعين ١/٢٥١ - ٢٥٠ ، والعقيلي في الضعفاء ١/٢٥٩ ، والبيهقي في الدلائل ٦/٢٧٧ ، وابن الجوزي في الموضوعات (٧٠) واختلفت أسماء الكواكب في المصادر اختلافاً كبيراً ، وقد ثبتنا ما اتفقت عليه غالب نسخنا وكان موافقاً للتعریف والإعلام وبعض مصادر التخريج .

قال البزار : لا نعلمه يروى عن النبي ﷺ إلا بهذا الإسناد . وقال ابن حبان : هذا حديث لا أصل له من حديث رسول الله ﷺ . وقال ابن الجوزي : هذا حديث موضوع على رسول الله ﷺ . قال العقيلي : لا يصح من هذا المتن عن النبي ﷺ شيء من وجه ثبات . وينظر الفوائد المجموعة ص ٤٦٤ .

(٧) قوله : وابن جريج ، من (ظ) ، وقد أخرج قولهم الطبرى ١٣/١٢ .

وقال قتادة أيضاً: الشمسُ خالتَه؛ لأنَّ أَمَّهْ كانت قد ماتت، وكانت خالتَه تحت أَبيه<sup>(١)</sup>.

«رَأَيْتُهُمْ» توكيد. وقال: «رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ» فجاء مذكراً، فالقولُ عند الخليل وسيبوه أنه لما أخبر عن هذه الأشياء بالطاعة والستجود وهم من أفعالَ مَن يَعْقُلُ أَخْبَرَ عنها كما يخبر عَمَّن يَعْقُلُ<sup>(٢)</sup>. وقد تقدَّمَ هذا المعنى في قوله: «وَتَرَهُمْ يَنْظُرُونَ إِلَيْكَ» [الأعراف: ١٩٨]. والعربُ تجمع ما لا يَعْقُلُ جَمْعَ مَن يَعْقُلُ إذا أَنْزَلَهُ مِنْزَلَةً، وإنْ كان خارجاً عن الأصل.

قوله تعالى: «فَالَّذِي لَا تَنْصُصْ رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْرَيْكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنْسَنِ عَدُوٌّ مُّبِيتٌ ﴿٦﴾

فيه إحدى عشرة مسألة:

الأولى: قوله تعالى: «فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا» أي: يحتالوا في هلاكك؛ لأنَّ تأويلها ظاهر، فربما يحملهم الشيطان على قصده بسوء حينئذ. واللامُ في «لك» تأكيد، قوله: «إِنْ كُثُرَ لِلرَّثَةِ يَا تَعْبُرُونَ»<sup>(٣)</sup>.

الثانية: الرؤيا حالة شريفة، ومنزلة رفيعة؛ قال ﷺ: «لَمْ يَقُلْ بَعْدِي مِنَ الْمُبَشِّرَاتِ إِلَّا الرُّؤْيَا الصَّالِحةُ الصَّادِقَةُ يَرَاهَا الرَّجُلُ الصَّالِحُ، أَوْ ثُرِيٌّ لَهُ»<sup>(٤)</sup>. وقال «أَضَدَّ قُوَّمْ رُؤْيَا أَضَدَّ قُوَّمْ حَدِيثًا»<sup>(٥)</sup>. وحَكَمَ ﷺ بِأَنَّهَا: «جَزْءٌ مِّنْ سَتِّ وَأَرْبَعِينَ جَزْءًا مِّنَ النَّبِيَّ»<sup>(٦)</sup>.

(١) ذكره البغوي ٤٠٩ / ٢.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٣١٣ / ٢ ، وينظر البيان لابن الأنباري ٣٣ / ٢ .

(٣) ينظر تفسير الطبراني ١٣ / ١٤ - ١٥ . وينظر أيضاً ما سلف ص ١١٩ من هذا الجزء.

(٤) قطعة من حديث أخرجه أحمد (١٩٠٠)، ومسلم (٤٧٩) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٥) قطعة من حديث أخرجه أحمد (٧٦٤٢)، ومسلم (٢٢٦٣) : (٦) عن أبي هريرة .

(٦) قطعة من الحديث الذي قبله. وأخرجه أيضاً أحمد (١٢٠٣٧)، والبخاري (٦٩٨٣)، ومسلم (٢٢٦٤) من حديث أنس . وأخرجه أحمد (٢٢٦٩٧)، والبخاري (٦٩٨٧)، ومسلم (٢٢٦٤) من حديث عبادة ابن الصامت . وأخرجه البخاري (٦٩٨٨) عن أبي هريرة ، و(٦٩٨٩) عن أبي سعيد الخدري .

وينظر التمهيد لابن عبد البر ١ / ٢٨٠ .

ورُوي : «من سبعين جزءاً من النبوة»<sup>(١)</sup>. ورُوي من حديث ابن عباس رضي الله عنهما : «جزء من أربعين جزءاً من النبوة»<sup>(٢)</sup>. ومن حديث ابن عمرو<sup>(٣)</sup> : «جزء من تسعه وأربعين جزءاً». ومن حديث العباس : «جزء من خمسين جزءاً من النبوة»<sup>(٤)</sup>. ومن حديث أنس : «من ستة وعشرين»<sup>(٥)</sup> وعن عبادة بن الصامت : «من أربعة وأربعين من النبوة»<sup>(٦)</sup>.

والصحيح منها حديث الستة والأربعين ، ويتلوه في الصحة حديث السبعين ؛ ولم يُخرج مسلم في صحيحه غير هذين الحديثين ، أمّا سائرها فين أحاديث الشيوخ ؛ قاله ابن بطال<sup>(٧)</sup>.

قال أبو عبد الله المازري : والأكثر والأصح عند أهل الحديث : «من ستة وأربعين»<sup>(٨)</sup>.

قال الطّبرى : والصواب أن يقال : إنَّ عَامَةَ هَذِهِ الْأَحَادِيثِ أَوْ أَكْثَرَهَا صَحَاحٌ ، ولكل حديث منها مخرج معقول ؛ فأمّا قوله : «إِنَّهَا جَزْءٌ مِّنْ سَبْعِينَ جَزْءاً مِّنَ النَّبُوَةِ»

(١) أخرجه أحمد (٤٦٧٨) ، ومسلم (٢٢٦٥) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما ، وأخرجه أحمد (٢٨٩٤) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) ذكره عن ابن عباس القاضي عياض في إكمال المعلم ٧/٢١١ ، وأبو العباس في المفهم ٦/١٢ ، وابن حجر في الفتح ١٢/٣٦٣ ، وعزاه ابن حجر للطبرى ، وأخرجه أحمد (١٦١٨٣) ، والترمذى (٢٢٧٨) وابن عبد البر في التمهيد ١/٢٨٣ من حديث أبي زين العقيلي عليه السلام.

(٣) في النسخ : ابن عمر ، والمعتبر من إكمال المعلم ٧/٢١١ ، وكذلك أخرجه أحمد (٤٤) ، والطبرى ١٢/٢١٨ من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما.

(٤) أخرجه مطولاً البزار ٢١٢٤ - كشف) ، وابن عبد البر في التمهيد ١/٢٨١ . قال الهيثمي في مجمع الزوائد ٧/١٧٢ - ١٧٣ : فيه ابن إسحاق ، وهو مدلس ، وبقية رجاله ثقات.

(٥) أخرجه ابن عبد البر في التمهيد ١/٢٨٢ وقال : حسن الإسناد.

(٦) أخرجه الطبرى ١٢/٢١٨ ، وضَعَفَ إِسْنَادُهُ أَبْنَ عبدِ البرِّ في التمهيد ١/٢٨١ .

(٧) ذكر قول ابن بطال أيضاً ابن حجر في الفتح ١٢/٣٦٥ .

(٨) المفهم ٦/١٢ ، وينظر المعلم للمازري ٣/١١٧ - ١١٨ .

فإن ذلك قولٌ عامٌ في كل رؤيا صالحة صادقة، ولكل مسلم رأها في منامه على أي أحواله كان. وأما قوله: إنها من أربعين أو ستة وأربعين؛ فإنه يريد بذلك من كان صاحبها بالحال التي ذُكرت عن الصديق - ﷺ - أنه كان بها؛ فمن كان من أهل إسباغ الوضوء في السّيرات<sup>(١)</sup>، والصّبر في الله على المكرهات، وانتظار الصّلاة بعد الصّلاة، فرؤياه الصالحة - إن شاء الله - جزءٌ من أربعين جزءاً من النّبوة، ومن كانت حاله في ذاته بين ذلك فرؤياه الصادقة بين الجزئين؛ ما بين الأربعين إلى الستين<sup>(٢)</sup>، لا تنقصُ عن سبعين، وتزيد على الأربعين.

والى هذا المعنى أشار أبو عمر بن عبد البر<sup>(٣)</sup> فقال: اختلاف الآثار في هذا الباب في عدد أجزاء الرؤيا ليس ذلك عندي اختلافٌ تضادٌ وتدافعٌ والله أعلم؛ لأنَّه يحتمل أن تكون الرؤيا الصالحة من بعضٍ من يراها على حسب ما يكون من صدق الحديث، وأداء الأمانة، والدين المتيقن، وحسن اليقين؛ فعلى قدر اختلاف الناس فيما وصفنا تكون الرؤيا منهم على الأجزاء المختلفة العدد، فمن خلصت<sup>(٤)</sup> له نيتَه في عبادة ربِّه ويقينه وصدق حديثه، كانت رؤيَاه أصدق، وإلى النبوة أقرب، كما أنَّ الأنبياء يتفضلون [والنبوة كذلك]؛ قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ فَضَلَّا بَعْضَ الْتَّيَّانَ عَلَى بَعْضٍ﴾ [الإسراء: ٥٥].

قلت: فهذا التأويل يجمع شتَّات الأحاديث، وهو أولى من تفسير بعضها دون بعض وظرفه.

ذكر أبو سعيد الأسفاقسي<sup>(٥)</sup> عن بعض أهل العلم قال: معنى قوله: «جزءٌ من ستة

(١) جمع سبَّرة بسكن الباء، وهي شدة البرد. النهاية (سبر).

(٢) كذا وقع، ولعل الصواب: السبعين وقد نقل كلام الطبرى بنحوه المازري في المعلم ١١٨/٣ ، وأبو العباس في المفهم ١٥/٦ - ١٦ وابن حجر في الفتح ٣٦٥/١٢ .

(٣) في التمهيد ٢٨٣/١ ، وما سيرد بين حاصلتين منه.

(٤) في (د) و(ظ) و(ف): حصلت.

(٥) ذكره ابن حجر في الفتح ٣٦٤/١٢ بلفظ: السفاقسي، ونقل كلامه عن ابن بطال، وما سيرد بين حاصلتين منه.

وأربعين جزءاً من النبوة» فإنَّ الله تعالى أوحى إلى محمدٌ ﷺ [في المنام ستة أشهر، ثم أوحى إليه بعد ذلك] في النبوة ثلاثة وعشرين عاماً - فيما رواه عكرمة وعمرو بن دينار عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما<sup>(١)</sup> - فإذا نسبنا ستة أشهر من ثلاثة وعشرين عاماً، وجذنا ذلك جزءاً من ستة وأربعين جزءاً.

والى هذا القول أشار المازري في كتابه «المعلم»<sup>(٢)</sup>، واختاره الغزنوبي<sup>(٣)</sup> في تفسيره من سورة يونس، عند قوله تعالى: «لَمْ يَرَهُ الْبَشَرُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا» [الآية: ٦٤]. وهو فاسدٌ من وجهين:

أحدهما: ما رواه أبو سلمة عن ابن عباس وعائشة: بأنَّ مدة الوحي كانت عشرين سنة<sup>(٤)</sup>، وأنَّ النبي ﷺ بُعثَ على رأس أربعين، فأقام بمكة عشر سنين؛ وهو قول عروة الشعبي وابن شهاب والحسن وعطاء الخراساني، وسعيد بن المسيب على اختلاف عنه، وهي رواية ربيعة وأبي غالب عن أنس<sup>(٥)</sup>، وإذا ثبت هذا الاختلاف<sup>(٦)</sup> بظل ذلك التأويل.

الثاني: أنَّ سائر الأحاديث في الأجزاء المختلفة تبقى بغير معنى.

الثالثة: إنَّما كانت الرؤيا جزءاً من النبوة؛ لأنَّ فيها ما يعجز ويُمتنع، كالطيران وقلب الأعيان، والاطلاع على شيءٍ من علم الغيب، كما قال عليه الصلاة والسلام:

(١) رواية عكرمة عن ابن عباس عند أحمد (٢٢٤٢) والبخاري (٣٨٥١). ورواية عمرو بن دينار عن ابن عباس عند مسلم (٢٣٥١).

(٢) ١١٧ / ٣ .

(٣) في (م): القونوي، وفي (د): القرنوبي، وفي (ظ): العزيزي، والمثبت من باقي النسخ.

(٤) أخرجه أحمد (٢٦٩٦)، والبخاري (٤٤٦٤ ، ٤٤٦٥) بلفظ: أنَّ النبي ﷺ لبث بمكة عشر سنين ينزل عليه القرآن، وبالمدينة عشرأً.

(٥) التمهيد ١٦ / ٣ ، ورواية ربيعة (وهو ابن أبي عبد الرحمن) عن أنس عند أحمد (١٣٥١٩)، والبخاري

(٣٥٤٧) ومسلم (٢٣٤٧). ورواية أبي غالب عن أنس عند أحمد (١٢٥٢٩)، وينظر التمهيد ٣ / ١٢-٩ .

(٦) في (م): الحديث، وفي (د) و(ف): الخلاف.

«إِنَّهُ لَمْ يَبْقَ مِنْ مُبَشِّرَاتِ النَّبِيَّ إِلَّا الرُّؤْيَا الصَّادِقَةُ فِي النَّوْمِ» الحديث<sup>(١)</sup>. وعلى الجملة فإن الرؤيا الصادقة من الله، وإنها من النبوة؛ قال ﷺ: «الرؤيا من الله، والحلُّ من الشيطان»<sup>(٢)</sup>. وإن التصديق بها حقٌّ، ولها التأويلُ الحَسَنُ، وربماً أغنى بعضها عن التأويل، وفيها من بديع [حكمة] الله ولطفه ما يزيد المؤمن في إيمانه؛ ولا خلاف في هذا بين أهل الدين والحق من أهل الرأي والأثر، ولا يُنكر الرؤيا إلّا أهل الإلحاد، ويشرذمة من المعتزلة<sup>(٣)</sup>.

الرابعة: إن قيل: إذا كانت الرؤيا الصادقة جزءاً من النبوة؛ فكيف يكون الكافر والكافر والمخلط أهلاً لها؟ وقد وقعت من بعض الكفار وغيرهم ممن لا يرضي دينه منamas صحيحة صادقة؛ كمنام رؤيا الملك الذي رأى سبع بقرات، ومنام الفتَّيْنِ في السجن، ورؤيا بُختَنَصَرُ، التي فسرَها دانيال في ذهاب ملكه، ورؤيا كسرى في ظهور النبي ﷺ<sup>(٤)</sup>، ومنام عاتكة عمّة رسول الله ﷺ في أمره وهي كافرة<sup>(٥)</sup>. وقد ترجم البخاري<sup>(٦)</sup>: باب رؤيا أهل السجن<sup>(٧)</sup>.

فالجواب: أنَّ الكافر والفاجر والفاسق والكافر، وإن صدقت رؤياهم في بعض الأوقات، لا تكون من الوحي ولا من النبوة؛ إذ ليس كلَّ من صدَّقَ في حديث عن غيبٍ يكون خبره ذلك نبوة؛ وقد تقدَّم في «الأنعام»<sup>(٨)</sup> أنَّ الكاهن وغيره قد يخبر

(١) سلف في المسألة الثانية.

(٢) قطعة من حديث أخرجه أحمد (٢٢٥٢٥)، والبخاري (٣٢٩٢)، ومسلم (٢٢٦١) عن أبي قتادة رض.

(٣) التمهيد ١/٢٨٥ ، وما سلف بين حاصرتين منه.

(٤) التمهيد ١/٢٨٥ ، وينظر خبر هذه الرؤيا في تاريخ الطبرى ٢/١٦٦ ، ودلائل النبوة للبيهقي ١/١٢٩-١٢٦ ، والبداية والنهاية ٣/٣٩٥ .

(٥) التمهيد ١/٢٨٥ ، وخبر رؤيا عاتكة في سيرة ابن هشام ١/٢٠٧ عن ابن إسحاق قال: أخبرني من لا آتُهم عن عكرمة مولى ابن عباس، عن ابن عباس، ويزيد بن رومان، عن عروة قال: وقد رأت عاتكة، وذكر الخبر مطولاً.

(٦) صحيح البخاري، قبل الحديث (٦٩٩٢) بلفظ: باب رؤيا أهل السجون والفساد والشرك.

(٧) ٤٠٥/٨ .

بكلمة الحق فَيَضُدُّقُ ، لكن ذلك على التدور والقلة ، فكذلك رؤيا هولاء<sup>(١)</sup> .

قال المهلب : إنما ترجم البخاري بهذا لجواز أن تكون رؤيا أهل الشرك رؤيا صادقة ، كما كانت رؤيا الفتيلين صادقة ، إلا أنه لا يجوز أن تُضاف إلى النبوة إضافة رؤيا المؤمن إليها ؛ إذ ليس كل ما يصح له تأويل من الرؤيا حقيقة يكون جزءاً من النبوة .

الخامسة : الرؤيا المضافة إلى الله تعالى هي التي خلصت من الأضغاث والأوهام ، وكان تأويلاً موافقاً لما في اللوح المحفوظ . والتي هي من حِيز<sup>(٢)</sup> الأضغاث هي الحُلم ، وهي المضافة إلى الشيطان ، وإنما سُمِّيت ضِغثاً لأنَّ فيها أشياء متضادة ؛ قال معناه المهلب .

وقد قسم رسول الله ﷺ الرؤيا أقساماً تغني عن قول كل قائل ؛ روى عوف بن مالك عن رسول الله ﷺ قال : «الرؤيا ثلاثة ؛ منها أهاوبل الشيطان ليُحِزن ابن آدم ، ومنها ما يَهُم<sup>(٣)</sup> به في يَقْطَطِه ، فيراه في منامه ، ومنها جزء من ستة وأربعين جزءاً من النبوة». قال : قلت : سمعت هذا من رسول الله ﷺ ؟ قال : نعم ! سمعته من رسول الله ﷺ<sup>(٤)</sup> .

السادسة : قوله تعالى : ﴿فَالَّذِي يَنْهَا لَا تَنْهَى رُؤْيَاكَ عَلَى إِخْرَيْكَ﴾ الآية . الرؤيا مصدر رأى في المنام رؤيا ، على وزن فعل ، كالسُّقْيَا والبُشْرِي ، وألفه للتأنيث ؛ ولذلك لم ينصرف<sup>(٥)</sup> .

وقد اختلف العلماء في حقيقة الرؤيا ؛ فقيل : هي ادراك في أجزاء لم تحلها آفة ،

(١) المفهم ١٣/٦ .

(٢) في النسخ عدا (ز) : خبر ، والمثبت من (ز) .

(٣) في (ظ) و(م) : يهتم ، وفي (ف) : هم ، والمثبت من (د) و(ز) والمصادر على ما يأتي .

(٤) التمهيد ١/٢٨٥ - ٢٨٦ ، والحديث أخرجه ابن ماجه (٣٩٠٧) ، وابن حبان (٦٠٤٢) . والسائل في آخر الحديث هو مسلم بن مشكم ، وهو الذي رواه عن عوف .

(٥) المفهم ٥/٦ .

كالنوم المستغرق وغيره، ولهذا أكثر ما تكون الرؤيا في آخر الليل؛ لقلة غلبة النوم، فيخلق الله تعالى للرائي علماً ناشئاً، ويخلق له الذي يراه على ما يراه ليصح الإدراك. قال ابن العربي<sup>(١)</sup>: ولا يرى في المنام إلا ما يصح إدراكه في اليقظة؛ ولذلك لا يرى في المنام شخصاً قائماً قاعداً بحال، وإنما يرى الجائزات [الخارقة للعادات، أو الأشياء] المعتادات.

وقيل: إن لله ملكاً يعرض المرئيات على المحل المدرك من النائم، فيمثل له صوراً محسوسة، فتارة تكون تلك الصور أمثلة موافقة لما يقع في الوجود، وتارة تكون [أمثلة] لمعانٍ<sup>(٢)</sup> معقولة غير محسوسة، وفي الحالتين تكون مبشرة أو منذرة؛ قال **الله** في «صحيح» مسلم وغيره: «رأيت سوداء ثائرة الرأس تخرج من المدينة إلى مهيبة، فأولتها الحمى»<sup>(٣)</sup>. و«رأيت سيفي قد انقطع صدره، وبقرأ تنحر. فأولتهم: رجل من أهل بيتي يقتل، والبقر نفر من أصحابي يقتلون»<sup>(٤)</sup>. و«رأيت أنني أدخلت يدي في درع حصينة؛ فأولتها المدينة»<sup>(٥)</sup>. و«رأيت في يدي سوارين؛ فأولتهم كذابين يخرجان بعدي»<sup>(٦)</sup>. إلى غير ذلك مما ضربت له الأمثال؛ ومنها ما يظهر معناه أولاً<sup>(٧)</sup>، ومنها

(١) في أحكام القرآن ١٠٦١ / ٣ ، وما قبله وما سيرد بين حاضرتين منه.

(٢) في (د): المعاني، وفي (ز): معانٍ، وفي (ظ) و(ف) و(م): لمعانٍ، والمثبت من المفهوم ٧ / ٦ والكلام وما بين حاضرتين منه.

(٣) لم نقف عليه عند مسلم، وأخرجه أحمد ٥٨٤٩)، والبخاري (٧٠٣٨) من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما ومهيبة: اسم الجحفة، وهي ميقات أهل الشام. النهاية (مهيب).

(٤) ذكر المصطفى لفظ هذا الحديث والذي قبله تقلاً عن ابن العربي في أحكام القرآن ١٠٦٢ / ٣ وقد أخرجه بمعنىه البخاري (٣٦٢٢) ومسلم (٧٢٧٢) من حديث أبي موسى الأشعري **ط** مطولاً. وأخرجه أحمد (١٣٨٢٥)، والبزار (٢١٣١ - كشف) من حديث أنس **ط**. وأخرجه أحمد (١٤٧٨٧) من حديث جابر **ط**.

(٥) أحكام القرآن لابن العربي ١٠٦٢ / ٣ ، وأخرجه مطولاً دون قوله: «أدخلت يدي» أحمد (٢٤٤٥) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما، و(١٤٧٨٧) من حديث جابر **ط**.

(٦) أحكام القرآن لابن العربي ١٠٦٢ / ٣ ، وأخرجه بأطول مما هنا البخاري (٣٦٢١)، ومسلم (٢٢٧٤) من حديث أبي هريرة **ط**.

(٧) بعدها في النسخ عدا (ظ): فأولاً، والمثبت من (ظ) وأحكام القرآن لابن العربي ١٠٦٢ / ٣ ، والكلام منه.

ما لا يظهر إلّا بعد الفِتْر. وقد رأى النائم في زمن يوسف عليه السلام بقرأً فأولَها يوسفُ السنين، ورأى أحدَ عشرَ كوكبًا والشمسَ والقمرَ فأولَها بأخوهه وأبويه.

السابعة: إن قيل: إنَّ يوسفَ عليه السلام كان صغيراً وقتَ رؤيَاه، والصغيرُ لا حُكْمَ لفُعلِه، فكيف تكون له رؤيا لها حُكْمٌ حتى يقول له أبوه: ﴿لَا تَنْقُضْ رُءْيَاكَ عَلَى إِحْوَاتِكَ﴾؟

فالجواب: أنَّ الرؤيا إدراكٌ حقيقةٌ على ما قدَّمناه، فتكونُ من الصغيرِ كما يكون منه الإدراكُ الحقيقِيُّ في اليقظة، وإذا أخبرَ عما رأى صُدُّق، فكذلك إذا أخبرَ عما يرى في المنام<sup>(١)</sup>. وقد أخبرَ الله سبحانه عن رؤيَاه وأنَّها وُجدت كما رأى، فلا اعتراض. رُويَ أنَّ يوسفَ عليه السلام كان ابنَ اثنتي عشرةَ سنة<sup>(٢)</sup>.

الثامنة: هذه الآيةُ أصلٌ في إلّا تُنْقَضُ الرؤيا على غير شفيقٍ ولا ناصحٍ، ولا على مَنْ لا يُحسِن التأويل فيها؛ روى أبو رَزِين العُقَيْلِيُّ أنَّ النَّبِيَّ ﷺ قال: «الرؤيا جزءٌ من أربعين جزءاً من النبوة، والرؤيا معلقةٌ بِرِجْل طائرٍ ما لم يحدُث بها صاحبُها، فإذا حدَثَ بها وقعت، فلا تُحدِثُوا بها إلّا عاقلاً أو مُحِجاً أو ناصحاً» أخرجه الترمذِيُّ وقال فيه: حديثُ حسنٍ صحيحٍ، وأبو رَزِين اسمُه لقيطُ بنُ عامر<sup>(٣)</sup>.

وقيلُ لمالك: أيُعبُّ الرؤيا كلُّ أحد؟ فقال: أَبِالنَّبِيَّةِ يُلْعَبْ؟ وقال مالك: لا يُعبُّ الرؤيا إلّا مَنْ يُخْسِنُها، فإنَّ رأى خيراً أَخْبَرَ به، وإنَّ رأى مكروهاً فليقلْ خيراً أو ليصمت. قيل: فهل يعبُّها على الخير وهي عنده على المكرور لقول مَنْ قال: إنَّها على ما تَأَوْلَتْ<sup>(٤)</sup> عليه؟ فقال: لا! ثم قال: الرؤيا جزءٌ من النبوة فلا يُتَلَاعِبُ بالنبأ.

(١) أحكام القرآن لابن العربي /٣ - ١٠٦٢ - ١٠٦٣ .

(٢) عرائس المجالس ص ١١٢ عن ابن وهب.

(٣) سنن الترمذِي (٢٢٧٨)، وأخرجه أحمد (١٦١٨٣)، وابن عبد البر في التمهيد /١ ٢٨٣ واللقطة له.

(٤) في (د) و(ز) و(م): تأولت، وفي (ظ): تأول، وفي (ف): توبيلت، والمثبت من التمهيد /١ ٢٨٨ ، والكلام منه.

الناسعة: وفي هذه الآية دليل على أنَّ مباحاً<sup>(١)</sup> أنْ يُحذَر المسلم أخاه المسلم من يَخافُه عليه، ولا يكون داخلاً في معنى الغيبة؛ لأنَّ يعقوب عليه السلام قد حذَر يوسف أنْ يَقُصَّ رؤياه على إخوته فِيكيدوا له كيداً.

وفيها أيضاً ما يدلُّ على جوازِ تركِ إظهارِ النعمة عندَ مَنْ تُخشى غائطُه حسداً وكيداً؛ وقال النبي ﷺ: «استعينوا على حوائجكم بالكتمان؛ فإنَّ كُلَّ ذي نعمة محسود»<sup>(٢)</sup>.

وفيها أيضاً دليلاً واضحاً على معرفة يعقوب عليه السلام بتأويل الرؤيا؛ فإنَّه عَلِمَ من تأويلها أنَّه سيظهرُ عليهم، ولم يبال بذلك من نفسه؛ فإنَّ الرجل يوْدُ أنْ يكون ولده خيراً منه، والأخُ لا يوْدُ ذلك لأخيه<sup>(٣)</sup>.

ويدلُّ أيضاً على أنَّ يعقوب عليه السلام كان أحَسَّ من بنيه حسداً يوسف وبغضته، فنهاه عن قَصصِ الرؤيا عليهم خوفَ أنْ تَغْلِيَ بذلك صدورُهم، فيعملوا الحيلة في هلاكه، ومن هنا ومن فعلهم بيوسف يدلُّ على أنَّهم كانوا غيرَ أنبياء في ذلك الوقت، ووقع في كتاب الطبراني<sup>٤</sup> لابن زيد أنَّهم كانوا أنبياء، وهذا يردُّه القطعُ بعصمة الأنبياء عن الحسد الدنياوي<sup>٥</sup>، وعن عقوق الآباء، وتعریضِ مؤمنٍ للهلاك، والتآمر في قتلِه<sup>(٤)</sup>، ولا التفاتَ لقولِ مَنْ قال: إنَّهم كانوا أنبياء، ولا يستحيلُ في العقلِ زلَّةٌ نبيٌّ، إلَّا أنَّ هذه الزلَّة قد جمعت أنواعاً من الكبائر، وقد أجمعَ المسلمين على عصمتهم

(١) في (ظ): على أنه يباح.

(٢) أحكام القرآن للكبا الطبراني ٢٢٩/٣ ، والحديث أخرجه ابن حبان في روضة العقولاء ص ١٨٧ ، وال Sahih في تاريخ جرجان ص ٢٢٣ من حديث أبي هريرة . وروي الحديث أيضاً عن معاذ كـما في الفضعاء للعقيلي ١٠٨/٢ ، والكامل لابن عدي ٧٧٠ - ٧٧١ و ٣/١٢٤٠ ، وأخبار أصبهان لأبي نعيم ٢١٧ والموضوعات لابن الجوزي (٨٨٩) و (٨٩٠) . وعن ابن عباس كما في المجرورين لابن حبان ١/٣٨٤ - ٣٨٥ ، والموضوعات (٨٩١) و (٨٩٢) . قال ابن الجوزي: هذا حديث لا يصح.

(٣) أحكام القرآن لابن العربي ١٠٦٣/٣ .

(٤) المحرر الوجيز ٢٢٠/٣ ، وخبر ابن زيد في تفسير الطبراني ١٣/١٣ .

منها، وإنما اختلفوا في الصعائر على ما تقدم ويأتي<sup>(١)</sup>.

العاشرة: روى البخاري<sup>(٢)</sup> عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «لم يبق من النبوة إلا المبشرات» قالوا: وما المبشرات؟ قال: «الرؤيا الصالحة». وهذا الحديث بظاهره يدل على أن الرؤيا بشري على الإطلاق، وليس كذلك؛ فإن الرؤيا الصادقة قد تكون منذرة من قبل الله تعالى لا تُسرّ رائتها، وإنما يُريها الله تعالى المؤمن رفقاً به ورحمة، ليستعد لنزول البلاء قبل وقوعه<sup>(٣)</sup>؛ فإن أدرك تأويلها بنفسه، وإنما سأل عنها من له أهلية ذلك. وقد رأى الشافعي<sup>رحمه الله</sup> وهو بمصر رؤيا لأحمد بن حنبل تدل على محتته، فكتب إليه بذلك ليستعد لذلك<sup>(٤)</sup>.

وقد تقدم في «يونس» في تفسير قوله تعالى: **﴿لَهُمُ الْبَشِّرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾** [آل عمران: ٦٤] أنها الرؤيا الصالحة. وهذا وحيديث البخاري مخرجه على الأغلب<sup>(٥)</sup>، والله أعلم.

الحادية عشرة: روى البخاري<sup>(٦)</sup> عن أبي سلامة قال: لقد كنت أرى الرؤيا فتُمرِضني، حتى سمعت أبو قتادة يقول: وأنا كنت لأرى الرؤيا فتُمرِضني حتى سمعت رسول الله يقول: «الرؤيا الحسنة من الله؛ فإذا رأى أحدكم ما يحب فلا يحدث به إلا من يحب، وإذا رأى ما يكره فليتعوذ بالله من شره، وليتقل ثلاثاً»<sup>(٧)</sup>، ولا يحدث بها أحداً، فإنها لن تضره».

(١) تقدم ٤٥٩ - ٤٦٠ ، وسيأتي ص ٢٦٥ من هذا الجزء.

(٢) في صحيحه (٦٩٩٠).

(٣) ذكر الحافظ ابن حجر في الفتح ١٢ / ٣٧٥ - ٣٧٦ نحو هذا الكلام عن المهلب.

(٤) روى الخبر مطولاً ابن الجوزي في مناقب الإمام أحمد ص ٥٥١ ، والمقدس في محن الإمام أحمد ص ٨ - ١٠ .

(٥) أي أن التعبير بالمبشرات والبشرى خرج على الأغلب. ينظر الفتح ١٢ / ٣٧٥ .

(٦) في صحيحه (٧٠٤٤) ، وهو عند أحمد (٢٢٦٤) ، ومسلم (٢٢٦١) : (٤).

(٧) في (م): ثلاث مرات.

قال علماؤنا: فجعل الله الاستعاذه منها مما يرفع أذاها؛ ألا ترى قول أبي سلمة<sup>(١)</sup>: إني كنت لأرى الرؤيا هي أنقل على من الجبل، فلما سمعت بهذا الحديث كنت لا أعدُّها شيئاً. وزاد مسلم<sup>(٢)</sup> من حديث جابر عن رسول الله ﷺ أنه قال: «إذا رأى أحدكم الرؤيا يكرهُها فلييُضْعِفْ عن يساره ثلاثة، ولْيَتَعَوَّذْ بالله من الشيطان ثلاثة، ولْيَتَحُولْ عن جنبه الذي كان عليه». وفي حديث أبي هريرة عن النبي ﷺ قال: «إذا رأى أحدكم ما يكره فليقُم فليُضْلِلْ»<sup>(٣)</sup>.

قال علماؤنا: وهذا كله ليس بمتعارضٍ، وإنما هذا الأمر بالتحول والصلوة زيادة، فعلى الرائي أن يفعل الجميع، والقيام إلى الصلاة يشمل الجميع؛ لأنَّه إذا صلى تضمن فعله للصلوة جميع تلك الأمور؛ لأنَّه إذا قام إلى الصلاة تحول عن جنبه، وإذا تمضمض نفت<sup>(٤)</sup> وبصق، وإذا قام إلى الصلاة تعوذ ودعا وتضرع لله تعالى في أن يكفيه شرها في حالٍ هي أقرب الأحوال إجابة، وذلك السحر من الليل.

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ يَعْنِيْكَ رَبُّكَ وَيَعْلَمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَيُتَّمِّدُ يَعْمَلُكَ وَعَلَّقَ مَالِ يَعْقُوبَ كَمَا أَتَمَّهَا عَلَّقَ أَبُوكَ مِنْ قَبْلِ إِبْرَاهِيمَ وَلَعَنَّ إِنَّ رَبَّكَ عَلَيْهِ حَكِيمٌ﴾

قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ يَعْنِيْكَ رَبُّكَ﴾ الكافُ في موضع نصب؛ لأنَّها نعتٌ لمصدرٍ محذوف، وكذلك الكافُ في قوله: ﴿كَمَا أَتَمَّهَا عَلَّقَ أَبُوكَ مِنْ قَبْلِ﴾ و«ما» كافية<sup>(٥)</sup>.

(١) في النسخ الخطية: قول قتادة، وفي (م): قول أبي قتادة، والمثبت من صحيح البخاري (٥٧٤٧) وصحح مسلم (٢٢٦١) : (٢).

(٢) برق (٢٢٦٢)، وهو عند أحمد (١٤٧٨٠).

(٣) أخرجه مطولاً أحمد (٧٦٢٢)، ومسلم (٢٢٦٣).

(٤) في (د) و(ظ) و(م): تغل، والمثبت من باقي النسخ والمفهوم ١٩/٦ ، والكلام منه.

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٣١٤/٢ ، والتقدير في الكاف الأولى: ويمثل ذلك الاجتباء العظيم يجتبيك. ويجوز فيها الرفع على خبر ابتداء مضمراً، أي: الأمر كذلك. الدر المصنون ٤٤٠/٦ .

وقيل: «وَكَذَلِكَ» أي: كما أكرمك بالرؤيا فكذلك يجتبيك، وتحسن إليك بتحقيق الرؤيا. مقاتل: بالسجود لك. الحسن: بالنبوة<sup>(١)</sup>.

والاجتباء: اختيار معايير الأمور للمجبى، وأصله من جَبَّيْتُ الشيءَ، أي: حصلته، ومنه: جَبَّيْتُ الماء في الحوض؛ قاله النحاس<sup>(٢)</sup>. وهذا ثناء من الله تعالى على يوسف عليه السلام، وتعديده فيما عدده عليه من النعم التي آتاه الله تعالى، من التمكين في الأرض، وتعليم تأويل الأحاديث؛ وأجمعوا أن ذلك في تأويل الرؤيا<sup>(٣)</sup>. قال عبد الله بن شداد بن الهاد: كان تفسير رؤيا يوسف **بعد أربعين سنة**، وذلك متهى الرؤيا<sup>(٤)</sup>.

وعن بالأحاديث ما يراه الناس في المنام، وهي معجزة له؛ فإنه لم يلحظها فيها خطأ. وكان يوسف عليه السلام أعلم الناس بتأنيلها، وكان نبيينا **نحو ذلك**، وكان الصديق **من أغبر الناس لها**، وحصل لابن سيرين فيها التقدُّم العظيم، والطبع والإحسان، ونحوه أو قريب منه كان سعيد بن المسيب فيما ذكروا<sup>(٥)</sup>.

وقد قيل: في تأويل قوله: **وَيَعْلَمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ** أي: أحاديث الأمم والكتب ودلائل التوحيد<sup>(٦)</sup>، فهو إشارة إلى النبوة، وهو المقصود بقوله: **وَتَشَتَّمُ عَيْنَكَ** أي: بالنبوة. وقيل: بإحراج إخوتكم إليك. وقيل: بإنجائك من كل مكره.

(١) قول الحسن في النكت والعيون ٨/٣ . وذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٤/١٨١ عن ابن عباس.

(٢) في معاني القرآن ٣٩٨/٣ .

(٣) التمهيد ١/٣١٣ .

(٤) معاني القرآن للنحاس ٣٩٧/٣ ، وأخرجه ابن أبي شيبة ٨٢/١١ ، والطبرى ٣٥٨/١٣ .

(٥) التمهيد ١/٣١٤ .

(٦) ذكر نحوه الزجاج في معاني القرآن ٩٢/٣ .

(٧) في (ظ) و(م): بإخراج، وهو موافق لما ورد في المطبوع من النكت والعيون ٨/٣ ، والمثبت من باقي النسخ، وهو موافق لما في زاد المسير ٤/١٨١ وقد نقله ابن الجوزي عن الماوردي.

﴿كَمَا أَنْتَهَا عَلَىٰ أَبْوِيكَ مِنْ قَبْلٍ إِنْزَهْمَ﴾ بالخلة، وإنجاته من النار ﴿وَإِسْحَقَ﴾ بالنبوة. وقيل: إنجائه<sup>(١)</sup> من الذبح؛ قاله عكرمة<sup>(٢)</sup>. وأعلم الله تعالى بقوله: ﴿وَعَلَىٰ مَالٍ يَقْتُلُونَ﴾ الله سيعطيبني يعقوب كلهم النبوة؛ قاله جماعة من المفسرين<sup>(٣)</sup>. ﴿وَإِنَّ رَبَّكَ عَلَيْهِمُ﴾ بما يعطيك ﴿حَكْيَمٌ﴾ في فعله بك.

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَلِخَوَيْهِ مَا يَنْتَ لِلْسَّائِلِينَ ٧ إِذْ قَالُوا لَيُوسُفَ وَأَخْوَهُ أَحَبُّ إِلَيْهِ أَبِيهِ مِنَ وَخْنُ عَصْبَةً إِنَّ أَبَانَا لَقَنِ شَلَلِ مَيْنَ ٨ أَفْتَلُوا يُوسُفَ أَوْ أَطْرَحُوهُ أَزْرَهُ يَخْلُ لَكُمْ وَجْهَ أَيْكُمْ وَتَكُونُوا مِنْ بَعْدِهِ فَوْمًا صَلَاحِينَ ٩﴾

قوله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَلِخَوَيْهِ مَا يَنْتَ لِلْسَّائِلِينَ﴾ يعني: من سأل عن حديثهم. وقرأ أهل مكة: ﴿آيَاتٌ﴾ على التوحيد<sup>(٤)</sup>؛ واختار أبو عبيد: «آيات» على الجمع؛ قال: لأنها خير كثير. قال النحاس<sup>(٥)</sup>: و﴿آية﴾ هنا قراءة حسنة، أي: لقد كان للذين سألوا عن خبر يوسف آية فيما خبروا به؛ لأنهم سألوا النبي ﷺ وهو بمكة فقالوا: أخبرنا عن رجلٍ من الأنبياء كان بالشام أخرج ابنه إلى مصر، فبكى عليه حتى عمي - ولم يكن بمكة أحدٌ من أهل الكتاب، ولا من يعرف خبر الأنبياء؛ وإنما وجَه اليهود إليه<sup>(٦)</sup> من المدينة يسألونه عن هذا - فأنزل الله عز وجل سورة يوسف جملة واحدة؛ فيها كل ما في التوراة من خبر وزيادة. فكان ذلك آية للنبي ﷺ؛ بمنزلة إحياء عيسى ابن مريم عليه السلام الميت.

(١) قوله: إنجائه، من (ظ).

(٢) أخرجه الطبرى ١٦/١٣ . وقد سلف التنبية ٤٠٩/٢ على أن الصحيح هو أن الذبح إسماعيل عليه السلام.

(٣) ينظر معاني القرآن للزجاج ٩٢/٣ ، والنكت والعيون ٨/٣ ، وتفسير البغوي ٤١٠/٢ ، والمحرر الوجيز ٢٢١/٣ .

(٤) هي قراءة ابن كثير المكي والباقيون على الجمع. السبعة ص ٣٤٤ ، والتيسير ص ١٢٧ .

(٥) في إعراب القرآن ٣١٤/٢ ، وما قبله منه، إلا أنه وقع فيه: عبر كبيرة، بدلاً: خير كبيرة.

(٦) في (ز) و(ف) و(م): إليهم، وليس في (د)، والمثبت من (ظ) وإعراب القرآن.

«آية»<sup>(١)</sup>: موعظة. وقيل: عبرة. وروي أنها في بعض المصاحف: «عبرة». وقيل: بصيرة<sup>(٢)</sup>. وقيل: عَجَب؛ تقول: فلان آية في العلم والحسن؛ أي: عَجَب. قال الثعلبي في «تفسيره»: لَمَّا بلغت الرؤيا إخوة يوسف حسدوه؛ قال ابن زيد: كانوا أنبياء، وقالوا: ما يرضى أن يسجد له إخوته حتى يسجد له أبواه! فبغثه بالعداوة. وقد تقدم رد هذا القول<sup>(٣)</sup>.

قال الله تعالى: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي يُوسُفَ وَلِخَوْنِيهِ﴾ وأسماؤهم: روبيل وهو أكبرهم، وشمعون ولاوي ويهاودا وزباليون ويشجر، وأمههم ليان، وهي بنت خال يعقوب، ووليد له من سُرْيَتَيْن أربعة نفر؛ دان وفتالي وجاد وأشر، ثم توفيت ليان فتزوج يعقوب أختها راحيل، فولدت له يوسف وبنiamين، فكان بنو يعقوب اثنى عشر رجلاً<sup>(٤)</sup>.

قال التهيلي<sup>(٥)</sup>: وأم يعقوب اسمها رفقا، وراحيل ماتت في نفاس بنiamين، وليان بن ناهر بن آزر هو خال يعقوب.

وقيل في اسم الأمتين: ليان وتلتا، كانت إحداهما لراحيل، والأخرى لأختها ليان، وكانت قد وهبتهما ليعقوب<sup>(٦)</sup>، وكان يعقوب قد جمع بينهما، ولم يحل لأحد بعده<sup>(٧)</sup>؛ لقول الله تعالى: ﴿وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الْأَخْتَيْنِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [النساء: ٢٣]. وقد تقدم الرد على ما قاله ابن زيد<sup>(٨)</sup>، والحمد لله.

(١) في (م): آيات.

(٢) معاني القرآن للزجاج ٩٢/٣ ، ومعاني القرآن للتحاسن ٣/٣٩٩.

(٣) ص ٢٥٥ من هذا الجزء.

(٤) تفسير البغري ٢/٤١٠ - ٤١١ ، ووقع فيه: أشر، بدلاً: يشجر. وأشير، بدلاً: أشر.

(٥) في التعريف والإعلام ص ٧٩ - ٨٠ .

(٦) التعريف والإعلام ص ٨٢ .

(٧) ينظر تفسير أبي الليث ٢/١٥١ ، وقد ذكر أبو الليث أن يعقوب جمع بين راحيل وأختها ليان، قال: وكان الناس يجمعون بين الأختين إلى أن بعث الله موسى عليه السلام.

(٨) قوله: وقد تقدم الرد...، قد ذكره المصنف قبل، ولا محل له هنا.

قوله تعالى: **﴿إِذْ قَالُوا لَيُوسُف﴾** «يوسف» رفع بالابتداء؛ واللام للتأكيد، وهي التي يُتلقي بها القسم، أي: والله ليُوسُف . **﴿وَأَخْوَهُ﴾** عطف عليه. **﴿لَمَّا إِلَى أَبِينَا يَنِئَهُ﴾** خبره، ولا يشَّنَّ ولا يُجتمع لأنَّه بمعنى الفعل<sup>(١)</sup>؛ وإنَّما قالوا هذا لأنَّ خبر المنام بلغهم فتآمروا في كيده.

**﴿وَنَعْنُ عَصْبَةً﴾** أي: جماعة، و كانوا عشرة. والعصبة ما بين الواحد إلى العشرة، وقيل: إلى الخمسة عشر. وقيل: ما بين الأربعين إلى العشرة. ولا واحد لها من لفظها، كالنَّقْر والرَّهْط<sup>(٢)</sup>.

**﴿إِنَّ أَبَانَا لَنِي ضَلَّلَ مَيِّنِ﴾** لم يريدوا ضلالَ الدين؛ إذ لو أرادوه لكانوا كُفَّاراً، بل أرادوا: لفي ذهاب عن وجه التدبیر، في إيشار اثنين على عشرة مع استواهم في الانتساب إليه. وقيل: لفي خطأ بين بإيشاره يوسف وأخاه علينا<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: **﴿أَقْتَلُوا يُوسُف﴾** في الكلام حذف، أي: قال قائلٌ منهم: **﴿أَقْتَلُوا يُوسُف﴾** ليكون أحسنَ لمادة الأمر. **﴿أَوْ أَطْرَحُوهُ أَرْضًا﴾** أي: في أرض، فأسقط الخافض، وانتصب الأرض؛ وأنشد سيبويه<sup>(٤)</sup> فيما حذف منه «في»: **لَذْنُ بَهَزُ الْكَفَّ يَغْسِلُ مَثْنَةً** فيه كما عَسَلَ الطَّرِيقَ الشَّغَلَبُ<sup>(٥)</sup> قال النحاس<sup>(٦)</sup>: إلا أنَّه في الآية حَسَنٌ كثير؛ لأنَّه يتعدَّى إلى مفعولين؛ أحدهما بحرف، فإذا حذفت الحرف تعدَّى الفعل إليه.

(١) إعراب القرآن للنحاس ٣١٥/٢.

(٢) تفسير البغوي ٤١١/٢.

(٣) تفسير البغوي ٤١١/٢ . قال الألوسي ١٩٠/١٢ : والذي ينبغي أن يعُول عليه أنه عليه السلام إنما أحب أكثر منهم لـرأي فيه من مخايل الخير ما لم يَرَ فيهم ، وزاد ذلك الحب بعد الرويا لتأكيدها تلك الأمارات عنده.

(٤) في الكتاب ٣٦/١ و ٣٦/٢ .

(٥) أي: في الطريق، والبيت لساعدة بن جؤة، وهو في شرح ديوان الهذللين ١١٢٠/٣ ، وسلف ١٧٢/٩ .

(٦) في إعراب القرآن ٣١٥/٢ ، وما قبله منه.

والقائل قيل: هو شمعون؛ قاله وهب بن منبه. وقال كعب الأحبار: دان. وقال مقاتل: روبيل<sup>(١)</sup>. فالله أعلم. والمعنى: أرضاً تبعد عن أبيه. فلا بدًّ من هذا الإضمار؛ لأنَّه كان عند أبيه في أرض<sup>(٢)</sup>.

﴿يُغْتَلُ﴾ جزم؛ لأنَّه جوابُ الأمر؛ معناه: يخلص ويصفو ﴿كُمْ وَجْهَ أَيْكُمْ﴾ فِي قِبْلَةٍ عليكم بكليتهم ﴿وَتَكُوُنُوا مِنْ بَعْدِهِ﴾ أي: من بعد الذنب، وقيل: من بعد يوسف ﴿وَقَوْمًا صَلَّيْهِنَّ﴾ أي: تائين، أي: ثُحِيثُوا توبَةً بعد ذلك فيقبلها الله منكم<sup>(٣)</sup>؛ وفي هذا دليلٌ على أنَّ توبَةَ القاتل مقبولةٌ، لأنَّ الله تعالى لم يُنكر هذا القولَ منهم. وقيل:

«صَالِحِينَ» أي: يصلح شأنكم عند أياكم من غير أثرة ولا تفضيل<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: ﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَالْقُوَّةُ فِي غَيْبَتِ الْجِنِّ يَلْقَطُهُ بَعْضُ آلَّسَيَارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَعَلِمْتُمْ﴾ ١٥  
فيه ثلاث عشرةً مسألةً:

الأولى: قوله تعالى: ﴿قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ﴾ القائلُ هو يهودا ، وهو أكبر ولد يعقوب؛ قاله ابن عباس<sup>(٥)</sup>. وقيل: روبيل، وهو ابن خالته، وهو الذي قال: ﴿فَلَنْ أَبْرَأَ إِلَّا أَرْضَ﴾ الآية [يوسف: ٨٠]. وقيل: شمعون<sup>(٦)</sup>.

﴿وَالْقُوَّةُ فِي غَيْبَتِ الْجِنِّ﴾ قرأ أهل مكة وأهل البصرة وأهل الكوفة: ﴿فِي غَيْبَتِ الْجِنِّ﴾. وقرأ أهل المدينة: ﴿فِي غَيَابَاتِ الْجُبِ﴾<sup>(٧)</sup> واختار أبو عبيد التوحيد؛ لأنَّه

(١) ذكر أقوالهم البغوي ٢/٤١١ .

(٢) ينظر معاني القرآن للزجاج ٣/٩٣ ، وللنحاس ٣/٣٩٩ - ٤٠٠ .

(٣) الوسيط ٢/٦٠١ ، وقد ذكره الواحدى عن ابن عباس.

(٤) النكت والعيون ٣/١١ .

(٥) ذكره ابن الجوزي ٤/١٨٤ من طريق أبي صالح عنه.

(٦) أخرج القولين الأخيرين الطبرى ١٣/٢٠ - ٢١ ؛ الأول عن قتادة وابن إسحاق، والثانى عن مجاهد.

(٧) وهي قراءة نافع وأبي جعفر. السبعة ص ٣٤٥ ، والتيسير ص ١٢٧ ، والنشر ٢/٢٩٣ .

على موضع واحد ألقؤه فيه، وأنكر الجمع لهذا. قال النحاس<sup>(١)</sup>: وهذا تضييق في اللغة، «وغيبات» على الجمع يجوز [من وجهين]: حكى سيبويه: سير عليه عشيانات وأصيلانات، يريد: عشية وأصيلاً، فجعل كلّ وقت منها عشية وأصيلاً<sup>(٢)</sup>. فكذا جعل كلّ موضع مما يغيب غيابة. والآخر: أن يكون في الجبّ غيابات جماعة. ويقال: غاب يغيب<sup>(٣)</sup> عيناً وغياباً؛ كما قال الشاعر:

ألا فالبشا شهرين أو نصف ثالث إلى ذاكما ما<sup>(٤)</sup> غيَّبْشني غيَّبِيَا<sup>(٥)</sup>

قال الheroī<sup>(٦)</sup>: والغَيَّابَةُ شَبَهَ لَجَفَ<sup>(٧)</sup>، أو طاق في البَنَرِ فُرَيْقَ الماءِ، يغيب الشيء عن العين. وقال ابن عزيز<sup>(٨)</sup>: كُلُّ شَيْءٍ غَيَّبَ عَنْكَ شَيْئاً فَهُوَ غَيَّابَةٌ. قلت: ومنه قيل: للقبر: غيابة<sup>(٩)</sup>؛ قال الشاعر:

فَإِنْ أَنَا يَوْمًا غَيَّبْشني غَيَّابَتِي فَسِيرُوا بِسَيِّرِي فِي الْعَشِيرَةِ وَالْأَهْلِ<sup>(١٠)</sup>

والجب: الركبة التي لم تُظْهِرَ، فإذا طُرِيتْ فهي بن<sup>(١١)</sup>؛ قال الأعشى<sup>(١٢)</sup>:

(١) في إعراب القرآن ٢١٥/٢ ، وما قبله وما سرده بين حاصلتين منه.

(٢) الكتاب ٤٨٤/٣ . قال سيبويه: قالوا: عشيانات، كأنهم سموا كلّ جزء منه عشية.

(٣) من قوله: غيابة والآخر...، إلى هذا الموضع من (م) وإعراب القرآن.

(٤) في (م): أنا ذاكما قد، وفي باقي النسخ: إلى ذاكما قد، والمثبت من إعراب القرآن وبباقي المصادر على ما يأتي.

(٥) قائله ابن أحمر، كما في معاني القرآن للأخفش ١/١٨٧ ، والأزمنة والأمكنة للمرزوقي ٢/٣٧٧ وأمالي ابن الشجري ٣/٧٥ ، وهو بلا نسبة في المحتسب ٢/٢٢٧ ، والخزانة ١١/٧١ .

قال المرزقى: أراد بالغياب: الغيابة، لذلك أنت. اهـ أي: أنت الفعل غيتنى.

(٦) في (ظ): المهدوى.

(٧) خفر في جانب البنـرـ. القاموس (لـجـفـ).

(٨) في شرح غريب القرآن ص ٣٤٣ .

(٩) ينظر الوسيط ٢/٦٠٢ - ٦٠١ ، واللسان (غـيـبـ).

(١٠) قائله المنخل بن سعيد العنبرى، كما في مجاز القرآن ١/٣٠٢ ، وزاد المسير ٤/١٨٥ . وهو في معانى القرآن للزجاج ٣/٩٤ برواية: غيتنى منتني.

(١١) تفسير الغريب لابن عزيز ص ١٩٤ . والركبة: البنـرـ. القاموس (ركـوـ). وفي اللسان (طـرـوىـ): طوى الركبة طـيـاـ: عرـشـهاـ بالـحـجـارـةـ وـالـأـجـرـ .

(١٢) في ديوانه ص ١٧٣ .

لَئِنْ كُنْتَ فِي جَبٍ ثَمَانِينَ قَامَةً وَرُقِيتَ أَسْبَابَ السَّمَاءِ بِسُلْمٍ  
وَسُمِّيَتْ جُبًا لِأَنَّهَا قُطِعَتْ فِي الْأَرْضِ قَطْعًا. وَجَمِيعُ الْجَبٍ: جِبَّةٌ وَجِبَابٌ  
وَأَجْبَابٌ<sup>(١)</sup>.

وَجَمِيعُ بَيْنِ الْغَيَابَةِ وَالْجَبٍ؛ لَأَنَّهُ أَرَادَ: أَلْقُوهُ فِي مَوْضِعٍ مَظْلُمٍ مِنَ الْجَبٍ حَتَّى لا  
يَلْحِقَهُ نَظَرُ النَّاظِرِينَ. قِيلَ: هُوَ بَئْرٌ بَيْتُ الْمَقْدِسِ<sup>(٢)</sup>. وَقِيلَ: هُوَ بِالْأَرْدُنَ؛ قَالَهُ وَهْبُ بْنُ  
مُنْبَهٍ. مُقاَتِلٌ: هُوَ عَلَى ثَلَاثَةٍ فَرَاسَخَ مِنْ مَنْزِلِ يَعْقُوبَ<sup>(٣)</sup>.

الثَّالِثَةُ: قَوْلُهُ تَعَالَى: «يَنْتَقِطُهُ بَعْضُ السَّيَارَةِ» جَزَمَ عَلَى جَوَابِ الْأَمْرِ. وَقَرَأَ مُجَاهِدٌ  
وَأَبُو رِجَاءَ وَالْحَسَنَ وَقَتَادَةَ: «تَنْتَقِطُهُ بِالتَّاءِ»<sup>(٤)</sup>. وَهَذَا مَحْمُولٌ عَلَى الْمَعْنَى؛ لَأَنَّ بَعْضَ  
السَّيَارَةِ سَيَارَةٌ، وَحَكَى سَيِّبُوْيَهُ: سَقَطَتْ بَعْضُ أَصَابِعِهِ، وَأَنْشَدَ:  
وَتَشَرَّقَ بِالْقَوْلِ الَّذِي قَدْ أَذْعَثَهُ كَمَا شَرِقَتْ صَدْرُ الْقَنَاءِ مِنَ الدَّمِ<sup>(٥)</sup>  
وَقَالَ آخَرُ:

أَرَى مَرَّ السَّنِينَ أَخْذَنَ مِنِّي كَمَا أَخْذَ السَّرَّارُ مِنَ الْهَلَالِ<sup>(٦)</sup>  
وَلَمْ يَقُلْ: شَرِقَ وَلَا أَخْذَتْ.

وَالسَّيَارَةُ: الْجَمِيعُ الَّذِينَ يَسِيرُونَ فِي الطَّرِيقِ لِلِّسْفَرِ؛ إِنَّمَا قَالَ هَذَا الْقَائِلُ هَذَا

(١) تَهْذِيبُ الْلُّغَةِ ١٠/٥١.

(٢) أَخْرَجَهُ عَبْدُ الرَّزَاقِ ١/٣١٨ ، وَالطَّبَرِيُّ ١٣/٢١ - ٢٢ ، وَذَكَرَهُ الْوَاحِدِيُّ فِي الْوَسِيْطِ ٢/٦٠٢ .

(٣) الْوَسِيْطِ ٢/٦٠٢ .

(٤) الْقِرَاءَاتُ الشَّاذَةُ ٦٢ ، وَإِعْرَابُ الْقُرْآنِ لِلنَّحَاسِ ٢/٣١٦ وَالْكَلَامُ مِنْهُ.

(٥) الْكِتَابُ ١/٥٢ ، وَالْبَيْتُ لِلْأَعْشَى، وَهُوَ فِي دِيْوَانِهِ ١٧٣ . وَقَوْلُهُ: وَتَشَرَّقَ، بِالْفَتْحِ، مَعْطُوفٌ عَلَى مَا قَبْلَهُ.  
يَخَاطِبُ بِهِ يَزِيدُ بْنُ مُسْهُرٍ الشِّيَانِيَّ فَيَقُولُ: يَعُودُ عَلَيْكَ مَكْرُوْهٌ مَا أَذْعَثَ عَيْنِي مِنَ الْقَوْلِ، وَتَسْبِّبَهُ إِلَيَّ مِنَ  
الْقَبِيْعِ، وَالشَّرَقُ بِالْمَاءِ كَالْغَصْصَ بِالْعَطَامِ. وَالشَّاهِدُ فِي تَأْنِيْثِ فَعْلِ الصَّدْرِ وَهُوَ مَذَكُورٌ؛ لَأَنَّ مَضَافَ إِلَيْهِ  
مَؤْنَثٌ. شَرَحُ الشَّوَاهِدِ لِلشَّتَمِرِيِّ صِنْ ٨٠ .

(٦) الْبَيْتُ لِجَرِيرٍ، وَهُوَ فِي دِيْوَانِهِ بِشَرْحِ مُحَمَّدِ بْنِ حَبِيبٍ ٢/٥٤٦ بِرَوَايَةِ رَأَتْ مَرَّ السَّنِينَ. قَالَ شَارِحُ  
الْدِيْوَانِ: أَرَادَ: رَأَتْ السَّنِينَ، وَالسَّرَّارُ لِيَلَّاتَنَ تَبْقِيَانَ مِنَ الشَّهْرِ إِذَا كَانَ تَامًا، وَإِذَا كَانَ نَاقِصًا كَانَ سَرَارَهُ  
لِيَلَّةٍ. اهـ. وَفِي الْلُّسَانِ (سَرَر): اسْتَرَّ الْهَلَالَ فِي آخِرِ الشَّهْرِ: خَفِيَ.

حتى لا يحتاجوا إلى حمله إلى موضع بعيد، ويحصل المقصود؛ فإنَّ من التقطه من السيارة يحمله إلى موضع بعيد، وكان هذا وجهاً في التدبر حتى لا يحتاجوا إلى الحركة بأنفسهم، فربما لا يأذن لهم أبوهم، وربما يطلع على قصدهم.

**الثالثة:** وفي هذا ما يدلُّ على أنَّ إخوة يوسف ما كانوا أنبياء أولاً ولا آخراً<sup>(١)</sup>؛ لأنَّ الأنبياء لا يدبرون في قتل مسلم، بل كانوا مسلمين، فارتکبوا معصية ثم تابوا.

**وقيل:** كانوا أنبياء، ولا يستحيل في العقل زلَّة نبيٍّ، فكانت هذه زلَّة منهم. وهذا يردُّ أنَّ الأنبياء معصومون من الكبائر على ما قدَّمناه<sup>(٢)</sup>. **وقيل:** ما كانوا في ذلك الوقت أنبياء ثم نَبَّاهم الله<sup>(٣)</sup>، وهذا أشبه، والله أعلم.

**الرابعة:** قال ابن وهب: قال مالك: طُرح يوسف في الجُبْ وهو غلام. وكذلك روى ابن القاسم عنه، يعني أنه كان صغيراً، والدليل عليه قوله تعالى: ﴿لَا تَقْتُلُوْبُوسْفَ وَلَا قُوْلُهُ فِي غَيْبَتِ الْجُبْ يَلْتَقِطُهُ بَعْدُ السَّيَارَةِ﴾ قال: ولا يُلْتَقَطُ إلَّا الصَّغِيرُ، وقوله: ﴿وَلَا خَافَ أَنْ يَأْكُلَهُ الْذَّئْبُ﴾ وذلك أمرٌ يختصُ بالصغر<sup>(٤)</sup>، وقولهم: ﴿أَرْسِلْهُمْ مَعْنَا فَكَذَّا يَرْتَعُ وَيَلْمَسْ وَإِنَّا لَمْ لَحْفَظُوْنَ﴾.

**الخامسة: الالتقاط:** تناولُ الشيءِ من الطريق، ومنه اللقيط واللقطة، ونحن نذكر من أحكامها ما دلت عليه الآيةُ والسنةُ، وما قال في ذلك أهلُ العلم واللغة.

قال ابن عرفة: الالتقاط وجود الشيء على غير طلب، ومنه قوله تعالى: ﴿يَلْتَقِطُهُ بَعْدُ السَّيَارَةِ﴾ أي: يجدُه من غير أن يحسبه.

(١) في (ف) و(م): لا أولاً ولا آخراً.

(٢) ٤٦٠ - ٤٥٩ / ٢٥٥ من هذا الجزء.

(٣) ذكره البغوي ٤١٢ / ٢ عن أبي عمرو بن العلاء. قال ابن كثير عند تفسير الآية السابعة من هذه السورة: أعلم أنه لم يقم دليل على نبوة إخوة يوسف... ومن الناس من يزعم أنهم أوحى إليهم بعد ذلك، وفي هذا نظر، ويحتاج مدعي ذلك إلى دليل...الغ وينظر تتمة قوله هناك.

(٤) أحكام القرآن لابن العربي ٣/١٠٦٥ - ١٠٦٦ .

وقد اختلف العلماء في اللقيط؛ فقيل: أصله الحرية؛ لغلبة الأحرار على العبيد. وروي عن الحسن بن علي أنه قضى بأن اللقيط حر، وتلا: «وَشَرِهُ يُشَرِّبُ بَحْرِينَ دَرَهْمَ مَعْدُودَةَ». وإلى هذا ذهب أشهب صاحب مالك، وهو قول عمر بن الخطاب، وكذلك يروى عن علي وجماعة. وقال إبراهيم النخعي: إن نوى رفقه فهو مملوك، وإن نوى الحسبة فهو حر<sup>(١)</sup>.

وقال مالك في «موطنه»<sup>(٢)</sup>: الأمر عندنا في المنبود أنه حر، وأن ولاءه لجماعة المسلمين، هم يرثونه ويعقلون عنه. وبه قال الشافعي؛ واحتج بقوله عليه الصلاة والسلام: «إنما الولاء لمن أعتق»<sup>(٣)</sup> قال: فنفى الولاء عن غير المعтик.

واتفق مالك والشافعي وأصحابهما على أن اللقيط لا يوالى أحداً، ولا يرث أحداً بالولاء. وقال أبو حنيفة وأصحابه وأكثر الكوفيين: اللقيط يوالى من شاء، فمن والاه فهو يرثه ويعقل عنه. وعند أبي حنيفة: له أن يتقل بولاته حيث شاء، ما لم يعقل عنه الذي والاه، فإن عقل عنه جنائية، لم يكن له أن يتقل عنه بولاته أبداً<sup>(٤)</sup>.

وذكر أبو بكر بن أبي شيبة<sup>(٥)</sup> عن علي عليه السلام: المنبود حر، فإن أحبت أن يوالى الذي التقطه والاه، وإن أحبت أن يوالى غيره والاه. ونحوه عن عطاء<sup>(٦)</sup>، وهو قول ابن شهاب وطائفه من أهل المدينة<sup>(٧)</sup>، وهو حر.

قال ابن العربي<sup>(٨)</sup>: إنما كان أصل اللقيط الحرية؛ لغلبة الأحرار على العبيد،

(١) أحكام القرآن لابن العربي ١٠٦٦/٣ عدا قول أشهب، وذكر قوله ابن عبد البر في الاستذكار ١٥٦/٢٢ ، وقول عمر أخرجه مالك في الموطأ ٧٣٨/٢ ، وقول علي سيرد قريباً.

(٢) ٧٣٨/٢ .

(٣) الاستذكار ١٥٨/٢٢ ، والحديث سلف ٢٤٧/٨ .

(٤) الاستذكار ١٥٨/٢٢ .

(٥) في مصنفه ٤٠٦/١١ .

(٦) المصنف ٤٠٧/١١ .

(٧) الاستذكار ١٥٩/٢٢ .

(٨) في أحكام القرآن ١٠٦٧/٣ - ١٠٦٨ .

فيقضى<sup>(١)</sup> بالغالب، كما حُكم أنه مسلم أخذًا بالغالب؛ فإن كان في قرية فيها نصارى ومسلمون؛ قال ابن القاسم: يُحکم بالأغلب، فإن وُجد عليه زِيُّ اليهود فهو يهوديٌّ، وإن وُجد عليه زِيُّ النصارى فهو نصرانيٌّ. وإنَّ فهو مسلم، إلَّا أنْ يكون أكثرًا أهل القرية على غير الإسلام<sup>(٢)</sup>. وقال غيره: لو لم يكن فيها إلَّا مسلمٌ واحدٌ فُضي للقيط بالإسلام، تغليبًا لحكم الإسلام الذي يعلو ولا يُعلَى عليه<sup>(٣)</sup>، وهو مقتضى قول أشهب؛ قال أشهب: هو مسلم أبدًا؛ لأنَّي أجعله مسلماً على كلِّ حال، كما أجعله حرًّا على كلِّ حال<sup>(٤)</sup>.

واختلف الفقهاء في المنبوذ تشهد البينة أَنَّه عبد؛ فقالت طائفة من أهل المدينة: لا يُقبل قولها في ذلك. وإلى هذا ذهب أشهب؛ لقول عمر: هو حرٌّ. ومن قضى بحرّيته<sup>(٥)</sup> لم يُقبل البينة في أنه عبد. وقال ابن القاسم: تُقبل البينة في ذلك. وهو قول الشافعى والковفى<sup>(٦)</sup>.

ال السادسة: قال مالك في القيط: إذا أنفق عليه الملقيط، ثم أقام رجلُ البينة أَنَّه ابنه، فإنَّ الملقيط يرجع على الأب إن كان طَرَحَه متعمدًا، وإن لم يكن طَرَحَه ولكنه ضلَّ منه فلا شيء على الأب، والملقيط متطوع بالنفقة. وقال أبو حنيفة: إذا أنفق على القيط فهو متطوع، إلَّا أن يأمره الحاكم. وقال الأوزاعي: كلُّ من أنفق على من لا تجب [له] عليه نفقة؛ رجع بما أنفق<sup>(٧)</sup>.

وقال الشافعى: إن لم يكن للقيط مالٌ وجبت نفقتُه في بيت المال، فإن لم يكن

(١) في النسخ: فقضى والثبت من أحكام القرآن.

(٢) الاستذكار ٢٢/١٥٧.

(٣) أحكام القرآن لابن العربي ٣/٦٨٠.

(٤) الاستذكار ٢٢/١٥٧.

(٥) في المطبوع من الاستذكار ٢٢/١٥٦ (والكلام منه): ومن قضى بحديثه.

(٦) في الاستذكار: والkovfien.

(٧) التمهيد ٣/١٢٩ - ١٢٨، وما سلف بين حاصلتين منه.

ففيه قولان: أحدهما: يُستقرض له في ذمته. والثاني: يقتَسِط على المسلمين من غير عوض<sup>(١)</sup>.

السابعة: وأما اللقطة والضوائ فقد اختلف العلماء في حكمهما؛ فقالت طائفة من أهل العلم: اللقطة والضوائ سواه في المعنى، والحكم فيما سواه. وإلى هذا ذهب أبو جعفر الطحاوي<sup>٢</sup>، وأنكر قول أبي عبيد القاسم بن سلام - إن الضالة لا تكون إلا في الحيوان، واللقطة في غير الحيوان - وقال: هذا غلط؛ واحتاج بقوله في حديث الإفك للMuslimين: «إن أمّكم ضلّت قلادتها» فأطلق ذلك على القلادة<sup>(٣)</sup>.

الثامنة: أجمع العلماء على أن اللقطة ما لم تكن تافهاً يسيراً، أو شيئاً لا بقاء له<sup>(٤)</sup>، فإنّها تُعرَف حولاً كاماً. وأجمعوا أن صاحبها إن جاء فهو أحق بها من ملقيتها إذا ثبت له أنه صاحبها. وأجمعوا أن ملقيتها إن أكلها بعد الحول وأراد صاحبها أن يضمّنه فإن ذلك له، وإن تصدق بها فصاحبها مخير بين التضمين، وبين أن ينزل على أجرها، فائي ذلك تخيير كان ذلك له بإجماع؛ ولا تنطلق يد ملقيتها عليها بصدقة، ولا تُصرَف قبل الحول. وأجمعوا أن [آخذ] ضالة الغنم [في الموضع] المخوف عليها له أكلها.

الناسعة: واختلف الفقهاء في الأفضل من ترتكها أو أخذها؛ فمن ذلك أن في الحديث دليلاً على إباحة التقاط اللقطة وأخذ الضالة ما لم تكن إيلاً. وقال في الشاة: «لك أو لأخيك أو للذئب» يحصي على أخذها، ولم يقل في شيء: دعوه حتى يتبع

(١) التبيه للشيرازي من ١٣٤ .

(٢) التمهيد ١١١/٣ - ١١٢ ، والاستذكار ٣٣٣/٢٢ - ٣٣٤ ، وقول الطحاوي في شرح معاني الآثار ١٣٩/٤ ، والحديث بهذا اللفظ أخرجه الطحاوي في شرح معاني الآثار ١١١/١ . وحديث الإفك أخرجه مطرولاً البخاري (٢٦٦١) ، ومسلم (٢٧٧٠) دون اللفظ المذكور، وينظر ما ورد من أحاديث في قصة إضاعة عائشة رضي الله عنها قلادتها فيما سلف ٦/٣٥٤ - ٣٥٧ .

(٣) في النسخ: لها، والمثبت من التمهيد ١٠٧/٣ ، والاستذكار ٣٢٩/٢٢ ، والكلام وما سيرد بين حاضرتين منها.

أو يائيه رئٰه. ولو كان ترك اللقطة أفضل لأمر به رسول الله ﷺ كما قال في ضالة الإبل، والله أعلم<sup>(١)</sup>.

وجملة مذهب أصحاب مالك أنه في سعة؛ إن شاء أخذها، وإن شاء تركها؛ هذا قول إسماعيل بن إسحاق رحمه الله.

وقال المزني عن الشافعى: لا أحب لأحد ترك لقطة إن وجدها؛ إذا كان أميناً عليها، قال: وسواء قليل اللقطة وكثيرها<sup>(٢)</sup>.

العاشرة: روى الأئمة؛ مالك وغيره عن زيد بن خالد الجهنى قال: جاء رجل إلى النبي ﷺ، فسألته عن اللقطة، فقال: «أعرف عفاصها ووکاءها، ثم عرفها سنة، فإن جاء صاحبها، ولا فشانك بها». قال: فضالة الغنم يا رسول الله؟ قال: «لك أو لأنريك أو للذئب». قال: فضالة الإبل؟ قال: «مالك ولها؟! معها سقاوها وحذاها، تردد الماء وتأكل الشجر حتى يلقها رئاها»<sup>(٣)</sup>.

وفي حديث أبي قال: «احفظ عددها ووعاءها ووکاءها، فإن جاء صاحبها، وإن فاستمتع بها». ففي هذا الحديث زيادة العدد؛ خرجه مسلم وغيره<sup>(٤)</sup>.

وأجمع العلماء أن عفاص اللقطة ووکاءها من إحدى علاماتها وأذتها عليها<sup>(٥)</sup>، فإذا أتى صاحب اللقطة بجميع أوصافها دفعت له؛ قال ابن القاسم: يُجبر على دفعها، فإن جاء مستحق يستحقها ببينة أنها كانت له، لم يضمن الملقط شيئاً<sup>(٦)</sup>. وهل

(١) التمهيد ١٠٨/٣ ، وسيأتي حديث ضالة الإبل وضالة الغنم في المسألة التالية.

(٢) التمهيد ١٠٩/٣ و ١١٠ .

(٣) الموطأ ٧٥٧/٢ ، ومن طريق مالك أخرجه البخاري (٢٤٢٩)، ومسلم (١٧٢٢): (١)، وأخرجه بنحروه من غير طريق مالك أحمد (١٧٠٥٠). والعفاص: الرعاء الذي تكون فيه النفقة، من جلد أو خرق أو غير ذلك. والوکاء: الخيط الذي تشد به الصرة والکيس. النهاية (عفص) (وکا).

(٤) صحيح مسلم (١٧٢٣)، وهو عند أحمد (٢١١٦٦).

(٥) التمهيد ١٠٧/٣ .

(٦) التمهيد ١٢٠/٣ ، والاستذكار ٣٣٩/٢٢ .

يُحَلِّفُ مَعَ الْأَوْصَافِ أَوْ لَا؟ قولان: الْأَوَّلُ لأشهَبِ، والثاني لابن القاسم. ولا تلزمه بِيَنَّةٍ عَنْ مَالِكٍ وَأَصْحَابِهِ وَأَحْمَدَ بْنَ حَنْبَلَ وَغَيْرِهِمْ<sup>(١)</sup>.

وقال أبو حنيفة والشافعي: لا تُدفع له إلَّا إذا أقام بِيَنَّةً أنها له. وهو بخلاف نص الحديث، ولو كانت البِيَنَةُ شرطاً في الدفع لِمَا كَانَ لِذِكْرِ الْعِفَاصِ وَالْوِكَاءِ وَالْعَدْدِ معنَى؛ فإنه يستحقُها بالبيَنَةِ على كُلِّ حَالٍ، وَلَمَّا جَازَ سَكُوتُ النَّبِيِّ ﷺ عَنْ ذَلِكَ، فَإِنَّهُ تأخيرُ البِيَانِ عَنْ وَقْتِ الْحَاجَةِ<sup>(٢)</sup>. والله أعلم.

الحادية عشرة: نَصَّ الحديث على الإبل والغنم وبين حكمهما، وسكت عَمَّا عداهما من الحيوان. وقد اختلف علماؤنا في البقر؛ هل تُلْحَقُ بالإبل أو بالغنم؟ قولان. وكذلك اختلف أئمتنا في التقاط الخيل والبغال والحمير، وظاهر قول ابن القاسم أنها تلتقط، وقال أشهب وابن كنانة: لا تلتقط<sup>(٣)</sup>. وقول ابن القاسم أَصْحَّ؛ لقوله عليه الصلاة والسلام: «احفظ على أخيك المؤمن ضالته»<sup>(٤)</sup>.

الثانية عشرة: واختلف العلماء في النفقه على الضَّوَالِ؛ فقال مالك فيما ذكر عنه ابن القاسم: إنْ أَنْفَقَ الْمُلْتَقَطُ عَلَى الدَّوَابِ وَالْإِبْلِ وَغَيْرِهَا فَلَهُ أَنْ يَرْجِعَ عَلَى صَاحِبِهَا بِالنَّفْقَةِ، وَسَوَاءً أَنْفَقَ عَلَيْهَا بِأَمْرِ السُّلْطَانِ أَوْ بِغَيْرِ أَمْرِهِ، قَالَ: وَلَهُ أَنْ يَحْبَسَ بِالنَّفْقَةِ مَا أَنْفَقَ عَلَيْهِ، وَيَكُونُ أَحَقُّ بِهِ كَالرَّهْنِ. وقال الشافعي: إذا أَنْفَقَ عَلَى الضَّوَالِ مَنْ أَخْذَهَا فَهُوَ مَتَطَوْعٌ؛ حَكَاهُ عَنْهُ الرَّبِيع. وقال المُزْنِي عَنْهُ: إذا أَمْرَهَا الْحَاكِمُ بِالنَّفْقَةِ كَانَتْ دِينَاهَا، وَمَا أَدْعَى قُبْلَ مِنْهُ إِذَا كَانَ مِثْلُهُ قَضِيَّاً. وقال أبو حنيفة: إذا أَنْفَقَ عَلَى الْلُّقْطَةِ وَالْأَبْقِ<sup>(٥)</sup>

(١) المفهم ١٨٣/٥ .

(٢) المصدر السابق.

(٣) المفهم ١٩٠/٥ .

(٤) قطعة من حديث أخرجه الطحاوي في شرح معاني الآثار ٤/١٣٥ - ١٣٦ ، والبيهقي ٤/١٥٣ .  
برواية: احبس، يدل: احفظ. قال الطحاوي: ففي هذا الحديث إباحة أخذ الضَّوَالِ التي قد يُخافُ عليها الغياع، وحبسها له (أي لصاحبه).

(٥) في (د) و(م): بالإبل، وفي (ز) و(ظ) و(ف): والابن، والمثبت من مختصر اختلاف العلماء للجصاص ٤/٣٤٩ ، والتمهيد ٣/١٢٩ والكلام منه، وما سيرد بين حاصلتين منها.

بغير أمر القاضي فهو متطوع، وإن أنفق بأمر القاضي فذلك دين على صاحبها إذا جاء، وله أن يجسها [بالنفقة] إذا حضر صاحبها، والنفقة عليها ثلاثة أيام ونحوها، حتى يأمر القاضي ببيع الشاة وما أشبهها ويقضى بالنفقة.

**الثالثة عشرة:** ليس في قوله ﴿فِي الْلَّقْطَةِ بَعْدَ التَّعْرِيفِ﴾: «فَاسْتَمْتَعْ بِهَا»<sup>(١)</sup> أو: «فَشَانَكَ بِهَا»<sup>(٢)</sup> أو: «فَهِيَ لَكَ»<sup>(٣)</sup> أو: «فَاسْتَنْفَقْهَا»<sup>(٤)</sup> أو: «ثُمَّ كُلْهَا»<sup>(٥)</sup> أو: «فَهُوَ مَا نَهَى اللَّهُ عَنِ الْيُوتِيهِ مَنْ يَشَاءُ»<sup>(٦)</sup> على ما في «صحيح» مسلم وغيره، ما يدلُّ على التمليل وسقوط الضمان عن الملتقط إذا جاء ربيها، فإنَّ في حديث زيد بن خالد الجهنمي عن النبي ﷺ: «فَإِنْ لَمْ تَعْرِفْهَا فَاسْتَنْفَقْهَا وَلَا تُكْنِنْ وَدِيَّعَةَ عَنْدَكَ، فَإِنْ جَاءَ صَاحِبُهَا يَوْمًا مِّنَ الدَّهْرِ فَأَدْهَمَ إِلَيْهِ»<sup>(٧)</sup> في رواية: «ثُمَّ كُلْهَا، فَإِنْ جَاءَ صَاحِبُهَا فَأَدْهَمَ إِلَيْهِ» خرجه البخاري<sup>(٨)</sup> ومسلم<sup>(٩)</sup>.

وأجمع العلماء على أنَّ صاحبها متى جاء فهو أحقُّ بها، إلَّا ما ذهب إلى داود من أنَّ الملتقط يملك اللقطة بعد التعريف؛ لتلك الظواهر. ولا التفات لقوله؛ لمخالفته<sup>(٩)</sup> الناس، ولقوله عليه الصلاة والسلام: «فَأَدْهَمَ إِلَيْهِ»<sup>(١٠)</sup>.

(١) سلف في المسألة العاشرة من حديث أبي هاشم.

(٢) سلف في المسألة العاشرة من حديث زيد بن خالد الجهنمي.

(٣) أخرج هذه الرواية أحمد (١٧٠٣٧)، ومسلم (١٧٢٢٢) (٦).

(٤) أخرجها أحمد (١٧٠٦٠)، والبخاري (٢٤٢٧)، ومسلم (١٧٢٢) (٣) (٥).

(٥) أخرجها أحمد (٢١٦٨٦)، ومسلم (١٧٢٢) (٧)، وجميع هذه الروايات من حديث زيد بن خالد الجهنمي.

(٦) أخرجه أحمد (١٧٤٨١)، وأبو داود (١٧٠٩)، والنسائي في الكبرى (٥٧٧٦)، وابن ماجه (٢٥٠٥) من حديث عياض بن حمار.

(٧) أخرجه بهذا اللفظ مسلم (١٧٢٢) (٥)، ويشحونه البخاري (٢٤٢٨).

(٨) صحيح البخاري (٩١)، وصحيح مسلم (١٧٢٢) (٧)، وهو عند أحمد (٢١٦٨٦) وقد سلف تخرجه في بداية هذه المسألة، ووقع عند البخاري: استمتع بها، بدل: ثُمَّ كُلْهَا.

(٩) في (ظ): لمخالفته.

(١٠) المفہوم ١٨٧ / ٥ - ١٨٨ .

قوله تعالى: «**قَالُوا يَكْلَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ وَلَنَا لَهُ لَتَصْحُونَ** ١١  
**أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدَّا يَرْتَعِنَّ وَيَلْعَبْ وَلَنَا لَهُ لَحَفْظُونَ** ١٢

قوله تعالى: «**قَالُوا يَكْلَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ**» قيل للحسن: أي حسُد المؤمن؟  
 قال: ما أنساكَ ببني يعقوب<sup>(١)</sup>! ولهذا قيل: الأب جلاب، والأخ سلاب<sup>(٢)</sup>.

فبعد ذلك أجمعوا على التفريق بينه وبين ولده بضربي من الاحتيال، وقالوا  
 بيعقوب: «**يَكْلَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ**». وقيل: لما تفاوضوا وافترقوا على رأي  
 المتكلّم الثاني، عادوا إلى يعقوب عليه السلام وقالوا هذا القول. وفيه دليل على أنهم  
 سألوه قبل ذلك أن يخرج معهم يوسف فأبى، على ما يأتي.

قرأ يزيد بن القعّاع وعمرو بن عبيد والزهري: «لا تأمنا» بالإدغام وبغير إشمام،  
 وهو القياس؛ لأنّ سبيل ما يدعّم أن يكون ساكناً.

وقرأ طلحة بن مصرف: «لا تأمننا» بتوين ظاهرتين على الأصل.  
 وقرأ يحيى بن ثابت وأبو رزين - وروي عن الأعمش -: «لا تيمّنا» بكسر التاء،  
 وهي لغة تميم؛ يقولون: أنت تضرب؛ وقد تقدّم<sup>(٣)</sup>.

وقرأ سائر الناس بالإدغام والإشمام، ليدلّ على حال الحرف قبل إدغامه<sup>(٤)</sup>.  
 «**وَلَنَا لَهُ لَتَصْحُونَ**» أي: في حفظه وحيطته حتى تردد إليك<sup>(٥)</sup>. قال مقاتل: في  
 الكلام تقديم وتأخير، وذلك أنّ إخوة يوسف قالوا لأبيهم: «**أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدَّا**» الآية،  
 فحينئذ قال أبوهم: «**إِنِّي لَيَحْرُثُنِي أَنْ تَدْهِبُوا بِهِ**» فقالوا حينئذ جواباً لقوله: «**مَا لَكَ**

(١) أخرجه هناد في الزهد (١٣٩٤)، وابن حبان في روضة العلاء ص ١٣٦.

(٢) عرائس المجالس ص ١١٤.

(٣) ٢٢٦/٩ و ٢٩٧/٩.

(٤) إعراب القرآن للتحاسن ٣١٦/٢ ، ومعاني القرآن للزجاج ٩٤/٣ ، ومعاني القرآن للفراء ٣٨/٢ ،  
 وختصر شواذ القرآن ص ٦٢ ، والمحرر الوجيز ٢٢٣/٣.

(٥) تفسير الطبرى ٢٤/١٣.

لَا تَأْمَنَّا عَلَى يُوسُفَ» الآية «أَرْسِلْهُ مَنَّا عَدَّا» إلى الصحراء<sup>(١)</sup> «يَرْتَعُ وَيَلْعَبُ». «غَدَّاً» ظرف، والأصل عند سيبويه: غَدُّ، وقد نُطِقَ به على الأصل<sup>(٢)</sup>؛ قال النضر بن شميل: ما بين الفجر وصلاة الصبح يقال له: غَدُّة، وكذا بُكْرَة<sup>(٣)</sup>.

«نَرْتَعُ وَنَلْعَبُ» بالنون وإسكان العين قراءة أهل البصرة، والمعروف من قراءة أهل مكة: «نَرْتَعِ» بالنون وكسر العين، وقراءة أهل الكوفة: «يَرْتَعُ وَيَلْعَبُ» بالياء وإسكان العين. وقراءة أهل المدينة بالياء وكسر العين<sup>(٤)</sup>. القراءة الأولى من قول العرب: رَئَعَ الإنسانُ والبعير: إذا أَكَلَا كيف شاءَا، والمعنى: نتسع في الخصب؛ وكلُّ مُخْصِب راتع<sup>(٥)</sup>؛ قال:

فاراغني فزيارة لا هنائِي المَرْتَعُ<sup>(٦)</sup>

وقال آخر:

رَئَعُ مَا غَفَلْتُ حَتَّى إِذَا أَدْكَرْتُ فَإِنَّمَا هِيَ إِقْبَالٌ وَإِدْبَارٌ<sup>(٧)</sup>  
وقال آخر:

أَكْفَرَا بَعْدَ رَدِّ الْمَوْتِ عَنِّي وَيُعَدُّ عَطَائِكَ الْمِئَةَ الرَّتَاعَا<sup>(٨)</sup>  
أي: الراتعة لكتمة المزغى. وروى مَغْمُر عن قَتَادَة: «ترتع»: تسعن؛ قال النحاس: أخذه من قوله: «إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَقِنُ» لأنَّ المعنى: نستبقُ في العَدُوِّ إلى غَايَةِ

(١) زاد المسير ٤/١٨٦ - ١٨٧.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٢/٣١٧.

(٣) المحرر الوجيز ٣/٢٢٣ ، وإعراب القرآن للنحاس ٢/٣١٧.

(٤) تفسير الطبرى ١٣/٢٤ - ٢٥ ، والتيسير ص ١٢٨ ، والسبعة ص ٣٤٥ - ٣٤٦.

(٥) معانى القرآن للزجاج ٣/٩٥ ، والنكت والعيون ٣/١٢ - ١٣.

(٦) عجز بيت للفرزدق، وصدره: ومضت لسلمة الركاب موعداً، وهو في ديوانه ٤٠٨/١.

(٧) البيت للخنساء في ديوانها ص ٤٨ ، وسلف ٣/٥٤.

(٨) البيت للقطامي في ديوانه ص ٣٧ ، وسلف ٥/١٠٥.

بعينها؛ وكذا: «يرتع» بإسكان العين، إلا أنه ليوسف وحده ﴿٣﴾. و«يرتع» بكسر العين من رعي الغنم، أي: ليتدرّب بذلك ويترجّل؛ فمرة يرتع، ومرة يلعب لصغرٍه. وقال القبيسي: «نَرْتَعُ نَتَحَارِسُ وَنَتَحَافِظُ»، ويَرْعَى بعضاً؛ من قولك: رعاك الله؛ أي: حفظك. «ونلعب» من اللعب، وقيل لأبي عمرو بن العلاء: كيف قالوا: «ونلعب» وهم أنبياء؟ فقال: لم يكونوا يومئذَ أنبياء<sup>(١)</sup>. وقيل: المراد باللعب المباح من الانبساط، لا اللعب المحظور الذي هو ضدُ الحقّ؛ ولذلك لم ينكِر يعقوب قولهم: «ونلعب»<sup>(٢)</sup>. ومنه قوله عليه الصلاة والسلام: «فَهَلَا بِكُمْ رَأْيًا تُلَاعِبُهَا وَتُلَاعِبُكَ»<sup>(٣)</sup>. وقرأ مجاهد وقتادة: «يُرْتَعُ»<sup>(٤)</sup>، على معنى يُرْتع مطيته، فحذف المفعول، «وَيَلْعَبُ» بالرفع على الاستثناء؛ والمعنى: هو ممن يلعب.

**﴿وَإِنَّا لَمُ لَحَظِفُونَ﴾** من كلّ ما تخافُ عليه. ثم يحتملُ أنَّهم كانوا يخرجون ركاباً، ويحتملُ أنَّهم كانوا رجالاً. وقد نُقلَ أنَّهم حملوا يوسفَ على أكتافِهم ما دام يعقوبُ يراهم، ثم لَمَّا غابوا عن عينه طرحوه؛ ليغدو معهم إضراراً به<sup>(٥)</sup>.

قوله تعالى: **﴿قَالَ إِنِّي لَيَخْرُقُ أَنْ تَدْهَبُوا بِيٰهِ وَأَخَافُ أَنْ يَأْكُلَهُ الْذَّئْبُ وَأَنْتُمْ عَنْهُ عَنِيفُونَ ﴾** قاتلوا لِيَنْ أَكَلَهُ الذَّئْبُ وَنَحْنُ عَصَبَةُ إِنَّا إِذَا لَخَسِرُونَ

قوله تعالى: **﴿قَالَ إِنِّي لَيَخْرُقُ أَنْ تَدْهَبُوا بِيٰهِ﴾** في موضع رفع؛ أي: ذهابكم

(١) تفسير الطبرى ٢٥/١٣ ، والمحرر الوجيز ٣/٢٤ .

(٢) النكت والعيون ٣/١٢ - ١٣ ، وزاد المسير ٤/١٨٨ .

(٣) أخرجه أحمد (١٤٣٠٦) والبخاري (٢٣٠٩) ، ومسلم (٧١٥) .

(٤) نسبها ابن جني في المحتسب ١/٣٣٣ ، وابن عطية في المحرر الوجيز ٣/٢٤ ، وأبو حيان في البحر المعحيط ٥/٢٨٥ لأبي رجاء، وذكر ابن عطية وأبو حيان أنَّ قرابة مجاهد وقتادة ثرّت بضم التون وكسر التاء، ونسبها ابن الجوزي في زاد المسير ٤/١٨٧ لأنس وأبي رجاء.

(٥) تفسير البغوي ٢/٤١٣ - ٤١٤ .

بـ<sup>(١)</sup>). أخبر عن حزنه لغيبته. **﴿وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الْذِئْبُ﴾** وذلك أنه رأى في منامه أن الذئب شد على يوسف، فلذلك خافه عليه؛ قاله الكلبي.

وقيل: إنه رأى في منامه كأنه على ذروة جبل، وكان يوسف في بطن الوادي، فإذا عشرة من الذئاب قد احتوشته تربيد أكله، فدرأ عنه واحد، ثم انشقت الأرض، فتوارى يوسف فيها ثلاثة أيام، فكانت العشرة إخواته، لما تمازووا على قتله، والذي دافع عنه أخيه الأكبر يهودا، وتواريه في الأرض هو مقامه في الجب ثلاثة أيام.

وقيل: إنما قال ذلك؛ لخوفه منهم عليه، وأنه أرادهم بالذئب، فخوفه إنما كان من قتليهم له، فكتّن عنهم بالذئب مساترة لهم، قال ابن عباس: فسمّاهم ذاتباً. وقيل: ما خافهم عليه، ولو خافهم لما أرسله معهم، وإنما خاف الذئب؛ لأنه أغلى ما يُخاف في الصحراء<sup>(٢)</sup>.

والذئب مأخوذه من تذابت الريح: إذا جاءت من كل وجه؛ كذا قال أحمد بن يحيى؛ قال: والذئب مهموز؛ لأنّه يجيء من كل وجه.

وروى ورش عن نافع: «الذئب» بغير همز؛ لما كانت الهمزة ساكنة وقبلها كسرة فخففها؛ صارت ياء<sup>(٣)</sup>.

**﴿وَأَنْتَمْ عَنْهُ عَنْقُلُونَ﴾** أي: مشتغلون بالرعى.

قوله تعالى: **﴿قَالُوا لَيْنَ أَكَلَهُ الْذِئْبُ وَتَحْنُ عَصْبَةُ﴾** أي: جماعة نرى الذئب ثم لا نرده عنه<sup>(٤)</sup> **﴿إِنَّا إِذَا لَخَسِرُونَ﴾** أي: في حفظنا أغنامنا. أي: إذا كنا لا نقدر على دفع الذئب عن أخيينا، فنحن أعجز أن ندفعه عن أغنامنا. وقيل: «الخاسرون»:

(١) إعراب القرآن للنحاس ٣١٧ / ٣١٨ .

(٢) النكت والعيون ١٣ / ٣ ، والمحرر الوجيز ٢٢٤ / ٣ ، وزاد المسير ١٨٨ / ٤ - ١٨٩ ، وعرائس المجالس ص ١١٤ .

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٣١٨ / ٢ ، وقرأ: الذئب، بغير همز أيضاً أبو عمرو في رواية السوسي، والكسائي ووقفاً حمزة. السبعة ص ٣٤٦ ، والتيسير ص ١٢٨ .

(٤) الوسيط ٦٠٢ / ٢ ، وزاد المسير ١٨٨ / ٤ .

لجالهون بحَقِّهِ. وقيل: لعاجزون<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا إِلَيْهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ فِي غَيْبَتِ الْجَنَّةِ وَأَرْجَحَنَا إِلَيْهِ لَتَذَبَّثُنَّهُمْ يَأْمُرُهُمْ هَذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾<sup>(٢)</sup>

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا إِلَيْهِ وَأَجْمَعُوا أَنْ يَجْعَلُوهُ﴾ «أن» في موضع نصب<sup>(٢)</sup>، أي: على أن يجعلوه في غيابة الجب.

قيل في القصة: إنَّ يعقوب عليه السلام لَمَّا أَرْسَلَهُ مَعَهُمْ أَخَذَ عَلَيْهِمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا لِيحفظُهُ، وَسَلَّمَهُ إِلَى روبيل وقال: يا روبيل، إِنَّهُ صَغِيرٌ، وَتَعْلَمُ يَا بْنَى شَفَقْتِي عَلَيْهِ؛ فَإِنْ جَاءَ فَأَطْعِمْهُ، وَإِنْ عَطَشَ فَاسْقِهِ، وَإِنْ أَعْيَا فَاخْمِلْهُ، ثُمَّ عَجَّلَ بِرَدَّهِ إِلَيَّ<sup>(٣)</sup>. قال: فَأَخْدُوا يَحْمِلُونَهُ عَلَى أَكْنَافِهِمْ، لَا يَضُعُهُ وَاحِدٌ إِلَّا رَفَعَهُ آخَرٌ، وَيَعْقُوبُ يُشَيْعُهُمْ مِيلًا ثُمَّ رَجَعَ، فَلَمَّا انْقَطَعَ بَصَرُ أَبِيهِمْ عَنْهُمْ، رَمَاهُ الَّذِي كَانَ يَحْمِلُهُ إِلَى الْأَرْضِ حَتَّى كَادَ يَنْكُسِرُ، فَالْتَّجَأَ إِلَى آخَرٍ، فَوُجِدَ عِنْدَ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهُمْ أَشَدَّ مَمَّا عَنِ الدَّارِ مِنَ الغَيْظِ وَالْعَسْفِ، فَاسْتَغَاثَ بِروبيل وقال: أَنْتَ أَكْبَرُ إِخْوَتِي، وَالخَلِيفَةُ مِنْ بَعْدِ وَالَّذِي عَلَيَّ، وَأَقْرَبُ الْإِخْوَةِ إِلَيَّ، فَارْحَمْنِي وَارْحَمْ ضَعْفِي، فَلَطَمَهُ لَطْمَةً شَدِيدَةً وقال: لَا قَرَابَةَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ، فَادْعُ الْأَحَدَ عَشَرَ كَوْكِبًا فَلَتَنْجُوكَ مَنَا؛ فَعَلِمَ أَنَّ حَدَّهُمْ مِنْ أَجْلِ رُؤْيَاهِ، فَتَعْلَقَ بِأَخِيهِ يَهُوذَا، وَقَالَ: يَا أَخِي، ارْحَمْ ضَعْفِي وَعَجْزِي وَحَدَّاثَةَ سَنِّي، وَارْحَمْ قَلْبَ أَبِيكَ يَعْقُوبَ، فَمَا أَسْرَعَ مَا تَنَاسِيْتُمْ وَصَيْتَهُ، وَنَقْضَتُمْ عَهْدَهُ؛ فَرَقَّ قَلْبُ يَهُوذَا فَقَالَ: وَاللَّهِ لَا يَصِلُونَ إِلَيْكَ أَبْدًا مَا دَمْتُ حَيًّا، ثُمَّ قَالَ: يَا إِخْوَتَاهُ، إِنَّ قَتْلَ النَّفْسِ الَّتِي حَرَمَ اللَّهُ مِنْ أَعْظَمِ الْخَطَايَا، فَرَدُّوا هَذَا الصَّبَيَّ إِلَى أَبِيهِ، وَنُعَاهِدُهُ لَا يُحَدِّثُ وَالَّذِي بِشَيْءٍ مَا جَرَى أَبْدًا، فَقَالَ لَهُ إِخْوَتُهُ: وَاللَّهِ مَا تَرِيدُ إِلَّا أَنْ تَكُونَ لَكَ الْمَكَانُهُ عَنْدَ يَعْقُوبَ، وَاللَّهِ لَئِنْ لَمْ تَدْعُهُ لَنْقْتَلَنَّكَ مَعَهُ، قَالَ: فَإِنَّ أَبِيتُمْ إِلَّا ذَلِكَ فَهَا هَذَا

(١) ينظر تفسير الطبرى ٢٩/١٣ ، وتفسير الكشاف ٣٠٦/٢ ، وتفسير الرازى ١٨/٩٨ .

(٢) تفسير الكشاف ٣٠٦/٢ .

(٣) ينظر عرائس المجالس ص ١١٥ .

الجُبُّ الموحشُ القفر، الذي هو مأوى الحيات والهوا، فاللُّقُوهُ فيه، فإنْ أُصِيبَ بشيءٍ من ذلك فهو المرادُ، وقد استرحتم من دمه، وإنْ انقلَتْ على أيدي سيارة يذهبون به إلى أرضٍ فهو المرادُ؛ فأجمع رأيُهم على ذلك<sup>(١)</sup>، فهو قولُ الله تعالى: ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَاجْمَعُوا أَنْ يَمْكُلُوهُ فِي غَيْبَتِ الْجُبِّ﴾ وجوابُ «لَمَا» محذوفٌ؛ أي: فلما ذهبوا به، وأجمعوا على طرحِه في الجُبِّ عَظَمَتْ فتنَتُّهم<sup>(٢)</sup>. وقيل: جوابُ «لَمَا» قولهُم: ﴿قَالُوا يَكْلِمُانَا إِنَّا ذَهَبْنَا لَسْتَقِي﴾ [يوسف: ١٧]. وقيل: التقديرُ: فلما ذهبوا به من عندِ أبيهم، وأجمعوا أن يجعلوه في غيابةِ الجُبِّ جعلوه فيها، هذا على مذهب البصريين، وأمّا على قولِ الكوفيين فالجوابُ: «أوحينا»<sup>(٣)</sup> والواو مقطمة، والواو عندهم تُزاد مع لما و حتى؛ قال الله تعالى: ﴿حَقٌّ إِذَا جَاءَهُ وَهَا وَفَتَحَتْ أَبْوَاهَا﴾ [الزمر: ٧٣] أي: فتحت، قوله: ﴿حَقٌّ إِذَا جَاءَ أَمْرًا وَفَارَ اللَّثُورُ﴾ [هود: ٤٠] أي: فار. قال امرؤُ القيس:

فَلَمَّا أَجَرْنَا سَاحَةَ الْحَيِّ وَانْتَهَى<sup>(٤)</sup>

أي: انتهى، ومنه قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَسْنَدْنَا وَتَلَمَّ الْجَيْنِ وَنَدَيْتَهُم﴾ [الصفات: ١٠٣ - ١٠٤] أي: ناديناها.

وفي قوله: ﴿وَأَوْجَبْنَا إِلَيْنِهِ﴾ دليلٌ على نبوئته في ذلك الوقت. قال الحسنُ ومجادهُ والضحاكُ وقتادةُ: أعطاهُ اللهُ النبوة وهو في الجُبِّ على حجرٍ مرتفعٍ عن الماء. وقال الكلبيُّ: ألقى في الجُبِّ وهو ابن ثمانيني عشرةَ سنة، فما كان صغيراً؛ ومن قال: كان صغيراً فلا يبعدُ في العقلِ أن يتبنَّا الصغيرُ ويوحى إليه. وقيل: كان وحيَ إلهامٍ كقوله:

(١) ينظر تفسير الطبرى ٣٠/١٣ ، وتفسير البغوي ٤١٣ - ٤١٤ / ٢ ، والوسط ٦٠٣ / ٢ ، وزاد المسير ١٨٩ / ٤ .

(٢) ينظر المحرر الوجيز ٣ / ٢٢٥ ، والكشف ٣٠٦ / ٢ ، وتفسير الرازى ٩٩ / ١٨ .

(٣) وقال الطبرى في التفسير ١٣ / ٣٠ : «وأجمعوا» هو الجواب.

(٤) عجزه: بنا بطن حقف ذي ركام عقنة، والبيت في ديوانه ص ١٥ . وانتهيت لفلان، أي: عرضت له. اللسان (نحو).

**﴿وَأَرْسَى رَبِّكَ إِلَى الْفَتْل﴾** [النحل: ٦٨]، وقيل: كان مناماً، والأولُ أظهرُ - والله أعلم -  
وأنَّ جبريل جاءه بالوحي<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: **﴿لَتُبَيِّنَنَّهُمْ بِأَنْتَ هُنَّا﴾** فيه وجهان:  
أحدهما: أنه أوحى إليه أنه سيلقاهم ويوبخهم على ما صنعوا. فعلى هذا يكون  
الوحي بعد إلقائه في الجب تقوية لقلبه، وتبييراً له بالسلامة.

الثاني: أنه أوحى إليه بالذى يصنعون به؛ فعلى هذا يكون الوحي قبل إلقائه في  
الجب إنذاراً له. **﴿وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾** أنك يوسف، وذلك أنَّ الله تعالى أمره لمَّا أفضى  
إليه الأمر بمصر ألا يخبر أباء وإخوته بمكانه. وقيل: بوحي الله تعالى بالنبوة؛ قاله  
ابن عباس ومجاهد<sup>(٢)</sup>. وقيل: «الهاء» ليعقوب<sup>(٣)</sup>، أوحى الله تعالى إليه ما فعلوه  
ب يوسف، وأنَّه سيعرّفهم بأمره، وهم لا يشعرون بما أوحى الله إليه، والله أعلم.

ومما ذكر من قصته إذ أُلقي في الجب ما ذكره السدي وغيره، أنَّ إخوته لمَّا  
جعلوا يُدللونه في البئر، تعلق بشفير البئر، فربطوا يديه، ونزعوا قميصه، فقال: يا  
إخوتاه! رُدُوا عليَّ قميصي أتوارى به في هذا الجب، فإنْ مثُ كأن كفني، وإنْ عشتُ  
أواري به عورتي؛ فقالوا: ادع الشمس والقمر والأحد عشر كوكباً فلتؤنسك وتكسك؛  
فقال: إنِّي لم أر شيئاً. فدللوه في البئر حتى إذا بلغ نصفها ألقوه إرادةً أن يسقط  
في مرمٍ، فكان في البئر ماء، فسقط فيه، ثم آوى إلى صخرة فقام عليها<sup>(٤)</sup>.

وقيل: إنَّ شمعون هو الذي قطع الحبل إرادةً أن يفتت على الصخرة، وكان  
جبريلُ تحت ساق العرش، فأوحى الله إليه أن أدرك عبدي؛ قال جبريل: فأسرعْ

(١) ينظر تفسير الطبرى ١٣ / ٣٢ - ٣١ ، والمحرر الوجيز ٢٢٥ / ٣ ، والنكت والعيون ١٤ / ٣ ، والكشف  
٢ / ٣٠٧ ، وتفسير الرازى ٩٩ / ١٨ ، وزاد المسير ٤ / ١٩٠ - ١٩١ .

(٢) النكت والعيون ١٤ / ٣ ، وينظر زاد المسير ٤ / ١٩١ .

(٣) المحرر الوجيز ٢٢٥ / ٣ .

(٤) تفسير الطبرى ١٣ / ٣٠ ، وزاد المسير ٤ / ١٨٩ - ١٩٠ .

وَهَبْطَتْ حَتَّى عَارَضَتْهُ بَيْنَ الرَّمِيِّ وَالوَقْعِ، فَأَقْعَدَتْهُ عَلَى الصَّخْرَةِ سَالِمًا، وَكَانَ ذَلِكَ الْجُبُّ مَأْوَى الْهَوَامِ، فَقَامَ عَلَى الصَّخْرَةِ وَجَعَلَ يَبْكِي، فَنَادَاهُ، فَقَطَنَ أَنَّهَا رَحْمَةٌ عَلَيْهِ أَدْرَكَتْهُمْ، فَأَجَابُوهُمْ؛ فَأَرَادُوا أَنْ يَرْضُخُوهُ بِالصَّخْرَةِ، فَمَنْعَمُهُمْ يَهُوْذَا، وَكَانَ يَهُوْذَا يَأْتِيهِ بِالطَّعَامِ، فَلَمَّا وَقَعَ عَرِيَانًا نَزَلَ جَبْرِيلُ إِلَيْهِ، وَكَانَ إِبْرَاهِيمُ حِينَ أُلْقِيَ فِي النَّارِ عَرِيَانًا أَتَاهُ جَبْرِيلُ بِقَمِيصٍ مِّنْ حَرِيرِ الْجَنَّةِ، فَأَلْبَسَهُ إِلَيْهِ، فَكَانَ ذَلِكَ عَنْدَ إِبْرَاهِيمَ، ثُمَّ وَرَثَهُ إِسْحَاقُ، ثُمَّ وَرَثَهُ يَعْقُوبُ، فَلَمَّا شَبَّ يَوْسُفُ جَعَلَ يَعْقُوبُ ذَلِكَ الْقَمِيصَ فِي تَعْرِيْذَةٍ، وَجَعَلَهُ فِي عَنْقِهِ، فَكَانَ لَا يَفَارِقُهُ، فَلَمَّا أُلْقِيَ عَرِيَانًا أَخْرَجَ جَبْرِيلُ ذَلِكَ الْقَمِيصَ فَأَلْبَسَهُ إِلَيْهِ<sup>(١)</sup>.

قَالَ وَهَبْ: فَلَمَّا قَامَ عَلَى الصَّخْرَةِ قَالَ: يَا إِخْوَتَاهُ، إِنَّ لَكُلِّ مَيْتٍ وَصِيَّةً، فَاسْمَعُوا وَصِيَّتي، قَالُوا: وَمَا هِيَ؟ قَالَ: إِذَا اجْتَمَعْتُمْ كُلَّكُمْ فَإِنَّسَ بَعْضَكُمْ بَعْضًا، فَادْكُرُوا وَحْشَتِي، وَإِذَا أَكْلَتُمْ، فَادْكُرُوا جُوعِي، وَإِذَا شَرَبْتُمْ، فَادْكُرُوا عَطْشِي، وَإِذْ رَأَيْتُمْ غَرِيبًا، فَادْكُرُوا غُرْبَتِي، وَإِذَا رَأَيْتُمْ شَابًا، فَادْكُرُوا شَبَابِي. فَقَالَ لَهُ جَبْرِيلُ: يَا يَوْسُفُ! كُفْ عنْ هَذَا، وَاشْتَغِلْ بِالدُّعَاءِ، فَإِنَّ الدُّعَاءَ عِنْدَ اللَّهِ بِمَكَانٍ. ثُمَّ عَلَّمَهُ فَقَالَ: قُلْ: اللَّهُمَّ يَا مُؤْنَسَ كُلُّ غَرِيبٍ، وَيَا صَاحِبَ كُلٍّ وَحِيدٍ، وَيَا مَلْجَأَ كُلٍّ خَائِفٍ، وَيَا كَاشِفَ كُلٍّ كَرِبةٍ، وَيَا عَالَمَ كُلٍّ نَجْوَى، وَيَا مَتْهِيَ كُلٍّ شَكْوَى، وَيَا حَاضِرَ كُلٍّ مَلَأَ، يَا حَيُّ يَا قَيْوَمَ، أَسْأَلُكَ أَنْ تَقْذِفَ رِجَاءَكَ فِي قَلْبِي، حَتَّى لَا يَكُونَ لِي هُمٌّ وَلَا شَغْلٌ غَيْرَكَ، وَأَنْ تَجْعَلَ لِي مِنْ أَمْرِي فَرْجًا وَمَخْرَجًا، إِنْكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ. فَقَالَتِ الْمَلَائِكَةُ: إِلَهُنَا، نَسْمَعُ صَوْتاً دُعَاءً، الصَّوْتُ صَوْتُ صَبَّيٍّ، وَالدُّعَاءُ دُعَاءُ نَبِيٍّ.

وَقَالَ الصَّحَّاحُ: نَزَلَ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى يَوْسُفَ وَهُوَ فِي الْجُبِّ فَقَالَ لَهُ: أَلَا أَعْلَمُكَ كَلْمَاتٍ إِذَا أَنْتَ قُلْتَهُنَّ عَجَلَ اللَّهُ لَكَ خَرْوَجَكَ مِنْ هَذَا الْجُبُّ؟ فَقَالَ: نَعَمْ! فَقَالَ لَهُ: قُلْ: يَا صَانِعَ كُلٍّ مَصْنَوْعٍ، وَيَا جَابِرَ كُلٍّ كَسِيرٍ، وَيَا شَاهِدَ كُلٍّ نَجْوَى، وَيَا حَاضِرَ كُلٍّ مَلَأَ، وَيَا مَفْرُجَ كُلٍّ كُبْرَى، وَيَا صَاحِبَ كُلٍّ غَرِيبٍ، وَيَا مُؤْنَسَ كُلٍّ وَحِيدٍ،

(١) عِرَائِسُ الْمَجَالِسِ صِنْ ١١٥ - ١١٦ ، وَتَفْسِيرُ الْكَشَافِ ٣٠٧/٢ ، وَتَفْسِيرُ الرَّازِيِّ ٩٩/١٨ .

أيتنى بالفرجِ والرجاءِ، واقتذف رجاءك في قلبي حتى لا أرجو أحداً سواك. فرذَّدها يوسفُ في ليلته مراراً، فآخرجه الله في صَيْحةٍ يومه ذلك من الجُبِّ<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَجَاءُوكُلُّ أَبَاهُمْ عِشَاءً يَكُونُ﴾ ٤١

فيه مسألتان:

الأولى: قوله تعالى: ﴿وَجَاءُوكُلُّ أَبَاهُمْ عِشَاءً﴾ أي: ليلاً، وهو ظرفٌ يكون في موضع الحال<sup>(٢)</sup>; وإنما جاؤوا عشاءً؛ ليكونوا أقدر على الاعتذار في الظلمة، ولذا قيل: لا تطلب الحاجة بالليل، فإنَّ الحياة في العينين، ولا تعتذر بالنهار من ذنب فتتلجلج في الاعتذار<sup>(٣)</sup>، فروي أنَّ عقوبة عليه السلام لما سمع بكاءهم قال: ما بكم؟ أجري في الغنم شيء؟ قالوا: لا. قال: فأين يوسف؟ قالوا: ذهبنا نستبق، فأكلَه الذئب، فبكى وصاح وقال: أين قميصه؟ على ما يأتي بيانه إن شاء الله<sup>(٤)</sup>.  
وقال السديُّ وابن حبان: إنَّه لما قالوا: أكلَه الذئب خرَّ مغشياً عليه، فأفاضوا عليه الماء، فلم يتحرك، ونادوه فلم يُجب.

قال وهب: ولقد وَضَع يهودا يده على مخارجِ نَفْسٍ يعقوب فلم يُحْسَنْ بِنَفْسٍ، ولم يَتَحرَّكْ له عِرقٌ، فقال لهم يهودا: ويلٌ لنا من دِيَانِ يوم الدِّين! ضيَّعنا أخانا، وقتلنا أباًنا، فلم يُفْقِي يعقوب إلا ببردِ السَّحَرِ<sup>(٥)</sup>، فأفاقَ ورأَسَه في حِجْرٍ روبيل، فقال: يا روبيل، ألم آتَيْنَاكَ على ولدي؟ ألم أَعْهَدْ إِلَيْكَ عهداً؟ فقال: يا أَبَتِ! كُفَّ عنِي بكاءكَ روبيل، فكَفَّ يعقوب بكاءه فقال: يا أَبَتِ! إِنَّا ذَهَبْنَا لِسَقِيقٍ وَرَكَّنَاهُ يُوسُفَ عِنْدَ مَتَعِنَا فَأَكَلَهُ الْأَذْئَمُ<sup>(٦)</sup>.

(١) عرائض المجالس ص ١١٦ ، وزاد المسير ٤/١٩٠ .

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٢/٣١٨ .

(٣) عرائض المجالس ص ١١٧ ، وينظر زاد المسير ٤/١٩١ .

(٤) ينظر الوسيط ٢/٦٠٣ ، والكتشاف ٢/٣٠٧ ، وتفسیر الرازی ١٨/١٠١ .

(٥) ينظر عرائض المجالس ص ١١٧ .

الثانية: قال علماؤنا: هذه الآية دليل على أن بكاء المرء لا يدل على صدق مقاله، لاحتمال أن يكون تصنعاً؛ فمن الخلق من يقدر على ذلك، ومنهم من لا يقدر. وقد قيل: إن الدموع المصنوعة لا يخفى؛ كما قال حكيم:

إذا اشتكى دموع في خدوده تبيّن من بكى ممن تبائى<sup>(١)</sup>

قوله تعالى: «فَالْوَا يَتَأَبَّنَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَقِي وَرَكَّنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَعْنَا فَأَكَلَهُ الذَّبَّ وَمَا أَنَّ يُمُونِنَ لَنَا وَلَوْ كُنَّا مَنْدِقِنَ» ﴿١٧﴾

فيه سبع مسائل:

الأولى: قوله تعالى: «نَسْتَقِي» نفعل، من المسابقة. وقيل: أي: نتضليل، وكذا في قراءة عبد الله: «إِنَّا ذَهَبْنَا نَتَضَلِّل»، وهو نوع من المسابقة؛ قاله الزجاج<sup>(٢)</sup>. وقال الأزهري<sup>(٣)</sup>: النضال في السهام، والرهان في الخيل، والمسابقة تجمعهما. قال القشيري أبو نصر: «نَسْتَقِي» أي: في الرمي، أو على الفرس، أو على الأقدام. والغرض من المسابقة على الأقدام تدريب النفس على العذو؛ لأنَّه الآلة في قتال العدو، ودفع الذب عن الأغنام<sup>(٤)</sup>. وقال السدي وابن حيان<sup>(٥)</sup>: «نَسْتَقِي»: تستدُّ جريأاً، لنرى أينما أسبق<sup>(٦)</sup>.

قال ابن العربي<sup>(٧)</sup>: المسابقة شرعة في الشريعة، وخصلة بدعة، وعون على

(١) أحكام القرآن لابن العربي ١٠٦٣/٣ ، والبيت سلف ٣٣٦/١٠ .

(٢) في معاني القرآن وإعرابه ٩٥/٣ ، وينظر النكت والعيون ١٤/٣ ، والمحرر الوجيز ٢٢٦/٣ ، وتفسير الرازى ١٠١/١٨ .

(٣) في الظاهر ص ٥٣٦ .

(٤) ينظر تفسير الرازى ١٠١/١٨ .

(٥) في (ظ): أبو حيان.

(٦) زاد المسير ١٩١/٤ - ١٩٢ ، عن السدي.

(٧) في أحكام القرآن ١٠٦٣/٣ - ١٠٦٤ .

الحرب؛ وقد فعلها<sup>(١)</sup> ﷺ بنفسيه وبخيله، وسابق عائشة رضي الله عنها على قدميه، فسبقها؛ فلما كَبِرَ رسول الله ﷺ سابقها فسبقته، فقال لها: «هذه بتلك»<sup>(٢)</sup>.

قلت: وسابق سَلَمَةً بْنَ الأكوعِ رجلاً لَمَّا رجعوا من ذي قَرْد إلى المدينة، فسبقه سَلَمَةُ. خرجه مسلم<sup>(٣)</sup>.

الثانية: وروى مالك، عن نافع، عن ابن عمر، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ سَابَقَ بَيْنَ الْخَيْلِ الَّتِي قَدْ أَضْمِرَتْ مِنَ الْحَفَّيَاءِ، وَكَانَ أَمْدُهَا ثَنِيَّةُ الْوَدَاعِ، وَسَابَقَ بَيْنَ الْخَيْلِ الَّتِي لَمْ تُضْمِرْ مِنَ النَّيَّةِ إِلَى مَسْجِدِ بْنِ زُرَيْقٍ، وَأَنَّ عَبْدَ اللَّهِ بْنَ عَمْرٍ كَانَ مَمْنَ سَابَقَ بَهَا<sup>(٤)</sup>.

وهذا الحديث مع صحته في هذا الباب تضمن ثلاثة شروط، فلا تجوز المسابقة بدونها، وهي: أن المسافة لا بد أن تكون معلومة. الثاني: أن تكون الخيل متساوية الأحوال. الثالث: ألا يسابق المضمير مع غير المضمير في أمد واحد وغاية واحدة. والخيل التي يجب أن تضمر ويسابق عليها وتقام هذه السنة فيها: هي الخيل المعدة لجهاد العدو لا لقتال المسلمين في الفتنة<sup>(٥)</sup>.

الثالثة: وأمّا المسابقة بالنصال والإبل، فروى مسلم<sup>(٦)</sup> عن عبد الله بن عمرو قال: سافرنا مع رسول الله ﷺ، فنزلنا متزلاً، ففيما من يصلح خباءه، ومنا من يتضل. وذكر الحديث.

(١) في النسخ الخطية وأحكام القرآن: فعله.

(٢) أخرجه أحمد (٢٤١١٨)، والنمساني في الكبرى (٨٨٩٤)، وابن ماجه (١٩٧٩).

(٣) في صحيحه برقم (١٨٠٧)، وهو عند أحمد (١٦٥٣٩) وذو قرد: ماه على ليتين من المدينة بينها وبين خير. معجم البلدان ٣٢١/٤.

(٤) في الموطأ ٤٦٧ - ٤٦٨ ، وهو عند البخاري (٢٨٦٩)، ومسلم (١٨٧٠). والحفياء: موضع قرب المدينة أجري منه رسول الله ﷺ الخيل في السباق. معجم البلدان ٢/ ٢٧٦.

وتضمير الخيل: هو أن يُظاهر عليها بالعلف حتى تسمم، ثم لا تختلف إلا قوتاً لتخف. النهاية في غريب الحديث (خمر).

(٥) التمهيد ١٤/٨١ - ٨٢ ، والاستذكار ١٤/٣٠٧ - ٣٠٨ .

(٦) في صحيحه (١٨٤٤).

وخرج النسائي<sup>(١)</sup> عن أبي هريرة، أنَّ رَسُولَ اللَّهِ قَالَ: «لَا سَبَقَ إِلَّا فِي نَضْلٍ أَوْ حُفْظٍ أَوْ حَافِرٍ». وثبت ذكر النضل من حديث ابن أبي ذئب، عن نافع بن أبي نافع، عن أبي هريرة. ذكره النسائي؛ وبه يقول فقهاء الحجاز وال العراق<sup>(٢)</sup>.

وروى البخاري<sup>(٣)</sup> عن أنس قال: كان للنبي ﷺ ناقة تسمى العَضْباء لا تُسبق - قال حميد: أو لا تكاد تُسبق - فجاء أعرابي على قعود، فسبقها، فشق ذلك على المسلمين حتى عرفه، فقال: «حَقٌّ عَلَى اللَّهِ أَلَا يرتفع شَيْءٌ مِّن الدُّنْيَا إِلَّا وَضَعْهُ».

الرابعة: أجمع المسلمون على أنَّ السَّبَقَ لا يجوزُ على وجه الرهان إِلَّا في الْحُفْظِ والْحَافِرِ وَالنَّضْلِ؛ قال الشافعي: ما عدا هذه الثلاثة فالسبق فيها قمار.

وقد زاد أبو البختري القاضي في حديث الْحُفْظِ والْحَافِرِ وَالنَّضْلِ: «أو جناح»، وهي لفظة وضعها للرشيد، فترك العلماء حديثه لذلك ولغيره من موضوعاته، فلا يكتب العلماء حديثه بحال<sup>(٤)</sup>. وقد رُوي عن مالك أنه قال: لا سَبَقَ إِلَّا في الخيل والرمي؛ لأنَّ قوَّةَ أَهْلِ الْحَرْبِ؛ قال: وسَبَقُ الْخَيْلِ أَحَبُّ إِلَيْنَا مِنْ سَبَقِ الرَّمِيِّ<sup>(٥)</sup>. وظاهر الحديث يُسوّي بين السَّبَقَ على النُّجُبِ<sup>(٦)</sup> والسَّبَقَ على الخيل. وقد منع بعض العلماء الرهان في كل شيء إِلَّا في الخيل؛ لأنَّها التي كانت عادةً العرب المراهنة عليها. وروي عن عطاء أنَّ المراهنة في كل شيء جائز<sup>(٧)</sup>. وقد تُؤْوَلُ عليه<sup>(٨)</sup>؛ لأنَّ

(١) في الكبرى (٤٤١٠)، والمجتبى .٤٢٦/٦

(٢) التمهيد ١٤ / ٩٤ .

(٣) في صحيحه (٢٨٧٢).

(٤) التمهيد ١٤ / ٨٨ و ٩٤ ، وينظر تاريخ بغداد ٤٥٥/١٣ . وأبو البختري هو: وهب بن وهب بن كثير القاضي القرشي. قال أحمد: كان يضع الحديث وضعاً. ميزان الاعتدال ٤/٣٥٣ - ٣٥٤ .

(٥) التمهيد ١٤ / ٨٤ ، والاستذكار ١٤ / ٣١٠ .

(٦) جمع نجية، وهي من الإبل.

(٧) في (م): جائزة.

(٨) في (م): قوله.

حمله على العموم في كل شيء يُؤدي إلى إجازة القمار، وهو محظوظ باتفاق<sup>(١)</sup>. الخامسة: لا يجوز السبق في الخيل والإبل إلا في غاية معلومة وأمده معلوم، كما ذكرنا، وكذلك الرمي لا يجوز السبق فيه إلا بغایة معلومة ورشق معلوم، ونوع من الإصابة مشترط خسقاً<sup>(٢)</sup>، أو إصابة بغير شرط.

والسباق ثلاثة: سبق يعطيه الوالي - أو الرجل غير الوالي - من ماله متظوعاً، فيجعل للسابق شيئاً معلوماً، فمن سبق أخذته. وسبق يخرجه أحد المتسابقين دون صاحبه، فإن سبقه صاحبه أخذته، وإن سبق هو صاحبه أخذته، وحسن أن يمضي في الوجه الذي أخرجه له، ولا يرجع إلى ماله، وهذا مما لا خلاف فيه.

والسبق الثالث: اختلف فيه، وهو أن يخرج كل واحد منهمما شيئاً مثل ما يخرجه صاحبه، فأيهما سبق، أحرز سبقة وسبق صاحبه. وهذا الوجه لا يجوز حتى يدخلان بينهما محللاً لا يأمنا أن يسبقهما، فإن سبق المحلل أحرز السبقين جميعاً وأخذهما وحده، وإن سبق أحد المتسابقين، أحرز سبقة وأخذ سبق صاحبه، ولا شيء للمحلل فيه، ولا شيء عليه. وإن سبق الثاني منهمما الثالث كان كمن لم يسبق واحداً منهمما.

وقال أبو علي بن خيران من أصحاب الشافعى: وحكم الفرس المحلل أن يكون مجهولاً جريئاً؛ وسمى محللاً؛ لأنـه يحلل السبق للمتسابقين أو له. واتفق العلماء على أنه إن لم يكن بينهما محلل، واشترط كل واحد من المتسابقين أنه إن سبق أحد سبقة وسبق صاحبه: أنه قمار ولا يجوز<sup>(٣)</sup>.

وفي «سنن» أبي داود<sup>(٤)</sup>، عن أبي هريرة، عن النبي ﷺ قال: «من أدخل فرساً بين

(١) المفہم ٧٠١/٣.

(٢) خسق السهم الهدف خسقاً: إذا لم ينفذ نفاذًا شديداً. وقال ابن فارس: إذا ثبت فيه وتعلق. وقال ابن القطاع: إذا نفذ من الرمية. المصباح المنير (خسق).

(٣) التمهيد ٨٥/١٤ - ٣١٢ - ٣١١/١٤ ، والاستذكار ٧٠٢ - ٧٠١/٣ ، والمفہم ٢٨٤ - ٢٨٥ .

(٤) برقـ (٢٥٧٩) و(٢٥٨٠)، وهو عند أـحمد (١٠٥٥٧).

فَرَسَيْنِ وَهُوَ لَا يَأْمُنُ أَنْ يَسِيقَ؛ فَلِيسَ بِقِمارٍ، وَمَنْ أَدْخَلَهُ وَهُوَ يَأْمُنُ أَنْ يَسِيقَ؛ فَهُوَ قِمارٌ.

وفي «الموطأ»<sup>(١)</sup> عن سعيد بن المسيب قال: لِيَسَ بِرِهَانِ الْخَيْلِ بِأَسْ إِذَا دَخَلَ فِيهَا مَحْلُلٌ، فَإِنْ سَبَقَ أَخْذَ السَّبَقَ، وَإِنْ سُقِّ لَمْ يَكُنْ عَلَيْهِ شَيْءٌ.

وبهذا قال الشافعى وجمهور أهل العلم. واختلف في ذلك قولُ مالك، فقال مراته: لا يجُبُ المَحْلُلُ فِي الْخَيْلِ، وَلَا نَأْخُذُ فِيهِ بِقَوْلِ سَعِيدٍ، ثم قال: لا يجوزُ إِلَّا بالمحلل، وهو الأجودُ من قوله<sup>(٢)</sup>.

السادسة: ولا يُحَمَّلُ عَلَى الْخَيْلِ وَالْإِبْلِ فِي الْمُعْسَابَةِ إِلَّا مُحْتَلِمٌ، ولو رَكِبَهَا أَرْبَابُهَا كَانَ أَوْلَى؛ وقد رُوِيَّ عَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ أَنَّهُ قَالَ: لَا يَرْكِبُ الْخَيْلَ فِي السَّبَاقِ إِلَّا أَرْبَابُهَا. وقال الشافعى: وأَقْلَى السَّبَقَ أَنْ يَسْبِقَ بِالْهَادِي أَوْ بِعَضِيهِ، أَوْ بِالْكَفْلِ أَوْ بِعَضِيهِ. والسَّبَقُ بَيْنَ<sup>(٣)</sup> الرَّمَاءِ عَلَى هَذَا النَّحْوِ عَنْهُ، وَقَوْلُ مُحَمَّدٍ بْنِ الْحَسَنِ فِي هَذَا الْبَابِ نَحْوُ قَوْلِ الشَّافِعِيِّ<sup>(٤)</sup>.

السابعة: رُوِيَّ عَنِ النَّبِيِّ أَنَّهُ سَابَقَ أَبَا بَكْرٍ وَعُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، فَسَبَقَ رَسُولُ اللَّهِ<sup>ﷺ</sup>، وَصَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَبُو بَكْرَ، وَثَلَّثَ عَمْرُ<sup>(٥)</sup>. وَمَعْنَى: وَصَلَّى أَبُو بَكْرَ. يَعْنِي أَنَّ رَأْسَ فَرِيسِهِ كَانَ عِنْدَ صَلَوَى<sup>(٦)</sup> فَرِسِ رَسُولِ اللَّهِ<sup>ﷺ</sup>، وَالصَّلَوَانُ: مَوْضِعُ الْعَجْزِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿وَرَكَّنَاهُ يُوسُفَ عِنْدَ مَتَعِنًا﴾ أي: عِنْدَ ثِيَابِنَا وَأَقْمَشِنَا حَارِسًا

(١) ٤٦٨/٢.

(٢) الاستذكار ٣١١/١٤ ، والمفهم ٧٠١/٣ - ٧٠٢.

(٣) في (د) و(ز) و(م): من، والمثبت من (ظ)، وهو المافق لما في التمهيد ٨٦/١٤.

(٤) التمهيد ٧٩/١٤ - ٨٠ و ٨٦ . والهادى: العُنق. والكفل: العَجْزُ، أو رِدْفَهُ، أو القَطْنَ. القاموس (هادى) و(كفل).

(٥) سلف ١/ ٢٥٩.

(٦) في (م): صلا.

لها<sup>(١)</sup>. **﴿فَأَكَلَهُ الْذِئْبُ﴾** وذلك أنهم لما سمعوا أباهم يقول: «وأخافُ أن يأكله الذئبُ» أخذوا ذلك من فيه، فتحرّموا<sup>(٢)</sup> به؛ لأنّه كان أظهر المخاوف عليه. **﴿وَمَا أَنَّ**  
**يُتَقْرِّبُنَا﴾** أي: بمصدق<sup>(٣)</sup>. **﴿وَلَوْ كُنَّا﴾** أي: وإن كنّا؛ قاله المبرد<sup>(٤)</sup> وابن إسحاق<sup>(٥)</sup>. **﴿صَادِقِينَ﴾** في قولنا، ولم يصدقهم يعقوب؛ لما ظهر له منهم من قوّة التهمة وكثرة الأدلة على خلاف ما قالوه؛ على ما يأتي بيانه. وقيل: «ولو كنا صادقين» أي: ولو كنّا عندك من أهل الثقة والصدق، ما صدقتنا، ولا تهمنا في هذه القضية، لشدة محبتك في يوسف؛ قال معناه الطبرى والزجاج وغيرهما<sup>(٦)</sup>.

قوله تعالى: **﴿وَجَاءُوكُلُّ مَنْ يَرِيدُ حِلًّا وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾**

قوله تعالى: **﴿وَجَاءُوكُلُّ مَنْ يَرِيدُ حِلًّا وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾**

فيه ثلاثة مسائل:

الأولى: قوله تعالى: **«بِدَمِ كَذِيبٍ»** قال مجاهد: كان دم سخلة أو جذبي ذبحوه. وقال قتادة: كان دم ظبية<sup>(٧)</sup>، أي: جاؤوا على قميصه بدم مكتوب فيه، فوصف الدم بالمصدر، فصار تقديره: بدم ذي كذب، مثل: **﴿وَسَلَلَ الْقَرْنَيْهَ﴾** والفاعل والمفعول قد يسمّيان بالمصدر، يقال: هذا ضربُ الأمير، أي: مضروريه، وما سُكُّبُ، أي:

(١) ينظر النكت والعيون ١٤/٣ .

(٢) أي: تُمْئِنُوا. القاموس (حرم).

(٣) الكشاف ٣٠٨/٢ ، وزاد المسير ٤/١٩٢ .

(٤) في الكامل ٣٦١/١ ، ونقله عنه المصطف بواسطة ابن عطية في المحرر الوجيز ٣/٢٢٦ .

(٥) النكت والعيون ١٥/٣ ، وزاد المسير ٤/١٩٢ .

(٦) تفسير الطبرى ٣٤/١٣ ، ومعاني القرآن للزجاج ٩٦/٣ ، والمحرر الوجيز ٣/٢٢٦ ، وزاد المسير

٤/١٩٢ .

(٧) النكت والعيون ١٥/٣ ، وقول مجاهد أخرجه الطبرى ٣٥/١٣ .

مسكوب، وماهٌ غَورٌ، أي: غائر، ورجلٌ عَذْلٌ، أي: عادل<sup>(١)</sup>.

وقرأ الحسن وعائشة: «بِدَمِ كَدِيبٍ»، بالدَّال غير المعجمة<sup>(٢)</sup>، أي: بدمٍ طَرِيٍّ، يقال للدم الطري: الكَدِيب. وحُكِيَّ أنه المُتَغَيِّر، قاله الشعبي<sup>(٣)</sup>. والكَدِيب أيضًا البياض الذي يخرج في أظفار الأحداث. فيجوز أن يكون شَبَهَ الدَّم في القميص بالبياض الذي يخرج في الظُّفَر من جهة اختلاف اللَّوَيْنِ<sup>(٤)</sup>.

الثانية: قال علماؤنا رحمة الله عليهم: لَمَّا أرادوا أن يجعلوا الدَّم علامة على صدقهم؛ قَرَنَ الله بهذه العلامة علامَة تعارضها، وهي سلامَة القميص من التَّنَبِيب<sup>(٥)</sup>، إذ لا يمكن افتراضُ الذَّئب ليوسف وهو لا يَسْرُ القميص ويَسْلُمُ القميص من التخريق<sup>(٦)</sup>. ولما تَأَمَّلَ يعقوب عليه السالم القميص، فلم يَجِدْ فيه خرقًا ولا أثراً؛ استدَلَّ بذلك على كذبهم وقال لهم: متى كان هذا الذَّئب حليماً<sup>(٧)</sup> يأكل يوسف ولا يُخْرِقُ القميص؟! قاله ابن عباس وغيره<sup>(٨)</sup>.

روى إسرائيل، عن سِمَاك بن حرب، عن عِكرمة، عن ابن عباس قال: كان الدَّم دَم سَخْلَة. وروى سفيان عن سِمَاك، عن عِكرمة، عن ابن عباس قال: لَمَّا نظر إليه قال: كذبتم، لو كان الذَّئب أكلَه لخرق القميص<sup>(٩)</sup>.

(١) الكلام بنحوه في تفسير الرازبي ١٠٢/١٨.

(٢) القراءات الشاذة ص ٦٢ - ٦٣ عن الحسن، والمحتب ١/٣٣٥ عن الحسن وابن عباس رضي الله عنهما. وعن عائشة رضي الله عنها ذكرها أبو حيان في البحر ٢٨٩/٥.

(٣) ينظر النكت والعيون ١٥/٣.

(٤) ينظر المحتب ١/٣٣٥.

(٥) في (ظ): التخريق.

(٦) أحكام القرآن لابن العربي ٣/١٠٦٥.

(٧) في (ظ) و(م): حكيمًا.

(٨) المحرر الوجيز ٣/٢٢٧. وأخرج هذا الأثر الطبرى ١٣/٣٦ - ٣٧.

(٩) أخرجهما الطبرى ١٣/٣٦ - ٣٨ ، والأثر الثاني عنده من طريق سفيان عن سماك عن سعيد بن جبير عن ابن عباس رضي الله عنهما.

وحكى الماوردي أن في القميص ثلاث آيات: حين جاؤوا عليه بدم كذب، وحين قُدّ قميصه من ذِبْر، وحين ألقى على وجه أبيه فارتَّ بصيراً<sup>(١)</sup>.

قلت: وهذا مردود، فإن القميص الذي جاؤوا عليه بالدم غير القميص الذي قُدّ، وغير القميص الذي أتاه البَشِير به. وقد قيل: إنَّ القميص الذي قُدّ هو الذي أتَي به فارتَّ بصيراً، على ما يأتي بيانه آخر السورة إن شاء الله تعالى<sup>(٢)</sup>.

ورُويَ أنهم قالوا له: بل اللصوص قتلوه. فاختلف قولهم، فانهُمْ، فقال لهم يعقوب: تزعمون أن الذئب أكله، ولو أكله لشَقَ قميصه قبل أن يُقضِي إلى جلده، وما أرى بالقميص مِن شَقٍّ، وتزعمون أنَّ اللصوص قتلوه، ولو قتلوه لأنذدوا قميصه، هل يريدون إِلَّا ثيابه؟! فقالوا عند ذلك: وما أنت بِمُؤْمِنٍ لنا ولو كنا صادقين؛ عن الحسن وغيره. أي: لو كنا موصوفين بالصدق لا تَهْمَنَا<sup>(٣)</sup>.

الثالثة: استدلَّ الفقهاء بهذه الآية في إعمال الأمارات في مسائل من الفقه، كالقصامة وغيرها، وأجمعوا على أن يعقوب عليه السلام استدلَّ على كذبهم بصحبة القميص، وهكذا يجب على الناظر أن يلحظ الأمارات والعلامات إذا تعارضت، مما ترجح منها قضى بجانب الترجيح، وهي قوة التَّهْمَة، ولا خلاف بالحكم بها؛ قاله ابن العربي<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: ﴿فَقَالَ بَلْ سَوَّلْتَ لَكُمْ أَنْتُمْ أَنْتُمْ قَصْبَرٌ جَيْلٌ﴾.

فيه ثلاثة مسائل:

الأولى: رُويَ أن يعقوب لما قالوا له: «فَأَكَلَهُ الذَّئْبُ» قال لهم: ألم يترك الذئب له عضواً فتأتوني به؟! ألم يترك لي ثوباً أشَمُّ فيه رائحته؟! قالوا: بلى، هذا

(١) النكت والعيون ١٥/٣ . وذكره ابن العربي في أحكام القرآن ١٠٦٥/٣ .

(٢) الآية (٩٣).

(٣) ذكره المصنف قبل هذه الآية ونسبة للطبراني والزجاج، وينظر مجمع البيان للطبرسي ٢٨/١٢ - ٢٩ .

(٤) في أحكام القرآن ١٠٦٥/٣ ، وينظر المحرر الوجيز ٢٢٧/٣ .

قميصه ملطوح بدمه، فذلك قوله تعالى: «وَجَاءُوكُلُّ قَعْدِيهِ يَدُمُّ كَذِبًا». فبكى  
يعقوب عند ذلك وقال لبنيه: أروني قميصه، فأرزوه فشمّه وقبّله، ثم جعل يُقلّبه فلا  
يرى فيه شَقًا ولا تمزيقاً، فقال: والله الذي لا إله إلا هو، ما رأيتك كالليوم ذئباً  
 أحلم<sup>(١)</sup> منه، أكل ابني واختلسه من قميصه ولم يُمزقه عليه. وعلم أنَّ الأمر ليس كما  
قالوا، وأن الذئب لم يأكله، فأعرض عنهم كالْمُغَضَّب باكيًا حزيناً، وقال: يا معشرَ  
 ولدي، دُلُوني على ولدي، فإنَّ كان حيًّا ردْتُه إلىَّ، وإنْ كان ميتاً كفْتُه ودفْتُه. فقيل:  
 قالوا حينئذ: ألم تروا إلى أبينا كيف يُكذبنا في مقالتنا؟! تعالوا نُخرجه من الجُبْ  
 ونقطعه عضواً عضواً، ونأتِ أبيانا بأحد أعضائه، فيصدقنا في مقالتنا ويقطع يأسه،  
 فقال يهودا: والله، لئن فعلتم لأكونَ لكم عدوًّا ما بقيتُ، ولآخرينَ أباكم بسوء  
 صنيعكم، قالوا: فإذا منعتنا من هذا فتعالوا نصطد له ذئباً، قال: فاصطادوا ذئباً  
 ولطخوه بالدم، وأوثقوه بالحبال، ثم جاؤوا به يعقوب وقالوا: يا أبيانا، إن هذا  
 الذئب الذي يَحُلُّ بأغنامنا ويفترسها، ولعلَّه الذي أفعينا بأخينا، لا نشكُّ فيه، وهذا  
 دمه عليه، فقال يعقوب: أطلقوه، فأطلقوه، وتَبَضَّبَّصَ له الذئب، فأقبل يدنو منه  
 ويعقوب يقول له: أَدْنُ، أَدْنُ، حتى الصق خدَّه بخُلُوٍّ فقال له يعقوب: أيها الذئب، لِمَ  
 فجعْتَنِي بولدي وأورثْتَنِي حزناً طويلاً؟! ثم قال: اللَّهُمَّ أَنْطِقْهُ، فأنطقه الله تعالى:  
 فقال: والذي اصطفاك نبياً، ما أكلت لحمه، ولا مَرَقت جلدَه، ولا نتفت شعرةً من  
 شعراته، ووالله ما لي بولدك عهدٌ، وإنما أنا ذئبٌ غريبٌ أقبلت من نواحي مصر في  
 طلب أخي لي فُقدَّ، فلا أدرِي أحيٌّ هو أم ميتٌ، فاصطادني أولادُك وأوثقوني، وإنَّ  
 لحوم الأنبياء حُرِّمت علينا وعلى جميع الوحوش، وتالله، لا أقمت في بلاد يكذب  
 فيها أولاد الأنبياء على الوحوش. فأطلقه يعقوب وقال: والله، لقد أتيتُم بالحُجَّة  
 على أنفسكم، هذا ذئبٌ بهيمٌ خرج يتبع ذمام أخيه، وأنتم ضيَّعتم أخاكم، وقد علمت

(١) في (م): أحكم.

أن الذئب بريء مما جتن به<sup>(١)</sup>.

**﴿بَلْ سَوَّلْتُ﴾** أي: زينت. **﴿لَكُمْ أَنْفُشْكُمْ أَمْرًا﴾** غير ما تصفون وتذكرون. ثم قال توطة لنفسه: **﴿فَصَبِرْ جَمِيلٌ﴾** وهي:

الثانية: قال الزجاج<sup>(٢)</sup>: أي فشاني - أو الذي أعتقده - صبر جميل. وقال قطرب: أي: فصيري صبر جميل. وقيل: أي: فصبر جميل أولى بي، فهو مبتدأ، وخبره محدوف. ويروى أن النبي ﷺ سُئل عن الصبر الجميل فقال: «هو الذي لا شكوى معه»<sup>(٣)</sup>. وسيأتي له مزيد بيان آخر السورة إن شاء الله.

قال أبو حاتم: قرأ عيسى بن عمر فيما زعم سهل بن يوسف<sup>(٤)</sup>: «فصبراً جميلاً» قال: وكذا قرأ الأشهب العقيلي، قال: وكذا في مصحف أنس وأبي صالح<sup>(٥)</sup>. قال المبرد: «فصبر جميل» بالرفع أولى من النصب؛ لأن المعنى: قال: ربّ عندي صبر جميل، قال<sup>(٦)</sup>: وإنما النصب على المصدر، أي: فلأصبرنّ صبراً جميلاً، قال: شكا إليّ جملي طول السرى صبراً جميلاً فكلانا مبتلى<sup>(٧)</sup> والصبر الجميل هو الذي لا جزع فيه ولا شكوى. وقيل: المعنى: لا أعاشركم على كآبة الوجه وغبوس الجبين، بل أعاشركم على ما كنت عليه معكم، وفي هذا ما يدل على أنه عفا عن مؤاخذتهم. وعن حبيب بن أبي ثابت، أن يعقوب كان قد سقط حاجبه على عينيه، فكان يرفعهما بخرقة، فقيل له: ما هذا؟ قال: طول الزمان وكثرة

(١) ينظر عرائض المجالس ص ١١٧ - ١١٨ . وهذه القصة من الإسرائيлик.

(٢) في معاني القرآن ٩٦/٣ ، ونقله المصطف عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٢/٣١٨ .

(٣) أخرجه الطبرى ٤١/١٣ عن جبان بن أبي جبلة مرسلاً.

(٤) لعله سهل بن يوسف الأنطاطي البصري، أبو عبد الرحمن. توفي سنة (١٩٠هـ). تهذيب الكمال ١٢/٢١٣ .

(٥) كذا في النسخ وإعراب القرآن للنحاس ٢/٣١٨ (والكلام منه): أبي صالح، ولعل الصواب أبيه، كما في المحرر الوجيز ٣/٢٢٧ ، والبحر المحيط ٥/٢٨٩ .

(٦) يعني أبي جعفر النحاس، وكلامه في إعراب القرآن ٢/٣١٨ ، وما قبله منه، وقراءة عيسى بن عمر في القراءات الشاذة ص ٦٣ .

(٧) سلف ٣/٢٥٠ .

الحزان، فأوحى الله إليه: أنشكوني يا يعقوب؟! قال: يا رب، خطئتي أخطأتها فاغفر لي<sup>(١)</sup>.

**﴿وَاللَّهُ الْمُسْتَعَانُ﴾** ابتداء وخبر **﴿عَلَّمَ مَا تَصْنَعُونَ﴾** أي: على احتمال ما تصنفون من الكذب.

الثالثة: قال ابن أبي رفاعة<sup>(٢)</sup>: ينبغي لأهل الرأي أن يتهموا رأيهم عند ظنّ يعقوب عليه وهونبي، حين قال له بنوه: **﴿إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَقِيْنَ وَرَكَشْنَا يُوسُفَ عِنْدَ مَتَعْنَا فَأَكَلَهُ الْذِئْبُ﴾** قال: **﴿بَلْ سَوَّلْتَ لَكُمْ أَنْفُشْكُمْ أَمْرًا فَصَبَرْ جَيْلَ﴾** فأصاب هنا، ثم قالوا له: **﴿إِنَّكَ أَبْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كَثَنَا لِغَيْبِ حَفِظْنَ﴾** قال: **﴿بَلْ سَوَّلْتَ لَكُمْ أَنْفُشْكُمْ أَمْرًا﴾** فلم يُصب.

قوله تعالى: **﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَادَلَ دَلَوْمَ قَالَ يَبْشِرَنِي هَذَا غَلَمْ وَأَسْرُوْهُ بِضَعْفَةٍ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَتَمَلَّوْنَ﴾**

قوله تعالى: **﴿وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ﴾** أي: رُفقةً مارأةً يسيرون من الشام إلى مصر فأخذوا الطريق، وهاموا حتى نزلوا قريباً من الجب، وكان الجب في ققرة بعيدة من العمran، إنما هو للرّعاة والمجتاز، وكان ماؤه ملحّاً، فعذب حين ألقى فيه يوسف<sup>(٣)</sup>. **﴿فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ﴾** فذكر على المعنى، ولو قال: فأرسلت واردها لكان على اللّفظ<sup>(٤)</sup>، مثل «وجاءت». والوارد الذي يرد الماء يستقي للقوم، وكان اسمه - فيما ذكر المفسرون - مالك بن دغر<sup>(٥)</sup>، من العرب العارية<sup>(٦)</sup>.

(١) أخرجه الطبرى ٤٢/١٣ .

(٢) لم نعرفه، ولم نقف على قوله.

(٣) عرائض المجالس ص ١١٨ ، وتفسير البغوى ٤١٥/٢ .

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٣١٩/٢ .

(٥) في النسخ: ذعر، بالذال، وذكر الفيروز آبادى أنه تصحيف، وأن الصواب دعر، بالذال المهملة. القاموس (دعر) (ذعر).

(٦) ينظر عرائض المجالس ص ١١٨ ، والمحرر الوجيز ٢٢٨/٣ ، وتفسير البغوى ٤١٥/٢ .

**﴿فَادْلَكَ دَلْوَهُ﴾** أي: أرسله، يقال: أدلّى دلوه: إذا أرسلها ليملأها، ودلّاها أي: أخرجها. عن الأصمعي وغيره<sup>(١)</sup>. ودلّا من ذات الواو، يدلّو دلّوا، أي: جذب وأخرج، وكذلك أدلّى: إذا أرسل، فلما ثقل رُدُوه إلى الياء، لأنها أخف من الواو، قاله الكوفيون. وقال الخليل وسيبويه: لِمَا جاوزَ ثَلَاثَةَ حَرْفٍ رَجَعَ إِلَى الْيَاءِ، اتَّبَاعًا لِلْمُسْتَقْبَلِ. وجُمِعَ دَلْوٌ فِي أَقْلَعِ الْعَدْدِ: أَذْلِ، فَإِذَا كَثُرَتْ قَلْتْ: دَلْيٌ وَدَلْيٌ؛ فَقُلْبَتِ الْوَاءُ لِلْمُسْتَقْبَلِ. لأن<sup>(٢)</sup> الجمع باب التغيير، وليفرق بين الواحد والجمع، ودلاء أيضاً.

فتعلّق يوسف بالحبل، فلما خرج إذا غلام كالقمر ليلة البدر؛ أحسن ما يكون من الغلمان. قال ﷺ في حديث الإسراء من «صحيحة» مسلم: «إِنَّمَا يَبْيَسُ مُوسَى إِذَا هُوَ قَدْ أُعْطِيَ شَطَرَ الْخُسْنِ»<sup>(٣)</sup>. وقال كعب الأحبار: كان يوسف حسن الوجه، جعد الشعر، ضخم العينين، مستوى الخلق، أبيض اللون، غليظ الساعدتين والعضدين، خميس البطن، صغير السرة، إذا ابتسם رأيت النور من ضواحكه، وإذا تكلّم رأيت في كلامه شعاع الشمس من ثناياه، لا يستطيع أحد وصفه، وكان حسنه كضوء النهار عند الليل، وكان يُشبه آدم عليه السلام يوم خلقه الله وتفتح فيه من روحه قبل أن يُصيب المعصية. وقيل: إنه ورث ذلك الجمال من جده سارة، وكانت قد أعطيت سدس الحسن<sup>(٤)</sup>.

فلما رأى مالك بن دعر قال: **﴿يَا بُشْرَىٰ إِنَّمَا يَأْتِيَ الْمُؤْمِنُونَ بِالْمُبْرَأَةِ﴾** هذه قراءة أهل المدينة وأهل البصرة<sup>(٥)</sup>، إلا ابن أبي إسحاق فإنه قرأ: **﴿يَا بُشْرَىٰ إِنَّمَا يَأْتِيَ الْمُؤْمِنُونَ بِالْمُبْرَأَةِ﴾**<sup>(٦)</sup> فقلب الألف ياء، لأن هذه الياء يكسر ما قبلها، فلما لم يَجُزْ كسرُ الألف كان قلبُها عوضاً. وقرأ أهل

(١) ينظر معاني القرآن للنحاس ٤٠٥/٣ .

(٢) في النسخ: إلا أن، والمثبت من إعراب القرآن للنحاس ٣١٩/٢ ، والكلام منه.

(٣) صحيح مسلم (١٦٢) من حديث أنس بن مالك ﷺ، وهو في مستند أحمد (١٢٥٠٥).

(٤) الوسيط ٦٠٤/٢ ، وينظر عرائض المجالس ص ١١١ - ١١٢ .

(٥) هي قراءة نافع المدني، وأبي عمرو البصري، وابن كثير المكي، وابن عامر الشامي. السبعة ص ٣٤٧ ، والتيسير ص ١٢٨ ، والنشر ٢/٢٩٣ .

(٦) القراءات الشاذة ص ٦٢ ، والمحتب ١/٣٣٦ .

الكوفة: «يا بُشَرَى»<sup>(١)</sup> غير مضاف.

وفي معناه قوله: أحدهما: اسم الغلام، والثاني: معناه: يا أيتها البشرى، هذا حِينُك وأوانُك. قال قتادة والسدىي: لَمَّا أدلَى المُدْلِي دلوه تعلَّق بها يوسف فقال: يا بُشَرَى<sup>(٢)</sup> هذا غلام. قال قتادة: بُشَرَى أصحابه بأنه وجد عبداً. وقال السدىي: نادى رجلاً اسمه بُشَرَى.

قال النحاس<sup>(٣)</sup>: قول قتادة أولى؛ لأنَّه لم يأتِ في القرآن تسميةً أحد إلا يسيراً، وإنما يأتي بالكتنائية كما قال عزَّ وجلَّ: «وَيَوْمَ يَعْصُ الظَّالِمُونَ عَلَىٰ يَدِنِيهِ» [الفرقان: ٢٧]، وهو أميَّةُ عُقبة بن أبي مُعْيَط، وبعده «يَا لَيْتَنِي لَمْ أَخْنَدْ فَلَمَّا حَلَّ» [الفرقان: ٢٨]، وهو ابن خَلَف. قال النحاس<sup>(٤)</sup>: والمعنى في نداء البشرى: التبشير لمن حضر، وهو أو كُدُّ من قوله: تبَشَّرْتَ، كما تقول: يا عجباه! أي: يا عجبُ هذا من أيامك ومن آياتك فاحضُرْ، وهذا مذهب سيبويه<sup>(٥)</sup>، وكذا قال الشهيلي<sup>(٦)</sup>. وقيل: هو كما تقول: واسروراه! وأنَّ البشرى مصدر من الاستبشر. وهذا أصحُّ؛ لأنَّه لو كان اسمًا علمًا لم يكن مضافاً إلى ضمير المتكلِّم؛ وعلى هذا يكون «بُشَرَى» في موضع نصب؛ لأنَّ نداءً مضاف، ومعنى النداء هاهنا التنبيه، أي: انتبهوا لفرحتي وسروري، وعلى قول السدىي يكون في موضع رفع كما تقول: يا زيدُ، هذا غلام. ويجوز أن يكون محله نصباً كقولك: يا رجلاً، وقوله: «يَحْسَرَةَ عَلَى الْبَيْدَادِ» [يس: ٣٠]، ولكنه لم يُنون «بُشَرَى» لأنَّه لا ينصرف<sup>(٧)</sup>.

(١) السبعة ص ٣٤٧ ، والتيسير ص ١٢٨ ، والنشر ٢٩٣/٢ .

(٢) في (م): بُشَرَى .

(٣) في إعراب القرآن للنحاس ٣١٩/٢ ، وما قبله منه، والأقوال السالفة أخرجها الطبرى ٤٣/١٣ - ٤٤ .

(٤) في معانى القرآن ٤٠٦/٣ .

(٥) الكتاب ٢١٧/٢ ، وينظر ما سلف ٣٥٨/٨ .

(٦) في التعريف والإعلام ص ٨٠ ، وما بعده منه.

(٧) ينظر الكشف عن وجوه القراءات لمكي ٧/٢ ، وتفسير البغوي ٤١٥/٢ .

﴿وَأَشْرَوْهُ بِضَعْفَتِهِ﴾ الاء كنایة عن يوسف عليه السلام؛ فاما الروا فكنایة عن إخوته. وقيل: عن التجار الذين اشتراوه<sup>(١)</sup>، وقيل: عن الوارد وأصحابه<sup>(٢)</sup>. «بِضَاعَةً» نصب على الحال. قال مجاهد: أسره مالك بن دغر وأصحابه من التجار الذين معهم في الرُّفقة، وقالوا لهم: هو بضاعة استبضعنها بعض أهل الشام، أو أهل هذا الماء إلى مصر، وإنما قالوا هذا خيبة الشركة<sup>(٣)</sup>. وقال ابن عباس: أسره إخوة يوسف بضاعة لما استخرج من الجب، وذلك أنهم جاؤوا فقالوا: بش ما صنعتم؟ هذا عبد لنا أبن، وقالوا ليوسف بالعبرانية: إما أن تُقرَّ لنا بالعبودية فنبيعك من هؤلاء، وإنما أن تأخذك فنقتلك، فقال: أنا أُقْرَأُ لكم بالعبودية، فأقْرَأُ لهم فباعوه منهم<sup>(٤)</sup>.

وقيل: إن يهودا وصي أخيه يوسف بلسانهم أن اعترف لإخوتك بالعبودية، فإني أخشى إن لم تفعل قتلوك، فعلل الله أن يجعل لك مخرجاً، وتنجو من القتل، فكتم يوسف شأنه مخافة أن يقتل إخوته، فقال مالك: والله، ما هذه سمة العبيد، قالوا: هو ترئي في حجورنا، وتخلق بأخلاقنا، وتأدب بآدابنا، فقال: ما تقول يا غلام؟ قال: صدقوا، ترئي في حجورهم، وتخلقت بأخلاقهم، فقال مالك: إن بعثتموه مني اشتريته منكم، فباعوه منه<sup>(٥)</sup>، فذلك:

قوله تعالى: ﴿وَشَرَوْهُ بِشَنْ بَخْسِ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الْأَزَهِيرِينَ﴾

فيه سُتُّ مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿وَشَرَوْهُ﴾ يقال: شَرِيتُ بمعنى اشتريتُ، وشَرِيت بمعنى

(١) إعراب القرآن للتحاسن ٢١٩/٢.

(٢) ينظر تفسير الطبرى ١٣/٤٦ - ٤٩.

(٣) أخرجه الطبرى ١٣/٤٦ - ٤٧ ، وينظر تفسير البغوى ٢/٤١٥ .

(٤) أخرجه الطبرى ١٣/٤٩ مختصرًا.

(٥) عرائس المجالس ص ١١٩ - ١١٨ بفتح حواه.

بعث لغة<sup>(١)</sup>، قال الشاعر:

وَشَرِنْتُ بُزْدَا لَيْلَةً نَبِيٌّ مِنْ بَغْدَادْ كَنْتُ هَامَةً<sup>(٢)</sup>

أي: بعث. وقال آخر:

فَلِمَّا شَرَّاهَا فَاضَتِ الْعَيْنُ عَبْرَةً وَفِي الصَّدِيرِ حُزَازٌ مِّنَ اللَّوْمِ حَامِزٌ<sup>(٣)</sup>  
**﴿يَشَنِ بَغْتَس﴾** أي: نقصٍ، وهو هنا مصدرٌ وُضِعَ موضعَ الاسم، أي: باعوه  
 بشِنٍ مبخوسٍ، أي: منقوصٍ. ولم يكن قصدُ إخوته ما يستفيدونه من ثمنه، وإنما كان  
 قصدُهم ما يستفيدونه من خلوٍ وجهٍ أبِيهِم عنِّه<sup>(٤)</sup>.

وقيل: إن يهودا رأى من بعيد أن يوسف أخرج من الجب، فأخبر إخوته فجاؤوا وباعوه من الواردة. وقيل: لا ، بل عادوا بعد ثلاثة إلى البشر يتعرّفون الخبر، فرأوا أثر السيارة فاتّبعوهم وقالوا: هذا عبدنا أبقَّ مثنا ، بائعوه منهم<sup>(٥)</sup>.

وقال قتادة: «بَخْسٌ»: ظلم. وقال الضحاك ومقاتل والستي وأبي عطاء:

«بَخْسٌ»: حِرَامٌ<sup>(٦)</sup>.

وقال ابن العربي<sup>(٧)</sup>: ولا وجه له، وإنما الإشارة فيه إلى أنه لم يستوف ثمنه

<sup>١٠٦٧</sup> (١) أحكام القرآن لابن العربي / ٣.

(٢) قائله يزيد بن مهران الحميري، وسلف ٣٩١ / ٣، وببرد: اسم غلام ندم على بيعه. المحرر الوجيز ٣ / ٢٣٠ . والهامة: من طيور الليل، كانت العرب تزعم أن روح القتيل الذي لا يُدْرَك بثأره تصير هامة فتزقُّ عن قبره، تقول: أسفوني، أسفوني، فإذا أدرك بثأره طارت. الصحاح (heim).

(٣) قائله الشماخ بن ضرار، وهو في ديوانه ص ١٩٠ ، وفيه: الوجد، بدل: اللوم. والحزاز: ما حَزَّ في القلب. والحمّازة: الشدة، وقد حُمِّرَ الرجل، بالضم، فهو حميض الفؤاد وحامز. الصحاح (حزز) و(حمّز).

<sup>٤)</sup> أحكام القرآن لابن العربي، ١٠٦٧/٣.

(٥) ينظر عرائس المجالس، ص ١١٨ - ١١٩.

(٦) تفسير الطبرى /١٣ - ٥٤ ، ٥٥ ، والنكت والعيون /٣ - ١٨ ، وتفسير الغوى /٢ - ٤٦ .

<sup>(٧)</sup> في أحكام القرآن ١٠٦٧/٣.

بالقيمة؛ لأن إخوته إن كانوا باعوه فلم يكن قصدهم ما يستفيدونه من ثمنه، وإنما كان قصدهم ما يستفيدون من خلق وجه أبيهم عنه، وإن كان الذين باعوه الواردة، فإنهم أخفقوه مقطعاً، أو قالوا ل أصحابهم: أرسل معنا بضاعة، فرأوا أنهم لم يعطوا عنه ثمناً، وأن ما أخذوا فيه ربح كلّه.

قلت: قوله: وإنما الإشارة فيه إلى أنه لم يستوف ثمنه بالقيمة؛ يدل على أنهم لو أخذوا القيمة فيه كاملة كان ذلك جائزأ. وليس كذلك، فدلل على صحة ما قاله السُّدِّي وغيره؛ لأنهم أوقعوا البيع على نفس لا يجوز بيعها، فلذلك كان لا يحل لهم ثمنه.

وقال عِكرمة والشعبي: قليل<sup>(١)</sup>. وقال ابن حيَّان: رَيْف<sup>(٢)</sup>. وعن ابن عباس وابن مسعود باعوه بعشرين درهماً، أخذ كلًّ واحد من إخوته درهماً، وكانوا عشرة، وقاله قتادة والسُّدِّي. وقال أبو العالية ومقاتل: اثنين وعشرين درهماً، وكانوا أحد عشر، أخذ كلًّ واحد درهماً، وقاله مجاهد. وقال عِكرمة: أربعين درهماً<sup>(٣)</sup>. وما رُوي عن الصحابة أولى. وبخسٍ من نعت «ثمن».

﴿درهماً﴾ على البدل والتفسير له. ويقال: دراهم على أنه جمع درهاماً، وقد يكون اسمًا للجمع عند سيبويه، ويكون أيضاً عنده على أنه مد الكسرة فصارت ياء، وليس هذا مثل مد المقصور؛ لأن مد المقصور لا يجوز عند البصريين في شعر ولا غيره. وأنشد النحويون:

تُنْفَي يَدَاهَا الْحَصَى فِي كُلِّ هَاجِرَةٍ      نَفَيَ الدَّرَاهِيمِ تَنْقَادُ الصَّيَارِيفِ<sup>(٤)</sup>

(١) أخرجه الطبرى ٥٥/١٣.

(٢) أورده البغوى ٤١٦/٢ عن ابن عباس وابن مسعود.

(٣) أخرج هذه الأقوال الطبرى ١٣/٥٦ - ٥٩ ، وينظر التك و العيون ٣/١٨ ، وتفسير البغوى ٢/٤١٦ ، وزاد المسير ٤/١٩٧.

(٤) إعراب القرآن للشحاس ٢/٣٢٠ ، والبيت للفرزدق، وهو في الكتاب ١/٢٨ ، والكامن للمبرد ١/٣٢٩ ، والخزانة ٤/٤٢٦ . ويصف فيه ناقته بسرعة السير في الهاجرة، فيقول: إن يديها لشدة وقوعها في الحصى ينفيانه، فيقع بعضه بعضاً، ويسمع له صليل الدنانير إذ انتقدتها الصَّيَارِيفِ، فنفي رديتها عن جيدها. وخص الهاجرة لتعذر السير فيها. الخزانة.

﴿مَعْدُودَة﴾ نعت، وهذا يدل على أن الأثمان كانت تجري عندهم عدًا لا وزنًا بوزن. وقيل: هو عبارة عن قلة الشمن؛ لأنها دراهم لم تبلغ أن توزن لقلتها، وذلك أنهم كانوا لا يزنون ما كان دون الأوقية، وهي أربعون درهماً<sup>(١)</sup>.

الثانية: قال القاضي ابن العربي<sup>(٢)</sup>: وأصل النقادين الوزن، قال **ﷺ**: «لا تبيعوا الذهب بالذهب، ولا الفضة بالفضة، إلا وزنًا بوزن، من زاد أو ازداد فقد أربى»<sup>(٣)</sup>. والزننة لا فائدة فيها إلا المقدار، فاما عينها فلا منفعة فيه، ولكن جرى فيها العد تخفيفاً عن الخلق لكثره المعاملة، فيشق الوزن، حتى لو ضرب مثاقيل أو دراهم لجاز بيع بعضها بعض عدًا إذا لم يكن بها نقصان ولا رجحان، فإن نقصت عاد الأمر إلى الوزن، ولأجل ذلك كان كسرها أو قرضاها من الفساد في الأرض حسب ما تقدم<sup>(٤)</sup>.

الثالثة: واختلف العلماء في الدرارم والدنانير هل تتبعن أم لا؟ وقد اختلفت الرواية في ذلك عن مالك؛ فذهب أشهب إلى أن ذلك لا يتبعن، وهو الظاهر من قول مالك، وبه قال أبو حنيفة. وذهب ابن القاسم إلى أنها تتبعن، وحكي عن الكرخي، وبه قال الشافعي. وفائدة الخلاف أننا إذا قلنا: لا تتبعن؛ فإذا قال: بعثك هذه الدنانير بهذه الدرارم تعلقت الدنانير بذمة أصحابها، والدرارم بذمة أصحابها، ولو تعينت ثم تلفت لم يتعلق بذمتهم شيئاً، وبطل العقد كبيع الأعيان من العروض وغيرها.

الرابعة: روى عن الحسن بن علي رضي الله عنهما أنه قضى في اللقيط أنه حر، وقرأ: ﴿وَشَرْوَةٌ شَمْنٌ بِعَشْنٍ دَرَاهِمٌ مَعْدُودَة﴾ وقد مضى القول فيه<sup>(٥)</sup>.

(١) النكت والمعبون ١٨/٣ - ١٩ ، والمحرر الوجيز ٣/٢٣٠ .

(٢) في أحكام القرآن ٣/١٠٦٧ .

(٣) أخرجه أحمد (٢٢٧٢٩)، ومسلم (١٥٨٧) بعنوه مطولاً من حديث عبادة بن الصامت **ﷺ**، وفي الباب عن أبي سعيد الخدري **ﷺ** عند أحمد (١١٠٦)، والبخاري (٢١٧٦)، ومسلم (١٥٨٤)، وعن أبي بكر **ﷺ** عند أحمد (٢٠٣٩٥) والبخاري (٢١٧٥) ومسلم (١٥٩٠). وعن أبي هريرة **ﷺ** عند أحمد (٧٥٥٨)، ومسلم (١٥٨٨).

(٤) ٣٨٧ / ٣ ، ص ١٩٥ - ١٩٧ من هذا الجزء.

(٥) ص ٢٦٦ من هذا الجزء، وسلف قول الحسن ثمة.

الخامسة: قوله تعالى: **﴿وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الْزَّاهِدِينَ﴾** قيل: المراد إخوته. وقيل: السيارة. وقيل: الواردة، وعلى أي تقدير فلم يكن عندهم غيظاً، لا عند الإخوة؛ لأن المقصود زواله عن أبيه لا ماله. ولا عند السيارة؛ لقول الإخوة: إنه عبد أبيق منا؛ والزهد قلة الرغبة. ولا عند الواردة؛ لأنهم خافوا اشتراك أصحابهم معهم، ورأوا أن القليل من ثمنه في الانفراد أولى<sup>(١)</sup>.

السادسة: في هذه الآية دليل واضح على جواز شراء الشيء الخطير بالثمن البسيير، ويكون البيع لازماً، ولهذا قال مالك: لو باع دُرّة ذات خطير عظيم بدرهم ثم قال: لم أعلم أنها دُرّة وحسبتها مخشلبة<sup>(٢)</sup> لزمه البيع، ولم يلتفت إلى قوله. وقيل: **﴿وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الْزَّاهِدِينَ﴾** أي: في حُسن؛ لأن الله تعالى وإن أعطى يوسف شظرة الحُسن؛ صرف عنه دواعي نفوس القوم إليه إكراماً له. وقيل: **﴿وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الْزَّاهِدِينَ﴾** لم يعلموا منزلته عند الله تعالى<sup>(٣)</sup>. وحكي سيبويه والكسائي: زهدت وزهدت؛ بكسر الهاء وفتحها<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: **﴿وَقَالَ اللَّهُ أَشَرَّهُ مِنْ مِقْرَرٍ لِأَمْرَأَيْهِ أَكْثَرِي مَتَوْنَهُ عَسَقَ أَنْ يَنْفَعُنَا أَوْ نَنْهَدُمْ وَلَدًا وَكَذَلِكَ مَكَنًا لِيُوْسُفَ فِي الْأَرْضِ وَلَنْعِلَمُهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ وَاللهُ عَالِبٌ عَلَى أَنْتِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ أَنَّا يَنْلَمُونَ ﴾**

قوله تعالى: **﴿وَقَالَ اللَّهُ أَشَرَّهُ مِنْ مِقْرَرٍ لِأَمْرَأَيْهِ أَكْثَرِي مَتَوْنَهُ﴾** قيل: الاشتراء هنا بمعنى الاستبدال، إذ لم يكن ذلك عقداً، مثل: **﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ أَشَرَّوْا أَضَالَّةً بِأَنْهَدَهُ﴾** [البقرة: ٦٦]. وقيل: إنهم ظلّوا في ظاهر الحال اشتراء، فجرى هذا اللفظ

(١) أحكام القرآن لابن العربي ٣/٦٧.

(٢) المخشلبة: كلمة عراقية، ليس على بناها شيء من العربية، وهي تُتخذ من الليف والخرز، أمثلة الحلي. اللسان (شخلب). ولم تتف على قول مالك المذكور.

(٣) أخرجه الطبرى ١٣/٦١ عن الصحاح وابن جرير.

(٤) إعراب القرآن للتح MAS / ٢٣٢٠.

على ظاهر الظن. قال **الضحاك**: هذا الذي اشتراه ملك مصر، ولقبه العزيز. **الشهيلي**<sup>(١)</sup>: واسمه قطفيير. وقال ابن إسحاق: إطفير بن روحب<sup>(٢)</sup>؛ اشتراه لأمرأته راعيل؛ ذكره الماوردي<sup>(٣)</sup>. وقيل: كان اسمها زليخاء، وكان الله ألقى محبة يوسف على قلب العزيز، فأوصى به أهله، ذكره القشيري. وقد ذكر القولين في اسمها **الشعبي**<sup>(٤)</sup> وغيره.

وقال ابن عباس: إنما اشتراه قطفيير وزير ملك مصر، وهو **الريان** بن الوليد. وقيل: الوليد بن **الريان**، وهو رجل من العمالقة<sup>(٥)</sup>. وقيل: هو فرعون موسى<sup>(٦)</sup>، لقول موسى: **وَلَقَدْ جَاءَكُمْ يُوسُفُ مِنْ قَبْلُ يَا بَنِيَّتِي** [غافر: ٣٤]، وأنه عاش أربع مئة سنة. وقيل: فرعون موسى من أولاد فرعون يوسف، على ما يأتي في «غافر» بيانه<sup>(٧)</sup>. وكان هذا العزيز الذي اشتري يوسف على خزائن الملك، واشتري يوسف من مالك بن دُغر بعشرين ديناراً، وزاده حلة ونعلين<sup>(٨)</sup>. وقيل: اشتراه من أهل الرُّفقة. وقيل: تزايدوا في ثمنه فبلغ أضعاف وزنه مسکاً وعنبراً وحريراً وورقاً وذهباً والألمع وجواهر لا يعلم قيمتها إلا الله، فابتاعه قطفيير من مالك بهذا الثمن، قاله وهب بن منبه<sup>(٩)</sup>.

(١) التعريف والإعلام ص ٨٠.

(٢) في تفسير الطبرى ٦١/١٣ ، والوسط للواحدى ٦٠٥/٢ : روحب.

(٣) في النكت والعيون ١٩/٣ ، وأخرجه الطبرى ٦١/١٣ - ٦٢ .

(٤) ذكر الشعبي في عرائض المجالس ص ١٢٠ أن اسمها راعيل، أو بكا بنت فيوش. وذكر الاسمين اللذين أورددهما المصنف رحمة الله ابن عطية في المحرر الوجيز ٣/٢٣١ ، والبغوي في تفسيره ٤١٦ .

(٥) تفسير الطبرى ٦١/١٣ ، والنكت والعيون ١٩/٣ .

(٦) المحرر الوجيز ٣/٢٣٠ ، قال ابن عطية: وهذا ضعيف.

(٧) في تفسير الآية (٣٤)، وينظر تفسير الرازى ١٠٨/١٨ .

(٨) ينظر النكت والعيون ١٩/٣ .

(٩) عرائض المجالس ص ١٢٠ ، وتفسير البغوي ٤١٦/٢ .

وقال وهب أيضاً وغيره: ولما اشتري مالك بن دُغْر يوسف من إخوته كتب بينهم وبينه كتاباً: هذا ما اشتري مالك بن دُغْر منبني يعقوب، وهم فلان وفلان مملوكاً لهم بعشرين درهماً، وقد شرطوا له أنه آبق، وأنه لا ينقلب به إلا مقيداً مسلساً، وأعطاهم على ذلك عهد الله. قال: فوَدُّعُهم يوسف عند ذلك، وجعل يقول: حفظكم الله وإن ضيَّعتموني، نَصَرُكم الله وإن خذلتموني، رَحِمُكم الله وإن لم ترحموني. قالوا: فألقى الأغنام ما في بطونها دماً غَيِّطاً لشدة هذا التوديع، وحملوه على قَتِيبَةِ غير غطاء ولا وطاء، مقيداً مكبلاً مسلساً، فمَرَّ على مقبرة آل كنعان، فرأى قبر أمّه، وقد كان وُكَلَّ به أسود يحرسه، فَعَقَلَ الأسود، فألقى يوسف نفسه على قبر أمّه، فجعل يتعرّج ويتعنق القبر ويضطرب ويقول: يا أمّاه، ارفعي رأسك تَرَيِّن ولدك مكبلاً مقيداً مسلساً مغلولاً، فرقوا بيني وبين والدي، فاسألي الله أن يجمع بيننا في مستقرٍ رحمته، إنه أرحم الراحمين، فتفقدَه الأسود على البعير فلم يره، فقفوا أثرة، فإذا هو بياضٍ على قبر، فتأمّله، فإذا هو إيه، فركضه برجله في التراب ومرّغه وضربه ضرباً وجيناً، فقال له: لا تفعل، والله ما هربت ولا أبقيت، وإنما مررت بقبر أمي فاحببْت أن أرْدِعها، ولن أرجع إلى ما تكرهون، فقال الأسود: والله إنك لعبد سوء، تدعوا أباك مرة وأمّك أخرى! فهلاً كان هذا عند مواليك، فرفع يديه إلى السماء وقال: اللهم إن كانت لي عندك خطيبة أخلفت بها وجهي، فأسألك بحق أبيائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب أن تغفر لي وترحمني. فضجَّت الملائكة في السماء، ونزل جبريلُ فقال له: يا يوسف، غُضْن صوتك، فلقد أبكيت ملائكة السماء، أفتريد أن أُفليَ الأرض فأجعل عاليها سافلها؟ قال: ثبَّت يا جبريل، فإنَّ الله حليم لا يعجل، فضرب الأرض بجناحه فأظلمت، وارتفع الغبار، وكسفت الشمس، وبقيت القافلة لا يعرف بعضها بعضاً، فقال رئيس القافلة: من أحدث منكم حدثاً؟ فإني أسافر منذ كيٍ وكيٍ ما أصابني قط مثل هذا، فقال الأسود: أنا لطمُت ذلك الغلام العبراني، فرفع يده إلى السماء وتكلَّم بكلام لا أعرفه، ولا أشك أنه دعا علينا، فقال له: ما أردتَ

إلا هلاكنا! أيتنا به، فأتأهله، فقال له: يا غلام، لقد لطمسك هذا العبد<sup>(١)</sup>، فجاءنا ما رأيت، فإن كنت تقتضي فاقتص من شئت، وإن كنت تعفو فهو الظن بك، قال: قد عفوت رجاء أن يعفو الله عنِّي، فانجلت الغبرة، وظهرت الشمس، وأضاء مشارق الأرض وغاربها، وجعل التاجر يزوره بالغداة والعشي ويُكرمه، حتى وصل إلى مصر، فاغتسل في نيلها، وأذهب الله عنه كابة السفر، وردد عليه جماله، ودخل به البلد نهاراً، فسطع نوره على الجدران، وأوقفوه للبيع<sup>(٢)</sup>، فاشتراه قطفيرو وزير الملك؛ قاله ابن عباس على ما تقدم<sup>(٣)</sup>.

وقيل: إن هذا الملك لم يمُتْ حتى آمنَ واتَّبع يوسفَ على دينه، ثم مات الملك ويوسف يومئذ على خزائن الأرض، فملك بعده قابوس وكان كافراً، فدعاه يوسف إلى الإسلام فابى<sup>(٤)</sup>.

**﴿أَكْثَرُهُمْ مُنْكِرُهُ﴾** أي: منزله ومقامه بطيب المطعم واللباس الحسن، وهو مأخوذ من ثوى بالمكان، أي: أقام به<sup>(٥)</sup>، وقد تقدم في «آل عمران»<sup>(٦)</sup> وغيره.

**﴿عَسَوْتَ أَنْ يَنْقَعِنَّهُ﴾** أي: يكفيانا بعض المهمات إذا بلغ. **﴿أَوْ نَتَخِذُهُ وَلَدَّا﴾**. قال ابن عباس: كان حصوراً لا يولد له، وكذا قال ابن إسحاق: كان قطفيرو لا يأتي النساء ولا يولد له<sup>(٧)</sup>. فإن قيل: كيف قال: **﴿أَوْ نَتَخِذُهُ وَلَدَّا﴾** وهو ملكه، والولدية مع

(١) قوله: هذا العبد، من (ظ).

(٢) الخبر من الإسرائيлик، وينظر عرائس المجالس للشعلبي ص ١٢٠ - ١١٩ ، والوسط للواحدى ٦٠٥/٢ .

(٣) ص ٢٩٩ من هذا الجزء.

(٤) تفسير الرازي ١٠٨/١٨ .

(٥) تفسير الرازي ١٠٩/١٨ .

(٦) ٣٥٧/٥ .

(٧) قول ابن عباس ذكره الواحدى في الوسيط ٦٠٥/٢ ، والرازي في تفسيره ١٠٩/١٨ دون نسبة. وقول ابن إسحاق أخرجه الطبرى ٦٣/١٣ .

العبدية<sup>(١)</sup> تتناقض؟ قيل له: يُعْتَقُه ثم يَتَخَذِّه ولدًا بالثَّبَّنِي، وكان الثَّبَّنِي في الأَمْ معلومًا عندهم، وكذلك كان في أول الإسلام، على ما يأتي بيانه في «الأحزاب»<sup>(٢)</sup> إن شاء الله تعالى.

وقال عبد الله بن مسعود: أحسن الناس فراسة ثلاثة، العزيز حين تفَرَّسَ في يوسف، فقال: ﴿عَسَوْتَ أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَخَذَّمْ وَلَدَّا﴾، وبينتُ شُعيب حين قالت لأبيها في موسى: ﴿أَسْتَشْجِرُهُ إِنَّكَ خَيْرٌ مِّنْ أَسْتَشْجَرَتِ الْقَوْيُ الْأَمِينُ﴾ [القصص: ٢٦]، وأبو بكر حين استخلفَ عمرَ<sup>(٣)</sup>.

قال ابن العربي<sup>(٤)</sup>: عجبًا للمفسرين في اتفاقهم على جلب هذا الخبر! والفراسة هي علم غيب<sup>(٥)</sup>، على ما يأتي بيانه في سورة الحجر<sup>(٦)</sup>، وليس كذلك فيما نقلوه؛ لأن الصديق إنما ولَّ عمرًا بالتجربة في الأعمال والمواطبة على الصحبة وطُولها، والاطلاع على ما شاهد منه من العلم والمعرفة، وليس ذلك من طريق الفراسة، وأما بنتُ شعيب؛ فكانت معها العالمة البينة على ما يأتي بيانه في «القصص»<sup>(٧)</sup>. وأما أمرُ العزيز فيمكن أن يجعلَ فراسةً؛ لأنَّه لم يكن معه علامٌ ظاهرٌ. والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿وَكَذَّالِكَ مَكَنًا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ﴾ الكاف في موضع نصب، أي: وكما أنقذناه من إخوته ومن الجُبْ؛ وكذلك مكَنَّا له، أي: عَطَّفنا عليه قلبَ الملك الذي اشتراه حتى تمَكَّنَ من الأمر والنهي في البلد الذي المِلْكُ مستولٍ عليه<sup>(٨)</sup>.

(١) في (ظ): والوالدية مع العبودية.

(٢) في تفسير الآيتين (٤) و(٣٧).

(٣) أخرجه الطبرى ٦٤/١٣.

(٤) في أحكام القرآن ٣/١٠٦٨ ، قوله ابن مسعود السالف فيه.

(٥) في (م): غريب، وفي أحكام القرآن لابن العربي: غريب حُدُّه.

(٦) في تفسير الآية (٧٥).

(٧) في تفسير الآية (٢٦).

(٨) إعراب القرآن للتحاسن ٢/٣٢٠ .

**﴿وَلَعِلَّمُهُ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾** أي: فعلنا ذلك تصديقاً لقول يعقوب: **﴿وَيَعْلَمُكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَحَادِيثِ﴾** [يوسف: ٦]. وقيل: المعنى مكتنأ لِتُوحيَ إِلَيْهِ بِكَلَامٍ مَّا، ونَعْلَمُهُ تَأْوِيلَهُ وَتَفْسِيرَهُ، وَتَأْوِيلَ الرُّؤْيَا، وَتَمَّ الْكَلَامُ<sup>(١)</sup>.

**﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَنْوَرِهِ﴾** الهاء راجعة إلى الله تعالى، أي: لا يغلب الله شيء، بل هو الغالب على أمر نفسه فيما يُريده أن يقول له: كُنْ، فَيَكُونُ. وقيل: ترجع إلى يوسف، أي: الله غالب على أمر يوسف يُدبره ويحوطه ولا يُكلِّه إلى غيره، حتى لا يصل إليه كيد كائد<sup>(٢)</sup>.

**﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾** أي: لا يظلمون على غبيه. وقيل: المراد بالأكثر الجميع؛ لأن أحداً لا يعلم الغيب. وقيل: هو مجرى على ظاهره، إذ قد يطلع من يُريد على بعض غبيه. وقيل: المعنى: **﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾** أن الله غالب على أمره، وهم المشركون ومن لا يؤمن بالقدر<sup>(٣)</sup>.

وقالت الحكماء في هذه الآية: **﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَنْوَرِهِ﴾** حيث أمره يعقوب ألا يقصّ رؤياه على إخوته، فغلب أمر الله حتى قصّ، ثم أراد إخوته قتله، فغلب أمر الله حتى صار ملِكًا وسجدوا بين يديه، ثم أراد الإخوة أن يخلُّو لهم وجه أبيهم، فغلب أمر الله حتى ضاق عليهم قلب أبيهم وافتكره بعد سبعين سنة أو ثمانين سنة، فقال: **﴿يَكْأَسَنَ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾** [يوسف: ٨٤]، ثم تدبّروا أن يكونوا من بعده قوماً صالحين، أي: تائبين، فغلب أمر الله حتى نسوا الذنب وأصرّوا عليه حتى أقرّوا بين يدي يوسف في آخر الأمر بعد سبعين سنة، وقالوا لأبيهم: إنّا كُنّا خاطئين، ثم أرادوا أن يخدعوا أباهم بالبكاء والقميص، فغلب أمر الله، فلم ينخدع، وقال: **﴿بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَفْشَكُمْ أَنْوَرًا﴾** [يوسف: ٨٣]، ثم احتالوا في أن تزول محبته من قلب أبيهم، فغلب أمر الله

(١) المصدر السابق.

(٢) الكلام بنحوه في تفسير البغوي ٤١٧/٢ ، وينظر النكت والعيون ٣/٢٠ .

(٣) ينظر الوسيط للواحدي ٦٠٦/٢ .

فازدادت المحبة والشوق في قلبه، ثم دَبَّرت امرأة العزيز أنها إن ابتدأته بالكلام غلبته، فغلب أمرُ الله حتى قال العزيز: «اسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكِ كُنْتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ» [يوسف: ٢٩]، ثم دَبَّرَ يوسف أن يتخلص من السجن بذكر الساقِي، فغلب أمرُ الله فَنَسَى الساقِي، وَلَبِثَ يُوسُفُ فِي السِّجْنِ بِضَعْنَيْنِ<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ، مَا تَبَتَّهُ حَكْمًا وَعَلَمًا وَكَنَّالَكَ نَعْزِي الْمُحَسِّنِينَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ﴾ «أشدّه» عند سيبويه جمع، واحده شِدَّة. وقال الكسائي: واحده شَدَّ، كما قال الشاعر:

عَهْدِي بِهِ شَدَّ النَّهَارِ كَائِنًا خُضِبَ الْبَنَانُ<sup>(٢)</sup> وَرَأْسُهُ بِالْعَظَلِيمِ<sup>(٣)</sup>  
وزعم أبو عبيدة<sup>(٤)</sup> أنه لا واحد له من لفظه عند العرب، ومعناه استكمال القوة، ثم يكون النقصان بعد. وقال مجاهد وقتادة: الأشدُ ثلاثُ وثلاثون سنة. وقال ربيعة وزيد بن أسلم ومالك بن أنس: الأشدُ بلوغ الحُلم<sup>(٥)</sup>، وقد مضى ما للعلماء في هذا في «النساء» و«الأنعام» مستوفى<sup>(٦)</sup>.

﴿مَا تَبَتَّهُ حَكْمًا وَعَلَمًا﴾ قيل: جعلناه المُسْتَوْلِي على الْحُكْمِ، فكان يحكم في سلطان الملك، أي: وَاتَّيْنَا عِلْمًا بِالْحُكْمِ<sup>(٧)</sup>. وقال مجاهد: العقل والفهم والنبوة<sup>(٨)</sup>.

(١) الكلام بعنوان في زاد المسير ٤/١٩٩.

(٢) في (م): الْبَنَانُ، وهي رواية كما في الخزانة ٩/٤٩٢، والْبَنَانُ: الصدر.

(٣) قاله عترة العبسي، وهو في ديوانه ص ٢٧ ، وفيه: مَدَ النَّهَارُ، بدل: شَدَ النَّهَارُ - وهو روايتان كما في الخزانة - وقد أورد البيت بلطف المصنف النحاس في إعراب القرآن ٢/٣٢١ ، والكلام منه، والعظيم: صبغ أحمر. اللسان (عظيم).

(٤) في (د) و(ز) و(ظ) و(م): أبو عبيدة، والمثبت من (ف) وإعراب القرآن للنحاس، وقول أبي عبيدة في كتابه مجاز القرآن ١/٣٥٥.

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٢/٣٢١ ، والأقوال السالفة أخرجها الطبرى ١٣/٦٧ ، وابن أبي حاتم في تفسيره ٧/٢١١٩ - ٢١١٨.

(٦) ٦ - ٦١ (النساء) و ٩ - ١١١ - ١١٢ (الأنعام).

(٧) إعراب القرآن للنحاس ٢/٣٢١ .

(٨) أخرجه الطبرى ١٣/٦٨ وابن أبي حاتم في تفسيره ٧/٢١١٩ ، بلطف: العقل والعلم قبل النبوة.

وقيل: **الحُكْمُ النَّبِيَّةُ**<sup>(١)</sup> ، والعلم علم الدين، وقيل: علم الرؤيا<sup>(٢)</sup> ، ومن قال: أُوتِيَ النَّبِيَّةُ صَيِّدًا قال: لَمَّا بَلَغَ أَشْدَهُ زِدْنَاهُ فَهُمَا وَعْلَمَا.

﴿وَكَذَلِكَ بَهْرَى الْمُحْسِنِينَ﴾ يعني المؤمنين. وقيل: الصابرين على النوائب كما صبر يوسف، قاله الضحاك<sup>(٣)</sup>. وقال الطبرى<sup>(٤)</sup>: هذا وإن كان مخرجه ظاهراً على كل مُحسِن؛ فالمراد به محمد ﷺ، يقول الله تعالى: كما فعلت هذا بيوسف بعد أن قاسى ما قاسى ثم أعطيته ما أعطيته، كذلك أنجيك من مُشركي قومك الذين يقصدونك بالعداوة، وأمكُن لك في الأرض.

قوله تعالى: ﴿وَرَوَدَتْهُ أَلْقَى هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ تَقْسِيمٍ وَغَلَقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ فَالْمَعَادُ إِنَّمَا رَبِّكَ أَخْسَنُ مَتَوَالِيٍّ إِنَّمَا لَا يَقْبِلُهُ الظَّالِمُونَ ۚ وَلَقَدْ هَمَتْ بِهِ وَهُمْ إِلَيْهَا لَوْلَا أَنْ رَعَى بِرْهَنَ رَبِّهِ كَذَلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ الْأُشْوَةَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ ۚ﴾

قوله تعالى: ﴿وَرَوَدَتْهُ أَلْقَى هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ تَقْسِيمٍ﴾ وهي امرأة العزيز، طلبت منه أن يواعدها. وأصل المراودة الإرادة والطلب برفق ولبن. والرُّؤُدُ والرِّيَادُ طلب الكلاً؛ وقيل: هي من رُؤيد؛ يقال: فلان يمشي رُؤيداً، أي: برفق؛ فالمراودة: الرفق في الطلب؛ يقال في الرجل: راوَدَها عن نفسها، وفي المرأة: راوَدَتْهُ عن نفسه. والرُّؤُدُ: الثاني؛ يقال: أرْوَدَني: أمهلني.

﴿وَغَلَقَتِ الْأَبْوَابَ﴾ غلق للتکثیر، ولا يقال: غلق الباب، وأغلق يقع للکثير والقليل، كما قال الغَرَزْدَقُ في أبي عمرو بن العلاء:

ما زلت أغلق أبواباً وأفتحها      حتى أتيت أبا عمرو بن عمّار<sup>(٥)</sup>

(١) آخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢١٢٠ / ٧ عن السدي.

(٢) ينظر النكت والعيون ٣ / ٢١ ، وزاد المسير ٤ / ٢٠١ .

(٣) أورده ابن الجوزي في زاد المسير ٤ / ٢٠١ دون نسبة.

(٤) في تفسيره ١٣ / ٦٩ .

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٢ / ٣٢١ ، والبيت في أدب الكاتب ص ٤٦١ ، والبيان والتبيين ١ / ٣٢١ وهو =

يقال: إنّها كانت سبعة أبواب غلقتها ثم دعته إلى نفسها **(وقالت هيئت لك)**  
أي: هَلْمَ وَأَقِيلُ وَتَعَالَ، ولا مصدر له ولا تصريف<sup>(١)</sup>.

قال النحاس<sup>(٢)</sup>: فيها سبع قراءات، فمن أَجْلٍ ما فيها وأصحه إسناداً ما رواه الأعمش عن أبي وايل قال: سمعت عبد الله بن مسعود يقرأ: **(هيئت لك)** قال: فقلت: إنَّ قوماً يقرؤونها: **(هيئت لك)**، فقال: **(إنما أَقْرَأَ كَمَا عَلِمْتَ)**<sup>(٣)</sup>.

قال أبو جعفر<sup>(٤)</sup>: وبعضهم يقول: عن عبد الله بن مسعود، عن النبي ﷺ، ولا يبعد ذلك؛ لأنَّ قوله: **(إنما أَقْرَأَ كَمَا عَلِمْتَ)**، يدلُّ على أنه مرفوع. وهذه القراءة بفتح التاء والهاء هي الصحيحة من قراءة ابن عباس وسعيد بن جُبير والحسن ومجاهد وعكرمة. وبها قرأ أبو عمرو بن العلاء وعاصم والأعمش وحمزة والكسائي<sup>(٥)</sup>.

قال عبد الله بن مسعود: لا تَنْظَعُوا<sup>(٦)</sup> في القرآن؛ فإنما هو مثل قول أحدكم:  
**هَلْمَ وَتَعَالَ**<sup>(٧)</sup>.

وقرأ ابن أبي إسحاق التخوي<sup>(٨)</sup>: **(وقالت هيئت لك)**؛ بفتح الهاء وكسر التاء. وقرأ

= فيما برؤية: ما زلت أفتح أبواباً وأغلقها. وقد يأتي غلق مع المفرد، فيقال: غلقت الباب، وذلك إذا أغلقت باباً واحداً مراراً، أو أحكت إغلاق باب. مفردات الراغب (غلق).

(١) الوسيط ٦٠٦ / ٢ - ٦٠٧ .

(٢) في إعراب القرآن ٣٢٢ / ٢ .

(٣) أخرجه أبو داود (٤٠٠٤) و(٤٠٠٥)، وقد قيد صاحب بذل المجهود ٣٣٢ / ١٦ «هيئت» الثانية في إحدى الروايتين بكسر الهاء وسكون الياء وضم التاء، والرواية الثانية مثلها ولكن بهمزة بدل الياء، أي: **(هَئَتْ)**. وقد أخرجه مختصرأ البخاري (٤٦٩٢).

(٤) في إعراب القرآن ٣٢٢ / ٢ .

(٥) السبعة ص ٣٤٧ ، والتيسير ص ١٢٨ عن أبي عمرو وحمزة وعاصم والكسائي.

(٦) في (د) و(م): **تقطعوا**.

(٧) معاني القرآن للنحاس ٣ / ٢١٠ ، وأخرجه عبد الرزاق في التفسير ١ / ٣٢٠ ، وابن أبي شيبة ٤٨٨ / ١٠ ، والطبراني ١٢ / ٧٧ . قال ابن الأثير في النهاية (نظم): أراد النهي عن الملاحة في القراءات المختلفة، وأنَّ مرجها إلى وجه واحد من الصواب، كما أن هلم بمعنى تعالى.

أبو عبد الرحمن السُّلْمَيْ وابن كثير: «هَيْثُ لَكَ»؛ بفتح الهاء وضمّ التاء<sup>(١)</sup>؛ قال طرفة:

لِيسْ قومي بِالْأَبْعَدِينَ إِذَا مَا قَالَ دَاعِ مِنَ الْعَشِيرَةِ هَيْثُ<sup>(٢)</sup>  
فَهَذِهِ ثَلَاثُ قِرَاءَاتٍ لِلْهَاءِ فِيهِنَّ مُفْتَوِحَةً.

وقرأ أبو جعفر وشيبة ونافع: «وَقَالَتْ هِيْثُ لَكَ» بكسر الهاء وفتح التاء<sup>(٣)</sup>.  
وقرأ يحيى بن وثاب: «وَقَالَتْ هِيْثُ لَكَ» بكسر الهاء وبعدها ياءٌ ساكنة والتاء مضمومة. وروي عن عليٍّ بن أبي طالب رض وابن عباس ومجاهد وعكرمة: «وَقَالَتْ هِيْثُ لَكَ» بكسر الهاء وبعدها همزة ساكنة والتاء مضمومة<sup>(٤)</sup>.

وعن ابن عامر وأهلِ الشام: «وَقَالَتْ هِتَّ» بكسر الهاء وبالهمزة ويفتح التاء<sup>(٥)</sup>.  
قال أبو جعفر<sup>(٦)</sup>: «هِيْثُ لَكَ» بفتح التاء لالتقاء الساكنين؛ لأنَّ صوتَ نحو: مَهْ وصَهْ، يجب ألا يُغَرِّبُ، والفتح خفيف<sup>(٧)</sup>؛ لأنَّ قبلَ التاء ياءٌ مثل: أينَ وكيفَ. ومن كسر التاء فإنَّما كسرها لأنَّ الأصل الكسر؛ لأنَّ الساكن إذا حركَ حركَ إلى الكسر، ومن ضمَّ فلأنَّ فيه معنى الغاية، أي: قالت: دعائي لك، فلما حُذفت الإضافة بُني على الضم، مثل: حيثُ وبعدُ.

وقراءة أهل المدينة فيها قولان: أحدهما: أن يكون الفتح لالتقاء الساكنين كما

(١) إعراب القرآن للنحاس ٣٢٢/٢ ، وقراءة ابن كثير في السبعة ص ٣٤٧ ، والتبسيير ص ١٢٨ ، وقراءة ابن أبي إسحاق في المحتسب ١/٣٣٧ .

(٢) ديوان طرفة ص ١٤٣ .

(٣) السبعة ص ٣٤٧ ، والتبسيير ص ١٢٨ ، والنشر ٢/٢٩٣ عن نافع وأبي جعفر وابن ذكوان راوي ابن عامر.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٣٢١/٢ ، وقراءة علي وابن عباس - رض - في المحتسب ١/٣٣٧ .

(٥) السبعة ص ٣٤٧ ، والتبسيير ص ١٢٨ وهي من روایة هشام عن ابن عامر.

(٦) هو النحاس، وكلامه في إعراب القرآن ٣٢٢/٢ ، وما قبله منه.

(٧) إلى هذا الموضع كلام النحاس، وما بعده من معاني القرآن للزجاج ٣/١٠٠ .

مرأة. والأآخر: أن يكون فعلاً من: هاء يَهِيء، مثل: جاء يجيء. فيكون المعنى في «هيَت» أي: حُسْنَتْ هَيْثَتْك [وخفف الهمزة]، ويكون «لَكَ» من كلام آخر، كما تقول: لك أعني<sup>(١)</sup>.

ومن هَمَزَ وضمَّ التاء فهو فَعَلٌ بمعنى: تهَيَّأْتَ لك، وكذلك من قرأ: «هيَتْ لَكَ». وأنكر أبو عمرو هذه القراءة؛ قال أبو عبيدة مَعْمَرُ بْنُ الْمُتَّهِنِ<sup>(٢)</sup>: سئل أبو عمرو عن قراءةٍ من قرأ بكسر الهاء وضمَّ التاء مهْموزاً، فقال أبو عمرو: باطل، جَعَلَهَا من تهَيَّأْتَ، اذهب فاستَغْرِضَ العَرَبَ حتى تنتهي إلى اليمن؛ هل تعرَفُ أحداً يقول هذا؟ وقال الكسائي أيضاً: لم تُحَكِّ «هيَتْ» عن العرب. قال عَكْرَمَةُ: «هَيْثَتْ لَكَ» أي: تهَيَّأْتَ لك وتَزَيَّنْتَ وتحَسَّنْتُ<sup>(٣)</sup>، وهي قراءةٌ غير مَرْضِيَّةٌ؛ لأنَّها لم تُسمع في العربية. قال النحاس<sup>(٤)</sup>: وهي جيُدة عند البَصَرِيِّينَ؛ لأنَّه يقال: هاءُ الرَّجُلُ يَهَاءُ وَيَهِيءُ هَيْتَةً، فهاء يَهِيء مثل جاء يجيء، وهَيْثَتْ مثل: جَهَتْ. وكسرُ الهاء في «هيَتْ» لغة لقوم يُؤثِرونَ كسرَ الهاء على فتحها.

قال الزجاج<sup>(٥)</sup>: أجود القراءات: «هيَتْ» بفتح الهاء والتاء. قال طرفة: ليس قومي بالأنبعادرین إذا ما قال داعٍ من العشيرة هَيْتُ<sup>(٦)</sup>

(١) إعراب القرآن للنحاس ٢/٣٢٢ - ٣٢٣ ، وما سلف بين حاصلتين منه. وكذلك القول في «هَيْثَتْ» التي بالهمز وفتح التاء. الدر المصنون ٦/٤٦٤ - ٤٦٥ .

(٢) في مجاز القرآن ١/٣٠٦ - ٣٠٧ .

(٣) قول عَكْرَمَةَ وقول الكسائي أخرجهما الطبرى ١٣/٧٥ و ٧٦ .

(٤) في معاني القرآن ٣/٤١٠ .

(٥) في معاني القرآن ٣/١٠٠ .

(٦) سلف هذا البيت قريباً، ووقع بعده في (م): بفتح الهاء والتاء. ولكن ذكر هذا البيت في هذا الموضع وهم من المصنف رحمة الله، فقد ذكر الزجاج في هذا الموضع البيتين اللذين سيردان بعده في علي<sup>ؑ</sup>، ثم قال: وحكي قطرب أنه أنشده بعض أهل الحجاز لطرفة...، شاهداً على قراءة «هيَتْ» بضم التاء، ويدل على ذلك أنه قرن به بيتاً آخر من نفس القصيدة والتي هي بضم التاء في التافية.

وقال الشاعر في علي بن أبي طالب ﷺ:

**أَبْلَغَ أَمِيرَ الْمُؤْمِنِينَ      يَنَّ أَخَا الْعَرَاقِ إِذَا أَتَيْتَ  
أَنَّ الْعَرَاقَ وَأَهْلَهُ      سَلْمٌ إِلَيْكَ فَهَنِئْتَ هَنِيْتَ<sup>(١)</sup>**

قال ابن عباس والحسن: «هيت» كلمة بالسريانية؛ تدعوه إلى نفسها<sup>(٢)</sup>. وقال السُّدِّيُّ: معناها بالقبطية: هلْم لك<sup>(٣)</sup>.

قال أبو عبيد: كان الكسائي يقول: هي لغة لأهل حوران وقعت إلى أهل الحجاز، معناه: تعال. قال أبو عبيد: فسألت شيخاً عالماً من حوران، فذكر أنها لغتهم<sup>(٤)</sup>. وبه قال عكرمة<sup>(٥)</sup>.

وقال مجاهد وغيره: هي لغة عربية تدعوه بها إلى نفسها، وهي كلمة حثٌ وإقبالٌ على الأشياء<sup>(٦)</sup>.

قال الجوهرى<sup>(٧)</sup>: يقال: هَوَّتْ بِهِ وَهَيَّتْ بِهِ: إذا صاح به ودعاه. قال:  
**فَدَرَابَنِي أَنَّ الْكَرِيَّ أَسْكَنَ      لَوْ كَانَ مَغْنِيَّاً بِهَا لَهَيَّتَ<sup>(٨)</sup>**

(١) مجاز القرآن ٣٠٥/١ ومعاني القرآن للزجاج ٣/١٠٠ ، وتفسير الطبرى ١٣/٧٠ ، والحججة للفارسى ٤/٤١٧ ، والصحاح (هيت)، ونسبة الطبرى في التاريخ ٤/٥٦٤ لرجل من أهل العراق، وروايته في المصادر: عُنْ، بدل: سلم. ومعنى عُنْ، أي: أقبلوا إليك بجماعتهم، وقيل: هم مائلون إليك ومتظرون. اللسان (عنق)، والبيتان فيه.

(٢) النكت والعيون ٣/٢٣ ، وزاد المسير ٤/٢٠٣ ، وأخرجه الطبرى ١٣/٧٢ ، جميعهم عن الحسن، ولم تقف عليه عن ابن عباس.

(٣) أخرجه الطبرى ١٣/٧٢.

(٤) أخرجه الطبرى ١٣/٧٤.

(٥) علقة البخارى قبل الحديث (٤٦٩٢)، ووصله الطبرى ١٣/٧٢ من طريق عكرمة عن ابن عباس.

(٦) تفسير البغوي ٢/٤١٧ ، وأخرجه الطبرى ١٣/٧٣.

(٧) في الصحاح (هيت).

(٨) الحجة للفارسى ٤/٤١٨ ، والصحاح (هيت)، والفاق ٢/٣١٥ . ونسبة الفارسى لبعض البغداديين.

أي: صاح. وقال آخر:

**يَخْدُو بِهَا كُلُّ فَتَنَ هَيَّاتٍ<sup>(١)</sup>**

قوله تعالى: **﴿قَالَ مَعَاذَ اللَّهُ﴾** أي: أعوذ بالله وأستجير به مما دعوتني إليه، وهو مصدر، أي: أعوذ بالله معاذًا، فيُحذف المفعول<sup>(٢)</sup> وينتصب المصدر بالفعل الممحذوف، ويضاف المصدر إلى اسم الله كما يضاف المصدر إلى المفعول، كما تقول: مررت بزيد مروء عمرو، أي: كمروري بعمرو.

**﴿إِنَّمَا رَقَّ﴾** يعني زوجها، أي: هو سيدى، أكرمني فلا أخونه؛ قاله مجاهد وابن إسحاق والسدى<sup>(٣)</sup>. وقال الزجاج: أي إن الله ربّي تولاني بلطفه؛ فلا أركب ما حرمه<sup>(٤)</sup>. **﴿إِنَّمَا لَا يُقْلِعُ الظَّالِمُونَ﴾**.

وفي الخبر أنها قالت له: يا يوسف، ما أحسن صورة وجهك! قال: في الرجم صورني ربّي. قالت: يا يوسف، ما أحسن شعرك! قال: هو أول شيء يتبلى مني في قبري. قالت: يا يوسف، ما أحسن عينيك! قال: بهما أنظر إلى ربّي. قالت: يا يوسف، ارفع بصرك فانظر في وجهي، قال: إنّي أخاف العمى في آخرتي. قالت: يا يوسف، أدنو منك وتتباعد مني؟! قال: أريد بذلك القرب من ربّي. قالت: يا يوسف، القبطون فرشته لك فادخل معى، قال: القبطون لا يسترني من ربّي. قالت: يا يوسف، فراش الحرير قد فرشته لك، قم فاقض حاجتي، قال: إذاً يذهب من الجنة نصبي. إلى غير ذلك من كلامها وهو يُراجعها إلى أنّ هم بها<sup>(٥)</sup>.

(١) هو في الصحاح (هيت)، وأساس البلاغة (هيت).

(٢) في (ظ): في حذف الفعل.

(٣) النكت والعيون ٣/٢٣ ، وأخرج قولهم الطبرى ١٣/٧٨ - ٧٩ . قال البغوى ٤١٨/٢ : هذا قول أكثر المفسرين.

(٤) كذا ذكر المصطف وكذلك نقل الماوردي في النكت والعيون ٣/٢٣ عن الزجاج، والذي في معاني القرآن للزجاج ١٠١/٣ : **﴿إِنَّمَا رَقَّ﴾** أي: إن العزيز صاحب... فيكون هذا القول كالذى قبله.

(٥) نوادر الأصول ص ٢٤٩ ، والوسط ٦٠٧/٢ ، وأخرجه الطبرى ١٣/٨٠ مختصرًا عن السدى .

وقد ذكر بعضهم: ما زال النساء يمُلُّن إلى يوسف مِنْ شهوة حتى نبأه الله، فألقى عليه هيبة النبوة، فشَغلَتْ هيبته كُلَّ مَنْ رأه عن حُسْنه.

واختلف العلماء في همّه، ولا خلاف أنَّ همها كان المعصية، وأماماً يوسف فهم بها ﴿لَوْلَا أَنْ رَأَاهُ بُرْهَنَ رَبِّهِ﴾ ولكن لِمَا رأى البرهانَ ما هم؛ وهذا لوجوب العصمة للأنبياء؛ قال الله تعالى: ﴿كَذَلِكَ لِنَصْرَفَ عَنَّهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّمَا مِنْ عِبَادَنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ فإذاً في الكلام تقديمٌ وتأخيرٌ، أي: لو لا أنَّ رأى برهانَ ربِّه همَ بها<sup>(١)</sup>.

قال أبو حاتم: كنت أقرأ غريب القرآن على أبي عبيدة، فلما أتيتُ على قوله: ﴿وَلَقَدْ هَمَتْ بِهِ وَهُمْ بِهَا﴾ الآية، قال أبو عبيدة: هذا على التقديم والتأخير. كأنه أراد: ولقد همَتْ به، ولو لا أنَّ رأى برهانَ ربِّه لهمَ بها [أي: لم يهمَ بها]<sup>(٢)</sup>.

وقال أحمد بن يحيى: أي: همَتْ زليخاء بالمعصية وكانت مُصرَّةً، وهو يوسف ولم ي الواقع ما همَ به؛ في حين الهمَين فرق<sup>(٣)</sup>، ذكر هذين القولين الheroئي في كتابه. قال جميل:

هَمَمْتُ بِهِمْ مِنْ بُشَيْنَةَ لَوْ بَدَا شَفِيتُ غَلَيلَاتِ الْهَوَى مِنْ قُوَادِيَا<sup>(٤)</sup>

آخر:

هَمَمْتُ وَلَمْ أَفْعَلْ وَكَدْتُ وَلِيَتْنِي تَرَكْتُ عَلَى عَثْمَانَ تَبْكِي حَلَائِلَه<sup>(٥)</sup>

= والقططون: المخدع بلغة أهل مصر. الصحاح (قطن). قوله آخر الخبر: همَ بها، لا يلتفت إليه، لأن الله تعالى قال: ﴿وَهُمْ بِهَا لَوْلَا أَنْ رَأَاهُ بُرْهَنَ رَبِّهِ﴾ فامتنع لهم لوجود البرهان، كما سيرد.

(١) إيضاح الوقف والابتداء لأبي بكر الأنباري ٢/٧٢١ ، والأضداد له ص ٤١٢ ، والمكتفى في الوقف والابتداء للداني ص ٣٢٥ ، وتفسير البغوي ٢/٤١٨ . قال ابن الأنباري: فالوقف في هذا المذهب على: ﴿وَلَقَدْ هَمَتْ بِهِ﴾.

(٢) القطع والاشتاف للتحاس ١/٣٣١ ، وما بين حاضرتين منه.

(٣) تهذيب اللغة ٥/٣٨٢ ، والوسط ٢/٦٠٨ ، وأحمد بن يحيى هو ثعلب.

(٤) ذكره الماوردي في الكتب والعيون ٣/٢٤ .

(٥) قائله ضابن بن الحارث البرجُميُّ، كما في الأضداد لأبي بكر الأنباري ص ٤١١ ، وطبقات فحول الشعراء ١/١٧٤ ، والحزانة ٩/٣٢٣ . وكان قد هم بقتل عثمان<sup>رض</sup>، فأعلم بذلك، فضربه وحبسه وفي ذلك قال الآيات التي منها هذا البيت الحزانة ٩/٣٢٦ .

فهذا كُلُّ حديثٍ نفسٍ من غير عزم.

وقيل: هم بها: تمنى زوجيتها<sup>(١)</sup>.

وقيل: هم بها، أي: بضربيها ودفعها عن نفسه، والبرهان كفه عن الضرب؛ إذ لو ضربها لأوهام أنه قصدها بالحرام، فامتنعت، فضربيها<sup>(٢)</sup>.

وقيل: إن هم يوسف كان معصية، وأنه جلس منها مجلسَ الرجل من أمراته. وإلى هذا القول ذهب معظم المفسرين وعامتهم، فيما ذكر القشيري أبو نصر، وأبن الأنباري والنحاس والماوردي وغيرهم<sup>(٣)</sup>؛ قال ابن عباس: حلَّ الهميان وجلس منها مجلس الخاتن، وعنده: استلقت على قفاهما، وقعد بين رجليهما يتنزع ثيابه. وقال سعيد ابن جبير: أطلق تكَّة سراويله. وقال مجاهد: حلَّ السراويل حتى بلغ الأليتين، وجلس منها مجلسَ الرجل من امرأته<sup>(٤)</sup>.

قال ابن عباس: ولما قال: **﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمْ أَنِّي لَمْ أَخْتُنْ بِالنَّسِيبِ﴾** قال له جبريل: ولا حين هَمَمْتَ بها يا يوسف؟ فقال عند ذلك: **﴿وَمَا أَبْرَئُ نَسِيبَ﴾**<sup>(٥)</sup>. قالوا: والانكفاء

(١) ذكره الشعبي في عرائض المجالس ص ١٢٢ عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٢) الأضداد لابن الأنباري ص ١١.

(٣) الأضداد ص ٤١٢ ، ومعاني القرآن للنحاس ٤١١/٣ ، والنكت والعيون ٣/٢٥ .

(٤) أخرج هذه الأقوال الطبرى ١٣ / ٨٢ - ٨٥ وكلها من الإسراطيليات المكنوية. قال أبو حيان في البحر ٢٩٥/٥ : طوَّل المفسرون في تفسير هذين الهميَّن، ونسب بعضهم ليوسف ما لا يجوز نسبته لآحاد الفساق، والذي اختاره أن يوسف لم يقع منه هم البتة، بل هو منفيٌ لوجود رؤية البرهان، كما تقول: لقد قارت لولا أن عصمت الله... وأما آثار السلف فنعتقد أنه لا يصح عن أحد منهم شيء من ذلك؛ لأنها آثار متكاذبة ينافق بعضها بعضاً، مع كونها قادحة في بعض فساق المسلمين فضلاً عن المقطوع لهم بالعصمة، والذي روی عن السلف لا يساعد عليه كلام العرب؛ لأنهم قدروا جواب «لولا» محدوداً ولا يدل عليه دليلاً... إلى آخر كلامه. وذكر الألوسي في روح المعانى ٢١٥/١٢ عن الطيبي قوله: وجُل هذه الروايات بل كلها مأخوذة من مسألة أهل الكتاب.

(٥) أخرجه الحارث (٧١٦) (بغية الباحث)، والطبرى ١٣ / ٢١٠ ، والبيهقي في الشعب (٧٢٩٠). قال الحارث: لا يصح، والأنبياء معصومون قبل البعثة وبعدها. اهـ. ثم إن سياق الآية يردُ الخبر فإن قوله: **﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمْ أَنِّي لَمْ أَخْتُنْ بِالنَّسِيبِ﴾ ... ﴿وَمَا أَبْرَئُ نَسِيبَ﴾**... مما حکاه الله تعالى عن امرأة العزيز وليس هو من كلام يوسف، إذ لم يكن يوسف عليه السلام عندهم، بل بعد ذلك أحضره الملك. ذكر ذلك ابن كثير في تفسيره.

في مثل هذه الحالة دالٌ على الإخلاص، وأعظمُ للثواب.

قلت: وهذا كان سبب ثناء الله تعالى على ذي الكِفل، حَسْبَ ما يأتي بيانه في  
(ص) إن شاء الله تعالى<sup>(١)</sup>.

وجوابُ «الولا» على هذا محدود، أي: لو لا أن رأى برهان رَبِّه لَأمضى ما هُمْ  
به<sup>(٢)</sup>، ومثله: ﴿كَلَّا لَوْ تَعْلَمُونَ عِلْمَ الْيَقِينِ﴾ [التكاثر: ٥] وجوابه: لم تتنافسا.

قال ابن عطية<sup>(٣)</sup>: روي هذا القول عن ابن عباس وجماعة من السَّلْفِ، وقالوا:  
الحكمةُ في ذلك أن يكون مثلاً للمذنبين ليروا أن توبتهم ترجع [بهم] إلى عفو الله  
تعالى، كما رجعت بمن<sup>(٤)</sup> هو خيرٌ منهم، ولم يُؤْيقه الْقُرْبُ من الذنب، وهذا كله  
على أنَّ هُمْ يوسف بلغ فيما روت هذه الفرقَةُ إلى أن جلس بين رجلَي زليخاء، وأخذ  
في حل ثيابه ورثثه ونحو ذلك، وهي قد استلقت له. حكاه الطبرى<sup>(٥)</sup>.

وقال أبو عبيد القاسم بن سَلَام: وابن عباس ومن دونه لا يختلفون في أنه هُمْ  
بها، وهم أعلم بالله وبتأويل كتابه، وأشدُّ تعظيمًا للأنبياء من أن يتكلّموا فيهم بغير  
علم. وقال الحسن: إنَّ الله عَزَّ وجلَّ لم يذكر معااصي الأنبياء ليغيرهم بها، ولكنه  
ذَكَرَها لكيلا تيأسوا من التوبة<sup>(٦)</sup>.

قال الغزَّانِيُّ: مع أنَّ لزلَّةَ الأنبياء حِكْمَةً: زيادةَ الوجَلِ، وشدةَ الحياةِ بالخجل،  
والتخلي عن غُرْبِ العمل، والتلذذ بنعمَة العفو بعد الأمل، وكونَهم أئمَّةً رجاءً أهلَ  
الزلل.

(١) لم يذكر المصنف في قصته شيئاً في (ص)، وذكرها في تفسير سورة الأنبياء، الآية (٨٥).

(٢) معاني القرآن للزجاجج ١٠١ / ٣ .

(٣) في المحرر الوجيز ٣ / ٢٢٣ - ٢٢٤ ، وما سيرد بين حاضرتي منه.

(٤) في (ظ) (ف): من، وفي باقي النسخ: من، والمثبت من المحرر الوجيز.

(٥) ينظر تفسير الطبرى ١٣ / ٨٠ - ٨٦ .

(٦) معاني القرآن للنحاس ٣ / ٤١٣ - ٤١٤ ، وكلام أبي عبيد، يمكن أن يسلم به؛ فيما لو صحت تلك الروايات، وهيهات هيهات!

قال القُشيريُّ أبو نصر: وقال قوم: جرى من يوسف هم، وكان ذلك الهم حركة طبيعٍ من غير تصميم للعقد على الفعل، وما كان من هذا القبيل لا يؤاخذ<sup>(١)</sup> به العبد، وقد يخطر بقلب المرأة وهو صائم شرب الماء البارد، وتناول الطعام اللذيد، فإذا لم يأكل ولم يشرب، ولم يضم عزمه على الأكل والشرب، لا يؤاخذ بما هاجس في النفس، والبرهان صرفة عن هذا الهم حتى لم يصيِّر عزماً مصمماً.

قلت: هذا قولٌ حسن. وممن قال به الحسن.

قال ابن عطية<sup>(٢)</sup>: الذي أقول به في هذه الآية: إنَّ كونَ يوسف نبياً في وقتٍ هذه النازلة لم يصحَّ، ولا تظاهرت به رواية، وإذا كان كذلك، فهو مؤمنٌ قد أوتيَ حكماً وعلماً، ويجوز عليه الهمُ الذي هو إرادةُ الشيء دون مُوافعته، وأن يستصحب الخاطر الرديء على ما في ذلك من الخطيئة، وإن فرضناه نبياً في ذلك الوقت، فلا يجوز عليه عندي إلَّا الهمُ الذي هو خاطر، ولا يصحُّ عليه شيءٌ مما ذكر من حلٍّ تَكْتَه ونحوه؛ لأنَّ العصمة مع النبوة. وما روی من أَنَّه قيل له: تكونُ في ديوان الأنبياء وتَقْعُلُ فَعُلَّ. السفهاء؟!<sup>(٣)</sup> فإنما معناه العِدَّة بالنبوة فيما بعد.

قلت: ما ذكره من التفصيل صحيح، لكنَّ قوله تعالى: «وَأَرْجَيْنَا إِلَيْهِ» يدلُّ على أنه كان نبياً على ما ذكرناه، وهو قولُ جماعة من العلماء، وإذا كان نبياً فلم يبقَ إلَّا أن يكون الهمُ الذي همَّ به ما يَحْخُطُ في النفس ولا يَثْبُتُ في الصدر، وهو الذي رفع الله فيه المُؤَاخِذَة عن الخلق؛ إذ لا قدرة للمكْلَف على دفعه، ويكون قوله: «وَمَا أَبْرَئُ نَفْسَنِي» - إنَّ كأن من قول يوسف - أي: مِنْ هذا الهم، أو يكون ذلك منه على طريق التواضع والاعتراف بمخالفة<sup>(٤)</sup> النفس لِمَا زُكِّيَ به قبلُ وُبُرِّئَ؛ وقد أخبر الله تعالى

(١) في (م): يؤخذ.

(٢) في المحرر الوجيز ٣/٢٣٤ .

(٣) آخرجه الطبرى ٨٩/١٣ - ٩٠ عن قتادة، وأخرجه الشعبي في العرائس ص ١٢٢ عن ابن عباس مطولاً، وسيذكره المصنف قريباً في تفسير قوله تعالى: «لَوْلَا أَنَّ رَبَّنِيَّ بِرَبِّنَيْ».

(٤) في النسخ: لمخالفة، والمثبت من الشفاعة للقاضي عياض ٢/٣٧٥ ، والكلام منه.

عن حال يوسف من حين بلوغه فقال: ﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشْدَهُ، مَا تَبَيَّنَتْ حُكْمًا وَعِلْمًا﴾ [يوسف: ٢٢] على ما تقدّم بيانه، وخبر الله تعالى صدق، ووضفه صحيح، وكلامه حق، فقد عمل يوسف بما علّمه الله من تحريم الزنى ومقدماته، وخيانة السيد والجار والأجنبي في أهله، فما تعرّض لامرأة العزيز، ولا أجاب إلى المراودة، بل أدبر عنها وفرّ منها؛ حكمة خُصّ بها، وعملاً بمقتضى ما علّمه الله<sup>(١)</sup>.

وفي «صحيح» مسلم عن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «قالت الملائكة: رب ذاك عبدك يريده أن يعمل سيئة، وهو أنصر به، فقال: ارقبوه، فإن عملها فاكتبوها له بيميلها، وإن تركوها فاكتبوها له حسنة؛ إنما تركها من جرأي»<sup>(٢)</sup>.

وقال عليه الصلاة والسلام مُخِيراً عن ربّه: «إذا همْ عبدي بسيئة فلن يغفلها، كُتب حسنة»<sup>(٣)</sup> فإنّ كان ما يهُمُّ به العبد من السيئة يُكتب له بتركها حسنة؛ فلا ذنب. وفي الصحيح: «إن الله تجاوز لأمتى عما حدثت به أنفسها ما لم تَعْمَلْ أو تَكَلَّمْ به» وقد تقدّم<sup>(٤)</sup>.

قال ابن العربي<sup>(٥)</sup>: كان بمدينة السلام إماماً من أئمة الصوفية - وأي إمام - يُعرف بابن عطاء، تكلّم يوماً على يوسف وأخباره حتى ذكر تبرّته مما نسب إليه من مكروه،

(١) أحكام القرآن لابن العربي /٣ ١٠٧٠ . وقال أيضاً: وهذا يطمئن وجوه الجهلة من الناس، والقلة من العلماء في نسبتهم إليه ما لا يليق به، وأقل ما اقتحموا من ذلك أنه هتك السراويل، وهم بالفتوك فيما رأوه من تأويل، وحاش لله ما علّمته عليه من سوء، بل أبهى مما براء الله منه... فما لهؤلاء المفسرين لا يكادون يفهّمون حديثاً، ويقولون: فعل وفعل، والله إنما قال: هم بها. اهـ. وقد استفاض الإمام الرازي رحمه الله في تفسيره ١١٥ /١٨ - ١٢٠ في الكلام على هذه المسألة، وفي إثبات العصمة ليوسف عليه السلام مما نسب إليه، وذكر أن أصحاب هذه المقالة ما ذكروا آية يحتاج بها، ولا حديثاً صحيحاً يعوّل عليه في تصحيح مقالتهم.

(٢) صحيح مسلم (١٢٩)، وهو عند أحمد (٨٢١٩). قوله: «من جرّاي» أي: من أجلي. المفهم /١ ٣٤٢ .

(٣) أخرجه مطولاً أحمد (٧٢٩٦)، والبخاري (٧٥٠١) من حديث أبي هريرة ﷺ. وأخرجه مسلم (١٣١) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) ٤٨٧ /٤ .

(٥) في أحكام القرآن /٣ ١٠٧٠ - ١٠٧١ .

فقام رجلٌ من آخر مجلسه - وهو مشحونٌ بالخليقة من كل طائفه - فقال: يا شيخ، يا سيدنا، فإذاً يوسف هم وما تم؟ قال: نعم، لأنَّ العناية من ثم. فانظر إلى حلاوة العالم والمتعلم، وانظر إلى فطنة العامي في سؤاله، وجواب العالم في اختصاره واستيفائه؛ ولذلك قال علماء الصوفية: إنَّ فائدة قوله: **﴿وَلَنَا بَأْنَ أَشْدَهُ، وَإِبْتَهَ حَكْمًا وَظِلْمًا﴾** إنما أعطاه ذلك إثباتاً عَلَيْهِ الشهوة لتكون له سبباً للعصمة.

قلت: وإذا تقررت عصمتُه وبرأته ببناء الله تعالى عليه، فلا يصح ما قال مُضَعَّب ابن عثمان: إنَّ سليمان بن يسار كان من أحسن الناس وجهها، فاشتاقته امرأة، فسامته نفسها، فامتنع عليها وذَكَرَها، فقالت: إن لم تفعل لأشهرُنك. فخرج وتركها، فرأى في منامه يوسف الصديق عليه السلام جالساً فقال: أنت يوسف؟ فقال: أنا يوسف الذي هممْتُ، وأنت سليمانُ الذي لم تَهْمِ (١). فإنَّ هذا يقتضي أن تكون درجة الولاية أرفع من درجة النبوة، وهو محال؛ ولو قدرنا يوسف غيرَنبيٍ فدرجته الولاية، فيكون محفوظاً كهو، ولو غلقت على سليمان الأبوابُ، وررَوج في المقال والخطاب، والكلام والجواب، مع طول الصحبة، لخيف عليه الفتنة وعظيم المحنَّة، والله أعلم. قوله تعالى: **﴿لَوْلَا أَنْ زَمَّا بِرْهَنَ رَبِّهِ﴾** «أن» في موضع رفع، أي: لولا رؤية برهانِ ربِّهِ، والجواب محنون لعلمِ السامِع (٢)، أي: لكان ما كان. وهذا البرهانُ غيرُ مذكور في القرآن؛ فروي عن علي بن أبي طالب **ﷺ** أنَّ زليخاء قامت إلى صنمٍ مكْلُلٍ بالدُّرِّ والياقوت في زاوية البيت فسترته بثوب، فقال: ما تصنعين؟ قالت: أستحي من إلهي هذا أن يراني في هذه الصورة، فقال يوسف: أنا أُؤْلَى أن أستحي من الله (٣).

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية ١٩٠ - ١٩١ ، والبيهقي في الشعب (٧١١١) و(٧٢٨٠)، وإسناده منقطع كما ذكر الذهبي في السير ٤٤٤ / ٤ .

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٣٢٣ / ٢ .

(٣) أخرجه عن علي **ﷺ** أبو نعيم في الحلية ١٨١ / ٣ . وأخرجه الثعلبي في العرائس ص ١٢٣ عن علي بن الحسين، وكذا ذكره البغوي في التفسير ٤٢٠ / ٤٢١ - ٤٢٣ ، عن علي بن الحسين.

وهذا أحسن ما قيل فيه؛ لأنَّ فيه إقامة الدليل.

وقيل: رأى مكتوباً في سقف البيت ﴿وَلَا تَقْرِبُوا الْزَقْرَ إِنَّهُ كَانَ فَجَحَشَةً وَسَاءَ سِيَلاً﴾ [الإسراء: ٣٢] <sup>(١)</sup>.

وقال ابن عباس: بَدَثَ كَفُّ مَكْتُوبٍ عَلَيْهَا: ﴿وَلَئِنْ عَيْتُمُ لَكُوفَظِينَ﴾ [الأنفال: ١٠] <sup>(٢)</sup>.

وقال قوم: تذَكَّرَ عَهْدَ اللَّهِ وَمِيثَاقَهُ.

وقيل: نودي يا يوسف! أنت مكتوب في ديوان الأنبياء، وتعمل عمل السفهاء؟! <sup>(٣)</sup>

وقيل: رأى صورَةً يعقوبَ على الجدران <sup>(٤)</sup> عاصِياً على أنمِلته يتوَعَّدُهُ، فسكنَ، وخرجت شهوتُه من أنامله. قاله قَتَادَةُ ومجاحدُ والحسنُ والضحاكُ وأبو صالحُ وسعيدُ ابن جُبَير <sup>(٥)</sup>.

وروى الأعمش عن مجاهد قال: حلَّ سراويلَه، فتَمَثَّلَ له يعقوبُ فقال له: يا يوسف! فوَلَى هارباً. وروى سفيان، عن أبي حصين، عن سعيد بن جُبَير قال: مَثَّلَ له يعقوبُ، فضرب صدره، فخرجت شهوتُه من أنامله <sup>(٦)</sup>. قال مجاهد: فولد لكلٍ واحدٍ من أولاد يعقوب اثنا عشر ذكراً، إِلَّا يوسف لم يولد له إِلَّا غلامان، ونقص بذلك

(١) أخرجه الطبرى ٩٨/١٣ عن محمد بن كعب القرطى.

(٢) أخرجه مطرولاً الثعلبى في العرائس ص ١٢٢ ، والواحدى في الوسيط ٦٠٨/٢ من حديث ابن عباس رضى الله عنهما.

(٣) سلف ص ٣١٤ من هذا الجزء عن ابن عباس وقَتَادَةَ.

(٤) في (ز) و(ظ): الجدار.

(٥) أخرج قولهم الطبرى ١٣/٩٠ - ٩٧ .

(٦) ذكر الخبرين التحامس في معاني القرآن ٤١٢/٣ ، وخبر سعيد بن جبیر أخرجه الطبرى ٩١/١٣ و ٩٢ . قال أبو حيان في البحر ٥/٢٩٥ : والبرهان الذي رأه يوسف هو ما آتاه الله من العلم الدال على تحريم ما حرمه الله.

الشهوة ولده<sup>(١)</sup>.

وقيل غير هذا. وبالجملة: فذلك البرهان آية من آيات الله، أراها الله يوسف حتى قوي إيمانه، وامتنع عن المعصية.

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ لَنْ تُنْصِرَ عَنِّهِ أَشْوَاءُ وَالْفَحْشَاءُ﴾ الكاف من «كذلك» يجوز أن تكون رفعاً، بأن يكون خبر ابتداء ممحون، التقدير: [أمر] البراهين كذلك، و[يجوز أن] يكون نعتاً لمصدر ممحون، أي: أريناه البراهين رؤية كذلك<sup>(٢)</sup>.

والسوء: الشهوة، والفحشاء: المباشرة. وقيل: السوء: الثناء القبيح، والفحشاء: الزنى. وقيل: السوء: خيانة صاحبه، والفحشاء: ركوب الفاحشة. وقيل: السوء: عقوبة الملك العزيز<sup>(٣)</sup>.

وقرأ ابن كثير وأبو عمرو وابن عامر: ﴿الْمُخْلِصِينَ﴾ بكسر اللام، وتأويلها: الذين أخلصوا طاعة الله. وقرأ الباقيون بفتح اللام، وتأويلها: الذين أخلصهم الله لرسالته، وقد كان يوسف عليهما السلام الصفتين؛ لأنه كان مخلصاً في طاعة الله تعالى، مُسْتَخْلِصاً لرسالة الله تعالى<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَيْصَمُ مِنْ دُبُرٍ وَلَقِيَا سَيِّدَهَا لَدَّا الْبَابِ قَالَتْ مَا جَرَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلِكَ شَوْءًا إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابُ أَلِيمٌ﴾<sup>(٥)</sup>

قوله تعالى: ﴿وَأَسْتَبَقَا الْبَابَ وَقَدَّتْ قَيْصَمُ مِنْ دُبُرٍ﴾.

فيه مسألتان:

(١) النكت والعيون . ٢٦/٣

(٢) مشكل إعراب القرآن ١/٣٨٥ ، وبنحوه في إعراب القرآن للنحاس ٢/٣٢٣ ، وما سلف بين حاصرتين منها.

(٣) تنظر هذه الأقوال في معاني القرآن للزجاج ٣/١٠٢ ومعاني القرآن للنحاس ٣/٤٦ ، والنكت والعيون . ٢٦/٣

(٤) النكت والعيون ٢٦/٣ ، والقراءتان في السبعة ص ٣٤٨ ، والتيسير ص ١٢٨ .

**الأولى:** قوله تعالى: «وَاسْتَبَقَ الْبَابَ» قال العلماء: وهذا من اختصار القرآن المعجز الذي يجتمع فيه المعاني؛ وذلك أنه لِمَا رأى برهان ربّه؛ هرب منها، فتعادياً؛ هي لتردّه إلى نفسها، وهو ليهرب عنها، فأدركته قبل أن يخرج، فقدت قميصه من ذِيرٍ - أي: من خلفه - قبضت في أعلى قميصه فتخرّق القميص عند طوقه، ونزل التّخرّق إلى أسفل القميص<sup>(١)</sup>. والاستباق: طلبُ السُّبُق إلى الشيء، ومنه السُّبُاق. والقُدُّ: القطع، وأكثر ما يستعمل فيما كان طولاً؛ قال النابعة:

**تَقْدُ السَّلُوكِيَّ المُضَاعِفَ نَسْجُهُ وَتُوَقِّدُ بِالصُّفَاحِ نَارَ الْحُبَاجِ<sup>(٢)</sup>**  
والقطُّ: بالطاء يُستعمل فيما كان عرضاً<sup>(٣)</sup>.

وقال المفضل بن حرب: قرأت في مصحف: «فَلَمَّا رأى قميصه عُطِّ من ذِيرٍ»<sup>(٤)</sup>، أي: شقّ. قال يعقوب<sup>(٥)</sup>: العطّ: الشق في الجلد الصحيح والثوب الصحيح.

وحذفت ألف من «استباقاً» في اللفظ؛ لسكنونها وسكون اللام بعدها، كما يقال: جاءني عبد الله؛ في الثانية، ومن العرب من يقول: جاءني عبد الله؛ بإثبات ألف بغير همزة، يجمع بين ساكنين؛ لأنّ الثاني مُدْغَم، والأول حرف مدد ولين. ومنهم من يقول: عبد الله بإثبات ألف والهمز، كما تقول في الوقف<sup>(٦)</sup>.

**الثانية:** في الآية دليل على القياس والاعتبار، والعمل بالعرف والعادة؛ لِمَا ذكر

(١) المحرر الوجيز ٣/٢٣٥.

(٢) ديوان النابعة الديباني ص ١١ ، وسلف ص ٢١٨ من هذا الجزء برواية: تَجْدُ السَّلُوكِيَّ . . .

(٣) المحرر الوجيز ٣/٢٣٥.

(٤) ذكرها الزمخشري في أساس البلاغة (عطط)، والصّغاني في العباب الراخر (عطط) عن المفضل، وذكرها ابن عطية في المحرر الوجيز ٣/٢٣٦ دون نسبة. قال الصّغاني: لم أعلم أحداً من أهل الشّوادّ قرأ بها. اهـ. ولم تقف على المفضل بن حرب.

(٥) هو ابن السكّيت، وكلامه في تهذيب الألفاظ ١/١٠٤ مختصر بلفظ: العط: الشق، وينظر تهذيب اللغة ١/٨٦.

(٦) إعراب القرآن للنحاس ٢/٣٢٣ - ٣٢٤.

من قدّ القميص مُقْبِلاً ومُذَبِراً، وهذا أمر انفرد به المالكية في كتبهم، وذلك لأنّ القميص إذا جُبِد من خلفه، تمزق من تلك الجهة، وإذا جُبِد من قلّام، تمزق من تلك الجهة، وهذا هو الأغلب<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَالَّتِيَا سَيِّدَهَا لَدَّا أَنْبَابٌ﴾ أي: وجدا العزيز عند الباب، وعني بالسيد الزوج، والقبط يسمون الزوج سيّدا<sup>(٢)</sup>. يقال: ألفاه وصادفه ووارطه وبالظه ولاطه، كلّه بمعنى واحد. فلما رأت زوجها طلب وجهها للحيلة وكادت، فـ﴿فَأَلَّتْ مَا جَزَاءُهُ مَنْ أَرَادَ يَأْمُلُكَ سَوْءَةً﴾ أي: زنى ﴿إِلَّا أَنْ يُسْجَنَ أَوْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ تقول: يُضرب ضرباً وجيناً.

و«ما جزاء» ابتداء، وخبره: «أنْ يُسْجَنَ». «أَوْ عَذَابٌ» عطف على موضع «أنْ يُسْجَنَ»؛ لأنَّ المعنى: إلَّا السجن. ويجوز: أو عذاباً أليماً، بمعنى: أو يعذب عذاباً أليماً؛ قاله الكسائي<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿فَقَالَ هِيَ رَوَدَتِنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا إِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قَدًّا مِّنْ قُبْلٍ فَصَدَقَتْ وَهُوَ مِنَ الْكَذَّابِينَ ﴿١١﴾ وَإِنْ كَانَ قَمِيصُهُ قَدًّا مِّنْ دُبُرٍ فَكَذَّبَتْ وَهُوَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿١٢﴾ فَلَمَّا رَأَهَا قَبِيسَهُ قَدًّا مِّنْ دُبُرٍ قَالَ إِنَّهُ مِنْ كَذَّابِكُنَّ إِنَّ كَذَّابَنَ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾ يُؤْسِفُ أَغْرِضَ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنْبِكِ إِنَّكَ كُنْتَ مِنَ الْخَاطِئِينَ ﴿١٤﴾

قوله تعالى: ﴿فَقَالَ هِيَ رَوَدَتِنِي عَنْ نَفْسِي وَشَهِدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا﴾.

فيه ثلاثة مسائل:

**الأولى:** قال العلماء: لَمَّا بَرَّأَتْ نَفْسَهَا، وَلَمْ تَكُنْ صَادِقَةً فِي حَبَّهِ - لِأَنَّ مِنْ شَأْنِ

(١) أحكام القرآن لابن العربي ١٠٧١/٣ و ١٠٧٣ .

(٢) النكت والعيون ٢٧/٣ .

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٣٢٤/٢ ، وقرأ: «أَوْ عَذَابًا أَلِيمًا» زيد بن علي، كما في البحر ٢٩٧/٥ .

المحب إيناز المحبوب - قال: **﴿هُوَ رَوَدْتِي عَنْ شَفَقِي﴾** نطق يوسف بالحق في مقابلة بعثتها وكذبها عليه. قال نوف الشامي وغيره: كان يوسف عليه السلام لم يبن عن<sup>(١)</sup> كشف القضية، فلما بعث غضب فقال الحق<sup>(٢)</sup>.

الثانية: **﴿وَشَهَدَ شَاهِدٌ مِّنْ أَهْلِهَا﴾** لأنهما لما تعارضا في القول، احتاج الملك إلى شاهد ليعلم الصادق من الكاذب، فشهاد شاهد من أهلها، أي: حكم حاكم من أهلها؛ لأنَّه حُكْمُ منه، وليس بشهادة<sup>(٣)</sup>.

وقد اختلف في هذا الشاهد على أقوال أربعة:

الأول: أنه طفل في المهد تكلم. قال السهيلي: وهو الصحيح؛ للحديث الوارد فيه عن النبي ﷺ؛ وهو قوله: «لم يتكلم في المهد إلا ثلاثة» وذكر فيهم شاهد يوسف<sup>(٤)</sup>. وقال القشيري أبو نصر: قيل: كان صبياً في المهد في الدار وهو ابن خالتها. وروى سعيد بن جبير، عن ابن عباس، عن النبي ﷺ أنه قال: «تكلم أربعة وهم صغار» فذكر منهم شاهد يوسف<sup>(٥)</sup>، فهذا قول.

الثاني: أن الشاهد قد القميص؛ رواه ابن أبي نجيح عن مجاهد<sup>(٦)</sup>. وهو مجازٌ صحيح من جهة اللغة؛ فإن لسان الحال أبلغ من لسان المقال. وقد تضييف العرب الكلام إلى الجمادات، وتُخبر عنها بما هي عليه من الصفات، وذلك كثيرٌ في أشعارها وكلامها، ومن أحلاه قول بعضهم: قال الحافظ للواتد: **لَمْ تَشْفُنِي**؟ قال له: سُلْ مَنْ يَدْفُنِي. إِلَّا أَنْ قَوْلَ اللَّهِ تَعَالَى بَعْدَ: **﴿مِنْ أَهْلِهَا﴾** يُبَطِّلُ أَنْ يَكُونَ الْقَمِيص<sup>(٧)</sup>.

(١) في (د) والمحرر الوجيز ٣/٢٣٦ (والكلام منه): على.

(٢) المحرر الوجيز ٣/٢٣٦ ، وأخرجه الطبرى ١٣/١٠٤ بنحوه.

(٣) النكت والعيون ٣/٢٧ - ٢٨ .

(٤) التعريف والإعلام ص ٨٠ - ٨١ ، والحديث سلف ٥/١٣٩ .

(٥) أخرجه أحمد (٢٨٢٢)، والبزار (٥٤ - كشف)، والطبرى ١٣/١٠٦ ، والحاكم ٢/٤٩٦ - ٤٩٧ مرفوعاً، وأخرجه أيضاً أحمد (٢٨٢١) موقفاً.

(٦) أخرجه الطبرى ١٣/١١١ .

(٧) أحكام القرآن لابن العربي ٣/١٠٧٢ ، ووقع فيه: ومن أحلاه، بدل: ومن أحلاه.

الثالث: أنه خلق من خلق الله تعالى ليس بانسي ولا بجني. قاله مجاهد أيضاً<sup>(١)</sup>. وهذا يرد قوله تعالى: «من أهلهما».

الرابع: أنه رجل حكيم ذو عقل، كان الوزير يستشيره في أموره، وكان من جملة أهل المرأة، وكان مع زوجها فقال: قد سمعت الاستياداً<sup>(٢)</sup> والجلبة من وراء الباب، وشق القميص، فلا يُدرى أيُّكما كان قدَّام صاحبه؛ فإن كان شق القميص من قدَّامه فأنت صادقة، وإن كان من خلفه فهو صادق، فنظروا إلى القميص فإذا هو مشقوق من خلف. هذا قول الحسن وعكرمة وقتادة والضحاك ومجاهد أيضاً والسدي. قال السدي: كان ابن عمها. وروي عن ابن عباس، وهو الصحيح في الباب. والله أعلم. وروي عن ابن عباس - رواه عنه إسرائيل، عن سمّاك، عن عكرمة - قال: كان رجلاً ذا لحية. وقال سفيان، عن جابر، عن أبي مليكة، عن ابن عباس أنه قال: كان من خاصَّة الملك. وقال عكرمة: لم يكن بصبيٍّ، ولكن كان رجلاً حكيمًا. وروى سفيان عن منصور، عن مجاهد قال: كان رجلاً<sup>(٣)</sup>.

قال أبو جعفر النحاس<sup>(٤)</sup>: والأشبَّهُ بالمعنى - والله أعلم - أن يكون رجلاً عاقلاً حكيمًا شاوره الملك، فجاء بهذه الدلالة، ولو كان طفلاً لكان شهادته ليوسف ﷺ تُغنى عن أن يأتي بدليل من العادة؛ لأنَّ كلام الطفل آيةٌ معجزة، فكانت أوضحت من الاستدلال بالعادة، وليس هذا بمخالفٍ للحديث: «تكلم أربعةٌ وهم صغار» منهم صاحب يوسف. يكون المعنى: صغيراً ليس بشيخ، وفي هذا دليل آخر، وهو أنَّ ابن عباس رضي الله عنهما روى الحديث عن النبي ﷺ، وقد تواترت الرواية عنه أنَّ صاحب يوسف ليس بصبيٍّ.

(١) النكت والعيون ٢٨/٣ ، وأخرجه ابن أبي حاتم ٢١٢٨/٧ (١١٥٠٦). قال ابن كثير عند تفسير هذه الآية: هذا قول غريب.

(٢) في (ظ): الاستياد، ووقع في الوسيط ٦٠٩/٢ ، وزاد المسير ٤/٤ : الاشتداد.

(٣) أخرج جميع ما سلف من أخبار في القول الرابع الطبرى ١٣/١٠٧ - ١١٠ .

(٤) في إعراب القرآن ٢/٣٢٤ .

قلت: قد رُوي عن ابن عباس وأبي هُريرة وابن جُبير وهلال بن يَساف والضحاك أنه كان صبياً في المهد<sup>(١)</sup>. إلَّا أنه لو كان صبياً تكلَّم، لكان الدليل نفس كلامه، دون أن يحتاج إلى استدلال بالقميص، وكان يكون ذلك خرقاً عادة، ونوعاً معجزة. والله أعلم. وسيأتي من تكلَّم في المهد من الصبيان في سورة البروج<sup>(٢)</sup> إن شاء الله.

الثالثة: إذا تَرَزَّلنا على أن يكون الشاهد طفلاً صغيراً، فلا يكون فيه دلالة على العمل بالأمرات كما ذكرنا، وإذا كان رجلاً، فيصِحُّ أن يكون حجةً بالحكم بالعلامة في اللقطة وكثير من المواقع، حتى قال مالك في اللصوص: إذا وُجدت معهم أمتعة، ف جاءَ قوم فادعُوها وليست لهم بُيْنة، فإنَّ السُلطان يَتَلَوُّم لهم في ذلك، فإنَّ لم يأتُوا بهم دفعُها إليهم<sup>(٣)</sup>. وقال محمد في مِنَاعَ الْبَيْتِ إذا اختلفت في المرأة والرجل: إنَّ ما كان للرجال فهو للرجل، وما كان للنساء فهو للمرأة، وما كان للرجل والمرأة فهو للرجل<sup>(٤)</sup>. وكان شُرَيْح وإياس بْنُ معاوية يعملاً على العلامات في الحكومات، وأصل ذلك هذه الآية<sup>(٥)</sup>. والله أعلم.

قوله تعالى: «إِنْ كَانَ قَمِصُهُ قَدَّ مِنْ قُبْلِهِ» (كان) في موضع جزم بالشرط، وفيه من التَّحْوِي ما يُشَكِّل؛ لأنَّ حروف الشرط تَرَدُّ الماضي إلى المستقبل، وليس هذا في «كان»؛ فقال المبرُّد محمد بْنُ يزيد: هذا لقوَّة «كان»، وأنَّه يعبَّر بها عن جميع الأفعال. وقال الزجاج<sup>(٦)</sup>: المعنى: إن يُكنَّ، أي: إن يُعلَم، والعلم لم يقع، وكذا الكون؛ لأنَّه يؤدي عن العلم. «قَدَّ مِنْ قُبْلِهِ» فخَبَّرَ عن «كان» بالفعل الماضي، كما قال زهير:

(١) المحرر الوجيز ٣/٢٣٦ ، وأخرج قولهم الطبرى ١٣/١٠٥ - ١٠٧ .

(٢) عند تفسير الآيات ٤ - ٧ منها.

(٣) أحكام القرآن للكيا الطبرى ٣/٢٣١ . والتلوُّم: الانتظار والتمكث. الصحاح (الوَمْ).

(٤) أحكام القرآن للجصاص ٣/١٧١ ، ومحمد هو ابن الحسن الشيباني.

(٥) أحكام القرآن للكيا الطبرى ٣/٢٣١ .

(٦) في معاني القرآن ٣/١٠٤ ، ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٢/٣٢٤ وما قبله منه.

وكان طوى كشحًا على مستكثنة فلا هو أبداً لها ولم يتقدم<sup>(١)</sup>  
وقرأ يحيى بن يعمر وابن أبي إسحاق: «من قُبْلُ» بضم القاف والباء واللام، وكذا  
«دُبْرُ»<sup>(٢)</sup>؛ قال الزجاج<sup>(٣)</sup>: يجعلهما غايتين كَقَبْلُ وبَعْدُ، كأنه قال: من قَبْلِه ومن دُبْرِه،  
فلما حذف المضاف إليه - وهو مراد - صار المضاف غاية نفسه بعد أن كان المضاف  
إليه غاية له.

ويجوز: «من قُبْلَ» و«من دُبْرَ» بفتح الراء واللام تشبيهاً بما لا ينصرف؛ لأنَّه  
معرفةٌ ومزاولة عن بابه<sup>(٤)</sup>.

وروى محبوبٌ عن أبي عمرو: «من قُبْلِ» و«من دُبْرِ» مخففان مجروران<sup>(٥)</sup>.  
قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَهَا قَبِيسَمُ قَدَّ مِنْ دُبْرِ قَالَ إِنَّمَا مِنْ كَيْدِكُنْ﴾ قيل: قال لها  
ذلك العزيزُ عند قولها: «ما جَزَاءُ مَنْ أَرَادَ بِأَهْلَكَ سُوءًا»<sup>(٦)</sup>. وقيل: قاله لها الشاهد.  
والكيد: المكر والحيلة. وقد تقدم في «الأనفال»<sup>(٧)</sup>. ﴿إِنَّ كَيْدَكُنْ عَظِيمٌ﴾ وإنما قال:  
«عَظِيمٌ» لعظم فتنتهنَّ واحتيالهنَّ في التخلص من ورطتهنَّ.

وقال مقاتل عن يحيى بن أبي كثير، عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إنَّ  
كيد النساء أعظمُ من كيد الشيطان؛ لأنَّ الله تعالى يقول: ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ  
ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٦] وقال: ﴿إِنَّ كَيْدَكُنْ عَظِيمٌ﴾»<sup>(٨)</sup>.

(١) ديوان زهير ص ٢٢ ، وإعراب القرآن للتحاسن ٢/٣٢٥ (والكلام منه)، والخزانة ٣/١٤ ، و ٤/٣ . قال  
البغدادي: يقال: طوى كشحه على فعلة: إذا أضرها في نفسه. والمستكثنة: المستترة، أي: أضر على  
غدرة مستترة. والكشح: الجنب، وقيل: الخاصرة.

(٢) إعراب القرآن للتحاسن ٢/٣٢٥ ، القراءات الشاذة ص ٦٣ ، والمحتب ١/٣٣٨ .

(٣) في معاني القرآن ٣/١٠٣ ، وذكره أيضاً التحاسن في إعراب القرآن ٢/٣٢٥ .

(٤) معاني القرآن للزجاج ٣/١٠٣ ، وإعراب القرآن للتحاسن ٢/٣٢٥ .

(٥) ذكرها عن أبي عمرو ابن عطية في المحرر الوجيز ٣/٢٣٦ ، وهي في القراءات الشاذة ص ٦٣ عن  
الحسن.

(٦) كذا قال المصنف رحمة الله، وقد ذكر الزجاج في معاني القرآن ٣/١٠٣ أنَّ المعنى: إن قولك: ما  
جزاء من أراد بأهلك سوءاً...، من كيدك.

(٧) ٤٧٩/٩ .

(٨) لم نقف عليه. وإنستاده في غاية الضعف، مقاتل - وهو ابن سليمان - كذبه وهجروه ورمي بالتجسيم، =

قوله تعالى: **﴿يُوْسُفُ أَغْرِضَ عَنْ هَذَا﴾** القائلُ هذا هو الشاهد. و«يوسف» نداءً مفرد، أي: يا يوسف. فحذف. «أَغْرِضَ عن هذا» أي: لا تذكره لأحدٍ واكتُمْهُ. ثم أقبل عليها فقال: وأنت استغفرى لذنبك يقول: استغفرى زوجك من ذنبك؛ لا يعاقبك.

**﴿إِنَّكَ كُنْتَ مِنَ الظَّالِمِينَ﴾** ولم يقل: من الخاطئات؛ لأنَّ قَصَدَ الإخبار عن المذَّكُور والمُؤْنَثُ، فغلَبَ المذَّكُورُ، والمعنى: من الناس الخاطئين، أو من القوم الخاطئين، مثل: **﴿إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كُفَّارِيْنَ﴾** [النمل: ٤٣] **﴿وَوَقَاتَ مِنَ الْقَاتِلِيْنَ﴾** [التحريم: ١٢].<sup>(١)</sup>

وقيل: إنَّ القائلَ ليوسف: أعرض، ولها: استغفرى، زوجها الملك؛ وفيه قوله تعالى: أَحَدُهُمَا: أنه لم يكن غَيْرَهَا؛ فلذلك كان ساكتاً. وعدم الغَيْرَةِ في كثير من أهل مصر موجود. الثاني: أنَّ الله تعالى سَلَّمَهُ الغَيْرَةَ، وكان فيه لطفٌ بِيُوسُفَ حتى كَفَيْ باِدِرَتَهُ وَحَلَّمَ عَنْهَا.<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: **﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِيْنَةِ أَمْرَاتُ الْعَرَبِيْزَ تُرَوِّدُ فَتَاهَا عَنْ نَفْسِهِ فَدَشَّفَهَا حَبَّا إِنَّا لَنَرَاهَا فِي ضَلَالٍ مُّبِيْنٍ ﴾** فَلَمَّا سَمِعَتْ يَمْكِرِهِنَّ أَرْسَلَتْ إِلَيْهِنَّ وَأَعْنَدَتْ لَهُنَّ مُشَكِّكًا وَأَتَتْ كُلَّ وَجْهَةٍ مِتَهِنَّ سِكِيْنًا وَقَالَتْ أَخْرُجْ عَلَيْهِنَّ فَلَمَّا رَأَيْتَهُ أَكْبَرْتَهُ وَقَطَعْنَ أَيْدِيهِنَّ وَقَلَنْ حَشَ لِلَّهِ مَا هَذَا بَشَرًا إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَرِيمٌ ﴾ فَالْمُؤْمِنُ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لَمْ تُشْنِفْ فِيهِ وَلَقَدْ رَوَدْتُهُ عَنْ نَفْسِهِ فَأَسْتَعْصَمُ وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا أَمْرُرُ لَيُسْجِنَنَّ وَلَيُكُوْنَنَّ مِنَ الْأَصْنَافِيْنَ ﴾

قوله تعالى: **﴿وَقَالَ نِسْوَةٌ فِي الْمَدِيْنَةِ﴾** ويقال: «نسوة» بضم النون، وهي قراءةٌ

= كما ذكر الحافظ ابن حجر في التقريب، ثم إنَّ يحيى بن أبي كثير لا يروي عن الصحابة.

(١) تفسير البغوي ٤٢٢/٢.

(٢) في (د) و(ز) و(م): وعفا عنها، والمثبت من (ظ) و(ف)، وهو الموافق لما في النكٰت والعيون ، ٢٩/٣ ، والكلام منه عدا قوله: وعدم الغَيْرَةِ في كثير من أهل مصر موجود، وما كان ينبغي للمصنف رحمة الله أن يقول هذا!

الأعمش والمفضّل والسلمي، والجمعُ الكثير: نساء<sup>(١)</sup>. ويجوز: وقالت نسوة، وقال نسوة، مثل: قالت الأعراب وقال الأعراب.

وذلك لأنَّ القصة انتشرت في أهل مصر، فتحدث النساء. قيل: امرأة ساقِي العزيز، وامرأة خبازه، وامرأة صاحب دوابه، وامرأة صاحب سجنه. وقيل: امرأة الحاجب. عن ابن عباس وغيره<sup>(٢)</sup>.

**﴿ثُرِدَ فَتَهَا عَنْ تَقْسِيَةٍ﴾** الفتى في كلام العرب: الشاب، والمرأة فتاة. **﴿فَدَّ شَغَفَهَا حَيَاً﴾** قيل: شغفها: غلبها<sup>(٣)</sup>. وقيل: دخل حبه في شغافها. عن مجاهد<sup>(٤)</sup> وغيره. وروى عمرو بن دينار، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: دخل تحت شغافها<sup>(٥)</sup>. وقال الحسن: الشغاف<sup>(٦)</sup>: باطن القلب. السدي وأبو عبيدة<sup>(٧)</sup>: شغافُ القلب: غلافه؛ وهو جلدُه عليه. وقيل: هو وَسْطُ القلب<sup>(٨)</sup>. والمعنى في هذه الأقوال متقارب، والمعنى: وصل حبه إلى شغافها، فغلب عليه<sup>(٩)</sup>؟ قال النابغة:

**وقد حال هم دون ذلك داخل دخول الشغاف بتغييه الأصابع**<sup>(١٠)</sup>

(١) إعراب القرآن للنحاس ٣٢٥/٢ ، دون ذكر القراءة، وذكرها العكاري في الإملاء (على هامش الفتوحات الإلهية) ٣٣٠/٣ دون نسبة.

(٢) ينظر عرائض المجالس ص ١٢٣ - ١٢٤ ، وتفسير أبي الليث ١٥٩/٢ ، وتفسير البغوي ٤٢٢/٢ ، وزاد المسير ٤/٢١٤ ، وتفسير الرازى ١٢٦/١٨ .

(٣) أخرج الطبرى ١١٦/١٣ هذا القول عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٤) أخرجه الطبرى ١١٦/١٣ .

(٥) معانى القرآن للنحاس ٤١٨/٣ ، وأخرجه الطبرى ١١٥/١٣ من طريق عمرو عن عكرمة قوله.

(٦) في التسع: الشغف، والمثبت من النكت والعيون ٣٠/٣ ، ومفردات الراغب (شغف)، وفيهما قول الحسن.

(٧) في (د) و(م): وأبو عبيدة. وكلام أبي عبيدة في كتابه مجاز القرآن ٣٠٨/١ ، وذكره عن السدي الماوردي في النكت والعيون ٣٠/٣ .

(٨) مفردات الراغب (شغف).

(٩) في معانى القرآن للنحاس ٤١٩/٣ (والكلام منه): فغلب على قلبها.

(١٠) معانى القرآن للنحاس ٤١٩/٣ ، وللزجاج ١٠٥/٣ ، والبيت في ديوان النابغة الذبياني ص ٧٩

وقد قيل: إن الشَّغاف داء. وأنشد الأصمي للراجز:

**يتبَعُها وهي لِه شَغافٌ<sup>(١)</sup>**

وقرأ جعفر<sup>(٢)</sup> بن محمد وابن محيصن والحسن: «شَغَفَهَا» بالعين غير معجمة<sup>(٣)</sup>.

قال ابن الأعرابي: معناه أحرق حبه قلبها. قال: وعلى الأول العمل<sup>(٤)</sup>.

قال الجوهرى<sup>(٥)</sup>: وشَغَفَهَا الحُبُّ: أحرق قلبه. وقال أبو زيد: أمْرَضَه. وقد شُعِفَ  
بكذا فهو مشعوف. وقرأ الحسن: «فَدْ شَغَفَهَا» قال: بَطَّنَهَا حَبًّا.

قال النحاس<sup>(٦)</sup>: معناه عند أكثر أهل اللغة: قد ذهب بها كل مذهب؛ لأن شَغاف  
الجبال أعلىها، وقد شُغِفَ بذلك شَغَفًا بإسكان العين<sup>(٧)</sup>: إذا أُولَعَ به، إلا أن أبا  
عبد<sup>(٨)</sup> أنسد بيت امرئ القيس:

**أَيْقْتَلَنِي<sup>(٩)</sup> وَقَدْ شَغَفْتُ فَوَادَهَا كَمَا شَغَفَ الْمَهْنُوَةَ الرَّجُلُ الطَّالِي<sup>(١٠)</sup>**

= برواية: شاغل مكان، بدل: داخل دخول. وذكره البغدادي في الخزانة ٤٥٦ / ٢ وقال: تبتغيه  
الأصابع: أي تلتمسه أصابع المتطيّبين؛ هل انحدر نحو الطحال فيتوقع على صاحبه الموت؟.

(١) معاني القرآن للنحاس ٤١٩ / ٣ .

(٢) في (ف) و(م): أبو جعفر، وهو خطأ.

(٣) المحتسب ٣٣٩ / ١ .

(٤) ياقوتة الصراط لغلام ثعلب ص ٢٧٤ دون نسبة.

(٥) في الصحاح (شف).

(٦) في معاني القرآن ٤١٩ / ٣ - ٤٢٠ .

(٧) في (ز) و(ف) ومطبوع معاني القرآن: شَغَفَ بذلك شَغَفًا بإسكان العين، والمثبت من باقي النسخ وهو  
موافق لما في اللسان وتأج العروس (شف).

(٨) في النسخ عدا (د): أبا عبيدة، والمثبت من (د) ومعاني القرآن.

(٩) في (م): ليقتلني، وفي (د) و(ز): ليقتلني، وفي (ظ): فتقتلني، والمثبت من (ف) والمصادر على ما  
يأتي.

(١٠) أمالى القالى ٢٠٥ / ١ ، ومعاني القرآن للنحاس ٤٢٠ / ٣ ، وهو في الديوان برواية: شَفَفْت... كُما  
شَفَفَ، بالمعجمة، وقال شارح الديوان: ويرى: شَفَفْتُ، بالعين غير المعجمة، والمعنى: بلغت  
الغاية حتى غلبتها على فوادها، كما يبلغ القطران من الناقة المهنة، وهي المطلية بالقطران، وهي  
تسلل حتى تكاد يغشى عليها.

قال: فشِبَّهَت لوعةُ الحَبْ وَجَوَاه بِذلِكَ. وَرُوِيَ عَنِ الشَّعْبِيِّ أَنَّهُ قَالَ: الشَّغَفُ بِالغَيْنِ الْمَعْجَمَةُ حُبٌّ، وَالشَّغَفُ بِالْعَيْنِ غَيْرُ الْمَعْجَمَةِ جَنُونٌ<sup>(١)</sup>.

قال النحاس<sup>(٢)</sup>: وَحُكَّيْ: «قَدْ شَغَفَهَا» بِكَسْرِ الْغَيْنِ، وَلَا يُعْرَفُ فِي كَلَامِ الْعَرَبِ إِلَّا «شَغَفَهَا» بِفَتْحِ الْغَيْنِ، وَكَذَا «شَغَفَهَا»، أَيْ: تَرَكَهَا مَشْعُوفَةً.

وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ أَبِي عَرْوَةَ عَنِ الْحَسَنِ: الشَّغَافُ حِجَابُ الْقَلْبِ<sup>(٣)</sup>، وَالشَّعَافُ سَوِيدَاءُ الْقَلْبِ، فَلَوْ وَصَلَ الْحَبْ إِلَى الشَّعَافِ لِمَا تَرَأَتْ. وَقَالَ الْحَسَنُ: وَيَقَالُ: إِنَّ الشَّغَافَ الْجَلْدَةَ الْلَّاصِقَةَ بِالْقَلْبِ الَّتِي لَا تَرَى، وَهِيَ الْجَلْدَةُ الْبَيْضَاءُ<sup>(٤)</sup>، فَلَصَقَ حَبْهُ بِقَلْبِهَا كُلُّصُوقُ الْجَلْدَةِ بِالْقَلْبِ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿إِنَّا لَرَأَيْنَا فِي مُنَّلِّيٍّ ثَيْنِ﴾ أَيْ: فِي هَذَا الْفَعْلِ. وَقَالَ قَتَادَةُ: ﴿فَتَاهَا﴾ وَهُوَ فَتَى زَوْجِهَا؛ لِأَنَّ يُوسُفَ كَانَ عِنْدَهُمْ فِي حُكْمِ الْمَمَالِكِ، وَكَانَ يَنْفُذُ أَمْرَهَا فِيهِ. وَقَالَ مَقَاتِلُّ، عَنْ أَبِي عُثْمَانَ التَّهْدِيِّ، عَنْ سَلْمَانَ الْفَارَسِيِّ قَالَ: إِنَّ امْرَأَ الْعَزِيزِ اسْتَوْهَبَتْ زَوْجَهَا يُوسُفَ، فَوَهَبَهُ لَهَا وَقَالَ: مَا تَصْنَعِينَ بِهِ؟ قَالَتْ: أَتَخْذُنَهُ وَلَدًا، قَالَ: هُوَ لَكُ، فَرَبِّتَهُ حَتَّى أَيْقَنَّ وَفِي نَفْسِهَا مِنْهُ مَا فِي نَفْسِهَا، فَكَانَتْ تَنْكِشِفُ لَهُ وَتَتَزَيَّنُ وَتَدْعُوهُ مِنْ وَجْهِ الْلَّطْفِ، فَعَصَمَهُ اللَّهُ<sup>(٥)</sup>.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَلَمَّا سَمِعَتْ بِسَكِيرِهِنَّ﴾ أَيْ: بِغَيْبِتِهِنَّ إِيَّاهَا، وَاحْتِيالِهِنَّ فِي ذَمَاهَا. وَقِيلَ: إِنَّهَا أَطْلَعَتِهِنَّ وَاسْتَكْمَتِهِنَّ<sup>(٦)</sup> فَأَفْشَيْنَ سَرَّهَا، فَسَمِّيَ ذَلِكَ مَكْرَاً.

(١) النكت والعيون ٣/٣١ ، وأخرجه الطبرى ١٣/١١٦ - ١١٧ .

(٢) في إعراب القرآن ٢/٢٢٥ .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم ٧/٢١٣١ (١١٥٢٣) عن ابن عباس رضي الله عنهما. ولم تقف عليه عن الحسن، فقد سلف قول الحسن: الشغاف باطن القلب.

(٤) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٣/٣٠ عن السدي وسفيان بنحوه، ولم تقف عليه عن الحسن.

(٥) لم تقف عليه.

(٦) في (م): استأمنتهم، وفي (د): استمكتهم، والمثبت من باقي النسخ، وهو موافق لما في معاني القرآن للنحاس ٣/٤٢٠ ، والكلام منه.

وقوله: ﴿أَرْسَلْتَ إِلَيْنَاهُ﴾ في الكلام حذف، أي: أرسلت إليهن تدعوهن إلى وليمة لثُوقَعْهُنَّ فيما وقعت فيه<sup>(١)</sup>؛ فقال مجاهد عن ابن عباس: إنَّ امرأة العزيز قالت لزوجها: إني أريد أن أتَّخِذ طعاماً فادعو هؤلاء النسوة. فقال لها: افعلي. فاتخذت طعاماً، ثم نَجَدَت لهنَّ البيوت - نَجَدَت، أي: زَيَّنت، والنَّجَدُ: ما يُنَجِّدُ به البيت من المتع، أي: يُزَيِّنُ، والجمع: نُجُودٌ؛ عن أبي عُبيد، والتَّنْجِيدُ: التزيين<sup>(٢)</sup> - وأرسلت إليهنَّ أن يحضرن طعامها، ولا تخلَّفْ منكَ امرأةٌ من سَمِّيَّتْ.

قال وهب بن مُنْبَهٍ: إنَّه كَنَّ أربعين امرأة<sup>(٣)</sup>، فجئن على كُرْهٍ منها، وقد قال فيهنَّ أمَّيَّةٌ بن أبي الصَّلْتِ:

حَتَّى إِذَا جَئْنَهَا قَسْرًا      وَمَهَدَتْ لَهُنَّ أَنْضَادًا وَكِبَابًا<sup>(٤)</sup>  
وَبُرُوْرِي: أَنْمَاطًا.

قال وهب: فجئن وأخذنَ مجالسهنَّ. ﴿وَأَعْنَدْتَ لَهُنَّ مُشَكَّا﴾ أي: هيأت لهنَّ مجالسٍ يتَكَبَّنُ عليها. قال ابن جُبَير: في كلِّ مجلس جَامٌ فيه عسل وأثْرَجٌ وسُكِّينٌ حادٌ. وقرأ مجاهد وسعيد بن جُبَير: «مُشَكَّا» مخفقاً غير مهموز<sup>(٥)</sup>، والمُثْكَ هو الأثْرَج بلغة القبط. وكذلك فسره مجاهد؛ روى سفيان، عن منصور، عن مجاهد قال: المُثْكَ مثَلًا: الطعام، والمُثْكَ مخفقاً: الأثْرَج<sup>(٦)</sup>؛ وقال الشاعر:

(١) إعراب القرآن للتحاسن ٣٢٥/٢.

(٢) الصحاح (نجد).

(٣) ذكره البغوي ٤٢٣/٢.

(٤) كذا في النسخ، ولم تلفظ عليه. وأنْضَاداً جمع نَفَدَ، وهو ما تُفِيدُه من متع، أو خياره. ونَفَدَتْ المتع ونَفَدَتْهُ: ضمت بعضه إلى بعض مُتَسِيقاً أو مركماً. ينظر أساس البلاغة والقاموس (نَفَدَ).

(٥) عرائض المجالس ص ١٢٤ عن مجاهد، وذكرها ابن جنِي في المحتسب ١/٣٣٩ عن ابن عباس وابن عمر وقتادة وغيرهم.

(٦) معاني القرآن للتحاسن ٤٢٠/٣ - ٤٢١ ، وأخرجه الطبرى ١٢٧/١٣ . والأثْرَجُ: من فصيلة الحمضيات، يسمى بالشام الكُبَادُ، واحدته أثْرَجَةٌ. معجم متن اللغة (ترجم).

نَشَرْبُ الْأَفْمَ بِالصُّوَاعِ جَهَارًا  
وَتَرَى الْمُثْكَ بَيْنَنَا مُسْتَعَارًا<sup>(١)</sup>  
وقد تقول أَزْدُ شَنْوَةً: الأَتْرَجَةُ: الْمُتَكَّهُ.

قال الجوهرى: المُتَكَّهُ: ما تُبقيه الخاتمة، وأصل المُتَكَّهُ: الزُّماوَرْدُ. والمُتَكَّاهُ من النساء: التي لم تُخْفَضْ. قال الفراء: حدثني شيخ من ثقات أهل البصرة أنَّ المُتَكَّهُ مُخْفَفًا: الزُّماوَرْدُ. وقال بعضهم: إنه الأَتْرَجُ. حكاه الأَخْفَشُ<sup>(٢)</sup>. ابن زيد: أَتَرْجًا وعسلاً يُؤْكَلُ به<sup>(٣)</sup>; قال الشاعر:

فَظَلَلْنَا<sup>(٤)</sup> بِنَعْمَةِ وَائِكَانًا  
وَشَرِينَا الْحَلَالَ مِنْ قُلْلِه<sup>(٥)</sup>

أي: أَكْلَنَا.

النحاس: قوله تعالى: «وَأَغْتَدَثُ» من العَتَادِ، وهو كُلُّ ما جعلته عُدَّةً لشيءٍ. «مُتَكَّاهُ» أَصْبَحَ ما قيلَ فِيهِ، ما رواه عَلِيٌّ بْنُ أَبِي طَلْحَةَ عَنْ أَبْنَ عَبَّاسٍ قَالَ: مَجْلِسًا. وَأَمَّا قَوْلُ جَمَاعَةَ مِنْ أَهْلِ التَّفْسِيرِ إِنَّهُ الطَّعَامُ، فَيُجُوزُ عَلَى تَقْدِيرِهِ: طَعَامٌ مُتَكَّاهٌ، مُثْكَاهٌ: «وَسَلَلَ الْقَرَبَيَّةَ» وَدَلَّ عَلَى هَذَا الْحَذْفَ: «وَاتَّكَثَ كُلُّ وَاحِدَةٍ مِنْهُنَّ سِكَبَنَا»؛ لَأَنَّ حُضُورَ النِّسَاءِ مِعْهُنَّ سَكَاكِينٌ إِنَّمَا هُوَ لِطَعَامٍ يُقْطَعُ بِالسَّكَاكِينِ. كَذَّا قَالَ فِي كِتَابِ «إِعْرَابِ الْقُرْآنِ»<sup>(٦)</sup> لِهِ.

(١) سلف ٢١١/٩.

(٢) الصَّحَاحُ (مُتَكَّهُ)، وقول الفراء في معاني القرآن له ٤٢/٢ . قوله: الزُّماوَرْدُ، هو طعام من البيض واللحم، معرُب. اللسان (ورد). قوله: لم تُخْفَضْ، المُخْفَضُ: ختان الجارية. اللسان (خفَض).

(٣) أخرجه الطبرى ١٢٩/١٣ .

(٤) في (م): فَظَلَلْنَا.

(٥) قائله جميل بشينة، وهو في ديوانه ص ١٨٩ ، والمعانى الكبير لابن قيبة ٤٥٧/١ ، والخزانة ٢١/١٠ . قوله: الْحَلَالُ، ذكر البغدادى عن الشيرازى أنه قال: هو النَّبِيُّ، وسماء حلالاً على وجه الخلاعة. قال البغدادى: ولا يَحْقُى أَنَّ حَمَلَهُ عَلَى ظَاهِرِهِ أَنْسَبُ؛ لَأَنَّ قائله مُؤْمِنٌ، وَكَانَ فِي عِرْفَةَ فِي مُوسَمِ الْحَجَّ. وَالقلل جمع قلة، وهو إِنَاءٌ لِلْعَرَبِ كَالْجَرَةِ.

(٦) ٣٢٦/٢ .

وقال في كتاب «معاني القرآن»<sup>(١)</sup>: وروى مَعْمَر عن فَتَّادَة قال: «المَتَّكَأُ»: الطعام. وقيل: «المَتَّكَأُ»: كُلُّ مَا أَتَكَيَّ عَلَيْهِ عِنْدَ طَعَامٍ أَوْ شَرَابٍ أَوْ حَدِيثٍ، وَهَذَا هُوَ الْمَعْرُوفُ عِنْدَ أَهْلِ الْلِّغَةِ، إِلَّا أَنَّ الرِّوَايَاتِ قَدْ صَحَّتْ بِذَلِكَ. وَحَكِيَ الْقُتُبِيَّ<sup>(٢)</sup> أَنَّهُ يَقُولُ: اتَّكَانَا عِنْدَ فَلَانَ، أَيْ: أَكْلَنَا.

وَالْأَصْلُ فِي «مَتَّكَأُ»: مَوْتَكَأُ، وَمُثْلُهُ: مُتَّزَنٌ وَمُتَّعْدُ؛ لَأَنَّهُ مِنْ وَزَنْتُ وَوَعَذْتُ وَوَكَاثُ، وَيَقُولُ: أَتَكَأُ يَتَكَأُ اتَّكَاءً<sup>(٣)</sup>.

﴿كُلُّ وَجْهٍ مِنْهُ سِكِينًا﴾ مفعولان. وَحَكِيَ الْكَسَائِيُّ وَالْفَرَاءُ أَنَّ السُّكِينَ يَذَكَّرُ وَيَؤْنَثُ؛ وَأَنْشَدَ الْفَرَاءُ:

فَعَيْثَ فِي السَّنَامِ عَذَّا قُرْ بِسْكِينِ مُؤْتَقَةِ النُّصَابِ<sup>(٤)</sup>  
الجوهريُّ: وَالْغَالِبُ عَلَيْهِ التَّذَكِيرُ؛ وَقَالَ:  
يُرِي ناصحاً فِيمَا بَدَا فَإِذَا خَلَ فَذَلِكَ سَكِينٌ عَلَى الْحَلْقِ حَادُّ<sup>(٥)</sup>  
الأَصْمَعِيُّ لَا يَعْرِفُ فِي السُّكِينِ إِلَّا التَّذَكِيرُ<sup>(٦)</sup>.

قوله تعالى: «وَقَالَتْ أُخْرَجَ عَلَيْهِنَّ» بضم التاء لالتقاء الساكنين؛ لأن الكسرة تُثقل إذا كان بعدها ضمة، وَكَنْتُ<sup>(٧)</sup> التاء على الأصل<sup>(٨)</sup>:

(١) ٤٢١/٣.

(٢) فِي تَفْسِيرِ الْغَرِيبِ ص ٢١٦ ، وَتَأْوِيلِ الْمَشْكُلِ ص ١٣٨ .

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٣٢٦/٢ .

(٤) المذكر والمؤنث للفراء ص ٢٧ ، وإعراب القرآن للنحاس ٣٢٦/٢ (والكلام منه)، والمذكر والمؤنث لأبي بكر الأنباري ٣٨٨/١ ، ومجالس العلماء للزجاجي ص ١٠١ ، والمحضون لابن سيده ١٦/١٧ ، وللسان (عيث) و(سكن)، وقال ابن منظور: عيث في السنام بالسكين: أثر.

(٥) الصلاح (سكن)، والبيت لأبي ذؤيب، وهو في ديوان الهمذليين ١/١٥١ . وقال شارح الديوان. وبروى: على الحلق حالق.

(٦) إعراب القرآن للنحاس ٣٢٦/٢ ، وينظر المذكر والمؤنث لأبي بكر الأنباري ١/٣٨٩ .

(٧) في (م): وكسرت.

(٨) قرأ أبو عمرو وعاصم وحمزة بكسر التاء، والباقيون من السبعة بضمها. السبعة ص ٣٤٨ والتيسير ص ٧٨ .

قيل: إنّها قالت لهنّ: لا تقطعنَ ولا تأكلن حتى أُعلمكُنْ، ثم قالت لخادتها: إذا قلت لك: ادع لي إيلا، فادع يوسف. وإيل: صنم كانوا يعبدونه. وكان يوسف عليه السلام يعمل في الطين، وقد شد مثراه وحسّر عن ذراعيه، فقالت للخادم: ادع لي إيلا، أي: ادع لي رب، وإيل بالعبرانية: الرب. قال: فعجّبت النسوة وقلن: كيف يجيء؟ فصعدت الخادم فدعت يوسف، فلما انحدر قالت لهنّ: اقطعنَ ما معكُنْ. **﴿فَلَمَّا رَأَيْتُهُ أَكْبَرْتُهُ وَقَطَعْتُ أَيْدِيهِنَّ﴾** بالمُذَمَّى، حتى بلغت السكاكيَن إلى العظم؛ قاله وهب ابن مُنبَه.

سعيد بن جُبَير: لم يخرج عليهم حتى زَيَّته، فخرج عليهم فجأةً فدهشَن فيه، وتحيرُن لحسن وجهه وزينته وما عليه، فجعلن يقطعنَ أيديهنَ، ويحسبن أنَّهن يقطعنَ الأثْرَج.

واختلف في معنى: **«أَكْبَرْنَهُ»**؛ فروى جُوبَير، عن الضحاك، عن ابن عباس: أَعْظَمْنَهُ وَهِبَنَهُ<sup>(١)</sup>.

وعنه أيضًا: **أَمْيَنَنَ وَأَمْدَنَ من الدَّهَشِ**؛ وقال الشاعر:  
إذا رأين الفحلَ من فوق قارةٍ صَهَلْنَ وَأَكْبَرْنَ الْمُنْيَ المدْفَقًا<sup>(٢)</sup>  
وقال ابن سمعان عن علة من أصحابه أنهم قالوا: **أَمْدَنَ عَشْقاً**.

وَهْبَ بن مُنبَه: عشقَنَه حتى مات منها عشرةً في ذلك المجلس دَهَشًا وحيرة وَوَجَدًا بِيُوسُفَ<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه الطبرى ١٣١ / ١٣٢ من طريق علي بن أبي طلحة عن ابن عباس، وأخرجه ابن أبي حاتم ٧ / ٢١٣٥ (١١٥٥٣) من طريق أبي روق، عن الضحاك، عن ابن عباس. قال ابن عطية في المحرر الوجيز ٣ / ٢٣٩ : هذا قول الجمهور.

(٢) أخرج الشعر والقول قبله أبو الشيخ عن الكبيت، كما في الدر المثمر ٤ / ١٦ ، ولم تقف عليه عن ابن عباس. والقاراء: **الجُبَيل الصغير المقطوع عن الجبال**، أو الصخرة العظيمة. القاموس (قار).

(٣) عرائض المجالس ص ١٢٤ .

وقيل: معناه: حُضن من الْدَّهش؛ قاله قتادة ومقاتل والسلدي<sup>(١)</sup>: قال الشاعر:  
 نَاتِي النِّسَاءُ عَلَى أَطْهَارِهِنَّ وَلَا نَاتِي النِّسَاءُ إِذَا أَكْبَرْنَ إِثْكَارًا<sup>(٢)</sup>  
 وأنكر ذلك أبو عبيدة<sup>(٣)</sup> وغيره، وقالوا: ليس ذلك في كلام العرب، ولكنه يجوز  
 أن يكن حُضنَ من شدَّةِ إعظامهنَّ له، وقد تفزع المرأة، فتسقط ولدها أو تحيض.  
 قال الزجاج<sup>(٤)</sup>: يقال: أكبرنَه، ولا يقال: حُضنَه، فليس الإكبار بمعنى الحيض.  
 وأجاب الأزهري<sup>(٥)</sup> فقال: يجوز أكبَرَتْ بمعنى حاضت؛ لأنَّ المرأة إذا حاضت  
 في الابتداء خرجت من حَيْزِ الصغر إلى الكبير، قال: والهاء في «أكبَرَنَه» يجوز أن  
 تكون هاء الوقف لا هاء الكناية.

وهذا مزيَّف؛ لأنَّ هاء الوقف تسقط في الوصل، وأمثالُ منه قولُ ابن الأنباريُّ:  
 إنَّ الْهَاءَ كَنَاءٌ عَنْ مَصْدِرِ الْفَعْلِ، أي: أكبَرُنَّ إِكْبَارًا، بمعنى حُضنَ حَيْضًا. وعلى قول  
 ابن عباس الأولى تعود الْهَاءَ إِلَى يُوسُفَ؛ أي: أعظمُنَّ يُوسُفَ واجْلَلَنَّهُ.

قوله تعالى: ﴿وَقَطَعْنَا أَيْدِيهِنَّ﴾ قال مجاهد: قطَّعنَها حتى أَلْقَيْنَاهَا<sup>(٦)</sup>. وقيل:  
 خَدَّشْنَاهَا. وروى ابن أبي نجيح عن مجاهد قال: حَرَّاً بالسُّكْنَى؛ قال التحاس<sup>(٧)</sup>: يزيد

(١) لم تُنقَّفْ عليهُ عَنْهُمْ، وأخْرَجَهُ الطَّبَرِيُّ ١٣١ / ١٣، وابن أبي حاتم ٢١٣٥ (١١٥٥١) و(١١٥٥٢) مِنْ طَرِيقِ عَبْدِ الصَّمْدِ بْنِ عَلِيٍّ بْنِ عَبَّاسٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ ابْنِ عَبَّاسٍ. قَالَ ابْنُ عَطِيَّةَ فِي الْمُحَرَّرِ الْوَجِيزِ ٢٣٩ / ٣: هَذَا قَوْلٌ ضَعِيفٌ مِنْ مَعْنَاهُ مُنْكَرُهُ، وَلَيْسَ عَبْدُ الصَّمْدَ مِنْ رَوَاهُ الْعُلُمِ رَحْمَهُ اللَّهُ أَهْدَى وَيَنْظَرُ تَهْذِيبَ الْلُّغَةِ ٢١٢ / ١٠.

(٢) معانٰي القرآن للزجاج ١٠٦ / ٣، وتأريخ الطبرى ١٣٢ / ١٣، والمحرر الوجيز ٢٣٩ / ٣ . قال الطبرى:  
 لا أحسب له أصلًا؛ لأنَّه ليس بالمعروف عند الرواية. وقال ابن عطية: الْبَيْتُ مُصْنَعٌ مُخْتَلِقٌ.

(٣) في مجاز القرآن ١ / ٣٠٩ .

(٤) في معانٰي القرآن ٣ / ١٠٦ .

(٥) في تهذيب اللغة ١٠ / ٢١١ - ٢١٢ .

(٦) المحرر الوجيز ٢٣٩ / ٣ وأخرجه الطبرى ١٣٥ / ١٣ . قال ابن عطية: فظاَهَرُ هَذَا أَنَّهُ بَاتَتِ الْأَيْدِيُّ،  
 وَذَلِكَ ضَعِيفٌ مِنْ مَعْنَاهُ.

(٧) في معانٰي القرآن ٣ / ٤٢٢ ، وما قبله منه، وأخرج قول مجاهد الطبرى ١٣٣ / ١٣ .

مجاهد أنه ليس قطعاً تبيّن منه اليد، إنما هو خذشٌ وحَرْ، وذلك معروفٌ في اللغة أن يقال إذا خدش الإنسان يد صاحبه: قطع يده.

وقال عكرمة: «أَيْدِيهِنَّ»: أكمامهن، وفيه بُعد. وقيل: أناملهن، أي: ما وجدن المَا في القطع والجرح، أي: لشغلي قلوبهنَّ بيوسف.

والتقطيع يشير إلى الكثرة، فيمكن أن ترجع الكثرة إلى أنَّ كُلَّ واحدة<sup>(١)</sup> جرحت يدها في موضع، ويمكن أن يرجع إلى عددهنَّ.

قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَ حَنَشَ لِلَّهِ﴾ أي: معاذ الله. وروى الأصمعي عن نافع أنه قرأ كماقرأ أبو عمرو بن العلاء: ﴿وَقُلْنَ حَاشَا لِلَّهِ﴾ بإثبات الألف وهو الأصل<sup>(٢)</sup>، ومن حذفها جعل اللام في (الله) عوضاً منها. وفيها أربع لغات، يقال: حاشاك، وحاشا لك، وحاش لك، وحشا لك. ويقال: حاشا زيد وحاشا زيداً؛ قال النحاس<sup>(٣)</sup>: وسمعت عليّ بن سليمان يقول: سمعت محمد بن يزيد يقول: النَّضْبُ أَوْلَى؛ لأنَّه قد صحَّ أنها فعلٌ؛ لقولهم: حاش لزيد، والحرف لا يُحذف منه<sup>(٤)</sup>، وقد قال النابغة:

وَلَا أَحَادِيٌ مِّنَ الْأَقْوَامِ مِنْ أَحَدٍ<sup>(٥)</sup>

وقال بعضهم: حاش حرفٌ، وأحادي فعل. ويدلُّ على كون حاشا فعلاً وقوعاً حرف الجرّ بعدها<sup>(٦)</sup>. وحكى أبو زيد عن أعرابيٍّ: اللهم اغفر لي ولمن يسمع، حاشا

(١) في (م): أن يرجع الكثرة إلى واحدة، وفي (د) و(ز) و(ظ): إلى كل واحدة، والمثبت من (ف).

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٣٢٦/٢ ، وقراءة أبي عمرو في السبعة ص ٣٤٨ ، والتيسير ص ١٢٨ ، ورواية الأصمعي عن نافع أخرجها ابن مجاهد في السبعة ص ٣٤٨ ، وليست هي المشهورة عنه.

(٣) في إعراب القرآن ٣٢٦/٢ ، وما قبله منه.

(٤) يعني حذف الألف من «حاشا»، والحذف إنما يكون في الفعل. أسرار العربية لأبي البركات الأنباري ص ١٩١ .

(٥) وصدره: ولا أرى فاعلاً في الناس يشبهه، وهو في ديوان النابغة ص ٣٣ ، والخزانة ٤٠٣/٣ . قال البغدادي: قوله: ولا أحادي، أي: لا أستثنى أحداً من يفعل الخير. والشاهد فيه: تصريف الفعل حاشا، والتصريف من خصائص الأفعال. أسرار العربية ص ١٩١ .

(٦) ينظر أسرار العربية ص ١٩٠ - ١٩٢ . وقال أبو البركات: حرف الجر إنما يتعلق بالفعل؛ لأنَّ الحرف لا يتعلّق بالحرف.

الشيطان وأبا الأصيغ، فنَصَبَ بها<sup>(١)</sup>.

وقرأ الحسن: «وَقُلْنَ حَاشَ لِلَّهِ» بإسكان الشين، وعنه أيضاً: «حَاشَ الإِلَهِ». ابن مسعود وأبيه: «حَاشَى<sup>(٢)</sup> اللَّهُ» بغير لام، ومنه قول الشاعر:

**حاشا أبا ثويان إن به ضئلاً عن الملحقة والشتم<sup>(٣)</sup>**  
 قال الزجاج: وأصل الكلمة من الحاشية، وال Kashā بمعنى الناحية، تقول: كنت في حشاً فلان، أي: في ناحيته، فقولك: حاشاً لزيد، أي: تَحْتَ زيدٍ من هذا وتَبَاعِدَ عنه، والاستثناء إخراج وتنحية عن جملة المذكورين<sup>(٤)</sup>.

وقال أبو علي<sup>(٥)</sup>: هو «فَاعَلَ» من المحاشاة؛ أي: حاشاً يوسف وصار في حاشية وناحية مما قُرِفَ به<sup>(٦)</sup>، أو من أن يكون بشراً؛ فحاشاً وحاشَ في الاستثناء حرفاً جرًّا عند سيبويه<sup>(٧)</sup>، وعلى ما قال المبرد وأبو عليٍّ فعل.

قوله تعالى: **«مَا هَذَا بَشَرًا»** قال الخليل وسيبوه: «ما» بمنزلة ليس؛ تقول: ليس زيد قائماً، و**«مَا هَذَا بَشَرًا»** و**«مَا هُنْ أَهْنَاهُمْ»** [المجادلة: ٢]. وقال الكوفيون: لـمَا

(١) المحتسب ٣٤٢/١ ، وشرح المفصل ٨٥/٢ ، والمغني ص ١٦٥ .

(٢) في (د) و(ز) و(م): حاش، وكذلك وقعت في القراءات الشاذة ص ٦٣ ، والمثبت موافق لما في المحتسب ٣٤١/١ ، والمحرر الوجيز ٣/٢٣٩ ، والبحر ٥/٣٠٣ ، والدر المصنون ٦/٤٨٦ . وينظر ما سلف من القراءات في هذه المصادر.

(٣) مجاز القرآن ٣١٠/١ ، والحججة للفارسي ٤/٤٢٢ ، والمحتسب ٣٤١/١ ، والمحرر الوجيز ٣/٢٤٠ . وهو في المفضليات ص ٣٦٧ ، والأصنعيات ص ٢١٨ ، منسوب للجميعب الأسي برواية:

**حاشا أبا ثويان إن أبا ثويان ليس بـ كـ مـ ةـ قـ دـمـ**  
**عمر و بن عبد الله إن به ضئلاً عن الملحقة والشتم**

(٤) بنحوه في معاني القرآن للزجاج ١٠٧/٣ .

(٥) بنحوه في الحجة للفارسي ٤/٤٢٢ - ٤٢٣ ، وينظر مشكل إعراب القرآن ٣٨٦/١ ، وتقدير الكلام على ما ذكر في هذين المصادرين: «حَاشَ لِلَّهِ» أي: بَعْدَ يوسف عن هذا الذي رمي به لله، أي: لخوفه الله ومراقبته له. وسيذكر المصنف نحوه عن أبي نصر القشيري.

(٦) الكتاب ٢/٣٤٩ .

حذفت الباء نصبت، وشرح هذا - فيما قاله أحمد بن يحيى - أنك إذا قلت: ما زيد بمنطلق، فموقع الباء موضع نصب، وهكذا سائر حروف الخفظ، فلما حذفت الباء نصبت لتدلّ على محلّها، قال: وهذا قول الفراء، قال: ولم تعمل «ما» شيئاً، فألزمهم البصريون أن يقولوا: زيد القمر؛ لأنَّ المعنى: كالقمر. فردَّ أحمد بن يحيى بأن قال: الباء أدخل في حروف الخفظ من الكاف؛ لأنَّ الكاف تكون اسمًا.

قال النحاس<sup>(١)</sup>: لا يصحُّ إلَّا قولُ البصريين، وهذا القول يتناقض؛ لأنَّ الفراء أجاز نصًا: ما بمنطلق زيد، وأنشد:

أَمَا وَاللَّهِ أَنْ لَوْ كُنْتَ حُرًّا      وَمَا بِالْحُرْ أَنْتَ وَلَا الْعَتِيقِ<sup>(٢)</sup>  
وَمَنْعَ نَصًا النَّصَبَ، وَلَا نَعْلَمُ بَيْنَ النَّخْوَيْنِ اخْتِلَافًا أَنَّهُ جَائِزٌ: مَا فِيكَ بِرَاغِبٍ  
زَيْدٌ، وَمَا إِلَيْكَ بِقَاصِدٍ عَمْرُو، ثُمَّ يَحْذِفُونَ الباء وَيَرْفَعُونَ. وَحَكَى البصريون  
وَالْكُوفِيُّونَ: مَا زَيْدٌ مِنْطَلِقٌ بِالرَّفْعِ، وَحَكَى البصريون أَنَّهَا لِغَةٌ تَمِيمٌ، وَأَنْشَدُوا:  
أَتَيْمًا تَجْعَلُونَ إِلَيَّ نِدًا      وَمَا تَيْمٌ لِذِي حَسَبٍ نَدِيدٌ<sup>(٣)</sup>  
النِّدُّ وَالنَّدِيدُ وَالنَّدِيدَةُ: الْمِثْلُ وَالنَّظِيرِ<sup>(٤)</sup>. وَحَكَى الْكَسَائِيُّ أَنَّهَا لِغَةٌ تَهَامَةٌ وَنَجْدٌ.  
وَزَعَمَ الْفَرَاءُ أَنَّ الرَّفْعَ أَقْوَى الْوَجْهَيْنِ. قَالَ أَبُو إِسْحَاقَ: وَهَذَا غَلْطٌ؛ كِتَابُ اللَّهِ عَزَّ  
وَجَلَّ وَلِغَةُ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ أَقْوَى وَأَوْلَى<sup>(٥)</sup>.

قلت: وفي مصحف حَفَصَةَ رضي الله عنها: «مَا هَذَا بَيْشِرٌ» ذكره العَزْنَوِيُّ.

(١) في إعراب القرآن ٣٢٧/٢ - ٣٢٨ ، وينظر قول سيبويه في الكتاب ١/٥٧ - ٦٩ و ١٢٢ ، وقول الفراء في معاني القرآن له ٤٢/٢ .

(٢) معاني القرآن للفراء ٤٤/٢ ، والخزانة ٤/١٤١ .

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٣٢٦/٢ ، والبيت لجرير، وهو في ديوانه ٣٣١/١ ، والخزانة ٣/٢٧ ، ورواية الديوان: أَتَيْمٌ، بدل: أَتَيْمًا.

(٤) الصحاح (نده).

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٣٢٦/٢ ، وكلام الفراء في معاني القرآن له ٤٢/٢ ، وكلام أبي إسحاق وهو الزجاج في معاني القرآن له ١٠٨/٣ .

قال القشيري أبو نصر: وذكرت النسوة أنَّ يوسمَ أحسنُ من صورة البشر، بل هو في صورة مَلَك، وقال الله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَنَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤] والجمع بين الآيتين أنَّ قوله: ﴿خَلَقْنَا إِنْسَنًا﴾ تبرئة ليوسف<sup>(١)</sup> عَمَّا رمت به امرأة العزيز من المراودة، أي: بَعْدَ يوسمَ عن هذا، وقوله: ﴿الله أَعُولَى﴾ أي: لخوفه، أي براءة لله من هذا، أي: قد نجا يوسمَ من ذلك، فليس هذا من الصورة في شيء، والمعنى: أنه في التبرئة عن المعاصي كالملائكة؛ فعلى هذا لا تناقض.

وقيل: المراد تزييه عن مُشابهَة البشر في الصورة؛ لفَرطِ جماله، وقوله: ﴿الله﴾ تأكيد لهذا المعنى، فعلى هذا المعنى قالت النسوة ذلك ظنًا منهُنَّ أنَّ صورة المَلَك أحسن، وما بَلَغُهُنَّ قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَنَ فِي أَحْسَنِ تَقْوِيمٍ﴾ [التين: ٤]، فإنه من كتابنا. وقد ظنَّ بعضُ الضعفاء أنَّ هذا القولَ لو كان ظنًا باطلًا منهُنَّ، لوجَبَ على الله أن يردَّ عليهنَّ، ويبَينَ كذبهنَّ، وهذا باطلٌ؛ إذ لا وجوبَ على الله تعالى، وليس كلُّ ما يخبر به الله سبحانه من كُفُرِ الكافرين وكذبِ الكاذبين يجب عليه أن يقرُّ به الردُّ عليه، وأيضاً أهلُ العرف قد يقولون في القبيح: كأنَّه شيطان، وفي الحَسَن: كأنَّه مَلَك، أي: لم يُرَ مِثْلُه؛ لأنَّ الناس لا يَرَوْنَ الملائكة، فهو بناءٌ على ظنٍّ في أنَّ صورة المَلَك أحسن، أو على الإخبار بظهارة أخلاقه ويعنده عن التَّهم.

﴿إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ﴾ أي: ما هذا إِلَّا مَلَكٌ، وقال الشاعر:

فلست لإنسي ولكن لملأك تنزل من جح السماء يصوب<sup>(٢)</sup>  
وروي عن الحسن: «ما هذا يُشَرِّي»؛ بكسر الباء والشين، أي: ما هذا عبداً مُشتَرِّي، أي: ما يُنْبِي لِمَثْلِ هذا أَنْ يُبَاع، فوضع المصدر موضعَ اسم المفعول، كما قال: ﴿أَجَلَ لَكُمْ سَيِّدُ الْبَرِّ﴾ [المائدة: ٩٦] أي: مَصِيدُه، ويشبهه كثير. ويجوز أن يكون المعنى: ما هذا بشمن، أي: مثله لا يشمن ولا يقوَّم، فيراد بالشراء على هذا:

(١) في (ظ): أن قوله حاش لله تزييه ليوسف.

(٢) سلف ١/٢٩٣.

الشَّمْنُ الْمُشْتَرَى بِهِ، كَقُولُكَ: مَا هَذَا بِالْفِ، إِذَا نَفَيْتَ قَوْلَ الْقَائِلِ: هَذَا بِالْفِ. فَالبَاءُ عَلَى هَذَا مَتَعْلِقَةٌ بِمَحْذُوفٍ هُوَ الْخَبَرُ<sup>(١)</sup>، كَأَنَّهُ قَالَ: مَا هَذَا مَقْدَرًا بِشَرَاءِ.

وَقِرَاءَةُ الْعَامَةِ أَشْبَهُ، لَأَنَّ بَعْدَهُ: **﴿إِنْ هَذَا إِلَّا مَلَكٌ كَيْدُ﴾** مِبَالَغَةٌ فِي تَفْضِيلِهِ فِي جِنْسِ الْمَلَائِكَةِ تَعْظِيمًا لِشَأنِهِ، وَلَأَنَّ مِثْلَ «بِشَرَى» يُكْتَبُ فِي الْمَصْحَفِ بِالْيَاءِ<sup>(٢)</sup>.

قَوْلُهُ تَعَالَى: **﴿فَأَتَتْ فَذَلِكُنَّ الَّذِي لَمْ تُشْنَى فِيهِ﴾** لِمَا رَأَتْ افْتِنَاهُنَّ بِيُوسُفَ أَظْهَرَتْ عَذْرَ نَفْسِهَا بِقُولِهَا: **«الْمُتَشَنَّى فِيهِ»** أَيْ: فِي حَبَّهُ.

وَ«ذَلِكَ» بِمَعْنَى «هَذَا»، وَهُوَ اخْتِيَارُ الطَّبَرِيِّ<sup>(٣)</sup>. وَقِيلَ: الْهَاءُ لِلْحُبِّ، وَ«ذَلِكَ» عَلَى بَابِهِ<sup>(٤)</sup>، وَالْمَعْنَى: ذَلِكُنَّ الْحُبُّ الَّذِي لَمْ تُشَنَّى فِيهِ، أَيْ: حُبُّ هَذَا هُوَ ذَلِكُ الْحُبُّ. وَاللَّوْمُ: الْوَصْفُ بِالْقَبِيْحِ. ثُمَّ أَقْرَأَتْ وَقَالَتْ: **﴿وَلَقَدْ رَوَدَنِّي عَنْ قَنْبِيِّهِ، فَاسْتَعْصَمْ﴾** أَيْ: امْتَنَعَ.

وَسَمِّيَتِ الْعَصْمَةُ عَصْمَةً لِأَنَّهَا تَمْنَعُ مِنْ ارْتِكَابِ الْمَعْصِيَةِ. وَقِيلَ: «اسْتَعْصَمْ» أَيْ: اسْتَعْصَى<sup>(٥)</sup>، وَالْمَعْنَى وَاحِدٌ.

**﴿وَلَئِنْ لَمْ يَفْعَلْ مَا أَمْرُّ لِيُسْجِنَنَّ﴾** عَادَتْهُ الْمَرَاوِدَةُ بِمَحْضِرِهِ مِنْهُنَّ، وَهَتَكَتْ جِلْبَابُ الْحَيَاةِ، وَوَعَدَتْ بِالسِّجْنِ إِنْ لَمْ يَفْعَلْ، وَإِنَّمَا فَعَلَتْ هَذَا حِينَ لَمْ تَخْشَ لَزْمًا وَلَا مَقَالًا، خَلَافَ أَوْلِ أَمْرِهَا إِذْ كَانَ ذَلِكَ بَيْنَهُ وَبَيْنَهَا.

**﴿وَلَيَكُونُنَا مِنَ الظَّنَّغِينَ﴾** أَيْ: الْأَذِلَاءِ. وَخُطُّ الْمَصْحَفِ: «وَلَيَكُونُنَا» بِالْأَلْفِ، وَتَقْرَأُ بِنُونٍ مَخْفَفَةً لِلتَّأكِيدِ، وَنُونٌ التَّأكِيدُ تَثْلِيلٌ وَتَخْفَفَ، وَالْوَقْفُ عَلَى قَوْلِهِ: **«لِيُسْجِنَنَّ»** بِالنُّونِ لِأَنَّهَا مَثْقَلَةٌ، وَعَلَى «لَيَكُونُنَا» بِالْأَلْفِ لِأَنَّهَا مَخْفَفَةٌ، وَهِيَ تَشَبَّهُ نُونُ الْإِعْرَابِ فِي

(١) المحتسب ١/٣٤٢.

(٢) معاني القرآن للنحاس ٣/٤٢٣ ، وينظر النكت والعيون ٣/٣٣ .

(٣) في تفسيره ١٤١/١٣ .

(٤) المحرر الوجيز ٣/٢٤١ ، وقوله: على بابه، أَيْ: فِي الإِشَارَةِ إِلَى غَائبٍ، كَمَا ذُكِرَ أَبْنَ عَطِيَّة.

(٥) أخرجه الطبرى ١٣/١٤٢ عن قتادة. ووقع في (ظ): استعف، بدل: استعصى.

قولك : رأيت رجلاً ، وزيداً ، وعمراً ، ومثله قوله : **﴿لَتَنْفَعُنَا بِالْأَيْمَنَ﴾** [العلق: ١٥] ونحوها ، الوقف<sup>(١)</sup> عليها بالألف ، كقول الأعشى :

**وَلَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ وَاللَّهُ فَاعْبُدَا**<sup>(٢)</sup>

أراد : فاعباداً<sup>(٣)</sup> ، فلما وقف عليه كان الوقف بالألف.

قوله تعالى : **﴿قَالَ رَبِّ السَّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مَا يَدْعُونِي إِلَيْهِ وَلَا تَصْرِيفُ عَنِّي كَيْدُهُنَّ أَصْبَرُ إِلَيْهِنَّ وَلَكُنْ مَنْ لَجَهَلَيْنَ ﴾** فَأَسْتَجَابَ لَهُ رَبُّهُ فَصَرَّفَ عَنْهُ كَيْدُهُنَّ إِلَهٌ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ<sup>(٤)</sup>

قوله تعالى : **﴿قَالَ رَبِّ السَّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مَا يَدْعُونِي إِلَيْهِ﴾** أي : دخول السجن ، فحذف المضاف ؛ قاله الزجاج والنحاس<sup>(٤)</sup> . «أَحَبُّ إِلَيَّ» أي : أسهل على وأهون من الوقوع في المعصية ، لا أن دخول السجن مما يحب على التحقيق.

وحكى أن يوسف عليه السلام لما قال : **﴿السَّجْنُ أَحَبُّ إِلَيَّ﴾** أوحى الله إليه : «يا يوسف ! أنت حبست نفسك حيث قلت : السجن أحب إلي ، ولو قلت : العافية أحب إلي ، لعفوت». <sup>(٥)</sup>

وحكى أبو حاتم أن عثمان بن عفان قرأ : **«السَّجْن»** بفتح السين ، وحكى أن ذلك قراءة ابن أبي إسحاق عبد الرحمن الأعرج ويعقوب ، وهو مصدر : سجنه سجننا<sup>(٦)</sup> .

(١) في (ظ) : الوقف. والمثبت من باقي النسخ. وتفسير الطبرى ١٤٢ / ١٣ - ١٤٣ ، والكلام منه.

(٢) تفسير الطبرى ١٤٣ / ١٣ ، وصدره عنه : وصل على حين العشيّات والضحى ، وهو في الديوان ص ١٨٧ برواية :

وَذَا النُّصْبِ الْمُنْصُوبِ لَا تُنْسِكُهُ      وَلَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ ...

(٣) في تفسير الطبرى : فاعبادنا.

(٤) معنى القرآن للزجاج ١٠٨ / ٣ ، وإعراب القرآن للنحاس ٣٢٨ / ٢ .

(٥) عيون الأخبار لابن قتيبة ٧٩ / ١ .

(٦) إعراب القرآن للنحاس ٣٢٨ / ٢ ، وقراءة يعقوب في الشر ٢٩٥ / ٢ ، وهو من العشرة .

**﴿وَلَا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ﴾** أي: كيد النساء اللاتي رأينه؛ فإنهن أمنتهن بمطاؤعة امرأة العزيز، وقلن له: هي مظلومة، وقد ظلمتها. وقيل: طلبت كل واحدة أن تخلي به للنصيحة في امرأة العزيز، والقصد بذلك أن تعذله في حقها، وتأمراه بمساعدتها، فلعله يُجِيب، فصارت كل واحدة تخلي به على حِدَة فتقول له: يا يوسف، اقض لي حاجتي فأنا خير لك من سيدتك. تدعوه كل واحدة لنفسها وتُراوده، فقال: يا رب كانت واحدة فصِرْنَ جماعة.

وقيل: كيد امرأة العزيز فيما دعته إليه من الفاحشة، وكَنَّ عنها بخطاب الجمع؛ إما تعظيمًا ل شأنها<sup>(١)</sup> في الخطاب، وإما ليعدل عن التصریح إلى التعریض. والکید: الاحتيال والاجتهاد؛ ولهذا سميت الحرب کیداً؛ لاحتیال الناس فيها؛ قال عمر بن لجأ:

نَرَاءُثُ گَنِي تَكِيدَكَ أَمْ يُشِيرُ      وَكِيدُ بِالْتَّبَرِجِ مَا تَكِيدُ  
**﴿أَئْتُبُ إِلَيْهِنَّ﴾** جواب الشرط، أي: أهل إليهن؛ من صبا يصبو: إذا مال واشتاق، صُبُوا وصَبُوا<sup>(٢)</sup>؛ قال:

إِلَى هَنْدِ صَبَا قَلْبِي      وَهَنْدِ مِثْلُهَا يُضِي<sup>(٤)</sup>  
 أي: إن لم تلطف بي في اجتناب المعصية وقعت فيها<sup>(٥)</sup>. **﴿وَأَنْ تَنَّ لَبَهِيَنَّ﴾** أي: من يرتكب الإثم ويستحق الذم، أو من يعمل عملاً الجھاً؛ ودلل هذا على أنَّ

(١) في (د) و(ز) و(م): لتعظيم شأنها، والمثبت من (ظ) و(ف)، وهو الموافق لما في النكت والعيون ٣٤/٣ ، والكلام منه.

(٢) الموثق لأبي الطيب الوشائه ص ١١٢ برواية: ... أم عمرو وكيدك...، ومتنه الطلب ٢٩٩/٧ برواية: بـث فـتـبـرـجـتـ لـكـ أـمـ بـدـرـ      وـكـيـدـاـ بـالـتـبـرـجـ...

(٣) تفسير البغوي ٤٢٤/٢ .

(٤) قاله يزيد بن ضبة، كما في مجاز القرآن ٣١١/١ ، والأغاني ١٠٢/٧ ، وهو في تفسير الطبرى ١٤٥/١٣ دون نسبة.

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٣٢٨/٢ .

أحداً لا يمتنع عن معصية الله إلّا بعون الله؛ ولدّ أيضاً على قبح الجهل والذمّ لصاحبه.

قوله تعالى: ﴿فَاسْتَجَابَ لِلَّهِ رَبِّهِ﴾ لما قال: «إِلَّا تَضِرُّفَ عَنِّي كَيْدَهُنَّ»؛ تعرّض للدعاء، وكأنه قال: اللهم اصرف عنّي كيدهنّ؛ فاستجاب له دعاءه، ولطف به، وعصمه عن الوقوع في الزنى. «كَيْدَهُنَّ» قيل: لأنهن جمع قد راودنه عن نفسه. وقيل: يعني كيد النساء. وقيل: يعني كيد امرأة العزيز، على ما ذكر في الآية قبل، والعموم أولى.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوْا الْآيَاتِ لِيَسْجُنُنَّهُ حَتَّىٰ جِئَنَ ﴾<sup>(١)</sup>  
فيه أربع مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُمْ﴾ أي: ظهر للعزيز وأهل مشورته ﴿مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوْا الْآيَاتِ﴾ أي: علامات براءة يوسف - من قد القميص من دبر، وشهادة الشاهد، وحز الأيدي، وقلة صبرهن عن لقاء يوسف - أن يسجنه كتماناً للقصة إلا تشيع في العامة، وللحيلولة بينه وبينها. وقيل: هي البركات التي كانت تنفتح عليهم ما دام يوسف فيهم. والأول أصح.

قال مقاتل عن مجاهد عن ابن عباس في قوله: ﴿ثُمَّ بَدَا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوْا الْآيَاتِ﴾ قال: [قد] القميص من الآيات، وشهادة الشاهد من الآيات، وقطع الأيدي من الآيات، وإعظام النساء إياه من الآيات<sup>(٢)</sup>.

وقيل: ألجأها الخجل من الناس، والوجل من اليأس، إلى أن رضيت بالحجاب مكان خوف الذهاب، لتشتفي إذا مُنعت من نظره؛ قال:  
وَمَا صَبَابَةُ مُشْتَاقٍ عَلَىٰ أَمْلٍ      مِنَ الْلِقَاءِ كَمُشْتَاقٍ بِلَا أَمْلٍ<sup>(٣)</sup>

(١) زاد المسير ٤/٢٢١، وما سلف بين حاصرتين منه، وأخرجه ابن أبي حاتم ٧/٢١٣٩ (١١٥٨٢) من طريق عكرمة عن ابن عباس بلفظ: من الآيات: قد القميص، وأثر السكين.

(٢) البيت للمنتبي، وهو في ديوانه ص ٣٣٦.

أو كادته رجاء أن يَمْلَ حَبْسَه فِي ذَلِّ نَفْسِه.

الثانية: قوله تعالى: ﴿لَيْسْ جُنْتَهُ﴾ في موضع الفاعل، أي: ظهر لهم أن يسجنوه. هذا قول سيبويه. قال المبرد: وهذا غلط؛ لا يكون الفاعل جملة، ولكن الفاعل ما دلّ عليه «بَذَّا»، وهو مصدر، أي: بدا لهم بَذَّا؛ فحذف [الفاعل] لأنَّ الفعل يدلُّ عليه، كما قال الشاعر:

وَحْقٌ لِمَنْ أَبْوَ مُوسَى أَبْوَهُ      يُؤْفَقُهُ الَّذِي نَصَبَ الْجَبَا<sup>(١)</sup>  
أي: وَحْقُ الْحَقِّ، فحذف.

وقيل: المعنى: ثم بدا لهم رأيُّ لم يكونوا يعرفونه، وحذف هذا لأنَّ في الكلام دليلاً عليه، وحذف أيضاً القول، أي: قالوا: ليُسْجِنَنَّهُ<sup>(٢)</sup>. واللامُ جوابٌ ليمينِ مضمرٍ. قاله الفراء<sup>(٣)</sup>، وهو فعل مذكرٌ لا فعل مؤنثٌ، ولو كان فعلاً مؤنثاً لكان: ليُسْجِنَنَّهُ، ويدلُّ على هذا قوله: ﴿لَهُم﴾ ولم يقل: لهنَّ، فكأنَّه أخبر عن النسوة وأعوانهنَّ، فغلب المذكر. قاله أبو عليٍّ.

وقال السُّدِّي: كان سبُّ حَبْسِ يُوسُفَ أَنَّ امْرَأَ الْعَزِيزَ شَكَّ إِلَيْهِ أَنَّهُ شَهَرَهَا وَنَشَرَ خَبْرَهَا<sup>(٤)</sup>، فالضمير على هذا في ﴿لَهُم﴾ للملك.

الثالثة: قوله تعالى: ﴿حَقَّ جِنِينٍ﴾ أي: إلى مَدْئَةٍ غَيْرِ مَعْلُومَةٍ. قاله كثير من المفسِّرين<sup>(٥)</sup>. وقال ابن عباس: إلى انقطاعٍ ما شاع في المدينة<sup>(٦)</sup>. وقال سعيد بن

(١) البيت الذي الرمة، وهو في ديوانه ١٥٤٦/٣ ، وإعراب القرآن للنحاس ٣٢٩/٢ ، والكلام وما سلف بين حاصلتين منه.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٣٢٩/٢ .

(٣) في معاني القرآن ٤٤/٢ .

(٤) أخرجه الطبراني ١٥٠/١٣ .

(٥) النكت والعيون ٣٥/٣ .

(٦) ذكره الرازى ١٣٣/١٨ ، وأورده الواحدى فى الوسيط ٦١٢/٢ ، والبغوى ٤٢٥/٢ عن عطاء.

جُبَيْرٌ: إلى ستة أشهر<sup>(١)</sup>. وحَكَى الْكِبَيَا أَنَّهُ عَنِي ثَلَاثَةَ عَشَرَ شَهْرًا<sup>(٢)</sup>. عِكْرَمَةُ: سبع سنين<sup>(٣)</sup>. الْكَلِيلِيُّ: خمس سنين<sup>(٤)</sup>. مُقَاتِلُ: [اثنتي عشرة سنة]<sup>(٥)</sup>. وقد مضى في «البقرة»<sup>(٦)</sup> القول في الحين وما يرتبط به من الأحكام. وقال وهب: أقام في السجن اثنتي عشرة سنة<sup>(٧)</sup>. و«حتى» بمعنى إلى، ك قوله: **﴿حَتَّىٰ مَطْلَعَ الْفَجْرِ﴾** [القدر: ٥].

وجعل الله الحبس تطهيرًا ليوسف ﷺ من هَمَّ بالمرأة. وكأنَّ العزيز - وإن عرف براءة يوسف - أطاع المرأة في سجن يوسف. قال ابن عباس: عَشَرَ يَوْسُفُ ثَلَاثَ عَشَرَاتَ، حِينَ هَمَّ بِهَا فَسُجِنَ، وَحِينَ قَالَ لِلْفَتِي: **﴿أَذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾** فَلَبِثَ فِي السجن بضع سنين، وَحِينَ قَالَ لِإِخْرُوتَهُ: **﴿إِنَّكُمْ لَسَرَّاقُونَ﴾** فَقَالُوا: **﴿إِنْ يَسِّرِّ فَقَدْ سَرَقَ أَخْ لَمْ يَنْ قَبِلَ﴾**<sup>(٨)</sup>.

الرابعة: أكره يوسف عليه السلام على الفاحشة بالسجن، وأقام [فيه] خمسة أعوام، وما رضي بذلك لعظيم منزلته وشريف قدره، ولو أكره رجل بالسجن على الزنى ما جاز له [ذلك] إجماعاً. فإن أكره بالضرب، فقد اختلف فيه العلماء؛ وال الصحيح أنه إذا كان فادحاً فإنه يسقط عنه إثم الزنى وحده. وقد قال بعض علمائنا: إنه لا يسقط عنه الحد، وهو ضعيف؛ فإن الله تعالى لا يجمع على عبده العذابين،

(١) أخرجه ابن أبي حاتم ٢١٤١/٧ (١١٥٩١) وذكره الماوردي في النكٰت والعيون ٣/٣٤.

(٢) كذا في النسخ، والذي في أحكام القرآن للكبَا ٢٣٧/٣ : ثلاٰث عشرة سنة.

(٣) في (د) و(ز) و(م): تسع سنين، والمثبت من باقي النسخ والمصادر، وقد أخرجه الطبرى ١٥١/١٣ ، وابن أبي حاتم ٢١٤١/٧ (١١٥٩٢)، وذكره الماوردي في النكٰت والعيون ٣/٣٤ .

(٤) تفسير أبي الليث ١٦١/٢ ، وتفسير البغوي ٢/٤٢٥ .

(٥) قوله: اثنتي عشرة سنة، سقط من النسخ الخطية، والمثبت من الوسيط ٦١٣/٢ ، وتفسير الرازى ١٣٣/١٨ .

(٦) ٤٧٨/١ - ٤٨٠ .

(٧) أخرجه عبد الرزاق في التفسير ٢/٣٢٣ بلفظ: لبِثَ يَوْسُفُ فِي السِّجْنِ سِبْعَ سَنِينَ، وَكَذَا ذُكِرَ الْجَصَاصُ فِي أَحْكَامِ الْقُرْآنِ ٣٧٣/٣ .

(٨) أخرجه الطبرى ١٤٩/١٣ . والحاكم ٣٤٦/٢ . وقال الذهبي في تلخيصه: وهو خبر منكر.

ولا يُصرفه بين بلاين؛ فإنه من أعظم الحرج في الدين<sup>(١)</sup>، «وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ» [الحج: ٧٨]. وسيأتي بيان هذا في «النحل» إن شاء الله<sup>(٢)</sup>. وصَبَرَ يُوسُفَ [على السجن]، واستعاد به من الكيد<sup>(٣)</sup>، فاستجاب له على ما تقدم.

قوله تعالى: «وَدَخَلَ مَعَهُ الْسِّجْنَ فَتَيَّانٌ قَالَ أَحَدُهُمَا إِنِّي أَرَيْتُكَ أَغْصِرُ خَمْرًا وَقَالَ الْآخَرُ إِنِّي أَرَيْتُكَ أَغْصِرُ فَوْقَ رَأْسِ خَبْرًا تَأْكُلُ الظَّيْرَ مِنْهُ نَيْتَنَا إِنَّا نَرَنَكَ مِنَ الْمُخْسِنِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقَانِيهِ إِلَّا بَثَانِكُمَا إِنَّا وَيْلٌ لِّلْكُفَّارِ أَنْ يَأْتِيَكُمَا ذَلِكُمَا مِمَّا عَلِمَنَا رَبِّكُمْ إِنِّي تَرَكْتُ مِلَةً قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَفِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَاتَّبَعْتُ مِلَةً مَا بَلَوْتَ إِنَّهُمْ لَا يَسْخَقُونَ وَيَعْقُوبُ مَا كَانَ لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ ﴿٢١﴾

قوله تعالى: «وَدَخَلَ مَعَهُ الْسِّجْنَ فَتَيَّانٌ» [فتيان] ثانية فتى، وهو من ذوات الباء، وقولهم: **الفُتُّوَّةُ**، شاذ<sup>(٤)</sup>. قال وهب وغيره: حُمل يُوسُف إلى السجن مقيداً على حمار، وطيف به: هذا جزاء من يعصي سيدته<sup>(٥)</sup>، وهو يقول: هذا أيسُرُّ من مقطّعات النّيران، وسراويل القطران، وشراب الحميم، وأكل الزّقوم.

فلما انتهى يُوسُف إلى السجن وجد فيه قوماً قد انقطع رجاؤهم، واشتدّ بلاهم، فجعل يقول لهم: اصبروا وأبشروا تُؤْجِروا، فقالوا له: يا فتى، ما أحسن حديثك!

(١) أحكام القرآن لابن العربي ١٠٧٤/٣ ، وما سلف بين حاصريتن منه، إلا أنه وقع فيه. وأقام فيه سبعة أعوام، بدل: خمسة أعوام.

(٢) عند تفسير الآية (١٠٦) منها.

(٣) أحكام القرآن لابن العربي ١٠٧٤/٣ ، وما سلف بين حاصريتن منه.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٣٢٨/٢ ، ووقع في (م): الفتور، بدل: الفتورة. والفتور - على فعل - جمع فتوى. قال سيبويه: أبدلوا الواو في الجمع والمصدر بدلاً شاذًا. الصحاح (فتا).

(٥) ذكر ابن عطية في المحرر الوجيز ٢٤٢/٣ عن ابن عباس نحوه، إلا أن فيه: ونودي عليه في أسواق مصر: إن يُوسُف العبراني أراد سيدته، فهذا جزاؤه أن يُسجَن.

لقد بورك لنا في جوارك، من أنت يا فتى؟ قال: أنا يوسف ابن صفي الله يعقوب، ابن ذبيح الله إسحاق، ابن خليل الله إبراهيم<sup>(١)</sup>.

وقال ابن عباس: لَمَّا قالت المرأة لزوجها: إن هذا العبد العبراني قد فضحتني، وأنا أريد أن تسجنه، فسجنه في السجن، فكان يُعزِّي فيه الحزينين، ويعود فيه المريض، ويداوي فيه الجريح، ويصلِّي الليل كله، ويبكي حتى تبكي معه جُدر البيوت وسقفها والأبواب، وظُهر به السجن، واستأنس به أهل السجن، فكان إذا خرج الرجل من السجن رجع حتى يجلس في السجن مع يوسف، وأحبه صاحب السجن فوسع عليه فيه، ثم قال له: يا يوسف! لقد أحببتك حَبًّا لم أحب شيئاً حَبًّا، فقال: أعود بالله من حَبِّك! قال: ولم ذلك؟ فقال: أحَبَّنِي أبي ففعل بي إخوتي ما فعلوه، وأحَبَّنِي سيدتي فنزل بي ما ترى. فكان في حبسه حتى غضب الملك على خبازه وصاحب شرابه، وذلك أنَّ الملك عُمْرَ فِيهِمْ فمُلُولَهُ، فدُشِّوا إلى خبازه وصاحب شرابه أن يَسْمَأهُ جمِيعاً، فأجاب الخباز وأبى صاحب الشراب، فانطلق صاحب الشراب فأخبر الملك بذلك، فأمر الملك بحبسهما، فاستأنسا بيوسف، فذلك قوله: «وَدَخَلَ مَعَهُ الْسِّجْنَ فَتَبَيَّنَ».

وقد قيل: إنَّ الْخَبَازَ وضع السُّمَّ في الطعام، فلما حضر الطعام قال السَّاقِي: أيها الملك! لا تأكل فإنَّ الطعام مسموم. وقال الْخَبَاز: أيها الملك لا تشرب! فإنَّ الشراب مسموم، فقال الملك للساقِي: اشرب. فشرب فلم يضره، وقال للخباز: كُلْ. فأبى، فجرَّب الطعام على حيوان فنفقَ مكانه، فحبسهما سنة، وبقيا في السجن تلك المدة مع يوسف<sup>(٢)</sup>.

واسم الساقِي منجا، والآخر مجلث؛ ذكره الثعلبي عن كعب. وقال النقاش:

(١) أخرجه الطبرى ١٥٧ / ١٣ - ١٥٨ عن قتادة مطولاً، وفي هذا الخبر نظر، فالذبيح هو إسماعيل على الصحيح.

(٢) ينظر عرائض المجالس ص ١٢٤ - ١٢٦ ، وتفسير البغوي ٤٢٥ / ٢ ، والمحرر الوجيز ٣ / ٢٤٣ ، وزاد المسير ٤ / ٢٢٢ .

اسم أحدهما شرهم، والآخر سرهم؛ الأول بالشين المعجمة، والآخر بالسين المهملة. وقال الطبرى<sup>(١)</sup>: الذي رأى أنه يعصر خمراً هو نبو، قال السهيلى<sup>(٢)</sup>: وذكر اسم الآخر ولم أقيده<sup>(٣)</sup>.

وقال «فتیان» لأنهما كانوا عبدين، والعبد يسمى فتى، صغيراً كان أو كبيراً؛ ذكره الماوردي<sup>(٤)</sup>.

وقال القشيري<sup>(٥)</sup>: ولعل الفتى كان اسم العبد في عزفهم؛ ولهذا قال: ﴿تُرْبَدُ فَتَنَّهَا عَنْ نَفْسِهِ﴾. ويحتمل أن يكون الفتى اسم الخادم وإن لم يكن مملوكاً، ويمكن أن يكون حبساًهما مع حبس يوسف أو بعده أو قبله، غير أنهما دخلا معه البيت الذي كان فيه.

﴿قَالَ أَحَدُهُمَا إِنَّ أَرَنِي أَغْصِرُ حَمَراً﴾ أي: عنباً. كان يوسف قال لأهل السجن: إني أعبُرُ الأحلام، فقال أحد الفترين لصاحبه: تعال حتى نجرّب هذا العبد العبراني، فسألاه من غير أن يكونا رأيا شيئاً. قاله ابن مسعود<sup>(٦)</sup>.

وحكى الطبرى<sup>(٧)</sup>: أنهما سألاه عن علمه، فقال: إني أعبُرُ الرؤيا، فسألاه عن رؤياهما. قال ابن عباس ومجاحد: كانت رؤيا صدق رأياها وسألاه عنها؛ ولذلك صدق تأويلها<sup>(٨)</sup>. وفي الصحيح عن أبي هريرة عن النبي ﷺ: «أصدقكم رؤيا أصدقكم حديثاً»<sup>(٩)</sup>.

(١) التعريف والإعلام ص ٨١ ، وعنه نقل المصنف قول الطبرى والنقاش. وقول الطبرى في تفسيره ١٥١ / ١٣ - ١٥٢ ؛ أخرجه عن ابن إسحاق، وذكر فيه أن اسم الآخر: مجلث.

(٢) في النكت والعيون ٣ / ٣٦ .

(٣) أخرجه الطبرى ١٣ / ١٥٣ و ١٦٧ - ١٦٨ .

(٤) في تفسيره ١٣ / ١٥٣ - ١٥٢ ، ونقله المصنف عنه بواسطة الماوردي في النكت والعيون ٣ / ٣٦ .

(٥) النكت والعيون ٣ / ٣٦ ، إلا أنه وقع فيه: ابن إسحاق، بدل: ابن عباس، وكذلك أخرجه الطبرى ١٣ / ١٥٣ - ١٥٤ عن مجاهد وابن إسحاق.

(٦) قطعة من حديث أخرجه أحمد (٧٦٤٢)، ومسلم (٢٢٦٣) عن أبي هريرة ﷺ.

وقيل: إنها كانت رؤيا كذب سالاً عنها تجرباً، وهذا قول ابن مسعود والسلدي<sup>(١)</sup>.

وقيل: إن المصلوب منهما كان كاذباً، والآخر صادقاً. قال أبو مجلز<sup>(٢)</sup>.

وروى الترمذى عن ابن عباس عن النبي ﷺ قال: «من تحلم كاذباً؛ كُلُّف يوم القيمة أن يَعْقِد بين شَعِيرَتَيْنَ [ولن يَعْقِد بَيْنَهُمَا]». قال أبو عيسى: هذا حديث حسن صحيح<sup>(٣)</sup>.

وعن عليٍّ عن النبي ﷺ قال: «من كَذَبَ فِي حُلْمِهِ؛ كُلُّفَ يوم القيمة عَقْدَ شَعِيرَةٍ».  
قال: حديث حسن<sup>(٤)</sup>.

قال ابن عباس: لَمَّا رأى رؤياهما أصبحا مَكْرُوبيْنَ، فقال لهما يوسف: ما لي أراكما مكروريْنَ؟ قالا: يا سيدنا، إِنَّا رأيْنا ما كَرِهْنَا، قال: فَقَصَّا عَلَيْهِ، فَقَصَّا عَلَيْهِ، قَالا: نَبَثَنَا بِتَأْوِيلِ مَا رأيْنا. وهذا يدلُّ على أنها كانت رؤيا منام<sup>(٥)</sup>.

**﴿إِنَّا نَرَثِكُ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾** فِي حَسَانَهِ أَنَّهُ كَانَ يَعُودُ الْمَرْضِيَّ وَيُدَاوِيهِمْ، وَيُعَزِّيَ الْحَزَانَى<sup>(٦)</sup>. قال الضحاك: كان إذا مرض الرجل من أهل السجن قام به، وإذا ضاق وسَعَ له، وإذا احتاج جَمَعَ له، وسأله له<sup>(٧)</sup>.

وقيل: «مِنَ الْمُحْسِنِينَ» أي: العالِمِينَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا الْعِلْمَ؛ قاله الفراء<sup>(٨)</sup>.

(١) أخرجه عن السدي الطبرى ١٥٣/١٣ ، وسلف عن ابن مسعود.

(٢) النكت والميون ٣٦/٣ .

(٣) سنن الترمذى (٢٢٨٣)، وما سلف بين حاصلتين منه، وأخرجه أيضاً أحمد (١٨٦٦)، والبخارى (٧٠٤٢). وأخرجه أحمد (١٠٤٩) من حديث أبي هريرة رض.

(٤) سنن الترمذى (٢٢٨١)، وهو عند أحمد (٥٦٨).

(٥) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٤/٤ ٢٢٣ من طريق أبي صالح عن ابن عباس.

(٦) ذكره ابن الجوزي ٤/٤ ٢٢٣ من طريق مجاهد عن ابن عباس.

(٧) عرائض المجالس ص ١٢٥ - ١٢٦ ، وفيه: وسأله ربه، بدل: وسأله له، وأخرجه الطبرى ١٣/١٥٦ - ١٥٧ .

(٨) في معاني القرآن ٢/٤٥ .

وقال ابن إسحاق: مِنَ الْمُخْسِنِينَ لَنَا إِنْ فَسَرْتَهُ<sup>(١)</sup> ، كما تقول: افعل كذا وأنت مُحسِن.

قال: فما رأيتما؟ قال الخباز: رأيت كأنني أختبزت في ثلاثة تنانير، وجعلته في ثلاث سلال، فوضعته على رأسي، فجاء الطير فأكل منه. وقال الآخر: رأيت كأنني أخذت ثلاثة عناقيد من عنب أبيض، فعصر ثمن في ثلاث أواني، ثم صفيته فسقيت الملك كعادتي فيما مضى<sup>(٢)</sup> ، فذلك قوله: ﴿إِنَّهُ أَرَى نَارًا أَغْصَرُ حَمَرًا﴾ أي: عنباً، بلuga عمان؛ قاله الضحاك<sup>(٣)</sup>. وقرأ ابن مسعود: «إِنَّهُ أَرَى نَارًا أَغْصَرُ عَنْبًا»<sup>(٤)</sup>. وقال الأصمسي: أخبرني المعتمر بن سليمان أنه لقي أعرابياً ومعه عنب فقال له: ما معك؟ قال: خمر. وقيل: معنى «أَغْصَرُ حَمَرًا» أي: عنب خمri، فحذف المضاف<sup>(٥)</sup>. ويقال: حمَرَةُ وَخَمَرُ وَخَمُورُ، مثل تمرة وتمر وثومر<sup>(٦)</sup>.

﴿قَالَ﴾ لهما يوسف: ﴿لَا يَأْتِيكُمَا طَعَامٌ ثُرَّةٌ قَاتِلٌ﴾ يعني لا يجيئكم غداً طعام من منزلهما ﴿إِلَّا بَنَاثَكُمَا بِتَأْوِيلِهِ﴾ لتعلما أني أعلم تأويل رؤياكم، فقالا: افعل! فقال لهم: يجيئكم كذا وكذا، فكان على ما قال، وكان هذا من علم الغيب خص به يوسف. وبين أن الله خص بهذا العلم؛ لأنه ترك ملة قوم لا يؤمنون بالله، يعني دين الملك.

ومعنى الكلام عندي: العلم بتأويل رؤياكم، والعلم بما يأتيكم من طعامكم، والعلم بدين الله، فاسمعوا أولاً ما يتعلق بالدين لتهدوا، ولهذا لم يعبر لهما حتى دعاهم إلى الإسلام، فقال: ﴿يَصَدِّحُ عَنِ السِّجْنِ هَذِهِ أَزْيَابٌ مُتَفَرِّقُونَ حَيْثُ أُمِّ اللَّهُ الْوَاحِدُ﴾

(١) أخرجه الطبرى ١٥٨/١٣ ، وذكره الماوردي في النكت والعيون ٣٧/٣ .

(٢) عرائس المجالس ص ١٢٥ ، وتفسیر البغوي ٤٢٥/٢ ، وزاد المسير ٤/ ٢٢٣ .

(٣) أخرجه الطبرى ١٣/١٥٥ .

(٤) المحتسب ١/٣٤٣ .

(٥) الوسيط ٦١٣/٢ ، وخبر الأصمسي عن المعتمر ذكره أيضاً ابن عطية في المحرر الوجيز ٣/٢٤٣ .

(٦) الصحاح (خمراً).

**الْقَهَّارُ مَا تَعْبُدُونَ** الآية كلها، على ما يأتي.

وقيل : علم أن أحدهما مقتول ، فدعاهما إلى الإسلام ليُسعدا به.

وقيل : إن يوسف كره أن يعبر لهما ما سأله ، لما علمه من المكروره على أحدهما ، فأعرض عن سؤالهما ، وأخذ في غيره فقال : **﴿لَا يَأْتِكُمَا طَعَامٌ تُرْزَقُ أَيْدِيهِ﴾** في النوم **﴿إِلَّا بَنَائِكُمَا﴾** بتفسيره في البقظة ؛ قاله السدي<sup>(١)</sup> . فقا له : هذا من فعل العرافين والكهنة ! فقال لهما يوسف عليه السلام : ما أنا بكافر ، وإنما ذلك مما علمنيه ربى<sup>(٢)</sup> ، إني لا أخبركم بما تكهننا وتنجيمـا ، بل هو بمحـي من الله عزوجلـ.

وقال ابن جريج : كان الملك إذا أراد قتل إنسان صنع له طعاماً معروفاً ، فأرسل به إليه ، فالمعنى : لا يأتيكم طعام ترزقـه في الـيقـظـة ، فعلـى هـذا : **﴿تُرْزَقُ أَيْدِيهِ﴾** ، أي : يجري عليـكمـ من جهةـ الملكـ أوـ غيرـهـ<sup>(٣)</sup> . ويـحـتمـلـ : يـرـزـقـكمـ اللهـ . قالـ الحـسنـ : كان يـخـبرـهمـ بماـ غـابـ ، كـعـيـسىـ عـلـيـهـ السـلامـ<sup>(٤)</sup> . وـقـيلـ : إنـماـ دـعـاهـمـ بـذـلـكـ إـلـىـ إـلـاسـلـامـ ، وـجـعـلـ المـعـجزـةـ التـيـ يـسـتـدـلـأـنـ بـهـ إـخـبـارـهـمـ بـالـغـيـوبـ.

قوله تعالى : **﴿وَاتَّبَعْتُ مِلَّةَ مَابَوَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَقْتُوبَ﴾** لأنـهمـ أـنبـيـاءـ عـلـىـ الحقـ **﴿وَمَا كَانَ﴾** أي : ما ينبغي **﴿لَنَا أَنْ شُرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ﴾** **﴿مِنْ﴾** للـتأـكـيدـ ، كـقولـكـ : ما جـاعـنيـ منـ أحدـ . وـقـولـهـ تـعـالـيـ : **﴿ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا﴾** إـشـارـةـ إـلـىـ عـصـمـتـهـ مـنـ الزـنـيـ **﴿وَعَلَى الْأَنْتَارِ﴾** أي : علىـ المؤـمـنـينـ الـذـينـ عـصـمـهـمـ اللهـ مـنـ الشـرـ.

وقيل : **﴿ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا﴾** إذـ جـعـلـناـ أـنبـيـاءـ ، **﴿وَكَلَّ أَنْتَارِ﴾** إذـ جـعـلـناـ الرـسـلـ إـلـيـهـمـ . **﴿وَلَكـنـ أـكـثـرـ الـأـنـسـ لـاـ بـتـكـرـونـ﴾** علىـ نـعـمـهـ بـالـتوـحـيدـ<sup>(٥)</sup> وـالـإـيمـانـ.

(١) بنحوه في المحرر الوجيز ٣/٤٤ .

(٢) عرائض المجالس ص ١٢٦ ، وتفسير البغوي ٢/٤٢ .

(٣) تفسير الطبرى ١٣/١٦١ - ١٦٢ .

(٤) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٣/٣٧ .

(٥) في (م) : على نعمة التوحيد.

قوله تعالى: ﴿يَصِدِّحُوا أَسْجِنَ إِرْبَابَ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ  
 ٢٩﴾ مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُوْنِهِ إِلَّا أَسْمَاءً سَمَيَّتُوهَا أَنْشَرَ وَإِبَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ  
 سُلْطَنٍ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ أَمْرٌ إِلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ ذَلِكَ الَّذِينَ الْقِيمُ وَلَكُنَّ أَكْثَرَ  
 أَنَّا يَسْ لَا يَعْلَمُونَ ٣٠﴾

قوله تعالى: ﴿يَصِدِّحُوا أَسْجِنَ﴾ أي: يا ساكني السجن، وذكر الصحبة لطول  
 مقامهما فيه، كقولك: أصحاب الجنة، وأصحاب النار<sup>(١)</sup>. ﴿إِرْبَابَ مُتَفَرِّقُونَ﴾ أي:  
 في الصغر والكبر والتوسط، أو متفرقون في العدد. ﴿خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾  
 وقيل: الخطاب لهما ولأهل السجن، وكان بين أيديهم أصنام يعبدونها من دون الله  
 تعالى، فقال ذلك إزاماً للحجّة، أي: آلهة شئ لا تضر ولا تنفع «خير أم الله الواحد  
 القهّار» الذي قهر كل شيء، نظيره: ﴿إِنَّ اللَّهَ خَيْرٌ أَمَّا يُشَرِّكُونَ﴾ [المل: ٥٩]. وقيل:  
 أشار بالتفرق إلى أنه لو تعدد الإله، لتفرقوا في الإرادة ولعل بعضهم على بعض،  
 وبين أنها إذا تفرقت لم تكن آلة.

قوله تعالى: ﴿مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُوْنِهِ إِلَّا أَسْمَاءً﴾ بين عجز الأصنام وضعفها، فقال:  
 «مَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُوْنِهِ» أي: من دون الله، إلا ذوات أسماء لا معانى لها. ﴿سَمَيَّتُوهَا﴾  
 من تلقاء أنفسكم. وقيل: عنى بالأسماء المسميات، أي: ما تعبدون إلا أصناماً ليس  
 لها من الإلهية شيء إلا الاسم؛ لأنها جمادات.

وقال: «مَا تَعْبُدُونَ» وقد ابتدأ بخطاب الاثنين؛ لأن قصد جميع من هو على مثل  
 حالهما من الشرك<sup>(٢)</sup>.

﴿إِلَّا أَسْمَاءً سَمَيَّتُوهَا أَنْشَرَ وَإِبَاؤُكُمْ﴾ فحذف المفعول الثاني للدلالة، والمعنى:  
 سميتوها آلة من عند أنفسكم. ﴿مَا أَنْزَلَ اللَّهُ﴾ ذلك في كتاب. قال سعيد بن جعير:

(١) تفسير البغوي ٤٢٧/٢ ، والمحرر الوجيز ٢٤٥/٣ .

(٢) تفسير البغوي ٤٢٧/٢ .

**﴿مِنْ سُلْطَنِي﴾** أي: من حجة<sup>(١)</sup>. **﴿إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ﴾** الذي هو خالق الكل **﴿أَمْرَ أَلَا  
تَبْدِلُوا إِلَّا إِيمَانَ﴾**. **﴿ذَلِكَ الَّذِينَ الظَّمِنُ﴾**. أي: القويم. **﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾**.  
قوله تعالى: **﴿يَصْنَحِي أَسْبَعِنَ أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا وَأَمَّا الْآخَرُ  
فَيُقْسِلُ فَتَأْكُلُ الْطَّيْرُ مِنْ رَأْسِهِ فَضَيْقَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْقِيَانٌ﴾** ①

فيه مسائلتان:

الأولى: قوله تعالى: **﴿أَمَّا أَحَدُكُمَا فَيَسْقِي رَبَّهُ خَمْرًا﴾** أي: قال للساقي: إنك تُرِدُ على عملك الذي كنت عليه من سقي الملك بعد ثلاثة أيام، وقال للأخر: وأماماً أنت فتدعى إلى ثلاثة أيام، فتصلب فتأكل الطير من رأسك، قال: والله ما رأيت شيئاً؛ قال: رأيت أو لم تر **﴿فَضَيْقَ الْأَمْرُ الَّذِي فِيهِ تَسْقِيَانٌ﴾**<sup>(٢)</sup>.

وحكى أهل اللغة أنَّ سقى وأنسقى لغتان بمعنى واحد، كما قال الشاعر:

سقى قومي ببني ماجد وأنسقى نميرأ والقبائل من هلال<sup>(٣)</sup>  
قال النحاس<sup>(٤)</sup>: الذي عليه أكثر أهل اللغة أنَّ معنى سقاه: ناوله فشرب، أو صبَّ الماء في حلقه. ومعنى أنسقاه: جعل له سقيا؛ قال الله تعالى: **﴿وَأَشْتَكِنُّ مَاهَةَ  
فُرَاتَةَ﴾** [المرسلات: ٢٧].

الثانية: قال علماؤنا<sup>(٥)</sup>: إن قيل: مَنْ كَذَبَ فِي رُؤْيَا فَفَسَرَهَا العَابِرُ لَهُ، أَيْلَزَهُ  
حُكْمُهَا؟ قلنا: لا يلزم، وإنما كان ذلك في يوسف لأنَّه نبي، وتعبير النبي حُكْمُهُ، وقد  
قال: إنه يكون كذلك وكذا، فَأَوْجَدَ اللَّهُ تَعَالَى مَا أَخْبَرَ كَمَا قَالَ، تَحْقِيقاً لِنِبْوَتِهِ.

(١) إعراب القرآن للنحاس ٢/٣٣٠.

(٢) أخرج هذا الكلام بنحوه الطبرى ١٦٧/١٣ - ١٦٩ عن عبد الله بن مسعود وغيره.

(٣) قائله ليدي، وقد سلف البيت ٢/١٣٥.

(٤) في إعراب القرآن ٢/٣٣٠ ، وما قبله منه.

(٥) أحكام القرآن لأبن العربي ٣/١٠٧٥ .

فإن قيل: فقد روى عبد الرزاق<sup>(١)</sup>، عن معمر، عن قتادة قال: جاء رجل إلى عمر ابن الخطاب فقال: إني رأيت كأنني أغشنتُ، ثم أجدبُ، ثم أغشنتُ، ثم أجدبُ، فقال له عمر: أنت رجل تؤمن ثم تكفر، ثم تؤمن ثم تكفر، ثم تموت كافراً؛ فقال الرجل: ما رأيت شيئاً! فقال له عمر: قد قضي لك ما قضي لصاحب يوسف.

قلنا: ليست لأحد بعد عمر؛ لأن عمر كان محدثاً، وكان إذا ظنَّ ظناً كان، وإذا تكلم به وقع، على ما ورد في أخباره، وهي كثيرة؛ منها: أنه دخل عليه رجل، فقال له: أظنك كاهناً، فكان كما ظنَّ. خرجه البخاري<sup>(٢)</sup>.

ومنها: أنه سأله رجلاً عن اسمه، فقال له فيه أسماء النار كلها<sup>(٣)</sup>، فقال له: أذرك أهلك فقد احترقوا، فكان كما قال. خرجه «الموطأ»<sup>(٤)</sup>. وسيأتي لهذا مزيد بيان في سورة الحجر<sup>(٥)</sup> إن شاء الله تعالى.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ أَنَّهُ نَاجٌ مِّنْهُمَا أَذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ فَأَنَّسَنَهُ أَشَيْطَنُ ذُكْرَ رَبِّيهِ فَلَمَّا يَرَى فِي السِّجْنِ يَضْعَمُ سِينِينَ﴾

فيه خمسُ مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لِلَّذِي ظَنَّ﴾ «ظنَّ» هنا بمعنى أَيْقَنَ، في قول أكثر المفسرين. وفَسَّرَه قتادة على الظنِّ الذي هو خلافُ اليقين؛ قال: إنما ظنَّ يوسف نجاته؛ لأنَّ العابر يظنُّ ظناً، وربُّك يخلق ما يشاء. والأول أصحُّ، وأشبهُ بحال

(١) في مصنفه (٢٠٣٦٢).

(٢) في صحيحه (٣٨٦٦) مطولاً.

(٣) في أحكام القرآن: فقال له أسماء فيها النار كلها.

(٤) ٩٧٣/٢ عن يحيى بن سعيد عن عمر، وهو منقطع، وأخرجه عبد الرزاق (١٩٨٦٤) عن معمر، عن رجل، عن ابن المسيب. وعزاه ابن حجر في الإصابة ١٢٨/٢ عبد الرزاق ولكنه قال: عن الزهربي، عن ابن المسيب. وأخرجه أبو القاسم بن بشران من طريق موسى بن عقبة، عن نافع، عن ابن عمر رضي الله عنهما كما في الإصابة ١٢٨/٢.

(٥) عند تفسير الآية (٧٥) منها.

الأنبياء، وأنَّ ما قاله للفتَّيْنِ في تعبير الرؤيا كان عن وحيٍ، وإنما يكون ظناً في حكم الناس، وأما في حقِّ الأنبياء فإنَّ حكمهم حقٌّ كيما وقع<sup>(١)</sup>.

الثانية: قوله تعالى: ﴿أَذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾ أي: سيدك، وذلك معروضٌ في اللغة أن يقال للسيد: رب؛ قال الأعشى:

رَبِّيْ كَرِيمٌ لَا يَكْلُرُ نِعْمَةً  
وَإِذَا تُنُوشِدُ بِالْمَهَارِقِ أَنْشَادًا<sup>(٢)</sup>

أي: اذكر ما رأيته، وما أنا عليه من عبارة الرؤيا للملك، وأخبره أنني مظلوم محبوس بلا ذنب.

وفي «صحيح» مسلم وغيره عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «لا يَقُلُّ أحَدُكُمْ: اسْقِي رَبِّكَ، أطْعِمِ رَبِّكَ، وَضُوعِ رَبِّكَ، وَلَا يَقُلُّ أحَدُكُمْ: رَبِّيْ، وَلَيَقُلُّ: سَيِّدِيْ، مَوْلَايْ، وَلَا يَقُلُّ أحَدُكُمْ: عَبْدِيْ أَمْتَيْ، وَلَيَقُلُّ: فَتَاهِيْ فَتَاهِيْ غَلامِيْ»<sup>(٣)</sup>.

وفي القرآن: ﴿أَذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾ ﴿إِنَّ رَبِّكَ﴾ [يوسف: ٥٠] ﴿إِنَّهُ رَبِّ أَخْسَنَ مَتَّوَّلِيْ﴾ [يوسف: ٢٣] أي: صاحبي، يعني العزيز. ويقال لكلٍّ من قام بإصلاح شيء وإتمامه: قد رَبَّهُ يَرِيهُ، فهو ربُّ له<sup>(٤)</sup>.

قال العلماء: قوله عليه الصلاة والسلام: «لا يَقُلُّ أحَدُكُمْ» «ولَيَقُلُّ» من باب الإرشاد إلى إطلاق اسم الأولى، لا أنَّ إطلاق ذلك الاسم محرّم؛ ولأنه قد جاء عنه عليه الصلاة والسلام: «أَنْ تَلِدَ الْأَمَّةَ رَبَّهَا»<sup>(٥)</sup> أي: مالكُها وسيدها، وهذا موافقٌ

(١) ينظر تفسير الطبرى ١٧١ / ١٣ ، والمحرر الوجيز ٢٤٦ / ٣ - ٢٤٧ ، وقول قادة أخرجه الطبرى ١٧١ / ١٣ .

(٢) معانى القرآن للنحاس ٤٢٨ / ٣ ، والبيت في ديوان الأعشى ص ٢٧٩ برواية: ينشاد. ووقع في (ظ) (و) (م): في المهارق، وكذا ذكره ابن قتيبة في المعانى الكبير ١ / ٥٤٧ وقال: في بمعنى الباء، وقال في شرحه: لا يكُنْ نعمة بالمن، وإذا ناشدو بالمهارق - وهي كتب الأنبياء - أنشدهم، أي: أجابهم.

(٣) صحيح مسلم (٢٢٤٩): (١٥)، وأخرجه أحمد (٨١٩٧) والبخاري (٢٥٥٢)، وسلف ٥ / ١٨٨ مختصرًا.

(٤) ينظر تهذيب اللغة ١٧٧ / ١٥ ، وإكمال المعلم ٧ / ١٨٨ .

(٥) قطعة من حديث جبريل الطويل، أخرجه أحمد (٩٥٠١)، والبخاري (٥٠)، ومسلم (٩): (٥) عن أبي هريرة ٢١١ / ١ برواية: ربها.

للقرآن في إطلاق ذلك اللفظ، فكان محل التهني في هذا الباب ألا تأخذ هذه الأسماء عادةً فترك الأولى والأحسن.

وقد قيل: إنَّ قول الرجل: عبدِي وأمِّي، يجمع معينين: أحدهما: أنَّ العبودية بالحقيقة إنما هي لله تعالى، ففي قول الواحد من الناس لمملوكه: عبدِي وأمِّي، تعظيمٌ عليه، وإضافةً له إلى نفسه بما أضافه الله تعالى به إلى نفسه؛ وذلك غيرُ جائز.

والثاني: أنَّ المملوك يدخله من ذلك شيءٌ في استصغاره بتلك التسمية، فيَخْمِلُه ذلك على سوء الطاعة.

وقال ابن شعبان في «الزاھي»: لا يقلُّ السید: عبدِي وأمِّي، ولا يقلُّ المملوك: ربِّي ولا رَئِيٍّ<sup>(١)</sup>. وهذا محمولٌ على ما ذكرناه.

وقيل: إنما قال النبي ﷺ: «لا يقلُ العبدُ: ربِّي، وليرقلُ: سيدِي»؛ لأنَّ الرَّبَّ من أسماء الله تعالى المستعملة بالاتفاق، واحتَلَّ في السید؛ هل هو من أسماء الله تعالى أم لا؟ فإذا قلنا: ليس من أسماء الله، فالفرقُ واضحٌ؛ إذ لا التباسَ ولا إشكال [يلزم من إطلاقه]. وإذا قلنا: إنه من أسمائه، فليس في الشُّهرة والاستعمال كلفظ الرَّبُّ، فيحصل الفرق<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن العربي<sup>(٣)</sup>: يحتمل أن يكون ذلك جائزًا في شرع يوسف عليه السلام.

**الثالثة:** قوله تعالى: **﴿فَأَنْسَهُ الشَّيْطَانُ ذُكْرَ رَبِّهِ﴾** الضمير في «فَأَنْسَاهُ» فيه

(١) إكمال المعلم ١٨٧/٧ ، وقال القاضي عياض بعد أن ذكر قول ابن شعبان: وذكر حديثاً في ذلك، وهو نحوٌ مما في كتاب مسلم. اهـ وابن شعبان هو محمد بن القاسم بن شعبان العمّاري المصري، أبو إسحاق، شيخ المالكية، من ولد عمار بن ياسر، ويعرف بابن القُزْطِي نسبة إلى بيع القرط. توفي سنة ٣٥٥هـ. السير ١٦/٧٨.

(٢) المفهم ٥/٥٥٤ ، وما سلف بين حاصلتين منه.

(٣) في أحكام القرآن ٣/١٠٧٧ .

قولان:

أحدهما: أنه عائد إلى يوسف عليه السلام، أي: أنباء الشيطان ذكر الله عز وجل؛ وذلك أنه لما قال يوسف لساقي الملك - حين علم أنه سينجو ويعود إلى حالته الأولى مع الملك - : «اذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ» نسي في ذلك الوقت أن يشكوا إلى الله ويستغيث به، وجئَ إلى الاعتصام بمخلوق<sup>(١)</sup>؛ فعوقب باللَّبَث.

قال عبد العزيز بن عمر الكَنْدِي<sup>(٢)</sup>: دخل جبريل على يوسف النبي عليه السلام في السجن، فعرفه يوسف، فقال: يا أخَا المُنذِّرِينَ! ما لي أراك بين الخاطئين؟! فقال جبريل عليه السلام: يا طَاهِرَ الطَّاهِرِينَ<sup>(٣)</sup>! يُقْرَنُكَ السَّلَامُ رَبُّ الْعَالَمِينَ ويقول: أما استحقتَ إذ استغثتَ بالأَدْمَيْنِ؟! وعَزَّتِي لِأَلْبَثَنَكَ فِي السَّجْنِ بِضَعْنَسْنِينَ؛ فقال: يا جبريل! أَهُو عَنِّي راضٍ؟ قال: نعم! قال: لا أَبَالِي السَّاعَةَ<sup>(٤)</sup>.

ورُوي أنَّ جبريل عليه السلام جاءه فعاتَبَه عن الله تعالى في ذلك وطَوَّلَ سَجْنَه، وقال له: يا يوسف! مَنْ خَلَصَكَ مِنَ القَتْلِ مِنْ أَيْدِي إِخْوَتِكَ؟! قال: الله تعالى، قال: فمن أخرجك من الجُبْتِ؟ قال: الله تعالى، قال: فمن عَصَمَكَ مِنَ الْفَاحِشَةِ؟ قال: الله تعالى، قال: فمن صَرَفَ عَنْكَ كِيدَ النَّسَاءِ؟ قال: الله تعالى، قال: فكيف وَثَقْتَ بِمَخْلُوقٍ وَتَرَكْتَ رَبَّكَ فَلِمْ تَسْأَلَهُ؟! قال: يا ربُّ، كَلْمَةً زَلَّتْ مِنِّي، أَسْأَلُكَ يَا إِلَهَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَالشَّيْخَ يَعْقُوبَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أَنْ تَرْحَمَنِي؛ فقال له جبريل: فإنَّ عقوتك أن تلبث في السجن بِضَعْنَسْنِينَ<sup>(٥)</sup>.

(١) المحرر الوجيز ٢٤٧/٣.

(٢) ذكره ابن الجوزي في صفة الصفوة ٤/٢٣٤ في الطبقة السادسة من أهل الشام، وقال: أصله من خراسان، لكنه سكن دمشق.

(٣) في (م): ابن الطاهرین.

(٤) تفسير أبي الليث ٢/١٦٣ ، وذكره الثعلبي في عرائض المجالس ص ١٢٧ ، والواحدي في الوسيط ٢/٦١٤ دون نسبة . وذكره البغوي ٢/٤٢٨ عن الحسن.

(٥) أخرجه ابن أبي حاتم ٧/٢١٤٩ - ٢١٥٠ (١١٦٤٢) عن أنس بنحوه، وذكره بنحوه أيضاً مختصرأ الثعلبي في عرائض المجالس ص ١٢٧ .

وروى أبو سلمة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «رَحِمَ اللَّهُ يُوسُفُ، لَوْلَا كَلِمَةُ الَّتِي قَالَ: ﴿أَذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾ مَا لَبِثَ فِي السَّجْنِ بَضْعَ سَنِينَ»<sup>(١)</sup>.

وقال ابن عباس: عوْقَبْ يُوسُفْ بِطْوَلِ الْحَبْسِ بَضْعَ سَنِينَ لَمَّا قَالَ لِلَّذِي نَجَاهُ مِنْهُمَا: ﴿أَذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾، وَلَوْذَكَرْ يُوسُفْ رَبَّهُ لَخَلَصَهُ<sup>(٢)</sup>.

وروى إسماعيل بن إبراهيم، عن يونس، عن الحسن قال: قال رسول الله ﷺ: «لَوْلَا كَلِمَةُ يُوسُفَ - يَعْنِي قَوْلَهُ: ﴿أَذْكُرْنِي عِنْدَ رَبِّكَ﴾ - مَا لَبِثَ فِي السَّجْنِ مَا لَبِثَ» قال: ثُمَّ يَبْكِي الْحَسْنُ وَيَقُولُ: نَحْنُ يَنْزَلُ بَنَا الْأَمْرُ فَنُشْكُونَا إِلَى النَّاسِ<sup>(٣)</sup>.

وَقِيلَ: إِنَّ الْهَاءَ تَعُودُ عَلَى النَّاجِيِّ، فَهُوَ النَّاسِيُّ، أَيْ: أَنْسَى الشَّيْطَانُ السَّاقِيَ أَنْ يَذْكُرَ يُوسُفَ لَرِبِّهِ، أَيْ: لَسِيدِهِ. وَفِيهِ حَذْفٌ، أَيْ: أَنْسَاهُ الشَّيْطَانُ ذِكْرَهُ لِرَبِّهِ<sup>(٤)</sup>. وَقَدْ رَجَحَ بَعْضُ الْعُلَمَاءَ هَذَا الْقَوْلَ فَقَالَ: لَوْلَا أَنَّ الشَّيْطَانَ أَنْسَى يُوسُفَ ذِكْرَ اللَّهِ لَمَّا اسْتَحْقَّ الْعَقَابَ بِاللَّبَثِ فِي السَّجْنِ؛ إِذَا النَّاسِيُّ غَيْرُ مُؤَاخِذٍ.

وَأَجَابَ أَهْلُ الْقَوْلِ الْأَوَّلِ: بِأَنَّ النَّسِيَانَ قَدْ يَكُونُ بِمَعْنَى التَّرْكِ، فَلَمَّا تَرَكَ ذِكْرَ اللَّهِ وَدَعَاهُ الشَّيْطَانُ إِلَى ذَلِكَ عَوْقَبَ.

رَدَّ عَلَيْهِمْ أَهْلُ الْقَوْلِ الثَّانِي بِقَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿وَقَالَ اللَّهُ أَلَّا يَمْهُدَنَا وَأَذْكُرَ بَعْدَ أَمْتَهُ﴾ [يوسف: ٤٥]، فَدَلَّ عَلَى أَنَّ النَّاسِيَّ هُوَ السَّاقِي لَا يُوسُفُ، مَعَ قَوْلِهِ تَعَالَى: ﴿إِنَّ عَبَادِي لَيَسَ لَّكَ عَلَيْهِمْ شَلُطَنٌ﴾ [الحجر: ٤٢]، فَكَيْفَ يَصْحُّ أَنْ يَضَافَ نَسِيَانُهُ إِلَى الشَّيْطَانِ، وَلَيْسَ لَهُ عَلَى الْأَنْبِيَاءِ سُلْطَنَةٌ؟!

قِيلَ: أَمَّا النَّسِيَانُ فَلَا عِصْمَةَ لِلْأَنْبِيَاءِ عَنْهُ إِلَّا فِي وِجْهِ وَاحِدٍ، وَهُوَ الْخَبْرُ عَنِ اللَّهِ

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ حِبَّانَ (٦٢٠٦)، وَابْنُ أَبِي حَاتِمَ (٢١٤٨/٧) (١١٦٣٤).

(٢) النَّكْتُ وَالْعَيْنُونُ ٤٠/٣ ، وَأَخْرَجَهُ ابْنُ أَبِي حَاتِمَ (٢١٥٠/٧) (١١٦٤٣) دُونَ قَوْلِهِ: وَلَوْذَكَرْ يُوسُفَ رَبَّهُ لَخَلَصَهُ.

(٣) أَخْرَجَهُ أَحْمَدُ فِي الزَّهْدِ صِ١٠٣ ، وَالطَّبَرِيُّ ١٧٣/١٣ .

(٤) تَفْسِيرُ الْبَغْوَى ٤٢٨/٢ .

تعالى فيما يلْغونه، فإنهم معصومون فيه، وإذا وقع منهم السباقُ حيث يجوز وقوعه؛ فإنه يُنَسَّب إلى الشيطان إطلاقاً، وذلك إنما يكون فيما أخبر الله عنهم [أو يخبرون به عن أنفسهم]، ولا يجوز لنا نحن ذلك فيهم<sup>(١)</sup>؛ قال ﷺ: «نَسِيَ آدُمُ، فَنَسِيَتْ دُرِيَّةٌ». وقال: «إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ أَنْسَى كَمَا تَنسَوْنَ». وقد تقدَّم<sup>(٢)</sup>.

الرابعة: قوله تعالى: «فَلَمَّا فِي الْسِّجْنِ بَضَعَ سِتِينَ» **البِضُّعُ**: قطعة من الدهر مختلفٌ فيها؛ قال يعقوب عن أبي زيد: يقال: بَضَعٌ وَبَضُّعٌ، بفتح الباء وكسرها<sup>(٣)</sup>، قال أكثرهم: ولا يقال: بَضَعٌ وَمِنْهُ، وإنما هو إلى التسعين<sup>(٤)</sup>.

**وقال الهروي**: العرب تستعمل **البِضُّعُ** فيما بين الثلاث إلى التسع. وال**بَضُّعُ** وال**بِضُّعُةُ** واحد، ومعناهما: القطعة من العدد.

وحَكَى عن أبي عبيدة أنه قال<sup>(٥)</sup>: **البِضُّعُ** ما دون نصف العقد. يريد ما بين الواحد إلى أربعة، وهذا ليس بشيء.

وفي الحديث أنَّ رسول الله ﷺ قال لأبي بكر الصديق **«وَكَمِ الْبِضُّعُ؟»** فقال: ما بين **الثَّلَاثَ إِلَى السَّبْعَ**، فقال: **«اذْهَبْ فَزَايِدْ فِي الْحَظْرِ»**<sup>(٦)</sup>.

(١) أحكام القرآن لابن العربي ١٠٧٦/٣ - ١٠٧٧ ، وما سلف بين حاضرتين منه.

(٢) تقدم الحديث الأول ٢٩٣/١ - ٢٩٤ ، والحديث الثاني ٤٢١/٨ .

(٣) بنحوه في إصلاح المتنطق ص ٣٦ ، وتهذيب اللغة ٤٨٨/١ .

(٤) هو في تفسير الطبرى بنحوه ١٣/١٧٧ .

(٥) المثبت من (ظ)، وفي غيرها: وحَكَى أبو عبيدة أنه قال، وينظر تهذيب اللغة ٤٨٨/١ ، والمحرر الوجيز ٢٤٧/٣ .

(٦) **الْحَظْرُ**: الذي يوضع في النصال والرهان، فمن سبق أخيه. تهذيب اللغة ٧/٢٢٤ . وقال ذلك رسول الله ﷺ لأبي بكر **ع** عند مراهنته المشركين في غلب الروم لفارس. وقد أخرجه الطبرى كما في تفسير ابن كثير عند تفسير أول آيات سورة الروم من حديث البراء بن عازب **ع** بلفظ: «تَعَرَّضُ لَهُمْ وَأَغْطِيمُ الْحَظْرِ...». وأخرجه بنحوه أحمد ٢٤٩٥ ، والترمذى ٣١٩١ (٣١٩٣) ، والنمسائى فى الكبيرى (١١٣٢٥) من حديث ابن عباس رضى الله عنهما. قال الترمذى: حسن غريب. وأخرجه بنحوه =

وعلى هذا أكثر المفسرين، أنَّ الْبَضْعَ سِبْعٌ؛ حَكَاهُ التَّعْلِيَّيُّ<sup>(١)</sup>؛ قال الماورديُّ: وهو قولُ أَبِي بَكْرِ الصَّدِيقِ ﷺ وَقَطْرُبٍ.

وقال مجاهد: من ثلَاثَةِ إِلَى تِسْعَةِ. وَقَالَهُ الْأَصْمَعِيُّ. ابن عباس: من ثلَاثَ إِلَى عَشَرَةِ<sup>(٢)</sup>. وَحَكَى الرَّجَاجُ أَنَّهُ مَا بَيْنَ الثَّلَاثَ إِلَى الْخَمْسَ. قال الفَرَاءُ: وَالْبَضْعُ لَا يُذَكَّرُ إِلَّا مَعَ الْعَشَرَةِ وَالْعَشَرِينَ إِلَى التِّسْعِينَ، وَلَا يُذَكَّرُ بَعْدَ الْمِائَةِ<sup>(٣)</sup>.

وفي المدة التي لبث فيها يوسف مسجوناً ثلاثة أقوال :

أحدُها: سِبْعَ سَنِينَ؛ قَالَهُ ابْنُ جُرَيْجَ وَقَتَادَةَ وَوَهْبَ بْنُ مُنْبَهٍ؛ قَالَ وَهْبٌ: أَقَامَ أَيُوبُ فِي الْبَلَاءِ سِبْعَ سَنِينَ، وَأَقَامَ يُوسُفَ فِي السِّجْنِ سِبْعَ سَنِينَ.  
الثاني: أَثْنَتَانِ عَشَرَةِ سَنَةً؛ قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ.  
الثالث: أَرْبَعَ عَشَرَةِ سَنَةً؛ قَالَهُ الضَّحَّاكُ<sup>(٤)</sup>.

وقال مقاتل، عن مجاهد، عن ابن عباس قال: مكثَ يوسف في السجن خمساً وبِضْعَا. وَاشتقاقُه من بَضْعُ الشَّيْءِ، أي: قطعته، فهو قطعةٌ من العدد، فعاقب الله يوسف بأنْ حُبِّسَ سِبْعَ سَنِينَ، أو تِسْعَ سَنِينَ بَعْدَ الْخَمْسَ الَّتِي مَضَتْ، فَالْبَضْعُ مَدْهُ العقوبة، لا مَدْهُ الْحِسْنَ كُلُّهُ<sup>(٥)</sup>.

= أيضاً الترمذى (٣١٩٤) من حديث نثار بن مكْرَمَ الأَسْلَمِيِّ، وقال: صحيح حسن غريب. ولم يقع في أئمَّةِ هَذِهِ الرَّوَايَاتِ أَنَّ الْبَضْعَ مِنَ الْثَّلَاثَ إِلَى السِّبْعِ، وإنما وقع في بعضها أَنَّهُ مِنَ الْثَّلَاثَ إِلَى التِّسْعَ، وفي بعضها أَنَّهُ مَادُونُ الْعَشَرِ. وكذا استدلَّ به ابن عطية في المحرر الوجيز ٢٤٧ / ٣ على أَنَّ الْبَضْعَ مِنَ الْثَّلَاثَ إِلَى التِّسْعَ.

(١) في عرائض المجالس ص ١٢٧ ، وكذلك حكى الواحدي في الوسيط ٦١٤ / ٢ ، والبغوي ٤٢٨ / ٢ .

(٢) النكت والعيون ٤٠ / ٣ ، وقول مجاهد أخرجه الطبرى ١٧٦ / ١٣ ، وأخرج عن ابن عباس أنَّ الْبَضْعَ مِنَ الْعَشَرَةِ، وكذا ذكره عنه البغوي ٤٢٨ / ٢ .

(٣) النكت والعيون ٤٠ / ٣ ، وَكَلَامُ الرَّجَاجِ فِي مَعَانِيهِ ١١٢ / ٣ ، وَقَدْ رَجَعَ فِيهِ قَوْلُ مجاهدِ وَالْأَصْمَعِيِّ.

(٤) ذكر هذه الأقوال الماوردي في النكت والعيون ٤٠ / ٣ - ٤١ ، عدا قول وَهْبِ بْنِ مُنْبَهٍ، وسيأتي تخریج خبره.

(٥) ذكر التعليبي في عرائض المجالس ص ١٢٧ نحوه عن الكلبي.

قال وهب بن مُنبه: حُبس يوسف في السجن سبع سنين، ومكث أَيُوبُ في البلاء سبع سنين، وعذب بختصر بالمسخ سبع سنين<sup>(١)</sup>.

وقال عبد الله بن راشد البصري<sup>(٢)</sup> عن سعيد بن أبي عروبة: إنَّ الْبَضْعَ مَا بَيْنَ الْخَمْسِ إِلَى الْأَشْتَى عَشَرَةً سَنَةً.

الخامسة: في هذه الآية دليل على جواز التعلق بالأسباب وإن كان اليقين حاصلًا، فإنَّ الأمور بيد مُسبِّبها، ولكنَّ جعلها سلسلة، ورَكِبَ بعضها على بعض، فتحرى كُلُّها سُنَّة، والتعویلُ على المتهي يقين. والذي يدلُّ على جواز ذلك نسبة ما جرى من النسيان إلى الشيطان، كما جرى لموسى في لقيا الخضر؛ وهذا بَيْنَ فَتَأْمَلُوهُ<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعَ عِجَافٍ وَسَبْعَ سُلْكَتِ خُفْرٍ وَآخَرَ يَأْسَتُ يَأْتِيهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَتِي إِنْ كُنْتَ لِلرَّؤْيَا تَقْبُرُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ إِنِّي أَرَى سَبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ﴾ لَمَّا دَنَا فَرَجُ يُوسُفَ عَلَيْهِ السلام، رأى الملك رؤياه، فنزل جبريل، فسلم على يوسف، ويشيره بالفرج وقال: إنَّ الله مُخْرِجُك من سجنك، ومُمْكِنُ لك في الأرض، يَذْلِلُ لك ملوكها، ويطيعك جبارتها، ومعطيك الكلمة العليا على إخوتكم، وذلك بسبب رؤيا رأها الملك، وهي كَيْتَ وَكَيْتَ، وَتَأْوِيلُهَا كَذَا وَكَذَا. فما لبث في السجن أكثرَ مما رأى الملك الرؤيا حتى خرج، فجعل الله الرؤيا أَوْلًا لِيُوسُفَ بِلَاءً وَشَدَّةً، وَجَعَلَهَا آخِرًا بُشْرَى وَرَحْمَةً.

وذلك أنَّ الملك الأكبر الرَّئَانَ بنَ الوليد رأى في نومه كأنما خرج من نهر يابس سبْعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ، فِي أَثْرِهِنَّ سَبْعَ عِجَافٍ - أي: مهازيل - وقد أقبلت العِجَافُ على

(١) أخرجه عبد الرزاق /١٣٢٣ ، والطبراني /١٧٥ /١٣ ، ووقع عند عبد الرزاق: وعذب بختصر حُوُّل في السبع سبع سنين، وعند الطبراني مثله إلا أنه قال: يجول، بدل: حُوُّل.

(٢) لم نقف على ترجمته.

(٣) أحكام القرآن لابن العربي . ٣/١٠٧٧

السّمَان، فأخذن بآذانهنَّ فأكلُنَّهُنَّ، إِلَّا الْقَرْنِينِ، ورأى سبع سنبلاتٍ خُضْرٍ قد أقبل عليهن سبع يابساتٍ، فأكلُنَّهُنَّ حتى أتین علیهنَّ، فلم يبقَ منهنَّ شَيْءٌ وَهُنَّ يابساتٍ، وكذلك البقرُ كُنَّ عِجَافًا، فلم يزد فيهم شَيْءٌ من أكلُنَّ السّمَانِ، فهالثُّ الرؤيا، فأرسل إلى الناس وأهل العلم منهم والبصَر بالكَهَانَة والتَّجَاهَة والغَرَافَة والسُّحْرِ، وأشارَفِ قومه، فقال: «يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ أَفْتُونِي فِي رُؤْيَايِّ»، فقصَّ عليهم، فقال القوم: أَضْعَاثُ أَخْلَامٍ»<sup>(١)</sup>.

قال ابن جرير: قال لي عطاء: إنَّ أَضْعَاثَ الْأَحْلَامِ: الْكَاذِبَةُ الْمُخْطَطَةُ من الرؤيا. وقال جُوَيْرَ، عن الضَّحَّاكِ، عن ابن عباس قال: إن الرؤيا: منها حقٌّ، ومنها أَضْعَاثُ أَحْلَامٍ، يعني بها الكاذبة<sup>(٢)</sup>.

وقال الْهَرَوِيُّ: قوله تعالى: «أَضْنَثْتُ أَخْنَثَيْ» أي: أَخْلَاطُ أَحْلَامٍ<sup>(٣)</sup>. والضُّفتُ في اللغة: الْحُزْمَةُ مِن الشَّيْءِ، كَالْبَقْلُ وَالكَلَّا وَمَا أَشْبَهُمَا، أي: قالوا: لِيَسْتَ رُؤْيَاكَ بِيَنَّةً، وَالْأَحْلَامُ: الرُّؤْيَا الْمُخْتَلَطَةُ<sup>(٤)</sup>.

وقال مجاهد: أَضْعَاثُ الرُّؤْيَا: أَهَاوِيلُهَا. وقال أبو عبيدة: الأَضْعَاثُ: مَا لا تُأْوِيلَ لَهُ مِن الرُّؤْيَا<sup>(٥)</sup>.

قوله تعالى: «سَبَعَ بَقَرَاتٍ سِمَانٍ» حذفت الهاء من «سبع» فرقاً بين المذَكَّر والمُؤْنَث. «سِمَانٍ» من نَعْتِ الْبَقَرَاتِ، ويجوز في غير القرآن: سبعة بقرات سِمَانًا،

(١) بنحوه في عرائس المجالس ص ١٢٧ ، والوسط ٦١٥ / ٢ ، وتفصير البغوي ٤٢٨ / ٢ .

(٢) لم نقف عليه عن ابن عباس، وأخرج الطبرى ١٨٠ / ١٣ ، من طريق جوير وغيره نحوه عن الضحاك قوله.

(٣) ذكر الماوردي في النكٰت والعيون ٤١ / ٣ هذا الفرع عن عمر وقادة.

(٤) ينظر معاني القرآن للتحاسن ٤٣١ / ٣ ، وتهذيب اللغة ٤ / ٨ - ٦ .

(٥) النكٰت والعيون ٤٢ / ٣ ، وقول أبي عبيدة في كتابه مجاز القرآن ٣١٢ / ١ . وقول مجاهد آخرجه الطبرى ٢٢٦ / ١٦ .

نعت للسبع، وكذا خضراً؛ قال الفراء: ومثله: **﴿سبع سَوَاتٍ طِبَاقاً﴾** [الملك: ٣]<sup>(١)</sup>. وقد مضى في سورة البقرة أشتقاقها ومعناها<sup>(٢)</sup>.

وقال عليّ بن أبي طالب **ﷺ**: المَعْزُ والبَقَرُ إِذَا دَخَلَتِ الْمَدِينَةَ، فَإِنْ كَانَتْ سِيَّمَانَةً فَهِيَ سِيَّئَ رِحَاءٌ، وَإِنْ كَانَتْ عِجَافًا كَانَتْ شِدَادًا، وَإِنْ كَانَتْ الْمَدِينَةَ مَدِينَةً بَحْرٍ وَإِيَّانَ سَفَرٍ، قَدَمَتْ سَفَنٌ عَلَى عَدْدِهَا وَحَالِهَا، وَإِلَّا كَانَتْ فِتَنًا مُتَرَادِفَةً، كَانَهَا وَجْهُ الْبَقَرِ - كَمَا في الْخَبَرِ: «يُشَبِّهُ بَعْضُهَا بَعْضًا»<sup>(٣)</sup>. وفي خَبَرٍ آخَرَ فِي الْفَتْنَةِ: «كَانَهَا صَيَّاصِيُّ الْبَقَرِ»<sup>(٤)</sup>. يَرِيدُ: لِتَشَابَهُهَا - إِلَّا أَنْ تَكُونَ صُفْرًا كُلُّهَا، فَإِنَّهَا أَمْرَاضٌ تَدْخُلُ عَلَى النَّاسِ، وَإِنْ كَانَتْ مُخْتَلِفَةً الْأَلْوَانَ، شَنِيعَةُ الْقَرْوَنَ، وَكَانَ النَّاسُ يَنْفِرُونَ مِنْهَا، أَوْ كَانَ النَّارُ وَالْدُّخَانُ يَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهَا، فَإِنَّهُ عَسْكَرٌ أَوْ غَارَةٌ، أَوْ عَدُوٌّ يَضْرِبُ عَلَيْهِمْ وَيَنْزِلُ بِسَاحِطِهِمْ<sup>(٥)</sup>.

وَقَدْ تَدَلُّ الْبَقَرَةُ عَلَى الزَّوْجَةِ وَالْخَادِمِ وَالْغَلَّةِ وَالسَّيْنَةِ؛ لِمَا يَكُونُ فِيهَا مِنَ الْوَلَدِ وَالْغَلَّةِ وَالنَّبَاتِ.

**﴿يَأَكُلُّهُنَّ سَبْعٌ عِجَافٌ﴾** مِنْ عَجَفٍ يَعْجَفُ؛ عَلَى وَزْنٍ: عَظِيمٌ يَعْظُمُ، وَرَوِيَ: عَجَفٍ يَعْجَفُ؛ عَلَى وَزْنٍ: حَمِيدٌ يَحْمَدُ.

قوله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الْمُلَائِكَةُ أَنْتُمْ فِي رُؤْيَتِنِي﴾** جَمْعُ الرُّؤْيَا: رُؤْيٌ، أي: أَخْبَرُونِي بِحُكْمِ هَذِهِ الرُّؤْيَا. **﴿إِنْ كُنْتُتِ لِرَأْيِكَ تَقْبُرُونَ﴾** الْعَبَارَةُ مُشَتَّتَةٌ مِنْ عَبْرَةِ النَّهْرِ، فَمَعْنَى عَبَرَتُ النَّهْرَ: بَلَغَتْ شَاطِئَهُ، فَعَابَرَ الرُّؤْيَا يَعْبُرُ بِمَا يَوْلِي إِلَيْهِ أَمْرُهَا. وَاللامُ فِي «لِرَأْيِكَ»

(١) إعراب القرآن للنحاس ٣٣١/٢ ، وَكَلَامُ الْفَرَاءِ فِي مَعْنَى الْقُرْآنِ لَهُ ٤٧/٢ .

(٢) ١٧٨/٢ .

(٣) قطعة من حديث حذيفة **ﷺ** أخرجه أحمد (٢٣٣٢٨) بلفظ: «فتَنٌ كَقْطَعِ الْلَّيلِ الْمُظْلَمِ يَتَبعُ بَعْضَهَا بَعْضًا، تَأْتِيكُمْ مُشَبِّهٌ كَوْجُوهِ الْبَقَرِ». وقد سلف بمنحوه ١٨٨/٢ .

(٤) أخرجه أحمد (٤١٧٠٠) من حديث عبد الله بن حَوَالَةَ **ﷺ**. وصياصي البقر: قرونها. اللسان (صياص).

(٥) ذُكرَ هَذَا الْكَلَامُ فِي كِتَابِ تَفْسِيرِ الْأَحَلَامِ الْمُنْسُوبِ لَابْنِ سِيرِينَ صَ ٢١٤ دُونَ نَسْبَةٍ.

للثَّبِينَ، أَيْ: إِنْ كُتُمْ تَعْبُرُونَ، ثُمَّ بَيْنَ فَقَالَ: لِلرُّؤْيَا؛ قَالَهُ الزَّجَاجُ<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: **﴿فَأَلْوَّا أَضْغَاثَ أَخْلَقَ وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَخْلَقِيْمِ بِعَلِيمِنَ﴾**<sup>(٢)</sup> في مسألتان:

الأولى: قوله تعالى: **﴿أَضْغَاثَ أَخْلَقَ﴾** قال الفراء: ويجوز: أضغاث أحلام<sup>(٣)</sup>؛ قال النحاس: النصب بعيد؛ لأنَّ المعنى: لم تَشِنَا له تأويلًا، إنما هي أضغاث أحلام<sup>(٤)</sup>، أَيْ: أَخْلَاطُ. وواحد الأضغاث ضُغْثٌ، يقال لـكُلِّ مختلطٍ من بَقْلٍ أو حشيشٍ أو غيرهما: ضُغْثٌ<sup>(٥)</sup>؛ قال الشاعر:

كضغثِ حُلْمٍ غُرًّا منه حالِمُه<sup>(٦)</sup>

**﴿وَمَا نَحْنُ بِتَأْوِيلِ الْأَخْلَقِيْمِ بِعَلِيمِنَ﴾** قال الزجاج: المعنى: بتأويل الأحلام المختلطة<sup>(٧)</sup>. نَفَوا عن أنفسهم علم ما لا تأويل له، لا أنَّهم نَفَوا عن أنفسهم علم التأويل.

وقيل: نَفَوا عن أنفسهم علم التعبير. والأضغاث على هذا: الجماعات من الرؤيا التي منها صحيحة ومنها باطلة، ولهذا قال الساقي: «أَنَا أَبْتَكُمْ بِتَأْوِيلِهِ»، فعلم أنَّ القوم عجزوا عن التأويل، لا أنَّهم ادَّعُوا أَلَا تأويل لها.

وقيل: إنَّهم لم يقصدوا تفسيرًا، وإنَّما أرادوا مَحْوَهَا من صدر الملك حتى لا تشغل باله<sup>(٨)</sup>، وعلى هذا أيضًا فعدهم علم.

(١) في معاني القرآن ١١٢/٣ . قال الزمخشري في الكشاف ٣٢٣/٢ : وَعَبَرَتِ الرُّؤْيَا - بالخفيف - هو الذي اعتمد الأثبات.

(٢) يعني في اللغة، لا في القراءة، أَيْ: رأيَتْ أَضْغَاثَ أَحْلَامٍ. معاني القرآن للقراءة ٤٧/٢ ، وإعراب القرآن للنحاس ٣٣١/٣ .

(٣) إعراب القرآن ٢٣١/٢ .

(٤) معاني القرآن للنحاس ٤٣١/٣ .

(٥) ذكره أبو عبيدة في مجالس القرآن ٣٥/١ ، والماوردي في النكت والعيون ٤٢/٣ .

(٦) معاني القرآن للزجاج ١١٣/٣ ، ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٣٣١/٣ .

(٧) أحكام القرآن لابن العربي ١٠٧٨/٣ .

و«الأَخْلَامُ» جمع حَلْمٌ، والـحَلْمُ بالضمّ: ما يراه النائم؛ تقول منه: حَلَمَ بالفتح واختَلَمَ، وتقول: حَلَمْتُ بِكُنْدَا وَحَلَمْتُهُ، قال: فـحَلَمْتُهَا وَبَنَوْ رُفَيْدَةَ دُونَهَا لَا يَبْعَدَنَّ خَيْالُهَا الـمَحْلُومُ<sup>(١)</sup> وأصله: الأناة، ومنه الـحَلْمُ ضُدُّ الظِّيْشِ؛ فقيل لما يُرى في النوم: حَلْمٌ؛ لأنَّ النوم حالة أناة وسكون وَدَعَة<sup>(٢)</sup>.

الثانية: في الآية دليل على بُطلان قول من يقول: إن الرؤيا على أول ما تُعبر<sup>(٣)</sup>؛ لأنَّ القوم قالوا: «أَضْغَاثُ أَخْلَامٍ» ولم تقع كذلك؛ فإن يوسف فسرها على سيني الجذب والرخصب، فكان كما عبر، وفيها دليل على فساد [الرواية] أنَّ الرؤيا على رجل طائر، فإذا عَرَثَت وقعت<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَّا مِنْهَا وَأَذْكَرَ بَعْدَ أَمْتَهُ أَنَا أَنْتُكُمْ إِتَّلَوِيلِهِ فَأَرْسَلْنُونَ ٦٩ يُوسُفَ إِلَيْهَا الْعَصِيدِيْنَ أَقْتَنَا فِي سَبْعَ بَقَرَاتٍ يَسْمَانٍ يَأْكُلُهُنَّ سَبْعَ عِجَافٍ وَسَبْعَ سُبْلَكَتٍ حُفْرٍ وَأَخْرَ يَأْسَنَتِ لَعْلَى أَرْجَعٍ إِلَى أَنَّا لِنَعْلَمْ يَعْلَمُونَ ٧٠﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِي نَجَّا مِنْهَا﴾ يعني ساقِي الملك. ﴿وَأَذْكَرَ بَعْدَ أَمْتَهُ﴾ أي: بعد

(١) الصاحح (حلم)، والبيت للأختلط، وهو في ديوانه ص ٨٨ . ورفيدة: أبو حي من العرب يقال لهم: الرفيدات. اللسان (رفد).

(٢) النكت والعيون ٤٢/٣ .

(٣) أخرج ابن ماجه (٣٩١٥) عن أنس بن مالك هـ قال: قال رسول الله ص: «... والرؤيا لأول عابر». قال الحافظ في الفتح ١٢ / ٤٣٢ : وهو حديث ضعيف فيه يزيد الرقاشي، ولكن له شاهد آخرجه أبو داود والترمذى وابن ماجه يستند حسن وصححه الحاكم عن أبي رزين العقيلي...، وينظر هذا الشاهد في التعليق الذي سيأتي.

(٤) أحكام القرآن للتكيا ٢٣٢ / ٤ ، ونقله الكيا عن أحكام القرآن للجصاصين ١٧٣ / ٣ ، وما سلف بين حاصرتين منها: قوله: الرؤيا على رجل طائر... هو حديث مرفوع آخرجه أحمد (١٦١٨٢) وأبو داود (٥٠٢٠) والترمذى (٢٢٧٩) وابن ماجه (٣٩١٤) من حديث أبي رزين العقيلي هـ. قال الترمذى: حديث حسن صحيح. قال السندي في شرح سنن ابن ماجه ٤٥١ / ٢ : قوله: «رجل طائر» بكسر الراء، كأنها معلقة بطائر، قيل: هذا مثَل، والمراد أنها لا يستقر قرارها ما لم تُعبر.

حين؛ عن ابن عباس وغيره<sup>(١)</sup>، ومنه **﴿إِنَّ أُمَّةً مَّعْدُودَةً﴾** [هود:٨] وأصله: الجملة من الحين.

وقال ابن درستويه<sup>(٢)</sup>: والأمة لا تكون الحين إلا على حذف مضارف، وإقامة المضارف إليه مقامه، كأنه قال - والله أعلم - : وادَّرَكَ بعد حين أمة، أو بعد زمن أمة، وما أشبَّهَ ذلك، والأمة: الجماعة الكثيرة من الناس.

قال الأخفش: هو في اللفظ واحد، وفي المعنى جمع. وكل جنس من الحيوان أمة؛ وفي الحديث: «لولا أن الكلاب أمة من الأمم لأمرت بقتلها»<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: **﴿وَادَّرَكَ﴾** أي: تذَّرَّج حاجة يوسف، وهي قوله: «اذْكُرْنِي عَنْ رَبِّكَ». وقرأ ابن عباس فيما روى عفان، عن همام، عن قتادة، عن عكرمة، عنه: «وادَّرَكَ بعد أمة»؛ النحاس<sup>(٤)</sup>؛ والمعروف من قراءة ابن عباس وعكرمة والضحاك<sup>(٥)</sup>: «وادَّرَكَ بعد أمة»، بفتح الهمزة وتخفيف الميم، أي: بعد نسيان؛ قال الشاعر:

**أَمْهَثْ وَكَنْتْ لَا أَنْسِى حَدِيثًا كَذَاكَ الدَّهْرُ يُوَدِّي بِالْعُقُولِ**<sup>(٦)</sup>  
وعن شَبَيلِ بْنِ عَزْرَةِ الصُّبَيْعِيِّ<sup>(٧)</sup>: «بعد أمة» بفتح الألف وإسكان الميم وهاء

(١) أخرجه الطبراني ١٨١ / ١٣ - ١٨٤ .

(٢) هو عبد الله بن جعفر بن درستويه بن المرزيبيان، أبو محمد الفارسي التحوي، تلميذ المبرد، وكان ناصراً لنحو البصريين، توفي سنة (٣٤٧هـ). السير ٥٣١ / ١٥ .

(٣) الصحاح (أمم). والحديث أخرجه أحمد (٢٨٤٥) وأبي داود (٢٨٨٨) والترمذى (١٤٨٦) والنسائي (١٨٥) وأبا ماجة (٣٢٠٥) من حديث عبد الله بن مغفل المزنى . قال الترمذى: حديث حسن صحيح.

(٤) في معاني القرآن ٤٣٢ / ٣ ، وما قبله منه، وذكر القراءة ابن خالويه في القراءات الشاذة ص ٦٤ ، وابن جنني في المختسب ٣٤٤ / ١ .

(٥) قوله: والضحاك، ليس في معاني القرآن، وأخرج القراءة عنه وعن ابن عباس وعكرمة وغيرهم الطبرى ١٨٤ / ١٣ - ١٨٦ .

(٦) الصحاح (أمة).

(٧) اضطرب الاسم في النسخ الخطية، والمثبت من (م) وهو الصواب، قال الحافظ في التقريب: شَبَيل بالتصغير - بن عزرة بفتح المهملة بعدها زاي ساكنة ثم راء، أبو عمرو البصري التحوي، وقال في التهذيب ١٥٢ / ٢ : روى عن أنس وغيره، وقال ابن حبان: كان من أفضلي أهل البصرة وفُرائِهم. أهـ والقراءة - التي ستائي - ذكرها عنه ابن عطية في المحرر الوجيز ٢٤٩ / ٣ . وأخرجه الطبرى ١٨٦ / ١٣ عن مجاهد.

خالصة. وهو مثل الأمة، وهم لغتان، ومعناهما: الشّيآن. ويقال: أمة يامه أمهأ: إذا نسي؛ فعلى هذا: «وادَّكَرَ بعْدَ أَمْةً»؛ ذكره النحاس<sup>(١)</sup>. ورجل أمة<sup>(٢)</sup>: ذاهب العقل. قال الجوهرى: وأمما ما في حديث الزهري: «أمة» بمعنى: أقر واعترف، فهي لغة غير مشهورة<sup>(٣)</sup>.

وقرأ الأشهب العقيلي: «بَعْدَ إِمَّةً»، أي: بعد نعمة، أي: بعد أن أنعم الله عليه بالتجاهة<sup>(٤)</sup>.

ثم قيل: نسي الفتى يوسف؛ لقضاء الله تعالى في بقائه في السجن مدة. وقيل: ما نسي، ولكنه خاف أن يذكّر الملك الذنب الذي بسببه حبس هو والخباز، فقوله: «وادَّكَرَ» أي: ذكر وأخبر.

قال النحاس<sup>(٥)</sup>: أصل ادَّكَر: اذتكر، والذالُ قريبةُ المخرج من التاء، ولم يجز إدغامها فيها؛ لأنَّ الذال مجهرة، والتاء مهمومة، فلو أدمغوا ذهب الجهر، فأبدلوا من موضع التاء حرفاً مجھوراً، وهو الدال، وكان أولى من الطاء؛ لأنَّ الطاء مُطبقة، فصار: اذدَّكَر، فأدغموا الذال في الدال [فصار: ادَّكَر]. وحكى الخليل وسيبوه أنَّ من العرب من يقول: اذَّكَر، فيدغم الدال في الذال لرخاوة الذال<sup>(٦)</sup> ولئتها.

ثم قال: «أَنَا أَنْتَشِكُمْ بِتَأْوِيلِهِ»، أي: أنا أخبركم. وقرأ الحسن: «أَنَا آتَيْكُمْ

(١) في إعراب القرآن ٢/٣٣١ ، وقال السمين في الدر المصنون ٦/٥٠٨ : يقال: أمة يامه أمهأ وأنها بفتح البيم وسكونها.

(٢) بعدها في (د) و(ف): ووامه، وفي (ز): وأمة، وفي (ظ): وأمّة، والمثبت من (م). وجاء في تهذيب اللغة ٦/٤٧٥ عن الفراء: أمه الرجل فهو مأمه، وهو الذي ليس له عقل.

(٣) الصحاح (أمة). وحديث الزهري هو: من امتحن في حد فامية ثم تبرأ، فليست عليه عقوبة: غريب الحديث لأبي عبيد ٤/٤٧٧ .

(٤) المحتسب ١/٣٤٤ ، وهي أيضاً في القراءات الشاذة ص ٦٤ .

(٥) في إعراب القرآن ٢/٣٣١ ، وما سيرد بين حاصلتين منه.

(٦) في النسخ: الدال، والمثبت من إعراب القرآن، وهو الصواب لأن الدال من الحروف الشديدة.

بتأويله»، وقال: كيف ينتبهم العلّج؟ قال النحاس<sup>(١)</sup>: ومعنى: «أَنْتُمْ» صحيح حسن، أي: أنا أخبركم إذا سألت.

«فَارْسِلُونَ» خاطب الملك ولكن بلفظ التعظيم، أو خاطب الملك وأهل مجلسه. «بُوْسُّ» نداء مفرد، وكذا «الصَّدِيقُ» أي: الكثيرون الصدق<sup>(٢)</sup>. «أَفْتَنَا» أي: فأرسلوه، فجاء إلى يوسف فقال: أيها الصديق، وسأله عن رؤيا الملك. «لَمْلَئِنْ أَتَجِعَ إِلَى الْتَّائِسِ» أي: إلى الملك وأصحابه. «لَمَلَمْهُمْ يَعْلَمُونَ» التعبير، أو «لَعَلَّهُمْ يَعْلَمُونَ» مكانك من الفضل والعلم فتخرج. ويحتمل أن يريد بالناس الملك وحده تعظيمًا له.

قوله تعالى: «قَالَ تَزَرَّعُونَ سَبْعَ سِينِينَ دَآبَاً فَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُنْبَلَةٍ إِلَّا قَلِيلًا يَمِّنَا نَأْكُلُونَ» (٤)

فيه مسألتان:

الأولى: قوله تعالى: «قَالَ تَزَرَّعُونَ لَمَّا أَعْلَمْهُ بِالرُّؤْيَا جَعَلَ يَفْسُرُهَا لَهُ، فَقَالَ السَّبْعُ مِنَ الْبَقَرَاتِ السَّمَانِ وَالسُّنْبَلَاتِ الْخَضْرِ سَبْعَ سِينِينَ مُخْصِبَاتِ، وَأَمَّا الْبَقَرَاتِ الْعِجَافُ وَالسُّنْبَلَاتُ الْيَابِسَاتُ فَسَبْعُ سِينِينَ مُجْدِبَاتِ، فَذَلِكَ قَوْلُهُ: تَزَرَّعُونَ سَبْعَ سِينِينَ دَآبَاً» أي: متواالية متتابعة، وهو مصدر على غير المصدر<sup>(٣)</sup>؛ لأنَّ معنى «تَزَرَّعُونَ»: تدأبون<sup>(٤)</sup> كعادتكم في الزراعة سبع سنين. وقيل: هو حال، أي: دائبين. وقيل: صفة لسبعين، أي: دائبة.

وحكى أبو حاتم عن يعقوب: «دَآبَاً» بتحريك الهمزة، وكذا روى حفص عن

(١) في معاني القرآن ٤٣٣/٣ ، وما قبله منه، والقراءة ذكرها ابن خالويه في القراءات الشاذة ص ٦٤ .

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٣٣١/٢ .

(٣) في (د) و(ز): المصدر.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٣٣٣/٢ . وهذا القول ذكره السمين في الدر المصنون ٦/٥١٠ عن المبرد، وأنه من باب. قعدت القرفصة. قال السمين: وفيه نظر؛ لأنَّه ليس نوعاً خاصاً به، بخلاف القرفصاء مع القعود. وذكر عن سيبويه: أنه منصوب بفعل مقدر، تقديره: تدأبون.

العاصم، وهو لغتان، وفيه قولان: قول أبي حاتم: أنه من ذئب. قال النحاس<sup>(١)</sup>: ولا يُعرف أهل اللغة إلا ذَبَّ. والقول الآخر: أنه حُرُك لأنَّ فيه حرفاً من حروف الحَلْق؛ قاله الفراء، قال<sup>(٢)</sup>: وكذلك كلُّ حرف فتح أوله وسكون ثانية، فتشقيله جائزٌ إذا كان ثانية همزة، أو هاء، أو عيناً، أو حاء، أو خاء، وأصله العادة؛ قال:

**كَدَبَكَ مِنْ أُمَّ الْحُوَيْرَثِ قَبْلَهَا**

وقد مضى في «آل عمران» القول فيه<sup>(٣)</sup>.

**﴿فَمَا حَصَدْتُمْ فَذَرُوهُ فِي سُبُّلِيَّةٍ﴾** قيل: لثلا يتسوَّس، ول يكن أبقى؛ وهذا الأمر في ديار مصر. **﴿إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّا تَأْكُونُ﴾** أي: استخرجوا ما تحتاجون إليه بقدر الحاجة؛ وهذا القول منه أمر، والأولُ خبر. ويختتم أن يكون الأول أيضاً أمراً وإن كان الأظهرُ منه الخبر؛ فيكون معنى: «تَرَزَّعُونَ»، أي: ازرعوا<sup>(٤)</sup>.

الثانية: هذه الآية أصلٌ في القول بالصالح الشرعية؛ التي هي: حفظ الأديان، والنفوس، والعقول، والأنساب، والأموال، فكلُّ ما تضمن تحصيل شيءٍ من هذه الأمور فهو مصلحة، وكلُّ ما يقوّت شيئاً منها فهو مفسدة، ودفعه مصلحة، ولا خلاف أنَّ مقصود الشرائع إرشاد الناس إلى مصالحهم الدينيَّة؛ ليحصل لهم التمكُّن من معرفة الله تعالى وعبادته الموصلتين إلى السعادة الأخْرَيَّة، ومراعاة ذلك فضلُّ من الله عزَّ وجلَّ ورحمةً رَّحِمَ بها عباده، من غير وجوب عليه ولا استحقاق؛ هذا مذهب كافة المحققين من أهل السنة أجمعين؛ ويسطُه في أصول الفقه.

(١) في إعراب القرآن ٢/٣٣٢ ، وما قبله منه. وينظر تفسير البغوي ٢/٤٢٩ ، وقراءة حفص في السجدة ص ٣٤٩ ، والتيسير ص ١٢٩ .

(٢) في معاني القرآن ٢/٤٧ .

(٣) ٥/٣٥ ، وسلف البيت ثمَّ، وهو لامرئ القيس، وعجزه: وجاريها أم الرباب بتأسلٍ، وهو في ديوانه ص ٩ برواية: كلينك، بدل: كدابك.

(٤) الكشاف ٢/٣٢٥ ، وقال السمعين في الدر المصنون ٦/٥٠٩ : ولا مدخل لأمره لهم بالزراعة؛ لأنَّهم يزرعون على عادتهم، أمرهم أو لم يأمرهم.

قوله تعالى: ﴿ثُمَّ يَأْتِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَبْعٌ شِدَادٌ يَا أَكْلَنَ مَا قَدَّمْتُمْ لَنَّ إِلَّا قَلِيلًا مِمَّا تَحْصِنُونَ﴾

فيه مسائلتان:

الأولى: قوله تعالى: ﴿سَبْعٌ شِدَادٌ﴾ يعني السُّنُنَ الْمُجَدِّبَاتِ . ﴿يَا أَكْلَنَ﴾ مجاز، والمعنى: يأكل أهلُهنَّ . ﴿مَا قَدَّمْتُمْ لَنَّ﴾ أي: ما أَدْخَرْتُمْ لِأَجْلِهِنَّ<sup>(١)</sup> ؛ ونحوه قول القائل:

نهارُك يا مغروُرْ سهُوْ وغفلةْ وليلُك نومْ والرَّدَى لك لازمْ<sup>(٢)</sup>  
والنهارُ لا يَسْهُوْ ، والليل لا يَنَامْ ؛ وإنما يُسْهُي في النهار ، وينام في الليل.

وحكي زيد بن أسلم عن أبيه: أنَّ يوسف كان يضع طعام اثنين، فيقرِّبه إلى رجل واحد، فيأكل بعضه، حتى إذا كان يوم قربه له فأكله كله، فقال يوسف: هذا أول يوم من السَّبْعِ الشَّدَادِ<sup>(٣)</sup>.

﴿إِلَّا قَلِيلًا﴾ نصب على الاستثناء . ﴿مِمَّا تَحْصِنُونَ﴾ أي: ممَّا تَحْبِسُونَ لترزعوا<sup>(٤)</sup> ؛ لأنَّ في استبقاء البَذْر تحصينَ الأقواتِ . وقال أبو عبيدة: تُحرِّزُونَ<sup>(٥)</sup> .  
وقال قتادة: ﴿تَحْصِنُونَ﴾: تَدْخُرونَ<sup>(٦)</sup> . والمعنى واحد، وهو يدلُّ على جواز احتكارِ الطعام إلى وقت الحاجة.

(١) إعراب القرآن للتحاسن ٢/٣٣٢ .

(٢) نسبة ابن رشيق في العمدة ١/٣٧ ، والعامل في الكشكول ٢/٣٨٢ لعمر بن عبد العزيز رحمه الله تعالى.  
وجاء في الأخبار الطوال لأبي حنيفة الدِّينُوري ص ٣٣١ ، وصفة الصفوة لابن الجوزي ٢/١٢٤ - ١٢٥  
عمر كان يتمثل به. وهو في تفسير الطبرى ١٣/١٩٠ - ١٩١ دون نسبة.

(٣) النكت والعيون ٣/٤٤ .

(٤) إعراب القرآن للتحاسن ٢/٣٣٢ .

(٥) مجاز القرآن ١/٣١٣ ، وأخرجه الطبرى ١٣/١٩٢ عن ابن عباس رضي الله عنهما.

(٦) آخرجه الطبرى ١٣/١٩١ - ١٩٢ .

الثانية: هذه الآية أصلٌ في صحة رؤيا الكافر، وأنها تُخرج على حَسْب ما رأى، لا سيما إذا تعلقَت بمؤمن، فكيف إذا كانت آيةً لنبيٍّ، ومعجزةً لرسولٍ، وتصديقاً لمصطفى للتبليغ، وحججاً للواسطة بين الله جلَّ جلاله وبين عباده<sup>(١)</sup>؟

قوله تعالى: ﴿تَمَّ يَأْنِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ فِيهِ يُعَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾

قوله تعالى: ﴿تَمَّ يَأْنِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامٌ﴾ هذا خبرٌ من يوسف عليه السلام عَمَّا لم يكن في رؤيا الملك، ولكنه من علم الغيب الذي آتاه الله؛ قال قَتَادَة: زاده الله عِلْمَ سَنَةً لَمْ يَسْأَلُهُ عَنْهَا<sup>(٢)</sup>، إظهاراً لفضله، وإعلاماً بمكانه من العلم ومعرفته.

﴿فِيهِ يُعَاثُ النَّاسُ﴾ من الإغاثة أو الغوث؛ غَوْثُ الرجل، قال: واغْوَثَاه، والاسم: الغَوْثُ والغَوَاثُ والغَوَاثُ، واستغاثني فلانٌ فأغاثته، والاسم: الغياث؛ صارت الواو ياءً لكسرة ما قبلها. والغياث: المطر، وقد غاث الغيث الأرض، أي: أصابها؛ وغاث الله البلادَ يَغِياثُها غَياثاً، وغَياثَ الارضِ تُغاثُ غَياثاً، فهي أرضٌ مغاثةٌ ومَغِياثة<sup>(٣)</sup>. فمعنى: «يُعَاثُ النَّاسُ»: يُمَطَّرون.

﴿وَفِيهِ يَعْصِرُونَ﴾ قال ابن عباس: يعصرُون الأعناب والدهن؛ ذكره البخاري<sup>(٤)</sup>. وروى حجاجٌ عن ابن حُرَيْج قال: [قال ابن عباس:] يعصرُون العنب خمراً، والسمسم دهنناً، والزيتون زيتاً<sup>(٥)</sup>.

وقيل: أراد حلبة الألبان لكثرتها<sup>(٦)</sup>؛ ويدلُّ ذلك على كثرة النبات.

وقيل: «يَعْصِرُونَ» أي: يَنْجُونَ، وهو من العُضْرَة، وهي المَنْجَاة؛ قاله

(١) أحكام القرآن لابن العربي ١٠٧٧/٣.

(٢) أخرجه الطبرى ١٩٣/١٣ ، وما بعده من كلام ابن العربي في أحكام القرآن ١٠٧٨/٣ .

(٣) الصحاح (غوث) (غيث).

(٤) قبل الحديث (٦٩٩٢)، ووصله الطبرى ١٩٤/١٣ .

(٥) أخرجه الطبرى ١٩٤/١٣ ، وما سلف بين حاصلتين منه.

(٦) أخرجه الطبرى ١٩٥/١٣ عن ابن عباس رضي الله عنهما بلفظ: فيه يحلبون.

أبو عبيدة<sup>(١)</sup>. والعصر بالتحريك: المَلْجَا والمَنْجَا، وكذلك العُضْرَة؛ قال أبو زَيْد<sup>(٢)</sup>:

صادِيَا يَسْتَغِيثُ غَيْرَ مُغَاثٍ  
وَلَقَدْ كَانَ عُضْرَةَ الْمَنْجُودِ  
وَالْمَنْجُودِ: الْفَزْعُ<sup>(٣)</sup>. واعتصرت بفلان وتعصّرت، أي: التجأت إليه. قال أبو الغوث: «يَغْصِرُونَ»: يَسْتَغْلُونَ؛ وهو من عضر العنبر. واعتصرت ماله، أي: استخرجه من يده<sup>(٤)</sup>.

وقرأ عيسى: «تَعْصِرُونَ» بضم الناء وفتح الصاد<sup>(٥)</sup>، ومعناه: تُمْطرون؛ من قول الله: ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُقْرَبَاتِ مَاهِيَّجَاباً﴾ [النبا: ١٤]، وكذلك معنى «تُعْصِرُونَ» بضم الناء وكسر الصاد، فيمن قرأه كذلك<sup>(٦)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَنْتُوْنِي يَهُ مَلَكًا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ أَتَجِعَ إِلَى رَبِّكَ فَسَأَلَهُ مَا بَالُ النِّسَوَةِ الَّتِي قَطَعْنَ أَيْدِيهِنَّ إِنَّ رَبَّنِي يَكْتَبِهِنَ عَلَيْهِ﴾ ﴿٥﴾ قَالَ مَا حَظَلْنَ إِذَ رَأَدْنَ يُوسُفَ عَنْ نَقْسِيمَةِ ثُلْثَ حَسْنٍ لِّلَّهِ مَا عِلِّمْنَا عَلَيْهِ مِنْ سُوءٍ قَالَتْ أَمْرَاتُ الْمَرْيَنِ الْفَنَ حَسْبَنَ الْحَقُّ أَنَّ رَأَدْنَهُ عَنْ نَقْسِيمَةِ وَإِنَّهُ لِيَنَّ الْمَنْدِيقِينَ﴾ ﴿٦﴾

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَنْتُوْنِي يَهُ﴾ أي: فذهب الرسول فأخبر الملك، فقال:

(١) في (د) و(م): قال أبو عبيدة، والمثبت من باقي النسخ، وقول أبي عبيدة في مجاز القرآن ٣١٣/١ ونقله المصنف عنه بواسطة الجوهري في الصحاح (عصر) وما بعده منه. وقد رده الطبرى ٢٠٥/١٣ وقال: يكفي من الشهادة على خطنه خلاه قوله جميع أهل العلم من الصحابة والتابعين.

(٢) حرملة بن منذر الطائي، ويقال: المنذر بن حرملة. كان نصرانياً واختلف في إسلامه. وهو أحد المعمرين، يقال عاش مئة وخمسين سنة. الإصابة ١١/١٥٤ . والبيت في تفسير الطبرى ١٣/١٩٧ ، وأمالى اليزيدى ص ٨ ، والصحاح (عصر)، والاقتضاب ص ٣٩٠ .

(٣) معاني القرآن للنحاس ٤٣٥/٣ .

(٤) الصحاح (عصر)، وأبو الغوث الأعرابي من سمع منهم الجوهري، وقد ورد ذكره في الصحاح في غير موضع.

(٥) ذكرها أبو حيان في البحر ٣١٦/٥ ، وذكر عن عيسى أيضاً أنه قرأ: «يَعْصِرُونَ» بضم الياء وفتح الصاد، وكذلك ذكرها عنه ابن خالويه في القراءات الشاذة ص ٦٤ ، وابن جني في المحتسب ١/٣٤٤ .

(٦) لم تقف على هذه القراءة.

اثنتيني به ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ﴾ أي: يأمره بالخروج، قال: ﴿أَتَرْجِعُ إِلَى رَبِّكَ فَتَنَاهُ مَا بَالِ الْنِسْوَةِ﴾ أي: حال النساء ﴿الَّتِي قَطَعْنَ أَيْمَانَهُنَّ﴾. فأبى أن يخرج إلا أن تصح براءته عند الملك مما قذف به، وأنه حبس بلا جرم<sup>(١)</sup>.

وروى الترمذى عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الْكَرِيمَ ابْنَ الْكَرِيمِ ابْنِ الْكَرِيمِ يَوْسُفَ بْنَ يَعْقُوبَ بْنِ إِسْحَاقَ بْنِ إِبْرَاهِيمَ». قال: «وَلَوْلِبِشْتُ فِي السُّجْنِ مَا لَبِثْتُ، ثُمَّ جَاءَنِي الرَّسُولُ، أَجَبْتُ»، ثم قرأ: ﴿فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ أَتَرْجِعُ إِلَى رَبِّكَ فَتَنَاهُ مَا بَالِ الْنِسْوَةِ الَّتِي قَطَعْنَ أَيْمَانَهُنَّ﴾؛ قال: «وَرَحْمَةُ اللَّهِ عَلَى لَوْطٍ، لَقَدْ كَانَ يَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ إِذَا قَالَ: ﴿لَوْلَآتَ لِي بِكُمْ قُوَّةً أَوْ مَأْوِيَةً إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ﴾ فَمَا بَعَثَ اللَّهُ مِنْ بَعْدِهِ نَبِيًّا إِلَّا فِي ذَرْوَةٍ مِنْ قَوْمٍ»<sup>(٢)</sup>.

وروى البخارى عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «يَرْحَمُ اللَّهُ لَوْطًا لَقَدْ كَانَ يَأْوِي إِلَى رُكْنٍ شَدِيدٍ، وَلَوْلِبِشْتُ فِي السُّجْنِ مَا لَبِثْتُ يَوْسُفُ لَأَجَبْتُ الدَّاعِيَ، وَنَحْنُ أَحَقُّ مِنْ إِبْرَاهِيمَ إِذَا قَالَ لَهُ: ﴿أَوْلَئِمْ تَؤْمِنُنَّ قَالَ بَلٌنَّ وَلَكِنْ يَلْظَمِنَ قَلْنَ﴾» [البرة: ٢٦٠]<sup>(٣)</sup>.

وروى عن النبي ﷺ أنه قال: «يَرْحَمُ اللَّهُ أخِي يُوسُفَ، لَقَدْ كَانَ صَابِرًا حَلِيمًا، وَلَوْلِبِشْتُ فِي السُّجْنِ مَا لَبِثْتُهُ؛ أَجَبْتُ الدَّاعِيَ وَلَمْ أَتَمَسِّعُ الْعُذْرَ»<sup>(٤)</sup>. وروي نحو هذا الحديث من طريق عبد الرحمن بن القاسم صاحب مالك، في كتاب التفسير من «صحيح البخارى»، وليس لابن القاسم في الديوان غيره<sup>(٥)</sup>. وفي رواية الطبرى<sup>(٦)</sup>:

(١) إعراب القرآن للنحاس ٣٣٢/٢ ، وينظر أحكام القرآن لابن العربي ١٠٧٩/٣ .

(٢) سنن الترمذى ٣١١٦ ، وهو عند أحمد ٨٣٩١). وقد سلفت القطعة الأخيرة منه من هذا الجزء. والعبارة الأولى أخرجها أحمد (٨٣٩١) من حديث أبي هريرة ﷺ ، وأخرجها أيضاً (٥٧١٢)، والبخارى (٣٣٩٠) من حديث ابن عمر رضي الله عنهما.

(٣) صحيح البخارى (٤٦٩٤) ، وهو عند أحمد (٨٣٢٨ - ٨٣٢٩)، ومسلم (١٥١). وسلف ٣١٠/٤ .

(٤) أخرج نحوه أحمد (٨٥٥٤) ، والطبرى ١٣ / ٢٠٠ - ٢٠١ ، والحاكم ٢ / ٣٤٦ . من حديث أبي هريرة ﷺ . وكلام المصنف في المحرر الوجيز ٢٥٢/٣ .

(٥) المحرر الوجيز ٢٥٢/٣ ، والحديث المشار إليه عند البخارى هو حديث أبي هريرة السالف.

(٦) في تفسيره ١٣ / ٢٠٠ .

«يرحم الله يوسف، لو كنت أنا المحبوس ثم أُرسل إليَّ، لخرجت سريعاً، إنْ كان لحليماً ذا أناة».

وقال ﷺ: «لقد عجبت من يوسف وصبره وكرمه، والله يغفر له حين سئل عن البقرات، لو كنت مكانه لما أخبرتهم حتى أشتَرط أن يُخْرِجوني، ولقد عجبت منه حين أتاه الرسول، ولو كنت مكانه لبادرتهم الباب»<sup>(١)</sup>.

قال ابن عطية<sup>(٢)</sup>: كان هذا الفعل من يوسف عليه السلام أناةً وصبراً، وطلبًا لبراءة الساحة، وذلك أنه - فيما روي - خشي أن يخرج وينال من الملك مرتبة، ويُسْكَن عن أمر ذنبه صفحًا، فيراهم الناس بتلك العين أبدًا ويقولون: هذا الذي راود امرأة مولاها، فأراد يوسف عليه السلام أن يبيّن براءته، ويتحقق منزلته<sup>(٣)</sup> من العفة والخير، وحينئذٍ يخرج للإحظاء والمنزلة؛ فلهذا قال للرسول: ارجع إلى ربك وقل له: ما بال النسوة؟ ومقصد يوسف عليه السلام إنما كان: وقل له: يستقصي عن ذنبي، وينظر في أمري، هل سُجنت بحق أو بظلم. ونَكَبَ عن [ذُكْر] امرأة العزيز حُسْنَ عشرة، ورعايةً لذمam الملك العزيز له.

فإن قيل: كيف مدح النبي ﷺ يوسف بالصبر والأناة وترك المبادرة إلى الخروج، ثم هو يذهب بنفسه عن حالة قد مدح بها غيره؟

فالوجه في ذلك: أنَّ النبي ﷺ إنما أخذ لنفسه وجهاً آخر من الرأي، له جهةً أيضاً من الجودة، يقول: لو كنت أنا لبادرت بالخروج، ثم حاولت بيان عذرِي بعد ذلك. وذلك لأنَّ هذه القصص والنوازل [إنما] هي معَرَّضة لأن يقتدي الناسُ بها إلى يوم القيمة، فأراد رسول الله ﷺ حَمْلَ الناس على الآخرَم من الأمور؛ وذلك لأنَّ

(١) أخرجه الطبراني ٢٠٢/١٣ ، والطبراني (١١٤٠) من حديث ابن عباس رضي الله عنهمَا، والكلام في أحكام القرآن لابن العربي ١٧٩/٣ .

(٢) في المحرر الوجيز ٢٥٢/٣ . وما سيرد بين حاصلتين منه.

(٣) في المحرر الوجيز: أن تبيّن براءته، وتتحقق منزلته.

المُتَعْمِقُ<sup>(١)</sup> في مثل هذه النازلة، التارك فرصة الخروج من مثل ذلك السجن، ربما تَجَعَ له [من ذلك] البقاء في سجنه، وانصرفت نفس مُخْرِجه عنه، وإن كان يوسف عليه السلام أمِن من ذلك بعلمه من الله؛ فغيره من الناس لا يأمن بذلك، فالحالة التي ذهب النبي ﷺ بنفسه إليها حالة حزم [ومدح]، وما فعله يوسف عليه السلام صبر عظيمٌ وجَلَدٌ.

قوله تعالى: **﴿فَتَغَيَّلَهُ مَا بَالُ النِّسْوَةِ﴾** ذكر النساء جملةً ليدخل فيهن امرأة العزيز، مدخل العموم بالتلويع، حتى لا يقع عليها تصريح؛ وذلك حُسْنُ عِشرة وأدب، وفي الكلام محفوظ، أي: فاسأله أن يتعرَّفَ ما بالُ النِّسْوَةِ.

قال ابن عباس: فأرسل الملك إلى النسوة وإلى امرأة العزيز - وكان قد مات العزيز - فدعاهنَّ فـ **﴿قَالَ مَا حَطَبُكُنَّ﴾** أي: ما شأنكُنَّ **﴿إِذْ رَوَدْنَ يُوسُفَ عَنْ نَقْبَيْهِ﴾** وذلك أنَّ كلَّ واحدةً منها كَلَّمت يوسف في حقِّ نفسها، على ما تقدَّم<sup>(٢)</sup>، أو أراد قولَ كلِّ واحدة: قد ظلمت امرأة العزيز، فكان ذلك مراودةً منها **﴿قُلْنَ حَنَّ لِلَّهِ﴾** أي: معاذ الله **﴿مَا عَلِمْنَا عَلَيْهِ مِنْ شَوْءٍ﴾** أي: زَئْني **﴿قَالَتِ امْرَأَتُ الْمُرْبِزِ الْفَنَ حَضَّحَنَ الْحَقَّ﴾** لَمَّا رأَتِ إِقْرَارَهُنَّ بِبِرَاءَةِ يوسف، وخففت أن يشهدَنَّ عليها إن انكرت، أفرَّت هي أيضًا، وكان ذلك لطفاً من الله بِيُوسُفِ.

و**«حَضَّحَنَ الْحَقَّ**» أي: تبيَّنَ وظَهَرَ، وأصله: حَضَّصَ، فقيل: حَضَّصَنَ، كما قال: كُتِبُوا، فـ كُتِبُوا، وكَفَّفَ في كَفَّفَتْ؛ قاله الزجاج وغيره<sup>(٣)</sup>.

**وأصل الحَصْنُ: استئصال الشيء؛** يقال: حص شعرة: إذا استأصله جَزًا<sup>(٤)</sup>؛ قال

(١) في النسخ: وذلك أن ترك الحزم في مثل، والمثبت من المحرر الوجيز، ويعني بالمتعمق: المبالغ في الأمر المتشدد فيه.

(٢) ص ٣٤٠ من هذا الجزء.

(٣) ذكره عن الزجاج الماوردي في النكت والعيون ٤٧/٣ ، وقاله أيضًا النحاس في معاني القرآن ٨٩/٥ ، والطبرى ٢٠٦/١٣ .

(٤) تفسير الطبرى ٢٠٦/١٣ .

أبو قيس بن الأنس<sup>(١)</sup> :

قد حَصَّتِ الْبَيْضَةُ رَأْسِي فَمَا أَطَعْمُ نَوْمًا غَيْرَ تَهْجَاجٍ  
 وَسَنَةُ حَصَاءٍ، أَيْ : جَرَادَةُ لَا خَيْرَ فِيهَا ؛ قَالَ جَرِيرٌ :  
 يَاوِي إِلَيْكُمْ بِلَا مَنْ وَلَا جَحْدٍ مَنْ سَاقَهُ السَّنَةُ الْحَصَاءُ وَالذِّيْبُ  
 كَانَهُ أَرَادَ أَنْ يَقُولَ : وَالضَّيْعُ، وَهِيَ السَّنَةُ الْمُجْدِبَةُ؛ فَوُضِعَ الذِّئْبُ مَوْضِعَهُ لِأَجْلِ  
 الْقَافِيَةِ<sup>(٢)</sup>؛ فَمَعْنَى «حَضَّهُ الصَّحَّ»، أَيْ : انْقَطَعَ عَنِ الْبَاطِلِ بِظَهُورِهِ وَثِبَاتِهِ؛ قَالَ :  
 أَلَا مُبْلِغٌ عَنِي خَدَاشًا فَإِنَّمَا كَذَوْبٌ إِذَا مَا حَصَّصَ الصَّحَّ ظَالِمٌ<sup>(٣)</sup>  
 وَقَيْلٌ : هُوَ مُشْتَقٌ مِنَ الْحِصَّةِ؛ فَالْمَعْنَى : بَانَتْ حِصَّةُ الصَّحَّ مِنْ حِصَّةِ الْبَاطِلِ<sup>(٤)</sup>.  
 وَأَصْلُهُ<sup>(٥)</sup> مَا خُودُّ مِنْ قَوْلِهِمْ : حَصَّ شَعْرَهُ : إِذَا اسْتَأْصَلْ قَطْعَهُ [فَظَهَرَتْ مَوَاضِعُهُ]  
 وَمِنْهُ : الْحِصَّةُ مِنَ الْأَرْضِ : إِذَا قُطِعَتْ مِنْهَا . وَالْحِصَّصُ بِالْكَسْرِ : التَّرَابُ  
 وَالْحَجَارَةُ؛ ذَكْرُهُ الْجَوْهَرِيُّ<sup>(٦)</sup>.

﴿أَنَا زَوَّافٌ عَنْ نَفْسِي وَلَأَنْتَ لَيْنَ الْمَلَائِكَةُ﴾ وَهَذَا القُولُ مِنْهَا - وَإِنْ لَمْ يَكُنْ سَأْلُ عَنْهُ -  
 إِظْهَارٌ لِتَوْبَتِهَا، وَتَحْقِيقٌ لِصَدْقِ يُوسُفَ وَكَرَامَتِهِ؛ لِأَنَّ إِقْرَارَ الْمُؤْرِّقَ عَلَى نَفْسِهِ أَقْوَى مِنَ  
 الشَّهَادَةِ عَلَيْهِ، فَجَمِيعُ اللَّهُ تَعَالَى لِيُوسُفَ لِإِظْهَارِ صَدِيقِهِ الشَّهَادَةَ وَالْإِقْرَارِ، حَتَّى لَا  
 يَخَامِرَ نَفْسًا ظَنٌّ، وَلَا يَخَالِطُهَا شَكٌ<sup>(٧)</sup>.

(١) الأوسي، مختلف في اسمه، فقيل: صيفي، وقيل: الحارث، وقيل: عبد الله، وقيل صيّمة. واختلف في إسلامه. الإصابة ١١/٣٠٩ . والبيت في المفضليات ص ٢٨٤ ، والكامـل ١/٢٣٥ ، والصحاح (حصن)، والخزانة ٣/٤١١ .

(٢) الصحاح (حصن)، والبيت في ديوان جرير ١/٣٤٩ (شرح ابن حبيب).

(٣) النكت والعيون ٣/٤٧ .

(٤) معاني القرآن للزجاج ٣/١١٥ ، وزاد المسير ٤/٢٣٧ .

(٥) وقع قبلها في النسخ قوله: وقال مجاهد وقادة، وهو وهم، والكلام في النكت والعيون ٣/٤٧ ، وما سيرد بين حاصلتين منه.

(٦) في الصحاح (حصن).

(٧) النكت والعيون ٣/٤٧ .

وُشَدِّدَتِ النُّونُ فِي «خَطَبْكُنَّ» و«رَاوَذْنَنَّ» لِأَنَّهَا بِمَنْزِلَةِ الْمِيمِ وَالْوَاءِ فِي الْمَذَكُورِ<sup>(١)</sup>.

قُولُهُ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخْنَهُ بِالْغَيْبِ وَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ ۚ وَمَا أَبْرَئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَا تَأْمَارُ بِالشَّوْءِ إِلَّا مَا رَحَمَ رَبُّكَ إِنَّ رَبِّي عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾<sup>(٢)</sup>

قُولُهُ تَعَالَى: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخْنَهُ بِالْغَيْبِ﴾ اخْتَلَفَ فِيمَنْ قَالَهُ، فَقِيلَ: هُوَ مِنْ قَوْلِ امْرَأَةِ الْعَزِيزِ، وَهُوَ مُتَّصِّلٌ بِقَوْلِهَا: ﴿الْفَنَ حَسْنَ الْحَقِّ﴾<sup>(٣)</sup> أَيْ: أَقْرَرَتْ بِالصَّدْقِ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخْنَهُ بِالْغَيْبِ<sup>(٤)</sup> أَيْ<sup>(٥)</sup>: بِالْكَذْبِ عَلَيْهِ، وَلَمْ أَذْكُرْهُ بِسُوءٍ وَهُوَ غَايْبٌ، بَلْ صَدَقَتْ وَجَدَتْ عَنِ الْخِيَانَةِ، ثُمَّ قَالَتْ: ﴿وَمَا أَبْرَئُ نَفْسِي﴾ بَلْ أَنَا رَاوِدَتْهُ، وَعَلَى هَذَا هِيَ كَانَتْ مُفَرَّةً بِالصَّانِعِ، وَلَهَا قَالَتْ: ﴿إِنَّ رَبِّي عَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾.

وَقِيلَ: هُوَ مِنْ قَوْلِ يُوسُفَ، أَيْ: قَالَ يُوسُفُ: ذَلِكَ الْأَمْرُ الَّذِي فَعَلَتِهِ مِنْ رَدْ<sup>(٦)</sup> الرَّسُولُ «لِيَعْلَمَ» الْعَزِيزُ<sup>(٧)</sup> «أَنِّي لَمْ أَخْنَهُ بِالْغَيْبِ». قَالَهُ الْحَسْنُ وَقَتَادَةُ وَغَيْرُهُمَا<sup>(٨)</sup>.

وَمَعْنَى «بِالْغَيْبِ»: وَهُوَ غَايْبٌ. وَإِنَّمَا قَالَ يُوسُفُ ذَلِكَ بِحُضُورِ الْمَلِكِ، وَقَالَ: «لِيَعْلَمَ» عَلَى الْغَايْبِ؛ تَوْقِيرًا لِلْمَلِكِ. وَقِيلَ: قَالَهُ إِذَا عَادَ إِلَيْهِ الرَّسُولُ وَهُوَ فِي السُّجُنِ بَعْدَ، قَالَ ابْنَ عَبَّاسَ: جَاءَ الرَّسُولُ إِلَى يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ بِالْخَبْرِ وَجَبَرِيلُ مَعَهُ يَحْدُثُهُ، فَقَالَ يُوسُفُ: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخْنَهُ بِالْغَيْبِ وَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْخَائِنِينَ﴾ أَيْ: لَمْ أَخْنَنْ سَيِّدِي بِالْغَيْبِ؛ فَقَالَ لَهُ جَبَرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: يَا يُوسُفُ، وَلَا حِينَ حَلَّتِ الْإِزَارَ، وَجَلَسَ مَجْلِسَ الرَّجُلِ مِنِ الْمَرْأَةِ؟! فَقَالَ يُوسُفُ: ﴿وَمَا أَبْرَئُ نَفْسِي﴾ الْآيَةُ<sup>(٩)</sup>. وَقَالَ السَّدِّيُّ: إِنَّمَا قَالَتْ لَهُ امْرَأَةُ الْعَزِيزِ: وَلَا حِينَ حَلَّتِ سَرَاوِيلَكَ يَا يُوسُفُ؟! فَقَالَ

(١) إعراب القرآن للتحاسن ٢/٢٣٢.

(٢) المحرر الوجيز ٣/٢٥٤.

(٣) قُولُهُ: ﴿بِالْغَيْبِ﴾، أَيْ، مِنْ (مَ).

(٤) تفسير الطبراني ١٣/٢٠٧ - ٢٠٨، والنكت العيون ٣/٤٧.

(٥) سلف في الصفحة ٣١٢ من هذا الجزء، وينظر ما ذكرنا ثمة من ردود العلماء على هذا الخبر وما شابهه من الأخبار التي تنافي عصمة الأنبياء.

يوسف: **﴿وَمَا أَبْرَى نَقْسِي﴾**<sup>(١)</sup>.

وقيل: **﴿ذَلِكَ لِيَعْلَم﴾** من قول العزيز، أي: ذلك ليعلم يوسف أنني لم أخنه بالغيب، وأني لم أغفل عن مجازاته على أمانته<sup>(٢)</sup>. **﴿وَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كُيدَ الْمُلَائِكَةِ﴾** معناه: أن الله لا يهدى الخاتين بكيدهم<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: **﴿وَمَا أَبْرَى نَقْسِي﴾** قيل: هو من قول المرأة. وقال القشيري: فالظاهر أن قوله: **﴿ذَلِكَ لِيَعْلَم﴾** وقوله: **﴿وَمَا أَبْرَى نَقْسِي﴾** من قول يوسف.

قلت: إذا احتمل أن يكون من قول المرأة؛ فالقول به أولى حتى نبرئ يوسف من حل الإزار والسرابيل، وإذا قدمناه من قول يوسف؛ فيكون مما خطر بقلبه، على ما قدمناه من القول المختار في قوله: **﴿وَهُمْ إِهْلَ﴾** [الآية: ٢٤].

قال أبو بكر الأنباري<sup>(٤)</sup>: من الناس من يقول: **﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمْ أَنِّي لَمْ أَخْنَهْ بِالْغَيْبِ﴾** إلى قوله: **﴿إِنَّ رَبِّي عَفُورٌ تَجْيِيمٌ﴾** من كلام امرأة العزيز، لأنه متصل بقولها: **﴿أَنَا زَوْدَتُهُ عَنْ نَقْسِي، وَلَئِنْ لَمْ يَمْلِأْ الصَّدِيقَيْنِ﴾** وهذا مذهب الذين يفونون بهم عن يوسف عليه السلام، فمَنْ بنى على قولهم قال: من قوله: **﴿قَالَتِ امْرَأُتُ الْعَزِيزِ﴾** إلى قوله: **﴿إِنَّ رَبِّي عَفُورٌ تَجْيِيمٌ﴾** كلام متصل بعضه ببعض، ولا يكون فيه وقف تام على حقيقة، ولستنا نختار هذا القول ولا نذهب إليه.

وقال الحسن: لما قال يوسف: **﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمْ أَنِّي لَمْ أَخْنَهْ بِالْغَيْبِ﴾** كره النبي الله أن يكون قد زగى نفسه فقال: **﴿وَمَا أَبْرَى نَقْسِي﴾**<sup>(٥)</sup> لأن تزكية النفس مذمومة، قال الله تعالى: **﴿فَلَا تُرْكُوا أَنفُسَكُمْ﴾** [النجم: ٣٢]، وقد بيَّناه في «النساء»<sup>(٦)</sup>.

(١) النكت والعيون ٤٨/٣ ، وتفصير البغوي ٤٣١/٢ .

(٢) زاد المسير ٤/٢٤٠ .

(٣) النكت والعيون ٤٧/٣ .

(٤) في إيضاح الرقف والابتداء ٢/٧٢٤ - ٧٢٥ .

(٥) زاد المسير ٤/٢٤١ .

(٦) ٤٠٧/٦ وما بعدها.

وقيل: هو من قول العزيز، أي: وما أبْرَى نفسي من سوء الظن بيوسف<sup>(١)</sup>.

**﴿إِنَّ النَّفْسَ لِأَمَارَةٍ بِالسُّوءِ﴾** أي: مُشتهيَّة له. **﴿إِلَا مَا رَحَمَ رَبُّكَ﴾** في موضع نصب بالاستثناء<sup>(٢)</sup>، و«ما» بمعنى مَنْ، أي: إِلَّا مَنْ رَحَمَ رَبِّي فعصمَه، و«ما» بمعنى مِنْ كثير، قال الله تعالى: **﴿فَانكحُوهُ مَا طَابَ لَكُمْ مِنَ الْإِنْسَانِ﴾** [النساء: ٣]. وهو استثناءً متقطع؛ لأنَّه استثناء المرحوم بالعصمة مِنَ النَّفْسِ الْأَمَارَةِ بالسوء<sup>(٣)</sup>. وفي الخبر عن النبي ﷺ أنه قال: «ما تقولون في صاحبِ لكم؛ إنَّ أَنْتُمْ أَكْرَمُ شَعْبَهُ وأَطْعَمُ شَعْبَهُ وَكَسُوتُ شَعْبَهُ أَفْضَى بِكُمْ إِلَى شَرٍّ غَايَةٍ، وَإِنَّ أَهْتَمُ شَعْبَهُ وَأَعْرِي شَعْبَهُ وَأَجْعَمُ شَعْبَهُ أَفْضَى بِكُمْ إِلَى خَيْرٍ غَايَةٍ» قالوا: يا رسولَ الله، هذا شَرٌّ صاحبٌ في الأرض. قال: «فَوَالذِّي نَفْسِي بِيدهِ، إِنَّهَا لِفُوْسُكُمُ الَّتِي بَيْنَ جُنُوبِكُمْ»<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: **﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتَتُوْنِي بِهِ أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي فَلَمَّا كَلَمْتُهُ قَالَ إِنَّكَ آتَيْتَ لَدَيْنَا مَكْيَنْ أَمِينٌ﴾**

قوله تعالى: **﴿وَقَالَ الْمَلِكُ أَتَتُوْنِي بِهِ أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي﴾** لِمَّا ثُبِّتَ للملك براءَتُه مما نُسبَ إليه، وتحقَّقَ في القصة أمانَتُه، وفِيهِمْ أَيْضًا صِبرَهُ وَجَلَدُهُ؛ عُظِّمَتْ مُنزَلَتُهُ عندَهُ، وَتَيقَّنَ حُسْنُ خَلَالِهِ قال: «أَتَتُوْنِي بِهِ أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي». فانظُرْ إِلَى قولِ الملك أولاً - حين تحقق عِلْمَه - **﴿أَتَتُوْنِي بِهِ﴾** [يوسف: ٥٠] فقط، فلِمَا فعلَ يوْسُفَ ما فعلَ ثانِياً قال: **﴿أَتَتُوْنِي بِهِ أَسْتَخْلِصُهُ لِنَفْسِي﴾**<sup>(٥)</sup>.

ورُوِيَ عن وهب بن مُنبِّه قال: لما دُعِيَ يوْسُفَ وقفَ بِالْبَابِ، فقالَ: حسبيَ ربِّي من خَلْقِهِ، عَزَّ جَارُهُ، وَجَلَّ ثَناؤهُ، وَلَا إِلَهَ غَيْرُهُ. ثُمَّ دَخَلَ، فَلِمَّا نَظَرَ إِلَيْهِ الْمَلِكُ نَزَّلَ

(١) زاد المسير ٤/٤٢٤١.

(٢) إعراب القرآن للنساجي ٢/٣٣٣.

(٣) ينظر المحرر الوجيز ٣/٢٥٤ ، وتفصير البغوي ٢/٤٣١ ، وتفصير الرازي ١٨/١٥٧ .

(٤) لم تُقْفَ عَلَيْهِ، وَالله أَعْلَمُ بِصَحَّتِهِ.

(٥) المحرر الوجيز ٣/٢٥٥ .

عن سريره فخرّ له ساجداً، ثم أقعده الملك معه على سريره فقال: ﴿إِنَّكَ أَلْيَمُ لَدِينِي مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ . ﴿قَالَ﴾ له يوسف: ﴿أَجْعَلْنِي عَلَى حَزَائِنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَيْبِطُ﴾ للخزائن ﴿عَلَيْمٌ﴾ بوجوه تصرفاتها<sup>(١)</sup>. وقيل: حافظ للحساب، عليم بالألسن<sup>(٢)</sup>.

وفي الخبر: «يرحم الله أخي يوسف، لو لم يقل: أجعلني على خزائن الأرض لاستعمله من ساعته، ولكن أثغر ذلك سنة»<sup>(٣)</sup>.

وقيل: إنما تأثّر تملكه إلى سنة؛ لأنّه لم يقل: إن شاء الله<sup>(٤)</sup>.

وقد قيل في هذه القصة: إنّ يوسف عليه السلام لما دخل على الملك قال: اللهم إني أسألك بخيرك من خيره، وأعوذ بك من شرّه وشرّ غيره، ثم سلم على الملك بالعربية، فقال: ما هذا اللسان؟! قال: هذا لسان عمّي إسماعيل، ثم دعا له بالعبرانية، فقال: ما هذا اللسان؟! قال: لسان أبيائي إبراهيم وإسحاق ويعقوب، وكان الملك يتكلّم بسبعين لساناً، فتكلّما كلّم يوسف<sup>(٥)</sup> بلسان أجابه يوسف بذلك اللسان، فأعجب الملك أمره، وكان يوسف إذ ذاك ابن ثلاثين سنة، ثم أجلسه على سريره وقال: أحب أن أسمع منك رؤيائِي، قال يوسف: نعم أيها الملك، رأيت سبع بقرات سماان شهباً غرّاً حساناً<sup>(٦)</sup>، كشف لك عنهن النيل، فطلعن عليك من شاطئه تشخّب أخلافها لبناً، فيينا أنت تنظر إليهنَّ وتعجب من حسنهنَّ إذ نصب النيل، فغار ماؤه،

(١) عرائس المجالس ص ١٢٨ - ١٢٩ ، وتفسير البغوي ٢ / ٤٣١ - ٤٣٢ .

(٢) تفسير الطبراني ٢١٩ / ١٣ ، وزاد المسير ٤ / ٢٤٣ .

(٣) أخرجه الشعبي في عرائس المجالس ص ١٢٩ - ١٣٠ من طريق إسحاق بن بشر، عن جوير، عن الضحاك عن ابن عباس رضي الله عنهما مرفوعاً، ومن طريق الشعبي أخرجه الواحدي في الوسيط ٢ / ٦١٨ ، قال الحافظ ابن حجر في الكافي الشافعى ص ٩٠ : وهذا إسناد ساقط.

(٤) ينظر زاد المسير ٤ / ٢٤٣ - ٢٤٤ .

(٥) في (م): فتكلّما تكلّم الملك، والمثبت موافق لعرائس المجالس ص ١٢٩ ، وهذه القصة بطولها فيه وفي تفسير البغوي ٢ / ٤٣١ - ٤٣٢ ، وهي التي تكلّم في إسنادها الحافظ ابن حجر كما سلف.

(٦) كذا في النسخ: شهباً غرّاً حساناً، وفي عرائس المجالس وتفسير البغوي: شهب غرّ حسان.

وبدأ أشه، فخرج من حَمَّته وَوَحْلَه سَبْعَ بِقَرَاتِ عِجَافٍ شُغْثٌ غُبْرٌ مُّقَلَّصَاتِ الْبَطْوَنِ، لِيْسَ لَهُنَّ ضَرُوعٌ وَلَا أَخْلَافٌ، لَهُنَّ أَنِيَّابٌ وَأَضْرَاسٌ، وَأَكْفٌ كَأَكْفِ الْكَلَابِ، وَخَرَاطِيمُ كَخَرَاطِيمِ السَّبَاعِ، فَاخْتَلَطَنَ بِالسُّمَانِ، فَافْتَرَسْنَهُنَ افْتَرَاسَ السَّبَاعِ، فَأَكَلَنَ لَحْوَمَهُنَّ، وَمَزَّقَنَ جَلْوَدَهُنَّ، وَحَطَّلَنَ عَظَامَهُنَّ، وَمَشَّشَنَ<sup>(١)</sup> مُحَمَّهُنَّ، فَبِينَا أَنْتَ تَنْتَرِ وَتَعْجَبُ كَيْفَ غَلَبَنَهُنَّ وَهُنَّ مَهَازِيلٌ، ثُمَّ لَمْ يَظْهُرْ فِيهِنَ<sup>(٢)</sup> سِمَنٌ وَلَا زِيَادَةً بَعْدَ أَكْلِهِنَّ! إِذَا بَسَعَ سَنَابِلَ خُضْرٍ طَرِيبَاتِ نَاعِمَاتِ مَمْتَلَاثَاتِ حَبَّ وَمَاءٍ، وَإِلَى جَانِبِهِنَ سَبْعَ يَابِسَاتِ لِيْسَ فِيهِنَ مَاءٌ وَلَا خُضْرَةٌ فِي مَثْبِتٍ وَاحِدٍ، عَرَوْفَهُنَّ فِي الشَّرِيِّ وَالْمَاءِ، فَبِينَا أَنْتَ تَقُولُ فِي نَفْسِكَ: أَيُّ شَيْءٌ هَذَا؟! هُؤُلَاءِ خُضْرُ مُثْمَرَاتِ، وَهُؤُلَاءِ سُودُ يَابِسَاتِ، وَالْمَثْبِتُ وَاحِدٌ، وَأَصْوَلُهُنَّ فِي الْمَاءِ، إِذْ هَبَّتْ رِيحٌ فَذَرَتِ الْأَوْرَاقَ مِنَ الْيَابِسَاتِ السُّودِ عَلَى الْخُضْرِ الْمُثْمَرَاتِ، فَأَشْعَلَتِ فِيهِنَ النَّارَ، فَأَحْرَقَتِهِنَ، فَصَرَنَ سُودًا مُغَبَّرَاتِ، فَانْتَهَتِ مَذْعُورًا أَيْهَا الْمَلَكُ، فَقَالَ الْمَلَكُ: وَاللَّهِ، مَا شَانَ هَذِهِ الرُّؤْيَا وَإِنْ كَانَ عَجَبًا بِأَعْجَبَ مَا سَمِعْتُ مِنْكَ! فَمَا تَرَى فِي رُؤْيَايِي أَيْهَا الصَّدِيقُ؟ فَقَالَ يُوسُفُ: أَرَى أَنْ تَجْمَعَ الطَّعَامَ، وَتَزْرَعَ زَرْعًا كَثِيرًا فِي هَذِهِ السَّنِينِ الْمُخْصِبَةِ، فَإِنَّكَ لَوْ زَرَعْتَ عَلَى حَجَرٍ أَوْ مَدَرَ لَنْبَتِ، وَأَظْهَرَ اللَّهُ فِيهِ النَّمَاءَ وَالْبَرَكَةَ، ثُمَّ تَرَفَ الزَّرْعُ بِقُصْبَهِ وَسَبْلَهِ، وَتَبْنِي لَهُ الْمَخَازِنَ الْعِظَامَ، فَيَكُونُ الْقُصْبُ وَالسَّبْلَ عَلَفًا لِلدوَابَّ، وَحْجُهُ لِلنَّاسِ، وَتَأْمِرُ النَّاسَ فِي رِفَاعِهِمْ إِلَى أَهْرَائِكَ<sup>(٣)</sup> الْخُنَسِ، فَيَكْفِيكَ مِنَ الطَّعَامِ الَّذِي جَمَعْتَهُ لِأَهْلِ مَصْرَ وَمَنْ حَوْلَهَا، وَيَأْتِيكَ الْخَلْقُ مِنَ النَّوَاحِي يَمْتَارُونَ مِنْكَ، وَيَجْتَمِعُ عَنْكَ مِنَ الْكَنْزَ مَا لَمْ يَجْتَمِعْ لِأَحَدٍ قَبْلَكَ، فَقَالَ الْمَلَكُ: وَمَنْ لِي بِتَدْبِيرِ هَذِهِ الْأَمْوَارِ؟ وَلَوْ جَمَعْتَ أَهْلَ مَصْرَ جَمِيعًا مَا أَطْاقيْوا، وَلَمْ يَكُونُوا فِيهِ أَمْنَاءَ، فَقَالَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَنْ ذَلِكَ: **﴿أَجْعَلْنِي عَلَى خَرَائِينَ الْأَرْضِ﴾** أَيِّ: عَلَى خَزَانَهُ أَرْضِكَ، وَهِيَ جَمْعُ خَزَانَةِ

(١) التمشيش: استخراج المُغَنَّ. القاموس المحيط (مشش).

(٢) في (ز) و(ف) و(م): منهن.

(٣) الأهراء، جمع: هُرْزِي، وهو بيت كبير يُجمع فيه طعام السلطان. القاموس المحيط (هره).

ودخلت الألف واللام عوضاً من الإضافة، كقول النابغة:  
 لهم شيمه لم يُعْطِهَا اللَّهُ غَيْرَهُمْ مِنَ الْجُودِ وَالْأَخْلَامُ غَيْرُ كَوَادِبِ<sup>(١)</sup>  
 قوله تعالى: ﴿أَسْتَحْلِفُهُ لِتَقْسِي﴾ جزم لأنّه جواب الأمر<sup>(٢)</sup>؛ وهذا يدلّ على أن  
 قوله: ﴿ذَلِكَ لِيَعْلَمَ أَنِّي لَمْ أَخْتُنْ بِالْفَتْيَةِ﴾ جرى في السجن. ويتحتم أنه جرى عند الملك،  
 ثم قال في مجلس آخر: ﴿أَتَوْفِي بِهِ﴾ تأكيداً ﴿أَسْتَحْلِفُهُ لِتَقْسِي﴾ أي: أجعله حالاً  
 لنفسي، أفرض إليه أمر مملكتي، فذهبوا فجاؤوا به، ودلّ على هذا: ﴿فَلَمَّا كُلَّتِ﴾  
 أي: كلّ الملك يوسف، وسأله عن الرؤيا فأجاب يوسف، فـ﴿قَالَ﴾ الملك: ﴿إِنَّكَ  
 أَلْيَومَ لَدَيْنَا مَكِينٌ أَمِينٌ﴾ أي: متمنّ نافذ القول، «أمين» لا تخاف غداً<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَى خَرَائِينَ الْأَرْضِ إِنِّي حَفِظٌ عَلَيْهِ﴾ ⑥٦٠

فيه أربع مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿قَالَ أَجْعَلْنِي عَلَى خَرَائِينَ الْأَرْضِ﴾ قال سعيد بن منصور:  
 سمعت مالكَ بن أنس يقول: مصر خزانة الأرض، أما سمعت إلى قوله: ﴿أَجْعَلْنِي عَلَى  
 خَرَائِينَ الْأَرْضِ﴾<sup>(٤)</sup> أي: على حفظها، فحذف المضاف. ﴿إِنِّي حَفِظٌ﴾ لما وُلِّيت  
 ﴿عَلَيْهِ﴾ بأمره<sup>(٥)</sup>. وفي التفسير: إني حاسب كاتب، وأنه أول من كتب في  
 القراطيس<sup>(٦)</sup>. وقيل: «حَفِظٌ» لتقدير الأقواء، «عَلَيْهِ» ببني المجاعات<sup>(٧)</sup>. قال

(١) ديوان النابغة ص ١٢ ، وفيه: عوازب، بدل: كواذب، وسلف البيت ٤/١٧١ وقوله: الأحلام: جمع حلم، وهو الأنفة والعقل. اللسان (حلم).

(٢) إعراب القرآن للناحاس ٢/٣٣٣ .

(٣) المصدر السابق.

(٤) لم نقف عليه عند سعيد بن منصور، وذكره ابن عطية في المحرر الوجيز ٣/٢٥٦ عن مالك.  
 (٥) الوسيط ٢/٦١٨ .

(٦) ذكره العسكري في الأولي ٢/٢٠٢ .

(٧) عرائس المجالس ص ١٢٩ .

خوبير، عن الضحاك، عن ابن عباس، قال: قال رسول الله ﷺ: «رَجِمَ اللَّهُ أخِي يُوسُفَ لَوْلَمْ يَقُلْ: اجْعَلْنِي عَلَى خزَائِنِ الْأَرْضِ، لَا سَعَمْلَهُ مِنْ سَاعَتِهِ، وَلَكِنْ أَخْرَى ذَلِكَ عَنِّي سَنَةً»<sup>(١)</sup>.

قال ابن عباس: لَمَّا انْصَرَفَتْ<sup>(٢)</sup> السَّنَةُ مِنْ يَوْمِ سَأْلِ الْإِمَارَةِ؛ دُعَاهُ الْمَلِكُ، فَتَوَجَّهَ وَرَدَادُهُ بِسَيفِهِ، وَوَضَعَ لَهُ سَرِيرًا مِنْ ذَهَبٍ، مُكَلَّلًا بِالْذُّرُّ وَالْيَاقُوتِ، وَضَرَبَ عَلَيْهِ حُلَّةً مِنْ إِسْتَبْرَقٍ، وَكَانَ طَوْلُ السَّرِيرِ ثَلَاثِينَ ذِرَاعًا وَعَرْضُهُ عَشْرَةً أَذْرَعًا، عَلَيْهِ ثَلَاثُونَ فَرَاشًا وَسَوْطُونَ مِرْفَقَةً<sup>(٣)</sup>، ثُمَّ أَمْرَهُ أَنْ يَخْرُجَ، فَخَرَجَ مُتَوَجِّهًا، لَوْنُهُ كَالثَّلَجِ، وَوَجْهُهُ كَالْقَمَرِ، يُرَى النَّاظِرُ وَجْهُهُ فِي<sup>(٤)</sup> صَفَاءِ لَوْنِ وَجْهِهِ، فَجَلَسَ عَلَى السَّرِيرِ، وَدَانَتْ لَهُ الْمَلُوكُ، وَهَخَلَ الْمَلَكُ بَيْتَهُ مَعَ نَسَائِهِ، وَفَرَّضَ إِلَيْهِ أَمْرَ مِصْرَ، وَعَزَلَ قَطْفِيَّ عَمَّا كَانَ عَلَيْهِ، وَجَعَلَ يُوسُفَ مَكَانَهُ<sup>(٥)</sup>.

قال ابن زيد: كان لفرعون ملك مصر خزائن كثيرة غير الطعام، فسلم سلطانه كلَّه إلى<sup>(٦)</sup>، وهلك قطفيير تلك الليالي، فزوج الملك يوسف راعيل امرأة العزيز، فلما دخل عليها قال: أليس هذا خيراً مما كنت تريدين؟! فقالت: أيها الصديق، لا تلمني، فإني كنت امرأة حسنة ناعمة كما ترى، وكان صاحبي لا يأتي النساء، وكنت كما جعلتك الله من الحسن، فغلبتني نفسي. فوجدها يوسف عذراء، فأصابها، فولدت له رجلين: إفراطيم بن يوسف، ومنشا بن يوسف<sup>(٧)</sup>.

(١) سلف ص ٣٧٨ من هذا الجزء. وسلف ذكر قول الحافظ ابن حجر فيه: إن إسناده ساقط.

(٢) في (م): انصرمت.

(٣) المرفقة: المخددة. القاموس المحيط (رفق).

(٤) في (د) و(ف) و(م): من.

(٥) عرائض المجالس ص ١٣٠ ، وتفسير البغوي ٤٣٢ / ٤٣٣ .

(٦) أخرجه الطبرى ٢١٨ / ١٣ .

(٧) عرائض المجالس ص ١٣٠ ، وتفسير البغوي ٤٣٣ / ٤٣٢ .

وقال وَهْب بْنُ مُنْبَهٖ : إنما كان تزويجه زليخاء امرأة العزيز بين دخلتي الإخوة ، وذلك أن زليخاء مات زوجها ويُوسُف في السجن ، وذهب مالها وعِمَّيَ بصرُها بكاء على يُوسُف ، فصارت تَكَفَّفُ الناسَ ، فمنهم مَنْ يرحمها ومنهم مَنْ لا يرحمها ، وكان يُوسُف يركب في كلّ أسبوع مرة في موكب زَهَاء مئة ألف من عظماء قومه ، فقيل لها : لو تعرَّضت له لعله كان يُسعفك بشيء ، ثم قيل لها : لا تفعل ، فربما ذكر بعض ما كان منك من المُراودة والسجن فَيُسِيء إلينك ، فقالت : أنا أعلم بخُلُق حبيبي منكم . ثم تركته حتى إذا ركب في موكبه ؛ قامت فنادت بأعلى صوتها : سبحان مَنْ جعل الملوك عبيداً بمعصيتهم ، وجعل العبيد ملوكاً بطاعتهم ، فقال يُوسُف : ما هذه ؟ فأتوا بها ، فقالت : أنا التي كنت أخدمك على صدور قدمي<sup>(١)</sup> ، وأرْجُل جُمَّتك بيديَّ ، وتربيت في بيتي ، وأكرمت مثواك ، لكن فرط ما فرط من جهلي وعُتُّوي ، فذقتُ وبال أمرِي ، فذهبَ مالي ، وتضعضع ركني ، وطال ذلّي ، وعَمَّيَ بصرِي ، وبعد ما كنت مغبوطة أهل مصر ؛ صرت مرحومتهم ، أتكلَّفُ الناسَ ، فمنهم من يرحمني ، ومنهم من لا يرحمني ، وهذا جزاء المفسدين . فبكى يُوسُف بكاء شديداً ، ثم قال لها : هل بقيت تجدين مما كان في نفسك من حبك لي شيئاً ؟ فقالت : والله لنظرة إلى وجهك أحُبُّ إليَّ من الدنيا بحدافيرها ، لكن ناولني صدر سوطك . فناولها فوضعته على صدرها ، فوجد للسوط في يده اضطراباً وارتاعاً من خفقان قلبها ، فبكى ثم مضى إلى منزله ، فأرسل إليها رسولـاً : إن كنتِ أيماناً تزوجناك ، وإن كنتِ ذات بعل أغنيناك ، فقالت للرسولـ : أعود بالله من أن يستهزئ بي الملك ، لم يُرْذِنِي أيام شبابي وغناي ومالي وعزّي ، أفيريدُني اليوم وأنا عجوز عمياء فقيرة ؟ ! فأعلمه الرسولـ بمقالتها ، فلما ركب في الأسبوع الثاني تعرَّضت له ، فقال لها : ألم يُبلغك الرسولـ ؟ فقالت : قد أخبرتك أن نظرة واحدة إلى وجهك أحُبُّ إليَّ من الدنيا وما فيها . فأمر بها ، فأصلاح من شأنها وهَيَّئت ، ثم رَفَقتُ إليه ، فقام يُوسُف يصلي ويدعُ اللهـ ، وقامت وراءه ،

(١) في (ظ) : كنت أقدمك على صدور قومي ، وفي (ز) و(ف) : أنا الذي كنت أخدمك على صدور قومي .

فسأل الله تعالى أن يعيده إليها شبابها وجمالها ويصرّها، فرَدَ اللهُ عليها شبابها وجمالها ويصرّها حتى عادت أحسنَ ما كانت يوم راودته، إكراماً ليوسف عليه السلام لِمَا عَفَ عن محارم الله، فأصابها، فإذا هي عذراء<sup>(١)</sup>، فسألها، فقالت: يا ربِ الله، إن زوجي كان عَنِّي لا يأتي النساء، وكنت أنت من الحُسن والجمال بما لا يُوصف، قال: فعاشا في حَفْضِ عيشٍ، في كل يوم يُجَدِّدُ اللهُ لهما خيراً، وولدت له ولدين: إفريقياً ومنشاً<sup>(٢)</sup>.

وفيما روي أن الله تعالى ألقى في قلب يوسف من محبتها أضعافَ ما كان في قلبها، فقال لها: ما شأْنِكِ لا تُحبييني كما كنتِ في أول مرة؟ فقالت: لما ذقتُ محبةَ الله تعالى شغلني ذلك عن كل شيء<sup>(٣)</sup>.

الثانية: قال بعضُ أهل العلم: في هذه الآية ما يُبيح للرجل الفاضل أن يعمل للرجل الفاجر والسلطان الكافر، بشرط أن يعلم أنه يفوض إليه في فعلٍ لا يعارضه فيه<sup>(٤)</sup>، فيصلح منه ما شاء؛ وأما إن كان عمله بحسب اختيار الفاجر وشهواته وفجوره، فلا يجوز ذلك.

وقال قوم: إن هذا كان ليوسف خاصةً، وهذا اليوم غير جائز. والأول أولى إذا كان على الشرط الذي ذكرناه. والله أعلم.

قال الماوردي<sup>(٥)</sup>: فإن كان المؤلي ظالماً فقد اختلف الناس في جواز الولاية من

(١) قال العلامة الألوسي في تفسيره ٥/١٣ : وشاع عند القصاص أنها عادت شابة بكرأ إكراماً له عليه السلام.. وهذا مما لا أصل له، وخبر تزوجها أيضاً مما لا يُعول عليه عند المحدثين.

(٢) ذكر هذه القصة ابن الجوزي في المتنظم ١/٣٥١ قسماً منها، وذكر في آخرها أنها ولدت اثنتي عشر ولداً. وذكر ابن عطية في المحرر الوجيز ٣/٢٥٦ قسماً منها، ثم قال: وروي في نحو هذا من القصص ما لا يوقف على صحته ويطول الكلام بسوقه.

(٣) لم تقف عليه.

(٤) في (ز) و(ظ) و(ف): في فصل لا يعارض فيه، وفي المحرر الوجيز ٣/٢٥٦ (والكلام منه): في فصل ما لا يعارض فيه، والمثبت من (د) و(م).

(٥) في النكت والعيون ٣/٥٠ ، وما بين حاصلتين الآتي منه.

قبيله على قولين:

أحدهما: جوازها إذا عمل بالحق فيما تقلّده؛ لأن يوسف ولي من قبل فرعون،  
ولأن الاعتبار في حقيقته بفعله؛ لا بفعل غيره.

الثاني: أنه لا يجوز ذلك؛ لما فيه من تولي الظالمين بالمعونة لهم، وتزيكيتهم  
بتتنفيذ<sup>(١)</sup> أعمالهم، فأجاب من ذهب إلى هذا المذهب عن ولادة يوسف من قبل  
فرعون بجوابين:

أحدهما: أن فرعون يوسف كان صالحًا، وإنما الطاغي فرعون موسى.

الثاني: أنه نظر [له] في أملاكه دون أعماله، فزالت عنه التبعية فيه.

قال الماوردي<sup>(٢)</sup>: والأصح من إطلاق هذين القولين أن يفضل ما يتولاه من جهة  
الظالم على ثلاثة أقسام:

أحدها: ما يجوز لأهله فعله من غير اجتهد في تنفيذه؛ كالصدقات والزكوات،  
فيجوز توليه من جهة الظالم، لأن النص على مستحقه قد أغنى عن الاجتهد فيه،  
وجواز تفرد أربابه به قد أغنى عن التقليد.

والقسم الثاني: ما لا يجوز أن يتفرّدوا به، ويلزم الاجتهد في مصرينه، كأموال  
الفناء، فلا يجوز توليء من جهة الظالم؛ لأنه يتصرف بغير حق، ويجهد فيما لا  
يستحق.

والقسم الثالث: ما يجوز أن يتولاه أهله<sup>(٣)</sup>، وللاجتهد فيه مدخل، كالقضايا  
والأحكام، فعقد التقليد [فيه] محلول، فإن كان النظر تنفيذاً للحكم بين متراضيين،  
وتتوسطاً بين مجبورين؛ جاز، وإن كان إلزاماً إجباراً لم يُجز.

(١) في (م): بتقلّد.

(٢) في النكت والعيون ٥١/٣.

(٣) في (م): لأهله، ووقع في (ف): ما لا يجوز أن يتولاه لأهله.

الثالثة: وَدَلَّتِ الْآيَةُ أَيْضًا عَلَى جَوَازِ أَنْ يَخْطُبَ الْإِنْسَانُ عَمَلاً يَكُونُ لَهُ أَهْلًا<sup>(١)</sup>، فَإِنْ قِيلَ: فَقَدْ رُوِيَ مُسْلِمٌ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ سَمْرَةَ، قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللَّهِ<sup>ﷺ</sup>: «يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ، لَا تَسْأَلِ الْإِمَارَةَ؛ فَإِنَّكَ إِنْ أَعْطَيْتَهَا عَنْ مَسَأَلَةٍ وُكِلْتَ إِلَيْهَا، وَإِنْ أَعْطَيْتَهَا عَنْ غَيْرِ مَسَأَلَةٍ أَعْنَتَ عَلَيْهَا»<sup>(٢)</sup>.

وَعَنْ أَبِي بُزْدَةَ، قَالَ: قَالَ أَبُو مُوسَى: أَقْبَلْتُ إِلَى النَّبِيِّ<sup>ﷺ</sup> وَمَعِي رَجُلَانِ مِنَ الْأَشْعَرِيِّينَ، أَحدهُمَا عَنْ يَمِينِي، وَالْآخَرُ عَنْ يَسَارِي، فَكَلَّاهُمَا سَأْلُ الْعَمَلِ، وَالنَّبِيُّ<sup>ﷺ</sup> يَسْتَأْكِ، فَقَالَ: «مَا تَقُولُ يَا أَبَا مُوسَى - أَوْ يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ قَيْسَ -» قَالَ: قَلَتْ: وَالَّذِي بَعْثَكَ بِالْحَقِّ، مَا أَطْلَعْتَنِي عَلَى مَا فِي أَنفُسِهِمَا، وَمَا شَرَعْتَ أَنْهُمَا يَطْلَبَانِ الْعَمَلِ، قَالَ: وَكَأَنِّي أَنْظَرْتُ إِلَيْهِمَا تَحْتَ شَفِيتِهِ وَقَدْ قَلَصْتُ، فَقَالَ: «لَنْ، أَوْ: لَا تَسْتَعْمِلُ عَلَى عَمَلِنَا مَنْ أَرَادَهُ» وَذَكَرَ الْحَدِيثُ، خَرَجَ مُسْلِمٌ أَيْضًا وَغَيْرَهُ<sup>(٣)</sup>.

فَالْجَوابُ: أَوْلًا: أَنَّ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ إِنَّمَا طَلَبَ الْوَلَايَةَ لَأَنَّهُ عَلِمَ أَنَّهُ لَا أَحَدٌ يَقُومُ مَقَامَهُ فِي الْعَدْلِ وَالْإِصْلَاحِ وَتَوْصِيلِ الْفَقَرَاءِ إِلَى حُقُوقِهِمْ، فَرَأَى أَنَّ ذَلِكَ فَرْضٌ مُتَعِّنٌ عَلَيْهِ، فَإِنَّهُ لَمْ يَكُنْ هُنَاكَ غَيْرُهُ، وَهَكُذا الْحُكْمُ الْيَوْمَ؛ لَوْ عَلِمَ إِنْسَانٌ مِنْ نَفْسِهِ أَنَّهُ يَقُومُ بِالْحَقِّ فِي الْقَضَاءِ أَوِ الْحِسْبَةِ، وَلَمْ يَكُنْ هُنَاكَ مَنْ يَصْلِحُ وَلَا يَقُومُ مَقَامَهُ؛ لَتَعَيَّنَ ذَلِكُ عَلَيْهِ، وَوَجَبَ أَنْ يَتَوَلَّهَا وَيَسْأَلَ ذَلِكَ، وَيَخْبُرَ بِصَفَاتِهِ الَّتِي يَسْتَحْقُّهَا بِهِ مِنَ الْعِلْمِ وَالْكَفَايَةِ وَغَيْرِ ذَلِكَ، كَمَا قَالَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَأَمَّا لَوْ كَانَ هُنَاكَ مَنْ يَقُومُ بِهَا وَيَصْلِحُ لَهَا، وَعَلِمَ بِذَلِكَ فَالْأَوَّلُ أَلَا يَطْلُبُ؟ لِقَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ لِعَبْدِ الرَّحْمَنِ: «لَا تَسْأَلِ الْإِمَارَةَ». وَأَيْضًا، فَإِنَّ فِي سُؤَالِهِ وَالْحَرْصِ عَلَيْهَا مَعَ الْعِلْمِ بِكَثْرَةِ آفَاتِهَا وَصَعْوَدَةِ التَّخْلُصِ مِنْهَا دَلِيلٌ عَلَى أَنَّهُ يَطْلُبُهَا لِنَفْسِهِ وَلِأَغْرَاصِهِ، وَمَنْ كَانَ هَكُذا يُوشِكُ أَنْ تَغْلِبَ عَلَيْهِ نَفْسُهُ فِيهِلْكَ، وَهَذَا مَعْنَى قَوْلِهِ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ: «وُكِلْتَ إِلَيْهَا»، وَمَنْ أَبَاهَا لَعْلَمَهُ بِآفَاتِهَا، وَلَخَوْفِهِ مِنِ التَّقصِيرِ فِي حُقُوقِهَا [وَ] فَرَّ مِنْهَا، ثُمَّ إِنْ

(١) النَّكْتُ وَالْعَيْنُونُ ٥٠ / ٣.

(٢) صَحِيحُ مُسْلِمٍ (١٦٥٢)، وَهُوَ عَنْدَ أَحْمَدَ (٢٠٦١٨)، وَالْبَخَارِيِّ (٦٦٢٢).

(٣) صَحِيحُ مُسْلِمٍ ١٤٥٦ / ٣ (١٧٣٣): (١٥)، وَهُوَ عَنْدَ أَحْمَدَ (١٩٦٦٦)، وَالْبَخَارِيِّ (٢٢٦١).

ابتلي بها، فيرجى له التخلص منها، وهو معنى قوله: «أعينَ عليها»<sup>(١)</sup>.

الثاني: أنه لم يقل: إني حسيبٌ كريمٌ، وإن كان كما قال النبي ﷺ: «الكريم ابنُ الكريم ابنِ الكريم يوْسُفُ بْنُ يعقوبَ بْنِ إسحاقَ بْنِ إبراهيم»<sup>(٢)</sup> ولا قال: إني جميلٌ ملِيعٌ، إنما قال: **﴿إِنِّي حَفِيظٌ عَلَيْهِ﴾**، فسألها بالحفظ والعلم، لا بالنسب والجمال.

الثالث: إنما قال ذلك عندَ من لا يعرفه فأراد تعريفَ نفسه، وصار ذلك مستثنىً من قوله تعالى: **﴿فَلَا تُرَكُوا أَنفُسَكُمْ﴾** [النجم: ٣٢].

الرابع: أنه رأى ذلك فرضاً متعيناً عليه؛ لأنَّه لم يكن هنالك غيره<sup>(٣)</sup>، وهو الأظهر، والله أعلم.

الرابعة: ودلت الآية أيضاً على أنه يجوز للإنسان أن يصف نفسه بما فيه من علمٍ وفضلٍ، قال الماوردي<sup>(٤)</sup>: وليس هذا على الإطلاق في عموم الصفات، ولكنه مخصوصٌ فيما اقترن بوصله، أو تعلق بظاهرِ من مكتسب، ومن نوع منه فيما سواه؛ لـما فيه من تزكيةٍ ومراءاة، ولو تنزه<sup>(٥)</sup> الفاضلُ عنه لكان أليق بفضله، فإنَّ يوْسُفَ دعوه الضرورةُ إليه لما سبق من حاله، ولما يرجو من الظفر بأهله.

قوله تعالى: **﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَاهُ لِيُوْسُفَ فِي الْأَرْضِ يَسْبُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ نُصِيبُ بِرَحْمَتِنَا مَنْ شَاءُمْ وَلَا نُنْصِيبُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴾** **﴿وَلَآخِرُ الْأَخِرَةِ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ مَا مَنَّا وَكَانُوا يَنْفَعُونَ﴾**

قوله تعالى: **﴿وَكَذَلِكَ مَكَّنَاهُ لِيُوْسُفَ فِي الْأَرْضِ يَسْبُوا مِنْهَا حَيْثُ يَشَاءُ﴾** أي: ومثل

(١) المفہم ٤/١٦ ، وما بين حاصلتين منه.

(٢) سلف ص ٣٧١ من هذا الجزء.

(٣) القول الثاني والثالث والرابع من أحكام القرآن لابن العربي ٣/١٠٨٠ .

(٤) في النكت والعيون ٣/٥٢ ، والقول الرابع الذي قبله منه.

(٥) في النسخ: ميزه، والمثبت من النكت والعيون.

هذا الإنعام الذي أنعمنا عليه في تقريره إلى قلب الملك، وإنجاته من السجن؛ مَكَّنَاهُ فِي الْأَرْضِ، أَيْ: أَقْدَرْنَاهُ عَلَى مَا يُرِيدُ<sup>(١)</sup>.

وقال الكِتَابُ الطَّبَرِيُّ، قوله تعالى: ﴿وَكَذَّلَكَ مَكَّنَاهُ لِيُوْسَفَ فِي الْأَرْضِ﴾ دليلٌ على إجازة الحيلة في التوصل إلى المباح، وما فيه الغيطة والصلاح، واستخراج الحقوق، ومثله قوله تعالى: ﴿وَحَذَّرَ بِيْدَكَ شِغْنَاهُ فَأَنْزَبَ بِهِ، وَلَا تَحْتَهُ﴾ [ص: ٤٤]، وحديث أبي سعيد الْخُدْرِيِّ في عامل خَيْرٍ، والذي أَدَّاهُ من التَّمَرَ إلى رسول الله ﷺ، وما قاله<sup>(٢)</sup>.

قلت: وهذا مردودٌ على ما يأتي<sup>(٣)</sup>. يقال: مَكَّنَاهُ وَمَكَّنَاهُ لَهُ، قال الله تعالى:

﴿مَكَّنْتُهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ تُمْكِنْ لَكُمْ﴾ [الأنعام: ٦].

قال الطَّبَرِيُّ<sup>(٤)</sup>: استخلف المَلِكُ الأَكْبَرُ الوليدُ بن الرِّيَانَ يُوسُفَ على عمل إطفير وعَزَّلَهُ، قال مجاهد: وأسلم على يديه<sup>(٥)</sup>. قال ابن عباس: مَلِكُه بعد سنة ونصف<sup>(٦)</sup>. وروى مقاتل أن النبي ﷺ قال: «لو أن يُوسُفَ قال: إني حفظتُ عليهم إن شاء الله لَمْلُوكٌ في وقته ذلك»<sup>(٧)</sup>.

(١) الوسيط للواحدي . ٦١٩/٢

(٢) أحكام القرآن للكِتاب الطبرى ٢٣٣/٣ ، لكن الذي فيه أن قوله تعالى: ﴿كَذَّلَكَ كَذَّنَاهُ لِيُوْسَفَ﴾ [آلية: ٧٦] هي دليل إجازة الحيلة في التوصل إلى المباح. وسيأتي ص ٤١٧ من هذا الجزء. وحديث عامل خَيْرٍ أخرجه البخاري (٢٢٠١) و(٢٢٠٢)، ومسلم (١٥٩٣) من حديث أبي هريرة وأبي سعيد رضي الله عنهما، ولفظه: أن رسول الله ﷺ استعمل رجلاً على خَيْرٍ، فجاهه بتمر جَنِيبٍ، فقال رسول الله ﷺ: «أَكُلْ تمر خَيْرٌ هَذِهِ؟» قال: لا والله يا رسول الله، إنا نأخذ الصاع من هذا بالصاعين، والصاعين بالثلاثة، فقال رسول الله ﷺ: «لَا تَفْعِلْ، بِعِ الْجَمْعِ بِالدرَّاهِمِ، ثُمَّ ابْتَعِ بِالدرَّاهِمِ جَنِيبًا». وهو بنحوه عند أحمد (١٤١٢). والجَنِيب: نوع جيد معروف من أنواع التمر، والجَمْع: نوع مختلط من أنواع متفرقة ليس مرغوباً فيه. النهاية (جنب) (جمع).

(٣) ص ٤١٦-٤١٧ من هذا الجزء.

(٤) في تفسيره ٢٢٠/١٣ ، ونقله المصنف عنه بواسطة الماوردي في التكث و العيون ٣/٥٢ ، والأقوال التي بعده منه.

(٥) أخرجه الطبرى ٢٢٢/١٣ .

(٦) زاد المسير ٤/٤ . ٢٤٤ .

(٧) لم تتفق عليه، وهو هكذا مرسل، وقد سلف نحوه ص ٣٧٨ من هذا الجزء، وهو ضعيف أيضاً.

ثم مات إطفيه فزوجه الوليد بزوجة إطفيه راعيل، فدخل بها يوسف، فوجدها عذراء، وولدت له ولدين: إفرايم ومتنا ابني يوسف. ومن رأى أنها زليخاء قال: لم يتزوجها يوسف، وإنها لما رأته في موكيه بكت، ثم قالت: الحمد لله الذي جعل الملوك عبيداً بالمعصية، والحمد لله الذي جعل العبيد بالطاعة ملوكاً، فضمهما إليه، فكانت من عياله حتى ماتت عنده، ولم يتزوجها، ذكره الماوردي<sup>(١)</sup>، وهو خلاف ما تقدم عن وهب<sup>(١)</sup>، وذكره الثعلبي، فالله أعلم.

ولما فرض الملك أمر مصر إلى يوسف تلطف بالناس، وجعل يدعوهم إلى الإسلام حتى آمنوا به، وأقام فيهم العدل، فأحبه الرجال والنساء.

قال وهب والستي وابن عباس وغيرهم: ثم دخلت السنون المخصبة، فأمر يوسف بإصلاح المزارع، وأمرهم أن يتسعوا في الزراعة، فلما أدركت الغلة؛ أمر بها فجُمعت، ثم بني لها الأهراء، فجمعت فيها في تلك السنة غلة ضاقت عنها المخازن لكثرتها، ثم جمع عليه غلة كل سنة كذلك، حتى إذا انقضت السبع المخصبة وجاءت السنون المجدبة نزل جبريل وقال: يا أهل مصر، جوعوا، فإن الله سلط عليكم الجوع سبع سنين.

وقال بعض أهل الحكمة: للجوع والقطط علامتان: إحداهما: أن النفس تحب الطعام أكثر من العادة، ويُسرع إليها الجوع خلاف ما كانت عليه قبل ذلك، وتأخذ من الطعام فوق الكفاية. والثانية: أن يفقد الطعام فلا يوجد رأساً ويعزز إلى الغاية.

فاجتمعت هاتان العلامتان في عهد يوسف، فانتبه الرجال والنساء والصبيان ينادون: الجوع الجوع، ويأكلون ولا يشعرون، وانتبه الملك، ينادي: الجوع الجوع، قال: فدعا له يوسف فأبرأه الله من ذلك، ثم أصبح فنادي يوسف في أرض مصر كلها: معاشر الناس، لا يزرع أحد زرعاً فيضيق البذر ولا يطلع شيء. وجاءت تلك السنون بهول عظيم لا يوصف.

(١) النكت والعيون ٥٢/٣ ، وسلفت القصة مطولة ص ٣٨٣-٣٨٢ من هذا الجزء، وينظر ما نقلناه عن الألوسي ثمة.

قال ابن عباس: لَمَّا كَانَ ابْتِدَاءُ الْقَحْطِ، بَيْنَا الْمَلْكُ فِي جَوْفِ الْلَّيلِ أَصَابَهُ الْجُوعُ فِي نَصْفِ الْلَّيلِ، فَهَتَّفَ الْمَلْكَ: يَا يُوسُفَ، الْجُوعُ الْجُوعُ، فَقَالَ يُوسُفُ: هَذَا أَوَانُ الْقَحْطِ، فَلَمَّا دَخَلَتْ أَوَّلُ سَنَةٍ مِّنْ سِنِّي الْقَحْطِ؛ هَلَّكَ فِيهَا كُلُّ شَيْءٍ أَعْدُوهُ فِي السِّنِينِ الْمُخْصِبَةِ، فَجَعَلَ أَهْلُ مِصْرَ يَبْتَاعُونَ الطَّعَامَ مِنْ يُوسُفَ، فَبَاعُوهُمْ أَوَّلَ سَنَةً بِالنَّقْودِ، حَتَّى لَمْ يَبْقَ بِمِصْرِ دِينَارٌ وَلَا درَهمٌ إِلَّا قَبَضَهُ، وَبَاعُوهُمْ فِي السَّنَةِ الثَّانِيَةِ بِالْحُلُّيِّ وَالْجَوَاهِرِ، حَتَّى لَمْ يَبْقَ فِي أَيْدِي النَّاسِ مِنْهَا شَيْءٌ، وَبَاعُوهُمْ فِي السَّنَةِ الثَّالِثَةِ بِالْمَوَاشِي وَالدَّوَابِّ، حَتَّى احْتَوَى عَلَيْهَا أَجْمَعُ، وَبَاعُوهُمْ فِي السَّنَةِ الرَّابِعَةِ بِالْعَبِيدِ وَالْإِمَاءِ، حَتَّى احْتَوَى عَلَى الْكُلِّ، وَبَاعُوهُمْ فِي السَّنَةِ الْخَامِسَةِ بِالْعَقَارِ وَالضَّيْاعِ، حَتَّى مَلَكُوهَا كُلُّهَا، وَبَاعُوهُمْ فِي السَّنَةِ السَّادِسَةِ بِأَوْلَادِهِمْ وَنِسَائِهِمْ فَاسْتَرْفَهُمْ جَمِيعًا، وَبَاعُوهُمْ فِي السَّنَةِ السَّابِعَةِ بِرْقَابِهِمْ، حَتَّى لَمْ يَبْقَ<sup>(١)</sup> بِمِصْرِ حَرًّا وَلَا عَبْدًًا صَارَ عَبْدًا لَهُ، فَقَالَ النَّاسُ: وَاللَّهِ، مَا رَأَيْنَا مُلَكًا أَجَلًّا وَلَا أَعْظَمَ مِنْ هَذَا، فَقَالَ يُوسُفُ لِمَلِكِ مِصْرَ: كَيْفَ رَأَيْتُ صُنْعَ رَبِّي فِيمَا خَوَلَنِي، وَالآنَ كُلُّهُ هَذَا لَكَ، فَمَا تَرَى فِيهِ؟ فَقَالَ: فَوَضَّتُ إِلَيْكَ الْأُمْرَ، فَأَفْعَلَ مَا شِئْتَ، وَإِنَّمَا نَحْنُ لَكَ تَبْعُّ، وَمَا أَنَا بِالذِّي يَسْتَنْكِفُ عَنْ عِبَادَتِكَ وَطَاعَتِكَ، وَلَا أَنَا إِلَّا مِنْ بَعْضِ مَمَالِيكِكَ، وَخَوَلٌ مِّنْ خَوَلِكَ، فَقَالَ يُوسُفُ عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّمَا لَمْ أَعْتَقْهُمْ مِنَ الْجُوعِ لِأَسْتَعْبِدَهُمْ، وَلَمْ أَجْرِهِمْ مِنَ الْبَلَاءِ لِأَكُونَ عَلَيْهِمْ بَلَاءً، وَإِنِّي أَشْهُدُ اللَّهَ وَأَشْهُدُكَ أَنِّي أَعْتَقْتُ أَهْلَ مِصْرَ عَنْ آخِرِهِمْ، وَرَدَدْتُ عَلَيْهِمْ أَمْوَالَهُمْ وَأَمْلاَكَهُمْ، وَرَدَدْتُ عَلَيْكَ مُلَكَكَ بِشَرْطٍ أَنْ تَشْتَتَّ بِسْتِي.

وَيُرُوَى أَنَّ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ كَانَ لَا يَشْيَعُ مِنْ طَعَامٍ فِي تِلْكَ السِّنِينِ، فَقِيلَ لَهُ: أَتَجُوعُ وَيَبِدُكَ خَزَائِنُ الْأَرْضِ؟! فَقَالَ: إِنِّي أَخَافُ إِنْ شَيِّعْتُ أَنْ أَنْسِي الْجَائِعَةَ. وَأَمْرَ يُوسُفُ طَبَّاخَ الْمَلِكِ أَنْ يَجْعَلَ غَدَاءَهُ نَصْفَ النَّهَارِ، حَتَّى يَذْوَقَ الْمَلِكُ طَعَمَ الْجُوعِ، فَلَا يَنْسَى الْجَائِعَينَ، فَمِنْ ثُمَّ جَعَلَ الْمَلَوِّكُ غَدَاءَهُمْ نَصْفَ النَّهَارِ<sup>(٢)</sup>.

(١) بعدها في (م): في السنة السابعة.

(٢) عرائس المجالس ص ١٣٠ - ١٣١ ، وتفصير البغوي ٤٣٣ / ٢ - ٤٣٤ .

قوله تعالى: **﴿تُصِيبُ بِرَحْمَةِنَا مَن نَشاءُ﴾** أي: بإحساننا، والرحمة النعمة والإحسان<sup>(١)</sup>. **﴿وَلَا تُنْهِيَعُ أَجَرَ الْمُخْسِنِينَ﴾** أي: ثوابهم. وقال ابن عباس ووهب: يعني الصابرين<sup>(٢)</sup>; لصبره في الجب، وفي الرق، وفي السجن، وصبره عن محارم الله عمّا دعته إليه المرأة.

وقال الماوردي<sup>(٣)</sup>: واختلف فيما أوتيه يوسف من هذه الحال على قولين: أحدهما: أنه ثواب من الله تعالى على ما ابتلاه. الثاني: أنه أنعم<sup>(٤)</sup> عليه بذلك تفضلاً منه عليه، وثوابه باق على حاله في الآخرة.

قوله تعالى: **﴿وَلَا يَنْهَا الْآخِرَةُ حَيْثُ﴾** أي: ما نعطيه في الآخرة خير وأكثر مما أعطينا في الدنيا، لأن أجراً الآخرة دائم، وأجر الدنيا ينقطع<sup>(٥)</sup>، وظاهر الآية العموم في كل مؤمن متّق، وأنشدوا:

أَمَا فِي رَسُولِ اللَّهِ يُوسُفَ أُسْوَةٌ  
أَفَامْ جَمِيلَ الصَّبَرِ فِي الْحَسْبِ بُرْهَةٌ  
وَكَتَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى صَدِيقِهِ لِهِ  
وَرَاءَ مَضِيقِ الْخُوفِ مُتَسَعُ الْأَمْنِ  
فَلَا تِيَاسَنْ<sup>(٧)</sup> فَاللَّهُ مَلِكُ يُوسُفَا  
وَأَنْشَدَ بَعْضُهُمْ:

(١) الرحمة صفة من صفات الله عز وجل ثابتة له، وأما إحسانه ونعمته فهي صفة أخرى له سبحانه وتعالى.

(٢) تفسير البغوي ٤٣٣ / ٢ .

(٣) في النكت والعيون ٥٣ / ٣ .

(٤) في (م): أنعم الله.

(٥) النكت والعيون ٥٣ / ٣ .

(٦) البيتان للبحترى، وهو في ديوانه ١٥٦٤ / ٣ ، وفيه: السجن، بدل الحبس.

(٧) في (د): فلا تبتس.

(٨) البيتان في عرائض المجالس ص ١٣٠ دون نسبة، ونسبهما الصندي في الوافي بالوفيات ٤٧ / ١٥ لزيد ابن محمد بن زيد العلوى.

إذا الحادثات بلغن النهى  
وكادت تذوب لنهى المنهج  
وحلَّ البلاء وقلَّ العزاء  
ف عند الثنائي يكون الفرج<sup>(١)</sup>  
والشعر في هذا المعنى كثير.

قوله تعالى: **﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفُوهُمْ وَهُمْ لَمْ يُنْكِرُونَ﴾**<sup>(٢)</sup>  
قوله تعالى: **﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ﴾** أي: جاؤوا إلى مصر لـما أصابهم القحط  
ليختاروا. وهذا من اختصار القرآن المـعـجز<sup>(٣)</sup>.

قال ابن عباس وغيره: لما أصاب الناس القحط والشدة، ونزل ذلك بأرض مصر  
كنعان بعث يعقوب عليه السلام ولده للميرية، وذاع أمر يوسف عليه السلام في  
الآفاق، لـلـلـيـلـةـ وـقـرـبـهـ وـرـحـمـتـهـ وـرـأـفـتـهـ وـعـدـلـهـ وـسـيـرـتـهـ<sup>(٤)</sup>، وكان يوسف عليه السلام حين  
نزلت الشدة بالناس يجلسُ للناس عند البيع بنفسه، فـيـعـطـيـهـمـ مـنـ الطـعـامـ عـلـىـ عـدـدـ  
رـؤـوسـهـمـ، لـكـلـ رـأـسـ وـسـقـاـ.

**﴿وَجَاءَ إِخْوَةُ يُوسُفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَعَرَفُوهُمْ﴾** يوسف **﴿وَهُمْ لَمْ يُنْكِرُونَ﴾** لأنهم  
خلفوه صبياً، ولم يتوجهوا أنه بعد العبودية يبلغ إلى تلك الحال من المملكة<sup>(٥)</sup>، مع  
طول المدة، وهي أربعون سنة. وقيل: أنكروه لأنهم اعتقدوا أنه ملك كافر: وقيل:  
رأوه لابس حرير، وفي عنقه طوق ذهب، وعلى رأسه تاج، وقد تزيينا بـزـيـ فـرـعـونـ  
مصر، ويـوسـفـ رـأـهـ عـلـىـ مـاـ كـانـ عـهـدـهـمـ فـيـ الـمـلـبـسـ وـالـحـلـيـةـ. وـيـحـتـمـلـ أـنـهـ رـأـوهـ  
وراء ستير فلم يعرفوه<sup>(٦)</sup>. وقيل: أنكروه لأمر خارق امتحاناً امتحن الله به يعقوب.

(١) ذكرهما أبو علي التنوخي في الفرج بعد الشدة ٢٣/٥ دون نسبة، وابن عبد البر في بهجة المجالس ١٨٠/١ ونسبهما لمنصور الفقيه، وعند هما: المدى، بدل: النهي، وعند التنوخي: وجـلـ، بـدـلـ: وـحلـ، وعـنـدـ ابنـ عبدـ البرـ: الـوـفـاءـ، بـدـلـ: العـزـاءـ.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٢/٣٣٣.

(٣) زاد المسير ٤/٢٤٦.

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٢/٣٣٣ - ٣٣٤.

(٥) الأقوال السالفة في عرائض المجالس ص ١٣١ ، وتفصير البغوي ٤٣٤/٢ ، وتفصير الرازي ١٨/١٦٦ .

قوله تعالى: «وَلَمَّا جَهَزْتُم بِمَهَاجِرَتِهِمْ قَالَ أَتَنُوْفِي يَأْخُذُكُم مِّنْ أَيْكُمْ أَلَا تَرَوْنَ أَنَّهُ أُوْفِي الْكَيْلَ وَأَنَا خَيْرُ الْمُتَزَلِّيْنَ ﴿٤٦﴾ إِنَّ لَّهُ تَأْنُوفِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي وَلَا نَقْرَبُونَ ﴿٤٧﴾ قَالُوا سَرُورُدُ عَنْهُ أَبَاهُ وَإِنَا لَنَعْلُوْنَ ﴿٤٨﴾»

قوله تعالى: «وَلَمَّا جَهَزْتُم بِمَهَاجِرَتِهِمْ» يقال: جَهَزَتِ القومَ تَجهِيزاً، أي: تَكَلَّفَ لهم بِجَهَازِهِمْ للسفر، وجَهَازِ العَرَوْسِ ما يُحْتَاجُ إِلَيْهِ عِنْدِ الْإِهْدَاءِ إِلَى الرَّوْجِ، وجَوَزَ بَعْضُ الْكَوْفَيْنِ الْجِهَازَ بِكَسْرِ الْجِيمِ<sup>(١)</sup>، والْجِهَازُ فِي هَذِهِ الْآيَةِ الْطَّعَامُ الَّذِي امْتَارُوهُ مِنْ عَنْهُ<sup>(٢)</sup>. قَالَ السُّدِّيُّ: وَكَانَ مَعَ أَخْوَةِ يُوسُفَ أَحَدُ عَشَرَ بَعِيرًا، وَهُمْ عَشْرَةُ، فَقَالُوا لِيُوسُفَ: إِنَّ لَنَا أَخَا تَخَلَّفَ عَنَا، وَبِعِيرِهِ مَعْنَا، فَسَأَلُوهُمْ: لَمَّا تَخَلَّفَ؟ فَقَالُوا: لَحْبُ أَبِيهِ إِيَّاهُ، وَذَكَرُوا لَهُ أَنَّهُ كَانَ لَهُ أَخْ أَكْبَرُ مِنْهُ، فَخَرَجَ إِلَى الْبَرِّيَّةِ فَهَلَّكَ؛ فَقَالَ لَهُمْ: أَرَدْتُ أَنْ أَرَى أَخَاكُمْ هَذَا الَّذِي ذَكَرْتُمْ، لَا عِلْمَ وَجْهَ مَحْبَةِ أَبِيكُمْ إِيَّاهُ، وَأَعْلَمَ صَدَقَكُمْ، وَيُرُوِي أَنَّهُمْ تَرَكُوا عَنْهُ شَمْعُونَ رَهِيَّةً، حَتَّى يَأْتُوا بِأَخِيهِ بَنِيَّا مِنْ<sup>(٣)</sup>.

وقال ابن عباس: قال يوسف للترجمان: قل لهم: لغتكم مخالفٌ للغتنا، وزينكم مخالفٌ لزیننا، فلعلكم جواسيس، فقالوا: والله، ما نحن بجواسيس، بل نحن بئُونَ أَبٍ واحدٍ، فهو شيخٌ صديقٌ. قال: فكم عدّتكم؟ قالوا: كنا اثني عشرَ، فذهب أخُ لنا إلى البريَّةِ، فهَلَّكَ فيها. قال: فـأين الآخر؟ قالوا: عند أبيينا. قال: فمن يعلم صدقَكم؟ قالوا: لا يعرفنا هاهنا أحدٌ، وقد عرَفْتاك أنسابنا، فبأيِّ شيءٍ تسكن نفسُك إلينا؟ فقال يوسف: «أَتَنُوْفِي يَأْخُذُكُم مِّنْ أَيْكُمْ» إنْ كُنْتُمْ صادقين، فـأنا أرضي بذلك «أَلَا تَرَوْنَ أَنَّهُ أُوْفِي الْكَيْلَ» أي: أُثْمِهُ وَلَا أَبْخُسُهُ، وأَزِيدُكُمْ حِمْلَ بَعِيرٍ لأخِيكُمْ هُوَ فَـإِنَّ لَّهُ تَأْنُوفِي بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي» توعدُهم أَلَا يبيِعُهم الطَّعَامَ إِنْ لَمْ يَأْتُوا بِهِ<sup>(٤)</sup>.

(١) تهذيب اللغة ٣٥/٦ - ٣٦.

(٢) المحرر الوجيز ٢٥٨/٣.

(٣) أخرجه الطبرى ١٣/٤٣٥ - ٤٣٤ ، وزاد المسير ٤/٢٤٦ - ٢٤٧ بفتحه.

(٤) الكلام بفتحه في تفسير البغوى ٢/٤٣٤ - ٤٣٥ ، وزاد المسير ٤/٢٤٦ - ٢٤٧.

قوله تعالى: ﴿أَلَا تَرَوْنَ أَقْيَأَ أُوفِيَ الْكِيلَ﴾ يحتمل وجهين: أحدهما: أنه رَّخص لهم في السعر، فصار زيادةً في الكيل.  
والثاني: أنه كآل لهم بمكيالٍ وافي.

﴿وَأَنَّا خَيْرُ الْمُتَزَلِّينَ﴾ فيه وجهاً: أحدهما: يعني<sup>(١)</sup> خير المضيفين؛ لأنَّه أحسن ضيافَهم، قاله مجاهد. الثاني: وهو محتمل، أي: خير من نَزَلتُم عليه من المؤمنين. وهو على التأويل الأول مأخوذاً من التزل، وهو الطعام، وعلى الثاني من المنزل، وهو الدار<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ تَأْتُونِيهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي﴾ أي: فلا أبيعكم شيئاً فيما بعد؛ لأنَّه قد وفَّاهم كيلَهم في هذه الحال. ﴿وَلَا تَقْرَبُونَ﴾ أي: لا أُنزل لكم عندي منزلة القريب، ولم يُرِدْ أن<sup>(٣)</sup> يبعدوا منه ولا يعودوا إليه؛ لأنَّه على العود حَثَّهم.

قال السُّدِّيُّ: وطلب منهم رهينةً حتى يرجعوا، فارتنهن شمعونَ عنده. قال الكلبيُّ: إنما اختار شمعونَ منهم؛ لأنَّه كان يوم الجُبْ أجملَهم قوله، وأحسنَهم رأياً<sup>(٤)</sup>.

و«تقربُونَ» في موضع جزم بالنهي، فلذلك حُذفت منه النون، وحُذفت الياء؛ لأنَّه رأسُ آية، ولو كان خبراً لكان «تقربونَ» بفتح النون<sup>(٥)</sup>.

قوله تعالى: ﴿قَاتُلُوا سَرْرِيْدَ عَنْهُ أَبَاهُ﴾ أي: سنطلبُه منه، ونسأله أن يُرسِّله معنا. ﴿وَلَئِنْ لَقِيْلُونَ﴾ أي: لَضامنونَ الماجيء به<sup>(٦)</sup>، ومُحتالونَ في ذلك.

(١) في (م): أنه.

(٢) النكت والعيون ٣/٥٤ ، وقول مجاهد أخرجه الطبرى ١٣/٢٢٥.

(٣) في (د) و(ز) و(م): أنهم، وفي (ظ): أنه، وثمة سقط في هذا الموضع في (ف)، والمثبت من النكت والعيون ٣/٥٥ ، والكلام منه.

(٤) النكت والعيون ٣/٥٥ .

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٢/٣٣٤ .

(٦) الوسيط ٢/٦٢٠ .

مسألة: إن قيل: كيف استجاز يوسفُ إدخالَ الحزن على أبيه بطلب أخيه؟ قيل له: عن هذا أربعةُ أجوبة:

أحدها: يجوز أن يكون اللهُ عزَّ وجلَّ أمَرَه بذلك ابتلاءً ليعقوب؛ ليعظم له الثواب، فاتَّبع أمرَه فيه.

الثاني: يجوز أن يكون أراد بذلك أن يُنْبِئَ يعقوبَ على حال يوسفَ عليهم السلام.

الثالث: لِتضاعفَ المَسْرَةِ ليعقوب برجوع ولديه عليه.

الرابع: ليقدم سرورَ أخيه بالاجتماع معه قبل إخوته، لميلٍ كان منه إليه.  
وال الأول أظہر<sup>(١)</sup> ، والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لِنَبِيِّنِيهِ أَجْمَلُوا يَصْنَعُوكُمْ فِي رِحَالِكُمْ لَعَلَّهُمْ يَتَرَوَّنُهَا إِذَا أَنْقَلَبُوا إِنَّ أَنْقَلَبَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾<sup>(٢)</sup>

قوله تعالى: ﴿وَقَالَ لِفَتِيَّتِيهِ﴾ هذه قراءةُ أهل المدينة وأبي عمرو وعاصم<sup>(٣)</sup> ، وهو اختيارُ أبي حاتم والنحاس وغيرهما، وقرأ سائرُ الكوفيين: «لفتياه» وهو اختيار أبي عبيد، وقال: هو في مصحف عبد الله كذلك<sup>(٤)</sup>.

قال الثعلبي: وهو لغتان جيدتان، مثل الصبيان والصبية<sup>(٥)</sup>. قال النحاس<sup>(٦)</sup>: «لفتياه» مخالف للسود الأعظم؛ لأنَّه في السواد لا ألف فيه ولا نون، ولا يُترَك السواد المُجتمع عليه لهذا الإسناد المنقطع؛ وأيضاً فإنَّ «فتية» أشبه من فتیان؛ لأنَّ

(١) النكت والعيون ٥٥/٣ ، وزاد المسير ٤/٢٤٨ - ٢٤٩ .

(٢) ووافقهم ابن كثير المكي وابن عامر الشامي، وقراءة عاصم في رواية أبي بكر. السبعة ص ٣٤٩ ، والتيسير ص ١٢٩ .

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٢/٣٣٤ دون قوله: وهو اختيار أبي حاتم.

(٤) وهو قول البغوي في تفسيره ٤/٤٣٥ .

(٥) في إعراب القرآن ٢/٣٣٤ .

(فتية) عند العرب لأقل العدد، والقليل بأن يجعلوا البضاعة في الرحال أشهب. وكان هؤلاء الفتية يُسوّون جهازهم، ولهذا أمكنهم جعل بضاعتهم في رحالهم. ويجوز أن يكونوا أحراراً، وكانوا أعوااناً له.

وبضاعتهم أثمان ما اشتراوه من الطعام. وقيل: كانت دراهم ودنانير. وقال ابن عباس: النعال والأدم ومتاع المسافر<sup>(١)</sup>، ويسمى رَخْلَا. قال ابن الأنباري<sup>(٢)</sup>: يقال للوعاء: رَخْل، ولليت: رَخْل.

وقال: **﴿لَعَلَّهُمْ يَمْرُغُونَهَا﴾** لجواز لا تسلم في الطريق. وقيل: إنما فعل ذلك ليرجعوا إذا وجدوا ذلك؛ لعله أنهم لا يقبلون الطعام إلا بشمنه. قيل: ليستعينوا بذلك على الرجوع لشراء الطعام. وقيل: استيقع أن يأخذ من أبيه وإخوته ثمن الطعام. وقيل: ليروا فضلها، ويرغبوا في الرجوع إليها<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: **﴿فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ قَالُوا يَتَأَبَّنَا مُنْعَ مِنَ الْكَيْلِ فَأَرْسَلَ مَعَنَا أَخَاهَا نَكْتَلَ وَلَدَنَا لَهُ لَحِيفُونَ ﴾**<sup>(٤)</sup> **﴿قَالَ هُلْ مَأْمَنْتُمْ عَنِيهِ إِلَّا كَمَا أَمْنَثْتُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلِ فَإِنَّهُ خَيْرٌ حَفِظًا وَهُوَ أَنْحَمُ الرَّجَمِينَ ﴾**<sup>(٥)</sup> **﴿وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَعْهُدْ وَجَدُوا يُضَعِّفُونَهُمْ رُدَّتْ إِلَيْهِمْ قَالُوا يَتَأَبَّنَا مَا يَنْعِي هَذِهِهِ يُضَعِّفُونَا رُدَّتْ إِلَيْنَا وَنَمِيرْ أَهْلَنَا وَنَخْفَظْ أَخَاهَا وَنَزَدَادُ كَيْلَ بَعِيرْ ذَلِكَ كَيْلَ بَسِيرْ ﴾**<sup>(٦)</sup>

قوله تعالى: **﴿فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ قَالُوا يَتَأَبَّنَا مُنْعَ مِنَ الْكَيْلِ﴾** لأنه قال لهم: **﴿فَقَدْ أَنْتُمْ يُوذِنُونَ بِهِ فَلَا كَيْلَ لَكُمْ عِنْدِي﴾**<sup>(٧)</sup> وأخبروه بما كان من أمرهم وإكرامهم<sup>(٨)</sup>، وأن شمعون مُرتَهَن حتى يعلم صدق قولهم. **﴿فَأَرْسَلَ مَعَنَا أَخَاهَا نَكْتَلَ﴾** أي: قالوا

(١) الوسيط للواحدي ٦٢٠ / ٢ ، وتفسير البغوي ٤٣٥ / ٢ .

(٢) ذكره الطبرسي في مجمع البيان ٨١ / ١٣ .

(٣) الكلام بنحوه في النكت والعيون ٥٦ / ٣ ، والمحرر الوجيز ٢٥٩ / ٣ ، وزاد المسير ٤ / ٢٤٩ - ٢٥٠ .

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٢ / ٣٣٤ .

(٥) بعدها في (د) و(ز) و(م): إيماء.

عند ذلك: «فَأَنْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَل» والأصل: نكتال، فمحذفت الضمة من اللام للجزم، ومحذفت الألف لالتقاء الساكنين.

وقراءة أهل الحرميin وأبي عمرو عاصم: «نَكْتَل» بالنون<sup>(١)</sup>، وقرأ سائر الكوفيin: «يَكْتَل» بالياء، والأول اختيار أبي عبيد، ليكونوا كُلُّهم داخلين فيمن يكتال. وزعم أنه إذا كان بالياء كان للأخ وحده. قال النحاس<sup>(٢)</sup>: وهذا لا يلزم؛ لأنَّه لا يخلو الكلام من أحد جهتين: أن يكون المعنى: فأرسل أخانا يقتل معنا؛ فيكون للجميع، أو يكون التقدير على غير التقديم والتأخير، فيكون في الكلام دليل على الجميع، لقوله: «إِنَّ لَّهُ ثَانِيٌّ بِهِ فَلَا كَيْنَ لَكُمْ عِنْدِي». «وَلَنَا لَهُ لَحِظَّتُونَ» من أن يناله سوء.

قوله تعالى: «قَالَ هَلْ مَا مَنَّتُكُمْ عَلَيْهِ إِلَّا كَمَا أَمْنَثْتُمْ عَلَى أَخِيهِ مِنْ قَبْلِهِ؟ أَيْ: قد فرطتم في يوسف فكيف أمنتم على أخيه؟!.

«فَاللَّهُ خَيْرٌ حِفْظًا» نصب على البيان، وهذه قراءة أهل المدينة وأبي عمرو عاصم<sup>(٣)</sup>. وقرأ سائر الكوفيin: «حَافِظًا» على الحال. وقال الزجاج: على البيان<sup>(٤)</sup>؛ وفي هذا دليل على أنه أجابهم إلى إرساله معهم، ومعنى الآية: حفظ الله له خير من حفظكم إياها.

قال كعب الأحبار: لَمَّا قال يعقوب: «فَاللَّهُ خَيْرٌ حَافِظًا» قال الله تعالى: وعزّتي وجلاي لآرِدَنَّ عَلَيْكَ ابْنَيَكَ كَلِيْهِمَا بعْدَمَا تَوَكَّلْتَ عَلَيَّ»<sup>(٥)</sup>.

(١) وافقهم ابن عامر الشامي. السبعة ص ٣٤٩ - ٣٥٠ ، والتسير ص ١٢٩ .

(٢) في إعراب القرآن /٢ - ٣٣٤ - ٣٣٥ ، وما قبله منه.

(٣) ووافقهم ابن كثير المكي وابن عامر الشامي، وقراءة عاصم في رواية أبي بكر. السبعة ص ٣٥٠ ، والتسير ص ١٢٩ .

(٤) في معاني القرآن للزجاج ١١٨/٣ ، وقد ذكر الزجاج أن «حافظًا» منصوب على الحال، ثم قال: ويجوز أن يكون منصوبًا على البيان. وقد نقل المصنف قول الزجاج بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٣٣٥/٢ .

(٥) الوسيط للواحدi ٦٢١/٢ ، وتفسir البغوي ٤٣٧/٢ .

قوله تعالى: **﴿وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَعْهِدُهُ﴾** الآية ليس فيها معنى يُشكل . **﴿مَا تَبْغِ﴾** «ما» استفهام في موضع نصب ، والمعنى : أي شيء نطلب وراء هذا؟! وفي لنا الكيل . ورَدَ علينا الثمن ؛ أرادوا بذلك أن يُطْبِيوا نفسَ أبيهم .

وقيل : هي نافية ، أي : لا تَبْغِ منك دراهم ولا بضاعة ، بل تَكْفِينَا بِضَاعَتْنا هذه التي رُدَّت إلينا<sup>(١)</sup> .

ورُوِيَ عن عَلْقَمَة: «رِدَّتْ إِلَيْنَا» بكسر الراء ؛ لأنَّ الأصلَ رُدَّدَتْ ، فلما أَدْغَمَ قُلْبَتْ حركة الدال على الراء<sup>(٢)</sup> . وقوله: **﴿وَنَبَرِّ أَهْلَنَا﴾** أي : نَجْلِبُ لهم الطعام ، قال الشاعر :

**بَعْثُكَ مَا إِرَا فَمَكَثَ حَوْلًا مَتَى يَأْتِي غَيَاثُكَ مَنْ تُغْيِيْتُ**<sup>(٣)</sup>  
وَقَرَا السُّلْمَيِّ بِضَمِّ النُّونِ<sup>(٤)</sup> ، أي : نُعِينُهُمْ عَلَى الْمِيرَةِ . **﴿وَنَزَادُ كَيْلَ بَعِيرٍ ذَلِكَ كَيْلَ بَسِيرٍ﴾** ، أي : حِمْلَ بَعِيرٍ لِبِنَامِينَ .

قوله تعالى: **﴿فَقَالَ لَنَ أُرِسِّلُ مَكْثُمَ حَتَّى تُؤْتُونَ مَوْتِنَا مِنْ أَنَّهُ لَئَنِّي بِهِ إِلَّا أَنْ يَخْاطَ إِلَكُمْ فَلَمَّا آتَتُهُ مَوْتِنَاهُ قَالَ اللَّهُ عَلَى مَا نَقُولُ وَكِلْ**<sup>(٥)</sup>

فيه مسائلتان :

**الأولى:** قوله تعالى: **﴿تُؤْتُونَ﴾** أي : تُعطِّونِي **﴿مَوْتِنَا مِنْ أَنَّهُ﴾** أي : عهداً يُوثقُ

(١) الكلام ينحوه في تفسير البغوي ٤٣٦/٢ ، والمحرر الوجيز ٣/٢٦٠ .

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٣٣٥/٢ ، وقراءة علقة في المحتسب ١/٣٤٥ .

(٣) ذكره الطبرى في تفسيره ١٣/٢٣٣ ، والماوردي في التكت والعيون ٣/٥٨ ، وابن عطية في المحرر الوجيز ٣/٢٦٠ دون نسبة . وذكره العسكري في جمهرة الأمثال ١/٢٥٠ ، والزمخشري في المستقصى في أمثال العرب ١/٢٣ ونسبة لعاشرة بنت سعد بن أبي وقاص رض ، وعندهما : بعثتك قابساً . وهو الصواب فيما ذكره ابن منظور في اللسان (غوث) .

(٤) المحرر الوجيز ٣/٢٦٠ .

بـ<sup>(١)</sup>؛ قال السُّدِّي: حَلَفُوا بِالله لِيَرْدُهُ إِلَيْهِ وَلَا يُنْسِلِمُونَهُ<sup>(٢)</sup>، واللامُ في **﴿لَائِتَنِي﴾** لام  
القسم<sup>(٣)</sup>.

**﴿إِلَّا أَن يُحَاطَ بِكُم﴾** قال مجاهد: إِلَّا أَن تَهْلِكُوا أَوْ تَمُوتُوا. وقال قتادة: إِلَّا أَن  
تُغْلِبُوا عَلَيْهِ<sup>(٤)</sup>. قال الزجاج: وهو في موضع نصب<sup>(٥)</sup>. **﴿فَلَمَّا مَاتَهُ مَوْتَهُمْ قَالَ اللَّهُ عَلَى  
مَا نَقُولُ وَكِيلٌ﴾** أي: حافظ للحلف. وقيل: حفيظ للعهد، قائم بالتدبر والعدل.

الثانية: هذه الآية أصل في جواز الحَمَالَة<sup>(٦)</sup> بالعين والوثيقة بالنفس، وقد اختلف  
العلماء في ذلك؛ فقال مالك وجميع أصحابه وأكثر العلماء: هي جائزة إذا كان  
المتحمَّل به مالاً. وقد ضعَّف الشافعي الحَمَالَة بالوجه في المال، وله قول كقول  
مالك<sup>(٧)</sup>. وقال عثمان البشّي: إذا تكفل بنفسِه في قصاصِي أو جراحِي؛ فإنَّه إنْ لم يجِيء  
به لزمه الديْهُ وأَرْشُ الجراح، وكانت له في مال الجاني، إذ لا قصاصَ على  
الكافل<sup>(٨)</sup>، فهذه ثلاثة أقوال في الحَمَالَة بالوجه. والصوابُ تَفْرِقَة مالك في ذلك،  
وأنَّها تكون في المال، ولا تكون في حدٍ أو تعزير، على ما يأتي بيانه<sup>(٩)</sup>.

(١) تفسير الطبرى ٢٣٥/١٣ ، وزاد المسير ٤/٢٥٣ .

(٢) ذكره الماوردي في النكت والميون ٣/٥٨ بلغة: حلفهم بالله.

(٣) يعني: اللام الواقعَة في جوابِ القسم، قال السعين في الدر المصنون ٦/٥٢١: هذا جواب للقسم  
المضمر في قوله: «موثقاً» لأنَّه في معنى: حتى تحلفوا لي لتأتيَنِي به.

(٤) قول مجاهد وقتادة أخرجهما الطبرى ١٣/٢٢٥ و ٢٣٦ ، وقول مجاهد في تفسيره ١/٣١٧ .

(٥) معانى القرآن للزجاج ٣/١١٩ ، وقال الزجاج: والمعنى: لتأتني به إلا لإحاطة بكم، وهذا يسمى  
مفهولاً له. وينظر الدر المصنون ٦/٥٢١ .

(٦) الحَمَالَة: الكفالة. الراهن للأزهري ص ٣٣٠ ، وقال ابن عبد البر في الاستذكار ٢٢/٢٧٥: الكفالة  
والحَمَالَة: هما لفظتان معناهما الضمان. وقال الجوهري في الصحاح (حمل): الحَمَالَة: ما تتحمله عن  
القوم من الديْهُ أو الغرامة.

(٧) الإشراف ١/١٢٥ ، وقال الأزهري في الراهن ص ٣٣١ : وأراد الشافعي رحمة الله بكفالة الوجه:  
الكفالة بالبدن. وقال الكاساني في بداع الصنائع ٧/٣٩٩ : إذا أضاف الكفالة إلى جزء جامع كالرأس  
والوجه والرقبة ونحوها، جازت؛ لأنَّ هذه الأشياء يعبر بها عن جملة البدن.

(٨) الاستذكار ٢٢/٢٧٧ .

(٩) ص ٩٤٠-٤١١ من هذا الجزء، وينظر الإشراف ١/١٢٤ - ١٢٥ .

قوله تعالى: «وَقَالَ يَسْرِي لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابٍ وَجِيلٍ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابٍ مُتَفَرِّقَةً وَمَا أَغْنَى عَنْكُمْ مِنْ أَنَّ اللَّهَ مِنْ شَئْءٍ إِنَّ الْحُكْمَ إِلَّا لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوْكِيدٌ وَعَلَيْهِ فَلَيَسْتَوْكِلُ الْمُتَوْكِلُونَ» ﴿٦٧﴾

فيه سبع مسائل:

**الأولى:** لما عزموا على الخروج خشى عليهم العين، فأمرهم ألا يدخلوا مصر من باب واحد، وكانت مصر لها أربعة أبواب، وإنما خاف عليهم العين لكونهم أحد عشر رجلاً لرجلاً<sup>(١)</sup> واحد، وكانوا أهل جمال وكمال وبساطة؛ قاله ابن عباس والضحاك وقتادة وغيرهم<sup>(٢)</sup>.

**الثانية:** وإذا كان هذا معنى الآية؛ فيكون فيها دليل على التحرز من العين، والعين حق، وقد قال رسول الله ﷺ: «إِنَّ الْعَيْنَ لِتُذَخِّلُ الرَّجُلَ الْقَبْرَ وَالْجَمَلَ الْقِدْرَ»<sup>(٣)</sup>. وفي تعوده عليه الصلاة والسلام: «أَعُوذُ بِكَلِمَاتِ اللَّهِ التَّامَّةِ مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ وَهَامَّةٍ وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لَامَّة»<sup>(٤)</sup> ما يدل على ذلك.

وروى مالك، عن محمد بن أبي أمامة بن سهل بن حنيف، أنه سمع أباه يقول: اغتسل أبي سهل بن حنيف بالخرار، فتنزع جبة كانت عليه، وعامر بن ربيعة ينظر، قال: وكان سهل رجلاً أبيض حسن الجلد، قال: فقال له عامر بن ربيعة: ما رأيت كال يوم، ولا جلد عذراء! فوعك سهل مكانه واشتد وعنه، فأتى رسول الله ﷺ،

(١) في (ظ): ك الرجل.

(٢) أخرج قولهم الطبراني ٢٣٧ / ١٣ - ٢٣٨ .

(٣) أخرجه أبو نعيم في الحلية ٩٠ ، والقضاعي في مسند الشهاب (١٠٥٧)، والخطيب في تاريخ بغداد ٩ / ٢٤٤ من حديث جابر .

(٤) أخرجه أحمد (٢١١٢)، والبخاري (٣٣٧١) من حديث ابن عباس ، ولفظه عند البخاري: كان رسول الله ﷺ يعوذ بالحسن والحسين ويقول: «إِنَّ أَبَاكُمَا كَانَ يَعُوذُ بِهَا إِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ»؛ أَعُوذ بكلمات الله...، وقوله: «وهامة» هي واحدة الهوام ذوات السموم، وقيل: المراد كل نسمة لهم بسوء. الفتح ٦ / ٤١٠ . وقوله: «لامة» أي: ذات لعم، واللعم طرف من الجنون يلم بالإنسان. النهاية (لعم).

فأخبر أن سهلاً وُعِكَ، وأنه غير رائق معك يا رسول الله، فأناه رسول الله ﷺ، فأخبره سهل بالذى كان من شأن عامر، فقال رسول الله ﷺ: «عَلَامٌ يَقْتَلُ أَحَدُكُمْ أَخاه؟ أَلَا بَرَئْتَ؟ إِنَّ الْعَيْنَ حَقٌّ، تَوَضَّأْ لَهُ». فتووضاً له عامر، فراح سهل مع رسول الله ﷺ ليس به باس<sup>(١)</sup>. في رواية: «اغتسل له»، فغسل عامر<sup>(٢)</sup> وجهه ويديه ومِرْفَقَيْه وركبتيه وأطرافِ رجليه وداخلَ إزارِه في قديح، ثم صبَّ عليه، فراح سهل مع الناس<sup>(٣)</sup> ليس به باس<sup>(٤)</sup>.

وركب سعد بن أبي وقاص يوماً، فنظرت إليه امرأة فقالت: إنَّ أميركم هذا ليعلم أنه أفضَّمُ الْكَشَحَيْنِ، فرجع إلى منزله فسقط، فبلغه ما قالت المرأة، فأرسل إليها فغسلَت له<sup>(٥)</sup>.

ففي هذين الحديثين أنَّ العين حَقٌّ، وأنَّها تقتل كما قال النبي ﷺ<sup>(٦)</sup>. وهذا قول علماء الأمة، ومذهب أهلِ السُّنَّة، وقد أنكرته طوائفُ من المبتدعون، وهم محججون بالسُّنَّة وإجماع علماء هذه الأمة، وبما يشاهدُ من ذلك في الوجود، فكم من رجل أدخلته العينُ القبرَ، وكم من جَمَلٍ ظَهَيرٍ أدخلته القدر، لكنَّ ذلك بمشيئة الله تعالى كما قال: «وَمَا هُم بِضَارَّيْنَ بِهِ مِنْ أَحَدٍ إِلَّا يَإِذِنُ اللَّهُ» [البقرة: ١٠٢]<sup>(٧)</sup>.

قال الأصمسي: رأيت رجلاً عَيُوناً سمع بقرة تُحلب، فاعجبه شنجُها فقال: أَتَيْهُنَّ هذه؟ فقالوا: الفلانية، لقرة أخرى يُورُون عنها، فهَلَّكَتا جميعاً، المُورَى بها

(١) الموطأ ٩٣٨/٢ ، وأخرجه أيضاً ابن ماجه (٣٥٠٩)، والنسائي في الكبرى (٧٥٧٠). والخار: ماء بالمدينة. معجم البلدان ٢/٣٥٠.

(٢) في (م): اغتسل فغسل له عامر، والمثبت من النسخ الخطية والمصادر.

(٣) في (م): فراح سهل مع رسول الله ﷺ، والمثبت من النسخ الخطية والمصادر.

(٤) الموطأ ٩٣٩/٢ ، وهو عند أحمد (١٥٩٨٠)، والنسائي في الكبرى (٧٥٧٢).

(٥) أخرجه أبو عبيد في غريب الحديث ١١٣/٢ ، وذكره ابن عبد البر في التمهيد ٦/٢٤١ . وأفضَّم الكشحين، أي: دقيق الخصرين. النهاية (كتشح).

(٦) التمهيد ٦/٢٣٧ .

(٧) المفهم ٥/٥٦٥ .

والموسى عنها. قال الأصمسي: وسمعته يقول: إذا رأيْتُ الشيءَ يُعجبني وجدت حرارةً تخرج من عيني<sup>(١)</sup>.

الثالثة: واجب على كل مسلمٍ أujeشه شيءً أن يبرك؛ فإنه إذا دعا بالبركة صرِفَ المحذورُ لا محالة، ألا ترى قوله عليه الصلاة والسلام لعامر: «ألا برَّكتَ؟!». فدلَّ على أنَّ العين لا تضرُّ ولا تعدو إذا برك العائن، وأنَّها إنما تعدو إذا لم يبرك. والتبريرُ أن يقول: بارك الله أحسنُ الخالقين! اللهم بارك فيه<sup>(٢)</sup>.

الرابعة: العائنُ إذا أصابَ عينَه ولم يبرك فإنه يؤمر بالاغتسال، ويُجبر على ذلك إنْ أباه؛ لأنَّ الأمر على الوجوب، لا سيما هذا؛ فإنه قد يُخافُ على المعين الهلاك، ولا ينبغي لأحدٍ أن يمنع أخيه ما ينتفع به أخيه ولا يضرُّه هو، ولا سيما إذا كان بسيبه، وكان الجاني عليه<sup>(٣)</sup>.

الخامسة: مَنْ عُرِفَ بالإصابة بالعين مُنْعَنُ من مداخلة الناس دفعاً لضرره، وقد قال بعض العلماء: يأمره الإمام بلزوم بيته، وإن كان فقيراً رزقه ما يقوم به، ويكتفى أذاه عن الناس<sup>(٤)</sup>. وقد قيل: إنه يُنْفَى. وحديثُ مالكِ الذي ذكرناه يردُّ هذه الأقوال، فإنه عليه الصلاة والسلام لم يأمر في عامر بحبسِه ولا بنفيه، بل قد يكون الرجل الصالح عائناً، وأنه لا يُقدح فيه ولا يُفْسَدُ به<sup>(٥)</sup>، ومن قال: يُحبس ويؤمر بلزوم بيته. فذلك احتياطٌ ودفعٌ ضررٍ، والله أعلم.

ال السادسة: روى مالك عن حميد بن قيس المكي أنه قال: دخل على رسول الله ﷺ بابئي جعفر بن أبي طالب، فقال لحاضنتهما: «ما لي أراهما ضارِعين؟» فقللت حاضنتهما: يا رسول الله! إنه شرِيعٌ إليهما العين، ولم يمنعنا أن نسترقَّي لهما إلَّا أنا

(١) التمهيد ١٣/٧٠ ، والشخب: صوت اللبن عند الحلوب. معجم متن اللغة (شخب).

(٢) التمهيد ٦/٢٤٠ - ٢٤١ .

(٣) التمهيد ٦/٢٤١ .

(٤) المفهم ٥/٥٦٨ .

(٥) ينظر التمهيد ١٣/٦٩ .

لا ندري ما يُوافقك من ذلك؟ فقال رسول الله ﷺ: «استرقو لها، فإنه لو سبق شيءٌ  
القدر سبقته العين»<sup>(١)</sup>. وهذا الحديث منقطع، ولكنه محفوظ لأسماء بنت عميس  
الخُثعيمية عن النبي ﷺ من وجوه ثابتة متصلة صاحح<sup>(٢)</sup>، وفيه أن الرؤى مما يُستدلف به  
البلاء، وأن العين تؤثر في الإنسان وتضرّعه - أي: تُضعفه وتُنجله - وذلك بقضاء الله  
تعالى وقدره<sup>(٣)</sup>. ويقال: إن العين أسرع إلى الصغار منها إلى الكبار، والله أعلم.

**السابعة:** أمر ﷺ في حديث أبي أمامة العائذ بالاغتسال للمعینين، وأمر هنا  
بالاسترقاء؛ قال علماؤنا: إنما يُسترقى من العين إذا لم يُعرف العائذ، وأمّا إذا عُرف  
الذي أصابه بعينه فإنه يؤمر بالوضوء، على حديث أبي أمامة<sup>(٤)</sup>، والله أعلم.  
قوله تعالى: **﴿وَمَا أَغْنَى عَنْكُمْ مِنْ أَنْتُمْ مِنْ شَيْءٍ﴾** أي: من شيء أخذته عليكم<sup>(٥)</sup>،  
أي: لا ينفع الحذر مع القدر. **﴿وَنِنَّ الْحُكْمُ﴾** أي: الأمر والقضاء **﴿إِلَّا إِلَيْهِ عَلَيْهِ تَوْلِيَتُكُمْ﴾**  
أي: اعتمدوا ورثتم **﴿وَعَلَيْهِ فَلَيَتَوَكَّلَ الْمُتَوَكِّلُونَ﴾**.

قوله تعالى: **﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمْرَهُمْ أَبُوئُمْ مَا كَانَ يُفْعِي عَنْهُمْ مِنْ أَنَّ اللَّهَ  
مِنْ شَيْءٍ إِلَّا حَاجَةً فِي نَفْسِي يَعْقُوبَ قَضَاهَا وَلَهُ لِذُو عَلِيِّ لِمَا عَلَمْتَهُ وَلَكِنَّ  
أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾** ولَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ مَأْوَى إِلَيْهِ أَخَاهُ قَالَ  
إِنَّمَا أَخْوَكَ فَلَا تَبْتَهِنْ بِمَا كَانُوا يَعْلَمُونَ **﴿فَلَمَّا جَهَزَهُمْ بِمَا  
جَعَلَ السِّقَايَةَ فِي رَحْمِ أَخِيهِ ثُمَّ أَذَنَ مُؤْذِنٍ أَيَّتَهَا الْعِيرُ إِلَكُمْ لَسْرِقُونَ﴾**

قوله تعالى: **﴿وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ حَيْثُ أَمْرَهُمْ أَبُوئُمْ﴾** أي: من أبوابِ شَيْئٍ **﴿هَنَا﴾**

(١) الموطأ ٩٣٩ / ٢ - ٩٤٠ . قوله: «ضارعين»، أي: ضعيفين ضئيلين ناجيئين. وحاضنتهما قد تكون أمهما  
أسماء بنت عميس، وجائز أن تكون حاضنتهما غيرها. ينظر التمهيد ٢٦٦ / ٢ - ٢٦٧ ، والاستذكار ١٥ / ٢٧ .

(٢) التمهيد ٢٦٦ / ٢ ، وأخرجه من حديث أسماء بنت عميس أحمد (٢٧٤٧٠)، والترمذني (٢٠٥٩)، وابن  
ماجه (٣٥١٠). وأخرجه أحمد (١٤٥٧٣)، ومسلم (٢١٩٨) من حديث جابر **رض**.

(٣) التمهيد ٢٦٩ / ٢ .

(٤) المصدر السابق.

(٥) النكت و العيون ٥٩ / ٣ ، وقال الماوردي: فأشار عليهم في الأول، وفوض إلى الله في الآخر.

كَانَ يُقْنِي عَنْهُمْ مِنَ الْلَّهِ مِنْ شَيْءٍ<sup>(١)</sup> إِنْ أَرَادَ إِيقَاعَ مَكْرُوهٍ بِهِمْ **﴿إِلَّا حَاجَةً﴾** استثناءً ليس من الأول<sup>(٢)</sup> **﴿فِي نَفْسٍ يَعْقُوبَ قَضَاهَا﴾** أي: خاطر خطير بقلبه، وهو وصيته أن يتفرقوا، قال مجاهد: خشية العين<sup>(٣)</sup>، وقد تقدم القول فيه.

وقيل: لئلا يرى الملك عددهم وقوتهم، فيبطش بهم حسداً أو حذراً؛ قاله بعض المتأخرین<sup>(٤)</sup>، واختاره النحاس<sup>(٥)</sup>، وقال: ولا معنى للعين ها هنا.

ودللت هذه الآية على أنَّ المسلم يجب عليه أن يُحذِّر أخاه ممَّا يخاف عليه، ويرشدَه إلى ما فيه طريق السلامَة والتَّجَاه، فإنَّ الدِّين النصيحة، والمسلمُ أخو المسلم. قوله تعالى: **﴿وَإِنَّمَا﴾** يعني يعقوب **﴿لِلَّذُو عِلْمٍ لِمَا عَلَمْنَا﴾** أي: بأمر دينه **﴿وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ﴾** أي: لا يعلمون ما يعلمه يعقوب عليه السلام من أمر دينه. وقيل: **﴿الَّذُو عِلْمٍ﴾** أي: عمل<sup>(٦)</sup>، فإنَّ العلم أولُ أسباب العمل، فُسُمي بما هو بسيبه.

قوله تعالى: **﴿وَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ مَأْوَى إِلَيْهِ أَخَاهُمْ﴾** قال قتادة: ضمَّه إليه، وأنزله معه<sup>(٧)</sup>. وقيل: أمر أن ينزل كلُّ اثنين في منزل، فبقي أخوه منفرداً، فضمَّه إليه وقال: أشفقتُ عليه من الوحدة، وقال له سيراً من إخوته: **﴿إِنَّ أَنَا أَخُوكَ فَلَا تَبْتَغِ﴾** أي: لا تحزن **﴿وَبِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾**<sup>(٨)</sup>.

قوله تعالى: **﴿فَلَمَّا جَهَّزُوهُمْ بِمَا زَرْتُمْ جَعَلَ السِّقَابَةَ فِي رَجْلِ أَخِيهِ﴾** لما عرف بنiamين أنه يوسف قال له: لا ترددني إليهم. فقال: قد علمت اغتمام يعقوب بي، فيزداد غمُّه!

(١) إعراب القرآن للنحاس ٢/٣٣٦.

(٢) أخرجه الطبرى ١٣/٢٣٩ ، وهو تفسير مجاهد ١/٣١٨.

(٣) النكت والعيون ٣/٥٩.

(٤) في إعراب القرآن ٢/٣٣٦.

(٥) أخرج هذا القول الطبرى ١٣/٢٤٠ - ٢٤١ عن قتادة وسفيان.

(٦) النكت والعيون ٣/٦٠ ، وأخرجه الطبرى ١٣/٢٤٢.

(٧) أخرجه الطبرى ١٣/٢٤١ - ٢٤٢ عن السدي وابن إسحاق مطولاً.

فأبى بنiamين الخروج، فقال يوسف: لا يمكن حبسك إلّا بعد أن أُنْسِبَكَ إلى ما لا يُجْمَلُ بك. فقال: لا أبالي! <sup>(١)</sup> فدَسَ الصاع في رَخْلِه؛ إِمَّا بِنَفْسِهِ مِنْ حِيثِ لَمْ يَطْلُعْ عَلَيْهِ أَحَدٌ، أَوْ أَمْرٌ بَعْضَ خَواصِهِ بِذَلِكَ. والتجهيز: التسريح <sup>(٢)</sup> وتجهيز الأمر، ومنه: جَهَزَ على الجريح، أي: قتله <sup>(٣)</sup> ونجز أمره. والسَّقَايَةُ والصُّوَاعُ شَيْءٌ واحدٌ: إنَّاءٌ لِهِ رَأْسَانَ فِي وَسْطِهِ مَقْبِضٌ، كَانَ الْمَلِكُ يُشَرِّبُ مِنْ الرَّأْسِ الْوَاحِدِ، وَيُكَالُ الطَّعَامُ بِالرَّأْسِ الْآخَرِ؛ قَالَهُ النَّقَاشُ عَنْ أَبْنَ عَبَّاسٍ <sup>(٤)</sup>، وَكُلُّ شَيْءٍ يُشَرِّبُ بِهِ فَهُوَ صُوَاعٌ <sup>(٥)</sup>، وَأَنْشَدَ:

### نَشَرْبُ الْخَمْرَ بِالصُّوَاعِ جَهَارًا <sup>(٦)</sup>

وَاخْتَلَفَ فِي جِنْسِهِ؛ فَرُوَى شَعْبُهُ، عَنْ أَبِي بَشَرٍ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيرٍ، عَنْ أَبْنَ عَبَّاسٍ قَالَ: صُوَاعٌ <sup>(٧)</sup> الْمَلِكُ: شَيْءٌ مِنْ فَضْلَةِ يُشَبِّهُ الْمَكْوُكَ، مِنْ [ذَهَبٍ وَ] فَضْلَةِ مَرْصَعٍ بِالْجُوَهْرِ، يُجْعَلُ عَلَى الرَّأْسِ، وَكَانَ لِعَبَّاسٍ وَاحِدًا فِي الْجَاهِلِيَّةِ <sup>(٨)</sup>. وَسَأَلَهُ نَافِعُ بْنُ الْأَزْرَقَ: مَا الصُّوَاعُ؟ قَالَ: الْإِنَاءُ؛ قَالَ فِيهِ الْأَعْشَى:

لَهُ ذَرْمَكَ فِي رَأْسِهِ وَمَشَارِبُ وَقِدْرَ وَظَبَابُ وَصَاعُ وَذَيْسَقُ <sup>(٩)</sup>

(١) تفسير البغوي ٤٣٨ / ٢ ، وعرائض المجالس ص ١٣٤ عن كعب.

(٢) في (ظ): التسريع.

(٣) وأجهز كذلك. مجمل اللغة ٢٠١ / ١ ، واللسان (جهز).

(٤) ينظر تفسير الطبرى ٢٤٥ / ١٣ - ٢٤٦ ، والمحرر الوجيز ٢٦٣ / ٣ - ٢٦٤ .

(٥) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٦١ عن ابن عباس. ووقع في (ظ): وكل إناء يُشرب به...

(٦) سلف ٢١١ / ٩ برواية: نشرب الإناء.

(٧) قبلها في (د) و(م): كان.

(٨) معاني القرآن للنحاس ٤٤٤ / ٣ ، وما سلف بين حاصرين منه، وأخرجه بنحوه الطبرى ٢٤٩ / ١٣ - ٢٥١ .

(٩) أخرجه ابن الأنباري في الوقف والإبتداء ٨٦ / ١ مطولاً، وهو في ديوان الأعشى ص ٢٦٧ مجموع بيته في وصف حصن بناء - على قول الشاعر - سليمان عليه السلام، قال شارح الديوان: المعنى: في أعلى غرف الشراب فرشت بالطنافس، وخدم وطبخ وأقداح وخوان. اهـ والديستق: خوان من فضة اللسان (دستق).

وقال عكرمة: كان من فضة. وقال عبد الرحمن بن زيد: كان من ذهب، ويه كالطعامهم مبالغة في إكرامهم<sup>(١)</sup>. وقيل: إنما كان يكال به لعزّة الطعام<sup>(٢)</sup>. والصاع يذَّكُر ويؤتَى، فَمَنْ أَتَّهُ قَالَ: أَصْوَعُ، مِثْلُ أَذْوَرُ، وَمَنْ ذَكَرَهُ قَالَ: أَصْوَاعُ، مِثْلُ أَنْوَابٍ<sup>(٣)</sup>.

وقال مجاهد وأبو صالح: الصاع: الطرّجهالة بلغة حمير<sup>(٤)</sup>.

وفيه قراءات: «صَوَاع» قراءة العامة، و«أَصْوَع» بالغين المعجمة، وهي قراءة يحيى ابن يعمر<sup>(٥)</sup>; قال: وكان إناة صيئع<sup>(٦)</sup> من ذهب. «وَصَوَاع» بالعين غير المعجمة قراءة أبي رجاء<sup>(٧)</sup>. «وَصَوَاع» بصاد مضمومة وواو ساكنة وعين غير معجمة قراءة أبي<sup>(٨)</sup>. «وصياع» بباء بين الصاد والألف، قراءة سعيد بن جبير<sup>(٩)</sup>. «وصاع» بالف بين الصاد والعين، وهي قراءة أبي هريرة<sup>(١٠)</sup>.

(١) النكت والعيون ٦١/٣ ، وخبر عكرمة وابن زيد أخرجهما الطبرى ٢٤٦/١٣ ، ٢٥٠ .

(٢) المحرر الوجيز ٣/٢٦٤ .

(٣) في (د): أبواب، وكذا في تهذيب اللغة ٨٢/٣ ، والكلام منه.

(٤) أخرجه عن مجاهد ابن الأنباري في كتاب الرد على من خالف مصحف عثمان كما في الإنقاذ للسيوطى ٤١٨/١ . قال الجوهري في الصحاح (طرجهل): الطرّجهالة: كالفنحانة، معروفة.

(٥) القراءات الشاذة ص ٦٤ ، والمحتب ١/٣٤٦ ، إلا أن ابن جنی قيدها بفتح الصاد، ولم يقيدها ابن خالويه، وذكرها الطبرى ٢٤٩/١٣ و قال: كأنه وجّه إلى أنه مصدر من قولهم: صاغ بصوغ صوغًا. وقال أبو حيان في البحر ٥/٣٣٠ : وقرأ الحسن وابن جبير: «صَوَاع» بالغين المعجمة على وزن: غُراب، وقرأ يحيى بن يعمر كذلك إلا أنه يحذف الألف ويسكن الواو. وينظر الدر المصنون ٦/٥٢٧ .

(٦) في (د) (م): أصيئع.

(٧) وهي بفتح الصاد كما قيدها ابن جنی في المحتب ١/٣٤٦ ، وهي في القراءات الشاذة ص ٦٤ .

(٨) ذكرها ابن جنی في المحتب ١/٣٤٦ ، وأبو حيان في البحر ٥/٣٣٠ عن عبد الله بن عون بن أبي أرطمان.

(٩) أخرجهما عنه ابن الأنباري كما في الدر المثور ٤/٢٧ .

(١٠) القراءات الشاذة ص ٦٤ ، والمحتب ١/٣٤٦ .

قوله تعالى: ﴿فَمَنْ أَذْنَ مُؤْذِنٌ أَيْتَهَا الْعِيرُ إِنَّكُمْ لَسَرِقُونَ﴾ أي: نادى مناد وأغلَمَ، و«أَذْنَ» للتكتير، فكأنه نادى مراراً: «أَيْتَهَا الْعِيرُ». والعير: ما امْتَبَرَ عليه من الحمير والإبل والبغال<sup>(١)</sup>. قال مجاهد: كان عِيرُهم حَمِيرًا<sup>(٢)</sup>. قال أبو عبيدة: العير: الإبل المَرْحُولَةُ المركوبة<sup>(٣)</sup>. والمعنى: يا أصحاب العير. كقوله: ﴿وَسَلِ الْقَرِيَةَ﴾<sup>(٤)</sup> [يوسف: ٨٢]، و: يا خيل الله اركبي، أي: يا أصحاب خيل الله، وسيأتي.

وهنا اعتراضان: الأول: إن قيل: كيف رضي بنiamين بالقعود ظُرعاً، وفيه عقوبة الأب بزيادة الحزن، ووافقه على ذلك يوسف؟ وكيف نسب يوسف السرقة إلى إخوته وهم براء، وهو الثاني.

فالجواب عن الأول: أنَّ الحزن كان قد غَلَبَ على يعقوب بحيث لا يؤثُر فيه فقد بنiamين كلَّ التأثير، أولاً تراه لمَا فَقَدَهُ قال: «يا أَسْفَا عَلَى يُوسُف»، ولم يعرج على بنiamين؟ ولعل يوسف إنما وافقه على القعود بوحْيِه، فلا اعتراض.

وأمَّا نسبة يوسف السرقة إلى إخوته؛ فالجواب: أنَّ القوم كانوا قد سَرَقوه من أبيه فألقُوه في الجُبْ، ثم باعوه، فاستحقُوا هذا الاسم بذلك الفِعل، فصدقَ إطلاق ذلك عليهم.

جواب آخر: وهو أنه أراد: أيتها العير حائل السُّرَاق، والمعنى: إن شيئاً لغيركم صار عندكم من غير رضا الملك ولا عِلْمه.

جواب آخر: وهو أنَّ ذلك كان حيلة لاجتماع شمله بأخيه، وفضله عنهم إليه<sup>(٥)</sup>، وهذا بناء على أنَّ بنiamين لم يعلم بدَسِ الصاع في رَحْلِه، ولا أخبره بنفسه.

(١) تهذيب اللغة ١٦٧/٣ .

(٢) أخرجه الطبرى ٢٤٨/١٣ .

(٣) زاد المسير ٢٥٧/٤ .

(٤) معاني القرآن للزجاج ١٢٠/٣ .

(٥) أحكام القرآن لابن العربي ١٠٨٢/٣ - ١٠٨٣ .

وقد قيل: إنَّ معنى الكلام الاستفهامُ، أي: أَوْلَئِكُمْ لسارقونَ<sup>(١)</sup>? كقوله: ﴿وَتَلَكَ فَضْمَة﴾ [الشعراء: ٢٢] أي: أَوْتَلَكَ نعْمَةٌ تَمْنُها عَلَيَّ؟ والغرض أَلَا يُعزَى إِلَى يوسفَ<sup>عليه السلام</sup> الكذبُ.

قوله تعالى: ﴿قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَا دَأْبُهُمْ تَفَقَّدُونَ﴾ ﴿٣﴾ قَالُوا نَفْقَدُ صَوَاعَ الْمَلِكِ وَلَمَنْ جَاءَ بِهِ حَمْلٌ بَعِيرٌ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ﴾ ﴿٤﴾ فيه سبع مسائل :

الأولى: قوله تعالى: ﴿وَلَمَنْ جَاءَ بِهِ حَمْلٌ بَعِيرٌ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ﴾ العبر هنا الجملُ في قول أكثر المفسرين<sup>(٢)</sup>. وقيل: إنه الحمار، وهي لغة لبعض العرب؛ قال مجاهد واختاره<sup>(٣)</sup>. وقال مجاهد: الزعيم هو المؤذن الذي قال: «أَيْتُهَا الْعَيْرُ»<sup>(٤)</sup>. والزعيمُ والكافلُ والحميلُ والضمينُ والقليلُ سواه، والزعيم: الرئيس.

قال امرؤ القيس<sup>(٥)</sup>:

وَلَأْنِي زَعِيمٌ إِنْ رَجَعْتُ مُمَلِّكاً  
بِسَبِّيرٍ تَرَى مِنْهُ الْفُرَانِقَ أَزَورَاً<sup>(٦)</sup>  
وقالت ليلى الأخيلية ترثي أخاه<sup>(٧)</sup>:

(١) ينظر مجمع البيان ٩٥/١٣ .

(٢) النكت والعيون ٦٢/٣ .

(٣) أخرجه الطبرى ٢٥٢/١٣ - ٢٥٣ ، وهو في تفسير مجاهد ١/٣١٨ .

(٤) أخرجه الطبرى ٢٥٣/١٣ ، وهو في تفسير مجاهد ١/٣١٨ .

(٥) قوله: امرؤ القيس، من (ظ).

(٦) ديوان امرئ القيس ص ٦٦ . والفرانق: الأسد، أو سُبُّ يصبح بين يديه وهو شبيه بابن آوى، وهو معرب «بروانك». معجم متن اللغة (فرنچ). وأزور: مائل، أو الذي يُقبل على شيء إذا اشتد السير. القاموس (زور).

(٧) كذا ذكر المصنف، والذي ذكره أبو إسحاق الوطواط في غرر الخصائص الواضحة ص ٢٣ أنها قالت هذه الأبيات في توبية الحميري. وهو الصواب، وقصة توبية بن الحمير مع ليلى الأخيلية مشهورة. ينظر الأغاني ١١/٢٥٠ - ٢٥٣ .

وَمُخْرِقٍ عَنِ الْقَمِيصِ تَخَالُهُ<sup>(١)</sup>  
 حَتَّىٰ إِذَا رُفِعَ الْلَّوَاءُ رَأَيْتَهُ<sup>(٢)</sup>

الثانية: إن قيل: كيف ضَمِّنَ حَمْلَ الْبَعِيرِ وهو مجهول، وضمان المجهول لا يصح؟ قيل له: حَمْلُ الْبَعِيرِ كان معيناً معلوماً عندهم كالوشق، فصحٌ ضمانه<sup>(٣)</sup>. غير أنه كان بَدْلَ مَالٍ للسارق، ولا يَحُلُّ للسارق ذلك، فلعله كان يصح في شرعيتهم. أو كان هذا جِعَالاً وَبَدْلَ مَالٍ لمن<sup>(٤)</sup> يفتش ويطلب.

الثالثة: قال بعض العلماء: في هذه الآية دليلان: أحدهما: جواز الجُعل، وقد أُجيز للضرورة؛ فإنه يجوز فيه من الجهة ما لا يجوز في غيره<sup>(٥)</sup>. فإذا قال الرجل: مَنْ فَعَلَ كَذَا فَلَهُ كَذَا، صَحٌّ. وشأنُ الجُعل أن يكون أحدُ الطرفين معلوماً، والأخرُ مجهولاً للضرورة إليه، بخلاف الإجارة؛ فإنه يتقدّر فيها العَوْضُ والمُعَوْضُ من الجهتين<sup>(٦)</sup>. وهو من العقود الجائزه التي يجوز لأحدهما فسخه، إلا أنَّ المجعل له يجوز أن يفسخه قبل الشروع وبعده إذا رضيَ بإسقاط حقه، وليس للجاعل أن يفسخه إذا شرع المجعل له في العمل<sup>(٧)</sup>. ولا يُشترط في عقد الجُعل حضور المتعاقدين كسائر العقود؛ لقوله: «وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حَمْلُ بَعِيرٍ». وبهذا كلُّه قال الشافعي<sup>(٨)</sup>.

(١) في النسخ: يوم اللقاء، والمثبت من المصادر على ما يأتي.

(٢) الشعر والشعراء ٢٠٤/٢ ، وأمالي القالي ٢٤٨/١ ، وشرح ديوان الحماسة للمرزوقي ١٦٠٩/٤ ، وذكر القالي عن الأصمعي أنه كان يرويها لـ حميد بن ثور، وهما في ديوان حميد ص ١٣١ . ووقع في هذه المصادر: تحت اللواء، بدل: يوم الهياج. والخميس يعني الجيش. تهذيب اللغة ١٩٣/٧ .

(٣) النكت والعيون ٦٢/٣ .

(٤) بعدها في (م): كان.

(٥) ينظر النكت والعيون ٦٣/٣ .

(٦) ينظر أحكام القرآن لابن العربي ١٠٨٤/٣ - ١٠٨٥ .

(٧) ينظر المتنقى ١١١/٥ .

(٨) المذهب ٤١٨/١ - ٤١٩ ، إلا أن الشيرازي ذكر أنه يجوز فسخ الجاعل العقد بعد الشروع في العمل، ويلزمه أجرة المثل لما عُول.

الرابعة: متى قال الإنسان: مَن جاء بعدي الْآبِقِ فله دينارٌ، لزمه ما جَعَلَهُ فيه إذا جاء به، فلو جاء به من غير ضمانٍ، لزمه إذا جاء به على طلب الأجرة، وذلك أنَّ النبيَّ ﷺ قال: «مَن جاء بآبِقٍ فله أربعون درهماً»<sup>(١)</sup> ولم يُقصِّل بين مَن جاء به من عقدٍ ضمانٍ أو غير عقد. قال ابن حُوَيْزٍ مَندَاد: ولهذا قال أصحابنا: إنَّ مَن فَعَلَ بالإنسان ما يجب عليه أن يفعله بنفسه من مصالحة لزمه ذلك، وكان له أجرٌ مثله إنْ كان من يفعل ذلك بالأجر<sup>(٢)</sup>.

قلت: وخالفنا في هذا كُلُّ الشافعية<sup>(٣)</sup>.

الخامسة: الدليل الثاني: جواز الكفالة على الرجل؛ لأنَّ المؤذن الضامن هو غير يوسف عليه السلام، قال علماؤنا: إذا قال الرجل: تحملتُ، أو تكفلتُ، أو ضمنتُ، أو أنا حَمِيلٌ لك، أو زعيم، أو كفيل، أو ضامن، أو قَبِيل، أو هو لك عندي، أو علىي، أو إلَيَّ، أو قَبْلي، فذلك كُلُّ حَمَالَةٍ لازمة<sup>(٤)</sup>.

وقد اختلف الفقهاء فيمن تكفل بالنفس أو بالوجه؛ هل يلزم ضمان المال أم لا؟ فقال الكوفيون: مَن تكفل بثَنْفِي رجلٌ لم يلزمَه الحقُّ الذي على المطلوب إن مات، وهو أحد قولي الشافعية في المشهور عنه. وقال مالك والليث والأوزاعي: إذا تكفل بنفسه وعليه مالٌ، فإنه إن لم يأتِ به غُرَمَ المال، ويَرْجِعُ به على المطلوب، فإن اشترط ضمانَ نفسه أو وجهه وقال: لا أضمنَ المال، فلا شيء عليه من المال.

والحججة لمن أوجب غُرمَ المال: أنَّ الكفيل قد علم أنَّ المضمونَ وجْهُه لا يُطلب

(١) لم نقف عليه مرفوعاً، وأخرجه محمد بن الحسن في الحجة ٢/٧٣٤ - ٧٤١ ، والبيهقي ٦/٢٠٠ عن ابن مسعود رض موقعاً. وأخرجه ابن أبي شيبة كما في نصب الرأبة ٣/٤٧٠ عن عمر رض موقعاً أيضاً. وينظر المحلّي ٨/٢٠٨ .

(٢) ينظر عقد الجواهر الثمينة ٣/٥ .

(٣) ينظر المذهب ١/٤١٩ ، والتبيه ص ١٢٦ .

(٤) عقد الجواهر الثمينة ٢/٦٥٧ .

بدم، وإنما يُطلب بمال، فإذا ضمنه له ولم يأتيه به فكأنه فوتَه عليه، وعَزَّه<sup>(١)</sup> منه؛ فلذلك لزمه المال. واحتَجَ الطَّحاوِيُّ للكوفيين فقال: أمَّا ضمانُ المال بموت المكفول به فلا معنى له؛ لأنَّه إنما تكفلَ بالنفس ولم يتکفل بالمال، فمحال أن يلزم مال لم يتکفل به<sup>(٢)</sup>.

السادسة: واختلف العلماء إذا تكفلَ رجلٌ عن رجلٍ بمال؛ هل للطالب أن يأخذ من شاء منها؟ فقال الثوريُّ والковيون والأوزاعيُّ والشافعيُّ وأحمدُ وإسحاقُ: يأخذ من شاء منها<sup>(٣)</sup> حتى يستوفي حقَّه، وهذا كان قولَ مالكٍ، ثم رجع عنه فقال: لا يؤخذ الكفيلُ إلَّا أنْ يُفليسَ الغريمُ أو يغيبَ؛ لأنَّ التَّبْدِيَةَ بالذِّي علَيْهِ الْحَقُّ أُولَئِكَ، إلَّا أنْ يكونَ مُعَدَّمًا؛ فإنه يؤخذ من الحميلِ؛ لأنَّه معدور في أحذنه في هذه الحالة. وهذا قولُ حسن. والقياسُ: أنَّ للرَّجل مطالبةً أيِّ الرجلين شاء.

وقال ابن أبي ليلى: إذا ضمن الرجلُ عن صاحبه مالًا تحولَ على الكفيلِ، وبرئَ صاحبُ الأصلِ، إلَّا أنْ يشترط المكفولُ له عليهما أنْ يأخذَ أيَّهما شاء. واحتَجَ براءةَ الميت من الدينِ بضمانِ أبي قتادةَ، وبنحوه قال أبو ثور<sup>(٤)</sup>.

السابعة: الزعامةُ لا تكون إلَّا في الحقوق التي تجوزُ النيابةُ فيها، مما يتعلَّق بالذمةِ من الأموالِ، وكان ثابتاً مستقراً، فلا تصحُّ الحمالةُ بالكتابة؛ لأنَّها ليست بدين ثابتٍ مستقرٍّ؛ لأنَّ العبدَ إنْ عجزَ رَقَّ وانفسخَ الكتابةَ، وأمَّا كُلُّ حقٍّ لا يقومُ به أحدٌ

(١) في (د) و(ظ): وغره.

(٢) مختصر اختلاف العلماء للجصاص ٤/٢٥٣ - ٢٥٥ ، واختلاف الفقهاء للطبراني ص ٢٠٨ - ٢١١ .

(٣) قوله: منها، من (ظ).

(٤) ينظر مختصر اختلاف العلماء للجصاص ٤/٢٥٨ - ٢٥٥ ، والإشراف لابن المنذر ١/١١٨ - ١١٩ ، والاستذكار ٢٢/٢٧٥ - ٢٧٦ . والحديث أخرجه أحمد (١٦٥١٠)، والبخاري (٢٢٩٥) عن سلمة بن الأكوع رض أنَّ النبي ﷺ أتى بجنازةٍ ليصلِّي عليها... فقال: «هل عليه من دين؟» قالوا: نعم، قال: «صلُّوا على أصحابكم» قال أبو قتادة: عَلَيْهِ دِينُهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ. فصَلَّى عَلَيْهِ. وأخرجه أحمد (١٤١٥٩) من حديث جابر رض، و(٢٢٥٤٣) من حديث أبي قتادة رض.

عن أحد كالحدود؛ فلا كفالة فيه<sup>(١)</sup>، ويُسجن المُدعى عليه الحد حتى يُنظر في أمره. وشدّ أبو يوسف ومحمد فأجازا الكفالة في الحدود والقصاص، وقالا: إذا قال المقدوف أو المُدعى القصاص: بيتنبي حاضرة، كفله ثلاثة أيام<sup>(٢)</sup>، واحتتج لهم الطحاري بما رواه حمزة بن عمرو عن عمر<sup>(٣)</sup>. وابن مسعود وجرير بن عبد الله والأشعث أنهم حكموا بالكفالة بالنفس بمحضر الصحابة<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: ﴿قَالُوا تَأْلِهَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا جِئْنَا لِتُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ سَرِيقِنَ﴾ ﴿١﴾ قَالُوا فَمَا جَزِئُهُ إِنْ كُثُرَ كَذَلِكَ ﴿٢﴾ قَالُوا جَزِئُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزِئُهُ كَذَلِكَ تَجْزِي الظَّالِمِينَ ﴿٣﴾﴾

قوله تعالى: ﴿قَالُوا تَأْلِهَ لَقَدْ عَلِمْتَ مَا جِئْنَا لِتُفْسِدَ فِي الْأَرْضِ﴾ يُروى أنهم كانوا لا ينزلون على أحد ظلماً، ولا يرعنون زرع أحد، وأنهم جعلوا<sup>(٥)</sup> على أفواه إبلهم الأكمة<sup>(٦)</sup>؛ لئلا تعيث في زروع الناس. ثم قال<sup>(٧)</sup>: ﴿وَمَا كَانَ سَرِيقِنَ﴾ يُروى أنهم ردوا البضاعة التي كانت في رحالهم؛ أي: فمن ردَّ ما وَجَدَ؛ فكيف يكون سارقاً!<sup>(٨)</sup>.

(١) ينظر الإشراف ١٢٤ - ١٢٥ ، وأحكام القرآن لابن العربي ٣/١٠٨٤ ، وعقد الجواهر الثمينة ٢/٦٥٥.

(٢) مختصر اختلاف العلماء للجصاص ٣/٣٢٧ ، وينظر مختصر اختلاف الفقهاء للطبراني ص ٢١٤.

(٣) الخبر في مختصر اختلاف العلماء ٤/٢٥٤ ، وشرح معاني الآثار ٣/١٤٧ مطول، وأخرجه مختصرًا البخاري (٢٢٩٠) عن حمزة بن عمرو الأسليمي: أن عمر رض بعثه مصدقاً، فرقع رجل على جارية أمراته، فأخذ حمزة من الرجل كفلاً حتى قدم على عمر، وكان عمر قد جلده مئة جلدة، فصدقهم وغفر لهم بالجهالة.

(٤) ذكره البخاري إثر خبر حمزة بن عمرو معلقاً مختصراً، ووصله البيهقي مطولاً ١٦٩/١٠ ، وذكره الطحاري مطولاً كذلك، كما في مختصر اختلاف العلماء ٤/٢٥٤ - ٢٥٥.

(٥) في (د) و(ز) و(م): جمعوا.

(٦) جمع كمام، وهي ما يُكمِّل به فم البعير. الصحاح (كم).

(٧) في (ظ): قالوا.

(٨) ذكر هذا الخبر الشعبي في عرائس المجالس ص ١٣٤ ، والبغوي ٤/٤٣٩ ، وابن عطية في المحرر الوجيز ٣/٢٦٥ ، وعزاه ابن الجوزي في زاد المسير ٤/٢٦٠ لأبي صالح عن ابن عباس.

قوله تعالى: ﴿فَالْوَا فَمَا جَزُوهُ إِن كُنْتُمْ كَذَّابِينَ﴾ المعنى: فما جزاء الفاعل إن بانَ كذبُكم؟ فأجاب إخوة يوسف: ﴿جَزُوهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزُوفٌ﴾ أي: يُستعبدُ ويُشتَرَقُ. «فَجَزَاؤُهُ» مبتدأ، و«مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ» خبره، والتقدير: جزاؤه استعباد من وُجد في رحله، فهو كناية عن الاستعباد. وفي الجملة معنى التوكيد، كما تقول: جزاء من سرق القطع فهذا جزاؤه<sup>(١)</sup>.

﴿كَذَّالِكَ نَعْزِزُ الظَّالِمِينَ﴾ أي: كذلك نفعل في الظالمين إذا سرقوا أن يُسترقوا، وكان هذا من دين يعقوب عليه السلام وحكمه. وقولهم هذا قولٌ من لم يستشرب بنفسه<sup>(٢)</sup>؛ لأنهم التزموا استرقاقَ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ، وكان حُكْمُ السارق عند أهل مصر أن يُغَرَّمْ ضِعْفَيْ ما أَخْذَ؛ قاله الحسن والسدي وغيرهما<sup>(٣)</sup>.

مسألة: قد تقدم في سورة المائدة أنَّ القطع في السرقة ناسخٌ لما تقدَّمَ من الشرائع، أو لِمَا كان في شرع يعقوب من استرقاقِ السارق<sup>(٤)</sup>، والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿فَبَدَا يَأْوِيَتِهِ قَبْلَ وِعَاءَ أَخِيهِ ثُمَّ أَسْتَخْرَجَهَا مِنْ وِعَاءَ أَخِيهِ كَذَّالِكَ كَذَّالِكَ لِيُوسُفَ مَا كَانَ لِيَأْخُذَ أَخَاهُ فِي دِينِ الْمَلِكِ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ تَرْفَعُ دَرَجَتِي مَنْ شَاءَ وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عَلْيَهِ عَلِيَّةً ﴾

قوله تعالى: ﴿فَبَدَا يَأْوِيَتِهِ قَبْلَ وِعَاءَ أَخِيهِ﴾ إنما بدأ يوسف برحالهم لنفي التهمة والريبة من قلوبهم إن بدأ بوعاء أخيه. والوعاء؛ يقال بضم الواو وكسرها، لغتان<sup>(٥)</sup>، وهو ما يُحفظ في المتابع ويصونه.

(١) إعراب القرآن للنحاس ٣٣٨/٢.

(٢) في (م): نفسه.

(٣) لم نقف عليه عن الحسن والسدي، وأخرجه عبد الرزاق في التفسير ٣٢٦/١ عن الكلبي، وذكره الماوردي في النكت والمعيون ٦٤/٣ عن الضحاك.

(٤) ينظر ٤٤٩ وما بعدها.

(٥) وضم الواو قراءة الحسن. ينظر المحتسب ٣٤٨/١.

﴿ثُمَّ أَسْخَرْجَهَا مِنْ وَعَاءَ أَخْيُوبِ﴾ يعني بنيامين، أي: استخرج السقاية، أو الصواع؛ عند من يؤتّن<sup>(١)</sup>، وقال: «ولمَنْ جاء به»؛ فذَكَرَ.

فلمَّا رأى ذلك إخوته نكسوا رؤوسهم، وظنُّوا الظنوں كُلُّها، وأقبلوا عليه وقالوا: وبilk يا بنيامين، ما رأينا كالبيوم قطُّ، ولدت أمك راحيل أخوين ليصيّن! قال لهم أخوهم: والله ما سرقته، ولا علَمَ لي بمَنْ وضعه في متاعي. ويروى أنهم قالوا له: يا بنيامين، أسرقت؟ قال: لا والله! قالوا: فَمَنْ جَعَلَ الصُّوَاعَ فِي رَحْلِكَ؟ قال: الذي جعل البضاعة في رحالكم.

ويقال: إنَّ المفتش كان إذا فرغ من رَحْلِ رجلٍ استغفر الله عزَّ وجَلَّ تائباً من فعله ذلك. وظاهرُ كلامِ قتادةٍ وغيرِه أنَّ المستغفر كان يوسف؛ لأنَّه كان يفتشهم ويعلم أين الصواعُ، حتى فرغ منهم وانتهى إلى رَحْلِ بنيامين فقال: ما أظُنُّ هذا الفتى رضيَّ بهذا ولا أخذ شيئاً، فقال له إخوته: والله لا نبرح<sup>(٢)</sup> حتى تُفْتَشَ، فهو أطيبُ لنفسك ونفوسنا، ففتشَ، فأخرج السقاية، وهذا التفتيشُ من يوسف يقتضي أنَّ المؤذنُ سرَقَهم برأيه. فيقال: إنَّ جميعَ ذلك كان بأمرِ الله تعالى، ويقوِّي ذلك قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ كَذَنَا لِيُوسُفَ﴾<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ كَذَنَا لِيُوسُفَ﴾ فيه ثلاثة مسائل:

الأولى: قوله تعالى: «كَذَنَا» معناه: صنَّعنا؛ عن ابن عباس<sup>(٤)</sup>؛ القمي<sup>(٥)</sup>: دَبَّنا<sup>(٥)</sup>.

(١) معاني القرآن للزجاج ١٢٢/٣ ، واعراب القرآن للنحاس ٣٣٩/٢ .

(٢) في (د): لا تبرح.

(٣) المحرر الوجيز ٢٦٦/٣ ، وخبر قتادة أخرجه عبد الرزاق ٣٢٥ - ٣٢٦ ، والطبرى ١٣٥ - ٢٥٩ . وينظر عرائس المجالس ص ١٣٥ .

(٤) ذكره ابن الجوزي في زاد المسير ٢٦١/٤ ، وأخرجه الطبرى ٢٦٣/١٣ - ٢٦٤ ، عن الضحاك والسدي وابن جرير.

(٥) ذكر الماوردي في النكت والعيون ٦٤/٣ هذا القول عن ابن عيسى، ولفظ ابن قتيبة في تفسير الغريب ص ٢٢٠ : «كَذَنَا لِيُوسُفَ» أي: احتلنا، والكيد: الحيلة.

ابن الأنباري<sup>(١)</sup>: أردا؛ قال الشاعر:

كادت وكذلت وتلك خير إرادة  
لو عاد من عهد الصبا ما قد مضى<sup>(٢)</sup>  
وفيه جواز التوصل إلى الأغراض بالحيل إذا لم تخالف شريعة، ولا هدمت  
أصلاً، خلافاً لأبي حنيفة في تجويزه الحيل، وإن خالفت الأصول، وخرمت  
التحليل<sup>(٣)</sup>.

الثانية: أجمع العلماء على أنَّ للرجل قبل حلول الحَوْل التصرُّف في ماله بالبيع والهبة إذا لم ينوه الفرار من الصدقة، وأجمعوا على أنه إذا حال الحَوْل وأظلَّ الساعي أنه لا يَحلُّ له التحيل ولا النقصان، ولا أن يفرُّق بين مجتمعٍ، ولا أن يجتمع بين متفرقٍ. وقال مالك: إذا فوتَ من ماله شيئاً ينوي به الفرار من الزكاة قبل الحول بشهر أو نحوه، لزمته الزكاة عند الحول، أخذَه منه بقوله عليه الصلاة والسلام: «خشية الصدقة». وقال أبو حنيفة: إن نوى بتفريقه الفرار من الزكاة قبل الحول بيوم لا يضرُّه؛ لأنَّ الزكاة لا تلزم إلَّا بتمام الحول، ولا يتوجه إليه معنى قوله: «خشية الصدقة» إلا حينئذ<sup>(٤)</sup>.

قال ابن العربي<sup>(٥)</sup>: سمعت أبا بكر محمد بن الوليد الفهريَّ وغيره يقول: كان شيخنا قاضي القضاة أبو عبد الله محمد بن عليِّ الدامغاني<sup>(٦)</sup> صاحب عشرة آلاف

(١) في الأضداد ص ٩٧.

(٢) تفسير الطبرى ٣٩/١٦ ، والأضداد لابن الأنباري ص ٩٧ ، وهو فيما برواية: لو عاد من لهو الصيابة ما مضى.

(٣) أحكام القرآن لابن العربي ١٠٨٨/٣ .

(٤) الكلام من بداية المسألة قاله ابن بطال كما في فتح الباري ١٢/٣٣١ . وقوله: «خشية الصدقة» سيأتي تخرجه عن أنس - ﷺ - في حديث كتاب أبي بكر رض الذي كتبه له في فريضة الصدقة.

(٥) في أحكام القرآن ١٠٨٨/٣ وما سيرد بين حاصلتين منه.

(٦) الحنفي، مفتى العراق، ولد بدمغان، وتفقه بخراسان، وقدم بغداد شاباً، ودام في القضاء ثلاثين سنة، وفي أولاده أئمة وقضاة، توفي سنة (٤٧٨هـ). السير ١٨/٤٨٥ .

دينار من المال<sup>(١)</sup>، فكان إذا جاء رأس الحول دعا بنيه فقال لهم: كَبِرَث سَتْيٌ، وضَعُفت قَوْتِي، وهذا مَالٌ لَا أَحْتاجه فهُوَ لَكُمْ. ثُمَّ يُخْرِجُهُ، فِي حِمْلِهِ الرَّجُالُ عَلَى أَعْنَاقِهِمْ إِلَى دُورِ بَنِيهِ، فَإِذَا جَاءَ رَأْسُ الْحَوْلِ دَعَا بَنِيهِ لِأَمْرٍ قَالُوا: يَا أَبَانَا إِنَّمَا أَمْلَنَا حَيَاتِكَ، وَأَمَّا الْمَالُ فَأَيُّ رَغْبَةٍ لَنَا فِيهِ مَا دَمْتَ حَيَاً، أَنْتَ وَمَالِكُ لَنَا، فَخُذْهُ إِلَيْكَ. وَيُسِيرُ الرَّجُالُ بِهِ حَتَّى يَضْعُوهُ بَيْنَ يَدِيهِ، فَيُرْدُهُ إِلَى مَوْضِعِهِ. يَرِيدُ بِتَبْدِيلِ الْمَلِكِ إِسْقاطَ الزَّكَاةِ عَلَى رَأْيِ أَبِي حَنِيفَةَ فِي التَّفْرِيقِ بَيْنِ الْمَجَامِعِ، وَالْجَمْعِ بَيْنِ الْمُتَفَرِّقِ، وَهَذَا خَطْبٌ عَظِيمٌ، وَقَدْ صَنَفَ الْبَخَارِيُّ عليه السلام [عليه] فِي جَامِعِهِ كِتَابًا مَقْصُودًا فَقَالَ: كِتَابُ الْحِيَلِ<sup>(٢)</sup>.

قلت: وَتَرَجَمَ فِيهِ أَبُو الْبَابَاهُ مِنْهَا: بَابُ الزَّكَاةِ وَأَلَا يَفْرَقَ بَيْنَ مَجَامِعِهِ وَلَا يُجْمِعَ بَيْنَ مُتَفَرِّقَتِهِ خَشِيَّةَ الصَّدَقَةِ. وَأَدْخَلَ فِيهِ حَدِيثَ أَنَسَ بْنَ مَالِكٍ، وَأَنَّ أَبَا بَكْرَ كَتَبَ لَهُ فَرِيضَةَ الصَّدَقَةِ<sup>(٣)</sup>...، وَحَدِيثَ طَلْحَةَ بْنِ عَبِيدِ اللَّهِ أَنَّ أَعْرَابِيًّا جَاءَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صلوات الله عليه وآله وسلامه ثَائِرَ الرَّأْسِ، الْحَدِيثُ، وَفِي آخِرِهِ: «أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ» أَوْ: «دَخَلَ الْجَنَّةَ إِنْ صَدَقَ». وَقَالَ بَعْضُ النَّاسِ: فِي عَشْرِينَ وَمِائَةَ بَعْدِ حِقْتَانَ، فَإِنَّ أَهْلَكُهَا مَتَعْمِدًا، أَوْ وَقَبَهَا، أَوْ احْتَالَ فِيهَا فِرَارًا مِنَ الزَّكَاةِ، فَلَا شَيْءَ عَلَيْهِ<sup>(٤)</sup>. ثُمَّ أَرْدَفَ بِحَدِيثِ أَبِي هَرِيرَةَ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلوات الله عليه وآله وسلامه: يَكُونُ كَنْزُ أَهْدِكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ شَجَاعًا أَقْرَعَ لَهُ زَبِيبَتَانَ، وَيَقُولُ: أَنَا كَنْزُكَ» الْحَدِيثُ<sup>(٥)</sup>.

قال المهلب<sup>(٦)</sup>: إنما قَصَدَ الْبَخَارِيُّ فِي هَذَا الْبَابِ أَنْ يُعْرِفَكَ أَنَّ كُلَّ حِيلَةٍ يَتَحِيلُ بِهَا أَحَدٌ فِي إِسْقاطِ الزَّكَاةِ فَإِنَّ إِثْمَ ذَلِكَ عَلَيْهِ؛ لَأَنَّ النَّبِيَّ صلوات الله عليه وآله وسلامه لَمَّا مَنَعَ مِنْ جَمْعِ الْغَنَمِ

(١) فِي (م): عَشْرَاتْ.

(٢) صَحِيحُ الْبَخَارِيِّ طَبْعَةُ فتح الباري ١٢/٣٢٦.

(٣) صَحِيحُ الْبَخَارِيِّ (٦٩٥٥)، وَأَخْرَجَهُ مَطْوِلاً أَحْمَدَ (٧٧).

(٤) صَحِيحُ الْبَخَارِيِّ (٦٩٥٦)، وَحَدِيثُ طَلْحَةَ أَخْرَجَهُ أَيْضًا أَحْمَدَ (١٣٩٠)، وَمُسْلِمَ (١١).

(٥) صَحِيحُ الْبَخَارِيِّ (٦٩٥٧)، وَسَلْفُهُ ٥/٤٣٨.

(٦) كلامُهُ بِنْحُوِهِ فِي فتح الباري ١٢/٣٣١.

وتفريقيها خشية الصدقة، فُهِم منه هذا المعنى، وفُهِم من قوله: «أَفْلَحَ إِنْ صَدَقَ» أَنَّ مَنْ رَأَى أَنْ يَنْقُضَ<sup>(١)</sup> شَيْئًا مِنْ فِرَائِضِ اللَّهِ بِحِيلَةٍ يَحْتَالُهَا أَنَّهُ لَا يَفْلُحُ، وَلَا يَقُولُ بِذَلِكَ عُذْرَهُ عِنْدَ اللَّهِ، وَمَا أَجَازَهُ الْفَقَهَاءُ مِنْ تَصْرِيفِ صَاحِبِ الْمَالِ فِي مَالِهِ قُرْبَ حَلُولِ الْحَوْلِ إِنَّمَا هُوَ مَا لَمْ يُرِدْ بِذَلِكَ الْهَرَبَ مِنَ الزَّكَاةِ، وَمَنْ نَوَى ذَلِكَ فَالْإِثْمُ عَنْهُ غَيْرُ سَاقِطٍ، وَاللَّهُ حَسِيبُهُ، وَهُوَ كَمَنْ فَرَّ مِنْ<sup>(٢)</sup> صِيَامِ رَمَضَانَ قَبْلَ رُؤْيَا الْهَلَالِ بِيَوْمٍ، وَاسْتَعْمَلَ سَفَرًا لَا يَحْتَاجُ إِلَيْهِ رَغْبَةً عَنْ فَرْضِ اللَّهِ الَّذِي كَتَبَهُ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ، فَالْوَعِيدُ مَتَوَجَّهٌ عَلَيْهِ، أَلَا تَرَى عَقوَبَةً مِنْ مَنْعِ الزَّكَاةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ بِأَيِّ وَجْهٍ مَتَعَمِّدًا كَيْفَ تَنْظُهُ الْإِبْلُ<sup>(٣)</sup>، وَيَمْثُلُ لَهُ مَالُهُ شَجَاعًا أَقْرَعَ؟ وَهَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّ الْفَرَارَ مِنَ الزَّكَاةِ لَا يَعْجِلُ، وَهُوَ مُطَالَبٌ بِذَلِكَ فِي الْآخِرَةِ.

الثالثة: قال ابن العربي<sup>(٤)</sup>: قال بعض علماء الشافعية: في قوله تعالى: «كَذَلِكَ كَذَنَا لِيُوسُفَ»<sup>(٥)</sup> دليل على وجه الحيلة إلى المباح<sup>(٦)</sup> واستخراج الحقوق. وهذا وهم عظيم. وقوله تعالى: «وَكَذَلِكَ مَكَنَّا لِيُوسُفَ فِي الْأَرْضِ»<sup>(٧)</sup> قيل فيه: كما مكنا ليوسف ملك نفسه عن امرأة العزيز مكنا له ملك الأرض عن العزيز. أو مثله مما لا يُشَبِّه<sup>(٨)</sup> ما ذكره.

(١) في (د) وفتح الباري: ينقض.

(٢) في (د) والفتح: عن.

(٣) أخرجه مطرولاً أحمد (٧٥٦٣)، ومسلم (٩٨٧)، وختصاراً البخاري (٦٩٥٨) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٤) في أحكام القرآن ١٠٨٨/٣.

(٥) في (د) وأحكام القرآن: وكذلك مكنا ليوسف في الأرض، وفي (م): وكذلك مكنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه، والمثبت من (ظ)، وهو المافق لما في أحكام القرآن للكجا الطبراني ٢٣٣/٣ ، وعنه نقل ابن العربي، وإيابه عن بقوله: قال بعض علماء الشافعية. وينظر أحكام القرآن للجصاصين ١٧٦/٣ . وقد سلف كلام الكجا الطبراني ص ٣٨٧ من هذا الجزء.

(٦) في أحكام القرآن لابن العربي والكجا الطبراني: دليل على جواز الحيلة في التوصل إلى المباح.

(٧) في النسخ الخطية: لما، والمثبت من (م) وأحكام القرآن لابن العربي.

(٨) في النسخ الخطية: إذ مثله لا يشبه.

**قال الشَّفَعِيُّ**<sup>(١)</sup>: ومثله قوله عَزَّ وجلَّ: ﴿وَحْدَ يَدِكَ ضَعْنَا فَأَنْتَ بِرِّ يَهُوَ وَلَا تَخْتَبِ﴾ [ص: ٤٤]، وهذا ليس حيلة، إنما هو حَمْلٌ لليمين على الألفاظ أو على المقاصد.

**قال الشَّفَعِيُّ**: ومثله حديث أبي سعيد الخدري في عاملٍ خبير، أنه أتى النبي ﷺ بتصرِّفٍ جَنِيبٍ، الحديث. ومقصود الشافعية من هذا الحديث أنه عليه الصلاة والسلام أمره أن يبيع جمعاً ويتابع جَنِيباً من الذي باع منه الجمع أو من غيره<sup>(٢)</sup>.

**وقالت المالكية**: معناه: مِنْ غَيْرِهِ؛ لَنْلَأِ يَكُونَ جَنِيبًا بِجَمْعٍ وَالْدَارَهُمْ رِبًا، كما

قال ابن عباس: جَرِيرَةً بِجَرِيرَةٍ وَالدرَاهِمْ رِبَا<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿فِي دِينِ الْمَلَكِ﴾ أي: سلطانه؛ عن ابن عباس<sup>(٤)</sup>. ابن عيسى: عادته<sup>(٥)</sup>، أي: يظلم بلا حجة. مجاهد: في حكمه<sup>(٦)</sup>، وهو استرقاق السُّرَاقِ. ﴿إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ﴾ أي: إِلَّا بِأَنْ يشاءَ اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلَهِ تَعْلَةً وَعَذْرَأً لَهُ . وقال قتادة: بل كان حكم الملك الضربُ والغُرم ضعفين، ولكن شاءَ اللَّهُ أَنْ يُجْرِيَ عَلَى أَسْتَهْمِ حَكْمَ بَنِي إِسْرَائِيلَ، عَلَى مَا تَقدَّمَ<sup>(٧)</sup>.

قوله تعالى: ﴿نَرْفَعُ دَرَجَتِي مَنْ نَشَاءُ﴾ أي: بالعلم والإيمان. وقرئ: ﴿نَرْفَعُ درَاجَاتِ مَنْ نَشَاءُ﴾ بمعنى: نرفع من نشاء درجات، وقد مضى في «الأنعام»<sup>(٨)</sup>.

(١) نسبة إلى الإمام الشافعي رحمه الله، والكلام في أحكام القرآن للكبا الطبرى ٢٣٣/٣ ، وأحكام القرآن لابن العربي ١٠٨٨/٣ وعنه نقل المصنف.

(٢) قوله: أو من غيره، من (م) وأحكام القرآن لابن العربي، وسلف الكلام وتخریج الحديث ص ٣٨٧ .

(٣) أحكام القرآن لابن العربي ١٠٨٩/٣ ، وخبر ابن عباس سلف نحوه ٢٩٧/٢ بلفظ: نهى ابن عباس عن دراهم بدرارهم بينهما حريرة.

(٤) أخرجه الطبرى ١٣/٢٦٤ .

(٥) في (م): عاداته، والمثبت من النسخ الخطية موافق لما في النكت والعيون ٦٤/٣ ، والكلام منه.

(٦) أخرجه الطبرى ١٣/٢٦٤ - ٢٦٦ عن قتادة والسدى وغيرهما.

(٧) ص ٤١٢ من هذا الجزء، وخبر قتادة ذكره الواحدى عنه وعن ابن عباس رضي الله عنهما في الوسيط ٦٢٤/٢ .

(٨) ٤٤٥/٨ ، وقرأ بالتنوين عاصم وحمزة والكسائي. السبعة ص ٢٦١ ، والتيسير ص ١٠٤ .

وقوله: «وَقُوَّقَ كُلُّ ذِي عِلْمٍ عَلَيْهِ عَلِيمٌ» روى إسرائيل، عن سماك، عن عكرمة، عن ابن عباس قال: يكون ذا أعلم من ذا، وذا أعلم من ذا، والله فوق كلّ عالم<sup>(١)</sup>. وروى سفيان، عن عبد الأعلى، عن سعيد بن جبیر قال: كنا عند ابن عباس رحمه الله، فتحدث بحديث فتعجب منه رجل فقال: سبحان الله! وفوق كلّ ذي علم علیم، فقال ابن عباس: بنس ما قلت! الله العلیم وهو فوق كلّ عالم<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: «قَالُوا إِن يَسِيرُ فَقَدْ سَرَقَ أَخَّ لَهُ مِنْ قَبْلٍ فَأَسْرَهَا يُوسُفُ فِي نَقْصَانِهِ وَلَمْ يُبَدِّلْهَا لَهُمْ قَالَ أَنْشَرَ شَرِّ مَكَانًا وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصْنَعُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا يَتَأْتِيهَا الْعَزِيزُ إِنَّ لَهُ أَبَا شَيْخًا كَبِيرًا فَخُذْ أَهْدَنَا مَكَانَهُ إِنَّا نَرَكَ مِنَ الظَّاهِرِينَ ﴿١٤﴾ قَالَ مَكَازَ اللَّهُ أَنْ تَأْخُذَ إِلَّا مَنْ وَجَدْنَا مَتَعْنَا عِنْدَهُ إِنَّا إِذَا لَظَلَمْنَا مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿١٥﴾»

قوله تعالى: «قَالُوا إِن يَسِيرُ فَقَدْ سَرَقَ أَخَّ لَهُ مِنْ قَبْلٍ» المعنى: أي: اقتدأى بأخيه، ولو اقتدأى بنا ما سرق، وإنما قالوا ذلك ليبرروا<sup>(٣)</sup> من فعله؛ لأنه ليس من أهله، وأنه إن سرق فقد جذبه عزف أخيه السارق؛ لأن الاشتراك في الأنساب يُشاكلُ في الأخلاق.

وقد اختلفوا في السرقة التي نسبوا إلى يوسف: فروي عن مجاهد وغيره أن عمّة يوسف بنت إسحاق كانت أكبر من يعقوب، وكانت صارت إليها منطقة إسحاق لسنها؛ لأنهم كانوا يتوارثون بالسن، وهذا مما نسب حكمه بشرعنا، وكان من سرق استعبد، وكانت عمّة يوسف حضنته وأحبته حباً شديداً، فلما ترعرع وشبّ قال لها يعقوب: سلمي يوسف إلى، فلست أقدر أن يغيب عنّي ساعة، فولعث به، وأشفقت

(١) أخرجه الطبرى ١٣ / ٢٦٨ - ٢٦٩ ، وابن أبي حاتم ٧ / ٢١٧٧ (١١٨٣٠)، وذكره ابن كثير عند تفسير هذه الآية، ووقع عند الطبرى: سالم، بدل: سماك.

(٢) أخرجه عبد الرزاق ١ / ٣٢٦ ، والطبرى ١٣ / ٢٦٨ ، وفيهما: الحمد لله، بدل: سبحان الله.

(٣) في (ظ): ليبروا.

من فِرَاقِهِ، فَقَالَتْ لَهُ: دَعْهُ عَنِّي أَيَامًا أَنْفَذَ إِلَيْهِ، فَلَمَّا خَرَجَ مِنْ عَنْدِهَا يَعْقُوبُ عَمَّدَتْ إِلَى مِنْطَقَةِ إِسْحَاقَ فَحَزَمَتْهَا عَلَى يُوسُفَ مِنْ تَحْتِ نَيَابِهِ، ثُمَّ قَالَتْ: لَقَدْ فَقَدْتِ مِنْطَقَةَ إِسْحَاقَ، فَانظُرُوا مَنْ أَخْذَهَا وَمَنْ أَصَابَهَا، فَالثُّمَسْتُ، ثُمَّ قَالَتْ: اكْشِفُوا أَهْلَ الْبَيْتِ، فَكَشَفُوا فَوْجَدَتِ مَعَ يُوسُفَ، فَقَالَتْ: إِنَّهُ وَاللَّهِ لِي سَلَمٌ أَصْنَعُ فِيهِ مَا شِئْتُ، ثُمَّ أَتَاهَا يَعْقُوبُ فَأَخْبَرَهُ بِالْخَبَرِ، فَقَالَ لَهَا: أَنْتِ وَذَلِكَ، إِنْ كَانَ فَعَلَ ذَلِكَ فَهُوَ سَلَمٌ لِكِ، فَأَمْسَكَتْهُ حَتَّى مَاتَتْ، فَبِذَلِكَ عَيْرَهُ إِخْوَتُهُ فِي قَوْلِهِمْ: ﴿إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخْ لَهُ مِنْ قَبْلِهِ﴾<sup>(١)</sup>، وَمِنْ هَاهُنَا تَعْلَمُ يُوسُفُ وَضَعَ السَّقَايَةَ فِي رَحْلِ أَخِيهِ كَمَا عَمِلَتْ بِهِ عَمْتُهُ<sup>(٢)</sup>. وَقَالَ سَعِيدُ بْنُ جُبَيرٍ: إِنَّمَا أَمْرَتَهُ [أُمُّهُ] أَنْ يَسْرِقَ صَنْمًا كَانَ لِجَدِّهِ أَبِي أُمَّهُ، فَسَرَقَهُ وَكَسَرَهُ وَأَلْقَاهُ عَلَى الطَّرِيقِ، وَكَانَ ذَلِكَ مِنْهُمَا تَغْيِيرًا لِلْمُنْكَرِ، فَرَمَاهُ بِالسَّرْقَةِ وَعَيْرَوْهُ بِهَا، وَقَالَهُ قَاتِدَةُ. وَفِي كِتَابِ الزَّجَاجِ: أَنَّهُ كَانَ صَنْمًا ذَهَبٌ<sup>(٣)</sup>.

وَقَالَ عَطِيَّةُ الْعَوْفِيُّ: إِنَّهُ كَانَ مَعَ إِخْوَتِهِ عَلَى طَعَامٍ، فَنَظَرَ إِلَى عَرْقٍ<sup>(٤)</sup> فَخَبَأَهُ، فَعَيَّرَهُ بِذَلِكَ.

وَقَيلَ: إِنَّهُ كَانَ يَسْرِقُ مِنْ طَعَامِ الْمَائِدَةِ لِلْمَسَاكِينِ؛ حَكَاهُ أَبْنُ عَيْسَى.

وَقَيلَ: إِنَّهُمْ كَذَبُوا عَلَيْهِ فِيمَا نَسَبُوهُ إِلَيْهِ؛ قَالَهُ الْحَسْنُ<sup>(٥)</sup>.

قَوْلُهُ تَعَالَى: ﴿فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي تَقْسِيمٍ وَلَمْ يُبَدِّلَا لَهُمْ﴾ أي: أَسَرَّ فِي نَفْسِهِ قَوْلُهُمْ: ﴿إِنْ يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخْ لَهُ مِنْ قَبْلِهِ﴾؛ قَالَهُ أَبْنُ شَجَرَةِ وَابْنُ عَيْسَى. وَقَيلَ: إِنَّهُ أَسَرَّ فِي نَفْسِهِ قَوْلَهُ: ﴿أَنْتَ شَرٌّ مَّكَانًا﴾ ثُمَّ جَهَرَ فَقَالَ: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا

(١) أَخْرَجَهُ الطَّبَرِيُّ / ١٣ / ٢٧٤.

(٢) أَحْكَامُ الْقُرْآنِ لِابْنِ الْعَرَبِيِّ / ٣ / ١٠٨٧.

(٣) تَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ / ١٣ / ٢٧٢ - ٢٧٣، وَمَعَانِيُ الْقُرْآنِ لِلزَّجَاجِ / ٣ / ١٢٣، وَالْمُحرَرُ الْوَجِيزُ / ٣ / ٢٦٧، وَمَا سَلَفَ بَيْنَ حَاصِرَتِينِ مِنْهُ.

(٤) الْعَرْقُ بفتح العين وَسَكُون الراءِ: الْعَظَمُ إِذَا أَخْذَ عَنْهُ مُعْظَمَ الْلَّحْمِ. النَّهَايَةُ: (عَرْق)، وَهَذَا القَوْلُ فِي النَّكْتِ وَالْعَيْنَيْنِ / ٣ / ٦٥.

(٥) النَّكْتِ وَالْعَيْنَيْنِ / ٣ / ٦٥.

تَصِفُونَ<sup>(١)</sup>. قاله ابن عباس<sup>(٢)</sup>، أي: أنتم شر مكاناً ممن نسبتموه إلى هذه السرقة. ومعنى قوله: ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ﴾ أي: الله أعلم أن ما قلتم كذب، وإن كانت لله رضا. وقد قيل: إن إخوة يوسف في ذلك الوقت ما كانوا أنبياء. قوله تعالى: ﴿قَالُوا يَكْأِبُهَا الْعَزِيزُ إِنَّ اللَّهَ أَبْيَا شَيْئًا كَيْرًا فَخَذْ أَحَدَنَا مَكَانَةَ<sup>(٣)</sup>﴾ خاطبوه باسم العزيز؛ إذ كان في تلك اللحظة يعزّل الأول أو موته. وقولهم: ﴿إِنَّ اللَّهَ أَبْيَا شَيْئًا كَيْرًا﴾ أي: كبير القدر، ولم يريدوا كبير السن؛ لأن ذلك معروف من حال الشيخ<sup>(٤)</sup>.

﴿فَخَذْ أَحَدَنَا مَكَانَةَ<sup>(٥)</sup>﴾ أي: عبداً بدأه، وقد قيل: إن هذا مجاز؛ لأنهم يعلمون أنه لا يصح أخذ حر يسترق بدأ من قد أحكمت السنة عندهم رقه، وإنما هذا كما تقول لمن تكره فعله: اقتلني ولا تفعل كذا وكذا، وأنت لا تريده أن يقتلك، ولكنك مبالغ في استنزاليه، ويتحمّل أن يكون قولهم: ﴿فَخَذْ أَحَدَنَا مَكَانَةَ<sup>(٦)</sup>﴾ حقيقة، ويعيد عليهم وهم أنبياء أن يروا استرافق حر، فلم يبق إلا أن يريدوا بذلك طريق الحمالة؛ أي: خذ أحدهنا مكانه حتى ينصرف إليك صاحبك، ومقصدهم بذلك أن يصل بنiamين إلى أبيه، ويعرف يعقوب جلية الأمر، فمنع يوسف عليه السلام من ذلك؛ إذ الحمالة في الحدود ونحوها - بمعنى إحضار المضمون فقط - جائزة مع التراضي، غير لازمة إذا أبى الطالب، وأما الحمالة في مثل هذا على أن يلزم الحمّيل ما كان يلزم المضمون من عقوبة، فلا يجوز إجماعاً. وفي «الواضح»: إن الحمالة في الوجه فقط في جميع الحدود جائزة، إلا في النفس<sup>(٧)</sup>. وجمهور الفقهاء على جواز الكفالة في النفس. واختلف فيها عن الشافعي فمرة ضعفها، ومرة أجازها [على المال]<sup>(٨)</sup>.

(١) المصدر السابق.

(٢) أخرجه الطبرى ٢٧٦/١٣ دون قوله: ثم جهر فقال.

(٣) النكت والعيون ٦٦/٣ .

(٤) المحرر الوجيز ٢٦٨/٣ .

(٥) ينظر الاستذكار ٢٧٧/٢٢ . وما بين حاضرتين منه.

قوله تعالى: «إِنَّا نَرَيْكَ مِنَ الْمُتَعَبِّينَ» يَحْتَمِلُ أَنْ يُرِيدُوا وصْفَهُ بِمَا رَأَوْا مِنْ إِحْسَانِهِ فِي جُمِيعِ أَفْعَالِهِ مَعْهُمْ، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يُرِيدُوا: إِنَّا نَرَى لَكَ إِحْسَانًا عَلَيْنَا فِي هَذِهِ الْيَدِ إِنْ أَسْدَيْتَهَا إِلَيْنَا، وَهَذَا تَأْوِيلُ ابْنِ إِسْحَاقَ<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: «قَالَ مَعَادَ اللَّهُ» مَصْدَرُ «أَنْ تَأْخُذَ» فِي مَوْضِعِ نَصِّبٍ، أَيْ: مِنْ أَنْ نَأْخُذَ «إِلَّا مَنْ وَجَدَنَا» فِي مَوْضِعِ نَصِّبٍ بِـ«نَأْخُذَ» «مَتَعَنَّا عَنْهُ» أَيْ: مَعَادُ اللَّهِ أَنْ نَأْخُذَ الْبَرِّيَّةَ بِالْمُجْرُومِ، وَنُخَالِفُ مَا تَعَاهَدْنَا عَلَيْهِ. «إِنَّا إِذَا لَظَلَمْوْنَا» أَيْ: إِنْ نَأْخُذَ غَيْرَهُ.

قوله تعالى: «فَلَمَّا أَسْتَيْغُوا مِنْهُ خَلَصُوا بِهِيَّا قَالَ كَيْدُهُمْ أَنَّمَّا تَعْلَمُوا أَنْ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَلَيْكُمْ مَوْتِنَا مِنَ اللَّهِ وَمِنْ قَبْلِ مَا فَرَطْتُمْ فَلَنَ أَبْرَأَ الْأَرْضَ حَتَّى يَأْذَنَ لِي أَنِّي أَوْ يَخْكُمُ اللَّهُ لِيٌ وَهُوَ خَيْرُ الْحَكَمِينَ<sup>(٢)</sup>

قوله تعالى: «فَلَمَّا أَسْتَيْغُوا مِنْهُ» أَيْ: يَئْسُوا، مُثُلِّ عَجَبٍ وَاسْتَعْجَبَ، وَسَخَرَ وَاسْتَسْخَرَ. «خَلَصُوا» أَيْ: افْنَدُوا، وَلَيْسُ هُوَ مَعْهُمْ. «بِهِيَّا» نَصِّبُ عَلَى الْحَالِ مِنْ الْمُضَمَّرِ فِي «خَلَصُوا»، وَهُوَ وَاحِدٌ يُؤْدِي عَنِ الْجَمْعِ، كَمَا فِي هَذِهِ الْآيَةِ، وَيَقُولُ عَلَى الْوَاحِدِ كَفْوَلِهِ تَعَالَى: «وَفَرَّتْهُ بِهِيَّا» [مَرِيم: ٥٢] وَجَمِيعُهُ أَنْجِيَةٌ، قَالَ الشَّاعِرُ:

إِنِّي إِذَا مَا الْقَوْمُ كَانُوا أَنْجِيَةً  
وَاضْطَرَبَ الْقَوْمُ اضْطَرَابَ الْأَزْشِيَةِ  
هَنَاكِ أَوْصِينِي وَلَا ثُوْصِي بِيَةً<sup>(٣)</sup>

وَقَرَأَ ابْنُ كَثِيرٍ: «اسْتَيْسُوا»، «وَلَا تَأْيِسُوا»، «إِنَّهُ لَا يَأْيِسُ» [أَفْلَمْ يَأْيِسْ] [الرَّعْد: ٣١] بِأَلْفِيْنِ مِنْ غَيْرِ هَمْزٍ عَلَى الْقَلْبِ<sup>(٤)</sup>، قُدِّمَتْ الْهَمْزَةُ وَأَخْرَتْ الْيَاءُ، ثُمَّ قُلِّبَتْ

(١) المحرر الوجيز ٣/٢٦٩.

(٢) الرجز نسبة في اللسان: (نجا) إلى سُحِيم بن زَيْل الْيَرْبُوعِيِّ، وَذَكَرَ أَنْ هَنَاكِ بِكَسْرِ الْكَافِ بِخَطِّ عَلِيِّ بْنِ حَمْزَةَ، وَبِخَطِّهِ أَيْضًا: أَوْصِينِي وَلَا تُوْصِي، بِإِثْبَاتِ الْيَاءِ؛ لَأَنَّهُ يَخْاطِبُ مَوْتَنَا. وَهِيَ فِي مَعْنَى الْقُرْآنِ لِلزَّاجَاجِ ٣/١٢٤ مِنْ غَيْرِ نَسْبَةٍ. وَالْأَرْشِيَّةُ، جَمِيعُ رِشَاءِهِ: هُوَ الْحِلْلُ. الْقَامُوسُ (رِشَا). وَقَلِيلٌ فِي مَعْنَى الرجز: إِنَّهُ ضَرِبَهُ مَثَلًا لِتَرْوِيلِ الْأَمْرِ الْمُهْمَمِ، وَقَلِيلٌ غَيْرُ ذَلِكَ، اللَّسَانُ (نجا).

(٣) هي قراءة ابن كثير في رواية البزي بخلاف عنده، وكذلك قول: «استاييس» [الأية: ١١٠] والوجه الثاني للبزي كالجماعية. السبعه ص ٣٥ ، والتيسير ص ١٢٩ .

الهمزة ألفاً؛ لأنها ساكنة قبلها فتحة، والأصل قراءة الجماعة؛ لأنَّ المصدر ما جاء إلا على تقديم الياء: يأساً، والإياسُ ليس بمصدر أيسَ، بل هو مصدر أشتُهُ أو سأَ وإياسًا، أي: أعطيته<sup>(١)</sup>. وقال قوم: أيسَ ويتَشَ لغتان.

أي: فلما يتَشُوا من رَدِّ أخيهم إليهم تشاوروا فيما بينهم لا يُخالِطُهم غيرُهم من الناس، يتَناجُون فيما عَرَضَ لهم. والنَّجِيُّ: فعلٌ بمعنى المُناجي.

قوله تعالى: ﴿قَالَ كَبِيرُهُمْ﴾ قال قتادة: هو روبيل، كان أكبرَهم في السنّ. مجاهد: هو شمعون، كان أكبرَهم في الرأي. وقال الكلبيُّ: يهودا، وكان أعلمُهم<sup>(٢)</sup>. وقال محمد بنُ كعب وابنُ إسحاق: هو لاوي، وهو أبو الأنبياء.

﴿أَلَمْ تَعْلَمُوا أَنَّ أَبَاكُمْ قَدْ أَخَذَ عَيْنَكُمْ مَوْقِنًا مِنَ اللَّهِ﴾ أي: عهداً من الله في حفظ ابنه ورده إليه. ﴿وَمِنْ قَبْلِ مَا فَرَطْتُمْ فِي يُوسُفَ﴾ «ما» في محل نصب عطفاً على «أنَّ» والمعنى: ألم تعلموا أنَّ أباكم قد أخذ عليكم موئلاً من الله، وتعلموا تفريطكم في يوسف، ذكره النَّحَاسُ<sup>(٣)</sup> وغيرُه. «من» في قوله: ﴿وَمِنْ قَبْلِ﴾ متعلقة بـ«تعلموا». ويجوز أن تكون «ما» زائدة، فيتعلق الظرفان اللذان هما «من قبل» و«في يوسف» بالفعل وهو «فرَطْمُ». ويجوز أن تكون «ما» والفعل مصدرًا، و«من قبل» متعلقاً بفعل مضمر، التقدير: تفريطكم في يوسف وقع<sup>(٤)</sup> من قبل، فـ«ما» والفعل في موضع رفع بالابتداء، والخبرُ هو الفعل المضمر الذي يتعلق به «من قبل»<sup>(٥)</sup>.

﴿فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ﴾<sup>(٦)</sup> أي: أزلَمُها، ولا أبرُّ مقيماً فيها، يقال: بَرَحَ بَرَاحاً

(١) الحجة للفارسي . ٤٣٤/٤

(٢) النكت والعيون ٦٧/٣ ، وتفسير البغوي ٤٤٢/٢ .

(٣) إعراب القرآن ٢/٣٤١ .

(٤) في النسخ: واقع، وكلامها صحيح، والمثبت أنسٌ لسياق الكلام. ينظر الدر المصنون ٦/٥٣٩ .

(٥) ينظر إعراب القرآن للنحاس ٢/٣٤٠ - ٣٤١ ، ومعاني القرآن للزجاج ٣/١٢٤ - ١٢٥ .

(٦) بعدها في (ظ): أي من الأرض.

وَيُرْوَحَا، أي: زال، فإذا دخل النفي صار مثبتاً. **﴿حَتَّىٰ يَأْذَنَ لِي أَنِ﴾** بالرجوع؛ فلاني أستحي منه. **﴿وَأَوْ يَخْكُمُ اللَّهُ لِي﴾** بالمسير<sup>(١)</sup> مع أخي فامضي معه إلى أبي. وقيل: المعنى: أو يحكم الله لي بالسيف فأحارب وأخذ أخي، أو أعجز فأنصرف بعذر، وذلك أنَّ يعقوب قال: **﴿لَئَنِّي بِهِ إِلَّا أَنْ يَجْعَلَ يَكْمُ﴾** ومن حارب وعجز فقد أحبط به. قال ابن عباس: وكان يهودا إذا غضب وأخذ السيف فلا يردد وجهه مئة ألف، يقوم شعره في صدره مثل المسال فتنفذ من ثيابه.

وجاء في الخبر: أنَّ يهودا قال لإخوته - وكان أشدُّهم غضباً -: إما أن تكفواني الملك ومن معه، أكفيكم أهل مصر، وإما أن تكفواني أهل مصر، أكفيكم الملك ومن معه، قالوا: بل أكفنا الملك ومن معه، نكفيك أهل مصر، فبعث واحداً من إخوته فعدوا أسواق مصر، فوجدوا فيها تسعَةً أسوقاً، فأخذَ كلُّ واحدٍ منهم سوقاً، ثم إنَّ يهودا دخل على يوسف وقال: أُلْيَا الملك، لعن لم تُخلِّ معنا أخانا لا صيحة لا تبقى في مديتها حامل<sup>(٢)</sup> إلا أسقطت ما في بطنه؛ وكان ذلك خاصاً<sup>(٣)</sup> فيهم عند الغضب؛ فأغضبه يوسف وأسمعه كلمة، فغضب يهودا واشتدَّ غضبه، وانفتحت شعراته؛ وكذا كان كلُّ واحدٍ من بني يعقوب؛ كان إذا غضب، اقشعرَ جلدُه، وانتفخ جسده، وظهرت شعراتُ ظهره من تحت الثوب، حتى تقطر من كلُّ شعرة قطرة دم؛ وإذا ضرب الأرض برجله، تزلزلت وتهدم البنيان، وإن صاح صيحة، لم تسمعه حاملٌ من النساء والبهائم والطير إلا وضع ما في بطنه، تماماً أو غير تمام، فلا يهدأ غضبه إلا أن يسفك دماً، أو تمسيكه يدُّ من نسل يعقوب؛ فلما علم يوسف أنَّ عَصَبَ أخيه يهودا قد تمَّ وكمُّ، كَلَّمَ ولدَاه صغيراً بالقبطية، وأمرَه أن يضع يده بين كَيْفَيَّي يهودا مِن حيث لا يراه؛ ففعَّلَ، فسكن غضبه، وألقى السيف، فالتفت يميناً

(١) في (د) و(م): بالمسير.

(٢) في (م): حاملاً.

(٣) في (م): خاصة.

وَشَمَالًا لَعِلَه يَرَى أَحَدًا مِنْ إِخْرُوْتِه، فَلَمْ يَرَهُ؛ فَخَرَجَ مُسْرِعًا إِلَى إِخْرُوْتِه وَقَالَ: هَلْ حَضَرْنِي مِنْكُمْ أَحَدٌ؟ قَالُوا: لَا! قَالَ: فَأَيْنَ ذَهَبَ شَمْعُونَ؟ قَالُوا: ذَهَبَ إِلَى الْجَبَلِ، فَخَرَجَ فَلَقِيَهُ وَقَدْ احْتَمَلَ صَخْرَةً عَظِيمَةً، قَالَ: مَا تَصْنَعُ بِهَذِهِ؟ قَالَ: أَذْهَبَ إِلَى السُّوقِ الَّذِي وَقَعَ فِي نَصِيبِي أَشَدُخَ بِهَا رَؤُوسَ كُلِّ مَنْ فِيهِ، قَالَ: فَارْجِعْ فَرْدَهَا، أَوْ أَلْقِهَا فِي الْبَحْرِ، وَلَا تُحَدِّثْنِ حَدَثًا، فَوَالَّذِي اتَّخَذَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلًا، لَقَدْ مَسَّنِي كَفَّ مِنْ تَسْلِيْعَ يَعْقُوبَ! ثُمَّ دَخَلُوا عَلَى يَوْسُوفَ، وَكَانَ يَوْسُوفُ أَشَدُهُمْ بَطْشًا، فَقَالَ: يَا مَعْشَرَ الْعَبْرَانِيْنَ! أَتَظَنُونَ أَنَّهُ لَيْسَ أَحَدًا أَشَدَّ مِنْكُمْ قُوَّةً؟ ثُمَّ عَمَدَ إِلَى حَجَرٍ عَظِيمٍ مِنْ حَجَارَةِ الطَّاحُونَةِ، فَرَكَّلَهُ بِرِجْلِهِ، فَدَحَا بِهِ مِنْ خَلْفِ الْجَدَارِ - الرَّكْلُ: الضرب بالرجل الواحدة، وقد رَكَّلَهُ يَرْكُلُهُ؛ قَالَهُ الْجَوْهَرِيُّ<sup>(١)</sup> - ثُمَّ أَمْسَكَ يَهُودًا بِإِدِيْهِ، فَصَرَعَهُ لِجَنْبِهِ، وَقَالَ: هَاتِ الْحَدَادِيْنَ<sup>(٢)</sup> أَقْطِعْ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجَلَهُمْ، وَأَضْرِبْ أَعْنَاقَهُمْ، ثُمَّ صَدَعَ عَلَى سَرِيرِهِ، وَجَلَسَ عَلَى فَرَاشِهِ، وَأَمْرَ بِصُوْاعِهِ، فَوُضِعَ بَيْنَ يَدِيْهِ، ثُمَّ نَقَرَهُ نَقْرَةً، فَخَرَجَ طَنِينَ، فَالْتَّفَتَ إِلَيْهِمْ وَقَالَ: أَتَرْدُونَ مَا يَقُولُ؟ قَالُوا: لَا! قَالَ: إِنَّهُ يَقُولُ: إِنَّهُ لَيْسَ عَلَى قَلْبِ أَبِي هُؤُلَاءِ هُمْ وَلَا غَمْ وَلَا كَرْبٌ إِلَّا بِسَبِيلِهِمْ، ثُمَّ نَقَرَ نَقْرَةً ثَانِيَةً وَقَالَ: إِنَّهُ يُخَبِّرُنِي أَنَّ هُؤُلَاءِ أَخْذُوا أَخَا لَهُمْ صَغِيرًا، فَحَسَدُوهُ وَنَزَعُوهُ مِنْ أَبِيهِمْ، ثُمَّ أَتَلْفُوهُ. فَقَالُوا: أَيُّهَا الْعَزِيزُ! اسْتَرْ عَلَيْنَا، سَرَّ اللَّهُ عَلَيْكَ، وَامْتُنْ عَلَيْنَا، مَنْ سَرَّ اللَّهُ عَلَيْكَ، فَنَقَرَهُ نَقْرَةً ثَالِثَةً وَقَالَ: إِنَّهُ يَقُولُ: إِنَّ هُؤُلَاءِ طَرَحُوا صَغِيرَهُمْ فِي الْجُبْ، ثُمَّ بَاعُوهُ بَيْعَ الْعَبْدِ بِشَمْنَ بَخْسِينَ، وَزَعَمُوا لِأَبِيهِمْ أَنَّ الذَّئْبَ أَكَلَهُ، ثُمَّ نَقَرَهُ رَابِعَةً وَقَالَ: إِنَّهُ يُخَبِّرُنِي أَنَّكُمْ أَذَنْتُمْ ذَئْبًا مِنْذِ ثَمَانِيْنَ سَنَةً، لَمْ تَسْتَغْفِرُوا اللَّهَ مِنْهُ، وَلَمْ تَتَوَبُوا إِلَيْهِ، ثُمَّ نَقَرَهُ خَامِسَةً وَقَالَ: إِنَّهُ يَقُولُ: إِنَّ أَخَاهُمُ الَّذِي زَعَمُوا أَنَّهُ هَلَكَ لَنْ تَذَهَّبَ الْأَيَّامُ حَتَّى يَرْجِعَ فِي خَبَرِ النَّاسِ بِمَا صَنَعُوا، ثُمَّ نَقَرَهُ سَادِسَةً وَقَالَ: إِنَّهُ يَقُولُ: لَوْ كَتَمْ أَنْبِيَاءَ أَوْ بَنِي أَنْبِيَاءَ، مَا كَذَبْتُمْ، وَلَا عَقَّفْتُمْ وَالَّذِكْمُ، لَأَجْعَلَنَّكُمْ نَكَالًا لِلْعَالَمِيْنَ، اِيْتُونِي بِالْحَدَادِيْنَ<sup>(٣)</sup> أَقْطَعْ

(١) قوله: الركل الضرب، إلى هذا الموضع، ليس في (ظ)، وينظر الصاحب (ركل).

(٢) في (د): الجدادين، وفي (ظ): الجنادين.

(٣) في (ظ): بالجنادين.

أيديهم وأرجلهم، فتضرّعوا وبيكزا، وأظهروا التوبة وقالوا: لو قد أصينا أخانا يوسف إذ هو حي لنكونَ طوع يده، وتراباً يطأ علينا برجله؛ فلما رأى ذلك يوسف مِن إخوته، بكى، وقال لهم: اخرجوه عنّي، قد خلّيت سبّلَكم إكراماً لأبيكم، ولو لا هو لجعلتُكم نكالاً<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: ﴿أَرْجِعُوا إِلَّا إِيْكُمْ فَقُولُوا يَتَأَبَّلًا إِنْ أَبْنَكَ سَرَقَ وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا  
بِمَا عَلِمْنَا وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَفِظِينَ﴾ ﴿٦١﴾

قوله تعالى: ﴿أَرْجِعُوا إِلَّا إِيْكُمْ﴾ قاله الذي قال: «فلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ». ﴿فَقُولُوا  
يَتَأَبَّلًا إِنْ أَبْنَكَ سَرَقَ﴾ وقرأ ابن عباس والضحاك وأبو رزين: «إِنْ أَبْنَكَ سُرَقَ»<sup>(٢)</sup>.  
النحاس<sup>(٣)</sup>: وحدثني محمد بنُ أحمد بنِ عمر قال: حدثنا ابنُ شاذان، قال: حدثنا  
أحمدُ بنُ أبي سُرِيع البغداديُّ قال: سمعتُ الكسائيَّ يقرأ: «يَا أَبَانَا إِنْ أَبْنَكَ سُرَقَ»  
بضمِّ السينِ وتشديدِ الراءِ مكسورةً؛ على ما لم يُسمَّ فاعله؛ أي: نُسب إلى السرقة  
وُرمي بها، مثل خُونته وفُسقته وفُجرته: إذا نسبته إلى هذه العخلاء.

وقال الزجاج<sup>(٤)</sup>: «سُرَقَ» يحتمل معنيين: أحدهما: عُلم منه السرقة، والآخر:  
أُتهم بالسرقة. قال الجوهري<sup>(٥)</sup>: والسَّرِقُ والسَّرِقَةُ - بكسر الراء فيهما - هو اسم الشيء  
المسروق، والمصدر: سَرَقَ يَسْرِقُ سَرَقاً، بالفتح.

(١) أخرجه بنحوه الطبرى في التفسير /١٣ - ٢٧٧ - ٣٥٦ ، وفي تاريخه ٣٥٥/١ - ٣٥٦ ، وابن أبي حاتم في التفسير ٢١٧٩ (١١٨٣٨)، عن السُّنْدِيِّ، وينظر تفسير أبي الليث ١٧٢/٢ ، وعرائض المجالس للشعلبي ص ١٣٥ - ١٣٦ ، والنكت والعيون ٦٥/٣ - ٦٦ ، وتفسير البغوى ٤٤١/٢ - ٤٤٢ ، وزاد المسير ٤/٤ - ٢٦٤ - ٢٦٥ ، وجاء في المصادر أن الدليل على الملك هو رويل، وليس بهذا.

(٢) تفسير البغوى ٤٤٣/٢ ، والمحرر الوجيز ٢٧٠/٣ .

(٣) معاني القرآن ٤٤٢/٤ ، وإعراب القرآن ٢/٣ . ٣٤١ .

(٤) في معاني القرآن ٣/١٢٥ .

(٥) في الصحاح (سرق).

قوله تعالى: **﴿وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا﴾**.

فيه أربع مسائل:

**الأولى:** قوله تعالى: **﴿وَمَا شَهِدْنَا إِلَّا بِمَا عَلِمْنَا﴾** يريدون ما شهدنا قطًّا إلا بما علمنا، وأما الآن فقد شهدنا بالظاهر وما نعلم الغيب؛ كأنهم وقعت لهم ثمة من قول بنiamين: دَسَّ هذا في رحلي مَن دَسَّ بضاعتك في رحالكم؛ قال معناه ابن إسحاق.

وقيل: المعنى: ما شهدنا عند يوسف بأنَّ السارق يُسترُّقُ إلا بما علمنا من دينك؛ قاله ابن زيد<sup>(١)</sup>.

**﴿وَمَا كُنَّا لِلْغَيْبِ حَفِظِينَ﴾** أي: لم نعلم وقت أخذناه منك أنه يسرق، فلا نأخذه<sup>(٢)</sup>. وقال مجاهد وقتادة: ما كُنَّا نعلم أنَّ ابنيك يُسترقُ ويصير أمرُنا إلى هذا، وإنما قلنا: نَحْفَظُ أخانا فيما نُطِيق<sup>(٣)</sup>. وقال ابن عباس: يعنيون أنه سرق ليلاً وهم نائم. والغيب هو الليل بلغة حمير<sup>(٤)</sup>؛ وعنه: ما كُنَّا نعلم ما يصنع في ليله ونهاره وذهابه وإيابه<sup>(٥)</sup>. وقيل: ما دام بمرأى منا، لم يجرِ خللٌ، فلما غاب عنَّا خفيت عنَّا حالاته. وقيل معناه: قد أخذت السرقة من رَحْلِه، ونحن آخر جنها وننظر إليها، ولا علَمْ لنا بالغيب، فلعلهم سرقوه ولم يسرق.

**الثانية:** تضمَّنت هذه الآية جواز الشهادة بأيٍّ وجه حصل العِلمُ بها؛ فإنَّ الشهادة مرتبطة بالعلم عقلاً وشرعاً، فلا تُسمَع إلا ممَّن علِمَ، ولا تُقبل إلا منهم<sup>(٦)</sup>، وهذا هو الأصلُ في الشهادات؛ ولهذا قال أصحابنا: شهادة الأعمى جائزةٌ، وشهادة المستمع جائزةٌ، وشهادة الآخرين - إذا فهمت إشارته - جائزةٌ، وكذلك الشهادة على الخطأ

(١) ذكر خبر ابن زيد الماوردي في النكت والعيون ٦٨/٣ ، وأخرجه بنحوه الطبرى ٢٨٨/١٤ - ٢٨٩ .

(٢) ينظر الوسيط ١٧٣/٢ .

(٣) أخرجه عنهما الطبرى في التفسير ٢٨٩/١٤ - ٢٩٠ .

(٤) تفسير الطبرى ٢٩٠/١٤ .

(٥) ذكره الواحدى في الوسيط ٦٢٦/٢ ، والبغوى ٤٤٣/٢ .

(٦) أحكام القرآن لابن العربي ١٠٩٠/٣ .

- إذا تيقن أنه خطأ أو خطأ فلان - صحيحة، فكل من حصل له العلم بشيء جاز أن يشهد به وإن لم يشهده المشهود عليه؛ قال الله تعالى: ﴿إِلَّا مَنْ شَهَدَ بِالْحَقِّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [الزخرف: ٨٦] وقال رسول الله ﷺ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِخَيْرِ الشَّهَادَةِ، خَيْرُ الشَّهَادَةِ الَّذِي يَأْتِي بِشَهَادَتِهِ قَبْلَ أَنْ يُسْأَلُوهَا» وقد مضى في «البقرة»<sup>(١)</sup>.

الثالثة: اختلف قول مالك في شهادة المرور، وهو أن يقول: مررت بفلان فسمعته يقول كذا، فإن استوعب القول شهداً، في أحد قوله، وفي القول الآخر: لا يشهد حتى يشهداه. وال الصحيح أداء الشهادة عند الاستيعاب، وبه قال جماعة العلماء، وهو الحق؛ لأنَّه قد حصل المطلوب، وتعين عليه أداء العلم؛ فكان خير الشهداء إذا أعلم المشهود له، وشر الشهداء إذا كتمها، والله أعلم<sup>(٢)</sup>.

الرابعة: إذا أدعى رجل شهادة لا يحتملها عمره، ردَّت؛ لأنَّه أدعى باطلًا، فأكذبه العيان ظاهراً<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَسَلَّلَ الْقَرِيَّةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَأَعْبَرَ الَّتِي أَبْلَغْنَا فِيهَا وَإِنَا لَصَدِقُونَ﴾

فيه مسألتان:

الأولى: قوله تعالى: ﴿وَسَلَّلَ الْقَرِيَّةَ الَّتِي كُنَّا فِيهَا وَأَعْبَرَ﴾ حَقَّقوا بها شهادتهم عنده، ورَفَعوا التهمة عن أنفسهم؛ لثلا يتهمهم. فقولهم: «وَاسْأَلُ الْقَرِيَّةَ» أي: أهلها؛ فحذف. ويريدون بالقرية مصر<sup>(٤)</sup>. وقيل: قريةٌ من قراها نزلوا بها وامтарوا منها. وقيل: المعنى: «وَاسْأَلُ الْقَرِيَّةَ» وإن كانت جماداً، فأنت نبي الله، وهو يُنطق الجمام لك، وعلى هذا فلا حاجة إلى إضماري<sup>(٥)</sup>. قال سيبويه: ولا يجوز كلام هنداً، وأنت

(١) ٤٥٤ / ٤ وما بعدها، وسلف تحرير الحديث هناك.

(٢) أحكام القرآن لابن العربي ١٠٩٠ / ٣ .

(٣) المصدر السابق.

(٤) تفسير الطبرى ١٤ / ٢٩١ وأخرجه عن قتادة وابن عباس رضي الله عنهما.

(٥) ينظر النكت والعيون ٦٨ / ٣ ، والمحرر الوجيز ٢٧١ / ٣ ، وزاد المسير ٤ / ٢٦٨ .

تريد غلام هندي؛ لأنَّ هذا يُشكِّل<sup>(١)</sup>.

والقول في العبر كالقول في القرية سواء. **﴿وَإِنَّا لَصَدِيقُونَ﴾** في قولنا.

الثانية: في هذه الآية من الفقه أنَّ كُلَّ مَنْ كان على حُقُّ وعِلْمٍ أَنَّه قد يُظْنَ به أَنَّه على خلافي ما هو عليه، أو يُشَوَّهُمْ، أَنْ يرفعَ التُّهمَةَ وكلَّ رِبْيَةَ عن نفسه، ويُصرَّح بالحقِّ الذي هو عليه، حتى لا يبقى لأحدٍ مُتَكَلِّمٌ. وقد فعل هذا نَبِيُّنَا مُحَمَّدًا بقوله للرجلين اللذين مَرَا، وهو قد خرج مع صَفَيَّةَ يَقْلِبُهَا مِنَ الْمَسْجِدِ: «عَلَى رِسْلِكُمَا إِنَّمَا هِيَ صَفَيَّةُ بَنْتُ حُبَيْبَ» فَقَالَا: سَبَحَانَ اللَّهِ وَكَبَرُ عَلَيْهِمَا، فَقَالَ النَّبِيُّ **ﷺ**: «إِنَّ الشَّيْطَانَ يَبْلُغُ مِنَ الْإِنْسَانِ مَمْلَأَ الدَّمِ، وَإِنِّي خَشِيتُ أَنْ يَقْذِفَ فِي قَلْوَبِكُمَا شَيْئًا» رواه البخاري ومسلم<sup>(٢)</sup>:

قوله تعالى: **﴿فَقَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ أَنْرَأَ فَصَبَرْ جَيْلٌ عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَنِي بِهِمْ جَيْمًا إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ ﴾**

فيه مسائلان:

الأولى: قوله تعالى: **﴿فَقَالَ بَلْ سَوَّلَتْ﴾** أي: زَيَّنَتْ **﴿لَكُمْ أَنْفُسُكُمْ﴾** أَنَّ ابْنِي سَرَقَ، وما سَرَقَ، وَإِنَّمَا ذَلِكَ لِأَمْرِ يَرِيدُهُ اللَّهُ **﴿فَصَبَرْ جَيْلٌ﴾** أي: فَشَانِي صَبَرْ جَيْلٌ، أو صَبَرْ جَيْلٌ أَوْلَى بِي، على ما تقدَّمَ أَوَّلَ السُّورَةِ<sup>(٣)</sup>.

الثانية: الواجب على كُلِّ مُسْلِمٍ إِذَا أُصِيبَ بِمُكْرَرَهِ فِي نَفْسِهِ أَوْ وَلَدِهِ أَوْ مَالِهِ أَنْ يَتَلَقَّى ذَلِكَ بِالصَّبَرِ الْجَمِيلِ، وَالرَّضَا وَالتَّسْلِيمُ لِمُجْرِيهِ عَلَيْهِ وَهُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ، وَيَقْتَدِي بِنَبِيِّ اللَّهِ يَعْقُوبَ وَسَائِرِ النَّبِيِّينَ، صَلَوَاتُ اللَّهِ عَلَيْهِمْ أَجْمَعِينَ.

(١) إعراب القرآن للنحاس . ٣٤١/٢

(٢) صحيح البخاري (٢٠٣٥)، وصحيح مسلم (٢١٧٥) من حديث صَفَيَّةَ رضي الله عنها. ويقتبها، أي: يصحبها إلى بيتها. النهاية (قلب).

(٣) عند الآية (١٨).

وقال سعيدُ بْنُ أَبِي عَرْوِيْهِ، عَنْ فَتَادَةَ، عَنْ الْحَسَنِ قَالَ: مَا مِنْ جَرْعَتِينَ يَتَجَرَّعُهُمَا  
الْعَبْدُ أَحَبُّ إِلَى اللَّهِ مِنْ جَرْعَةٍ مُصِبَّيْهَا الْعَبْدُ بِحُسْنٍ صَبِّرْ وَحُسْنٍ عَزَاءَ، وَجَرْعَةٍ  
غَيْظٍ يَتَجَرَّعُهُا الْعَبْدُ بِحَلْمٍ وَغَفْرَانِ<sup>(١)</sup>.

وقال ابنُ جُرِيجَ عنْ مجاهِدِ فِي قَوْلِهِ تَعَالَى: «فَصَبِّرْ جَمِيلٌ» أَيْ: لَا أَشْكُو ذَلِكَ  
إِلَى أَحَدٍ.

وَرَوَى مُقَاتِلُ بْنُ سَلِيمَانَ، عَنْ عَطَاءَ بْنِ أَبِي رَبَاحٍ، عَنْ أَبِي هَرِيرَةَ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ  
قَالَ: «مَنْ بَثَّ، لَمْ يَضِّرِّ»<sup>(٢)</sup>. وَقَدْ تَقَدَّمَ فِي «الْبَقْرَةِ»<sup>(٣)</sup> أَنَّ الصَّبَرَ عِنْدَ أَوَّلِ  
الصَّدَمَةِ، وَثَوَابُ مَنْ ذَكَرَ مَصِبَّتِهِ وَاسْتَرْجَعَ إِنْ تَقَادَمَ عَهْدُهُمَا.

وَقَالَ جُوَيْرَةُ، عَنِ الصَّحَّاحَ، عَنْ أَبْنِ عَبَّاسٍ، قَالَ: إِنَّ يَعْقُوبَ أَعْطَى عَلَى يُوسُفَ  
أَجْرَ مِثْلَ شَهِيدٍ<sup>(٤)</sup>. وَكَذَلِكَ مَنْ اخْتَسَبَ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ فِي مَصِبَّتِهِ، فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ يَعْقُوبَ  
عَلَيْهِ السَّلَامُ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: «عَسَى اللَّهُ أَنْ يَأْتِيَقِي بِهِمْ جَمِيعًا» لِأَنَّهُ كَانَ عِنْدَهُ أَنَّ يُوسُفَ لَمْ  
يَمُثُّلْ، وَإِنَّمَا غَابَ عَنْهُ خَبْرُهُ؛ لِأَنَّ يُوسُفَ حُمِّلَ وَهُوَ عَبْدٌ لَا يَمْلُكُ لِنَفْسِهِ شَيْئًا، ثُمَّ  
اشْتَرَاهُ الْمَلْكُ، فَكَانَ فِي دَارِهِ لَا يَظْهُرُ لِلنَّاسِ، ثُمَّ حُسِّنَ، فَلَمَّا تَمَكَّنَ، احْتَالَ فِي أَنَّ  
يَعْلَمُ أَبُوهُ خَبْرَهُ؛ وَلَمْ يُوجِّهْ بِرِسُولٍ؛ لِأَنَّهُ كَرِهَ مِنْ إِخْرَوْهُ أَنْ يَعْرُفُوا ذَلِكَ، فَلَا يَدْعُونَ  
الرَّسُولَ يَصْلُ إِلَيْهِ.

وَقَالَ: «بِهِمْ» لِأَنَّهُمْ ثَلَاثَةٌ؛ يُوسُفُ وَأَخْوَهُ، وَالْمُتَخَلِّفُ مِنْ أَجْلِ أَخْيَهِ<sup>(٥)</sup>، وَهُوَ

(١) أَخْرَجَهُ أَبْنُ الْمَبَارِكِ فِي الزَّهْدِ (٦٧٢)، وَابْنُ أَبِي شِيهَةَ (١٣/٢٥١) عَنْ الْحَسَنِ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ مَرْسَلاً.

(٢) أَخْرَجَهُ عَبْدُ الرَّزَاقِ فِي التَّفْسِيرِ (١/٣٢٧ - ٣٢٨)، وَالْطَّبَرِيُّ فِي التَّفْسِيرِ (١٣/٣١٣) مِنْ حَدِيثِ مُسْلِمَ بْنِ يَسَارٍ رَفِعَهُ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ. وَهُوَ مَرْسَلٌ.

(٣) (٢/١٧٤) وَمَا بَعْدُهَا.

(٤) لَمْ تَنْقُفْ عَلَيْهِ مِنْ قَوْلِ أَبْنِ عَبَّاسٍ، وَأَخْرَجَهُ الطَّبَرِيُّ فِي التَّفْسِيرِ (١٣/٣٠٩)، وَابْنُ أَبِي حَاتَمٍ (٧/٢١٨٦) عَنْ لَيْثِ بْنِ أَبِي سَلِيمٍ.

(٥) إِعْرَابُ الْقُرْآنِ لِلْنَّحَاسِ (٢/٣٤٢).

السائل: «فَلَنْ أَبْرَحَ الْأَرْضَ». **﴿إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ﴾** بحالٍ. **﴿الْحَكِيمُ﴾** فيما يقضي.  
قوله تعالى: **﴿وَتَوَلَّ عَنْهُمْ وَقَالَ يَتَسَفَّنَ عَلَى يُوسُفَ وَأَيَّضَتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْحُرْزِنِ فَهُوَ كَظِيمٌ ﴾**

فيه ثلاثة مسائل:

الأولى: قوله تعالى: **﴿وَتَوَلَّ عَنْهُمْ﴾** أي: أغرض عنهم؛ وذلك لأنَّ يعقوب لَمَّا بلغه خبرُ بنيامين تَنَّا حزنه، وبلغَ جهده، وجاءَ الله مصيبةٌ له في يوسف، فقال: **﴿يَتَسَفَّنَ عَلَى يُوسُفَ﴾** ونسى ابنه بنيامين فلم يذكره؛ عن ابن عباس<sup>(١)</sup>. وقال سعيد بن جُبَير: لم يكن عندَ يعقوب ما في كتابنا من الاسترجاع، ولو كان عنده لما قال: «يَا أَسْفًا عَلَى يُوسُفَ»<sup>(٢)</sup>.

قال قَتَادَةُ وَالْحَسْنُ: والمعنى: يا حزناه<sup>(٣)</sup>! . وقال مجاهدُ وَالضَّحَّاكُ: يا حَزَّـعاً<sup>(٤)</sup>! ؛ قال كثيرون:

فيما أَسْفًا لِلْقَلْبِ كَيْفَ اِنْصَارَفَهُ      وَلِلشَّفْسِ لِمَا شَلَّيْتُ فَتَسَلَّتِ<sup>(٥)</sup>  
وَالْأَسْفُ: شَدَّةُ الْحُزْنِ عَلَى مَا فَاتَ . وَالنَّدَاءُ عَلَى مَعْنَى: تَعَالَ يا أَسْفَ فَلَأَنَّهُ مِنْ أَوْقَاتِكِ<sup>(٦)</sup> . وقال الزجاج<sup>(٧)</sup>: الأصل: يا أَسْفِي؛ فَأَبْدَلَ مِنَ الْيَاءِ أَلْفَتْ؛ لِخَفَّةِ الْفُتْحَةِ.

(١) الوسيط ٦٢٧ ، وأخرجه الطبرى ٢٩٣ / ١٣ عن ابن إسحاق.

(٢) تفسير أبي الليث ١٧٣ / ٢ ، وأخرجه عبد الرزاق في التفسير ٣٢٧ / ٢ ، والطبرى ٢٩٥ / ١٣ ، بمحروم.

(٣) أخرجه عبد الرزاق في التفسير ١ / ٣٢٧ ، والطبرى ٢٩٤ / ١٣ عن قتادة، ولم نقف عليه من قول الحسن.

(٤) أخرجه عن مجاهد الطبرى ٢٩٤ / ١٣ . وأخرج قول الضحاك بلفظ: يا حَزَّـعاً.

(٥) النكت والعيون ٦٩ / ٣ ، وهو في الديوان من ٧٧ برواية:

فَلَمْ سَأَلْ الْوَاشِونَ فِيمَ صَرَّمْتَهَا      فَقُلْ نَفْسُ حَرْ شَلَّيْتُ فَتَسَلَّتِ

(٦) ينظر المحرر الوجيز ٢٧٢ / ٣ ، وتفسير الرازي ١٩٥ / ١٨ .

(٧) في معاني القرآن ١٢٥ / ٣ .

﴿وَأَيْضَتْ عَيْنَاهُ مِنْ الْحُزْنِ﴾ قيل: لم يُبصِّر بهما سَنَتَينِ، وَأَنَّهُ غَمِيَّ؛ قاله مقاتل<sup>(١)</sup>.

وقيل: قد تبيَّضَ العينُ ويَبْقَى شَيْءٌ مِّن الرؤْيَا، والله أعلم بحالِ يعقوبَ، وإنما أَيْضَتْ عَيْنَاهُ مِنَ الْبَكَاءِ، ولَكُنَّ سَبَبَ البَكَاءِ الْحُزْنُ، فلهذا قال: «مِنَ الْحُزْنِ».

وقيل: إنَّ يعقوبَ كان يُصلِّي، ويُوسفَ نائماً مُعْتَرِضاً بين يديه، فَغَطَّ في نومه، فالتفتَ يعقوبُ إليه، ثم غَطَّ ثانيةً، فالتفتَ إليه، ثم غَطَّ ثالثةً، فالتفتَ إليه، سروراً به وبخطيبِه؛ فأوحى اللهُ تعالى إلى ملائكته: انظروا إلى صَفَّيٍّ وابنِ خليليٍّ، قائماً في مناجاتي، يلتفتُ إلى غيريٍّ، ويعزِّتي وجَلَّ لي! لأنزعَنَّ الحدقيَّتين اللتين التفتَ بهما، ولا فرقَ بينه وبينَ مَن التفتَ إليه ثمانينَ سنةً؛ لِيعلم العاملونَ أنَّ مَن قامَ بينَ يديَّ يَجُبُ عليه مراقبةً نظرِي.

الثانية: هذا يدلُّ على أنَّ الالتفاتَ في الصلاة - وإن لم يُبطل - يدلُّ على العقوبة عليها، والنقصُ فيها، وقد روى البخاري<sup>(٢)</sup> عن عائشةَ قالت: سألتُ رسولَ الله ﷺ عن الالتفاتِ في الصلاة فقال: «هو اختلاسٌ يختلسه الشيطان من صلاة العبد» وسيأتي ما للعلماء في هذا، في أول سورة «المؤمنون» موعباً إن شاء الله تعالى.

الثالثة: قال النَّحَاسُ<sup>(٣)</sup>: فإنْ سأَلَ قومٌ عن معنى شَدَّةِ حُزْنِ يعقوبَ - صَلَّى اللهُ عليه وسلم وعلَى نَبِيِّنا - فللعلماء في هذا ثلاثة أجوبة: منها: أنَّ يعقوبَ ﷺ لما عَلِمَ أنَّ يُوسفَ ﷺ حَيٌّ خافَ على دِينِه، فاشتَدَّ حُزْنه لذلك.

وقيل: إنَّما حَزَنَ؛ لأنَّه سَلَّمَ إِلَيْهِمْ صغيراً، فَنَدِمَ على ذلك.

(١) الوسيط ٦٢٧/٢ ، وتفسير البغوي ٤٤٤/٢ ، وتفسير الرازى ١٩٥/١٨ .

(٢) في صحيحه (٧٥١).

(٣) في إعراب القرآن ٣٤٢/٢ .

والجواب الثالث - وهو أبئتها - هو أنَّ الحزنَ ليس بمحظوظٍ، وإنما المحظوظُ  
الوَلُولَةُ وشَقُّ الشِّيَابِ، والكلامُ بما لا ينبعُ. وقال النبي ﷺ: «تَدْمُعُ الْعَيْنُ، وَيَحْزُنُ  
الْقَلْبُ، وَلَا نَقُولُ مَا يُسْخِطُ الرَّبَّ»<sup>(١)</sup>. وقد بيَّنَ اللَّهُ جَلَّ وَعَزَّ ذَلِكَ بِقَوْلِهِ: «فَهُوَ  
كَظِيمٌ» أي: مكظومٌ، مملوءٌ من الحزن، ممسكٌ عليه لا يُبَيِّنُ؛ ومنه كظمُ الغيط وهو  
إخفاوهُ، فالمكظومُ: المسدودُ عليه طريقُ حزنه؛ قال اللَّهُ تَعَالَى: «إِذَا نَادَى وَهُوَ  
مَكْظُومٌ» [القلم: ٤٨] أي: مملوءٌ كُرْبَاً. ويجوز أن يكون المكظوم بمعنى الكاظمِ، وهو  
المشتَمِلُ على حزنه.

وعن ابن عباس: كظيمٌ: مغمومٌ<sup>(٢)</sup>؛ قال الشاعر:  
فَإِنَّ أَكُّ كَاظِمًا لِمُضَابِ شَاسِيٍ فَإِنِّي الْيَوْمُ مُنْطَلِقٌ لِسَانِي<sup>(٣)</sup>  
وقال ابن جرير، عن مجاهدٍ، عن ابن عباس قال: ذهبت عيناه من الحزن «فَهُوَ  
كَظِيمٌ» قال: فهو مكروبٌ<sup>(٤)</sup>.

وقال مقاتلُ بْنُ سليمان، عن عطاءٍ، عن ابن عباس، في قوله: «فَهُوَ كَظِيمٌ» قال:  
فهو كَمِدٌ<sup>(٥)</sup>؛ يقول: يَعْلَمُ أَنَّ يُوسَفَ حَيٌّ، وَأَنَّهُ لَا يَدْرِي أَيْنَ هُوَ، فَهُوَ كَمِدٌ مِّنْ ذَلِكَ.  
قال الجوهرِيُّ<sup>(٦)</sup>: الْكَمَدُ: الْحَزْنُ الْمَكْتُومُ؛ تَقُولُ مِنْهُ: كَمِدَ الرَّجُلُ فَهُوَ كَمِدٌ وَكَمِيدٌ.  
النَّحَاسُ<sup>(٧)</sup>: يَقَالُ: فَلَانُ كَظِيمٌ وَكَاظِمٌ، أي: حَزِينٌ لَا يَشْكُو حَزْنَهُ؛ قال الشاعر:  
فَحَضَضْتُ قَوْمِي وَاحْتَسَبْتُ قِتَالَهُمْ وَالْقَوْمُ مِنْ خُوفِ الْمَنَايَا كَمَظَمٌ<sup>(٨)</sup>

(١) أخرجه بهذا اللفظ ابن ماجه (١٥٨٩) من حديث أسماء بنت يزيد، وهو عند البخاري (١٣٠٣) ومسلم (٢٣١٥) من حديث أنس بن مالك رض بنحوه.

(٢) الوسيط ٦٢٧/٢.

(٣) أورده الماوردي في النكت والعيون ٧٠/٣ ولم يتبَّه.

(٤) الوسيط ٦٢٧/٢ ، وأخرجه الطبراني ٢٩٧/١٣ عن عطاء الخراساني.

(٥) أخرجه الطبراني ٢٩٧/١٣ عن الضحاك، وكذا أورده الماوردي في النكت والعيون ٧٠/٣ .

(٦) في الصلاح (كمد).

(٧) في معاني القرآن ٤٥٣/٣ .

(٨) أورده الماوردي في النكت والعيون ٧٠/٣ ولم يتبَّه.

قوله تعالى: «**فَالْأُولَا تَأَلَّوْ تَقْتَلُوا تَذَكَّرُ يُوسُفَ حَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا أَوْ تَكُونَ مِنَ الْمَهْلِكِينَ** ﴿٨٥﴾ **فَالَّذِي أَشْكَوْا بَعْنَىٰ وَحْزَفَةَ إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ** ﴿٨٦﴾»

قوله تعالى: «**فَالْأُولَا تَأَلَّوْ تَقْتَلُوا تَذَكَّرُ يُوسُفَ**» أي: قال له ولده: «**تَأَلَّوْ يُوسُفَ**» قال الكسائي: فَتَأَلَّ وَفَتَّشَ أَفْعَلَ ذَلِكَ، أي: ما زلت. وزعم الفراء أنَّ «لا» مضمرة؛ أي: لا فتنا<sup>(١)</sup>، وأنشد:

**فَقَلَّتْ يَمِينَ اللَّهِ أَبْرَحُ قَاعِدًا**      **وَلَوْ قَطَّعُوا رَأْسِي لَدَيْكِ وَأَوْصَالِي<sup>(٢)</sup>**  
أي: لا أَبْرَحُ؛ قال النحاس: والذى قال، حسنٌ صحيحٌ. وزعم الخليلُ وسيبويه  
أنَّ «لا» تضمُّر في القسم؛ لأنَّه ليس فيه إشكالٌ، ولو كان واجباً لكان باللام  
والنون<sup>(٣)</sup>.

**وَإِنَّمَا قَالُوا لَهُ ذَلِكُوا لَأَنَّهُمْ عَلِمُوا بِالْيَقِينِ أَنَّهُ يُدَافِعُ عَنْ ذَلِكُوا يَقُولُ: مَا زَالَ يَفْعُلُ كَذَا، وَمَا فَتَّىٰ وَفَتَّا، فَهُمَا لِغَتَانَ، وَلَا يُسْتَعْلَمُانَ إِلَّا مَعَ الْجَحْدِ**<sup>(٤)</sup>؛ قال الشاعر:  
**فَمَا فَتَّشَ حَتَّىٰ كَانَ غُبَارَهَا**      **سُرَادِقُ يَوْمِ ذِي رِيَاحٍ ثُرَفَعُ**<sup>(٥)</sup>  
أي: ما برأته، ففتنا: تَبَرُّ. وقال ابن عباس: [لا] تزال<sup>(٦)</sup>.

**وَحَتَّىٰ تَكُونَ حَرَضًا** أي: تالفاً. وقال ابن عباس ومجاهد: دَنِفَاً مِنَ الْمَرْضِ،  
وهو ما دون الموت<sup>(٧)</sup>؛ قال الشاعر:

(١) إعراب القرآن للنحاس ٢/٣٤٢ - ٣٤٣.

(٢) قائله أمرؤ القيس، وهو في ديوانه ص ٣٢.

(٣) إعراب القرآن للنحاس ٢/٣٤٣ ، ٣٤٣ ، وينظر الكتاب لسيبويه ٣/١٠٥ .

(٤) الصحاح (فت).

(٥) قائله أوس بن حجر التميمي، وهو في ديوانه ص ٥٩.

(٦) أخرجه الطبرى ١٢٩ / ١٣ ، وابن أبي حاتم ٢١٨٧ / ٧ (١١٨٩١)، وما بين حاصلتين منها.

(٧) النكت والعيون ٣/٧٠ .

سَرَى هَمْيٌ فَأَمْرَضَنِي وَقَدْمَا زَادَنِي مَرَضاً  
كَذَّاكَ الْحَبُّ قَبْلَ الْيَوْمِ مِمَّا يُورِثُ الْحَرَضاً<sup>(١)</sup>  
وَقَالَ قَتَادَةُ: هِرِمَا<sup>(٢)</sup>. الْضَّحَّاكُ: بِالِّيَا دَائِرَا<sup>(٣)</sup>. مُحَمَّدُ بْنُ إِسْحَاقُ: فَاسِداً لَا عَقْلَ  
لَكَ<sup>(٤)</sup>. الْفَرَاءُ<sup>(٥)</sup>: الْحَارِضُ الْفَاسِدُ الْجَسِيمُ وَالْعُقْلُ، وَكَذَا الْحَرَضُ. أَبْنُ زَيْدٍ:  
الْحَرَضُ الَّذِي قَدْ رُدَّ إِلَى أَرْذَلِ الْعُمُرِ<sup>(٦)</sup>. الرَّبِيعُ بْنُ أَنْسٍ: يَابْسُ الْجِلْدِ عَلَى الْعَظَمِ<sup>(٧)</sup>.  
الْمَؤْرِجُ: ذَانِيَا مِنَ الْهَمِّ. وَقَالَ الْأَخْشَنُ: ذَاهِبًا. أَبْنُ الْأَنْبَارِيُّ: هَالَّكَا، وَكُلُّهَا مَتَّقَارِبَةٌ.  
وَأَصْلُ الْحَرَضِ: الْفَسَادُ فِي الْجَسِيمِ أَوِ الْعُقْلِ مِنَ الْحُزْنِ أَوِ الْعُشْقِ أَوِ الْهَرَمِ، عَنْ  
أَبِي عَبِيدَةِ وَغَيْرِهِ<sup>(٨)</sup>; وَقَالَ الْعَرْجِيُّ<sup>(٩)</sup>:

إِنِّي امْرُؤٌ لَّجَّ بِي حُبٌّ فَأَخْرَضَنِي السَّقْمُ  
حَتَّى بَلِيتُ وَحْتَى شَفَّنِي السَّقْمُ  
قالَ النَّحَاسُ<sup>(١٠)</sup>: يَقَالُ: حَرَضٌ حَرَضاً، وَحَرَضٌ حُرُوضاً وَحُرُوضة: إِذَا بَلِيَ  
وَسَقَمَ، وَرَجُلٌ حَارِضٌ وَحَرَضُ، إِلَّا أَنَّ حَرَضاً لَا يَشَّى وَلَا يُجْمَعُ، وَمِثْلُهُ قَمِنٌ وَحَرِيَّ  
لَا يَشْتَيَانُ وَلَا يَجْمِعَانُ.

الشَّعْلَبِيُّ: وَمِنَ الْعَرَبِ مَنْ يَقُولُ: حَارِضُ، لِلْمَذَّگَرُ، وَالْمَؤْنَثَةُ: حَارِضَةُ، فَإِذَا  
وَصَفَ بِهَا الْلَّفْظُ، ثَنَى وَجَمَعَ وَأَنْثَى. وَيَقَالُ: حَرَضٌ يَحْرَضُ حَرَاضَةً، فَهُوَ حَرِيَّضُ

(١) لَمْ نَقْفَ عَلَيْهِمَا.

(٢) أَخْرَجَهُ عَبْدُ الرَّزَاقَ فِي التَّفْسِيرِ /١/ ٣٢٧ ، وَالطَّبَرِيُّ ٣٠٣ /١٣ .

(٣) أَخْرَجَهُ الطَّبَرِيُّ ٣٠٣ /١٣ .

(٤) أَخْرَجَهُ الطَّبَرِيُّ ٣٠٣ /١٣ - ٣٠٤ .

(٥) مَعَانِي الْقُرْآنِ /٢/ ٥٤ .

(٦) أَخْرَجَهُ الطَّبَرِيُّ ٣٠٤ /١٣ .

(٧) تَفْسِيرُ أَبِي الْلَّيْثِ /٢/ ١٧٤ .

(٨) ذَكَرَهُ الطَّبَرِيُّ ٣٠١ /١٣ ، وَالْبَغْوَيُّ /٢/ ٤٤٤ دونَ نَسْبَةٍ.

(٩) دِيْوَانُهُ ص٥ ، وَالْعَرْجِيُّ هُوَ: عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عُمَرَ بْنُ عَبْدِ اللَّهِ.

(١٠) إِعْرَابُ الْقُرْآنِ /٢/ ٣٤٣ .

وَحَرِضْنَ. وَيَقُولُ: رَجُلٌ مُخْرَضٌ<sup>(١)</sup>، وَتَشَدُّدُ:  
طَلَبَتْهُ الْخَيْلُ يَوْمًا كَامِلًا      وَلَرَأَى لَفْتَهُ لَأَضْحَى مُخْرَضًا<sup>(٢)</sup>

وَقَالَ امْرُؤُ الْقَيْسِ<sup>(٣)</sup>:

أَرَى الْمَرْأَةُ ذَا الْأَذْوَادِ يُصْبِحُ مُخْرَضًا      كَمَا خَرَّا ضِيَّعَ فِي الدِّيَارِ مَرِيضٌ  
قَالَ النَّحَاسُ<sup>(٤)</sup>: وَحَكَى أَهْلُ الْلُّغَةِ: أَحْرَضَهُ الْهَمُّ: إِذَا أَسْقَمَهُ، وَرَجُلٌ حَارِضٌ،  
أَيْ: أَحْمَقٌ.

وَقَرَأَ أَنْسُ: «مُخْرَضًا» بِضمِّ الْحَاءِ وَسَكُونِ الرَّاءِ، أَيْ: مُثْلُ عُودِ الْأَشْنَانِ<sup>(٥)</sup>. وَقَرَأَ  
الْحَسْنُ: بِضمِّ الْحَاءِ وَالرَّاءِ<sup>(٦)</sup>. قَالَ الْجُوهَرِيُّ<sup>(٧)</sup>: الْحُرْضُ وَالْحُرْضُ: الْأَشْنَانُ.  
**﴿أَوْ تَكُونَ مِنَ الْمُهَلَّكَيْنَ﴾** أَيْ: الْمَيْتَيْنِ، وَهُوَ قَوْلُ الْجَمِيعِ<sup>(٨)</sup>; وَغَرْضُهُمْ مَنْعُ  
يَعْقُوبَ مِنَ الْبَكَاءِ وَالْحَزَنِ شَفَقَةً عَلَيْهِ، وَإِنْ كَانُوا السَّبَبَ فِي ذَلِكَ.

قَوْلُهُ تَعَالَى: **﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَقِيَّةً﴾** حَقِيقَةُ الْبَقِيَّةِ فِي الْلُّغَةِ: مَا يَرِدُ عَلَى الْإِنْسَانِ  
مِنَ الْأَشْيَاءِ الْمَهْلَكَةِ الَّتِي لَا يَتَهَيَّأُ لَهُ أَنْ يُخْفِيَهَا؛ وَهُوَ مِنْ بَثَتُهُ، أَيْ: فَرَقَتُهُ، فَسُمِّيَتِ  
الْمَصِيَّبَةُ بِئْنًا مَجَازًا<sup>(٩)</sup>. قَالَ ذُو الرُّمَةِ<sup>(١٠)</sup>:

(١) يَنْظَرُ مَعْنَى الْقُرْآنِ لِلْفَرَاءِ ٥٤ / ٢ ، وَتَفْسِيرُ الطَّبَرِيِّ ١٣ / ٣٠١ .

(٢) أُورَدَهُ الطَّبَرِيُّ ١٣ / ٣٠١ وَلَمْ يَنْسَبْهُ.

(٣) دِيْوَانُهُ صَ ٧٧ .

(٤) فِي إِعْرَابِ الْقُرْآنِ ٢ / ٣٤٣ .

(٥) تَفْسِيرُ الرَّازِيِّ ١٨ / ١٩٧ ، وَالْأَشْنَانُ: شَجَرٌ يَنْبُتُ فِي الْأَرْضِ الرَّمْلِيَّةِ، يَسْتَعْمَلُ هُوَ أَوْ رَمَادُهُ فِي غَسْلِ  
الثِّيَابِ وَالْأَيْدِيِّ. الْمَعْجَمُ الْوَسِيْطُ.

(٦) الْقَرَاءَاتُ الشَّاذَةُ صَ ٦٥ ، وَالْكَشَافُ ٢ / ٣٣٩ .

(٧) الصَّاحَاجُ (حَرْضُ).

(٨) التَّنْكُتُ وَالْعَيْوَنُ ٣ / ٧٠ .

(٩) إِعْرَابُ الْقُرْآنِ لِلنَّحَاسِ ٢ / ٣٤٣ .

(١٠) دِيْوَانُهُ ٢ / ٨٢١ .

وَقَفْتُ عَلَى رَبْعٍ لِمِيَّةَ نَائِتِي فَمَا زِلْتُ أَنْكِي عَنْهُ وَأَخْاطِبُه  
وَأَشْقِيَهُ حَتَّى كَادَ مِمَّا أَبْثَثَ ثُكَلْمُنِي أَخْجَارًا وَمَلَائِكَةً  
وَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «بَشِّي» هَمِّي<sup>(١)</sup>، الْحَسْنُ: حَاجِتِي<sup>(٢)</sup>. وَقَيلَ: أَشَدُ الْحُزْنِ<sup>(٣)</sup>،  
وَحْقِيقَتِهِ مَا ذَكَرْنَاهُ.

﴿وَحَزَنَ إِلَى اللَّهِ﴾ مَعْطُوفٌ عَلَيْهِ، أَعَادَهُ بِغَيْرِ لَفْظِهِ.

﴿وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ أَيْ: أَعْلَمُ أَنَّ رُؤْيَا يُوسُفَ صَادِقَةً، وَأَنِّي سَأَسْجُدُ  
لَهُ، قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ<sup>(٤)</sup>. قَنَادِه: إِنِّي أَعْلَمُ مِنْ إِحْسَانِ اللَّهِ تَعَالَى إِلَيَّ مَا يُوجِبُ حَسْنَ ظَنِّي  
بِهِ<sup>(٥)</sup>. وَقَيلَ: قَالَ يَعْقُوبُ لِمَلَكِ الْمَوْتَ: هَلْ قَبْضَتَ رُوحَ يُوسُفَ؟ قَالَ: لَا، فَأَكَدَ  
هَذَا رَجَاءَهُ<sup>(٦)</sup>. وَقَالَ السُّدِّيُّ: أَعْلَمُ أَنَّ يُوسُفَ حَيٌّ، وَذَلِكَ أَنَّهُ لَمَّا أَخْبَرَهُ وَلَدُهُ بِسِيرَةِ  
الْمَلَكِ وَعَذْلَهُ وَخُلُقَهُ وَقُولَهُ، أَحْسَنَ نَفْسًا يَعْقُوبَ أَنَّهُ وَلَدُهُ، فَطَمَعَ وَقَالَ: لَعَلَّهُ يُوسُفَ.  
وَقَالَ: لَا يَكُونُ فِي الْأَرْضِ صِدِّيقٌ إِلَّا نَبِيٌّ<sup>(٧)</sup>. وَقَيلَ: أَعْلَمُ مِنْ إِجَابَةِ دُعَاءِ الْمُضْطَرِّينَ  
مَا لَا تَعْلَمُونَ.

قُولُهُ تَعَالَى: ﴿يَبْيَقُ أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَأْتِشُوا مِنْ تَرْقُعِ اللَّهِ  
إِنَّمَا لَا يَأْتِشُ مِنْ تَرْقُعِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكُفَّارُونَ﴾

قُولُهُ تَعَالَى: ﴿يَبْيَقُ أَذْهَبُوا فَتَحَسَّسُوا مِنْ يُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ هَذَا يَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ تَيَّقَنَ

(١) أَخْرَجَهُ الطَّبَرِيُّ ٣٠٦/١٣.

(٢) أَخْرَجَهُ الطَّبَرِيُّ ٣٠٦/١٣ ، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ ٢١٨٩/٧ (١١٩٠٣).

(٣) أَوْرَدَهُ أَبْرَهُ الْلَّيْثِ ١٧٤/٢ وَعَزَاهُ إِلَى الْقَتْبَنِيِّ، وَابْنُ عَطِّيَّةَ فِي الْمُحَرَّرِ الْوَجِيزِ ٢٧٣/٣ وَعَزَاهُ إِلَى أَبِي عَبِيدَةَ، وَهُوَ فِي مِجاَزِ الْقُرْآنِ صِ ٣١٧.

(٤) أَخْرَجَهُ الطَّبَرِيُّ ٣٠٧/١٣ ، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ ٢١٨٩/٧ (١١٩٠٨).

(٥) أَخْرَجَهُ الطَّبَرِيُّ ٣٠٧/١٣ ، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ ٢١٨٩/٧ (١١٩٠٦).

(٦) تَفْسِيرُ أَبِي الْلَّيْثِ ١٧٤/٢ ، وَتَفْسِيرُ الْبَغْوَى ٤٤٥/٢ ، وَزَادُ الْمَسِيرِ ٤/٢٧٥ وَعَزَاهُ ابْنُ الْجُوزِيِّ إِلَى ابْنِ السَّانِبِ.

(٧) أَخْرَجَهُ الطَّبَرِيُّ ٣٠٧/١٣ .

حياته؛ إما بالرؤيا، وإما بانطاق الله تعالى الذئب، كما في أول القصة، وإنما بإخبار ملِكِ الموتِ إِيَّاهُ بِأَنَّهُ لَمْ يَقْبِضْ رُوحَهُ؛ وهو أَظْهَرَ

والتحسُّسِ: طلبُ الشيءِ بالحواسِ؛ فهو تفْعُلٌ من الحِسْنِ<sup>(١)</sup>، أي: اذهبوا إلى هذا الذي طلب منكم أحكام، واحتال عليكم في أخيه، فاسألوه عنه وعن مذهبِه، ويرُوي أنَّ ملِكَ الموتِ قال له: اطلبْهِ مِنْ هاهنا! وأشار إلى ناحية مصر<sup>(٢)</sup>.

وقيل: إنَّ يعقوبَ تنبَّهَ على يوسفَ بِرَدِّ الْبَضَاعَةِ، واحتبَسَ أخيه، وإظهارِ الكرامة؛ فلذلك وجَّهُمْ إلى جهة مصر دون غيرها<sup>(٣)</sup>.

**﴿وَلَا تَأْتِشُوا مِنْ رَّقْعِ اللَّهِ﴾** أي: لا تقنطوا من فرج الله؛ قاله ابنُ زيد<sup>(٤)</sup>؛ يريد: أنَّ المؤمنَ يَرْجُو فَرَجَ اللهِ، والكافر يَقْنُطُ فِي الشَّدَّةِ. وقال قَتَادَةُ وَالضَّحَّاكُ: مِنْ رَحْمَةِ اللهِ<sup>(٥)</sup>. **﴿إِنَّمَا لَا يَأْتِشُ مِنْ رَّقْعِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾** دليلٌ على أنَّ القنوطَ مِنَ الْكَبَائِرِ، وَهُوَ الْيَأسُ، وسيأتي في «الزُّمَرِ»<sup>(٦)</sup> بيانه إن شاء الله تعالى.

قوله تعالى: **﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَأْتِيهَا الْعَزِيزُ مَسَنًا وَأَهْلًا لِّالضُّرِّ وَحَثَنَا يَضْنَعُهُ مُزْجَنَةً فَأَوْفَ لَنَا الْكِيلَ وَتَصَدَّقَ عَلَيْنَا إِنَّ اللَّهَ يَعْزِزِ الْمُصْبِرِينَ ﴾**

قوله تعالى: **﴿فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِ قَالُوا يَأْتِيهَا الْعَزِيزُ﴾** أي: الممتنع. **﴿مَسَنًا وَأَهْلًا لِّالضُّرِّ﴾** هذه المرة الثالثة من عَوْدِهِمْ إلى مصر؛ وفي الكلام حذف، أي: فخرجو إلى مصر، فلما دخلوا على يوسفَ قالوا: «مسنًا» أي: أصابنا «وأهلاً لِّالضُّرِّ» أي: الجوعُ والحاجةُ. وفي هذا دليلٌ على جواز الشكوى عند الضُّرِّ، أي: الجوع، بل واجبٌ

(١) تفسير الطبرى ٣١٤/١٣ ، وتفسير البغوى ٤٤٦/٢ .

(٢) تفسير الرازى ١٩٨/١٨ .

(٣) النكت والمعبون ٧٢/٣ .

(٤) أخرجه الطبرى ٣١٥/١٣ .

(٥) أخرجه عنهم الطبرى ٣١٤/١٣ - ٣١٥ .

(٦) عند الآية (٥٣).

عليه إذا خاف على نفسه الضرر من الفقر وغيره أن يُبدي حالته إلى من يرجو منه النفع، كما هو واجب عليه أن يشكو ما به من الألم إلى الطبيب ليعالجه، ولا يكون ذلك قذحاً في التوكل، وهذا ما لم يكن التشكي على سبيل التسخط؛ والصبر والتجلد في التواب أحسن، والتعف عن المسألة أفضل، وأحسن الكلام في الشكوى سؤال المولى زوال البلوى؛ وذلك قولٌ يعقوب: «إِنَّمَا أَشْكُوْ بَنِي وَحُزْنِي إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ» أي: من جميل صنعه، وغريب لطفه، وعائدته على عباده. فاما الشكوى على غير مشكٍ فهو السفسفه، إلا أن يكون على وجه البث والتسلية، كما قال

ابن دريد:

لَا تَخْسَبْنِي دَهْرُ أَنِّي ضَارَ  
مَارَسْتَ مَنْ لَوْهَوْتَ الْأَفْلَاكَ مِنْ  
لَكَنْهَا نَفْثَةُ مَضْدُورٍ إِذَا  
إِنْكَبَّتْ تَغْرِقْنِي عَرْقَ الْمُدَنِي  
جَوَانِبِ الْجَوَّ عَلَيْهِ مَا شَكَّا  
جَاهَ لُعَامٌ مِنْ نَوَاجِهِهَا عَمِي<sup>(١)</sup>

قوله تعالى: ﴿وَجَهْنَمَ يَضَعَتْهُ﴾ البضاعة: القطعة من المال يقصد بها شراء شيء<sup>(٢)</sup>؛ يقول: أبضعت الشيء، واستبضعته، أي: جعلته بضاعة، وفي المثل: كمستبضعي التمر إلى هجر<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿مُرْجَنَة﴾ صفة لبضاعة؛ والإزجاج: السوق بدفع<sup>(٤)</sup>؛ ومنه قوله تعالى: ﴿أَنْتَ تَرَأَنَّ اللَّهَ يُنْزِي سَاحَابَةَ﴾ [النور: ٤٣] والمعنى أنها بضاعة تدفع؛ ولا يقبلها كل أحد. قال ثعلب: البضاعة المزجاجة: الناقصة غير التامة.

(١) مقصورة ابن دريد ص ٤٣ - ٣٩ بشرح التبريزى، واللغام: ما يخرج من فم البعير. وعمى: رمى، يقال: عمى البعير بلعباه: إذا رمى به، ووقع في (م): غما، وكذا في إحدى النسخ الخطية للمقصورة، كما ذكر ذلك محقق شرح المقصورة لابن هشام اللخمي ص ٧٧.

(٢) المحرر الوجيز ٣/٢٧٥.

(٣) الصحاح (بعض)، والمثل في المستقصى في أمثال العرب للزمخشري ٢/٢٣٣.

(٤) الوسيط ٢/٦٣٠ ، والنكت والعيون ٣/٧٢.

اختلف في تعينها هنا؛ فقيل: كانت قديداً وحيناً؛ ذكره الواقدي عن علي بن أبي طالب <sup>رض</sup>.

وقيل: خلق الغرائر والجبال؛ روي عن ابن عباس <sup>(١)</sup>.

وقيل: متاع الأعراب صوف وسمن؛ قاله عبد الله بن العارث <sup>(٢)</sup>.

وقيل: الحبة الخضراء، والصنوبر - وهو البضم: حب شجر بالشام، يؤكل ويُعصر الزيت منه لعمل الصابون - قاله أبو صالح <sup>(٣)</sup>؛ فباعوها بدراهم لا تنفق في الطعام، وتتفق فيما بين الناس؛ فقالوا: خذها منا بحساب جياد تنفق في الطعام.

وقيل: دراهم رديئة؛ قاله ابن عباس أيضاً <sup>(٤)</sup>.

وقيل: ليس عليها صورة يوسف، وكانت دراهم مصر عليها صورة يوسف.

وقال الضحاك: النعال والأدم. وعنده: كانت سوينا من خلا <sup>(٥)</sup>. والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا﴾.

فيه أربع مسائل:

**الأولى:** قوله تعالى: «فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ» يريدون كما تبيّن بالدرهم الجياد لا تنقضنا بمكان دراهمنا؛ هذا قول أكثر المفسرين.

وقال ابن جريج: «فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ» يريدون الكيل الذي كان قد كآله لأخيهم <sup>(٦)</sup>.

«وَتَصَدَّقْ عَلَيْنَا» أي: تفضل علينا بما بين سعر الجياد والرديئة. قاله سعيد بن جبير

(١) أخرجه الطبرى ٣١٨/١٣ ، والغرائر: جمع الغرارة: وهي وعله من الخيش ونحوه يوضع فيه القمع ونحوه. المعجم الوسيط (غرس).

(٢) أخرجه الطبرى ٣١٩/١٣ ، وابن أبي حاتم (١١٩٢٠).

(٣) أخرجه الطبرى ٣٢٠/١٣ ، وابن أبي حاتم (١١٩٢١).

(٤) أخرجه الطبرى ٣١٧-٣١٨/١٣ ، وابن أبي حاتم (١١٩٢٢).

(٥) عرائض المجالس من ١٣٨ - ١٣٩ ، وزاد المسير ٤/٢٧٧.

(٦) النكت والعيون ٣/٧٣.

والسُّدُّيُّ والحسن، لأنَّ الصدقة تحرُّم على الأنبياء. وقيل المعنى: «تَصَدَّقْ عَلَيْنَا» بالزيادة على حقنا؛ قاله سفيانُ بْنُ عُيَيْنَةَ. قال مجاهد: ولم تحرُّم الصدقة إلا على نبينا مُحَمَّدَ ﷺ. وقال ابن جُرِيْج: المعنى «تَصَدَّقْ عَلَيْنَا» بِرْد أخينا إلينا. وقال ابن شجرة: «تَصَدَّقْ عَلَيْنَا» تجوز عننا؛ واستشهد بقول الشاعر:

تَصَدَّقْ عَلَيْنَا يَا ابْنَ عَفَانَ وَاخْتَبِتْ      وَأَمْرَ عَلَيْنَا الْأَشْعَرِيَّ لَيَالِيَّا<sup>(١)</sup>

«إِنَّ اللَّهَ يَعْزِيزُ الْمُتَصَدِّقِينَ» يعني في الآخرة؛ يقال: هذا من مَعَارِيفِ الْكَلَامِ؛ لأنَّه لم يكن عندهم أنَّه على دينهم، فلذلك لم يقولوا: إِنَّ اللَّهَ يَعْزِيزُ بِصَدَقَتِكَ، فقالوا لفظاً يُوَهِّمُهُمْ أَنَّهُمْ أَرَادُوهُ، وهم يصْحُّ لهم إِخْرَاجُهُ بِالْتَّأْوِيلِ؛ قاله النَّقَاشُ<sup>(٢)</sup>، وفي الحديث: «إِنَّ فِي الْمَعَارِيفِ لِمَنْدُوحَةَ عَنِ الْكَذْبِ»<sup>(٣)</sup>.

الثانية: استدلَّ مالكُ وغَيْرُهُ مِنَ الْعُلَمَاءِ عَلَى أَنَّ أَجْرَةَ الْكَيْلَ عَلَى الْبَاعِثِ<sup>(٤)</sup>؛ قال ابنُ القاسمِ وابْنُ نَافعٍ: قال مالكُ: قالوا لِيُوسُفَ: «فَأَوْفِ لَنَا الْكَيْلَ» فـكَانَ يُوسُفُ هُوَ الَّذِي يَكِيلُ، وكَذَلِكَ الْوَزَانُ وَالْعَدَادُ وَغَيْرُهُمْ؛ لأنَّ الرَّجُلَ إِذَا بَاعَ عِدَّةَ مَعْلُومَةَ مِنْ طَعَامِهِ، وأَوْجَبَ الْعَدَدَ عَلَيْهِ، وَجَبَ عَلَيْهِ أَنْ يُبَرِّزَهَا وَيُمْيِّزَ حَقَّ الْمُشَتَّرِيِّ مِنْ حَقِّهِ، إِلَّا أَنْ يَبْيَعَ مِنْهُ مُعِيَّنًا - صَبْرَةً أَوْ مَا لَا حَقَّ تَوْفِيقَةَ فِيهِ - فَخَلَّ مَا بَيْنَهُ وَبَيْنَهُ، فَمَا جَرِيَ عَلَى الْمَبْيَعِ فَهُوَ عَلَى الْمَبْتَاعِ؛ وَلَيْسَ كَذَلِكَ مَا فِيهِ حَقُّ تَوْفِيقَةِ مِنْ كِيلٍ أَوْ وَزْنٍ، أَلَا تَرَى أَنَّهُ لَا يَسْتَحِقُ الْبَاعِثُ الشَّمْنَ إِلَّا بَعْدَ التَّوْفِيقِ، وَإِنْ تَلَفَّ، فَهُوَ مِنْ قَبْلِ التَّوْفِيقِ<sup>(٥)</sup>.

الثالثة: وأما أَجْرَةُ النَّقْدِ، فَعَلَى الْبَاعِثِ أَيْضًا؛ لأنَّ الْمَبْتَاعَ الدَّافِعَ لِدِرَاهِيمِهِ يَقُولُ:

(١) ذُكِرَ الشِّعْرُ مَعَ مَا سَبَقَهُ مِنْ أَقوالِ الْمَأْوَرِدِيِّ فِي النَّكْتِ وَالْعَيْنَاتِ . ٧٤ / ٣.

(٢) الْمُحَرِّرُ الْوَجِيْزُ ٢٧٦ / ٣.

(٣) أَخْرَجَهُ ابْنُ عَدِيٍّ فِي الْكَاملِ ٩٦٣ / ٣ ، وَالْبَيْهَقِيُّ ١٩٩ / ١٠ عَنْ عُمَرَانَ بْنَ حَصْنَيْنَ مَرْفُوعًا، وَأَخْرَجَهُ الْبَخَارِيُّ فِي الْأَدْبِ الْمُفَرَّدِ ٨٥٧ ، وَالْبَيْهَقِيُّ ١٩٩ / ١٠ عَنْ عُمَرَانَ بْنَ حَصْنَيْنَ مُوْقَفًا، قَالَ الْبَيْهَقِيُّ عَقْبَهُ: هَذَا هُوَ الصَّحِيحُ الْمُوقَفُ. وَيَنْتَظِرُ كِشْفُ الْخَفَاءِ ٢٧٠ / ١ - ٢٧١ .

(٤) أَحْكَامُ الْقُرْآنِ لِلْجَعْصَاصِ ١٧٧ وَلِلْكِيَا الْهَرَاسِيِّ صِ ٢٣٤ ، وَالْمُحَرِّرُ الْوَجِيْزُ ٢٧٦ / ٣ .

(٥) أَحْكَامُ الْقُرْآنِ لِابْنِ الْعَرَبِيِّ ١٠٩٣ / ٣ .

إِنَّهَا طَيِّبَةٌ، فَأَنْتُ الَّذِي تَدْعُى الرَّدَاءَةَ، فَانظُرْ لِنَفْسِكَ<sup>(١)</sup>؛ وَأَيْضًا فَإِنَّ النَّفْعَ يَقْعُدُ لَهُ، فَصَارَ الْأَجْرُ عَلَيْهِ، وَكَذَلِكَ لَا يَجْبُ عَلَى الَّذِي يَجْبُ عَلَيْهِ الْقَصَاصُ؛ لَأَنَّهُ لَا يَجْبُ عَلَيْهِ أَنْ يَقْطَعَ يَدَ نَفْسِهِ، إِلَّا أَنْ يُمْكَنُ مِنْ ذَلِكَ طَائِعاً؛ أَلَا تَرَى أَنَّ فَرْضًا عَلَيْهِ أَنْ يَقْدِي يَدَهُ، وَيُصَالِحَ عَلَيْهِ إِذَا طَلَبَ الْمُقْتَصُدُ ذَلِكَ مِنْهُ، فَأَجْرُ الْقَطَاعِ عَلَى الْمُقْتَصِدِ. وَقَالَ الشَّافِعِيُّ فِي الْمَشْهُورِ عَنْهُ: إِنَّهَا عَلَى الْمُقْتَصِدِ مِنْهُ، كَالْبَاعِثِ<sup>(٢)</sup>.

الرابعة: يُكره للرجل أن يقول في دعائه: اللهم تصدق علىي؛ لأن الصدقة إنما تكون من يبتغي الثواب، والله تعالى متفضل بالثواب بجميع النعم لا رب غيره؛ وسمع الحسن رجلاً يقول: اللهم تصدق علىي؛ فقال الحسن: يا هذا! إن الله لا يتصدق إنما يتصدق من يبتغي الثواب؛ أما سمعت قول الله تعالى: «إِنَّ اللَّهَ يَخْرِزُ الْمُتَصَدِّقِينَ» قل: اللهم اعطني وتفضل علىي<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿فَقَالَ هَلْ عَلِمْتُ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ إِذْ أَنْشَأْتُ جَهَنَّمَ<sup>(٤)</sup>  
قَالُوا لَئِنْ كُنْتَ لَأَنْتَ يُوسُفَ قَالَ أَنَا يُوسُفُ وَهَذَا أَخِي قَدْ مَرَّ اللَّهُ عَلَيْنَا إِنَّمَا  
مَنْ يَتَقَرَّ وَيَصْدِرُ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ<sup>(٥)</sup> قَالُوا تَأْلُمُونَ لَقَدْ  
مَأْرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ<sup>(٦)</sup> قَالَ لَا تَنْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَقْفَرُ  
الَّهُ لَكُمْ وَهُوَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ<sup>(٧)</sup> أَذْهَبُوا يَقْمِيمُو هَذَا فَالْقُوَّةُ عَلَى وَجْهِ أَبِي  
يَأْتِ بِعَصِيرًا وَأَتُؤْفِي بِأَفْلَامِكُمْ أَجْمَعِينَ<sup>(٨)</sup>﴾

قوله تعالى: ﴿فَقَالَ هَلْ عَلِمْتُ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ﴾ استفهاماً بمعنى التذكير والتوبية<sup>(٩)</sup>، وهو الذي قال الله: «التبنيَّهُمْ بِأَمْرِهِنْ هَذَا» الآية. ﴿إِذْ أَنْشَأْتُ جَهَنَّمَ<sup>(١٠)</sup>﴾ دليل على أنهم كانوا صغاراً في وقت أخذتهم ليوسف، غير أنبياء؛ لأنَّه لا يُوصف

(١) أحكام القرآن لابن العربي ٣/١٠٩٣.

(٢) ينظر معني المحتاج ٢/٣٣٧.

(٣) تفسير الرازمي ١٨/٢٠٢. وذكر خبر الحسن أيضاً البغوي ٢/٤٤٦.

(٤) الوسيط ٢/٦٣٠.

بالجهل إلا من كانت هذه صفتة؛ ويدل على أنه حَسْنَت حَالُهُمُ الْآنَ؛ أي: فعلتم ذلك إذ أنتم صغار جُهَّالٌ؛ قال معناه ابن عباس والحسن<sup>(١)</sup>؛ ويكون قولهم: «وَإِنْ كُنَّا لَخَاطِئِينَ» على هذا؛ لأنَّهُمْ كَبِرُوا ولم يُخْبِرُوا أَبَاهُمْ بِمَا فَعَلُوا؛ حِيَاةً وَخَوْفًا مِنْهُ.

وقيل: جاهلون بما تَوَلُّ إِلَيْهِ العَاقِبَةُ. والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿قَالُوا أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ﴾ لما دخلوا عليه فقالوا: «مَسْنَا وَأَهْلَنَا الصُّرُّ» فخضعوا له وتواضعوا، رق لهم، وعرّفهم بنفسه، فقال: «هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ وَأَخِيهِ» فتبهوا فقالوا: «أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ» قاله ابن إسحاق<sup>(٢)</sup>.

وقيل: إنَّ يوسمَ تبَسَّمَ، فشبَّهوه بيوسفَ واستفهموا. قال ابن عباس: لما قال لهم: «هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ» الآية، ثم تبَسَّمَ يوسمَ - وكان إذا تبَسَّمَ كأنَّ ثناءَ اللولُ المنظومَ - فشبَّهوه بيوسفَ، فقالوا له على جهة الاستفهام: «أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ». وعن ابن عباس أيضاً: أنَّ إخوته لم يعرفوه حتى وضع الناج عنده، وكان في قرنِه علامَةً، وكان ليعقوبَ مثُلُها، شبَّه الشَّامَةَ، فلما قال لهم: «هَلْ عَلِمْتُمْ مَا فَعَلْتُمْ بِيُوسُفَ» رفع الناج عنده، فعرفوه، فقالوا: «أَئِنَّكَ لَأَنْتَ يُوسُفُ»<sup>(٣)</sup>.

وقال ابن عباس: كتب يعقوبُ إليه يَطْلُبُ رَدًّا أَبِيهِ، وفي الكتاب: مِنْ يعقوبَ صَفِيُّ اللَّهِ أَبْنَ إِسْحَاقَ ذَبِيعُ اللَّهِ أَبْنَ إِبْرَاهِيمَ خَلِيلُ اللَّهِ إِلَى عَزِيزِ مصرَ - أَمَّا بَعْدَ - فَإِنَّ أَهْلَ بَيْتِ بَلَاءٍ وَمَحْنٍ، ابْنَى اللَّهُ جَدِّي إِبْرَاهِيمَ بَنْمُرُودَ وَنَارِهِ، ثُمَّ ابْتَلَى أَبِي إِسْحَاقَ بِالذَّبْحِ، ثُمَّ ابْتَلَانِي بِوَلَدِي كَانَ لِي أَحَبُّ أَوْلَادِي إِلَيَّ حَتَّى كُفَّ بَصَرِي مِنَ الْبَكَاءِ، وَلَأَنِّي لَمْ أُسْرِقْ وَلَمْ أُلْذَ سَارِقًا، وَالسَّلَامُ. فَلَمَّا قَرَأْ يُوسُفُ الْكِتَابَ ارْتَعَدَ مَفَاصِلُهُ، وَاقْشَعَ جَلْدُهُ، وَأَرْخَى عَيْنِيهِ بِالْبَكَاءِ، وَعَيْلَ صَبْرُهُ، فَبَاحَ بِالسَّرِّ<sup>(٤)</sup>.

(١) ذكر الخبرين الواحدي في الوسيط ٦٣٠/٢ ، فقال: روى عن ابن عباس: إذ أنتم صبيان، وعن الحسن: شبان.

(٢) ذكره الماوردي في النكت والعيون ٧٤/٣ .

(٣) تفسير البغوي ٤٤٧/٢ .

(٤) ذكره البغوي ٤٤٥/٢ بنحوه عن عبد الله بن زيد بن أبي فروة، ولم تقف عليه عن ابن عباس .

وقرأ ابنُ كثير: «إِنَّكَ عَلَى الْخَبَرِ»<sup>(١)</sup>، ويجوز أن تكون هذه القراءة استفهاماً كقوله: «وَتَلَكَ نِعْمَةً» [الشعراء: ٢٢].

﴿قَالَ أَنَا يُوشِّفُ﴾ أي: أنا المظلومُ والمرادُ قُتْلُهُ، ولم يقل: أنا هو؛ تعظيمًا للقصة<sup>(٢)</sup>. **﴿فَقَدْ مَكَّ اللَّهُ عَلَيْتَنَا﴾** أي: بالنجاة والملك.

﴿إِنَّمَا مَنْ يَتَّقِي وَيَصْبِرُ﴾ أي: يتَّقِي الله وَيَصْبِرُ على المصائب وعن المعاصي.

﴿فَإِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَغْرِيَ الْمُتَّحِسِّنِينَ﴾ أي: الصابرين في بلائه، القائمين بطاعته.

وقرأ ابنُ كثير: «إِنَّهُ مَنْ يَتَّقِي» بإثباتِ الياء<sup>(٣)</sup>، والقراءة بها جائزة على أن تجعل «من» بمعنى الذي، وتدخل «يتَّقِي» في الصَّلة، فثبتت الياء لا غير، وتُرفع «ويصبر». وقد يجوز أن تَجَزِّم «ويصبر»، على أن تَجَعَّل «يتَّقِي» في موضعِ جزم، و«من» للشرط، وثبتت الياء، وتَجَعَّل علامَةُ الجَزْمِ حذفَ الضَّمةِ التي كانت في الياء على الأصل<sup>(٤)</sup>، كما قال:

شم نادي إذا دخلت دمشق يا يزيد بن خالد بن يزيد<sup>(٥)</sup>

وقال آخر:

الم يأتيك والأنباء تُنمي بما لاقْتَ لَبُونُ بْنِي زِيَادٍ<sup>(٦)</sup>  
وقراءة الجماعة ظاهرة، والهاء في «إِنَّهُ» كناية عن الحديث، والجملة الخبر.

(١) السبعة ص ٣٥١ ، والتيسير ص ١٣٠ .

(٢) أي: تعظيمًا لما وقع به من ظلم إخوته. الوسيط ٦٣١ / ٢ ، ونسب هذا القول إلى ابن الأنباري.

(٣) السبعة ص ٣٥١ ، والتيسير ص ١٣١ .

(٤) ينظر الحجة لأبي علي الفارسي ٤٤٨ / ٤ ، وحجة القراءات لابن زنجلة ص ٣٦٤ ، والمحرر الوجيز ٢٧٧ / ٣ .

(٥) نسب قريش للزبيري ص ١٣٠ ، ونسبه إلى موسى شهورات.

(٦) القائل قيس بن زهير، كما في النواذر في اللغة لأبي زيد ص ٢٠٣ ، والأغاني ١٩٨ / ١٧ ، وهو في الكتاب ٣١٦ / ٣ ، والمحتسب ٦٧ / ١ دون نسبة، ووقع في الأغاني: ألم يبلغك .

قوله تعالى: **﴿قَالُوا تَأْلُهُ لَقَدْ مَأْتَرَكَ اللَّهُ عَلَيْنَا﴾** الأصل همزتان، **خُفْفَت** الثانية، ولا يجوز تحقيقها، واسم الفاعل: **مُؤْثِر**، والمصدر: إيثار. ويقال: **أَثَرْتُ** التراب إثارة، فأنا **مُثِيرٌ**; وهو أيضاً على أفعال، ثم **أَعْلَى**، والأصل **أَثَرَ**، نقلت حركة الياء على الثاء، فانقلب الياء ألفاً، ثم حذفت لالتقاء الساكين. وأثرت الحديث على **فَعَلْتُ**، فأنا **آثِرٌ**<sup>(١)</sup>. والمعنى: لقد فضلك الله علينا، واختارك بالعلم والجلم والحكم والعقل والملك.

**﴿وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ﴾** أي مذنبين، من خطئ يخطأ: إذا أتي الخطيئة<sup>(٢)</sup>، وفي ضمن هذا سؤال العفو. وقيل لابن عباس: كيف قالوا: **«وَإِن كُنَّا لَخَاطِئِينَ»** وقد تعمدوا لذلك؟ قال: وإن تعمدوا لذلك، فما تعمدوا حتى أخطئوا الحق، وكذلك كل من أتي ذنباً تخطى المنهاج الذي عليه من الحق، حتى يقع في الشبهة والمعصية.

قوله تعالى: **﴿لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمُ﴾** أي: قال يوسف - وكان حليماً موقفاً - **«لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمُ** وتم الكلام، ومعنى «اليوم»: الوقت. والثريب: التعبيير والتوبيخ، أي: لا تعبيير ولا توبيخ ولا لوم عليكم اليوم؛ قاله سفيان الشوري<sup>(٣)</sup>؛ ومنه قوله عليه الصلاة والسلام: «إذا زنت أمة أحدكم، فليجلدها الحد، لا يثرب عليها»<sup>(٤)</sup> أي: لا يعيّرها، وقال بشر<sup>(٥)</sup>:

فَعَفَوْتُ عَنْهُمْ عَفْوًا غَيْرِ مُثَرِّبٍ      وَتَرَكْتُهُمْ لِعَقَابٍ يَوْمَ سَرْمَدٍ  
وقال الأصمعي: ثريب عليه وغريب عليه بمعنى، إذا قبّحت عليه فعله<sup>(٦)</sup>. وقال

(١) إعراب القرآن للنحاس ٣٤٤ / ٢.

(٢) إعراب القرآن للنحاس ٣٤٤ / ٢.

(٣) أخرجه الطبرى ٣٣٠ / ١٣.

(٤) سلف ٤٨٩ / ٢.

(٥) هو بشر بن أبي خازم، والبيت في لسان العرب (ثرب)، وقيل: هو لشّع.

(٦) الصحاح (ثرب).

الزجاج: المعنى: لا إفساد لما بيني وبينكم من الحمرة، وحق الأخوة، ولكم عندي العفو والصفح؛ وأصل التثريب: الإفساد، وهي لغة أهل الحجاز<sup>(١)</sup>.

وعن ابن عباس أنَّ رسول الله ﷺ أَخْدَ بعْضَادَتِي الباب يوم فتح مكة، وقد لاذ الناسُ بالبيت فقال: «الحمد لله الذي صدقَ وَعْدَهُ، ونصرَ عبدهُ، وهزمَ الأحزابَ وَحْدَهُ» ثم قال: «ماذَا تَظَنُّونَ يَا معاشرَ قريشِ؟» قالوا: خيراً، أَخْ كريمٌ، وابنُ أَخٍ كريمٍ، وقد قدرَتْ. قال: «وأنا أقول كما قال أخي يوسف: «لَا تَثِرِّبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ» قال عمرٌ ﷺ: فَقِضَتْ عَرَقاً مِنَ الْحَيَاةِ مِنْ قَوْلِ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ؛ ذَلِكَ أَنِّي قَدْ كُنْتُ قَلْتُ لَهُمْ حِينَ دَخَلْنَا مَكَّةَ: الْيَوْمَ نَنْتَقْمُ مِنْكُمْ وَنَفْعَلُ، فَلَمَّا قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مَا قَالَ اسْتَحِيَّتْ مِنْ قَوْلِي<sup>(٢)</sup>.

**﴿يَقْنُرُ اللَّهُ لَكُمْ﴾** فعل<sup>(٣)</sup> مستقبلٌ فيه معنى الدُّعاء<sup>(٤)</sup>؛ سأَلَ اللَّهُ أَنْ يَسْتَرَ عَلَيْهِمْ وَيَرْحَمَهُمْ.

وأجاز الأخفش<sup>(٥)</sup> الوقف على «عَلَيْكُمْ»، والأوَّلُ هو المستعمل؛ فإنَّ في الوقف على «عَلَيْكُمْ» والابتداء بـ«الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ» جَزْمٌ بالمغفرة في اليوم، وذلك لا يكون إلا عن وَحْيٍ، وهذا بَيْنَ.

وقال عطاءُ الخراساني: طَلَبُ الْحَوَاجِ من الشَّابِ أَسْهَلُ مِنَ الشَّيْخِ؛ ألم تَرَ قَوْلَ يُوسُفَ: «لَا تَثِرِّبَ عَلَيْكُمُ الْيَوْمَ يَغْفِرُ اللَّهُ لَكُمْ» وقال يعقوب: «سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي»<sup>(٦)</sup>.

(١) ينظر معاني القرآن للزجاج ١٢٨/٣ ، وتفسير أبي الليث ١٧٥/٢ .

(٢) نوادر الأصول ص ٩٣ ، وأخرج به البيهقي في الدلائل ٥٨/٥ ، وفي السنن الكبرى ١١٨/٩ من حديث أبي هريرة ﷺ، دون قول عمر ﷺ.

(٣) ليست في (م).

(٤) إعراب القرآن للتحاسن ٣٤٤/٢ .

(٥) في معاني القرآن ٥٩٣/٢ .

(٦) عرائض المجالس ص ١٤١ ، وتفسير الرازى ٢٠٥/١٨ .

قوله تعالى: **﴿أَذْهَبُوا يَقِيمِيْعِ هَنَدًا﴾** نعت للقميص، والقميص مذكور، فاما قول الشاعر:

**تَذَعُو هَوَازِنُ وَالْقَمِيْصُ مُفَاضَةٌ فَوْقَ النُّطَاقِ تُشَدُّ بِالْأَزْرَارِ<sup>(١)</sup>**  
فتقديره: والقميص دزع مفاضة. قاله النحاس<sup>(٢)</sup>.

وقال ابن السدي، عن أبيه، عن مجاهد: قال لهم يوسف: «أَذْهَبُوا يَقِيمِيْصِي هَذَا فَالْقُوَّةُ عَلَى وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرَاً» قال: كان يوسف أعلم بالله من أن يعلم أن قميصه يردد على يعقوب بصره، ولكن ذلك قميص إبراهيم الذي ألبسه الله في النار من حرير الجنة، وكان كسام إسحاق، وكان إسحاق كسام يعقوب، وكان يعقوب أدرج ذلك القميص في قصبة من فضة، وعلقه في عنق يوسف، لما كان يخاف عليه من العين، وأخبره جبريل بأن أرسل قميصك، فإن فيه ريح الجنة، وإن ريح الجنة لا يقع على سقيم ولا مبتلى إلا غوفي<sup>(٣)</sup>.

وقال الحسن: لو لا أن الله تعالى أعلم يوسف بذلك، لم يعلم أنه يرجع إليه بصره. وكان الذي حمل قميصه يهودا، قال ليوسف: أنا الذي حملت إليك قميصك بدم كذب فأحزنته، وأنا الذي أحمله الآن لأسره، وليعود إليك بصره، فحمله؛ حكاه السدي<sup>(٤)</sup>.

**﴿وَأَثْوَفْ يَأْهِلُكُمْ أَجْمَعِينَ﴾** لتتخذوا مصر داراً. قال مسروق: فكانوا ثلاثة وتسعين، ما بين رجل وامرأة<sup>(٥)</sup>. وقد قيل: إن القميص الذي بعثه هو القميص الذي

(١) إعراب القرآن للنحاس ٢/٣٤٤ ، والبيت لجرير، وهو في شرح ديوانه ٢/٨٩٧ بلفظ:  
**تَذَعُو رِبِيعَةُ وَالْقَمِيْصُ مُفَاضَةٌ نَحْتَ النِّجَادِ تُشَدُّ بِالْأَزْرَارِ**  
وهو في لسان العرب (قمص) بنحوه.

(٢) في إعراب القرآن ٢/٣٤٤ .

(٣) تفسير البغوي ٢/٤٤٨ .

(٤) عرائض المجالس ص ١٤٠ ، والنكت والعيون ٣/٧٦ .

(٥) الوسيط ٢/٦٣٢ ، والنكت والعيون ٣/٧٦ ، وتفسير الرازي ١٨/٢٠٧ .

فَدَّ مِنْ دُبْرِهِ<sup>(١)</sup>؛ لِيَعْلَمَ يَعْقُوبُ أَنَّهُ عُصِمَ مِنَ الرَّزْنِ؛ وَالْقَوْلُ الْأَوَّلُ أَصَحُّ، وَقَدْ رُوِيَ مَرْفُوعًا مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ عَنِ النَّبِيِّ ﷺ؛ ذِكْرُهُ الْقُشَّيْرِيُّ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

قوله تعالى: «وَلَمَّا فَصَلَّتِ الْعَيْرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تَقْتَدُونِ» <sup>(٢)</sup> قَالُوا تَالَّهُ إِنَّكَ لَفِي ضَلَالٍ كَالْفَكِيرِ <sup>(٣)</sup> فَلَمَّا أَنْ جَاءَهُ الْبَشِيرُ الْقَسْنَةُ عَلَى وَجْهِهِ، فَأَرْتَدَهُ بَعِيشَرًا قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكُمْ إِنِّي أَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ <sup>(٤)</sup> قَالُوا يَتَابَانَا أَسْتَغْفِرُ لَنَا ذُنُوبَنَا إِنَّا كُنَّا خَطَّافِينَ <sup>(٥)</sup> قَالَ سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رِفْقٌ إِلَّهٌ هُوَ الْعَنْوَرُ الرَّجِيمُ <sup>(٦)</sup> فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ مَأْوَى إِلَيْهِ أَبُوهُمْ وَقَالَ أَدْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مَا يَمِينَ» <sup>(٧)</sup>

قوله تعالى: «وَلَمَّا فَصَلَّتِ الْعَيْرُ» أي: خرجت من منطقة مصر إلى الشام <sup>(٨)</sup>، يقال: فَصَلَّى فُضْلًا، وَفَصَلْتُهُ فَضْلًا، فهو لازم ومتعد <sup>(٩)</sup>. «قَالَ أَبُوهُمْ» أي: قال لمن حضر من قرابته ممّن لم يخرج إلى مصر وهم ولد ولد <sup>(١٠)</sup>: «إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ لَوْلَا أَنْ تَقْتَدُونِ» <sup>(١١)</sup>. قال ابن عباس: حاجت ريح فحملت ريح قميص يوسف إليه، وبينهما مسيرة ثمان ليال <sup>(١٢)</sup>. وقال الحسن: مسيرة عشر ليال <sup>(١٣)</sup>؛ وعنده أيضًا: مسيرة شهر <sup>(١٤)</sup>. وقال مالك بن أنس <sup>(١٥)</sup>: إنما أوصل ريحه من أوصى عرش بلقيس قبل

(١) ينظر النكت والعيون ٧٦/٣.

(٢) النكت والعيون ٧٦/٣.

(٣) تفسير الرازبي ٢٠٧/١٨.

(٤) الوسيط للواحدي ٦٣٢/٢.

(٥) المحرر الوجيز ٢٧٩/٣.

(٦) أخرجه الطبراني في التفسير ١٣/٣٣٣ ، وفي تاريخه ١/٣٦٠ ، وابن أبي حاتم (١١٩٦).

(٧) أخرجه الطبراني في التفسير ١٣/٣٣٣ ، وفي تاريخه ١/٣٦٠ .

(٨) المحرر الوجيز ٢٧٩/٣ .

أن يرتدَّ إلى سليمانَ عليه السلام طُرْفَه<sup>(١)</sup>. وقال مجاهدٌ: هبَّت ريح فصَفَقت القميصَ، فراحت روانُّ الجنة في الدنيا واتصلت بيعقوبَ، فوجَدَ ريحَ الجنة، فعلمَ أنه ليس في الدنيا من ريحَ الجنة إلا ما كانَ مِن ذلك القميصَ، فعند ذلك قال: «إِنِّي لَأَجِدُ»<sup>(٢)</sup> أي: أَشَمُّ؛ فهو وجود بحاسة الشَّمْس<sup>(٣)</sup>.

**﴿لَوْلَا أَنْ تُقْنَدُونَ﴾** قال ابنُ عباس ومجاهدٌ: لو لا أنْ تُسْفِهُونَ<sup>(٤)</sup>؛ ومنه قولُ النابغة<sup>(٥)</sup>:

إِلَّا سُلَيْمَانَ إِذْ قَالَ الْمَلِيكُ لَهُ      قُمْ فِي الْبَرِّيَّةِ فَاخْرُذُهَا عَنِ الْفَنَدِ  
أَي: عن السَّقَمِ.

وقال سعيد بنُ جُبَير والضحاكٌ: لو لا أنْ تكذِّبونَ<sup>(٦)</sup>. والفناد: الكذب. وقد أَفْنَدَ إِفْنَادًا: كَذَبٌ<sup>(٧)</sup>؛ ومنه قولُ الشاعرِ:  
هل في افتخارِ الكريمِ مِنْ أَوْدٍ      أَمْ هُلْ لِقولِ الصَّدُوقِ مِنْ فَنَدٍ<sup>(٨)</sup>  
أَي: مِنْ كذبٍ.

وقيلٌ: لو لا أنْ تُقْبِحُونَ؛ قاله أبو عمرو؛ والتَّقْنِيدُ: التَّقْبِيعُ، قال الشاعرُ:  
يا صاحبي دعا لومي وتقنيدي      فليس ما فاتَ مِنْ أمرٍ بمردودٍ<sup>(٩)</sup>

(١) لم تقف عليه.

(٢) عرائس المجالس ص ١٤٠ ، وتفسير البغوي ٤٤٨/٢ .

(٣) تفسير الرازى ١٨/٢٠٨ .

(٤) أخرجه عن ابن عباس عبد الرزاق ١/٣٢٩ ، والطبرى في التفسير ١٣/٣٣٨ ، وعن مجاهد الطبرى في التفسير ١٣/٣٣٧ .

(٥) ديوانه ص ٣٣ .

(٦) أخرجه عنهما الطبرى في التفسير ١٣/٣٣٩ - ٣٤٠ .

(٧) الصحاح (فند).

(٨) هكذا أورده الماوردي في النكت والعيون ٣/٧٧ ولم يتبه.

(٩) البيت لبشار بن برد، وهو في ديوانه ١/٥٤٣ ، ونسبة في مجاز القرآن لأبي عبيدة ص ٣١٨ إلى =

وقال ابن الأعرابي: «لَوْلَا أَنْ تَفَنَّدُونِ» لو لا أن تُضْعِفُوا رأيي؛ وقاله ابن إسحاق.  
والفنَّد: ضَعْفُ الرأي من كِبِيرٍ<sup>(١)</sup>.  
وقولٌ رابع: تُضَلِّلُونَ، قاله أبو عبيدة<sup>(٢)</sup>.  
وقال الأخْفَشُ: تَلَمُونِي. والتَّفَنِيدُ: اللَّوْمُ وَتَضَعِيفُ الرأي<sup>(٣)</sup>.  
وقال الحسن وقتادة ومجاهد أيضًا: تُهَرِّمُونَ<sup>(٤)</sup>، وكُلُّهُ مُتَقَارِبُ الْمَعْنَى، وهو  
راجِعٌ إلى التَّعْجِيزِ وَتَضَعِيفِ الرأي.  
يقال: فَنَّدَهُ تَفَنِيدًا: إذا أَعْجَزَهُ، كما قال:  
أَهْلَكَنِي بِاللَّوْمِ وَالتَّفَنِيدِ<sup>(٥)</sup>  
ويقال: أَفَنَدَ: إذا تكلَّمَ بالخطأ؛ والفنَّد: الخطأ في الكلام والرأي، كما قال  
النَّابِغَةُ:

### فاحذُّهَا عَنِ الْفَنَّدِ<sup>(٦)</sup>

أي: امنعها عن الفساد في العقل، ومن ذلك قيل: اللَّوْمُ تَفَنِيدٌ؛ قال الشاعر:  
بَا عَاذَلَيْ دَعَا الْمَلَامَ وَأَفْصَرَا طَالَ الْهَوَى وَأَطْلَتَمَا التَّفَنِيدَا<sup>(٧)</sup>

= هانئ بن شكيم العدوبي، وأورده الطبرى فى التفسير ١٣٦/١٣ ، والماوردي فى النكت والعيون ٧٧/٣ ولم ينسبه.

(١) ينظر تهذيب اللغة ١٤/١٣٨ ، والنكت والعيون ٣٣/٣ .

(٢) تفسير البغوى ٤٤٨/٢ ، وجاء في مجاز القرآن ص ٣١٨ : تَسْفِهُونِي ، وَتَعْجِزُونِي ، وَتَلَمُونِي.

(٣) الصحاح (فند).

(٤) أخرجه عنهما الطبرى فى التفسير ١٣/٣٤٠ - ٣٤١ ، وعن مجاهد ابن أبي حاتم (١١٩٦٨).

(٥) رجز لذى الرمة، وهو في ديوانه ٣٣٣/١ ، وبعده:

هل بِينَنَا لِلْوَصْلِ مِنْ مَرْدُودٍ

(٦) سلف قريباً، وينظر جمهرة اللغة لابن دريد ٢٩٠/٢ ، ومعجم متن اللغة ٤٥٣/٤ - ٤٥٤ .

(٧) قائله جرير، وهو في ديوانه ١/٣٣٧ ، والكلام السابق من معاني القرآن للتحاسن ٤٥٣/٣ ، وينظر  
تفسير الطبرى ١٣/٣٤١ ، والمحرر الوجيز ٣٢٧/٣ .

ويقال: أَفْنَدَ فلاناً الدهرُ: إذا أفسدَه؛ ومنه قولُ ابنِ مُقْبِلِ:

**ذَعَ الدَّهْرَ يَفْعَلُ مَا أَرَادَ فَإِنَّهُ إِذَا كَلَّفَ الْإِفْنَادَ بِالنَّاسِ أَفْنَدَهُ**<sup>(١)</sup>

قوله تعالى: ﴿قَالُوا تَأْلُمُ إِنَّكَ لَفِي سَلَالَكَ الْقَدِيرِ﴾ أي: لفي ذهاب عن طريق الصواب. وقال ابنُ عباس وابنُ زيد: لفي خطئك الماضي من حبِّ يوسف لا تنساه<sup>(٢)</sup>. وقال سعيد بن جُبَير: لفي جنونك القديم. قال الحسن: وهذا عقوبة<sup>(٣)</sup>. وقال قتادة وسفيان: لفي محبتك القديمة<sup>(٤)</sup>. وقيل: إنما قالوا هذا؛ لأنَّ يوسف عندهم كان قد مات<sup>(٥)</sup>. وقيل: إن الذي قال له ذلك مَنْ بقيَ معه من ولده، ولم يكن عندهم الخبر<sup>(٦)</sup>. وقيل: قال له ذلك مَنْ كان معه مِنْ أهله وقرباته. وقيل: بنو بنيه، وكانوا صغاراً<sup>(٧)</sup> فالله أعلم.

قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا أَنْ جَاءَ الْبَشِيرُ أَلْقَنَهُ عَلَى وَجْهِهِ﴾ أي: على عينيه. **﴿فَأَزْتَدَ بَصِيرَتَهُ﴾** «أنْ» زائدة<sup>(٨)</sup>، والبشير، قيل: هو شمعون<sup>(٩)</sup>. وقيل: يهودا قال: أنا أذهب بالقبيص اليوم كما ذهبت به مُلَطَّخاً بالدم؛ قاله ابنُ عباس<sup>(١٠)</sup>. وعن السُّدِّي أنه قال

(١) ديوان ابن مقبل ص ٦٠ ، والبيت فيه هكذا:

**ذَعَ الدَّهْرَ يَفْعَلُ مَا أَرَادَ فَإِنَّهُ إِذَا كَلَّفَ الْإِفْنَادَ بِالنَّاسِ أَفْنَدَهُ**  
والكلام السابق في تفسير الطبرى ٣٣٦/١٣ .

(٢) أخرجه عنهما الطبرى في التفسير ٣٤٢/١٣ - ٣٤٣ ، وأخرجه عن ابن عباس ابن أبي حاتم في التفسير ٢١٩٨/٧ (١١٩٧٠).

(٣) أخرجه عنهما ابن أبي حاتم ٢١٩٨/٧ (١١٩٧١) و(١١٩٧٢).

(٤) أخرجه عنهما الطبرى في التفسير ٣٤٢/١٣ ، وأخرجه عن قتادة ابن أبي حاتم ٢١٩٨/٧ - ٢١٩٩ ، والكلام السابق من النكت والعيون ٣/٧٨ . (١١٩٧٣)

(٥) الوسيط للواحدى ٦٣٣/٢ ، وعزاه إلى الحسن، وينظر تفسير البغوى ٤٤٨/٢ .

(٦) ينظر تفسير أبي الليث ١٧٦/٢ .

(٧) النكت والعيون ٣/٧٨ .

(٨) إعراب القرآن للنحاس ٣٤٥/٢ .

(٩) النكت والعيون ٣/٧٨ ، وزاد المسير ٤/٢٨٦ ونباه إلى الضحاك.

(١٠) تفسير البغوى ٤٤٩/٢ ، وزاد المسير ٤/٢٨٦ .

لإخوته: قد علّمتم أثني ذهبت إليه بقميص التّرحة، فدعوني أذهب إليه بقميص الفرحة<sup>(١)</sup>. وقال يحيى بن سفيان عن سفيان: لما جاء البشير إلى يعقوب قال له: على أي دين تركت يوسف؟ قال: على الإسلام؛ قال: الآن تَمَّت النعمة<sup>(٢)</sup>. وقال الحسن: لما ورد البشير على يعقوب لم يجد عنده شيئاً يُثنيه به؛ فقال: والله ما أصبت عندنا شيئاً، وما خبزنا شيئاً منذ سبع ليالٍ، ولكن هُون الله عليك سكرات الموت<sup>(٣)</sup>. قلت: وهذا الدعاء من أعظم ما يكون من الجوائز، وأفضل العطايا والذخائر. ودللت هذه الآية على جواز البذل والهبات عند البشائر. وفي الباب حديث كعب بن مالك - الطويل - وفيه: فلما جاءني الذي سمعت صوته يبشرني، نزعت ثوبي فكسوتهم إيه ببشراته، وذكر الحديث، وقد تقدم بكماله في قصة الثلاثة الذين خلفوا<sup>(٤)</sup>، وكسوة كعب ثوبته للبشير مع كونه ليس له غيرهما دليلاً على جواز مثل ذلك إذا أرجو حصول ما يستبشر به، وهو دليل على جواز إظهار الفرح بعد زوال الغم والتّرح. ومن هذا الباب جواز حذقة الصبيان<sup>(٥)</sup>، وإطعام الطعام فيها، وقد نَحَرَ عمر بعد حفظه سورة «البقرة» جَزُوراً<sup>(٦)</sup>. والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿قَالَ اللَّهُمَّ أَقْلِلْ لَكُمْ إِنِّي أَغْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ ذكرهم قوله: ﴿قَالَ إِنَّمَا أَشْكُوا بَقَى وَحْزِنَةً إِلَى اللَّهِ وَأَعْلَمُ مِنَ اللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ [يوسف: ٨٦].

(١) المحرر الوجيز ٢٨٠/٣ ، وأخرجه عنه الطبرى في التفسير ٣٤٥/١٣ ، وابن أبي حاتم ٢١٩٦/٧ (١١٩٥٥).

(٢) أخرجه الواحدى في الوسيط ٦٣٤/٢ .

(٣) أخرجه ابن أبي حاتم في التفسير ٧/٢١٩٩ (١١٩٧٩) عن لقمان الحنفى.

(٤) ٤١٣/١٠ .

(٥) في النسخ الخطية: حذقة الصبيان، والمثبت من (م). وحذقة الصبي القرآن والعمل، يخلق حذقاً وحذقة وجذقاً: إذا مهر فيه. ويقال لليوم الذي يختتم فيه القرآن: هذا يوم حذقة. الصحاح (حذق)، ونقل ابن حجر في فتح الباري ٩/٢٤١ عن ابن الصباغ في كتابه «الشامل» قوله: الحذاق: الطعام الذي يتخذ عند حذق الصبي، وعن ابن الرفعة: هو الذي يصنع عند الختم، أي: ختم القرآن. اهـ

(٦) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان ٢/٣٣١ ، ومن طريقه ابن عساكر في تاريخ مدينة دمشق ٤٤/٢٨٦ .

قوله تعالى: «**فَأَلْوَا يَكْبَابَا أَسْتَغْفِرُ لَنَا ذُؤْبَيَا إِنَّا كُنَّا حَطَّافِينَ**» في الكلام حذف التقدير: فلما رجعوا من مصر قالوا: يا أبانا؛ وهذا يدل على أنَّ الذي قال له: «**إِنَّكَ لَئِنِي حَنَّلَكَ الْفَكِيرِي**» بنو بيته أو غيرهم من قرابته وأهله لا ولده؛ فإنَّهم كانوا عبياً، وكان يكون ذلك زيادة في العقوق. والله أعلم.

**وَإِنَّمَا سَأَلُوهُ الْمَغْفِرَةَ؛ لَأَنَّهُمْ أَدْخَلُوا عَلَيْهِ مِنْ أَلْمِ الْحُزْنِ مَا لَمْ يَسْقُطْ الْمَائِمُ عَنْهِ**

إلا بِالْحَلَالِ<sup>(١)</sup>.

قلت: وهذا الحكم ثابت فيمن آذى مسلماً في نفسه أو ماله أو غير ذلك، ظالماً له فإنه يجب عليه أن يتخلل له، ويُخبره بالظلمة وقدرها، وهل ينفع التحليل المطلقاً أم لا؟ فيه خلاف، وال الصحيح أنه لا ينفع؛ فإنه لو أخبره بظلمة لها قدر وبالرِّيَما لم تطب نفس المظلوم في التخلل منها. والله أعلم.

وفي «صحيح البخاري» وغيره عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «مَنْ كَانَتْ لَهُ مَظْلَمَةٌ لِأَخِيهِ مِنْ عِزْضِهِ أَوْ شَيْءٍ، فَلْيَتَحَلَّلْهُ مِنْهُ الْيَوْمَ قَبْلَ أَلَا يَكُونَ دِينَارٌ وَلَا دِرْهَمٌ، إِنْ كَانَ لَهُ عَمَلٌ صَالِحٌ أَخِذَّ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلِمَتِهِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْ لَهُ حَسَنَاتٌ، أَخِذَّ مِنْ سِيَّنَاتِ صَاحِبِهِ فَحُمِّلَ عَلَيْهِ»<sup>(٢)</sup> قال المهلب ف قوله ﷺ: «أَخِذَّ مِنْهُ بِقَدْرِ مَظْلِمَتِهِ» يجب أن تكون المظلمة معلومة القدر، مشاراً إليها مبينة، والله أعلم.

قوله تعالى: «**فَالَّتِي سَوَّقَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي**» قال ابن عباس: آخر دعاءه إلى السحر<sup>(٣)</sup>. وقال المُثَنَّى بْنُ الصَّبَّاح عن طاوس قال: سحر ليلة الجمعة، ووافق ذلك ليلة عاشوراء<sup>(٤)</sup>. وفي دعاء الحفظ - من كتاب الترمذى - عن ابن عباس أنَّه قال: بينما نحن عند رسول الله ﷺ إذ جاءه عليٌّ بْنُ أبي طالب ﷺ فقال: بأبي أنت وأمي،

(١) النكت والعيون . ٧٩/٣

(٢) صحيح البخاري (٢٤٤٩)، وأخرجه أيضاً الترمذى (٢٤١٩) بعنوانه .

(٣) ينظر معاني القرآن للفراء ٥٥/٢ ، والوسط للواحدى ٦٣٤/٢ ، وزاد المسير ٤/٢٨٧ .

(٤) تفسير البغوي ٤٤٩/٢ ، وزاد المسير ٤/٢٨٧ ، وينظر عرائس المجالس للشعلي ص ١٤١ .

تَفَلَّتْ هَذَا الْقُرْآنُ مِنْ صَدْرِي، فَمَا أَجِدُنِي أَقْدِرُ عَلَيْهِ، فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «أَفَلَا أَعْلَمُكَ كَلْمَاتٍ يَنْفَعُكَ اللَّهُ بِهِنَّ، وَيَنْفَعُ بِهِنَّ مَنْ عَلِمْتَهُ، وَيُبَثِّتُ مَا تَعْلَمْتَ فِي صَدْرِكَ» قَالَ: أَجَلْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَعَلِمْنِي، قَالَ: «إِذَا كَانَ لِيَلٌُ الْجَمْعَةِ، فَإِنِّي أَسْتَطِعُ أَنْ تَقُومَ فِي ثَلَاثِ الْلَّيْلَاتِ الْآخِيرَةِ فِيْنَاهَا سَاعَةً مَشْهُودَةً، وَالدُّعَاءُ فِيهَا مُسْتَجَابٌ، وَقَدْ قَالَ أَخِي يَعْقُوبَ لَبَنِيْهِ: «سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّكُمْ» يَقُولُ: حَتَّى تَأْتِي لِيَلٌُ الْجَمْعَةِ»<sup>(١)</sup> وَذَكَرَ الْحَدِيثَ.

وَقَالَ أَيُوبُ بْنُ أَبِي تَمِيمَةَ السَّخْتِيَانِيِّ، عَنْ سَعِيدِ بْنِ جُبَيرٍ، قَالَ: «سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّكُمْ» فِي الْلَّيَالِي الْبَيْضَاءِ، فِي الثَّالِثَةِ عَشَرَةِ، وَالرَّابِعَةِ عَشَرَةِ، وَالخَامِسَةِ عَشَرَةِ، فَإِنَّ الدُّعَاءَ فِيهَا مُسْتَجَابٌ<sup>(٢)</sup>. وَعَنْ عَامِرِ الشَّعْبِيِّ قَالَ: «سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّكُمْ» أَيِّ: أَسْأَلُ يُوسُفَ إِنْ عَفَا عَنْكُمْ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّي<sup>(٣)</sup>.

وَذَكَرَ سُعِيدُ بْنُ دَاؤِدَ قَالَ: حَدَّثَنَا هُشَيْمٌ، قَالَ: حَدَّثَنَا عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ إِسْحَاقَ، عَنْ مَحَارِبِ بْنِ دَثارَ، عَنْ عَمِّهِ قَالَ: كُنْتَ أَتِيَ الْمَسْجِدَ فِي السَّحْرِ، فَأَمْرَرْتُ بَدَارِ ابْنِ مَسْعُودٍ فَأَسْمَعْتُهُ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنَّكَ أَمْرَتَنِي فَأَطْعُمُ، وَدَعَوْتَنِي فَأَجْبِثُ، وَهَذَا سَحْرٌ، فَاغْفِرْ لِي، فَلَقِيْتُ ابْنَ مَسْعُودٍ فَقُلْتُ: كَلْمَاتٍ أَسْمَعْتَ تَقُولُهُنَّ فِي السَّحْرِ؟ فَقَالَ: إِنَّ يَعْقُوبَ أَخَرَ بَنِيْهِ إِلَى السَّحْرِ بِقَوْلِهِ: «سَوْفَ أَسْتَغْفِرُ لَكُمْ رَبِّكُمْ»<sup>(٤)</sup>.

قَوْلُهُ تَعَالَى: «فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَى يُوسُفَ» أَيِّ: قَضَرَأَ كَانَ لَهُ هَنَاكَ «مَا أَوْتَ إِلَيْهِ أَبُو يَوْهَ» قَيْلٌ: إِنَّ يُوسُفَ بَعْثَ مَعَ الْبَشِيرِ مَتَّيْ رَاحِلَةً وَجَهَازًا، وَسَأَلَ يَعْقُوبَ أَنْ يَأْتِيَهُ

(١) سنن الترمذى (٣٥٧٠).

(٢) ينظر المحرر الوجيز . ٢٨٠ / ٣ .

(٣) تفسير البغوي . ٤٤٩ / ٢ .

(٤) أَخْرَجَهُ سَعِيدُ بْنُ مَنْصُورَ فِي التَّفْسِيرِ ٥ / ٤١٠ (١١٤٤)، وَالْطَّبَرِيُّ فِي التَّفْسِيرِ ١٣ / ٣٤٧، وَابْنُ أَبِي حَاتِمٍ فِي التَّفْسِيرِ ٧ / ٢٢٠٠ (١١٩٨٣)، وَالْطَّبِيرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ ٩ / ١٠٤ (٨٥٤٨) مِنْ طَرْقٍ، عَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ إِسْحَاقَ، عَنْ مَحَارِبِ بْنِ دَثارَ، عَنْ عَمِّهِ. قَالَ الْهَيْشَمِيُّ فِي مَجْمِعِ الزَّوَادِ ١٠ / ١٥٥: وَفِيهِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنِ إِسْحَاقَ الْكَرْفَيِّ، وَهُوَ ضَعِيفٌ.

بأهلِه وولديه جميعاً، فلما دخلوا عليه ﴿مَا وَيْدَ إِلَيْهِ أَبُوئِيهِ﴾ أي: ضمّ، ويعني بأبويه أباه وخالته، وكانت أمّه قد ماتت في ولادة أخيه بنيامين<sup>(١)</sup>. وقيل: أحيى الله له أمّه تحقيقاً للرؤيا حتى سجدت له، قاله الحسن<sup>(٢)</sup>، وقد تقدّم في «البقرة» أنَّ الله تعالى أحيى لنبيه عليه الصلاة والسلام أباه وأمه، فاما به<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿أَدْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مَاءِنِينَ﴾ قال ابنُ جريج: أي: سوف أستغفرُ لكم ربِّي إنْ شاءَ الله، قال: وهذا من تقديم القرآن وتأخيره<sup>(٤)</sup>. قال النحاس<sup>(٥)</sup>: يذهب ابنُ جريج إلى أنَّهم قد دخلوا مصرَ، فكيف يقول: ﴿أَدْخُلُوا مِصْرَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ مَاءِنِينَ﴾. وقيل: إنَّما قال: ﴿إِنْ شَاءَ اللَّهُ تَبَرُّكًا وَجَزَّمًا﴾ مِن القخط، أو من فرعونَ، وكانوا لا يدخلونها إلا بجوازه<sup>(٦)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبُوئِيهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرَأُ لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَتَابَتْ هَذَا تَأْوِيلُ رَءْيَتِيِّ إِنْ قَبْلَ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّ حَقًا وَقَدْ أَحَسَّتِي إِذْ أَخْرَجْتِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاءَ إِلَيْكُمْ مِنَ الْبَدْرِ مِنْ بَعْدِ أَنْ نَزَّغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِ وَبَيْنِ لِحَوقَتْ إِنَّ رَبِّ الْطَّيْفِ لِمَا يَسَأَ إِنَّمَهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾<sup>(٧)</sup>

قوله تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبُوئِيهِ عَلَى الْعَرْشِ﴾ قال قتادة: يزيد السرير<sup>(٨)</sup>، وقد تقدّمت

(١) أخرجه الطبرى في التفسير ١٣/٣٥٢ ، ٢٢٠١ - ٢٢٠٠ / ٧ (١١٩٨٦) ونسبه إلى السدى، وينظر زاد المسير ٤/٢٨٨ ، وتفسير الرازى ١٨/٢١٠ . والأظهر أن المراد بأبوه وأمه، بحسب اللفظ، إلا إذا ثبت بسند أن أمّه ماتت. المحرر الوجيز ٣/٢٨١ .

(٢) تفسير البغوى ٢/٤٥٠ ، وتفسير الرازى ١٨/٢١٠ قال الألوسى في روح المعانى ١٣/٥٧ : والظاهر أنه لم يثبت، ولو ثبت مثله لاشهر.

(٣) ٣٤٤/٢ . وهذا حديث كذب، فيما نقلناه عن النهي ثمة.

(٤) أخرجه الطبرى في التفسير ١٣/٣٥١ ، وينظر كلام الطبرى حول هذا المعنى.

(٥) معانى القرآن ٣/٤٥٦ .

(٦) ينظر تفسير البغوى ٢/٤٥٠ ، وزاد المسير ٤/٢٨٩ ، وتفسير الرازى ١٨/٢١١ .

(٧) معانى القرآن للنحاس ٣/٤٥٦ .

محامله<sup>(١)</sup>، وقد يُعبر بالعرش عن المُلْكِ والمَلِك نفسه، ومنه قول النابغة الذبياني:

عُرُوشُ تَفَانُوا بَعْدَ عِزٍّ وَأَمْنٍ<sup>(٢)</sup>

وقد تقدّم<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا﴾

فيه ثلاث مسائل:

الأولى: قوله تعالى: ﴿وَخَرُّوا لَهُ سُجَّدًا﴾ الهاء في «خرروا له» قيل: إنها تعود على الله تعالى، المعنى: وخرروا شكرًا لله سجدة، ويوسف كالقبيلة، لتحقيق رؤياه، ورؤي عن الحسن<sup>(٤)</sup>، قال النقاش: وهذا خطأ، والهاء راجعة إلى يوسف، لقوله تعالى في أول السورة: ﴿رَأَيْتُمْ لِي سَجِيدِينَ﴾. وكان تحبّthem أن يسجد الوضييع للشريف<sup>(٥)</sup>، والصغير للكبير؛ سجد يعقوب وخالته وإخوته ليوسف عليه السلام، فاقشعر جلدُه وقال: ﴿هَذَا تَأْوِيلُ رَعِيَّتِي مِنْ قَبْلِهِ﴾<sup>(٦)</sup>.

وكان بين رؤيا يوسف وبين تأويلها اثنتان وعشرون سنة<sup>(٧)</sup>. وقال سلمان الفارسي وعبد الله بن شداد: أربعون سنة<sup>(٨)</sup>؛ قال عبد الله بن شداد: وذلك آخر ما تُبْطِئ

. ٢٤٠ / ٩ (١)

(٢) لم نقف عليه في ديوانه، وأورده القرطبي في الأنسى ص ١٨٦ ولم ينسبه، وتمامه:

هُوَا بَعْدَمَا رَامُوا السَّلَامَةَ وَالْبَقَاءَ

(٣) لم يتقدم، بل الوارد سابقاً / ٩ ٢٤٠ قول زهير:

تَدَارِكْتَمَا عَبْسًا وَقَدْ ثُلَّ عَرْشَهَا وَذَبِيَّانَ إِذْ رَأَتْ بِأَقْدَامِهَا النَّعْلَ

(٤) التكت والعيون ٨٢/٣ ، والمحرر الوجيز ٢٨١/٣ ، وزاد المسير ٤/٢٩٠ .

(٥) تفسير أبي الليث ٢/١٧٧ .

(٦) ينظر تفسير الرازبي ١٨/٢١٣ - ٢١٤ .

(٧) تفسير أبي الليث ٢/١٧٧ ، وزاد المسير ٤/٢٩٠ ، ونباه إلى ابن عباس.

(٨) المحرر الوجيز ٣/٢٨٢ ، وأخرجه الطبرى ١٣/٣٥٧ - ٣٥٩ عنهما، وابن أبي حاتم في التفسير ٧/٢٢٠٢ (١١٩٩٨) عن ابن عباس رضي الله عنهما.

الرؤيا<sup>(١)</sup>. وقال قتادة: خمس وثلاثون سنة<sup>(٢)</sup>. وقال السدي<sup>\*</sup> وسعيد بن جبير وعكرمة<sup>\*</sup>: ست وثلاثون سنة<sup>(٣)</sup>. وقال الحسن وجشر بن فرقد وفصيل بن عياض: ثمانون سنة<sup>(٤)</sup>.

وقال وهب بن متبه<sup>\*</sup>: ألقى يوسف في الجب و هو ابن سبع عشرة سنة، و غاب عن أبيه ثمانين سنة، و عاش بعد أن التقى بأبيه ثلاثة وعشرين سنة، و مات وهو ابن مئة وعشرين سنة. وفي التوراة مئة وست وعشرون سنة. ولد ليوسف من امرأة العزيز: إفرايم، و منها ، و رحمة امرأة أيوب<sup>(٥)</sup>. وبين يوسف و موسى أربع مئة سنة<sup>(٦)</sup>.

وقيل: إنَّ يعقوب بقيَ عند يوسف عشرين سنة، ثم توفي<sup>(٧)</sup>. وقيل: أقام عنده ثمانين عشرة سنة<sup>(٨)</sup>. وقال بعض المحدثين: بضعاً وأربعين سنة. وكان بين يعقوب و يوسف ثلاث وثلاثون سنة حتى جمعهم الله. وقال ابن إسحاق: ثمانين عشرة سنة، والله أعلم<sup>(٩)</sup>.

الثانية: قال سعيد بن جبير، عن قتادة، عن الحسن، في قوله: «وَخَرُوا لَهُ سُجْدَاتٍ» قال: لم يكن سجوداً، لكنه سنة كانت فيهم، يؤمّنون برؤوسهم إيماء، كذلك كانت تحيّتهم<sup>(٤)</sup>. وقال الثوري<sup>\*</sup> والضحاك وغيرهما: كان سجوداً كالسجود المعهود عندنا، وهو كان تحيّتهم. وقيل: كان انحناء كالركوع، ولم يكن خوروراً على الأرض، وهكذا

(١) المحرر الوجيز ٢٨٢/٣ .

(٢) أخرجه ابن أبي حاتم في تفسيره ٢٢٠٢/٧ (١١٩٩٩).

(٣) زاد المسير ٤/٢٩٠ - ٢٩١ .

(٤) المحرر الوجيز ٢٨٢/٣ ، وأخرجه عنهم الطبرى في التفسير ١٣/٣٥٩ - ٣٦٠ .

(٥) تفسير البغوى ٢/٤٥١ ولكن عزاه إلى الحسن، وفيه وفي المعرف لابن قتيبة ص ٤١ أن في التوراة أنه عاش مئة وعشرين سنة.

(٦) المعرف لابن قتيبة ص ٤١ .

(٧) ينظر المحرر الوجيز ٣/٢٨٢ ، و تفسير أبي الليث ٢/١٧٨ ، و تفسير البغوى ٢/٤٥١ .

(٨) أخرجه الطبرى في التفسير ١٣/٣٦١ .

(٩) ينظر الوسيط للواحدى ٢/٦٣٥ ، والمحرر الوجيز ٣/٢٨١ .

كان سلامُهم بالتكفّي والانحناء، وقد نسخ الله ذلك كله في شرِّعنا، وجعل الكلام بدلاً عن الانحناء.

وأجمع المفسرون أنَّ ذلك السجود على أيِّ وجه كان، فإنما كان تحية لا عبادة. قال قتادة: هذه كانت تحية الملوك عندَهم، وأعطى الله هذه الأمة السلام تحية أهل الجنة<sup>(١)</sup>.

قلت: هذا الانحناء والتکفی الذي نسخَ عَنَّا، قد صار عادةً بالديار المصرية، وعند العجم، وكذلك قيام بعضِهم إلى بعض، حتى إنَّ أحدَهم إذا لم يُقْمِ له، وَجَدَ في نفسه كأنَّه لا يُؤْبَه به، وأنَّه لا قدرَ له، وكذلك إذا التقاوا، انحنى بعضُهم لبعض، عادةً مستمرةً، ووراثةً مستقرةً، لا سيما عند التقائهِ الأمراء والرؤساء. نَكَبُوا عن السنَّن، وأعرضوا عن السنَّن. وروى أنسُ بْنُ مالِكَ قال: قلنا يا رسول الله، أينحنى بعضاً إلى بعضٍ إذا التقينا؟ قال: «لا»، قلنا: أَفَيَعْتَقِ بعضاً بعضاً؟ قال: «لا»، قلنا: أَفِي صافح بعضاً بعضاً؟ قال: «نعم». خَرَجَه أبو عمر في «التمهيد»<sup>(٢)</sup>.

فإن قيل: فقد قال رسول الله ﷺ: «قوموا إلى سيدكم وخَيْرِكم»<sup>(٣)</sup> - يعني: سعد ابن معاذ - قلنا: ذلك مخصوص بسعده؛ لما تقتضيه الحال المعينة. وقد قيل: إنما كان قيامُهم لينزلوه عن الحمار. وأيضاً فإنَّه يجوز للرجل الكبير إذا لم يؤثِر ذلك في نفسه، فإنَّ أثراً فيه، وأعجب به، ورأى لنفسه حظاً، لم يجُز عَونَه على ذلك؛ لقوله ﷺ: «مَن سرَّه أَن يَتَمَثَّلَ لِه النَّاسُ قِياماً، فليتَبَوَّأْ مَقْعِدَه مِنَ النَّارِ»<sup>(٤)</sup>. وجاء عن الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين أنَّه لم يكن وجه أكرم عليهم من وجوه رسول الله ﷺ، وما كانوا يقومون له إذا رأوه؛ لما يعرفون من كرامته لذلك.

(١) أخرجه الطبراني في التفسير ٣٥٥/١٣ ، وابن أبي حاتم في التفسير ٢٢٠٢/٧ (١١٩٩٦).

(٢) ١٥/٢١ ، وأخرجه أيضاً البهقي في السنن الكبرى ٧/١٠٠ .

(٣) أخرجه أحمد ٢٥٠٩٧) من حديث عائشة، والطحاوي في شرح مشكل الآثار (١١٢٠) من حديث أبي سعيد الخدري ﴿.

(٤) أخرجه أبو داود (٥٢٢٩)، والترمذى (٢٧٥٥) من حديث معاوية ﴿. قال الترمذى: هذا حديث حسن.

الثالثة: فإن قيل: فما تقول في الإشارة بالإصبع؟ قيل له: ذلك جائز إذا بعْدَ عنك؛ لتعيّن له به وقت السلام، فإن كان دائياً، فلا<sup>(١)</sup>. وقد قيل بالمنع في القرب والبعد؛ لما جاء عن رسول الله ﷺ أنه قال: «من تَشَبَّهَ بِغَيْرِنَا، فَلَيْسَ مَنَا». وقال: «لا تُسلِّمُوا تسلیمَ اليهود والنصارى، فإنَّ تسلیمَ اليهود بالأكْفَّ، والنَّصارى بالإشارة»<sup>(٢)</sup>. وإذا سَلَّمَ فَإِنَّه لا يَنْحِنِي، ولا أنْ يُقْبَلَ مع السَّلام يَدَهُ، ولأنَّ الانحناء على معنى التواضع لا ينبغي إلا لله.

وأما تقبيلُ اليد فـإنه من فعل الأعاجم، ولا يُتَّبعون على أفعالهم التي أحدثوها؛ تعظيمًا منهم لـكُبرائهم؛ قال النبي ﷺ: «لا تَقْوِمُوا عند رأسي، كما تَقْوِمُ الأعاجمُ عند رؤوس أكاسرتها»<sup>(٣)</sup> فهذا مثله.

ولا بأس بالمصافحة؛ فقد صافح النبي ﷺ جعفر بن أبي طالب حين قَدِمَ من الحبشة، وأمرَ بها، ونَذَرَ إليها<sup>(٤)</sup>، وقال: «تصافحوا يذهب الغل»<sup>(٥)</sup> وروى غالب التَّمَّار عن الشعبي أنَّ أصحابَ النبي ﷺ كانوا إذا التقوا تصافحوا، وإذا قَدِمُوا من سفر، تَعانقو<sup>(٦)</sup>.

فإن قيل: فقد كَرِه مالكُ المصافحة؟ قلنا<sup>(٧)</sup>: روى ابن وهِي عن مالكِ أنه كَرِه المصافحة والمعانقة، وذهب إلى هذا سُخنون وغيره من أصحابنا. وقد روى عن

(١) في أحكام القرآن لابن العربي ١٠٩٥/٣ . والكلام منه: فلا بأس بالمصافحة. وسيذكر المصنف المصافحة فيما يأتي.

(٢) أخرجه الترمذى (٢٦٩٥) والنمساني في الكبرى (١٠١٠)، والبيهقي في شعب الإيمان (٨٩١١) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما. قال الترمذى: هذا حديث إسناده ضعيف. اهـ

(٣) أخرجه أبو داود (٥٢٣٠)، وابن ماجه (٣٨٣٦) عن أبي أمامة بنحوه.

(٤) أحكام القرآن لابن العربي ١٠٩٥/٣ ، والحديث أخرجه الطحاوى في شرح معانى الآثار ٤/٢٨١ .

(٥) أخرجه مالك في الموطأ ٩٠٨/٢ عن عطاء مرسلاً.

(٦) أخرجه الطحاوى في شرح معانى الآثار ٤/٢٨١ .

(٧) القائل ابن عبد البر في التمهيد ٢١/١٧ .

مالكٌ خلاف ذلك من جواز المصالحة، وهو الذي يدلُّ عليه معنى ما في «الموطأ»، وعلى جواز المصالحة جماعة العلماء من السلف والخلف.

قال ابن العربي<sup>(١)</sup>: إنما كَرِهَ مالك المصالحة؛ لأنَّه لم يرَها أمراً عاماً في الدين، ولا منقولاً نَقْلَ السلام، ولو كانت منه لاستوى معه.

قلت: قد جاء في المصالحة حديث يدلُّ على الترغيب فيها، والدَّأب عليها والمحافظة، وهو ما رواه البراءُ بْنُ عازبٍ قال: لقيتُ رسولَ الله ﷺ، فأخذ بيدي فقلت: يا رسولَ الله، إنْ كنْتُ لأحسبُ أَنَّ المصالحةَ للأعجمِ؟ فقال: «نحن أَحَقُّ بالصالحةِ منهم، ما من مسلمٍ يلتقيان فِي أَخْذِ أَحَدِهِمَا بِيَدِ صَاحِبِهِ مُوَدَّةٌ بَيْنَهُمَا وَنَصِيحَةٌ، إِلَّا أَلْقَيْتُ ذَنْبَهُمَا بَيْنَهُمَا»<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: «وَقَدْ أَخْسَنَ إِذَا أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ»<sup>(٣)</sup> ولم يقل: من الجُبْ؛ استعمالاً للكلَّمَة؛ لثلا يُذَكِّرُ إِخْرَجَتَهُ صنيعَهُمْ بعدَ غَفْوَهُ عنْهُم بِقولِهِ: «لَا تَثْرِيبَ عَلَيْكُمْ»<sup>(٤)</sup> [يوسف: ٩٢].

قلت: وهذا هو الأصل عند مشايخ الصوفية: ذُكْرُ الجَهْنَمِ في وقت الصَّفَا جَهَنَّماً، وهو قولٌ صحيحٌ دَلَّ عليه الكتابُ.

وقيل: لأنَّ في دخوله السجنَ كان باختياره بقوله: «رَبِّ السِّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ مَا يَدْعُونِي إِلَيْهِ»<sup>(٥)</sup> وكان في الجُبْ بإرادةِ الله تعالى له. وقيل: لأنَّه كان في السجن مع اللصوص والعصاة، وفي الجُبْ مع الله تعالى؛ وأيضاً فإنَّ الميئَةَ في النَّجَاهِ من السجنِ كانت أكبرَ؛ لأنَّ دخلَه بسببِ أمرِ هَمَّ به، وأيضاً دخلَه باختياره إذ قال: «رَبِّ السِّجْنِ أَحَبُّ إِلَيَّ»<sup>(٦)</sup> فكان الْكَرْبُ فيه أكثرَ، وقال فيه أيضاً: «أَذْكُرْتُنِي عَنْدَ رَبِّكَ»<sup>(٧)</sup>

(١) أحكام القرآن ٣/١٠٩٥.

(٢) أخرجه الطبراني في الأوسط (٨٣٣٥)، وابن عبد البر في التمهيد ٢١/١٣.

(٣) الوسيط للواحدي ٢/٦٣٥ ، وزاد المسير ٤/٢٩١.

(٤) هذا من كلام الجنيد للسَّرِّيِّ السَّقْطِيِّ، وهو في الرسالة القشيرية ٢/١١٨.

[يوسف: ٤٢] فَتُوقَبْ فِيهِ<sup>(١)</sup>.

**﴿وَجَاهَهُ يَكُمْ مِنَ الْبَدْو﴾** يُروى أنَّ مسكنَ يعقوبَ كانَ بِأرضِ كنعانِ، وَكَانُوا أَهْلَ مَاشٍ وَبَرِيَّةٍ<sup>(٢)</sup>. وَقَيلَ: كَانَ يَعْقُوبُ تَحْوِلُ إِلَى بَادِيَةٍ وَسَكَنَهَا، وَأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْعَثْ نَبِيًّا مِنْ أَهْلِ الْبَادِيَةِ. وَقَيلَ: إِنَّهُ كَانَ خَرَجَ إِلَى بَدَأًا، وَهُوَ مَوْضِعٌ؛ وَإِلَيْهِ عَنِ الْجَوَمِيلِ بِقَوْلِهِ: وَأَنْتِ التِّي حَبَبْتِ شَغْبًا إِلَى بَدَأًا إِلَيَّ وَأَوْطَانِي بِلَادِ سِوَاهُمَا<sup>(٣)</sup> وَلَيَعْقُوبَ بِهَذَا الْمَوْضِعِ مَسْجِدٌ تَحْتَ جَبَلٍ. يَقَالُ: بَدَأًا الْقَوْمُ بَدْوًا: إِذَا أَتَوْا بَدَأًا، كَمَا يَقَالُ: غَارُوا غَورًا، أَيِّ: أَتَوْا الغَورَ، وَالْمَعْنَى: وَجَاءَ بَكُمْ مِنْ مَكَانِ بَدَأًا؛ ذَكْرُ الْقَشِيرِيُّ، وَحَكَاهُ الْمَاوَرْدِيُّ عَنِ الصَّحَّاكِ عَنِ ابْنِ عَبَّاسٍ<sup>(٤)</sup>.

**﴿مَنْ بَعْدَ أَنْ نَزَّلْنَا شَيْئًا بَيْنَ يَمَنَ وَبَنَانَ لِغَوْتَنَ﴾** بِإِلَيَّقَاعِ الْحَسْدِ؛ قَالَهُ ابْنُ عَبَّاسٍ<sup>(٥)</sup>. وَقَيلَ: أَفْسَدَ مَا يَبْنِي وَبَنِي إِخْرَوْتِي<sup>(٦)</sup>؛ أَحَالَ ذَنْبَهُمْ عَلَى الشَّيْطَانَ؛ تَكْرُمًا مِنْهُ.

**﴿إِنَّ رَبِّ الْلَّطِيفِ لِمَا يَشَاءُ﴾** أَيِّ: رَفِيقُ بَعْبَادِهِ. وَقَالَ الْحَطَابِيُّ: الْلَّطِيفُ هُوَ الْبَرُّ بَعْبَادِهِ، الَّذِي يَلْطِفُ بَهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَعْلَمُونَ، وَيُسَبِّبُ لَهُمْ مَصَالَحَهُمْ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُونَ؛ كَقَوْلِهِ: **﴿اللَّهُ لَطِيفٌ يَعْبَادُهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ﴾** [الشُّورِيٰ: ١٩]. وَقَيلَ: الْلَّطِيفُ: الْعَالِمُ بِدَقَاقِقِ الْأَمْرِ؛ وَالْمَرَادُ هُنَا الْإِكْرَامُ وَالرُّفْقُ.

قَالَ قَتَادَةُ: لَطْفُ بِيُوسُفَ يَا خَرَاجَهُ مِنَ السُّجْنِ، وَجَاءَهُ بِأَهْلِهِ مِنَ الْبَدْوِ، وَنَزَعَ عَنْ قَلْبِهِ نَزَعُ الشَّيْطَانِ<sup>(٧)</sup>.

(١) ينظر النكت والعيون ٣/٨٣ ، وتفصير البغوي ٢/٤٥١ ، وزاد المسير ٤/٢٩١ .

(٢) الوسيط للواحدى ٢/٦٣٦ ونسبة إلى قتادة، وأخرجه عنه الطبرى في التفسير ١٣/٣٦٢ .

(٣) ديوان جميل ص ٢٠٠ .

(٤) النكت والعيون ٣/٨٤ ، وينظر تفسير الرازى ١٨/٢١٥ .

(٥) النكت والعيون ٣/٨٤ .

(٦) مجال القرآن لأبي عبيدة ص ١/٣١٩ ، وتفصير الطبرى ١٣/٣٦٣ .

(٧) آخرجه الطبرى في التفسير ١٣/٣٦٤ ، وابن أبي حاتم في التفسير ٧/٢٢٠٣ (١٢٠٠٣).

وَيُرَوِي أَنَّ يَعْقُوبَ لِمَا قَدِيمَ بِأَهْلِهِ وَوَلِيْدِهِ، وَشَارَفَ أَرْضَ مِصْرَ، وَيَلْغَى ذَلِكَ يَوْسُفُ، اسْتَأْذَنَ فَرْعَوْنَ - وَاسْمُهُ الرَّبِيَانُ - أَنْ يَأْذَنَ لَهُ فِي تَلْقَيِ أَبِيهِ يَعْقُوبَ، وَأَخْبَرَهُ بِقَدْوِيهِ، فَأَذَنَ لَهُ، وَأَمْرَ الْمَلَأَ مِنْ أَصْحَابِهِ بِالرُّكُوبِ مَعَهُ، فَخَرَجَ يَوْسُفُ وَالْمَلِكُ مَعَهُ فِي أَرْبَعَةِ آلَافٍ مِنَ الْأَمْرَاءِ مَعَ كُلِّ أَمِيرٍ خَلَقَ اللَّهُ أَعْلَمُ بِهِمْ، وَرَكِبَ أَهْلُ مِصْرَ مَعَهُمْ يَتَلَقَّوْنَ يَعْقُوبَ، فَكَانَ يَعْقُوبُ يَمْشِي مُتَكَبِّلاً عَلَى يَدِ يَهُودَا، فَنَظَرَ يَعْقُوبُ إِلَى الْخَيْلِ وَالنَّاسِ وَالْعَسَاكِرِ فَقَالَ: يَا يَهُودَا، هَذَا فَرْعَوْنُ مِصْرَ؟ قَالَ: لَا، بَلْ هَذَا ابْنُكَ يَوْسُفُ، فَلَمَّا دَنَا كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِنْ صَاحِبِهِ، ذَهَبَ يَوْسُفُ لِيَبْدأُ بِالسَّلَامِ، فَمُنْعَى مِنْ ذَلِكَ، وَكَانَ يَعْقُوبُ أَحَقَّ بِذَلِكَ مِنْهُ وَأَفْضَلُ، فَابْتَداً يَعْقُوبُ بِالسَّلَامِ، فَقَالَ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا مُذَهِّبَ الْأَحْزَانِ<sup>(١)</sup>، وَبَكَى وَبَكَى مَعَهُ يَوْسُفُ، فَبَكَى يَعْقُوبُ فَرَحاً، وَبَكَى يَوْسُفُ، لِمَا رَأَى بِأَبِيهِ مِنَ الْحَزَنِ. قَالَ ابْنُ عَبَّاسَ<sup>(٢)</sup>: فَالْبَكَاءُ أَرْبَعَةٌ، بَكَاءُ مِنَ الْخَوْفِ، وَبَكَاءُ مِنَ الْجَزَعِ، وَبَكَاءُ مِنَ الْفَرَحِ، وَبَكَاءُ رِيَاءً. ثُمَّ قَالَ يَعْقُوبُ: الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَفَرَّ عَيْنِي بَعْدَ الْهَمُومِ وَالْأَحْزَانِ.

وَدَخَلَ مِصْرَ فِي اثْنَيْنِ وَثَمَانِينَ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، فَلَمْ يَخْرُجُوا مِنْ مِصْرَ حَتَّى يَلْغُوا سَتُّ مِائَةَ أَلْفِ وَنِيَفَ أَلْفِ، وَقَطَعُوا الْبَحْرَ مَعَ مُوسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ، رَوَاهُ عَكْرِمَةُ عَنْ ابْنِ عَبَّاسِ<sup>(٣)</sup>. وَحَكِيَ ابْنُ مُسَعُودٍ أَنَّهُمْ دَخَلُوا مِصْرَ وَهُمْ ثَلَاثَةٌ وَتَسْعَوْنَ إِنْسَانًا مَابَيْنَ رَجُلٍ وَامْرَأَةٍ، وَخَرَجُوا مَعَ مُوسَى وَهُمْ سَتُّ مِائَةَ أَلْفٍ وَسَبْعَوْنَ أَلْفًا<sup>(٤)</sup>. وَقَالَ الرَّبِيعُ بْنُ خَثِيمٍ: دَخَلُوهَا وَهُمْ اثْنَانِ وَسَبْعَوْنَ أَلْفًا، وَخَرَجُوا مَعَ مُوسَى وَهُمْ سَتُّ مِائَةَ أَلْفٍ.

وَقَالَ وَهْبُ بْنُ مَنْبَهٍ: دَخَلَ يَعْقُوبُ وَوَلْدُهُ مِصْرَ وَهُمْ تَسْعَوْنَ إِنْسَانًا مَابَيْنَ رَجُلٍ

(١) تفسير الطبرى ٣٥٠ / ١٣ ، وتأريخ الطبرى ٣٦٢ / ١ ، وعرائس المجالس ص ١٤١ - ١٤٢ ، والنكت والعيون ٨١ / ٣ .

(٢) لم نقف عليه.

(٣) لم نقف عليه.

(٤) النكت والعيون ٨٢ / ٣ ، وأخرجه الطبرى في التفسير ٣٦٣ / ١٣ بنحوه، وينظر تفسير أبي الليث ١٧٦ / ٢ ، وفيه أنهم كانوا حين دخولهم ثلاثة وسبعين إنساناً.

وامرأة وصغير، وخرجوا منها مع موسى فراراً من فرعون وهم سبعة مئة ألف وخمسة  
مئة وسبعين رجلاً مقاتلين، سوى الذرية والهرماني والزمني؛ وكانت الذرية ألف  
الف ومتي ألف سوى المقاتلة<sup>(١)</sup>.

وقال أهل التواريخ: أقام يعقوب بمصر أربعين سنة في أغبط حال  
ونعمة، ومات بمصر، وأوصى إلى ابنه يوسف أن يحمل جسده حتى يدفنه عند أبيه  
إسحاق بالشام، ففعل، ثم انصرف إلى مصر<sup>(٢)</sup>. قال سعيد بن جبير: نُقل يعقوب  
في تابوت من ساج إلى بيت المقدس، ووافق ذلك يوم مات عيسُوهُ، فدُفنا في قبر  
واحد؛ فمن ثم تَنَقَّل اليهود متاهم إلى بيت المقدس، من فعل ذلك منهم؛ وولد  
يعقوب وعيسُوهُ في بطن واحد، ودُفنا في قبر واحد، وكان عمرُهما جمِيعاً مئة وسبعاً  
وأربعين سنة<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: ﴿رَبِّنَادِيَتِنِي مِنَالْمَلِكِ وَعَلَّمَنِي مِنْ تَأْوِيلِالْأَحَادِيثِ فَاطَّرَ السَّمَوَاتِ  
وَالْأَرْضَ أَنَّتَ وَلِيَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ تَوْقِنِي مُسْلِمًا وَالْحَقِيقِ بِالْمُتَنَبِّيِنَ ﴾ ﴿١٣﴾

قوله تعالى: ﴿رَبِّنَادِيَتِنِي مِنَالْمَلِكِ وَعَلَّمَنِي مِنْ تَأْوِيلِالْأَحَادِيثِ﴾ قال فتادة: لم  
يتمكن الموت أحد،نبي ولا غيره إلا يوسف عليه السلام؛ حين تكاملت عليه النعم،  
وجمع له الشمل اشتاق إلى لقاء ربه عز وجل<sup>(٤)</sup>. وقيل: إن يوسف لم يتمكن الموت،  
 وإنما تمنى الوفاة على الإسلام، أي: إذا جاء أجيلى تَوَقَّني مسلماً<sup>(٥)</sup>، وهذا قول  
الجمهور.

وقال سهل بن عبد الله التستري: لا يتمكن الموت إلا ثلات: رجل جاهل بما بعد  
الموت، أو رجل يَقْرُءُ من أقدار الله تعالى عليه، أو مشتاق محب للقاء الله عز وجل.

(١) ينظر عرائس المجالس ص ١٤٢ ، والكتشاف ٢/٣٤٤ .

(٢) تفسير البغوي ٤٥١/٢ ، وينظر تاريخ الطبرى ٣٦٤/١ ، والوسط ٦٣٦/٢ ، والكتشاف ٢/٣٤٥ .

(٣) تفسير البغوي ٤٥١/٢ . وينظر عرائس المجالس ص ١٤٣ ، والمعارف لابن قتيبة ص ٣٩ وهذه الأخبار  
من الإسرائيليات.

(٤) أخرجه الطبرى في التفسير ١٣ - ٣٦٥ .

(٥) المحرر الوجيز ٣/٢٨٣ ، والكتشاف ٢/٣٤٥ .

وُثِّبَ في الصحيح عن أنسٍ قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَتَمَنِي أَحْدُكُمُ الْمَوْتَ لَضُرُّ نَزَلَ بِهِ، فَإِنْ كَانَ لَابْدَ مُتَمَنِّيًّا، فَلِيقلُّ: اللَّهُمَّ أَحِينِي مَا كَانَتِ الْحَيَاةُ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا كَانَتِ الْوَفَاءُ خَيْرًا لِي». رواه مسلم<sup>(١)</sup> وفيه<sup>(٢)</sup>: عن أبي هريرة قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «لَا يَتَمَنِي أَحْدُكُمُ الْمَوْتَ، وَلَا يَدْعُ بِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيهِ، إِنَّهُ إِذَا مَاتَ أَحْدُكُمُ انْقَطَعَ عَمَلُهُ، وَإِنَّهُ لَا يَزِيدُ الْمُؤْمِنُ عُمُرَهُ إِلَّا خَيْرًا». إِذَا ثَبَّتْ هَذَا، فَكَيْفَ يَقُولُ: إِنَّ يُوسُفَ عَلَيْهِ السَّلَامُ تَمَنَّى الْمَوْتَ، وَالْخُرُوجَ مِنَ الدُّنْيَا، وَقَطْعَ الْعَمَلِ؟ هَذَا بَعِيدًا إِلَّا أَنْ يَقُولُ: إِنَّ ذَلِكَ كَانَ جَائِزًا فِي شَرِيعَهُ، أَمَّا إِنَّهُ يَجُوزُ تَمَنُّ الْمَوْتَ وَالدُّعَاءُ بِهِ عِنْدَ ظُهُورِ الْفَتْنَ وَغَلْبَتِهَا وَخُوفِ ذَهَابِ الدِّينِ، عَلَى مَا يَبْيَأُهُ فِي كِتَابِ «الْتَّذَكْرَةِ»<sup>(٣)</sup>. وَ«مِنْ» مِنْ<sup>(٤)</sup> قَوْلِهِ: «مِنَ الْمُلْكِ» لِلتَّبْعِيسِ، وَكَذَلِكَ قَوْلُهُ: «وَعَلَّتْنِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَخْرَوَيْتِ» لِأَنَّ مُلْكَ مَصْرَ ما كَانَ كُلَّ الْمُلْكِ، وَعَلَمَ التَّعْبِيرَ مَا كَانَ كُلَّ الْعِلُومِ. وَقِيلَ: «مِنْ» لِلْجِنْسِ كَقَوْلِهِ: «فَاجْتَنَبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ» [الحج: ٣٠]. وَقِيلَ: لِلتَّأكِيدِ. أَيِّ: آتَيْتِيَ الْمَلَكَ، وَعَلَّمْتِي تَأْوِيلَ الْأَحَادِيثِ<sup>(٥)</sup>.

قَوْلُهُ تَعَالَى: «فَاطِرُ الْسَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ» نُصِّبُ عَلَى النَّعْتِ لِلنَّدَاءِ، وَهُوَ «رَبُّ»، وَهُوَ نَدَاءُ مَضَافٌ، وَالتَّقْدِيرُ: يَا رَبُّ. وَيَجُوزُ أَنْ يَكُونَ نَدَاءُ ثَانِيًّا<sup>(٦)</sup>. وَالْفَاطِرُ الْخَالِقُ، فَهُوَ سَبْحَانُهُ فَاطِرُ الْمُوْجُودَاتِ، أَيِّ: خَالِقُهَا وَمُبْدِئُهَا، وَمُنْشِئُهَا وَمُخْتَرِعُهَا عَلَى الإِطْلَاقِ مِنْ غَيْرِ شَيْءٍ<sup>(٧)</sup>، وَلَا مَثَالٍ سَبِقَ؛ وَقَدْ تَقَدَّمَ هَذَا الْمَعْنَى فِي «الْبَقْرَةِ»<sup>(٨)</sup>

(١) في صحيحه (٢٦٨٠)، وهو عند البخاري (٦٣٥١).

(٢) في صحيح مسلم (٢٦٨٢).

(٣) ص ٦.

(٤) في (ظ): في.

(٥) معاني القرآن للزجاج ١٢٩/٣ ، والكتشاف ٣٤٥/٢ ، والمحرر الوجيز ٢٨٤/٣ .

(٦) إعراب القرآن للنحاس ٣٤٥/٢ ، ومعاني القرآن للزجاج ١٣٠/٣ ، والكتشاف ٣٤٥/٢ .

(٧) في (ظ): شبه.

(٨) ٣٣٥/٢

مستوفى عند قوله: «بَيْعُ الْمَتَوَاتِ وَالْأَرْضِ» [آلية: ١١٧] وزِدناه بياناً في الكتاب «الأسن في شرح أسماء الله الحسنى»<sup>(١)</sup>.

«أَنْتَ وَلِيٌّ» أي: ناصري ومتولى أمري في الدنيا والآخرة. «وَقَنِي مُسْلِمًا وَالْحَقِيقِي بِالصَّنْلِيجِينَ» يزيد آباءه الثلاثة: إبراهيم وإسحاق ويعقوب، فتوفاه الله طاهراً طيباً ، بمحشر، ودفن في النيل في صندوق من رخام؛ وذلك أنه لمن مات تشاخ الناس عليه، كل يحب أن يدفن في محلتهم، لما يرجون من بركته؛ واجتمعوا على ذلك حتى همموا بالقتال، فرأوا أن يدفنه في النيل من حيث مفرق الماء بمصر، فيمر عليه الماء، ثم يتفرق في جميع مصر، فيكونوا فيه شرعاً<sup>(٢)</sup>، ففعلوا، فلما خرج موسى ببني إسرائيل أخرجه من النيل، ونقل تابوته بعد أربع مئة سنة إلى بيت المقدس، فدفنه مع آبائه لدعوه: «وَالْحَقِيقِي بِالصَّنْلِيجِينَ» وكان عمره مائة عام وسبعة أعوام<sup>(٣)</sup>.

وعن الحسن قال: ألقى يوسف في الجب وهو ابن سبع عشرة سنة، وكان في العبودية والسجن والملك ثمانين سنة، ثم جمع له شمله فعاش بعد ذلك ثلاثة وعشرين سنة؛ وكان له من الولد إفراطيم، ومنها، ورحمة زوجة أيبوب؛ في قول ابن لهيقة.

قال الزهرى: وُلد لإفراطيم بن يوسف نون بن إفراطيم، وُلد لنون يوشع، فهو يوشع بن نون<sup>(٤)</sup>، وهو فتى موسى الذي كان معه صاحب أمره، ونبأ الله في زمان موسى عليه السلام، فكان بعدهنبياً، وهو الذي افتتح أريحا، وقتل من كان بها من

(١) ص ٣٢٦ - ٣٢٨ .

(٢) أي: سواء. الصحاح (شرع)، وفي (ظ): شركاء، وهذا بمعنى.

(٣) النكت والعيون ٨٥/٣ ، والوسط ٦٣٦/٢ ، وتفسير السمرقندى ١٧٨/٢ ، وزاد المسير ٢٩٢/٤ ، وتفسير الرازى ٢١٦/١٨ ، وعرائس المجالس ص ١٤٤ .

(٤) تفسير البغوى ٤٥١/٢ ، وزاد المسير ٤/٢٩٢ ، وتفسير الرازى ١٨/٢١٦ . وينظر عرائس المجالس ص ١٤٥ .

الجبابرة، واستوقفت له الشمس حسب ما تقدّم في «المائدة»<sup>(١)</sup>. وولد لمنشا بن يوسف موسى بن منشا، قبل موسى بن عمران، وأهل التوراة يزعمون أنه هو الذي طلب العالم ليتعلم منه حتى أدركه، والعالم هو الذي حرق السفينة، وقتل الغلام، وبين الجدار، وموسى بن منشا معه حتى بلغ معه حيث بلغ، وكان ابن عباس ينكر ذلك<sup>(٢)</sup>؛ والحق الذي قاله ابن عباس، وكذلك في القرآن، ثم كان بين يوسف وموسى أمم وقرون، وكان فيما بينهما شعيب صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين.

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَأُهُ الْقَيْبِ نُوَجِّهُ إِلَيْكَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ أَجْمَعُوا أَنَّهُمْ وَهُمْ يَكْرُونَ ﴾ وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَضْتَ بِمُؤْمِنِينَ ﴾ وَمَا تَشَاءُمْتُمْ عَيْنَهُ مِنْ أَجْرٍ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ لِّلْعَلَيْبِينَ ﴾

قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ مِنْ أَنْبَأُهُ الْقَيْبِ﴾ ابتداء وخبر. ﴿نُوَجِّهُ إِلَيْكَ﴾ خبر ثان. قال الرجاج<sup>(٣)</sup>: ويجوز أن يكون «ذلك» بمعنى الذي، و«نوجيه إليك» خبره، أي: الذي من أنباء الغيب نوجيه إليك. يعني: هو الذي قصصنا عليك يا محمد من أمر يوسف من أخبار الغيب «نوجيه إليك»، أي: نعلمك بمحبي هذا إليك.

﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ﴾ أي: مع إخوة يوسف ﴿إِذْ أَجْمَعُوا أَنَّهُمْ﴾ في إلقاء يوسف في الجب. ﴿وَهُمْ يَكْرُونَ﴾ أي: بيوسف في إلقاءه في الجب. وقيل: «يُنكِرونَ» بيعقوب حين جاؤوه بالقميص ملطخاً بالدم<sup>(٤)</sup>، أي: ما شاهدت تلك الأحوال، ولكن الله أطلعك عليها.

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَضْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ ظن أن العرب لما سأله عن هذه القصة وأخبرهم بمؤمنون، فلم يؤمنوا، فنزلت الآية تسلية للنبي ﷺ<sup>(٥)</sup>. أي:

(١) ٤٠٤/٧.

(٢) أخرجه الطبراني في التفسير في ١٥/٣٢٦ - ٣٢٩ ، وينظر عرائض المجالس ص ١٤٥ .

(٣) معانى القرآن ٣/١٣٠ ، ونقله المصنف عنه بواسطة التحاس في إعراب القرآن ٢/٣٤٥ .

(٤) التكث والعيون ٣/٨٧ .

(٥) المحرر الوجيز ٣/٢٨٤ ، وزاد المسير ٤/٢٩٣ .

ليس تقدُّر على هداية من أردت هدايته<sup>(١)</sup>، تقول: حَرَصَ يَحْرِصُ، مثل: ضَرَبَ يَضْرِبُ. وفي لغة ضعيفة: حَرَصَ يَحْرِصُ، مثل حَمِدَ يَحْمِدُ<sup>(٢)</sup>. واليَحْرِصُ طلبُ الشيءِ باجتهاد<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: «وَمَا تَسْأَلُهُمْ عَنِيهِ مِنْ أَجْزِئٍ» «منْ» صلة، أي: ما تَسْأَلُهُمْ جُعْلًا. «إِنَّهُمْ هُوَ» أي: ما هو، يعني: القرآن والوحي. «إِلَّا ذِكْرٌ» أي: عِظَةٌ وتذكرة «للعلَّويَّينَ»<sup>(٤)</sup>.

قوله تعالى: «وَكَائِنٌ مِنْ مَا يَقُولُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَمْرُرُ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُغَرِّضُونَ» وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللَّهِ إِلَّا وَهُمْ شَرِيكُونَ «إِنَّا مَنَّا لَنَا تَأْتِيهِمْ غَنِيَّةً مِنْ عَذَابِ اللَّهِ أَوْ تَأْتِيهِمْ أَسَاعَةً بَعْتَدَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ» قُلْ هَذِهِ وَسِيلَةٌ أَذْعُوا إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنْ أَتَبَعَنِي وَسَبَعَنَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشَرِّكِينَ وَكَائِنٌ مِنْ مَا يَقُولُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ

قوله تعالى: «وَكَائِنٌ مِنْ مَا يَقُولُ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» قال الخليل وسيبوه<sup>(٥)</sup>: هي «أيُّ» دخلَ عليها كافُ التشبيه<sup>(٦)</sup>، فصار في الكلام معنى كُمْ. وقد مضى في «آل عمران»<sup>(٧)</sup> القولُ فيها مستوفى. ومضى القولُ في آية «السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ» في «البقرة»<sup>(٨)</sup>.

(١) معاني القرآن للنحاس ٤٥٩/٣ .

(٢) تهذيب اللغة ٢٣٩/٤ .

(٣) في النسخ: باختيار، ولم نقف على هذا المعنى، والمثبت من تفسير الرازي ٢٢٣/١٨ ، ولسان العرب (حرصن).

(٤) تفسير الطبرى ٣٧١/١٣ .

(٥) في الكتاب ٢/١٧٠ - ١٧١ . ونقله المصنف بواسطة النحاس في إعراب القرآن ١/٤١٠ و ٢/٣٤٦ ، والكلام منه.

(٦) بعدها في (م): وبنيت معها.

(٧) ٣٤٩/٥ وما بعدها .

(٨) ٤٩٠/٢ .

وقيل: الآيات آثار عقوباتِ الأمم السالفة، أي: هم غافلونَ مُعرضونَ عن تأملها.

وقرأ عكرمة وعمرو بنُ فائد: «وَالْأَرْضُ» رفعاً ابتداء، وخبره: «يَمْرُّونَ عَلَيْهَا». وقرأ السدي «وَالْأَرْضُ» نصباً بياضمارِ فعل، والوقف على هاتين القراءتين على «السموات». وقرأ ابنُ مسعود: «يَمْشُونَ عَلَيْهَا»<sup>(١)</sup>.

قوله تعالى: «وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ إِلَّا وَهُمْ شَرِكُونَ» نزلت في قوم أقرُوا بالله خالقهم وخالق الأشياء كلها، وهم يعبدون الأوثان؛ قاله الحسن ومجاهد، وعامر الشعبي<sup>(٢)</sup> وأكثر المفسرين. وقال عكرمة: هو قوله: «وَلَئِنْ سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقُوكُمْ لَيَقُولُنَّ اللَّهَ» [الزخرف: ٨٧] ثم يصفونه بغير صفتة، ويجعلون له أنداداً. وعن الحسن أيضاً: أنَّهم أهل كتاب معهم شرذُك وإيمان، آمنوا بالله وكفروا بمحميده<sup>ﷺ</sup>، فلا يصح إيمانهم؛ حكاه ابن الأنباري.

وقال ابن عباس: نزلت في تلبية مشركي العرب: ليك لا شريك لك إلا شريك هو لك تملكه وما ملك. وعنه أيضاً: أنَّهم النصارى. وعنه أيضاً: أنَّهم المشبهة، آمنوا مجملأ، وأشركوا مُفَضلاً. وقيل: نزلت في المتأففين؛ المعنى: «وَمَا يُؤْمِنُ أَكْثَرُهُمْ بِاللهِ» أي: باللسان إلا وهو كافر بقلبه؛ ذكره الماوردي<sup>(٣)</sup> عن الحسن أيضاً. وقال عطاء: هذا في الدعاء، وذلك أنَّ الكفار يُشنون ربَّهم في الرَّخاء، فإذا أصابهم البلاء أخلصوا في الدعاء؛ بيانه<sup>(٤)</sup>: «وَظَلَّوْا أَهْمَنْ أَحِيطَ بِهِمْ» [يونس: ٢٢] الآية. وقوله: «وَإِذَا مَسَّ الْأَنْكَنَ الْقُرْبَ دَعَانَا لِجَنِيَّهُ» [يونس: ١٢] الآية. وفي آية أخرى: «وَإِذَا مَسَّ

(١) المحتسب ١/ ٣٤٩ - ٣٥٠ ، ومحضر في شواذ القرآن ص ٦٥ ، والمحرر الوجيز ٣/ ٢٨٥ ، وتفسير الرازى ١٨/ ٢٢٤ .

(٢) في (م): الشعبي.

(٣) في النكت والعيون ٢/ ٨٧ ، وتنظر هذه الأقوال في تفسير الطبرى ١٣/ ٣٧٢ - ٣٧٦ ، والنكت والعيون ٣/ ٨٧ ، والمحرر الوجيز ٣/ ٢٨٥ ، وزاد المسير ٤/ ٢٩٤ ، وتفسير الرازى ١٨/ ٢٢٤ .

(٤) في (ظ): نياتهم، وقول عطاء في تفسير البغوى ٢/ ٤٥٢ .

**أَتَرُّ فَلَوْ دُعَاءً عَرِيضًا** [فصلت: ٥١]. وقيل: معناها: أَنَّهُم يدعونَ اللَّهَ ينجيهم من الْهَلْكَةِ، إِذَا أَنْجَاهُمْ قَالُوا لَهُمْ: لَوْلَا الْكَلْبُ لَدَخَلَ عَلَيْنَا اللَّصُّ، وَنَحْنُ هُدَى، فَيَجْعَلُونَ نِعْمَةَ اللَّهِ مَنْسُوبَةً إِلَى فَلَانَ، وَوَقَايَتِهِ مَنْسُوبَةً إِلَى الْكَلْبِ<sup>(١)</sup>.

قلت: وقد يقع في هذا القول والذي قبله كثيرٌ من عوام المسلمين، ولا حول ولا قوّة إلا بالله العلي العظيم.

وقيل: نزلت هذه الآية في قصة الدُّخَان؛ وذلك أنَّ أَهْلَ مَكَةَ لَمَّا غَشَيْهِم الدُّخَانُ فِي سِنِّي الْقَحْطِ قَالُوا: **﴿رَبَّنَا أَكْثَفْتَ عَنَّا الْعَذَابَ إِنَّا مُؤْمِنُونَ﴾** [الدخان: ١٢] فذلك إِيمَانُهُمْ، وَشِرْكُهُمْ عَوْدُهُمْ إِلَى الْكُفَّارِ بَعْدَ كَشْفِ الْعَذَابِ؛ بِيَانِهِ قَوْلُهُ: **﴿إِنَّكُمْ عَâلَمُونَ﴾** [الدخان: ١٥]، وَالْعَوْدُ لَا يَكُونُ إِلَّا بَعْدَ ابْتِدَاءِ، فَيَكُونُ مَعْنَى: **﴿إِلَّا وَهُمْ مُشْرِكُونَ﴾** أي: إِلَّا وَهُمْ عَâلَمُونَ إِلَى الشَّرِكِ، وَاللَّهُ أَعْلَمُ.

قوله تعالى: **﴿أَفَآمِنُوا أَنْ تَأْتِيهِمْ غَنِيَّةٌ مِّنْ عَذَابِ اللَّهِ﴾** قال ابن عباس: مُجلَّلة. وقال مجاهد: عذاب يغشاهم. نظيره: **﴿وَيَعْلَمُهُمْ بَعْشَهُمُ الْعَذَابُ بَنْ فَوْقِهِمْ وَبَنْ تَحْتَ أَرْجُلِهِمْ﴾** [العنكبوت: ٥٥] وقال قَتَادَة: وَقِيَّةٌ تَقْعُدُ لَهُمْ. وقال الضحاك: يعني الصَّواعق والقَوَاعِدَ<sup>(٢)</sup>. **﴿أَوْ تَأْتِيهِمُ السَّاعَةُ﴾** يعني: القيمة. **﴿بَعْتَهُ﴾** نُصِّبُ على الحال، وأصله المصدر. وقال المبرد: جاءَ عن العَربِ حَالٌ بَعْدَ نَكْرَةٍ، وَهُوَ قَوْلُهُمْ: وَقَعَ أَمْرٌ بَغْتَةً وَفِجَاءَ. قال النَّحَاسُ<sup>(٣)</sup>: ومعنى: بَغْتَةً: أَصَابَهُ<sup>(٤)</sup> من حيث لم يَتَوَقَّعْ.

**﴿وَهُمْ لَا يَشْرِكُونَ﴾** وهو توكيده<sup>(٥)</sup>. قوله: **﴿بَغْتَةً﴾** قال ابن عباس: تصريح الصِّيحةُ بِالنَّاسِ وَهُمْ فِي أَسْوَاقِهِمْ وَمَوَاضِعِهِمْ<sup>(٦)</sup>، كما قال: **﴿وَتَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخْتَصِّمُونَ﴾**

(١) النكت والعيون ٣/٨٧.

(٢) تفسير الطبرى ١٣ / ٣٧٧ - ٣٧٨ ، وتفسير البغوى ٢/٤٥٣ .

(٣) في إعراب القرآن ٢/٣٤٦ - ٣٤٧ ، وما قبله منه، وينظر معانى القرآن للزجاج ٣/١٣١ .

(٤) في النسخ: بَغْتَةً: إصابة، والمثبت من إعراب القرآن للنحاس.

(٥) تفسير الرازى ١٨ / ٢٢٤ .

(٦) تفسير البغوى ٢/٤٥٣ .

[يس: ٤٩] على ما يأتي.

قوله تعالى: ﴿فَلْ هَذِهِ سَيِّلٌ﴾ ابتداء وخبر<sup>(١)</sup>، أي: قل يا محمد، هذه طريقي وستّي ومنهاجي؛ قاله ابن زيد. وقال الريبع: دعوتي. مقاتل: ديني<sup>(٢)</sup>، والمعنى واحد، أي: الذي أنا عليه وأدعو إليه يؤدي إلى الجنة<sup>(٣)</sup>. ﴿عَلَى بَصِيرَةٍ﴾ أي: على يقين وحقٍ؛ ومنه: فلان مستبصر بهذا. ﴿أَنَا﴾ توكيد. ﴿وَمَنْ أَتَبَعَنِي﴾ عطف على المضمر<sup>(٤)</sup>. ﴿وَسَبَحَنَ اللَّهَ﴾ أي: قل يا محمد: وسبحان الله. ﴿وَمَا أَنَا مِنَ السَّائِرِينَ﴾ الذين يتخذون من دون الله أنداداً<sup>(٥)</sup>.

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْفَرِئِ أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَيْنَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ لِلَّذِينَ آتَقْنَا أَفَلَا تَقْرِئُونَ ﴾١١﴾ حقٌ إذا استيقنت الرسل وظروا أنهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فتنجى من شدة ولا يرد بأئمتنا عن القوى المجرمين<sup>(٦)</sup>

قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْفَرِئِ﴾ هذا رد على القائلين: ﴿أَتَلَا أَنْزَلَ عَلَيْهِ مَكَّ﴾ [الأنعام: ٨]، أي: أرسلنا رجالاً ليس فيهم امرأة ولا جنٌ ولا ملك؛ وهذا يرد ما يُروى عن النبي ﷺ أنه قال: «إِنَّ فِي النِّسَاءِ أَرْبَعَ نِيَّاتٍ: حَوَاءَ وَآسِيَةَ، وَأَمَّ مُوسَى وَمُرِيمَ»<sup>(٧)</sup>. وقد تقدم في «آل عمران»<sup>(٨)</sup> شيءٌ من هذا.

(١) إعراب القرآن للنحاس ٢/٣٤٧.

(٢) تفسير الطبراني ١٣/٣٧٩ ، والنكت والعيون ٣/٨٨ ، وتفسير البغوي ٢/٤٥٣ ، والوسط ٢/٦٣٧ . والمحرر الوجيز ٣/٢٨٥ .

(٣) ينظر تفسير الرازي ١٨/٢٢٥ .

(٤) إعراب القرآن للنحاس ٢/٣٤٧ .

(٥) تفسير الرازي ١٨/٢٢٥ .

(٦) لم تلف علىه.

(٧) ٥/١٢٩ - ١٢٦ .

﴿مِنْ أَهْلِ الْقُرْبَى﴾ يريده المدائن، ولم يبعث الله نبياً من أهل الbadia؛ لغلبة الجفاف والقسوة على أهل البدو؛ ولأنَّ أهل الأمصار أعلم وأحلم، وأفضل وأعلم. قال الحسن: لم يبعث الله نبياً من أهل الbadia قطُّ، ولا من النساء، ولا من الجن. وقال قتادة: «من أهل القرى» أي: من أهل الأمصار؛ لأنهم أعلم وأحلم<sup>(١)</sup>.

وقال العلامة: من شرط الرسول أن يكون رجلاً آدمياً مدنياً<sup>(٢)</sup>؛ وإنما قالوا: آدمياً تحرزاً من قوله: ﴿يَعْوِذُونَ بِرَبِّكُلَّ مِنْ لَئِنِّي﴾ [الجن: ٦]. والله أعلم.

قوله تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا﴾ إلى مصاري الأمم المكذبة لأنبيائهم فيعتبروا. ﴿وَلَدَارُ الْآخِرَةِ خَيْرٌ﴾ ابتداء وخبره. وزعم الفراء<sup>(٣)</sup> أنَّ الدار هي الآخرة، وأضيف الشيء إلى نفسه لاختلاف اللفظ، كيوم الخميس، وبارحة الأولى؛ قال الشاعر:

ولو أقوتَ عَلَيْكَ دِيَارَ عَبْسٍ عَرَفْتَ الدُّلُّ عِرْفَانَ الْيَقِينِ<sup>(٤)</sup>  
أي: عِرْفَانًا وَيَقِينًا، واحتجَ الكسائي بقولهم: صلاة الأولى، واحتاج الأخفش بـ:  
مسجدِ الجامع. قال النحاس: إضافة الشيء إلى نفسه محال؛ لأنَّه إنما يضاف الشيء  
إلى غيره ليتعرَّف به، والأجوء الصلاة الأولى، ومن قال: صلاة الأولى فمعنىَه: عند  
صلاة الفريضة الأولى، وإنما سُميَت الأولى؛ لأنها أول ما صلَّى حين فرضت  
الصلوة، وأول ما أُظہر، فلذلك قيل لها أيضًا: الظهر. والتقدير: ولدار الحال الآخرة  
خير. وهذا قول البصريين<sup>(٥)</sup>، والمراد بهذه الدار الجنة؛ أي: هي خير للمتقين.

(١) ينظر تفسير الطبرى ١١٣ / ٣٨٠ ، وتفسير البغوى ٤٥٣ / ٢ ، والوسط ٦٣٨ / ٢ ، والنكت والعيون ٨٨ / ٣ ، والمحرر الوجيز ٢٨٦ / ٣ ، وزاد المسير ٢٩٥ / ٤ .

(٢) ينظر تفسير الرازى ١٨ / ٢٢٦ .

(٣) في معاني القرآن ٥٥ / ٢ - ٥٦ . ونقله المصنف عنه بواسطة النحاس في إعراب القرآن ٣٤٧ / ٢ ، وما قبله منه.

(٤) البيت في تفسير الطبرى ١١٣ ، ومعاني القرآن للفراء ٥٦ / ٢ ، دون نسبة لقائل.

(٥) إعراب القرآن للنحاس ٣٤٧ / ٢ ، والمحرر الوجيز ٣٨٧ / ٣ ، وينظر البحر المحيط ٣٥٣ / ٥ .

وُقْرَئَ: «وَلَلَّدَارُ الْآخِرَةُ»<sup>(١)</sup>. وَقَرَا نَافِعٌ وَعَاصِمٌ وَيَعْقُوبٌ وَغَيْرُهُمْ «أَفَلَا تَقْتَلُونَ» بالتأءِ على الخطاب. الباقيون بالياء على الخبر<sup>(٢)</sup>.

قوله تعالى: «حَقَّ إِذَا أَسْتَيَّسَ الرَّسُولُ» تقدَّم القراءة فيه ومعناه<sup>(٣)</sup>. «وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كَذَّبُوا» وهذه الآية فيها تنزية الأنبياء وعصمتهم عما لا يليق بهم. وهذا الباب عظيم، وخطره جسيم، ينبغي الوقوف عليه؛ لشأن ينزل الإنسان فيكون في سوء الجحيم. المعنى: وما أرسلنا قبلك يا محمد إلا رجالاً، ثم لم نعاقب أممهم بالعذاب.

«حَقَّ إِذَا أَسْتَيَّسَ الرَّسُولُ» أي: يَسُوا من إيمان قومهم، «وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كَذَّبُوا» بالتشديد؛ أي: أَيْقَنُوا أن قومهم كَذَّبُوهُمْ<sup>(٤)</sup>. وقيل: المعنى: حَسِبُوا أنَّ مَنْ آمَنَ بهم مِنْ قومهم كَذَّبُوهُمْ<sup>(٥)</sup>، لَا أَنَّ النَّقْزَمَ كَذَّبُوا، ولكنَّ الأنبياء ظَنُّوا وحَسِبُوا أنَّهُمْ يُكَذِّبُونَهُمْ؛ أي: خافوا أن يدخلنَّ قلوبَ أَتَابِعِهِمْ شَكًّا، فيكون «وَظَنُّوا» على بابِهِ في هذا التأويل<sup>(٦)</sup>.

وَقَرَا ابْنُ عَبَّاسٍ وَابْنُ مَسْعُودٍ، وَأَبُو عَبْدِ الرَّحْمَنِ السُّلَيْمَانيِّ وَأَبُو جَعْفَرِ بْنِ الْقَعْدَاعِ، وَالْحَسَنِ وَقَتَّادَةَ، وَأَبُو رَجَاءِ الْعَطَّارِدِيِّ وَعَاصِمَ، وَحَمْزَةَ وَالْكَسَائِيِّ، وَيَحْيَى بْنَ وَثَابَ وَالْأَعْمَشَ وَخَلَفَ: «كَذَّبُوا» بالتحقيق<sup>(٧)</sup>؛ أي: ظَنَّ الْقَوْمُ أَنَّ الرَّسُولَ كَذَّبُوهُمْ فيما

(١) قال البناء في إتحاف فضلاء البشر ص ٢٦٢ : ولا خلاف في حرف يوسف أنه بلام واحدة لاتفاق الرسوم عليه.

(٢) السبعة ص ٢٥٦ ، والتيسير ص ١٣٠ .

(٣) عند الآية ٨٠ في هذه السورة.

(٤) معاني القرآن للزجاج ١٣٢ / ٣ ، والوسط للواحدي ٦٣٨ / ٢ ، والمحرر الوجيز ٢٨٨-٢٨٧ / ٣ ، وتفسير البغوي ٤٥٤ / ٢ .

(٥) تفسير أبي الليث ١٨٠ / ٢ .

(٦) المحرر الوجيز ٢٨٨ / ٣ .

(٧) ينظر السبعة ص ٣٥٢ ، والتيسير ص ١٣٠ ، وتفسير الطبرى ٣٨٣ / ١٣ - ٣٩٢ ، والمحرر الوجيز ٦٣٨ / ٢ - ٢٨٧ / ٣ ، والبغوي ٤٥٤ / ٢ ، والوسط ٢٨٨ / ٣ .

أَخْبَرُوا بِهِ مِنَ الْعَذَابِ، وَلَمْ يَصِدِّقُوا.

وقيل: المعنى ظنَّ الأُمُّ أَنَّ الرَّسُولَ قد كَذَبُوا فِيمَا وَعَدُوا بِهِ مِنْ نَصْرِهِمْ<sup>(١)</sup>. وفي رواية عن ابن عباس: ظنَّ الرَّسُولُ أَنَّ اللَّهَ أَخْلَفَ مَا وَعَدَهُمْ. وقيل: لم تصحَّ هذه الرواية؛ لأنَّه لا يُظْنَنُ بالرَّسُولِ هَذَا الظَّنُّ، وَمَنْ ظَنَّ هَذَا الظَّنَّ لَا يَسْتَحْجُ النَّصْرَ، فَكَيْفَ قَالَ: «جَاءَهُمْ نَصْرًا»<sup>(٢)</sup>.

قال القُشَيْرِيُّ أبو نصر: ولا يَبْعُدُ إِنْ صَحَّتِ الْرَوَايَةُ أَنَّ الْمَرَادَ حَاطِرَ بِقُلُوبِ الرَّسُولِ هَذَا مِنْ غَيْرِ أَنْ يَتَحَقَّقُوهُ فِي نَفْوِهِمْ؛ وَفِي الْخَبْرِ: «إِنَّ اللَّهَ تَعَالَى تَجاوزَ لِأَمْتِي عَمَّا حَدَثَتْ بِهِ أَنفُسُهَا مَا لَمْ يُنْطِقْ بِهِ لِسَانٌ أَوْ تَعْمَلْ بِهِ»<sup>(٣)</sup>. وَيَجُوزُ أَنْ يُقَالَ: قَرُبُوا مِنْ ذَلِكَ الظَّنِّ؛ كَقُولِكَ: بَلَغْتُ الْمَنْزَلَ، أَيْ قَرُبْتُ مِنْهُ<sup>(٤)</sup>.

وَذَكَرَ الشَّعْلَبِيُّ وَالنَّحَاسُ<sup>(٥)</sup> عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ قَالَ: كَانُوا بَشَرًا فَضَعُفُوا مِنْ طُولِ الْبَلَاءِ، وَنَسُوا وَظَنُوا أَنَّهُمْ أَخْلَفُوا، ثُمَّ تَلَاقَ: «حَقَّ يَقُولُ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ مَأْمَنُوا مَعَهُ مَنِ تَقْرَأُ اللَّهُ» [البقرة: ٢١٤]<sup>(٦)</sup>. وَقَالَ التَّرمِذِيُّ الْحَكِيمُ: وَجْهُهُ عِنْدَنَا أَنَّ الرَّسُولَ كَانَتْ تَخَافُ بَعْدَ مَا وَعَدَ اللَّهَ النَّصْرَ، لَا مِنْ تَهْمِةٍ لِوَعْدِ اللَّهِ، وَلَكِنْ لِتَهْمِةِ النُّفُوسِ أَنْ تَكُونَ قَدْ أَحْدَثَتْ حَدَثًا يَنْقُضُ ذَلِكَ الشَّرْطَ وَالْعَهْدَ الَّذِي عَاهَدَ إِلَيْهِمْ، فَكَانَتْ إِذَا طَالتْ عَلَيْهِمُ الْمَدَّةُ دَخَلَهُمُ الْإِيَاضُ وَالظُّنُونُ مِنْ هَذَا الْوَجْهِ.

وَقَالَ الْمَهْدَوِيُّ، عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ: ظَنَّتِ الرَّسُولُ أَنَّهُمْ قَدْ أَخْلَفُوا، عَلَى مَا يَلْحَقُ الْبَشَرَ، وَاسْتَشَهَدَ بِقَوْلِ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «وَرَبِّي أَرْفِي كَيْفَ تُعَيِّنُ الْمَوْقِعَ»

(١) ينظر معاني القرآن للفراء ٢/٥٦ ، وإعراب القرآن للنحاس ٢/٣٤٧ ، والنكت والعيون ٣/٨٩ ، وبحر العلوم ٢/١٨٠ ، ومعاني القرآن للزجاج ٣/١٣٢ .

(٢) تفسير الطبرى ١٣/٣٩٣ - ٣٩٤ ، ومعاني القرآن للزجاج ٣/١٣٢ ، والكشف ٢/٣٤٧ .

(٣) سلف ١٠/٣٠٩ .

(٤) قال مثل قول القشيري أبو منصور الأزهري في تهذيب اللغة ١٠/١٦٨ - ١٦٩ .

(٥) في معاني القرآن ٣/٤٦٣ .

(٦) أخرجه الطبرى في تفسيره ١٣/٣٩٣ ، وفيه: «يَشْوَأ» بدل «نَسْوَا».

[[البقرة: ٢٦٠]] الآية. القراءة الأولى أولى.

وقرأ مجاهد وحميد: «قَذْ كَذِبُوا» بفتح الكاف والذال مُحَقَّفًا<sup>(١)</sup>، على معنى: وظنَّ قومُ الرسُلِ أَنَّ الرسُلَ قد كَذَبُوا، لِمَا رأوا من تفَضُّلِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ فِي تأخيرِ العذاب<sup>(٢)</sup>.

ويجوز أن يكون المعنى: ولَمَّا أَيَّنَ الرسُلُ أَنَّ قومَهُمْ قد كَذَبُوا عَلَى اللَّهِ بِكُفْرِهِمْ، جَاءَ الرسُلَ نَصْرُنَا. وفي البخاري<sup>(٣)</sup>، عن عروة، عن عائشةَ قالت له وهو يسألها عن قولِ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ: «حَقٌّ إِذَا أَسْتَيْقَنَ الرَّسُلُ» قال: قلت: أَكَذَبُوا أمْ كُذَبُوا؟ قالت عائشة: كُذَبُوا. قلت: فقد استيقنوا أَنَّ قومَهُمْ كَذَبُوهُمْ فَمَا هُوَ بِالظَّنِّ؟ قالت: أَجَلْ لِعْمَرِي لَقَدْ اسْتَيْقَنُوا بِذَلِكَ، فَقَلَّتْ لَهَا: وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَذْ كَذَبُوا، قالت: معاذَ اللَّهِ! لَمْ تَكُنِ الرسُلُ تَظَنُّ ذَلِكَ بِرَبِّهَا. قلت: فَمَا هَذِهِ الْآيَةُ؟ قالت: هُمْ أَتَبَاعُ الرسُلِ [الذِّينَ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَصَدَّقُوهُمْ، فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْبَلَاءُ، وَاسْتَأْخَرُ عَنْهُمُ النَّصْرُ حَتَّى إِذَا أَسْتَيْقَنَ الرَّسُلُ] مِنْ كَذَبِهِمْ مِنْ قَوْمِهِمْ، وَظَنَّ الرَّسُلُ أَنَّ أَتَبَاعَهُمْ قَدْ كَذَبُوهُمْ جَاءُهُمْ نَصْرُ اللَّهِ<sup>(٤)</sup> عَنْهُمْ ذَلِكَ.

وفي قوله تعالى: «جَاءُهُمْ نَصْرُنَا» قوله: أَحَدُهُمَا: جاءَ الرسُلَ نَصْرُ اللَّهِ؛ قاله مجاهد<sup>(٥)</sup>. الثاني: جاءَ قومَهُمْ عذابُ اللَّهِ؛ قاله ابنُ عباس<sup>(٦)</sup>. «فَتَثْجِي مَنْ نَشَاءُ» قبيل: الأنبياء وَمَنْ آمَنَ مَعَهُمْ<sup>(٧)</sup>. وروي عن عاصم «فَتَبْيَقِي مَنْ نَشَاءُ» بنونٍ واحدةٍ

(١) القراءات الشاذة ص ٦٥ ، والمحتسب / ١ ٣٥٠ .

(٢) إعراب القرآن للنحاس / ٢ ٣٤٧ ، ومعاني القرآن له ٤٦٤ / ٣ ، والمحرر الوجيز ٢٨٨ / ٣ ، والوسط ٦٣٨ / ٢ .

(٣) برقم (٤٦٩٥)، وما سيأتي بين حاصلتين منه.

(٤) في النسخ: نصرنا، والمثبت من صحيح البخاري.

(٥) تفسير الطبرى ٣٩٨ / ١٣ - ٣٩٩ .

(٦) النكت العيون ٨٩ / ٣ .

(٧) تفسير الطبرى ٤٠١ / ١٣ .

مفتولة الباء، و«من» في موضع رفع اسم ما لم يُسمَّ فاعله؛ واختار أبو عبيد هذه القراءة؛ لأنَّها في مصحف عثمان، وسائر مصاحف البلدان بنونٍ واحدة<sup>(١)</sup>. وقرأ ابن مُحيصن: «فَنَجَا» فعل ماض. و«من» في موضع رفع؛ لأنَّه الفاعل<sup>(٢)</sup>، وعلى قراءة الباقيين نصباً على المفعول. «وَلَا يُرْدُ بِأَسْنَاهِ» أي: عذابنا. «عَنِ الْقَوْمِ الْمُتَبَرِّكِينَ» أي: الكافرين المشركين<sup>(٣)</sup>.

قوله تعالى: «لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولَئِكَ الْأَلْبَابِ مَا كَانَ حَدِيشَا يَقْرَئُ وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَتَقْصِيلَ كُلِّ شَيْءٍ وَهُدَى وَرَحْمَةٌ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ»

قوله تعالى: «لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ» أي: في قصة يوسف وأبيه وإخوته<sup>(٤)</sup>، أو في قصص الأمم<sup>(٥)</sup>. «عِبْرَةٌ» أي: فكرةً وتذكرةً وعظة. «لِأُولَئِكَ الْأَلْبَابِ» أي: العقول.

وقال محمد بن إسحاق، عن الزهرى، عن محمد بن إبراهيم بن الحارث التئمى: إنَّ يعقوب عاشَ مئة سنة وسبعين سنة، وتُوفِّي أخوه عيسُو معه في يوم واحد، وقُبِّرا في قبر واحد<sup>(٦)</sup>؛ فذلك قوله: «لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِأُولَئِكَ الْأَلْبَابِ» إلى آخر السورة. «مَا كَانَ حَدِيشَا يَقْرَئُ» أي ما كان القرآن حديشاً يفترى، أو ما كانت هذه القصة حديشاً يفترى<sup>(٧)</sup>. «وَلَكِنْ تَصْدِيقَ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ» أي: ولكن كان تصديقَ،

(١) إعراب القرآن للنحاس ٣٤٧/٢ ، ومعاني القرآن للفراء ٥٦/٢ ، ومعاني القرآن للزجاج ٣/١٣٢ ، والوسط للواحدى ٦٣٨/٢ ، والمحرر الوجيز ٣/٢٨٨ - ٢٨٩ .

(٢) القراءات الشاذة ص ٦٥ ، وتفسير الطبرى ١٣/٤٠٠ .

(٣) تفسير الطبرى ١٣/٤٠١ .

(٤) النكت والعيون ٣/٨٩ - ٩٠ ، والكشف ٢/٣٤٨ .

(٥) المحرر الوجيز ٣/٢٨٩ ، وتفسير الرازى ١٨/٤٢٨ .

(٦) ينظر تاريخ الطبرى ١/٣٣٠ ، والمعارف ص ٣٩ - ٤٠ . وسلف هذا الكلام ص ٤٦٠ من هذا الجزء .

(٧) النكت والعيون ٣/٩٠ ، والوسط للواحدى ٦٣٩/٢ ، والكشف ٢/٣٤٨ ، وزاد المسير ٤/٢٩٧ .

ويجوز الرفع بمعنى: لكن هو تصديقُ الذي بين يديه<sup>(١)</sup> أي: ما كان قبله من التوراة والإنجيل وسائر كتب الله تعالى، وهذا تأويلٌ من زعم أنه القرآن<sup>(٢)</sup>. **﴿وَتَقْسِيمَ**  
**كُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُتَّبِعُونَ﴾**

تم الجزء الحادي عشر من تفسير القرطبي، ويليه الجزء الثاني عشر  
 ويبدأ بسورة الرعد

(١) إعراب القرآن للتحاسن . ٣٤٨/٢

(٢) تفسير الطبرى ٤٠٣/١٣ ، والنكت والعيون ٩٠/٣ ، ومعانى القرآن للزجاج ١٣٣/٣ ، ومعانى القرآن للفراء ٥٦/٢ - ٥٧ .

(٣) تفسير أبي الليث ١٨٠/٢ ، والوسط للواحدى ٦٣٩/٢ ، وتفسير البغوى ٤٥٤/٢ .



## فهرس الجزء الحادي عشر

- قوله تعالى: ﴿وَلَكُلُّ أُنْثَى رَسُولٌ فَإِذَا جَاءَهُ رَسُولُهُتْ فَقَوْ بَيْنَهُمْ بِالْقُنْطَسِ وَمُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [٤٨-٤٧]	٥
- قوله تعالى: ﴿قُلْ لَا أَمِيلَ لِتَفْسِي ضَرًّا وَلَا تَقْعَدُ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ...﴾ [٤٩-٥٠]	٦
- قوله تعالى: ﴿أَنْهُ إِذَا مَا وَقَعَ مَا شَاءَ بِهِ...﴾ [٥١]	٧
- قوله تعالى: ﴿ثُمَّ قَبْلَ الْأَيْنِ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ...﴾ [٥٢-٥٤]	٨
- قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ لَهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِذَا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا...﴾ [٥٥-٥٨]	٩
- قوله تعالى: ﴿قُلْ أَرَيْتَمَا أَنْزَلَ اللَّهُ لَكُمْ مِنْ زِيَّةٍ مَعْلَمَشَ بِهِ حَرَانًا وَلَكَلَّا...﴾ [٥٩]	١٠
- قوله تعالى: ﴿وَمَا كُلُّ الْأَيْنِ يَقْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْحَكِيمِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ...﴾ [٦٠]	١١
- قوله تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَنْتَرِي مِنْ قُرْمَانَ وَلَا تَقْسِمُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا طَيْكُورُ شُهُودًا...﴾ [٦١]	١٢
- قوله تعالى: ﴿أَلَا إِنَّ أُولَئِكَ الَّلَّهُ لَا حَوْفٌ عَلَيْهِنَّ وَلَا مُمْ بِهِنَّوْنَ﴾ [٦٢]	١٣
- قوله تعالى: ﴿الَّتِيْرَكَ أَمَنُوا وَكَانُوا يَتَفَوَّتُونَ لَهُمُ الْبَشَرُ فِي الْعِيَّةِ الْأُنْيَا...﴾ [٦٣-٦٤]	١٤
- قوله تعالى: ﴿وَلَا يَخْزُنُكَ قُولَمَدْ إِنَّ الْوَرَةَ يَوْ جَيْسَمًا هُوَ السَّمِيعُ الْمَلِيسُ...﴾ [٦٥-٦٦]	١٥
- قوله تعالى: ﴿فَهُرُ الْأَيْيِ جَعَلَ لَكُمُ الْأَيْلَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ وَالْمَهَارَ مُسْبِرًا...﴾ [٦٧-٦٨]	١٦
- قوله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّ الَّذِينَ يَقْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ الْكَذَبَ لَا يَتَبَعُونَ﴾ [٦٩-٧١]	١٧
- قوله تعالى: ﴿فَإِنَّ قَوْنَتَنَّ مَا سَأَلَكُوكَ بَنْ أَجَبَ إِنَّ أَجَبَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ...﴾ [٧٢]	١٨
- قوله تعالى: ﴿فَكَلِيُّهُ فَجَيْهَهُ وَمَنْ سَعَ في الْفَلَكِ...﴾ [٧٣-٧٤]	١٩
- قوله تعالى: ﴿ثُرَ بَعْثَنَا مِنْ بَعْوَهُمْ ثُوْمَنَ وَهَرَدَنَ إِنْ فَرَغُونَ وَمَلَانِهِ يَهَاتِنَا...﴾ [٧٥-٧٧]	٢٠
- قوله تعالى: ﴿فَالَا أَجَفَنَا لِيَلَنَنَا عَمَا وَيَدَنَا مُكَوَّنَ كَاهَنَانَا وَكَنَنَ لَكَمَ الْكَرِيَهَ فِي الْأَرْضِ...﴾ [٧٨]	٢١
- قوله تعالى: ﴿وَقَالَ فَرَعَوْنَ أَتَنِفِي يَكْلُ سَجِيرَ عَلِيَّهِ﴾ [٧٩-٨١]	٢٢
- قوله تعالى: ﴿وَبَحِقِّ اللَّهِ الْحَقَّ يَكْلِمِنَهُ وَلَوْ كَهَنَ الْمَجِرَمُونَ﴾ [٨٢-٨٣]	٢٣
- قوله تعالى: ﴿وَقَالَ مُوْسَى يَقْرَئَ لَهُ كُنَمَ مَاسَنَمَ يَلُوْ مَعَنَهُ تُوكَوَانَ إِنْ كُنَمَ شَنِيَّهَ...﴾ [٨٤-٨٥]	٢٤
- قوله تعالى: ﴿وَقَنَتَنَ يَرْجِنَكَ بَنَ الْقَوَهُ الْكَهِيَهَ...﴾ [٨٦-٨٧]	٢٥
- قوله تعالى: ﴿وَقَالَكَ مُوْسَى رَوْنَانَ إِنَّكَ أَيَّتَتِ وَقَعَوَتِ وَلَكَمَ رِيَّهَ وَأَتَرَلَهَ...﴾ [٨٨]	٢٦
- قوله تعالى: ﴿قَالَ قَدْ أَجَبَتِ دَعَوْتُكَنَا فَأَسْتَيْسَا وَلَا تَهَمَانَ سَكِيلَ الْأَيْنِ لَا يَمْتَمُونَ﴾ [٨٩]	٢٧
- قوله تعالى: ﴿وَجَرَوْنَا يَسِقَيْ إِنْكَهَلَ الْبَحَرَ فَأَبَيْهِمَهُ فَرَعَوْنَ وَجَنُودُ بَعَيَا وَعَدَوَّهَ...﴾ [٩٠]	٢٨
- قوله تعالى: ﴿وَالْقَنَ وَقَدْ عَصَيَتِ قَبْلَ وَكَشَ مَنْ الْمَقْرِيدَنَ﴾ [٩١-٩٢]	٢٩
- قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ بُوَانَا بَيْقَ إِسَهَ بَلْ مُبَوَا صِنِيَ وَرَدَقَنَهُ بَنَ الْأَطَيَّهَ...﴾ [٩٣-٩٥]	٣٠
- قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ حَفَّتَ عَلَيْهِمْ كَلِمَتَنَ يَوْكَ لَا يَوْمَنَ...﴾ [٩٤-٩٨]	٣١
- قوله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاهَ رَيَّكَ لَأَمَنَ مَنْ فِي الْأَرْضِ كَلِمَمَ جَيْسَمَا...﴾ [٩٩]	٣٢
- قوله تعالى: ﴿وَمَا كَاتَ لِيَقْنِسَ أَنْ تَوْمَنَ إِلَّا يَادَنَ اللَّهُ وَيَعْمَلُ الْأَيْمَرَ عَلَى الْأَيْنِ لَا يَقْلُونَ﴾ [١٠٠-١٠١]	٣٣

- ٥٨ - قوله تعالى: ﴿فَهُلْ يَنْكُثُرُونَ إِلَّا مِثْلُ أَيَّامِ الْأَيَّارِ حَلَوْا مِنْ قَبْلِهِمْ...﴾ [١٠٣-١٠٢] .....
- ٥٩ - قوله تعالى: ﴿فَقُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِذْ كُنْتُمْ فِي شَكٍّ مِّنْ يُبَيِّنُ فَلَا أَعْبُدُ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ...﴾ [١٠٦-١٠٤] .....
- ٦٠ - قوله تعالى: ﴿وَلَمْ يَسْكُنْ اللَّهُ بِعْضُهُ فَلَا كَانَ شَفِيفًا لَّهُ إِلَّا مُؤْمِنٌ...﴾ [١٠٨-١٠٧] .....
- ٦١ - قوله تعالى: ﴿وَاتَّبَعَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَأَصْبَرَ حَتَّىٰ يَعْلَمَ اللَّهُ...﴾ [١٠٩] .....
- ٦٢ - تفسير سورة هود عليه السلام .....
- ٦٥ - قوله تعالى: ﴿إِنَّ رَبَّكَ يَعْلَمُ مَا يَفْعَلُونَ فَمَنْ فَعَلَ مِنْ أَنْذِنِ اللَّهِ فَهُوَ حَسِيبٌ حَسِيبٌ﴾ [٤-١] .....
- ٦٩ - قوله تعالى: ﴿إِلَّا إِنَّهُمْ لَذُئْنُ مُذَوَّهُ لَيَسْتَخْفُوا مِنِّي...﴾ [٥] .....
- ٧١ - قوله تعالى: ﴿وَوَمَا مِنْ دَائِنٍ فِي الْأَرْضِ إِلَّا عَلَى اللَّهِ رِزْقُهَا وَيَعْلَمُ مُسْتَقْدِمَهَا وَمُسْتَوْدِعَهَا...﴾ [٦] .....
- ٧٤ - قوله تعالى: ﴿وَهُوَ اللَّهُ الْحَقُّ الْأَسْمَاءُ وَالْأَنْوَافُ فِي سُنْنَةِ أَيَّامِ...﴾ [٧] .....
- ٧٧ - قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ أَخْرَجَنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِنَّكُمْ مُغْنَدُونَ لَيَقُولُنَّ مَا يَتَشَاءَوْهُ...﴾ [٨] .....
- ٧٨ - قوله تعالى: ﴿وَلَكِنْ أَذْفَنَا إِلَيْكُنَّ مِنَ رَحْمَةِ اللَّهِ نَزَّعْنَاهَا مِنْهُ إِنَّهُ يَبُوُّسُ كَمُورًا﴾ [١١-٩] .....
- ٨٠ - قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا كَانَ تَارِكُ بَعْضَ مَا يُوحَى إِلَيْكَ وَسَلَّيْتُ يَدِهِ صَدَرَكَ...﴾ [١٣-١٢] .....
- ٨٢ - قوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا يَسْتَحِيُّونَ لَكُمْ فَاعْلَمُو أَنَّمَا أُنْزَلَ يَعْلَمُ اللَّهُ وَأَنَّ لَهُ إِلَّا هُوَ﴾ [١٤] .....
- ٨٣ - قوله تعالى: ﴿مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَرَبِّنَاهَا مَنْ فَوْقَ إِلَيْهِمْ أَعْلَمُ فِيهَا...﴾ [١٥] .....
- ٨٦ - قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ لَمْ يَنْمُّوا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا أَنَّكَارُ...﴾ [١٦] .....
- ٨٧ - قوله تعالى: ﴿أَفَنَّ كَانَ عَلَىٰ يَنْتَهِي مِنْ رَبِّهِ وَهَلْتُو شَاهِدٌ مِنْهُ وَمِنْ قَبْلِهِ...﴾ [١٧] .....
- ٩١ - قوله تعالى: ﴿وَمَنْ أَظْلَلَ مِنْ أَنْفُسِهِ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا...﴾ [١٩-١٨] .....
- ٩٢ - قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ لَمْ يَكُنُوا مُجِرِّينَ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أُولَئِكَ...﴾ [٢٠] .....
- ٩٣ - قوله تعالى: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ خَيَرُوا أَنْفُسَهُمْ وَهَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَتَنَزَّلُونَ...﴾ [٢٢-٢١] .....
- ٩٥ - قوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ مَاءَنُوا وَعَلَمُوا الصَّنْعَلَهُتْ وَأَخْسَطُوا إِنَّ رَبَّهُمْ أُولَئِكَ أَخْسَطُ الْجَنَّةِ...﴾ [٢٣] .....
- ٩٦ - قوله تعالى: ﴿فَنَلَّ الْقَرْفَنِيَّ كَالْأَنْفُسِ وَالْأَصْدِرِ وَالْبَصِيرِ وَالسَّبِيعِ...﴾ [٢٤] .....
- ٩٧ - قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا لَوْسَاتِهِ إِنَّ قَوْمَهُ إِنَّكُمْ تَنْذِرُ شَيْئًا...﴾ [٢٧-٢٥] .....
- ١٠١ - قوله تعالى: ﴿فَلَمَّا يَقُولُ أَرْبِيْتُ إِنْ كُنْتُ عَلَىٰ يَنْتَهِي مِنْ رَقِّ وَالَّتِي تَكُونُ مِنْ جِنْوِهِ فَهُوَ يَنْتَهِي عَلَيْكُنَّ...﴾ [٣١-٢٨] .....
- ١٠٥ - قوله تعالى: ﴿فَالَّذِي يَنْتَهِي مَذْ جَنَدَنَا فَأَكْسَرَتْ جِدَانَا...﴾ [٣٥-٣٢] .....
- ١٠٧ - قوله تعالى: ﴿أَوْحِيَ إِلَىٰ رُوحِهِ لَمْ يَرْوَ مِنْ قَوْمِكَ إِلَّا مَنْ قَدْ مَاءَنَ فَلَا تَبَيَّنَسْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ...﴾ [٣٧-٣٦] .....
- ١٠٩ - قوله تعالى: ﴿وَيَصْبِعُ الْفَلَكَ وَسَكَلَّا مِنْ عَيْنِهِ مَلَأَ مِنْ قَوْمِهِ سَخْنُرُوا مِنْهُ...﴾ [٤٠-٣٨] .....
- ١١٨ - قوله تعالى: ﴿وَقَالَ أَرْكَبُوْنِهِ يَسِيرُ اللَّهُ بِعِرْبِهَا وَمُرْسِهَا...﴾ [٤٤-٤١] .....
- ١٣٣ - قوله تعالى: ﴿وَوَنَادَى نُوحَ رَبِّهِ فَقَالَ رَبِّ إِنَّ أَنِي مِنْ أَهْلِ...﴾ [٤٧-٤٥] .....
- ١٣٨ - قوله تعالى: ﴿فَقِيلَ يَنْجُحُ أَفْيَطِ يَسَلِّمِي بِنَا وَبَرَكَتِ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أَمْرِي مِنْ مَعَافِكَ...﴾ [٤٨] .....

- قوله تعالى: «**ذَلِكَ مِنْ أَنْبَأِهِ الْقَيْبُ تُوْجِيهِاً إِلَيْكَ...**» [٤٩]
- قوله تعالى: «**وَلَكَ عَلَى أَخَاهُمْ هُوَدًا...**» [٦٠-٥٠]
- قوله تعالى: «**وَلَكَ شَوَّهَةَ أَخَاهُمْ صَلِحَا...**» [٦١]
- قوله تعالى: «**فَالْأُولَاءِ يَصْنَعُونَ مَا كَتَبَ اللَّهُ...**» [٦٢-٦٨]
- قوله تعالى: «**وَلَقَدْ جَاءَتْ رُسُلًا مِّنْ أُمَّهِمْ بِالشَّرِيفِ فَالْأُولَاءِ سَلِكُوا...**» [٧١-٦٩]
- قوله تعالى: «**فَإِذَا نَبَغَتِ الْأَرْضُ وَلَا عَجَزَ وَهَذَا بَطْلِ شَيْخًا...**» [٧٢]
- قوله تعالى: «**فَالْأُولَاءِ أَتَبْعَثُ إِلَيْهِمْ وَلَا عَجَزَ وَهَذَا بَطْلِ شَيْخًا...**» [٧٣]
- قوله تعالى: «**فَلَمَّا ذَهَبَ عَنْ إِرْزِيمِ الرَّوْحَ وَبَاهَةَ النَّشَريِّ يَجْدِلُونَ فِي قَوْرِ لُوطِ...**» [٧٤-٧٦]
- قوله تعالى: «**وَلَكُمْ يَجْمَعُونَ رُسُلًا مِّنْ كُلِّ أُمَّةٍ يَوْمَ وَضَّاقَ يَوْمَ ذَرْعَ...**» [٨٣-٧٧]
- قوله تعالى: «**وَلَلَّهِ مُتَبَّعُ أَخَاهُمْ شَيْخًا...**» [٩٥-٨٤]
- قوله تعالى: «**وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوْئِي بِعَائِنَتَا وَمُسْلِطِنِي ثَيْبِي...**» [٩٩-٩٦]
- قوله تعالى: «**ذَلِكَ مِنْ أَنْبَأِهِ الْقَرْيَ تَفَصِّلُ عَلَيْكَ وَهَذَا قَابِدٌ وَحَسِيدٌ...**» [١٠٩-١٠٠]
- قوله تعالى: «**وَلَقَدْ مَأْتَنَا مُوسَى الْكَتَبَ فَأَخْتَلَ فِيِّ...**» [١١٠]
- قوله تعالى: «**وَلَمَّا كَلَّا لَنَا لَوْقِنَتِهِمْ رُوكَ أَعْنَادَهُمْ...**» [١١١]
- قوله تعالى: «**فَأَسْتَقِنُ كَمَا أَبْرَزَ وَمَنْ كَابَ مَكَابِرَ وَلَا ظَمَرَ...**» [١١٢]
- قوله تعالى: «**وَلَا تَرْكُوا إِلَى الَّذِينَ طَلَبُوا فَتَسْكُنُمُ الْأَنْارِ...**» [١١٣]
- قوله تعالى: «**وَلَيْسَ الْأَصْلَوَةُ طَرْقُ الْأَنْبَارِ وَلَكُمْ مِنْ أَبْلِيلِ...**» [١١٤]
- قوله تعالى: «**وَأَسْبَزَ فَيْلَنَّ أَنَّ اللَّهَ لَا يُغْبِي أَبْرَ الْمُحْسِنِينِ...**» [١١٥-١١٦]
- قوله تعالى: «**وَرَمَّا كَانَ رُوكَ لِيَمْلِكَ الْقَرْيَ يَطْلُمُ وَأَهْلَهَا شَلِحُورُ...**» [١١٩-١١٧]
- قوله تعالى: «**وَلَكَلَّا تَفْشِلُ عَلَيْكَ مِنْ أَبْلَهِ الرَّشْلِ مَا تُقْتَلُ يَوْهُ فَوَادِكَ...**» [١٢٠]
- قوله تعالى: «**وَلَقَدْ لَيَلِنَّ لَا يَوْقُنُونَ أَعْمَلُوا عَلَى مَكَاتِبِكُمْ إِنَّا عَيْلُوكَ...**» [١٢٣-١٢١]
- تفسير سورة يوسف عليه السلام
- قوله تعالى: «**إِنَّرْ نَلَكَ مَأْيَثُ الْكَتَبِ الْثَيْبِينِ...**» [١]
- قوله تعالى: «**إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِيَهُمْ مِنَ الْكَلَمِ تَمْفُوتَ...**» [٢]
- قوله تعالى: «**مَنْ تَفْشِلُ عَلَيْكَ أَخْسَنُ الْفَصَصِ...**» [٣]
- قوله تعالى: «**إِذَا قَالَ يُوشَّتْ لِأَبِي يَنَبَّاتْ إِنِّي زَيَّثْ أَكَدْ عَسَرْ كُوكِيَا وَالْأَسَسَ وَالْقَرْ رَأْيَهُمْ لِي سَيِّدِيَتْ...**» [٤]
- قوله تعالى: «**فَالْأَيْتَنَ لَا تَفْصِلُ رَمَّيَالَكَ عَلَى لَيَخْرِيكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كِيدَ...**» [٥]
- قوله تعالى: «**وَلَكَلَكَ يَجْتَبِيكَ رُوكَ وَيَمْلِكَ مِنْ تَأْوِيلِ الْأَدَبِيَتْ...**» [٦]
- قوله تعالى: «**لَقَدْ كَانَ فِي يُوشَّتْ وَلَيَخْرِيكَ مَأْيَثُ لِلْسَّلَالِيَنِ...**» [٩-٧]
- قوله تعالى: «**فَالْأَيْلَنَ يَمْنَهُنَ لَا تَفْنَلُو يُوشَّتْ وَالْأَقْوَهُ فِي غَيْبَتِ الْجَيْتِ...**» [١٠]
- قوله تعالى: «**فَالْأُولَاءِ يَنَبَّاهَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنُكَ عَلَى يُوشَّتْ وَلَيَأْمَنُكُونَ...**» [١٢-١١]
- قوله تعالى: «**فَالْأَيْنَ لَيَخْرِيزَ أَنَّ تَدَهْبُوا يَوْهُ وَأَنَافَ أَنَّ يَأْكُلَهُ الْوَقْتِ...**» [١٤-١٣]
- قوله تعالى: «**فَلَمَّا ذَهَبُوا يَوْهُ وَأَجْمَعُوا أَنَّ يَبْعَلُونَ فِي غَيْبَتِ الْجَيْتِ...**» [١٥]

- قوله تعالى: **﴿وَجَاءُوكُمْ أَبَاهُمْ عَثَاهَ بِيَكُوكَ﴾** [١٦] ..... ٢٨٠
- قوله تعالى: **﴿فَلَمَّا يَأْتِنَا إِنَّا ذَعَنَاهُ لَنَتَّيْنَ رَزَقْنَا يُوْسُفَ عِنْدَ مَتَّنِنَا فَأَحْكَلَهُ الْأَنْثِيَّ﴾** [١٧] ..... ٢٨١
- قوله تعالى: **﴿وَجَاءُوكُوكَ عَلَى قَبِيْصِهِ يَتَمُّرُ كَذِيْبَ﴾** [١٨] ..... ٢٨٦
- قوله تعالى: **﴿وَجَاءَكُوكَ سَيَّارَةً فَأَرْسَلُوا وَارْدَهُمْ فَادَنْ دَلَوْمَ﴾** [١٩] ..... ٢٩١
- قوله تعالى: **﴿وَشَرَوْهُ يَشَنِنْ بَخِسْ دَرَهُمْ مَدَدُوْدَوْ﴾** [٢٠] ..... ٢٩٤
- قوله تعالى: **﴿وَقَالَ الَّذِي أَشَنَّهُ مِنْ يَقْنَرَ لَامَرَأَيَهُ أَكْتَرِي مَتَّونَهُ﴾** [٢١] ..... ٢٩٨
- قوله تعالى: **﴿وَلَمَّا بَلَغَ أَشَدَّهُ مَاتَتْهُ حَكَمَا وَلَعَلَّا﴾** [٢٢] ..... ٣٠٤
- قوله تعالى: **﴿وَرَدَوْدَتَهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَسِيْبَهُ وَظَلَقَتَ الْأَنْوَبَ﴾** [٢٤-٢٣] ..... ٣٠٥
- قوله تعالى: **﴿وَأَسْنَبَقَا الْبَابَ وَفَدَتْ قَبِيْصَمْ مِنْ دَبِرَ﴾** [٢٥] ..... ٣١٨
- قوله تعالى: **﴿فَالَّتِي هِيَ رَوْدَتَنِي عَنْ نَقِيْسِي وَسَهَدَ شَاهِدَ مِنْ أَهْلَهَا...﴾** [٢٩-٢٦] ..... ٣٢٠
- قوله تعالى: **﴿وَقَالَ يَسْوَهُ فِي الْدِرِيْتَهُ أَمْرَاتُ الْمَرِيْرِ تَرَوْدَ فَتَنَاهَا عَنْ نَقِيْسِهِ...﴾** [٣٢-٣٠] ..... ٣٢٥
- قوله تعالى: **﴿فَقَالَ رَبِّ الْيَسْجَنِ أَحَبَّ إِنَّكَ مَا يَدْعُونِي إِلَيْهِ﴾** [٣٤-٣٣] ..... ٣٣٩
- قوله تعالى: **﴿فَنَدَ بَدَّا لَهُمْ مِنْ بَعْدِ مَا رَأَوْا أَلْيَكَ لِيَسْجَنَهُ حَنَّ جِينَ﴾** [٣٥] ..... ٣٤١
- قوله تعالى: **﴿وَدَخَلَ مَمَّةُ الْيَسْجَنِ فَتَيَانَ قَالَ أَحَدُهَا إِنَّ أَرْبِيْنِي أَغْصَرُ حَمَرًا...﴾** [٣٨-٣٦] ..... ٣٤٤
- قوله تعالى: **﴿يَصْدِيْجِي الْيَسْجَنِ مَأْرِيَّاتُ تَنْقُرُوتُ خَدَّ أَمِّ اللَّهِ الْوَزَدُ الْأَهَارُ...﴾** [٤٠-٣٩] ..... ٣٥٠
- قوله تعالى: **﴿يَنْصِبَجِي الْيَسْجَنِ أَمَا أَحَدُكُمْ قَيْسِي رَيْنَهُ حَمَرًا...﴾** [٤١] ..... ٣٥١
- قوله تعالى: **﴿وَقَالَ لِلَّهِ عَلَى أَنْتَ نَاجَ مِنْهَا أَذْكُرْنِي هَنَدَ رَيْلَكَ...﴾** [٤٢] ..... ٣٥٢
- قوله تعالى: **﴿وَقَالَ الْمَلَكُ إِنَّكَ سَيْنَ بَقَرِيْتِ سِيَانِ يَأْكُلُهُنَّ سَيْنَ عَجَافَ...﴾** [٤٣] ..... ٣٥٩
- قوله تعالى: **﴿فَقَالُوا أَضْنَتْ أَشْنَوَ...﴾** [٤٤] ..... ٣٦٢
- قوله تعالى: **﴿وَقَالَ الَّذِي جَمَّا مِنْهَا وَأَذْكَرَ بَدَّ أَنْتَ أَمَا أَنْشَكُمْ تَأْرِيلَهُ...﴾** [٤٥] ..... ٣٦٣
- قوله تعالى: **﴿فَكَانَ تَرَيْنُونَ سَيْنَ سِيَانَ دَلَّا قَا حَسْدُمُ تَذَرُّهُ فِي سَبَلِهِ...﴾** [٤٦] ..... ٣٦٦
- قوله تعالى: **﴿ثُمَّ يَأْنِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ سَيْنَ شَدَّادَ يَأْكُلُنَّ مَا فَدَنَتْمِ...﴾** [٤٧] ..... ٣٦٨
- قوله تعالى: **﴿ثُمَّ يَأْنِي مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ عَامَ فِيهِ يَعَاثُ النَّاسُ وَفِيهِ يَعْصُونِ﴾** [٤٩] ..... ٣٦٩
- قوله تعالى: **﴿وَقَالَ الْمَلَكُ أَنْتُرِي يَدَهُ فَلَمَّا جَاءَهُ الرَّسُولُ قَالَ أَنْتَعِ إِنَّ رَيْلَكَ شَنَّلَهُ مَا بَالَ النَّسْوَهُ...﴾** [٥١-٥٠] ..... ٣٧٠
- قوله تعالى: **﴿وَذَلِكَ يَلْتَمُ أَنِّي لَمْ أَنْتَهُ يَالْتِبِيْرِ وَلَمَّا اللَّهُ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْمَأْيَنِ...﴾** [٥٣-٥٢] ..... ٣٧٥
- قوله تعالى: **﴿وَقَالَ الْمَلَكُ أَنْتُرِي يَدَهُ أَسْتَنْصَنَهُ لِيَنْتِي...﴾** [٥٤] ..... ٣٧٧
- قوله تعالى: **﴿فَقَالَ أَجْمَعَنِي عَلَى حَرَامِيْنِ الْأَرْضِ إِنِّي حَوْفَطُ عَلِيْمَهُ﴾** [٥٥] ..... ٣٨٠
- قوله تعالى: **﴿وَذَلِكَلَكَ مَكَنَّا يَلْوُسَفَ فِي الْأَرْضِ يَتَبَرَّأُ مِنْهَا حَيْثُ يَشَاهِهَ...﴾** [٥٧-٥٦] ..... ٣٨٦
- قوله تعالى: **﴿وَوَلَّا إِخْوَهُ يَلْوُسَفَ فَدَخَلُوا عَلَيْهِ فَرَفَعَهُمْ...﴾** [٥٨] ..... ٣٩١
- قوله تعالى: **﴿وَوَلَّا جَهَزَهُمْ يَمْهَا زِيْمَهُمْ قَالَ أَنْتُرِي يَأْخُ لَكُمْ مِنْ أَيْكَمَ...﴾** [٦١-٥٩] ..... ٣٩٢
- قوله تعالى: **﴿وَقَالَ لِيَنْبِيْرِيْدَهُ أَجْمَلَا بَصَنَتْهُمْ فِي يَكْلِمَ لَمَهَمَهُ يَمْرُونَهُمَا إِذَا أَنْشَلَوْا إِنَّ أَنْهَمَهُ...﴾** [٦٢] ..... ٣٩٤
- قوله تعالى: **﴿فَلَمَّا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ فَلَمَّا يَأْبَانَا مُعَيْنَهُ مِنَ الْكَيْلِ فَأَرْسَلَ مَنَّا أَخَاهَا نَكْلَهُ...﴾** [٦٥-٦٣] ..... ٣٩٥

- قوله تعالى: «فَلَمَّا تَرَى إِسْلَامَ مَعْكُمْ حَتَّى تُؤْتُونَ مَوْنَاتِي بِئْرَتْ أَلَوْ لَفَانَتِي بِيُوهِ...» [٦٦] ..... ٣٩٧
- قوله تعالى: «وَقَالَ يَبْرِئُ لَا تَدْخُلُوا مِنْ بَابِ دَجِيرْ وَادْخُلُوا مِنْ أَبْوَابِ شَغْرِيقَةِ...» [٦٧] ..... ٣٩٩
- قوله تعالى: «وَلَمَّا دَخَلُوا مِنْ جَهَنَّمَ أَتَرْمَمْ أَبُو هُمْ مَا كَانَ يَقْنِي عَنْهُمْ بَئْرَنَ أَلَوْ مِنْ شَاهِ...» [٧٠-٦٨] ..... ٤٠٢
- قوله تعالى: «قَالُوا وَأَقْبَلُوا عَلَيْهِمْ مَآداً تَقْدُورُونَ...» [٧٢-٧١] ..... ٤٠٧
- قوله تعالى: «قَالُوا تَالَّوْ لَقْدَ عَلِشَتْ مَا جَفَنَتْ فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانَ سَرِيقَنَ...» [٧٥-٧٣] ... ٤١١
- قوله تعالى: «بَنَدَأْ يَأْزِعَهُمْ قَبْلَ وَعَاءَ لَجِيدِ...» [٧٦] ..... ٤١٢
- قوله تعالى: «قَاتَلُوا إِنْ يَسْرِقُ فَقَذَ سَرَقَ أَخْ لَهْ بَنْ قَنْلِ...» [٧٩-٧٧] ..... ٤١٨
- قوله تعالى: «فَلَمَّا آتَيْنَاهُمْ حَلَاصَوْ رِبَّاً...» [٨٠] ..... ٤٢١
- قوله تعالى: «أَتَجْعَلُوا إِنْ أَيْكُمْ فَقُولُوا يَتَأْبَأْ إِنْكَ سَرَقِ...» [٨١] ..... ٤٢٥
- قوله تعالى: «وَسَكَى الْقَرِيبَةِ الَّتِي كَثَنَ فِيهَا وَالْعِيرَ الَّتِي أَفَلَنَا فِيهَا...» [٨٢] ..... ٤٢٧
- قوله تعالى: «فَالَّبِيلَ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَفْشَكُمْ أَتَرَّ...» [٨٣] ..... ٤٢٨
- قوله تعالى: «وَتَوَلَّكُمْ عَنْهُمْ وَقَالَ يَكْأسَنَ عَلَى يُوسُفَ رَأَيْتَنَ عَيْنَاهُ مِنْ الْحَزْنِ...» [٨٤] ..... ٤٣٠
- قوله تعالى: «فَالَّوَا تَالَّوْ تَقْتُلُوا تَدْكُرُ يُوشَتْ حَتَّى تَكُوتْ حَرَّصَا...» [٨٦-٨٥] ..... ٤٣٣
- قوله تعالى: «يَبْرِئُ أَذْهَلُوا فَحَسَنُوا مِنْ يُوشَتْ وَأَجْبِهِ لَا تَأْتِشُوا مِنْ رَقْعَ أَلَوْ...» [٨٧] ... ٤٣٦
- قوله تعالى: «فَلَمَّا دَخَلُوا عَلَيْهِمْ قَالُوا يَكْأسَنَا الْعِيرُ سَنَّا وَأَفَلَنَا الْفَرَّ...» [٨٨] ..... ٤٣٧
- قوله تعالى: «فَالَّمَّا هَلَ عَلِيمُ مَا قَلَمْ يُوشَتْ وَأَجْبِهِ إِذْ أَسْنَدَ جَهَلُونَ...» [٩٣-٨٩] ..... ٤٤١
- قوله تعالى: «وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُو هُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوشَتْ لَوْلَا أَنْ تَقْدُورُونِ...» [٩٩-٩٤] ..... ٤٤٧
- قوله تعالى: «وَرَفَعَ أَبُوبِهِ عَلَى الْعَرْشِ وَكَرِرُوا لَهُ شَجَدَّا...» [١٠٠] ..... ٤٥٤
- قوله تعالى: «رَبِّنَ قَدْ مَاتَنَتِي مِنْ الْمُلْكِ وَعَمَتِي مِنْ تَأْوِيلِ الْأَخَابِشِ...» [١٠١] ..... ٤٦٢
- قوله تعالى: «ذَلِكَ مِنْ أَنْبَأَهُ الْقَنِيبُ تُوشِهِ إِلَيْكِ...» [١٠٤-١٠٢] ..... ٤٦٥
- قوله تعالى: «وَكَانَنِ مِنْ مَأْتِيَ فِي السَّنَوَتِ وَالْأَرْضِ يَمْرُوثُتْ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُغَرِّبُونِ...» [١٠٨-١٠٥] ..... ٤٦٦
- قوله تعالى: «وَمَا أَرْسَلَنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِبَّا لَا فُوحَّى إِلَيْهِمْ مِنْ أَهْلِ الْقَرِيبِ...» [١١٠-١٠٩] ..... ٤٦٩
- قوله تعالى: «لَقَدْ كَانَ فِي قَصَبِهِمْ عِدَّةٌ لَأُولَى الْأَنْبِيَاءِ...» [١١١] ..... ٤٧٤
- الفهرس ..... ٤٧٧